

روح البيان في تفسير القرآن

تأليف

الإمام الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى
الحنفي الخلوتي البروسوي
المتوفى ١١٢٧ هـ

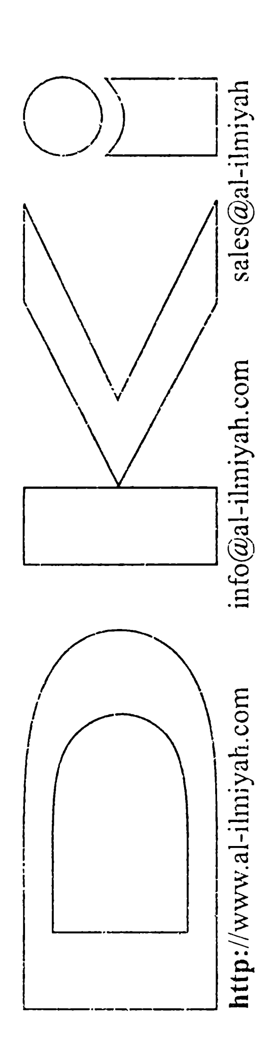
ضبطه وصححه وخرج آياته
عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

الجزء العاشر

المحتوى:
من أول سورة التغابن - إلى آخر سورة الناس



دار الكتب العلمية
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
DKI
أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



الكتاب : روح البيان في تفسير القرآن Title : RŪḤ AL-BAYĀN FĪ TAFSĪR AL-QUR'ĀN	
التصنيف : تفسير قرآن Classification: Exegesis of the Qur'an	
المؤلف : الشيخ إسماعيل البروسوي (ت ١١٢٧ هـ) Author : Al-Shaykh ISmail Al-Burusawi (D. 1127 H.)	
المحقق : عبداللطيف حسن عبدالرحمن Editor : Abdullatif Hassan Abdulrahman	
الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut	

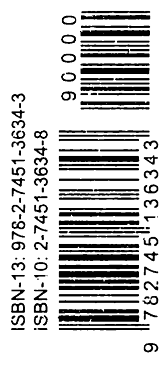
Pages	(10Vols./10Parts) 5344 (١٠أجزاء/١٠ مجلدات)	عدد الصفحات
Size	17x24 cm	قياس الصفحات
Year	2018 A.D. - 1439 H.	سنة الطباعة
Printed in	Lebanon لبنان	بلد الطباعة
Edition	4th (2 Colors) الرابعة (لونان)	الطبعة

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ٥٨٠٤٨١٠/١١/١٢ +٩٦١
فاكس: ٥٨٠٤٨١٣ +٩٦١
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



ISBN-13: 978-2-7451-3634-3
ISBN-10: 2-7451-3634-8

٦٤ ـ سورة التغابن

مختلف في كونها مكية أو مدنية وآيها ثمان عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾﴾.

﴿يسبح لله ما في السماوات﴾ من الروحانيات **﴿وما في الأرض﴾** من الجسمانيات أي: ينزهه سبحانه جميع ما فيهما من المخلوقات عما لا يليق بجناب كبريائه تنزيهاً مستمراً والمراد إما تسبيح الإشارة الذي هو الدلالة فتعم ما كل حي وجماد أو تسبيح العبارة الذي هو أن يقول سبحان الله فتعمهما أيضاً عند أهل الله وعن بعضهم سمعت تسبيح الحيتان في البحر المحيط يقلن: سبحان الملك القدوس رب الأقوات والأرزاق والحيوانات والنباتات ولولا حياة كل شيء من رطب ويابس ما أخبر عليه السلام أنه يشهد للمؤذن وكم بين الله ورسوله مما جميع المخلوقات عليه من العلم بالله والطاعة له والقيام بحقه فآمن بعضهم وصدق وقبل ما أضافه الله إلى نفسه وما أضاف إليه رسوله وتوقف بعضهم فلم يؤمنوا ولم يسمعوا وتأولوا الأمر بخلاف ما هو عليه وقصدهم بذلك أن يكونوا من المؤمنين وهم في الحقيقة من المكذبين لترجيحهم حسهم على الإيمان بما عرفه لهم ربهم لما لم يشاهدوا ذلك مشاهدة عين وعن بعض العارفين في الآية أي: يسبح وجودك بغير اختيارك وأنت غافل عن تسبيح وجودك له وذلك أن وجودك قائم في كل لمحة بوجوده يحتاج إلى الكينونة بتكوينه إياه أين قلبك ولسانك إذا اشتغل بذكر غيرنا وفي الحقيقة لم يتحرك الوجود إلا بأمره ومشيئته وتلك الحركة إجابة داعي القدم في جميع مراده وذلك محض التقديس ولكن لا يعرفه إلا العارف بالوحدانية. **﴿له الملك﴾** الدائم الذي لا يزول وهو كمال القدرة ونفاذ التصرف وبالفارسية مروراست بادشاهى كه ارض وسما وما بينهما بيافريد **﴿وله الحمد﴾** أي: حمد الحامدين وهو الثناء بذكر الأوصاف الجميلة والأفعال الجزيلة وتقديم الجار والمجرور للدلالة على تأكيد الاختصاص وإزاحة الشبهة بالكلية فإن اللام مشعر بأصل الاختصاص قدم أو أخر أي: له الملك وله الحمد لا لغيره إذ هو المبدىء لكل شيء وهو القائم به والمهيمن عليه المتصرف فيه كيف يشاء وهو المولى لأصول النعم وفروعها ولولا أنه أنعم بها على عباده لما قدر أحد على أدنى شيء فالمؤمنون يحمدونه على نعمه وله الحمد في الأولى والآخرة وأما ملك غيره فاسترعاء من جنابه وتسليط منه وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده فللبشر ملك وحمد من حيث الصورة لا من حيث الحقيقة.

باغير أو اضافت شاهى بود چنان ــ بريك دوچوب پاره زشطرنج نام شاه

﴿وهو على كل شيء قدير﴾ لأن نسبة ذاته المقتضية للقدرة إلى الكل سواء فهو القادر على الإيجاد والإعدام والإسقام والإبراء والإعزاز والإذلال والتبييض والتسويد ونحو ذلك من الأمور الغير المتناهية قال بعضهم: قدرة الله تصلح للخلق وقدرة العبد تصلح للكسب فالعبد لا يوصف بالقدرة على الخلق والحق لا يوصف بالقدرة على الكسب فمن عرف أنه تعالى قادر خشي من سطوات عقوبته عند مخالفته وأمل لطائف نعمته ورحمته عند سؤال حاجته لا بوسيلة طاعته بل بكرمه ومننه وفي «التأويلات النجمية»: ينزه ذاته المسبحة المقدسة عن الأمثال والأضداد والأشكال والأنداد ما في السماوات القوى الروحانية وما في أرض القوى الجسمانية له ملك الوجود المطلق وله الحمد على نعمة ظهوره في الوجود المقيد وهويته المطلقة قادرة على ظهورها بالإطلاق والتقييد وهي في عينها منزهة عنهما وهما نسبتان اعتباريتان ﴿هو الذي خلقكم﴾ خلقا بديعاً حاوياً لجميع مبادي الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك ﴿فمنكم كافر﴾ أي: فبعضكم أو فبعض منكم مختار للكفر كاسب له حسبما تقتضيه خلقته ويندرج فيه المنافق لأنه كافر مضمر وكان الواجب عليكم جميعاً أن تكونوا مختارين للإيمان شاكرين لنعمة الخلق والإيجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنهم منه بل تشعبتم شعباً وتفرقتم فرقاً قال في «فتح الرحمن»: الكفر فعل الكافر والإيمان فعل المؤمن والكفر والإيمان اكتساب العبد لقول النبي عليه السلام «كل مولود يولد على الفطرة» وقوله ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠] فلكل واحد من الفريقين كسب واختيار وكسبه واختياره بتقدير الله ومشيئته فالمؤمن بعد خلق الله إياه يختار الإيمان لأن الله تعالى أراد ذلك منه وقدره عليه وعلمه منه والكافر بعد خلق الله إياه يختار الكفر لأن الله تعالى قدر عليه ذلك وعلمه منه وهذا طريق أهل السنة انتهى. وفي الآية رد للدهرية والطبيعية فإنهم ينكرون خالقية الله تعالى والخالق هو المخترع للأعيان المبدع لها.

«حكي»: أن سنياً ناظر معتزلياً في مسألة القدر، فقطف المعتزلي تفاحة من شجرة وقال للسني: أليس أنا الذي قطفت هذه فقال له السني إن كنت الذي قطفتها فردها على ما كانت عليه فأفحم المعتزلي وانقطع، وإنما ألزمه بذلك لأن القدرة التي يحصل بها الإيجاد لا بد أن تكون صالحة للضدين، فلو كان تفريق الأجزاء بقدرته لكان في قدرته وصلها ومن أدب من عرف أنه سبحانه هو المنفرد بالخلق والإيجاد أن لا يجحد كسب العبد ولا يطوي بساط الشرع في الابتلاء بالأمر والنهي ولا يعتقد أن للعبد على الله حجة بسبب ذلك.

حكي: أن بعض الأكابر تعجب من تجاسر الملائكة في قولهم ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] ثم قال: ما عليهم شيء هو أنطقهم فبلغ قوله يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه فقال: صدق هو أنطقهم ولكن انظر كيف أفحمهم بين بذلك أن مجرد الخلق من جهة الحق لا يكون عذراً للعبيد في سقوط اللوم عنهم ﴿ومنكم مؤمن﴾ مختار للإيمان كاسب له ويندرج فيه مرتكب الكبيرة الغير التائب، والمبتدع الذي لا تفضي بدعته إلى الكفر، وتقديم الكفر عليه لأنه الأنسب بمقام التوبيخ والأغلب فيما بينهم ولذا يقول الله في يوم الموقف: يا آدم أخرج بعث النار يعني ميز أهلها المبعوث إليها قال: وما بعث النار أي: عدده قال الله: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون وفي التنزيل ولكن أكثر الناس لا يؤمنون وقليل من عبادي الشكور والإيمان أعظم شعب الشكر.

روي: أن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقول: اللهم اجعلني من القليل فقال له عمر: ما هذا الدعاء فقال الرجل: إني سمعت الله يقول: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣] فإنما أدعو أن يجعلني من ذلك القليل فقال عمر: كل الناس أعلم من عمر.

يقول الفقير: هذا القول من عمر من قبيل كسر النفس واستقصار العلم والمعرفة واستقلالهما على ما هو عادة الكمل فلا ينافي كماله في الدين والمعرفة حتى يكون ذلك سبباً لجرحه في باب الخلافة كما استدل به الطوسي الخبيث على ذلك في كتاب التجريد له وفي الحديث «ألا إن بني آدم خلقوا على طبقات شتى فمنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت مؤمناً ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت كافراً ومنهم من يولد مؤمناً ويحيا مؤمناً ويموت كافراً ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً ويموت مؤمناً». ومن هنا قال بعضهم: قوم طلبوه فخذلهم وقوم هربوا منه فأدركهم. إبراهيم خواص قدس سره كفت درباديه وقتي بتجريد مي رفتم پيرى راديدم دركوشهٔ نشسته وكلاهي برسر نهاده وبزاري وخواري مي كريست كفتم يا هذا توكيستي كفت من ابو مره ام كفتم چرامى كريى كفت كيست بكريستن سزا وارتراز من چهل هزار سال بدان دركاه خدمت كرده ام ودرافق أعلى ازمن مقدم تركس نبودا كنون تقدير إلهي وحكم غيبي نكركه مرابچه روز آورد آنكه كفت اي خواص نكر تابدين جهد وطاعت خويش غره نباشى كه بعنايت واختيار اوست نه بجهد وطاعت بنده بمن يك فرمان آمدكه آدم راسجده كن نكردم وآدم را فرمان آمدكه ازان درخت مخور خورد ودركار آدم عنايت بود عذرش بنهادند وزلت اودر حساب نياوردند ودركار من عنايت نبود طاعت ديرينهٔ من زلت شمردند.

من لم يكن للوصال أهلا فكل إحسانه ذنوب

ومن هنا يعرف سر قول الشيخ سعدي:

هركه در سايهٔ عنايت اوست كنهش طاعتست ودشمن دوست

﴿والله بما تعملون﴾ مطلقاً ﴿بصير﴾ فيجازيكم بذلك فاختاروا منه ما يجديكم من الإيمان والطاعة وإياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان قال القاسم رحمه الله: خاطبهم مخاطبة حال كونهم ذراً فسماهم كافرين ومؤمنين في أزله وأظهرهم حين أظهرهم على ما سماهم وقدر عليهم فأخبر بأنه علم ما يعملونه من خير وشر.

واعلم أن الله تعالى يعلم لكنه يحلم ويقدر لكنه يغفر إلا أن من أقصته السوابق لم تدنه السوائل ومن أقعده جده لم ينفعه كده قيل: إن بعض الأكابر بلغه أن يهودياً أوصى أن يحمل من بلده إذا مات ويدفن في بيت المقدس فقال أيكابر الأزل أما علم أنه لو دفن في فراديس العلى لجاءت جهنم بأنكالها وحملته إلى نفسها والناس على أربعة أقسام أصحاب السوابق وهم الذين تكون فكرتهم أبداً فيما سبق لهم من الله لعلمهم أن الحكم الأزلي لا يتغير باكتساب العبيد وأصحاب العواقب وهم الذين يكفرون أبداً فيما يختم به أمرهم فإن الأمور بخواتمها والعاقبة مستورة ولهذا قيل: لا يغرنكم صفاء الأوقات فإن تحتها غوامض الآفات وأصحاب الوقت وهم الذين لا يتفكرون في السوابق ولا في اللواحق أي: العواقب بل يشتغلون بمراعاة الوقت وأداء ما كلفوا من أحكام ولهذا قيل: العارف ابن وقته وقيل: الصوفي من لا ماضي له ولا مستقبل وفي «المثنوي»:

صوفي ابن الوقت باشد أي رفيق نيست فردا كفتن از شرط طريق

والقسم الرابع هم الذين غلب عليهم ذكر الحق فهم مشغولون بشهود الموقت عن مراعاة الوقت وفي الآية إشارة إلى هويته المطلقة عن النسب والإضافات ﴿**خلقكم**﴾ أي: تجلى لتعيناتكم الجنسية والنوعية والشخصية من غير تقيد وانحصار فمنكم أي: فمن بعض هذه التعينات كافر يستر الحق المطلق بالخلق المقيد ويقول بالتفرقة دفعاً لطعن الطاعن ومن بعض هذه التعينات مؤمن يؤمن بظهور الحق في الخلق ويستر الخلق بالحق ويقول بالجمعية تأنيساً للمكاشفين بالحقائق ﴿**والله بما تعملون بصير**﴾ من ستر الحق بالخلق دفعاً للطاعن ومن ستر الخلق بالحق تأنيساً للطالب الواجد.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ وَصَوَّرَكُمۡ فَأَحۡسَنَ صُوَرَكُمۡۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَيَعۡلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعۡلِنُونَۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾﴾

﴿**خلق السماوات والأرض بالحق**﴾ أي: بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية والمراد السموات السبع والأرضون السبع كما يدل عليه التصريح في بعض المواضع قال تعالى: ﴿خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ طِبَاقٗاۖ﴾ [الملك: ٣] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ سَبۡعَ سَمَٰوَٰتٖ وَمِنَ ٱلۡأَرۡضِ مِثۡلَهُنَّۖ﴾ [الطلاق: ١٣] فإن قلت: ما وجه عدم ذكر العرش والكرسي في أمثال هذه المواضع مع عظم خلقهما قلت: إنهما وإن كانا من السماء لأن السماء هو الفلك والفلك جسم شفاف محيط بالعالم وهما أوسع الأفلاك إحاطة إلا أن آثارهما غير ظاهرة مكشوفة بخلاف السماوات والأرض وما بينهما فإنها أقرب إلى المخاطبين المكلفين ومعلوم حالها عندهم ومكشوفة آثارها ومنفعتها ولهذا قالوا: إن الشمس تنضج الفواكه والقمر يلونها والكواكب تعطيها الطعم إلى غير ذلك مما لا يتناهى على أن التغيرات فيها أظهر فهي على عظم القدرة أدل وقد قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ﴾ [الرحمن: ٢٩] وأكثر هذه الشؤون في عالم الكون والفساد الذي هو عبارة عن السماوات والأرض إذ هما من العنصريات بخلاف العرش والكرسي فإنهما من الطبيعيات ولهذا لا يفنيان ﴿**وصوركم فأحسن صوركم**﴾ الفاء للتفسير أي: صوركم أحسن تصوير وخلقكم في أحسن تقويم وأودع فيكم من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة ما نيط بها جميع الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته في هذه النشأة فلكم جمال الصورة وأحسن الأشكال ولذا لا يتمنى الإنسان أن يكون صورته على خلاف ما هو عليه لكون صورته أحسن من سائر الصور ومن حسن صورته امتداد قامته وانتصاب خلقته واعتدال وجوده ولا يقدح في حسنه كون بعض الصور قبيحاً بالنسبة إلى بعض لأن الحسن وهو الجمال في الخلق والخلق على مراتب كما قالت الحكماء: شيئان لا غاية لهما الجمال والبيان ولكم أيضاً جمال المعنى وكمال الخصال:

بدرون تست مصري كه تويى شكر ستانش چه غمست اكرزبيرون مدد شكر نداري

شدهٔ غلام صورت بمثال بت پرستان توچو يوسفي وليكن سوى خود نظر نداري

بخدا جمال خود را چو در آينه بيني بت خويش هم توباشي بكسى كذر نداري

والمعتد به هو الحسن المعنوي لأن الله خلق آدم على صورته أي: على الصورة الإلهية

التي هي عبارة عن صفاته العليا وأسمائه الحسنى وإلا فالحسن الصوري يوجد في الكافر أيضاً:

ره راست بايدنه بالاي راست كه كافرهم ازروى صورت چوماست

نعم قد يوجد سيرة حسنة وخلق حميد في الكافر كعدل أنوشروان مثلاً لكن المعتد به ما يكون مقارناً بالإيمان الذي هو أحسن السير قال بعض الكبار: كل من كان فيه صفة العدل فهو ملك وإن كان الحق تعالى ما استخلفه بالخطاب الإلهي، فإن من الخلفاء من أخذ المرتبة بنفسه من غير عهد إلهي إليه بها وقام بالعدل في الرعايا استناداً إلى الحق كما قال عليه السلام: «ولدت في زمن الملك العادل» يعني: كسرى فسماه ملكاً ووصفه بالعدل ومعلوم أن كسرى في ذلك العدل على غير شرع منزل لكنه نائب للحق من وراء الحجاب وخرج بقولنا وقام بالعدل في الرعايا من لم يقم بالعدل كفرعون وأمثاله من المنازعين لحدود الله والمغالبين لجنابه بمغالبة رسله فإن هؤلاء ليسوا بخلفاء الله تعالى كالرسل ولا نواباً له، كالملوك العادلة بل هم إخوان الشياطين قال الحسين رحمه الله: أحسن الصور صورة أعتقت من ذل كن وتولى الحق تصويرها بيده ونفخ فيها من روحه وألبسها شواهد النعت وحلاها بالتعليم شفاهاً وأسجد لها الملائكة المقربين وأسكنها في جواره، وزين باطنها بالمعرفة وظاهرها بفنون الخدمة والجمع في قوله **﴿فأحسن صوركم﴾** باعتبار الأنواع لأن صورة الرومي ليست كصورة الهندي إلى غير ذلك والإفراد وهو ظاهر **﴿وإليه المصير﴾** أي: وإلى الله الرجوع في النشأة الأخرى لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً فأحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر فيما خلقن له حتى يجازيكم بالإنعام لا بالانتقام فكم من صورة حسناء تكون في العقبى شوهاء بقبح السريرة والسيرة وكم من صورة قبيحة تكون حسناء بحسنهما.

چه غم زمنقصت صورت أهل معنى را چوجان زروم بودكوتن ازحبش مى باش

وقد ثبت «أن ضرس الكافر يوم القيامة مثل جبل أحد وإن غلظ جسده مسافة ثلاثة أيام وأنه يسوء خلقه فتغلظ شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخي شفته السفلى حتى تضرب سرته وأن أهل الجنة ضوء وجوههم كضوء القمر ليلة البدر أو على أحسن كوكب دري في السماء وهم جرد مرد مكحلون أبناء ثلاث وثلاثين فطوبى لأهل اللطافة وويل لأهل الكثافة.

اعلم أن الله تعالى خلق سماوات الكليات وأرض الجزئيات بمظهرية الحق وظهوره فيهما بحسب استعداد الكل لا بحسبه وتجلى في مظاهر صور الإنسان بحسبه أي: بجميع الأسماء والصفات ولذا قال تعالى: **﴿فأحسن صوركم﴾** أي: جعل صوركم أحدية جمع جميع المظهريات الجامعة لجميع المظاهر السماوية العلوية والأرضية السفلية كما قال عليه السلام: «إن الله خلق آدم على صورته» يعني: أورد الاسم الجامع في عنوان الخلق إشارة إلى تلك الجمعية فكان مصير الإنسان إلى الهوية الجامعة لجميع الهويات لكن حصل التفاوت بين أفراده بحسب التجلي والاستتار والفعل والقوة فليس لأهل الحجاب أن يدعي كمالات أهل الكشف للتفاوت المذكور فيا عجباً من إنسان خفي عليه ما دفن في أرض وجوده من كنز إلهي غيبي من نال إليه لم يفتقر أبداً وكيف قنع بقشر مع إمكان تحصيل اللب وكيف أقام في الحضيض مع سهولة العروج إلى الأوج.

چه شكرهاست درين شهركه قانع شده اند شاهبازان طريقت بمقا مسكى م

﴿يعلم ما في السماوات والأرض﴾ من الأمور الكلية والجزئية والأحوال الجلية والخفية

﴿ويعلم ما تسرون وما تعلنون﴾ أي: ما تسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الأمور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لأنه الذي يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما قال في «برهان القرآن»: إنما كرر ما في أول السورة لاختلاف تسبيح أهل الأرض وأهل السماء في الكثرة والقلة والبعد والقرب من المعصية والطاعة وكذلك اختلاف ما تسرون وما تعلنون فإنهما ضدان ولم يكرر ما في السماوات والأرض لأن الكل بالإضافة إلى علم الله جنس واحد لا يخفى عليه شيء ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ أي: هو محيط بجميع المضمرات المستكنة في صدور الناس بحيث لا تفارقها أصلاً فكيف يخفى عليه ما يسرونه وما يعلنونه وبالفارسية وخداي تعالى داناست بآنچه درسينهاست ازخواطر وأفكار.

وإنما قيل لها ذات الصدور وصاحبتها لملابستها لها وكونها مخزونة فيها ففي الآية ترقٍ من الأظهر إلى الأخفى لأنه عالم بما في السماوات وما في الأرض وبما يصدر من بني آدم سراً وعلناً وبما لم يصدر بعد بل هو مكنون في الصدور وإظهار الجلالة للإشعار بعلية الحكم وتأكيد استقلال الجملة قبل وتقديم القدرة على العلم لأن دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الاتفاق والاختصاص ببعض الجهات الظاهرة مثل كون السماء في العلو والأرض في السفل أو الباطنة مثل أن يكون السماء متحركة والأرض ساكنة إلى غير ذلك فإن للمتكلمين مسلكين في إثبات العلم الأول: أن فعله تعالى متقن أي: محكم خال عن وجوه الخلل ومشتمل على حكم ومصالح متكثرة وكل من فعله متقن فهو عالم والثاني: أنه فاعل بالقصد والاختيار لتخصيص بعض الممكنات ببعض الأنحاء ولا يتصور ذلك إلا مع العلم وفي قوله ﴿ما تسرون﴾ إشارة إلى علماء الظاهر من الحكماء والمتكلمين وإلى علومهم الفكرية النظرية وما يسرون فيها من عقائدهم الفاسدة ومقاصدهم الكاسدة وفي قوله ﴿وما تعلنون﴾ إشارة إلى علماء الباطن من المشايخ والصوفية وإلى معارفهم ومواجيدهم الذوقية الكشفية وما يظهرون منها من الكرامات وخوارق العادات والله عليم بصدور عمل كل واحد من صدور قلوبهم بحسب الرياء والإخلاص والحق والباطل.

﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ ۚ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾

﴿ألم يأتكم﴾ أيها الكفرة والألف للاستفهام ولم للجحد ومعناه التحقيق ﴿نبأ الذين كفروا﴾ أي: خبر قوم نوح ومن بعدهم من الأمم المصرة على الكفر ﴿من قبل﴾ أي: قبكلم فيكون متعلقاً بكفروا أو قبل هذا الوقت أو هذا العصيان والمعاداة فيكون ظرفاً لألم يأتكم ﴿فذاقوا وبال أمرهم﴾ عطف على كفروا والذوق وإن كان في التعارف لتقليل لكنه مستصلح للكثير والوبال الثقل والشدة المترتبة على أمر من الأمور والوبل والوابل المطر الثقيل القطار مقابل الطل وهو المطر الخفيف وأمرهم كفرهم فهو واحد الأمور عبر عنه بذلك للإيذان بأنه أمر هائل وجناية عظيمة والمعنى: فذاقوا في الدنيا من غير مهلة ما يستتبعه كفرهم من الضرر والعقوبة وأحسوه إحساس الذائق المطعوم يعني: پس چشيدن كران بارىء خود ودشوارىء سر انجام خويش وضرر كفر وعقوبت اودردنيا بغرق وريح صرصر وعذاب يوم الظلة وأمثال آن.

وفي إيراد الذوق رمز إلى أن ذلك المذوق العاجل شيء حقير بالنسبة إلى ما سيرون من العذاب الآجل ولذلك قال تعالى: ﴿ولهم﴾ في الآخرة ﴿عذاب أليم﴾ أي: مؤلم لا يقادر قدره وفيه إخبار بأن ما أصابهم في الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم وإلا لم يعذبوا في الآخرة بخلاف المؤمنين فإن ماأصابهم في الدنيا من الآلام والأوجاع والمصائب كفارة لذنوبهم على ما ورد في الأخبار الصحيحة ﴿ذلك﴾ أي: ما ذكر من العذاب الذي ذاقوه في الدنيا وما سيذوقونه في الآخرة ﴿بأنه﴾ أي: بسبب أن الشأن ﴿كانت تأتيهم رسلهم بالبينات﴾ أي: بالمعجزات الظاهرة والباء إما للملابسة أو للتعدية ﴿فقالوا﴾ عطف على كانت ﴿أبشر﴾ آيا آدميان مثل ما ﴿يهدوننا﴾ راه نمايند مارا.

أي: قال كل قوم من المذكورين في حق رسولهم الذي أتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك أبشر وآدمي مثلنا يهدينا ويرشدنا إلى الدين أو إلى الله والتقرب منه كما قالت ثمود: أبشراً منا واحداً نتبعه أنكروا أن يكون الرسول بشراً ولم ينكروا أن يكون المعبود حجراً وقد أجمل في الحكاية فأسند القول إلى جميع الأقوام وأريد بالبشر الجنس، فوصف بالجمع كما أجمل الخطاب والأمر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾ [المؤمنون: ٥١] وارتفاع بشر على أنه فاعل فعل مضمر يفسره ما بعده فيكون من باب الاشتغال وهو أولى من جعله مبتدأ وما بعده خبراً لأن أداة الاستفهام تطلب الفعل ظاهراً أو مضمراً قال القاشاني: لما حجبوا بصفات نفوسهم عن النور الذي هو به يفضل عليهم بما لا يقاس ولم يجدوا منه إلا البشرية أنكروا هدايته فإن كان كل عارف لا يعرف معروفه إلا بالمعنى الذي فيه فلا يوجد النور الكمالي، إلا بالنور الفطري ولا يعرف الكمال إلا الكامل ولهذا قيل: لا يعرف الله غير الله وكل طالب وجد مطلوبه بوجه ما وإلا لما أمكنه التوجه نحوه وكذا كل مصدق بشيء فإنه واجد للمعنى المصدق به بما في نفسه من ذلك المعنى فلما لم يكن فيهم شيء من النور الفطري، أصلاً لم يعرفوا منه الكمال فأنكروه ولم يعرفوا من الحق شيئاً ولم يحدث فيهم طلب حتى يحتاجوا إلى الهداية فأنكروا الهداية، وقال بعض العارفين: معرفة مقام الأولياء أصعب من الممكن من معرفة الله تعالى لأن الله تعالى معروف بكماله وجماله وجلاله وقهره بخلاف الولي الكامل فإنه ملآن من شهود الضعف يأكل ويشرب ويبول مثل غيره من الخلق ولا كرامة له تظهر إلا بأن يناجي ربه وأنى للخلق معرفة مقامه ووالله لو كشف للخلق عن حقيقة الولي لعبد كما عبد عيسى عليه السلام ولو كشف لهم عن مشرقات نوره لانطوى نور الشمس والقمر من مشرقات نور قلبه، ولكن في ستر الحق تعالى لمقام الولي حكم وأسرار وأدنى ما في الستر أن لا يتعرض أحد لمحاربة الله تعالى إذا آذاهم بعد أن عرفهم أنهم أولياء الله فكان ستر مقامهم عن الخلق رحمة بالخلق وفتحاً لباب اعتذار من آذاهم من غالب الخلق فإن الأذى لم يزل من الخلق لهم في كل عصر لجهلهم بمقامهم ﴿فكفروا﴾ أي: بالرسل بسبب هذا القول لأنهم قالوه استصغاراً لهم ولم يعلموا الحكمة في اختيار كون الرسل بشراً ﴿وتولوا﴾ عن التدبير فيما أتوا به من البينات وعن الإيمان بهم ﴿واستغنى الله﴾ أي: أظهر استغناءه عن إيمانهم وطاعتهم حيث أهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك وقال سعدي المفتي: هو حال بتقدير قد وهو بمعنى غني الثلاثي والمراد كمال الغنى إذ الطلب يلزمه الكمال ﴿والله غني﴾ عن العالمين فضلاً عن إيمانهم

وطاعته ﴿حميد﴾ يحمده كل مخلوق بلسان الحال ويدل على اتصافه بالصفات الكمالية أو يحمده أولياؤه وإن امتنع أعداؤه والحمد هو ذكر أوصاف الكمال من حيث هو كمال ومن عرف أنه الحميد في ذاته وصفاته وأفعاله شغله ذكره والثناء عليه فإنه العبد وإن كثرت محامده من عقائده وأخلاقه وأفعاله وأقواله فلا يخلو عن مذمة ونقص إلا النبي عليه السلام فإنه محمد وأحمد ومحمود من كل وجه وله المحمدة والكمال وفي «الأربعين الإدريسية» يا حميد الفعال ذا المن على جميع خلقه بلطفه قال السهروردي رحمه الله: من داومه يحصل له من الأموال ما لا يمكن ضبطه ﴿زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا﴾ الزعم ادعاء العلم فمعنى أزعم زيداً قائماً أقول إنه كذا ففي تصدير الجملة بقوله أزعم إشعار بأنه لا سند للحكم سوى ادعائه إياه. وقوله به ويتعدى إلى مفعولين تعدي العلم وقد قام مقامهما أن المخففة مع ما في حيزها فأن مخففة لا ناصبة لئلا يدخل ناصب على مثله والمراد بالموصول كفار مكة أي: زعموا وادعوا أن الشان لن يبعثوا بعد موتهم أبداً، ولن يقاموا ويخرجوا من قبورهم وعن شريح رضي الله عنه لكل شيء كنية وكنية الكذب زعموا قال بعض المخضرمين لابنه: هب لي من كلامك كلمتين زعم وسوف انتهى. ويكره للرجل أن يكثر لفظ الزعم وأمثاله فإنه تحديث بكل ما سمع وكفى بذلك كذباً وإذا أراد أن يتكلم تكلم بما هو محقق لا بما هو مشتبه وبذلك يتخلص من أن يحدث بكل ما سمع فيكون معصوماً من الكذب كذا في «المقاصد الحسنة». ﴿قل﴾ رداً لهم وإبطالاً لزعمهم بإثبات ما نفوه ﴿بلى﴾ أي: تبعثون فإن بلى لإيجاب النفي الذي قبله وقوله: ﴿وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم﴾ أي لتحاسبن وتجزون بأعمالكم جملة مستقلة داخلة تحت الأمر واردة لتأكيد ما أفاده كلمة بلى من إثبات البعث وبيان تحقق أمر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين فقوله وربي قسم لعل اختياره ههنا لما أن في البعث إظهار كمال الربوبية المفيدة لتمام المعرفة وإيثار دوام التربية بالنعم الجسمانية الظاهرة والنعم الروحانية الباطنة وقوله لتبعثن أصله لتبعثون حذفت واوه لاجتماع الساكنين بمجيء نون التأكيد وإن كان على حده طلباً للخفة واكتفاء بالضمة وهو جواب قسم قبله مؤكد باللام المؤكدة للقسم وثم لتراخي المدة لطول يوم القيامة أو لتراخي الرتبة وظاهر كلام «اللباب» أن يكون وربي قسماً متعلقاً بما قبله قد تم الكلام عنده وحسن الوقف عليه ويجعل لتبعثن بما عطف عليه جواب قسم آخر مقدر مستأنف لتأكيد الأول لعل فائدة الإخبار بالقسم مع أن المشركين ينكرون الرسالة كما ينكرون البعث إبطال لزعمهم بالتشديد والتأكيد ليتأثر من قدر الله له الإنصاف وتتأكد الحجة على من لم يقدر له وكان محروماً بالكلية.

﴿وذلك﴾ أي ما ذكر من البعث والجزاء. ﴿على الله يسير﴾ أي سهل على الله لتحقق القدرة التامة وقبول المادة وإذا كان الأمر كذلك.

﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَاۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾﴾

﴿فآمنوا﴾ بصرف إرادتكم الجزئية إلى أسباب حصول الإيمان ﴿بالله﴾ الباعث من القبور المجازي على كل عمل ظاهر أو مستور ﴿ورسوله﴾ محمد ﷺ الذي أخبر عن شؤون الله تعالى

وصفاته ﴿**والنور الذي أنزلنا**﴾ أي أنزلناه على رسولنا وهو القرآن بإعجازه بين نفسه أنه حق نازل، من عند الله، مبين لغيره ومظهر للحلال والحرام، كما أن النور كذلك والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال العناية ﴿**والله بما تعملون**﴾ من الامتثال بالأمر وعدمه ﴿**خبير**﴾ فمجازيكم عليه ﴿**يوم يجمعكم**﴾ ظرف لتنبؤن وما بينهما اعتراض أو مفعول لأذكر الظاهر أن الخطاب لمن خوطب أولاً بقوله ﴿**ألم يأتكم**﴾ . ﴿**ليوم الجمع**﴾ ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون من الجن والإنس وأهل السماء والأرض أي لأجل ما فيه من الحساب والجزاء وهو يوم القيامة فاللام للعهد أي جمع هذا اليوم عن النبي ﷺ إذا جمع الله الأولين والآخرين جاء منادٍ ينادي بصوت يسمع الخلائق كلهم سيعلم أهل الجمع اليوم من أولى بالكرم ثم يرجع فينادي بصوت ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله في البأساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعاً إلى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وقيل: المراد جمع الله بين العبد وعمله وقيل: بين الظالم والمظلوم أو بين كل نبي وأمته ﴿**ذلك**﴾ اليوم ﴿**يوم التغابن**﴾ تفاعل من الغبن وهو أن تخسر صاحبك في معاملة بينك وبينه بضرب من الإخفاء والتغابن أن يغبن بعضهم بعضاً ويوم القيامة يوم غبن بعض الناس بعضاً بنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفيه تهكم لأن نزولهم ليس بغبن إن كون نزول الأشقياء منازل السعداء من النار لو كانوا أشقياء غبناً باعتبار الاستعارة التهكمية وإلا فهم بنزولهم في النار لم يغبنوا أهل الجنة وفي الحديث: «ما من عبد يدخل الجنة إلا أري مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً وما من عبد يدخل النار إلا أري مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة» وتخصيص التغابن بذلك اليوم للإيذان بأن التغابن في الحقيقة هو الذي يقع فيه ما لا يقع في أمور الدنيا فاللام للعهد الذي يشار به عند عدم المعهود الخارجي إلى الفرد الكامل أي: التغابن الكامل العظيم الذي لا تغابن فوقه.

قال القاشاني: ليس التغابن في الأمور الدنيوية فإنها أمور فانية سريعة الزوال ضرورية الفناء لا يبقى شيء منها لأحد فإن فات شيء من ذلك أو أفاته أحد ولو كان حياته فإنما فات أو أفيت ما لزم فواته ضرورة فلا غبن ولا حيف حقيقة وإنما الغبن والتغابن في إفاتة شيء لو لم يفته لبقي دائماً وانتفع به صاحبه سرمداً وهو النور الكمالي والاستعدادي فتظهر الحسرة والتغابن هناك في إضاعة الربح ورأس المال في تجارة الفوز والنجاة كما قال: ﴿فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] فمن أضاع استعداده أو اكتسب منه شيئاً ولم يبلغ غايته كان مغبوناً بالنسبة إلى الكمال التام وكأنما ظفر ذلك الكامل بمقامه ومرامه وبقي هذا متحسراً في نقصانه انتهى. وقال الراغب: يوم التغابن يوم القيامة لظهور الغبن في المبايعة المشار إليها بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧] وبقوله ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ﴾ [التوبة: ١١١] وقوله ﴿ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [آل عمران: ٧٧] فلعلهم غبنوا فيما تركوا من المبايعة وفيما تعاطوا من ذلك جميعاً وسئل بعضهم عن يوم التغابن فقال تبدو الأشياء بخلاف مقاديرها في الدنيا وقال بعضهم: يظهر يومئذٍ غبن الكافر بترك الإيمان وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان وإذا دخل العارف الجنة ورآه صاحب الحال فإنه يراه كما يرى الكوكب الدري في السماء فيتمنى أن يكون

له مثل مرتبة العارف فلا يقدر عليها فيتحسر على تفويته أسباب ذلك في الدنيا وقد ورد «لا يتحسر أهل الجنة في الجنة إلا ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها» قيل: أشد الناس غبناً يوم القيامة ثلاثة نفر عالم علم الناس فعملوا بعلمه، وخالف هو علمه فدخل غيره الجنة بعلمه ودخل هو النار بعمله وعبد أطاع الله بقوة مال سيده وعصى الله سيده فدخل العبد الجنة بقوة مال مالكه ودخل مالكه النار بمعصية الله، وولد ورث مالاً من أبيه وأبوه شح به وعصى الله فيه فدخل أبوه ببخله النار ودخل هو بإنفاقه في الخير الجنة.

بخور اي نيك سيرت وسره مرد كان نكون بخت كرد كرد ونخورد

وفي الحديث «لا يلقى الله أحد إلا نادماً إن كان مسيئاً إن لم يحسن وإن كان محسناً إن لم يزدد» وقال بعض العارفين: لا يجوز الترقي في الآخرة إلا في مقام حصله المكلف في هذه الدار فمن عرف شيئاً وتعلقت همته بطلبه كان له إما عاجلاً وإما آجلاً فإن ظفر به في حياته كان ذلك اختصاصاً واعتناء وإن لم يظفر به في حياته معجلاً كان مدخراً له بعد المفارقة يناله ثم ضرورة لازمة ومن لم يتحقق بمقام في هذا الموطن لم يظفر به ثم لذلك سمي يوم التغابن لانقطاع الترقي فيه فاعلم ذلك وقال بعضهم الغبن كل الغبن أن لا يعرف الصفاء في الكدورة واللطف في صورة القهر فتوحش عن الحق بالتفرقة وهو في عين الجمع والإنس وأيضاً يقع الغبن لمن كان مشغولاً بالجزاء والعطاء ورؤية الأعواض وأما من كان مشغولاً بمشاهدة الحق فقد خرج عن حد الغبن وأيضاً يقع الكل في الغبن إذا عاينوا الحق بوصفه وهم وجدوه أعظم وأجل مما وجدوه في مكاشفاتهم في الدنيا فيكونون مغبونين حيث لم يعرفوه حق معرفته ولم يعبدوه حق عبادته وإن كانوا لا يعرفونه أبداً حق معرفته وأي غبن أعظم من هذا إذ يرونه ولا يصلون إلى حقيقة وجوده وقال ابن عطاء رحمه الله: تغابن أهل الحق على مقادير الضياء عند الرؤية والتجلي وقال بعض الكبار يوم شهود الحق في مقام الجمعة يوم غبن أهل الشهود والمعرفة على أهل الحجاب والغفلة فإنهم في نعيم القرب والجمع وأهل الحجاب في جحيم البعد والفراق ﴿**ومن يؤمن بالله**﴾ بالصدق والإخلاص بحسب نور استعداده. ﴿**ويعمل صالحاً**﴾ أي: عملاً صالحاً بمقتضى إيمانه فإن العمل إنما يكون بقدر النظر وهو أي: العمل الصالح ما يبتغي به وجه الله فرضاً أو نفلاً.

روي أن إبراهيم بن أدهم رحمه الله أراد أن يدخل الحمام فطلب الحمامي الأجرة فتأوه وقال: إذا لم يدخل أحد بيت الشيطان بلا أجرة فأنى يدخل بيت الرحمن بلا عمل ﴿**يكفر**﴾ أي: يغفر الله ويمحو ﴿**عنه سيئاته**﴾ يوم القيامة فلا يفضحه بها ﴿**ويدخله**﴾ بفضله وكرمه لا بالإيجاب ﴿**جنات**﴾ على حسب درجات أعماله ﴿**تجري من تحتها**﴾ أي: من تحت قصورها أو أشجارها ﴿**الأنهار**﴾ الأربعة ﴿**خالدين فيها**﴾ حال من الهاء في يدخله وحد أولاً حملاً على لفظ من ثم جمع حملاً على معناه ﴿**أبداً**﴾ نصب على الظرف وهو تأكيد للخلود ﴿**ذلك**﴾ أي: ما ذكر من تكفير السيئات وإدخال الجنات ﴿**الفوز العظيم**﴾ الذي لا فوز وراءه لانطوائه على النجاة من أعظم الهلكات والظفر بأجل الطيبات فيكون أعلى حالاً من الفوز الكبير لأنه يكون بجلب المنافع كما في سورة البروج، والفوز العظيم في الحقيقة هو الانخلاع عن الوجود المجازي والتلبس بلباس الوجود الحقيقي وذلك موقوف على الإيمان الحقيقي الذوقي والعمل الصالح المقارن بشهود العامل فإن نور الشهود حينئذٍ يستر ظلمات وجوده الإضافي وينوره بنور

الوجود الحقيقي ويدخله جنات الوصول والوصال التي تجري من تحتها الأنهار مملوءة من ماء المعارف والحكم.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿١٢﴾﴾.

﴿**والذين كفروا وكذبوا بآياتنا**﴾ تصريح بما علم التزاماً والمراد بالآيات إما القرآن أو المعجزات فإن كلاً منهما آية لصدق الرسول ﴿**أولئك أصحاب النار**﴾ أي: أهلها إما بمعنى مصاحبوها لخلودهم فيها أو مالكوها تنزيلاً لهم منزلة الملاك للتهكم حال كونهم ﴿**خالدين فيها**﴾ أي: أبداً بقرينة المقابلة ﴿**وبئس المصير**﴾ أي: النار كأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن وإنما قلنا كأن لأن الواو يمانع الحمل على البيان كما عرف في المعاني وفي الآية إشارة إلى المحجوبين عن الله المحرومين من الإيمان الحقيقي به بأن يكون ذلك بطريق الذوق والوجدان لا بطريق العلم والبرهان المكذبين آيات الله الظاهرة في خواص عباده بحسب التجليات فإنهم أصحاب نار الحجاب وجحيم الاحتجاب على الدوام والاستمرار وبئس المصير هذه النار فعلى العاقل أن يجتهد حتى يكشف الله عمى قلبه وغشاوة بصيرته فيشاهد آثار الله وآياته في الأنفس والآفاق ويتخلص من الحجاب على الإطلاق ففي نظر العارفين عبرة وحكمة وفي حركاتهم شأن ومصلحة.

«حكي» أن أبا حفص النيسابوري رحمه الله خرج مع أصحابه في الربيع للتنزه فمر بدار فيها شجرة مزهرة فوقف ينظر إليها معتبراً فخرج من الدار شيخ مجوسي فقال له: يا مقدم الأخيار هل تكون ضيفاً لمقدم الأشرار فقال: نعم فدخلوا وكان معهم من يقرأ القرآن فقرأ فلما فرغ قال لهم المجوسي: خذوا هذه الدراهم واشتروا بها طعاماً من السوق من أهل ملتكم لأنكم تتنزهون عن طعامنا ففعلوا فلما أرادوا الخروج قال المجوسي للشيخ: لا أفارقك بل أكون أحد أصحابك ثم أسلم هو وأولاده ورهطه وكانوا بضع عشرة نفساً فقال أبو حفص لأصحابه: إذا خرجتم للتنزه فاخرجوا هكذا.

چون نظر ميداشت أرباب شهود مؤمن آمد بي نفاق أهل جحود

﴿**ما**﴾ نافية ولذا زاد من المؤكدة ﴿**أصاب**﴾ الخلق يعني نرسد بهيچ كس ﴿**من مصيبة**﴾ من المصائب الدنيوية في الأبدان والأولاد والأموال ﴿**إلا بإذن الله**﴾ استثناء مفرغ منصوب المحل على الحال أي: ما أصاب مصيبة ملتبسة بشيء من الأشياء إلا بإذن الله أي: بتقديره وإرادته كأنها بذاتها متوجهة إلى الإنسان متوقفة على إذنه تعالى أن تصيبه وهذا لا يخالف قوله تعالى في سورة الشورى ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى: ٣٠] أي: بسبب معاصيكم ويتجاوز عن كثير منها ولا يعاقب عليها إما أولاً فلأن هذا القول في حق المجرمين فكم من مصيبة تصيب من أصابته لأمر آخر من كثرة الأجر للصبر وتكفير السيئات لتوفية الأجر إلى غير ذلك وما أصاب المؤمنين فمن هذا القبيل وإما ثانياً فلأن ما أصاب من ساء بسوء فعله فهو لم يصب إلا بإذن الله وإرادته أيضاً كما قال تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٧٨] أي: إيجاداً وإيصالاً فسبحان من لا يجري في ملكه إلا ما يشاء وكان

الكفار يقولون لو كان ما عليه المسلمون حقاً لصانهم الله عن المصائب في أموالهم وأبدانهم في الدنيا فبين الله أن ذلك إنما يصيبهم بتقديره ومشيئته وفي إصابتها حكمة لا يعرفها إلا هو منها تحصيل اليقين بأن ليس شيء من الأمر في يديهم فيبرؤون بذلك من حولهم وقوتهم إلى حول الله وقوته ومنها ما سبق آنفاً من تكفير ذنوبهم وتكثير مثوباتهم بالصبر عليها والرضا بقضاء الله إلى غير ذلك ولو لم يصب الأنبياء والأولياء محن الدنيا وما يطرأ على الأجسام لافتتن الخلق بما ظهر على أيديهم من المعجزات والكرامات على أن طريان الآلام والأوجاع على ظواهرهم لتحقق بشريتهم لا على بواطنهم لتحقق مشاهدتهم والإنس بربهم فكأنهم معصومون محفوظون منها لكون وجودها في حكم العدم بخلاف حال الكفار والأشرار نسأل العفو والعافية من الله الغفار وفي الآية إشارة إلى إصابة مصيبة النفس الأمارة بالاستيلاء على القلب وإلى إصابة مصيبة القلب السيار بالغلبة على النفس فإنهما بإذن تجلية القهري للقلب الصافي بحسب الحكمة أو بإذن تجليه اللطفي الجمالي للنفس الجانية بحسب النقمة ﴿**ومن يؤمن بالله**﴾ يصدق به ويعلم أنه لا يصيبه مصيبة إلا بإذن الله والاكتفاء بالإيمان بالله لأنه الأصل ﴿**يهد قلبه**﴾ عند إصابتها للثبات والاسترجاع فيثبت ولا يضطرب بأن يقول قولاً ويظهر وصفاً يدل على التضجر من قضاء الله وعدم الرضا به ويسترجع ويقول إنا لله وإنا إليه راجعون ومن عرف الله واعتقد أنه رب العالمين يرضى بقضائه ويصبر على بلائه فإن التربية كما تكون بما يلائم الطبع تكون بما يتنفر عنه الطبع وقيل: يهد قلبه أي: يوفقه لليقين حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه فيرضى بقضائه ويسلم لحكمه وقيل: يهد قلبه أي: يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة، والخير وبالفارسية الله راه نما يددل اورابه پسند كاري ومزيد طاعت.

وقال أبو بكر الوراق رحمه الله: ومن يؤمن بالله عند الشدة والبلاء فيعلم أنها من عدل الله يهد قلبه إلى حقائق الرضا وزوائد اليقين وقال أبو عثمان رحمه الله: من صحح إيمانه بالله يهد قلبه لاتباع سنن نبيه عليه السلام وعلامة صحة الإيمان المداومة على السنن وملازمة الاتباع وترك الآراء والأهواء المضلة وقال بعضهم: ومن يؤمن بالله تحقيقاً يهد قلبه إلى العمل بمقتضى إيمانه حتى يجد كمال مطلوبه الذي آمن به ويصل إلى محل نظره وقال بعضهم: ومن يؤمن بالله بحسب ذاته نور قلبه بنور المعرفة بأسمائه وصفاته إذ معرفة الذات تستلزم معرفة الصفات والأسماء من غير عكس وباعتبار سبق الهداية ولحوقها فإن الإيمان بالله إنما هو بهداية سابقة وهداية القلب إنما هي هداية لاحقة يندفع توهم أن الإيمان موقوف على الهداية فإذا كانت هي موقوفة عليه كما تفيده من الشرطية لما أن الشرط مقدم على المشروط لدار فإن للهداية مراتب تقدماً وتأخراً لا تنقطع ولذلك ندعو الله كل يوم ونقول مراراً اهدنا الصراط المستقيم بناء على أن في كل عمل نريده صراطاً مستقيماً يوصل إلى رضا الله تعالى وقيل: إنه مقلوب ومعناه من يهد قلبه يؤمن بالله.

وروي في يهد سبع قراءات المختار من السبع يهد مفرداً غائباً راجعاً ضميره إلى الله مجزوم الآخر ليكون جواب الشرط المجزوم من الهداية وقرىء نهد بالنون على الالتفات منها أيضاً ويهد مجهولاً برفع قلبه على أنه قائم مقام الفاعل منها أيضاً ويهد بفتح الياء وكسر الهاء وتشديد الدال ورفع قلبه أيضاً بمعنى يهتد كقوله تعالى: ﴿أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ﴾ [يونس: ٣٥]

ويهدأ من باب يسأل ويهدا بقلبها ألفاً ويهد بحذفها تخفيفاً فيهما والمعنى يطمئن ويسكن إلى الحق ﴿والله بكل شيء﴾ من الأشياء التي من جملتها القلوب وأحوالها كتسليم من انقاد لأمره وكراهة من كرهه وكآفاتها وخلوصها من الآفات. ﴿عليم﴾ فيعلم إيمان المؤمن وخلوصه ويهدي قلبه إلى ما ذكر ﴿وأطيعوا الله﴾ إطاعة العبد لمولاه فيما يأمره ﴿وأطيعوا الرسول﴾ إطاعة الأمة لنبيها فيما يؤديه عن الله أي: لا يشغلنكم المصائب عن الاشتغال بطاعته والعمل بكتابه وعن الاشتغال بطاعة الرسول واتباع سننه وليكن جل همتكم في السراء والضراء العلم بما شرع لكم قال القاشاني: وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول على حسب معرفتكم بالله وبالرسول فإن أكثر التخلف عن الكمال والوقوع في الخسران والنقصان إنما يقع من التقصير في العمل وتأخر القدم لا من عدم النظر كرر الأمر للتأكيد والإيذان بالفرق بين الطاعتين في الكيفية وتوضيح مورد التولي في قوله ﴿فإن توليتم﴾ أي: أعرضتم عن إطاعة الرسول ﴿فإنما على رسولنا البلاغ المبين﴾ تعليل للجواب المحذوف أي: فلا بأس عليه إذ ما عليه إلا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وإظهار الرسول مضافاً إلى نون العظمة في مقام إضماره لتشريفه عليه السلام والإشعار بمدار الحلم الذي هو كون وظيفته عليه السلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولي عنه وفي «التأويلات النجمية» أطيعوا الله بتهيئة الأسباب بمظهرية ذاته وصفاته وأطيعوا الرسول بتحصيل القابلية لمظهرية أحكام شريعته الظاهرة وآداب طريقته الباطنة فإن أعرضتم عن تهيئة الأسباب والاستعداد وتصفية هذين الأمرين الكليين بالإقبال على الدنيا والاستهلاك في بحر شهواتها فإنما على رسولنا البلاغ المبين وعليكم العذاب المهين.

﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾﴾.

﴿الله لا إله﴾ في الوجود ﴿إلا هو﴾ جملة من مبتدأ وخبر أي: هو المستحق للمعبودية لا غير وهو القادر على الهداية والضلالة لا شريك له في الإرشاد والإضلال وليس بيد الرسول شيء من ذلك ﴿وعلى الله﴾ أي: عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً ﴿فليتوكل المؤمنون﴾ في تثبيت قلوبهم على الإيمان والصبر على المصائب وإظهار الجلالة في موضع الإضمار للإشعار بعلية التوكل والأمر به فإن الألوهية مقتضية للتبتل إليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة وفي الآية بعث لرسول الله وللمؤمنين وحث لهم على الثبات على التوكل والازدياد فيه حتى ينصرهم على المكذبين وعلى من تولى عن الطاعة وقبول أحكام الدين.

واعلم أن التوكل من المقامات العالية وهو إظهار العجز والاعتماد على الغير وفي «الحدائق» التوكل هو الثقة بما عند الله واليأس مما في أيدي الناس وظاهر الأمر يفيد وجوب التوكل مع أنه غير موجود في أكثر الناس فيلزم أن يكونوا عاصين ولعل المأمور به هو التوكل العقلي وهو أن يعتقد العبد أنه ما من مراد من مراداته الدنيوية والأخروية إلا وهو يحصل من الله فيثق به في حصوله ويرجو منه وإن كانت النفس تلتفت إلى الغير وتتوقع منه نظراً إلى اعتقاد سببيته والله مسبب الأسباب وأما التوكل الطبيعي الذي لا يكون ثقة صاحبه طبعاً إلا بالله وحده ولا اعتماده إلا عليه في جميع مقاصده مع قطع النظر عن الأغيار كلها رأساً فهو عسير قلما

يوجد إلا في الكمل من الأولياء كما حكي عن بشر الحافي رحمه الله أنه جاءه جماعة من الشأم وطلبوا منه أن يحج معهم فقال: نعم ولكن بثلاثة شروط أن لا نحمل معنا شيئاً ولا نسأل أحداً شيئاً ولا نقبل من أحد شيئاً فقالوا: أما الأول والثاني فنقدر عليه أما الثالث فلا نقدر فقال: أنتم الذين تحجون متوكلين على زاد الحاج وقيل: من ادعى التوكل ثم شبع فقد حمل زاداً وعن بعضهم أنه قال: حججت أربع عشرة مرة حافياً متوكلاً وكان يدخل الشوك فلا أخرجه لئلا ينقص توكلي وعن إبراهيم الخواص رحمه الله بينما أنا أسير في البادية إذ قال لي أعرابي يا إبراهيم: التوكل عندنا فأقم عندنا حتى يصح توكلك أما تعلم أن رجاءك دخول بلد فيه أطعمة يحملك ويقويك اقطع رجاءك عن دخول البلدان فتوكل فإذا كان رجاء دخول البلدان مانعاً عن التوكل التام، فما ظنك بالإقامة في بلاد خصبة ولذا أوقع الله التوكل على الجلالة لأنها جامعة لجميع الأسماء فالتوكل عليه توكل تام والتوكل على الأسماء الجزئية توكل ناقص فمن عرف الله وكل إليه أموره وخرج هو من البين ومن جعل الله وكيله لزمه أيضاً أن يكون وكيلاً لله على نفسه في استحقاق حقوقه وفرائضه وكل ما يلزمه فيخاصم نفسه في ذلك ليلاً ونهاراً أي: لا يفتر لحظة ولا يقصر طرفة فإن الأوقات سريعة المرور.

خاك دردستش بودچون بادهنكام اجل هركه أوقات كرامي صرف آب وكل كند

﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ إيماناً خالصاً ﴿إن من أزواجكم﴾ جمع زوج يعم الحليل والحليلة وسيجيء ما في «اللباب» ﴿وأولادكم﴾ جمع ولد يعم الابن والبنت ﴿عدواً لكم﴾ يشغلونكم عن طاعة الله وإن لم يكن لهم عداوة ظاهرة فإن العدو لا يكون عدواً بذاته وإنما يكون عدواً بفعله فإذا فعل الزوج والولد فعل العدو كان عدواً ولا فعل أقبح من الحيلولة بين العبد وبين الطاعة أو يخاصمونكم في أمور الدين أو الدنيا وأشد المكر ما يكون في الدين فإن ضرره أشد من ضرر ما يكون في الدنيا وجاء في الخبر «ليس عدوك الذي لقيته فقتلته وآجرك الله على قتله ولكن أعدى عدوك نفسك التي بين جنبيك وامرأتك تضاجعك على فراشك وولدك من صلبك» قدم الأزواج لأنها مصادر الأولاد ولأنها لكونها محل الشهوات ألصق بقلوب الناس وأشد إشغالاً لهم عن العبودية ولذا قدمها الله تعالى في قوله ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ﴾ [آل عمران: ١٤] وفي «اللباب» أن قوله ﴿إن من أزواجكم﴾ يدخل فيه الذكر فكما أن الرجل تكون زوجته وولده عدواً له كذلك المرأة يكون زوجها عدواً لها بهذا المعنى فيكون الخطاب هنا عاماً على التغليب ويحتمل أن يكون الدخول باعتبار الحكم لا باعتبار الخطاب ﴿فاحذروهم﴾ الحذر احتراز عن مخيف والضمير للعدو فإنه يطلق على الجمع قال بعضهم: احذروهم أي: احفظوا أنفسكم من محبتهم وشدة التعلق والاحتجاب بهم ولا تؤثروا حقوقهم على حقوق الله تعالى وفي الحديث: «إذا كان أمراؤكم خياركم وأغنياؤكم أسخياءكم وأمركم شورى بينكم أي: ذا تشاور لا يتفرد أحد برأي دون صاحبه فظهر الأرض خير لكم من بطنها وإذا كان أمراؤكم شراركم وأغنياؤكم بخلاءكم وأمركم إلى نسائكم فبطن الأرض خير لكم من ظهرها» وفي الحديث: «شاوروهن وخالفوهن» وقد استشار النبي عليه السلام أم سلمة رضي الله عنها كما في قصة صلح الحديبية فصار دليلاً لجواز استشارة المرأة الفاضلة ولفضل أم سلمة ووفور عقلها حتى قال إمام الحرمين: لا نعلم امرأة أشارت برأي فأصابت إلا أم سلمة كذا قال: وقد استدرك بعضهم ابنة شعيب في أمر موسى عليهما السلام.

«حكي» أن خسرو كان يحب أكل السمك فكان يوماً جالساً في المنظرة وشيرين عنده إذ جاء صياد ومعه سمكة كبيرة فوضعها بين يديه فأعجبته فأمر له بأربعة آلاف درهم فقالت شيرين: بئس ما فعلت لأنك إذا أعطيت بعد هذا أحداً من عسكرك هذا القدر احتقره وقال: أعطاني عطية الصياد فقال خسرو: لقد صدقت لكن يقبح على الملوك أن يرجعوا في عطياتهم فقالت شيرين: تدعو الصياد وتقول له هذه السمكة ذكر أو أنثى فإن قال: ذكر فقل إنما أردنا أنثى وإن قال أنثى فقل: إنما أردنا ذكراً فنودي الصياد فعاد فقال له الملك: هذه السمكة ذكر أو أنثى فقال: هذه السمكة خنثى فضحك خسرو من كلامه وأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى فقبض ثمانية آلاف درهم ووضعها في جراب معه وحملها على كاهله وهم بالخروج فوقع من الجراب درهم واحد فوضع الصياد الجراب وانحنى على الدرهم فأخذه والملك وشيرين ينظران إليه فقالت شيرين للملك: أرأيت إلى خسة هذا الرجل وسفالته سقط منه درهم واحد فألقى عن كاهله ثمانية آلاف درهم وانحنى على ذلك الدرهم وأخذه ولم يسهل عليه أن يتركه فغضب الملك وقال: لقد صدقت يا شيرين ثم أمر بإعادة الصياد فقال: يا دنيء الهمة لست بإنسان ما هذا الحرص والتهالك على درهم واحد فقبل الصياد الأرض وقال: إني لم أرفع ذلك الدرهم لخطره عندي وإنما رفعته عن الأرض لأن على أحد وجهيه اسم الملك وعلى الآخر صورته فخشيت أن يأتي أحد بغير علم فيضع عليه قدمه فيكون ذلك استخفافاً بالملك وصورته فتعجب خسرو من كلامه فأمر له بأربعة آلاف درهم أخرى وكتب وصية للناس بأن لا تطيعوا النساء أصلاً ولا تعملوا برأيهن قطعاً.

«وحكي» أن رجلاً من بني إسرائيل أتى سليمان عليه السلام وقال يا نبي الله: أريد أن تعلمني لسان البهائم فقال سليمان: إن كنت تحب أن تعلم لسان البهائم أنا أعلمك ولكن إذا أخبرت أحداً تموت من ساعتك فقال: لا أخبر أحداً فقال سليمان: قد علمتك وكان للرجل ثور وحمار يعمل عليهما في النهار فإذا أمسى أدخل عليهما علفاً فحط العلف بين يديهما فقال الحمار للثور: أعطني الليلة عشاءك حتى يحسب صاحبنا أنك مريض فلا يعمل عليك ثم إني أعطيك عشائي في الليلة القابلة فرفع الثور رأسه من علفه فضحك الرجل فقالت: امرأته لم تضحك قال: لا شيء فلما جاءت الليلة القابلة أعطى الرجل للحمار علفه وللثور علفه وقال الثور: اقضني السلف الذي عندك فإني أمسيت مغلوباً من الجوع والتعب فقال له الحمار: إنك لا تدري كيف كان الحال قال الثور: وما ذاك قال: إن صاحبنا البارحة ذهب وقال للجزار: ثوري مريض اذبحه قبل أن يعجف فاصبر الليلة وأسلفني أيضاً عشاءك حتى إذا جاءك الجزار صباحاً وجدك عجيفاً ولا يذبحك فتنجو من الموت لو تعشيت يمتلىء بطنك فيخشى عليك أن يحسبك سميناً فيذبحك إني أرد لك ما أسلفتني الليلتين فرفع رأسه عن علفه ولم يأكل فضحك الرجل فقالت المرأة: لم تضحك أخبرني وإلا طلقني فقال الرجل: إذا أخبرتك بما ضحكت أموت من ساعتي فقالت: لا أبالي، فقال: ائتيني بالدواة والقرطاس حتى أكتب وصيتي ثم أخبر ثم أموت، فناولته فبينما هو يكتب إذ طرحت المرأة كسرة من الخبز إلى الكلب، فسبق الديك وأخذها بمنقاره قال الكلب ظلمتني قال الديك: صاحبنا يريد الموت فتكون أنت شبعاناً من وليمة المأتم ولكن نحن نبقى في مبيتنا إلى ثلاثة أيام لا يفتح لنا الباب وإن يمت برضى امرأته أبعده الله وأسخطه فإن لي تسع نسوة لا تقدر واحدة منهن أن تسأل عن سري ولو كنت أنا

مكانه لأضربنها حتى تموت أو تتوب وبعد ذلك لا تسأل عن سر زوجها فأخذ الرجل عصاً ولم يزل يضربها حتى ثابت من ذلك.

زنـي راكـه جـهـلـسـت وبـار اسـتـي   بـلا بـرسـر خـود نـه زن خـواسـتـتـي

وأفادت من التبعيضية في قوله ﴿**إن من أزواجكم**﴾ الخ أن منها ما ليس بعدو كما قال عليه السلام: «الدنيا كلها متاع وخير متاعها المرأة الصالحة» وقال عليه السلام: «ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة إن أمرها أطاعته وإن نظر إليها سرته وإن أقسم عليها أبرته وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله» فإذا كانت المرأة على هذه الأوصاف فهي ميمونة مباركة وإلا فهي مشؤومة منحوسة.

كـرا خـانـه آبـاد وهـمـخـوا بـه دوسـت   خـدارا بـرحـمـت نـظـر سـوى اوسـت

﴿**وإن تعفوا**﴾ عن ذنوبهم القابلة للعفو بأن تكون متعلقة بأمور الدنيا أو بأمور الدين لكن مقارنة للتوبة ﴿**وتصفحوا**﴾ يترك التثريب والتعيير يقال: صفحت عن فلان إذا أعرضت عن ذنبه والتثريب عليه ﴿**وتغفروا**﴾ بإخفائها وتمهيد عذرها ﴿**فإن الله غفور رحيم**﴾ يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وهذا كقوله ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ﴾ [لقمان: ١٥] نزلت في عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه كان ذا أهل وولد وكان إذا أراد الغزو بكوه ورققوه وقالوا: إلى من تدعنا فيرق ويقيم.

وأراد الحطيئة وهو شاعر مشهور سفراً فقال لامرأته:

عـدي الـسـنـيـن لـغـيـبـتـي وتـصـبـري   وذري الـشـهـور فـإنـهـن قـصـار

فأجابته:

واذكـر صـبـابـتـنـا إلـيـك وشـوقـنـا   وارحـم بـنـاتـك إنـهـن صـغـار

وقيل: إن ناساً من المؤمنين أرادوا الهجرة من مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم فزينوا لهم القعود قيل: قالوا لهم: أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا: لئن جمعنا الله في دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا منعوهم الخير فحثوا على أن يعفوا عنهم ويردوا إليهم البر والصلة قال القاشاني: وإن تعفوا بالمداراة وتصفحوا عن جرائمهم بالحلم وتغفروا جناياتهم بالرحمة لا ذنب ولا حرج إنما الذنب في الاحتجاب بهم وإفراط المحبة وشدة التعلق لا في مراعاة العدالة والفضيلة ومعاشرتهم بحسن الخلق فإنه مندوب بل اتصاف بصفات الله فإن الله غفور رحيم فعليكم بالتخلق بأخلاقه وفي الحث على العفو والصفح إشارة إلى أن ليس المراد من الأمر بالحذر تركهم بالكلية والإعراض عن معاشرتهم ومصاحبتهم كيف والنساء من أعظم نعم الجنة وبها نظام العالم فإنه لولا الأزواج لما وجد الأنبياء والأولياء والعلماء والصلحاء وقد خلق المخلوقات لأجلهم ومنَّ الله على عباده تذكير النعمة حيث قال: ﴿خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [الروم: ٢١] وهذا كما روي عنه عليه السلام أنه كان يقول «اتقوا الدنيا والنساء» فإن الأمر بالاتقاء إنما هو للتحذير عما يضر في معاشرتها لا للترك بالكلية فكما أن الدنيا لا تترك بالكلية ما دام المرء حياً وإنما يحذر من التعلق بها ومحبتها الشاغلة عن محبة الله تعالى فكذا النساء ولأمر ما حبب الله إليه عليه السلام النساء وقال عليه السلام: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» كما سبق بيانه في سورة النجم فقد حث عليه

السلام على وجود الولد الصالح ولم يعده من الدنيا بل عده من الخير الباقي في الدنيا وبه يحصل العمر الثاني وفي الآية إشارة إلى أن النفوس الأمارة أو اللوامة وأولادها وهي صفات تلك النفوس وأخلاقها الشهوانية عدو للإنسان يمنعه عن الهجرة إلى مدينة القلب فلا بد من الحذر عن متابعتها ومخالطتها بالكلية وتصرفاتها في جميع الأحوال وأن تعفوا عن هفواتهم الباطلة الواقعة منهم في بعض الأوقات لكونهم مطية لكم وتصفحوا بعد التوبيخ والتعيير وتغفروا بأن تستروا ظلمتهم بنور إيمانكم وشعاع معرفة قلوبكم فإن الله غفور ساتر لكم يستر بلطفه رحيم بكم بإضافة رحمته عليكم جعلنا الله وإياكم من أهل تقواه ومغفرته وتغمدنا بأنواع رحمته **﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾** بلاء ومحنة يوقعونكم في الإثم والعقوبة من حيث لا تحتسبون.

«وقال الكاشفي»: آز مايش است تا ظاهركرددكه كدام از ايشان حق را برايشان ايثار ميكند وكدام دل درمال وولد بسته از محبت الهي كرانه ميكيرد.

وجيء بإنما للحصر لأن جميع الأموال والأولاد فتنة لأنه لا يرجع إلى مال أو ولد إلا وهو مشتمل على فتنة واشتغال قلب وتأخير الأولاد من باب الترقي من الأدنى إلى الأعلى لأن الأولاد ألصق بالقلوب من الأموال لكونهم من أجزاء الآباء بخلاف الأموال فإنها من توابع الوجود وملحقاته ولذا جعل توحيد الأفعال في مقابلة الفناء عن الأولاد وتوحيد الذات في مقابلة الفناء عن النفس **﴿والله عنده أجر عظيم﴾** لمن آثر محبة الله وطاعته على محبة الأموال والأولاد والتدبير في مصالحهم زهدهم في الدنيا بأن ذكر عيبها ورغبهم في الآخرة بذكر نعيمها وعن ابن مسعود رضي الله عنه، لا يقولن أحدكم اللهم اعصمني من الفتنة فإنه ليس أحد منكم يرجع إلى مال وولد إلا وهو مشتمل على فتنة ولكن ليقل اللهم إني أعوذ بك من مضلات الفتن نظيره ما حكي عن محمد بن المنكدر رحمه الله أنه قال: قلت ليلة في الطواف اللهم اعصمني وأقسمت على الله تعالى في ذلك كثيراً فرأيت في المنام كأن قائلاً يقول لي إنه لا يفعل ذلك قلت لم قال: لأنه يريد أن يعصي حتى يغفر وهذا من الأسرار المصونة والحكم المسكوت عنها وفي «مشكاة المصابيح» كان رسول الله ﷺ يخطب إذ جاء الحسن والحسين رضي الله عنهما عليهما قميصان أحمران يمشيان ويعثران فنزل عليه السلام من المنبر فحملهما ووضعهما بين يديه ثم قال صدق الله: **﴿إنما أموالكم وأولادكم فتنة﴾** نظرت إلى هذين الصبيين يمشيان ويعثران فلم أصبر حتى قطعت حديثي ورفعتهما ثم أخذ عليه السلام في خطبته قال ابن عطية: وهذه ونحوها هي فتنة الفضلاء فأما فتنة الجهال الفسقة فمؤدية إلى كل فعل مهلك يقال: إن أول ما يتعلق بالرجل يوم القيامة أهله وأولاده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ بحقنا منه فإنه ما علمنا ما نجهل وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه وتأكل عياله حسناته فلا يبقى له حسنة ولذا قال عليه السلام: «يؤتى برجل يوم القيامة فيقال له: أكل عياله حسناته» وعن بعض السلف العيال سوس الطاعات وهو دود يقع في الطعام والثوب وغيرهما ومن ثم ترك كثير من السلف المال والأهل رأساً وأعرضوا عنهما بالكلية لأن كل شيء يشغل عن الله فهو مشؤوم على صاحبه ولذا كان عليه السلام يقول في دعائه «اللهم من أحبني وأجاب دعوتي فأقلل ماله وولده»، ومن أبغضني ولم يجب دعوتي فأكثر ماله وولده وهذا

للغالب عليهم النفس وأما قوله عليه السلام في حق أنس رضي الله عنه «اللهم أكثر ماله وولده وبارك فيما أعطيته» فهو لغيره.

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنفِقُوا خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾ أي: ابذلوا في تقواه جهدكم وطاقتكم قال بعضهم: أي: إن علمتم ذلك وانتصحتم به فاتقوا ما يكون سبباً لمؤاخذة الله إياكم من تدبير أمورهما ولا ترتكبوا ما يخالف أمره تعالى من فعل أو ترك وهذه الآية ناسخة لقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] لما اشتد عليهم بأن قاموا حتى ورمت أقدامهم وتقرحت جباههم فنزلت تيسيراً لعباد الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنها آية محكمة لا ناسخ فيها لعله رضي الله عنه جمع بين الآيتين بأن يقول هنا وهنالك فاتقوا الله حق تقاته ما استطعتم واجتهدوا في الاتصاف به بقدر طاقتكم فإنه لا يكلف الله نفساً إلا وسعها وحق التقوى ما يحسن أن يقال: ويطلق عليه اسم التقوى وذلك لا يقتضي أن يكون فوق الاستطاعة وقال ابن عطاء رحمه الله: هذا لمن رضي عن الله بالثواب فأما من لم يرض عنه إلا به فإن خطابه ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] أشار رضي الله عنه إلى الفرق بين الأبرار والمقربين في حال التقوى فقوله تعالى: **﴿فاتقوا الله ما استطعتم﴾** ناظر إلى الأبرار وقوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ ناظر إلى المقربين فإن حالهم الخروج عن الوجود المجازي بالكلية وهو حق التقوى وقال القاشاني: فاتقوا الله في هذه المخالفات والآفات في مواضع البليات ما استطعتم بحسب مقامكم ووسعكم على قدر حالكم ومرتبتكم. قال السري قدس سره: المتقي من لا يكون رزقه من كسبه.

ودر كشف الأسرار آورده كه دريك آيت اشارت ميكند بواجب مر ودر ديكري بواجب حق چون واجب أمر بيامد واجب حق را رقم نسخ بركشيد زيراكه حق بنده راك مطالبت كند بواجب أمر كند تافعل اودر دائرهٔ عفو داخل تواند شد واكر اورا بواجب حق بكيرد طاعت ومعصيت هزار ساله آنجا يكرنك دارد.

بـي نـيـازي بـيـن واسـتـغـنـانـكـر   خواه مطرب باش وخواهي نوحه كر

اكر همه انبيا وأوليا بهم آيند آن كيست كه طاقت آن داردكه بحق أو جل جلاله قيام نمايد يا جواب حق او باز دهد أمر او متناهيست أما حق أو متناهي نيست زيراكه بقاي أمر ببقاي تكليف است وتكليف درد نياست كه سراي تكليف است أما بقاي حق ببقاي ذاتست وذات متناهي نست پس حق متناهى نيست واجب أمر برخيز داما واجب حق برنخيزد دنيا دركذرد ونوبت أمر باوي دركذرد أما نوبت حق نفركز در نكذرد امروز هركسى را سودايي درسرست كه درا مر مي نكرند انبيا ورسل بنبوت ورسالت خوتش مي نكرند فرشتكان بطاعت وعبادت خودمي نكرند مؤحدان ومجتهدان ومؤمنان ومخلصان بتوحيد وإيمان وإخلاص خويش مي نكرند فردا چون سرادقات حق ربوبيت باز كشند انبيا باكمال حال خويش حديث علم خود طي كنند كويند لا علم لنا ملائكهٔ ملكوت صومعهاي عبادت خود آتش درزننده كه ما عبدناك حق عبادتك عارفان وموحدان كويند ما عرفناك حق معرفتك **﴿واسمعوا﴾** مواعظه **﴿وأطيعوا﴾** أوامره **﴿وأنفقوا﴾** مما رزقكم في الوجوه التي أمركم بالإنفاق فيها خالصاً لوجهه عن ابن عباس

رضي الله عنهما أن المراد إنفاق الزكاة والظاهر العموم وهو مندرج في الإطاعة ولعل إفراده بالذكر لما أن الاحتياج إليه كان أشد حينئذٍ وأن المال شقيق الروح ومحبوب النفس ومن ذلك قدم الأموال على الأولاد في المواضع حتى قال الإمام الغزالي رحمه الله: إنه قد يكون حب المال من أسباب سوء العاقبة فإنه إذا كان حب المال غالباً على حب الله فحين علم محب المال أن الله يفرقه عن محبوب عقد في قلبه البغض لله نعوذ بالله من ذلك وهذا كما ترى أن أحداً إذا أحب دنياه حباً غالباً على حب ابنه فلو قصد الابن أن يأخذها منه لأبغض الابن وأحب هلاكه ﴿**خيراً لأنفسكم**﴾ خبر لكان المقدر جواباً للأوامر أي: يكن خيراً لأنفسكم أو مفعول لفعل محذوف أي: ائتوا وافعلوا خيراً لأنفسكم واقصدوا ما هو أنفع لها وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر وبيان لكون الأمور المذكورة خيراً لأنفسهم من الأموال والأولاد وما هم عاكفون عليه من حب الشهوات وزخارف الدنيا ﴿**ومن يوق شح نفسه**﴾ أي: ومن يقه الله ويعصمه من بخل نفسه الذي هي الرذيلة المعجونة في طينة النفس وقد سبق بيانه في سورة الحشر وبالفارسية وهركه نكاه داشت ازبخل نفس خود يعني حق خدا يرا إمساك نكند ودر راه وي بذل مي نمايد.

وهو مجهول مجزوم الآخر بمن الشرطية من الوقاية المتعدية إلى المفعولين وشح مفعول ثان له باق على النصب والأول ضمير من القائم مقام الفاعل ﴿**فأولئك هم المفلحون**﴾ الفائزون بكل مرام وفي الحديث «كفى بالمرء من الشح أن يقول آخذ حقي لا أترك منه شيئاً» وفي حديث الأصمعي أتى أعرابي قوماً فقال لهم: هذا في الحق أو فيما هو خير منه قالوا: وما خير من الحق قال: التفضل والتغافل أفضل من أخذ الحق كله كذا في «المقاصد الحسنة».

روي: عن النبي عليه السلام أنه كان يطوف بالبيت فإذا رجل متعلق بأستار الكعبة وهو يقول: بحرمة هذا البيت إلا غفرت لي قال عليه السلام: «وما ذنبك صفه لي قال: هو أعظم من أن أصفه لك قال: ويحك ذنبك أعظم أم الأرضون قال: بل ذنبي يا رسول الله، قال: ويحك ذنبك أعظم أم الجبال، قال: بل ذنبي يا رسول الله، قال: فذنبك أعظم أم السماوات، قال: بل ذنبي، قال: فذنبك أعظم أم العرش، قال: بل ذنبي أعظم، قال: فذنبك أعظم أم الله، قال: بل الله أعظم وأعلى، قال: ويحك صف لي ذنبك، قال: يا رسول الله إني ذو ثروة من المال وإن السائل ليأتيني ليسألني فكأنما يستقبلني بشعلة من النار، فقال عليه السلام: عني يعني دورشو ازمن».

لا تحرقني بنارك فو الذي بعثني بالهداية والكرامة لو قمت بين الركن والمقام ثم بكيت ألفي عام حتى تجري من دموعك الأنهار وتسقي بها الأشجار ثم مت وأنت لئيم لكبك الله في النار أما علمت أن البخل كفر وأن الكفار في النار ويحك أما علمت أن الله يقول ﴿وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ [محمد: ٣٨] ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

فرومانـد كـاتـرا درون شـادكـن — زروز فـرو مـادنـكـي يـادكـن

نـه خـواهـنـدهٔ بـر در ديـكـران — بـشـكـرانـه خـواهـنـد ازدر مـران

وفي الآية إشارة إلى أن الإنفاق على الغير علماً أو مالاً إنفاق على نفسك بالحقيقة والناس كنفس واحدة لانتفاء الغيرية في الأحدية وإن من وفق لإنفاق الوجود المجازي في الله فاز بالموجود الحقيقي من الله تعالى.

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

﴿إن تقرضوا الله﴾ بصرف أموالكم إلى المصارف التي عينها وبالفارسية اكر فرض دهيد خدا يرا يعني صرف كنيد در آنچه فرمايد.

وذكر القرض تلطف في الاستدعاء كما في «الكشاف»، قال في «اللباب»: القرض القطع ومنه المقراض لما يقطع به وانقرض القوم إذا هلكوا وانقطع أثرهم وقيل للقرض قرض لأنه قطع شيء من المال هذا أصل الاشتقاق ثم اختلفوا فيه فقيل: اسم لكل ما يلتمس الجزاء عليه وقيل: أن يعطي أحداً شيئاً ليرجع إليه ثم قيل: لفظ القرض هنا حقيقة على المعنيين وقيل: مجاز على الثاني لأن الراجع ليس مثله بل بدله وإليه يميل ما في «الكشاف» في سورة البقرة إقراض الله مثل لتقديم العمل الذي يطلب ثوابه لعله الوجه فيكون بقرض استعارة تصريحية تبعية وقوله: **﴿قرضاً حسناً﴾** تصريحية أصلية أي: مقروناً بالإخلاص وطيب النفس قال سهل رضي الله عنه: القرض الحسن المشاهدة بقلوبكم لله في أعمالكم كما قال: أن تعبد الله كأنك تراه وقرضاً إن كان بمعنى إقراضاً كان نصبه على المصدرية وإن كان بمعنى مقرضاً من النفقة كان مفعولاً ثانياً لتقرضوا لأن الإقراض يتعدى إلى مفعولين ففي التعبير عن الإنفاق بالإقراض وجعله متعلقاً بالله الغني مطلقاً والتعبير عن النفقة بالقرض إشارة إلى حسن قبول الله ورضاه وإلى عدم الضياع وبشارة باستحقاق المنفق ببركة إنفاقه لتمام الاستحقاق **﴿يضاعفه لكم﴾** من المضاعفة بمعنى التضعيف أي: التكثير فليس المفاعلة هنا للاشتراك أي: يجعل لكم أجره مضاعفاً ويكتب بالواحد عشرة وسبعين وسبعمائة وأكثر بمقتضى مشيئته على حسب النيات والأوقات والمحال **﴿ويغفر لكم﴾** ببركة الإنفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب **﴿والله شكور﴾** يعطي الكثير بمقابلة اليسير من الطاعة أو يجازي العبد على الشكر وهو الاعتراف بالنعمة على سبيل الخضوع فسمي جزاء الشكر شكراً أو الله شكور بمعنى أنه كثير الثناء على عبده بذكر أفعاله الحسنة وطاعته فالشكر الثناء على المحسن بذكر إحسانه وهذا المعنى مختار الإمام القشيري رحمه الله والشكور مبالغة الشاكر والشاكر من له الشكر سئل بعضهم من أشكر الشاكرين فقال: الطاهر من الذنوب يعد نفسه من المذنبين والمجتهد في النوافل بعد أداء الفرائض يعد نفسه من المقصرين والراضي بالقليل من الدنيا يعد نفسه من الراغبين والقاطع بذكر الله دهره يعد نفسه من الغافلين والراغب في العمل يعد نفسه من المفلسين فهذا أشكر الشاكرين ومن أدب من عرف أنه تعالى شكور أن يجد في شكره ولا يفتر ويواظب على حمده ولا يقصر والشكر على أقسام شكر بالبدل وهو أن لا تستعمل جوارحك في غير طاعته وشكر بالقلب وهو أن لا تشغل قلبك بغير ذكره ومعرفته وشكر باللسان وهو أن لا تستعمله في غير ثنائه ومدحته وشكر بالمال وهو أن لا تنفقه في غير رضاه ومحبته.

نفس مي نيارم زد از شكر دوست ... كه شكري نه دانم كه درخورد اوست

عطاييست هر موي از وبر تنم ... چكونه بهر موي شكري كنم

وأحسن وجوه الشكر لنعم الله أن لا تستعملها في معاصيه بل في طاعته وخاصية اسم الشكور التوسعة ووجود العافية في البدن وغيره بحيث لو كتبه من به ضيق في النفس وتعب في

البدن وإعياء أشد الإعياء وثقل في الجسم وتمسح به وشرب منه بريء بإذن الله تعالى وإن تمسح به ضعيف البصر على عينيه وجد بركة ذلك ويكتب إحدى وأربعين مرة ﴿**حليم**﴾ لا يعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم بالبخل والإمساك ونحوهما فيحلم حتى يظن الجاهل أنه ليس يعلم ويستر حتى يتوهم الغافل أنه ليس يبصر، قال الإمام الغزالي رحمه الله: الحليم هو الذي يشاهد معصية العصاة ويرى مخالفة الأمر ثم لا يستفزه غضب ولا يعتريه غيظه ولا يحمله على المسارعة إلى الانتقام مع غاية الاقتدار عجلة وطيش كما قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١].

«حكي» أن إبراهيم عليه السلام لما رأى ملكوت السماوات والأرض رأى عاصياً في معصيته فقال: اللهم أهلكه فأهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فأهلكه الله ثم رأى آخر فدعا عليه فأهلكه الله ثم رأى رابعاً فدعا عليه فأوحى الله إليه أن قف يا إبراهيم فلو أهلكنا كل عاص رأيناه لم يبق أحد من الخلق ولكنا بحلمنا لا نعذبهم بل نمهلهم فإما أن يتوبوا وإما أن يصروا فلا يفوتنا شيء قيل: الحلم حجاب الآفات وقيل: الحلم ملح الأخلاق.

وشتم الشعبي رجل فقال: إن كنت كاذباً غفر الله لك وإن كنت صادقاً غفر الله لي وكان الأحنف يضرب به المثل في الحلم وهو يقول إني صبور ولست بحليم والفرق بين الحليم والصبور أن المذنب لا يأمن العقوبة في صفة الصبور كما يأمنها في صفة الحليم يعني: أن الصبور يشعر بأنه يعاقب في الآخرة بخلاف الحليم كما في «المفاتيح» والتخلق بالاسم الحليم إنما هو بأن يصفح عن جنايات الناس ويسامح لهم فيما يعاملونه به من السيئات بل يجازيهم بالإحسان تحقيقاً للحلم والغفران وفي «الأربعين الإدريسية» يا حليم ذا الأناة فلا يعادله شيء من خلقه قال السهروردي رحمه الله: من ذكره كان مقبول القول وافر الحرمة قوي الجأش بحيث لا يقدر عليه سبع ولا غيره والأناة على وزن القناة هو التثبت والوقار ﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ خبر بعد خبر أي: لا يخفى عليه خافية.

«وقال الكاشفي»: ميداند آنچه ظاهر ميكنند از تصدق وانچه پنهان ميدارند دردلها ازريا واخلاص.

وقد سبق الكلام عليه في أواخر سورة الحشر ولعل تقديم الغيب لأن عالم الغيب أعم والعلم به أتم ﴿**العزيز الحكيم**﴾ البالغ في القدرة والحكمة.

«وقال الكاشفي»: غالبست انتقام تواند كشيد از كسى كه صدقهٔ أو خالص نبود حكم كننده بكرامت آنهاراكه ازروى صدق تصدق نمايند.

والحكم سابق فالعبرة به لا بالصورة ولذا رد بلعم بن باعور وقبل كلب أصحاب الكهف قال أبو علي الدقاق قدس سره: لما صرفوا ذلك الكلب ولم ينصرف أنطقه الله تعالى فقال: لِمَ تصرفونني إن كان لكم إرادة فلي أيضاً إرادة وإن كان خلقكم فقد خلقني أيضاً فازدادوا بكلامه يقيناً ولما سمعوا كلامه اتفقوا على استصحابه معهم إلا أنهم قالوا يستدل علينا بآثار قدمه فالحيلة أن نحمله بالحيلة فحمله الأولياء على أعناقهم وهم يمشون لما أدركه من العناية الأزلية وكذا لم يكن في الملائكة أكبر قدراً ولا أجل خطراً من إبليس إلا أن الحكم الأزلي بشقاوته كان خفياً عن العباد فلما ظهر فيه الحكم الأزلي لعنه من عرفه ومن لم يعرفه.

كليد قدر نيست دردست كس توانای مطلق خدایست وبس

ززنـبـور كـرد ايـن حـلاوت بـديـد همـانـكـس كـه در مـار زهـر آفـريـد
خدايـا بـغـفـلـت شـكـسـتـيـم عـهـد چـه زور آورد بـاقـضـا دسـت جـهـد
چـه بـر خـيـزد از دسـت تـدبـيـرمـا همـيـن نـكـتـه بس عـذر تـقـصـيـر مـا
همـه هـرچـه كـردم تـوبـرهـم زدي چـه قـوت كـنـدبـا خـداي خـودي
نـه مـن سـرز حـكـمـت بـدرمـي روم كـه حـكـمـت چـنـيـن مـي رود بـر سـرم

وقال الحافظ الشيرازي رحمه الله:

نقش مستوري ومستي نه بدست من وتست آنچه سلطان ازل كفت بكن آن كردم

(وقال أيضاً):

درين چمن نكنم سرزنش بخود رويى چنانكه پرورشم ميد هندمي رويم

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال قال رسول الله ﷺ: «ما من مولود يولد إلا في شبابيك رأسه مكتوب خمس آيات من سورة التغابن» يعني نيست هيج مولودي كه مولودمي شود مكركه در مشبكهاهي شرش مكتوبست پنج آيت از سورهٔ تغابن.

والشبابيك جمع شباك بالضم كزنار مثل خفافيش وخفاش أو جمع شباكة بمعنى المشبك وهو ما تداخل بعضه في بعض وفي الحديث «من قرأ سورة التغابن رفع عنه موت الفجاءة» وهي بالمدمع ضم الفاء وبالقصر مع فتح الفاء البغتة دون تقدم مرض ولا سبب.

تمت سورة التغابن بالتيسير من الله والتعاون في تاسع شهر ربيع الآخر
من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

٦٥ ــ سورة الطلاق

اثنتا عشرة آية مدنية وتسمى سورة النساء القصرى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١﴾.

﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء﴾ التطليق طلاق دادن يعني: عقدة نكاح راحل كردن وكشادن. قال في «المفردات»: أصل الطلاق التخلية من وثاق ويقال: أطلقت البعير من عقاله وطلقته وهو طالق وطلق بلا قيد ومنه استعير طلقت المرأة إذا خليتها فهي طالق أي مخلاة عن حبالة النكاح انتهى. والطلاق اسم بمعنى التطليق كالسلام والكلام بمعنى التسليم والتكليم وفي ذلك قالوا: المستعمل في المرأة لفظ التطليق وفي غيرها لفظ الإطلاق حتى لو قال: أطلقتك لم يقع الطلاق ما لم ينو ولو قال طلقتك وقع نوى أو لم ينو والمعنى إذا أردتم تطليق النساء المدخول بهن المعتدات بالأقراء وعزمتم عليه بقرينة فطلقوهن فإن الشيء لا يترتب على نفسه ولا يؤمر أحد بتحصيل الحاصل ففيه تنزيل المشارف للشيء منزلة الشارع فيه والأظهر أنه من ذكر السبب وإرادة المسبب وتخصيص النداء به عليه السلام مع عموم الخطاب لأمته أيضاً لتحقيق أنه المخاطب حقيقة ودخولهم في الخطاب بطريق استتباعه عليه السلام إياهم وتغليبه عليهم ففيه تغليب المخاطب على الغائب والمعنى إذا طلقت أنت وأمتك وفي «الكشاف» خص النبي بالنداء وعم بالخطاب لأن النبي إمام أمته وقدوتهم كما يقال لرئيس القوم وكبيرهم يا فلان افعلوا كيت وكيت إظهاراً لتقدمه واعتباراً لترؤسه وأنه لسان قومه فكأنه هو وحده في حكم كلهم لصدورهم عن رأيه كما قال البقلي: إذا خاطب السيد بأن شرفه على الجمهور إذ جمع الجميع في اسمه ففيه إشارة إلى سر الاتحاد وفي «كشف السرار» فيه أربعة أقوال أحدها أنه خطاب للرسول وذكر بلفظ الجمع تعظيماً له كما يخاطب الملوك بلفظ الجمع والثاني: أنه خطاب له والمراد أمته والثالث: أن التقدير يا أيها النبي والمؤمنون إذا طلقتم فحذف لأن الحكم يدل عليه والرابع: معناه يا أيها النبي قل للمؤمنين إذا طلقتم انتهى.

يقول الفقير: هذا الأخير أنسب بالمقام فيكون مثل قوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ [الأحزاب: ٢٨] ﴿قُل لِّلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [النور: ٣٠] ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ﴾ [النور: ٣١] ولأن النبي عليه السلام وإن كان أصيلاً في المأمورات كما أن أمته أصيل في المنهيات إلا أن الطلاق لما كان أبغض المباحات إلى الله تعالى كما سيجيء كان الأولى أن يسند التطليق إلى أمته دونه عليه السلام مع

أنه عليه السلام قد صدر منه التطليق فإنه طلق حفصة بنت عمر رضي الله عنهما واحدة فلما نزلت الآية راجعها وكانت علامة كثيرة الحديث قريباً منزلتها من منزلة عائشة رضي الله عنها فقيل له عليه السلام «راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها من نسائك في الجنة» حكاه الطبري وفي الحديث بيان فضل العلم وحفظ الحديث ومحبة الله الصيام والقيام وكرامة أهلهما عنده تعالى.

وآورده اندكه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما زن خودرا درحال حيض طلاق داد حضرت رسالت فرمود تارجوع كندو آنكاه كه از حيض پاك شود اكرخواهد طلاق دهدو درين باب آيت آمد.

والقول الأول: هو الأمثل والأصح فيه أنه بيان لشرع مبتدأ كما في «حواشي سعدي المفتي» ﴿**فطلقوهن لعدتهن**﴾ العدة مصدر عده يعده وسئل رسول الله عليه السلام، متى تكون القيامة، قال: «إذا تكاملت العدتان أي عدة أهل الجنة وعدة أهل النار» أي: عددهم وسمي الزمان الذي تتربص فيه المرأة عقيب الطلاق أو الموت عدة لأنها تعد الأيام المضروبة عليها وتنتظر أوان الفرج الموعود لها كما في «الاختيار»، المعنى فطلقوهن مستقبلات لعدتهن متوجهات إليها وهي الحيض عند الحنفية فاللام متعلقة بمحذوف دل عليه معنى الكلام والمرأة إذا طلقت في طهر يعقب القرء الأول من أقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن في طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضي عدتهن وهذا أحسن الطلاق وأدخله في السنة وأبعده من الندم لأنه ربما ندم في إرسال الثلاث دفعة فالطلاق السني: هو أن يكون في طهر لم يجامعها فيه وأن يفرق الثلاث في الأطهار الثلاثة وأن يطلقها حاملاً فإنها إذا على طهر ممتد فتطليقها حلال وعلى وجه السنة والبدعي على وجوه أيضاً منها: أن يكون في طهر جامع فيه لما فيه من تطويل العدة أيضاً على قول من يجعل العدة بالأطهار وهو الشافعي حيث أن بقية الطهر لا تحتسب من العدة ومنها: ما كان في الحيض أو النفاس لما فيه من تطويل العدة أيضاً على قول من يجعل العدة بالحيض وهو أبو حنيفة رحمه الله لأن بقية الحيض لا تحتسب إلا أن تكون غير مدخول بها فإنه لا بدعة في طلاقها في حال الحيض إذ ليس عليها عدة أو تكون مما لا يلزمها العدة بالأقراء فإن طلاقها لا يتقيد بزمان دون زمان ومنها: ما كان بجمع الثلاث أي: أن يطلقها ثلاثاً دفعة أو في طهر واحد متفرقة ويقع الطلاق المخالف للسنة في قول عامة الفقهاء وهو مسيء بل آثم ولذا كان عمر رضي الله عنه لا يؤتى برجل طلق امرأته ثلاثاً إلا أوجعه ضرباً وطلق رجل امرأته ثلاثاً بين يديه عليه السلام فقال: «أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم» أي مقيم بينكم وفيه إشارة إلى أن ترك الأدب في حضور الأكابر أفحش ينبغي أن يصفع صاحبه أشد الصفع وقال الشافعي: اللام في لعدتهن متعلقة بطلقوهن لأنها للتوقيت بمعنى عند أو في فيكون المعنى في الوقت الذي يصلح لعدتهن وهو الطهر قال أبو حنيفة رحمه الله: الطلاق في الحيض ممنوع بالإجماع فلا يمكن جعلها للتوقيت فإن قلت قوله ﴿**إذا طلقتم النساء**﴾ عام يتناول المدخول بهن وغير المدخول بهن من ذوات الأقراء واليائسات والصغائر والحوامل فكيف صح تخصيصه بذوات الأقراء المدخول بهن قلت لا عموم ثمة ولا خصوص ولكن الأنساء اسم جنس للإناث من الإنس وهذه الجنسية معنى قائم في كلهن وفي بعضهن فجاز أن يراد بالنساء هذا وذاك فلما قيل ﴿**فطلقوهن لعدتهن**﴾ علم أنه أطلق على بعضهن وهن المدخول بهن من المعتدات بالحيض فإن قلت الطلاق موقوف على النكاح سابقاً أو لاحقاً والنكاح

موقوف على الرضى من المنكوحة أو من وليها فيلزم أن يكون الطلاق موقوفاً على الرضى بالنكاح وهو واقع غير باطل لا موقوفاً على الرضى نفسه الذي هو الباطل الغير الواقع فتكفر.

واعلم أن النكاح والطلاق أمران شرعيان من الأمور الشرعية العادية لهما حسن موقع وقبح موقع بحسب الأحوال والأوقات وقد طلق عليه السلام حفصة رضي الله عنها تطليقة واحدة رجعية كما سبق وكذا تزوج سودة بنت زمعة بمكة بعد موت خديجة رضي الله عنها وقبل العقد على عائشة رضي الله عنها ثم طلقها بالمدينة حين دخل عليها وهي تبكي على من قتل من أقاربها يوم بدر فاستشفعت إلى النبي عليه السلام ووهبت يومها لعائشة فراجعها فإن قلت: كيف فعل رسول الله ذلك وقد قال: «أبغض الحلال إلى الله الطلاق» وقال عليه السلام: «يا معاذ ما خلق الله شيئاً على وجه الأرض أحب إليه من العتاق ولا خلق الله شيئاً أبغض إليه من الطلاق» وذلك لأن النكاح يؤدي إلى الوصال والطلاق يؤدي إلى الفراق والله يحب الوصال ويبغض الفراق لا شمس ليوم الفراق ولا نهار لليلة القطيعة.

رابعة عدوية كفته كه كفر طعم فراق دارد وإيمان لذت وصال.

وقس عليه الإنكار والإقرار.

وآن طعم واين لذت فرداي قيامت بديد آيدكه دران صحراي هيبت وعرصة سياست قومي راكويند فراق لا وصال وقومي راكويند وصال لا نهاية له.

سوختكان فراق همي كويند فراق أو ززماني هزار روز آرد
بلاي اوزشبي هم هزار سال كند افرو ختكان وصال همي كويند
سرا پردة وصلت كشيد روزنواخت بطبل رحلت برزد فراق يار دوال

وفي الحديث «تزوجوا ولا تطلقوا فإن الطلاق يهتز منه العرش» وعنه عليه السلام «لا تطلقوا النساء إلا من ريبة فإن الله لا يحب الذواقين والذواقات» وعنه عليه السلام «أيما امرأة سألت زوجها طلاقاً في غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة» قلت: يحتمل أن يكون في ذلك حكمة لا نطلع عليها بعد أن علمنا أنه عليه السلام نبي حق لا يصدر منه ما هو خلاف الحق وقد دل الحديث الآخر أن النهي إنما يكون عما لا وجه فيه وأن يكون لإظهار جواز الطلاق والرجعة منه كما وجهوا بذلك ما وقع من غلبة النوم عليه وعلى أصحابه ليلة التعريس إلى أن طلعت الشمس وارتفعت بمقدار فإن بذلك علم شرعية القضاء وأن يصلي بالجماعة وأن يصدر منه عليه السلام الأحاديث المذكورة بعد ما وقع قضية حفصة وسودة رضي الله عنهما وأن يكون من قبيل ترك الأولى وقد جوزوا ذلك للأنبياء عليهم السلام فإن قلت لعل ما فعله أولى من وجه وإن كان ما أمر الله به أولى من وجه آخر قلت لا شك أن ما أمر الله به كان أرجح وترك الأرجح ترك الأولى هذا ولعل أرجحية المراجعة في وقت لا تقتضي أرجحية ترك الطلاق على فعله في وقت آخر لأن في كل وقت احتمال أرجحية أمر والله أعلم.

يقول الفقير أمده الله القدير: إن النبي عليه السلام كان قد حبب إليه النساء لما يحب في النكاح من ذوق القربة والوصلة فالنكاح إشارة إلى مقام الجمع الذي هو مقام الولاية كما دل عليه قوله عليه السلام: «أرحني يا بلال» والطلاق إشارة إلى مقام الفرق الذي هو مقام النبوة كما دل قوله عليه السلام: «كلميني يا حميراء» فالأول وصل الفصل والثاني فصل الوصل وإن كان عليه السلام قد جمع بين الفصل والوصل، والفرق والجمع في مقام واحد وهو جمع

الجمع كما دل عليه قوله تعالى ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝﴾ [الانشراح: ١] ﴿وأحصوا العدة﴾ الإحصاء دانستن وشمردن بر سبيل استقصاء.

أي: وأضبطوها بحفظ الوقت الذي وقع فيه الطلاق وأكملوها ثلاثة أقراء كوامل لا نقصان فيهن أي: ثلاث حيض كما عند الحنفية لأن الغرض من العدة استبراء الرحم وكماله بالحيض الثلاث لا بالأطهار كما يغسل الشيء ثلاث مرات لكمال الطهارة والمخاطب بالإحصاء هم الأزواج لا الزوجات ولا المسلمون وإلا يلزم تفكيك الضمائر ولكن الزوجات داخلة فيه بالإلحاق وقال أبو الليث: أمر الرجال بحفظ العدة لأن في النساء غفلة فربما لا تحفظ عدتها وإليه مال الكاشفي، حيث قال: وشمار كنيد اي مردان عدت زنانراكه ايشان ازضبط عاجزند يا ازاحصاي آن غافل.

فالزوج يحصي ليتمكن من تفريق الطلاق على الأقراء إذا أراد أن يطلق ثلاثاً، فإن إرسال الثلاث في طهر واحد مكروه عند أبي حنيفة وأصحابه وإن كان لا بأس به عند الشافعي وأتباعه حيث قال: لا أعرف في عدد الطلاق سنة ولا بدعة وهو مباح وليعلم بقاء زمان الرجعة، ليراجع إن حدثت له الرغبة فيها وليعلم زمان وجوب الإنفاق عليه وانقضائه وليعلم أنها هل تستحق عليه يسكنها في البيت أو له أن يخرجها وليتمكن من إلحاق نسب ولدها به وقطعه عنه قالوا وعلى الرجال في بعض المواضع العدة: منها أنه إذا كان للرجل أربع نسوة فطلق إحداهن لا يحل له أن يتزوج بامرأة أخرى ما لم تنقض عدتها ومنها أنه إذا كان له امرأة ولها أخت فطلق امرأته لا يحل له يتزوج أختها ما دامت في العدة، ومنها أنه إذا اشترى جارية لا يحل له أن يقربها ما لم يستبرئها بحيضة، ومنها أنه إن تزوج حربية لا يحل له أن يقربها ما لم يستبرئها بحيضة، ومنها أنه إذا بلغ المرأة وفاة زوجها فاعتدت وتزوجت وولدت ثم جاء زوجها الأول فهي امرأته لأنها كانت منكوحته ولم يعترض شيء من أسباب الرقة فبقيت على النكاح السابق ولكن لا يقربها حتى تنقضي عدتها من النكاح الثاني ووجوب العدة لا يتوقف على صحة النكاح إذا وقع الدخول بل تجب العدة في صورة النكاح الفاسد أيضاً على تقدير الدخول، ومنها: أنه إذا تزوج حربية مهاجرة إلى دارنا بأمان وتركت زوجها في دار الحرب فلا تحل له ما لم يستبرئها بحيضة عند الإمامين وقال أبو حنيفة: لا يجب عليه العدة، ومنها أنه إذا تزوج امرأة حاملاً لا يحل له أن يطأها حتى تضع الحمل، ومنها أنه إذا تزوج بامرأة وهي حائض لا يحل له أن يقربها حتى تتطهر من حيضها ومنها أنه إذا تزوج بامرأة نفساء لا يحل له أن يقربها حتى تتطهر من نفاسها ومنها أنه إذا زنى بمرأة ثم تزوجها لا يحل له أن يقربها ما لم يستبرئها بحيضة ﴿واتقوا الله ربكم﴾ في تطويل العدة عليهم والإضرار بهن بإيقاع طلاق ثان بعد الرجعة فالأمر بالتقوى متعلق بما قبله وفي وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للأمر ومبالغة في إيجاب الاتقاء والتقوى في الأصل اتخاذ الوقاية وهي ما يقي الإنسان مما يكرهه ويؤمل أن يحفظه ويحول بينه وبين ذلك المكروه كالترس ونحوه ثم استعير في الشرع لاتخاذ ما يقي العبد بوعد الله ولطفه من قهره ويكون سبباً لنجاته من المضار الدائمة وحياته بالمنافع القائمة وللتقوى فضائل كثيرة ومن اتقى الله حق تقواه في جميع المراتب كوشف بحقائق البيان فلا يقع له في الأشياء شك ولا ريب ﴿لا تخرجوهن﴾بيرون مكنيد زنان مطلقه ﴿من بيوتهن﴾من مساكنهن التي يسكنها قبل العدة أي: لا تخرجوهن من مساكنكم عند الفراق إلى أن تنقضي عدتهن وإنما أضيفت

إليهن مع أنها لأزواجهن لتأكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها أملاكهن وفي ذكر البيوت دون الدار إشارة إلى أن اللازم على الزوج في سكناهن ما تحصل المعيشة فيه لأن الدار ما يشتمل البيوت ﴿**ولا يخرجن**﴾ ولو بإذن منكم فإن الإذن بالخروج في حكم الإخراج ولا أثر عندنا لاتفاقهما على الانتقال لأن وجوب ملازمة مسكن الفراق حق الشرع ولا يسقط بإسقاط العبد كما قال في «الكشاف» فإن قلت: ما معنى الإخراج وخروجهن قلت: معنى الإخراج أي: لا يخرجهن البعولة غضباً عليهن وكراهة لمساكنتهن أو لحاجة لهم إلى المساكن وأن لا يأذنوا لهن في الخروج إذا طلبن ذلك إيذاناً بأن إذنهم لاأثر له في دفع الحظر ولا يخرجن بأنفسهن إن أردن ذلك انتهى. فإن خرجت المعتدة لغير ضرورة أو حاجة أثمت فإن وقعت ضرورة بأن خافت هدماً أو حرقاً لها أن تخرج إلى منزل آخر وكذلك إن كانت لها حاجة من بيع غزل أو شراء قطن فيجوز لها الخروج نهاراً لا ليلاً كما في «كشف الأسرار» ﴿**إلا أن يأتين بفاحشة مبينة**﴾ أي: الزنا فيخرجن لإقامة الحد عليهن ثم يعدن وبالفارسية مكر بيارند كردار ناخوش كه روشن كننده حال زنان بود دربد كرداري.

وقال بعضهم: مبينة هنا بالكسر لازم بمعنى بين متبينة كمبين من الإبانة بمعنى بين والفاحشة ما عظم قبحه من الأفعال والأقوال وهو الزنا في هذا المقام وقيل: البذآء بالمد وهو القول القبيح وإطالة اللسان فإنه في حكم النشور في إسقاط حقهن فالمعنى إلا أن يبذون على الأزواج وأقاربهم كالأب والأخ فيحل حينئذٍ إخراجهن وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو كل معصية وهو استثناء من الأول أي: لا تخرجوهن في حال من الأحوال إلا حال كونهن آتيات بفاحشة أو من الثاني للمبالغة في النهي عن الخروج ببيان أن خروجها فاحشة أي: لا يخرجن إلا إذا ارتكبن الفاحشة بالخروج يعني: أن من خرجت أتت بفاحشة كما يقال لا تكذب إلا أن تكون فاسقاً يعني: أن تكذب تكن فاسقاً ﴿**وتلك**﴾ الأحكام ﴿**حدود الله**﴾ التي عينها عباده والحد الحاجز بين الشيئين الذي يمنع اختلاط أحدهما بالآخر ﴿**ومن يتعد**﴾ أصله يتعدى فحذفت اللام بمن الشرطية وهو من التعدي المتعدي بمعنى التجاوز أي ومن يتجاوز ﴿**حدود الله**﴾ حدوده المذكورةُ بأن أخل بشيء منها على أن الإظهار في حين الإضمار لتهويل أمر التعدي والإشعار بعلية الحكم في قوله تعالى: ﴿**فقد ظلم نفسه**﴾ أي أضرَّ بها قال البقلي قدس سره: إن الله حد الحدود بأوامره ونواهيه لنجاة سلاكها فإذا تجاوزوا عن حدوده يسقطون عن طريق الحق ويضلون في ظلمات البعد وهذا أعظم الظلم على النفوس إذ منعوها من وصولها إلى الدرجات والقربى قال بعضهم: التهاون بالأمر من قلة المعرفة بالآمر فلا بد من الخوف أو الرجاء أو الحياة أو العصمة في علم الله فهي أسباب أربعة لا خامس لها حافظة من الوقوع فيما لا ينبغي فمن ليس له واحد من هذه الأسباب وقد وقع في المعصية وظلم النفس فالكامل يعطي نفسه حقها ظاهراً وباطناً ولا يظلمها.

«حكي» أن معروف الكرخي قدس سره رأى جارية من الحور العين قال: لمن أنت يا جارية، فقالت: لمن لا يشرب الماء المبرد في الكيزان، وكان قد برد له كوز ماء، ليشربه فتناولت الحوراء الكوز، فضربت به الأرض فكسرته، قال السري السقطي رحمه الله: ولقد رأيت قطعه في الأرض لم ترفع حتى عفا عليها التراب، فكانت الحوراء لمعروف حين امتنع من شرب الماء المبرد وكانت جزاء له في إعطائه نفسه حقها فإن في جسده من يطلب ضد

الجارية ونحوها فلا بد من إعطاء كل ذي حق حقه ﴿لا تدري﴾ تعليل لمضمون الشرطية أي: فإنك أيها المتعدي لا تدري عاقبة الأمر وقال بعضهم: لا تدري نفس ﴿لعل الله﴾ شايد خداي تعالى ﴿يحدث﴾ يوجد في قلبك فإن القلوب بين إصبعين من أصابع الله يقلبها كيف يشاء والحدوث كون الشيء بعد أن لم يكن عرضاً كان ذلك أو جوهر أو إحداثه إيجاده ﴿بعد ذلك﴾ الذي فعلت من التعدي ﴿أمراً﴾ يقتضي خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالإعراض عنها إقبالاً إليها ولا يتسنى تلافيه برجعة أو استئناف نكاح فالأمر الذي يحدثه الله تعالى أن يقلب قلبه عما فعله بالتعدي إلى خلافه فالظلم عبارة عن ضرر دنيوي يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوي والأخروي ويخص التعليل بالدنيوي ليكون احتراز الناس منه أشد واهتمامهم بدفعه أقوى وفي الآية دلالة على كراهة التطليق ثلاثاً بمرة واحدة لأن إحداث الرجعة لا يكون بعد الثلاث ففي الثلاث عون للشيطان وفي تركها رغم له فإن الطلاق من أهم مقاصده كما روى مسلم من حديث جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول إن عرش إبليس على البحر فيبعث سراياه آي جنوده وأعوانه من الشياطين فيفتنون الناس فأعظمهم عنده الأعظم فتنة يجيء أحدهم فيقول فعلت كذا وكذا فيقول ما صنعت شيئاً ثم يجيء أحدهم فيقول ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته فيدنيه منه ويقول نعم أنت أي نعم المضل أو الشرير أنت فيكون نعم بكسر النون فعل مدح حذف المخصوص به أو نعم أنت ذاك الذي يستحق الإكرام فيكون بفتح النون حرف إيجاب.

﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَدَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ۝﴾

﴿فإذا بلغن﴾ پس چون برسدزنان ﴿أجلهن﴾ أي: شارفن آخر عدتهن وهي مضي ثلاث حيض ولو لم تغتسل من الحيضة الثالثة وذلك لأنه لا يمكن الرجعة بعد بلوغهن آخر العدة فحمل البلوغ على المشارفة كما قال في «المفردات»: البلوغ والبلاغ الانتهاء إلى أقصى القصد والمبتغى مكاناً كان أو زماناً أو أمراً من الأمور المقدرة، وربما يعبر به عن المشارفة عليه وإن لم ينته إليه مثل ﴿فإذا بلغن﴾ إلخ فإنه للمشارفة فإنها إذا انتهت إلى أقصى الأجل لا يصح للزوج مراجعتها وإمساكها والأجل المدة المضروبة للشيء ﴿فأمسكوهن﴾ أي: فأنتم بالخيار فإن شئتم فراجعوهن والرجعة عند أبي حنيفة تحصل بالقول وكذا بالوطء واللمس والنظر إلى الفرج بشهودة فيهما ﴿بمعروف﴾ بحسن معاشرة واتفاق لائق وفي الحديث «أكمل المؤمنين أحسنهم خلقاً وألطفهم بأهله» ﴿أو فارقوهن﴾ ياجدا شويد از ايشان وبكذاريد ﴿بمعروف﴾ بإيفاء الحق واتقاء الضرار بأن يراجعها ثم يطلقها تطويلاً للعدة ﴿وأشهدوا﴾ كواه كيريد.

أي: عند الرجعة والفرقة قطعاً للتنازع إذ قد تنكر المرأة بعد انقضاء العدة رجعته فيها وربما يموت أحدهما بعد الفرقة فيدعي الباقي منهما ثبوت الزوجية لأخذ الميراث وهذا أمر ندب لا وجوب ﴿ذوي عدل﴾ تثنية ذا منصوب ذو بمعنى الصاحب أي أشهدوا اثنين ﴿منكم﴾ أي من المسلمين كما قال الحسن: أو من أحراركم، كما قاله قتادة يكونون عادلين لا ظالمين ولا فاسقين، والعدالة هي الاجتناب عن الكبائر كلها، وعدم الإصرار على الصغائر، وغلبة الحسنات على السيئات، والإلمام من غير إصرار لا يقدح في العدالة إذ لا يوجد من البشر،

من هو معصوم سوى الأنبياء عليهم السلام كذا في الفروع. ﴿**وأقيموا الشهادة**﴾ أيها الشهود عند الحاجة خالصة ﴿**لله**﴾ تعالى وذلك أن يقيموها للمشهود له وعليه لا لغرض من الأغراض سوى إقامة الحق ودفع الظلم فلو شهد لغرض لا لله بريء بها من وبال كتم الشهادة لكن لا يثاب عليها لأن الأعمال بالنيات والحاصل أن الشهادة أمانة فلا بد من تأدية الأمانة كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا﴾ [النساء: ٥٨] فلو كتمها فقد خان والخيانة من الكبائر دل عليه قوله تعالى: ﴿وَمَن يَكۡتُمۡهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٞ قَلۡبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] ﴿**ذلكم**﴾ إشارة إلى الحث على الشهادة والإقامة أو على جميع ما في الآية من إيقاع الطلاق على وجه السنة وإحصاء العدة والكف عن الإخراج والخروج والإشهاد وإقامة الشهادة بأدائها على وجهها من غير تبديل وتغيير ﴿**يوعظ به**﴾ الوعظ زجر يقترن بتخويف ﴿**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر**﴾ إذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره ولم يقل ﴿ذَٰلِكُمۡ تُوعَظُونَ بِهِۦ﴾ [المجادلة: ٣] كما في سورة المجادلة لتهييج المؤمنين على الغيرة فإن من لا غيرة له لا دين له ومن مقتضى الإيمان بالله مراعاة حقوق المعبودية والربوبية وباليوم الآخر الخوف من الحساب والعذاب والرجاء للفضل والثواب فالمؤمن بهما يستحي من الخالق والخلق فلا يترك العمل بما وعظ به ودلت الآية على أن للإنسان يومين اليوم الأول هو يوم الدنيا واليوم الآخر هو يوم الآخرة واليوم عرفاً زمان طلوع الشمس إلى غروبها وشرعاً زمان طلوع الفجر الثاني إلى غروب الشمس وهذان المعنيان ليسا بمرادين هنا وهو ظاهر فيكون المراد مطلق الزمان ليلاً كان أو نهاراً طويلاً كان أو قصيراً وذلك الزمان إما محدود وهو زمان الدنيا المراد باليوم الأول أو غير محدود وهو زمان الآخرة المراد باليوم الآخر الذي لا آخر له لتأخره عن يوم الدنيا وجوزوا أن يكون المراد من اليوم الآخر ما يكون محدوداً أيضاً من وقت النشور إلى أن يستقر الفريقان مقرهما من الجنة والنار فعلى هذا يمكن أن يكونا مستعارين من اليومين المحدودين بالطلوع والغروب اللذين بينهما زمان نوم ورقدة ويراد بما بين ذينك الزمانين زمان القرار في القبور قبل النشور كما قال تعالى حكاية: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢] وعلى هذا يقال ليوم الآخرة غد كما مر في أواخر سورة الحشر قال بعض الكبار: علمك باليقظة بعد النوم، وعلمك بالبعث بعد الموت، والبرزخ واحد غير أن للبرزخ بالجسم تعلقاً في النوم لا يكون بالموت وكما تستيقظ على ما نمت عليه كذلك تبعث على ما مت عليه فهو أمر مستقر فالعاقل يسعى في اليوم المنقطع ليوم لا ينقطع ويحيا على الإيمان والعمل ليكون موته ونشره عليهما ﴿**ومن يتق الله**﴾ في طلاق البدعة فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط في الإشهاد وغيره من الأمور ﴿**يجعل له مخرجاً**﴾ مصدر ميمي أي: خروجاً وخلاصاً مما عسى يقع في شأن الأزواج من الغموم والوقوع في المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب وبالفارسية بيرون شدن.

وقال بعضهم: هو عام أي: ومن يتق الله في كل ما يأتي وما يذر يجعل له خروجاً من كل ضيق يشوش البال ويكدر الحال وخلاصاً من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه ما نحن فيه اندراجاً أولياً وعن النبي عليه السلام أنه قرأها فقال: «مخرجاً من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد يوم القيامة» وفي «الجلالين» من الشدة إلى الرخاء ومن الحرام إلى الحلال ومن النار إلى الجنة أو اسم مكان بمعنى يخرجه إلى مكان يستريح فيه وفي «فتح الرحمن» يجعل له مخرجاً إلى الرجعة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عمن طلق امرأته ثلاثاً أو

ألفاً هل له من مخرج فقال: لم يتق الله فلم يجعل له مخرجاً، بانت منه بثلاث والزيادة إثم في عنقه ويقال المخرج على وجهين أحدهما: أن يخرجه من تلك الشدة والثاني: أن يكرمه بالرضا والصبر فإنه من قبيل العافية أيضاً كما قال عليه السلام: «واسأل الله العافية من كل بلية»، فالعافية على وجهين: أحدهما: أن يسأله أن يعافيه من كل شيء، فيه شدة فإن الشدة إنما يحل أكثرها من أجل الذنوب، فكأنه سأل أن يعافيه من البلاء ويعفو عنه الذنوب التي من أجلها تخل الشدة بالنفس. والثاني: أنه إذا حل به بلاء أن لا يكله إلى نفسه ولا يخذله وأن يكلأه. ويرعاه وفي هذه المرتبة يصير البلاء ولاء والمحنة منحة والمقت مقة والألم لذة والصبر شكراً ولا يتحقق بها إلا الكمل.

﴿وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا ۝٣﴾.

﴿ويرزقه﴾ بعد ذلك الجعل ﴿من حيث لا يحتسب﴾ من ابتدائية متعلقة بيرزقه أي: من وجه لا يخطره بباله ولا يحتسبه فيوفي المهر ويؤدي الحقوق ويعطي النفقات قال في «عين المعاني» من حيث لا يرتقب من الخان أو يعتد من الحساب.

از سببها بكذر وتقوى طلب تاخدا روزي رساند بي سبب
حق رجايي بحشدت رزق حلال كه نباشد در كمان ودر خيال

قال عليه السلام: «إني لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها». وعنه عليه السلام، «من أكثر الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب».

وروي: أن عوف بن مالك الأشجعي رحمه الله أسر المشركون ابنه سالماً فأتى رسول الله فقال: أسر ابني وشكا إليه الفاقة فقال عليه السلام: «اتق الله وأكثر لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. ففعل فبينما هو في بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت».

وقال الكاشفي: عوف بازن خود بقول حضرت عليه السلام عمل نمودند ابدك فرصتي راپسر عوف از أهل شرك خلاص يافته وچهار هزار كوسفند ايشانرا رنده بسلامت بمدينة آمد واين آيت نازل شدكه هركه تقوى ورزد روزي حلال يابد.

وفي «عين المعاني» فأفلت ابنه بأربعة آلاف شاة وبالأمتعة وفي «الجلالين» وأصاب إبلاً لهم وغنماً فساقها إلى أبيه.

آورده اندكه درروز كار خلافت عمر رضي الله عنه مردى بيامد وازعمر توليت عمل خواست تادر ديوان خلافت عامل باشد عمر كفت قرآن داني كفت ندانم كه نيا موخته أم عمر كفت ما عمل بكسي ندهيم كه قرآن نداند مردباز كشت وجهدي وربح عظيم برخود نهاد در تعلم قرآن بطمع آنكه عمر اورا عمل دهد چون قرآن بيا موخت وياد كرفت بركات قرآن وخواندن ودانستن اورا بدان جاي رسانيدكه دردل وي نه حرص ولايت ماندنه تقاضاي دبدار عمر پس روزي عمر اورا ديد كفت يا هذا هجرتنا أي جوانمرد چه افتادكه بيكبار كي هجرت ما اختيار كردي كفت يا أمير المؤمنين تونه ازان مردان باشي كه كسي وادارد كه هجرت تواختيار

كند ليكن قرآن بيامو ختم وچنان توانكردل كشتم كه از خلق واز عمل بي نياز شدم عمر كفت آن كدام آيت است كه ترابدين دركاه بي نيازي دركشيد كفت آن آيت كه درسورة الطلاق است ﴿ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾. واعلم أن كل واحد من الضيق والرزق يكون دنيوياً وأخروياً جسمانياً وروحانياً وإن أعسر الضيق ما يكون أخروياً وأوفر الرزق ما يكون روحانياً فمن يتق الله حق التقوى يجعل له مخرجاً من مضار الدارين ويرزقه من منافعهما فإن قيل إن أتقى الأتقياء هم الأنبياء والأولياء مع أن أكثرهم ابتلي بالمشقة الشديدة والفاقة المديدة كما قال عليه السلام: «أشد الناس بلاء الأنبياء والأولياء» ثم الأمثل فالأمثل أجيب بأن أشد الشدة وأمد المدة ما يكون أخروياً وهم مأمونون من ذلك بلطف الله وكرمه ألا أن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون وأما ما أصابهم في الدنيا باختيارهم للأجر الجليل وبغير اختيار للصبر الجميل فله غاية حميدة ومنفعة عظيمة والله عليم حكيم يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد قال بعضهم: شكا إليه عليه السلام، بعض الصحابة الفاقة، فقال عليه السلام: «دم على الطهارة يوسع عليك الرزق فقال: كم من مستديم للطهارة، لا يرتب له كفايته فضلاً عن أن يوسع عليه» ويوجه بأن تخلف الأثر كالتوسيع مثلاً لمانع لا ينافي الاقتضاء أي: اقتضاء العلة لمعلولها وأثرها أما عند القائلين بتخصيص العلة فظاهر وأما عند غيرهم فيجعل عدم المانع جزء العلة ومن المانع الغفلة وغلبة بعض الجنايات وعند غلبة أحد الضدين لا يبقى للآخر تأثير.

يقول الفقير: والذي يقع في قلبي أن أصحاب الطهارة الدائمة مرزوقون بأنواع الرزق المعنوي والغذاء الروحاني من العلوم والمعارف والحكم والحقائق والتضييق لبعضهم في الرزق الصوري والغذاء الجسماني إنما هو لتطبيق الفقر الظاهر بالباطن والفقر الباطن هو الغنى المطلق لقوله عليه السلام اللهم أغنني بالافتقار إليك فأصحاب الطهارة الدائمة مرزوقون أبداً إما ظاهراً وباطناً معاً وإما باطناً فقط على أن لأهلها مراتب من حيث البداية والنهاية ولن ترى من أهل النهاية محروماً من الرزق مطلقاً إلا نادراً والله الغني وفي «التأويلات النجمية» ومن يتق الله أي: يجعل ذاته المطلقة جنة ذاته وصفاته وأفعاله تعالى جنة أفعاله بإضافة الأشياء كلها خلقاً وإيجاداً إلى ذاته وصفاته وأفعاله يجعل له مخرجاً من مضايق ذاته وصفاته وأفعاله إلى وسائع ذاته وصفاته وأفعاله ويرزقه من حيث لا يحتسب من فيض اسمه الوهاب على طريق الوهب لا على طريق الكسب والاجتهاد ﴿ومن يتوكل على الله﴾ التوكل سكون القلب في كل موجود ومفقود وقطع القلب عن كل علاقة والتعلق بالله في جميع الأحوال ﴿فهو﴾ أي الله تعالى ﴿حسبه﴾ بمعنى محسب أي: كاف يعني كافي المتوكل في جميع أموره ومعطيه حتى يقول حسبي فإن قلت إذا كان حكم الله في الرزق لا يتغير فما معنى التوكل قلت معناه أن المتوكل يكون فارغ القلب ساكن الجأش غير كاره لحكم الله فلهذا كان التوكل محموداً قال عليه السلام: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدو خماصاً وتروح بطاناً»، ومعناه تذهب أول النهار خماصاً أي: ضامرة البطون من الجوع وترجع آخر النهار بطاناً أي: ممتلئة البطون وليس في الحديث دلالة على القعود على الكسب بل فيه ما يدل على طلب الرزق وهو قوله تغدو تروح وإنما التوكل بعد الحركة في أمر المعاش كتوكل الزارع بعد إلقاء الحب في الأرض وكان السلف يقولون: اتجروا واكتسبوا فإنكم في زمان إذا احتاج أحدكم كان أول ما يأكل دينه وربما رأوا رجلاً في جماعة جنازة فقالوا له: اذهب إلى دكانك وفي «المثنوي»:

كـر تـوكـل مـيـكـنـي دركـاركـن كـشـت كـن پـس تـكـيـه بـر جـباركـن
رمـز الـكـاسـب حـبـيـب الله شـنـو از تـوكـل درسـبـب كـاهـل مـشـو

وأما الذين قعدوا عن الحركة والكسب وهم الكمل فطريقتهم صعبة لا يسلكها كل ضامر في الدين، ودل الحديث المذكور على أن التوكل الحقيقي أن لا يرجع المتوكل إلى رزق معين وغذاء موظف كالطير، حتى لا ينتقض التوكل، اللهم إلا أن يكون من الكمل فإن المعين وغيره سواء عندهم لتعلق قلوبهم بالله لا بغيره وفي «التأويلات النجمية»: ومن يتوكل في رزق نفسه من الأحكام الشرعية وفي رزق قلبه من الواردات القلبية، وفي رزق روحه من العطايا والمنح الإلهية الروحانية، فالله الاسم الأعظم حسبه من حيث الأسماء الكافية أو التوكل نفسه حسبه فيكون الضمير راجعاً إلى التوكل ﴿إن الله بالغ أمره﴾ بالإضافة أي: منفذ أمره ومتم مراده وممضي قضائه في خلقه فيمن توكل عليه وفيمن لم يتوكل عليه إلا من توكل عليه، يكفر عنه سيئاته ويعظم له أجراً، وفي «التأويلات النجمية»: إن الله بالغ أمره في كل مأمور بما هو منتهاه وأقصاه وقرىء بتنوين بالغ ونصب أمره أي: يبلغ ما يريد، ولا يفوته مراد ولا يعجزه مطلوب.

كما قال الكاشفي: رساننده است كار خودرا بهر چاخواهد يعني آنچه مراد حق سبحانه باشد از وفوت نشود.

وقرىء بالغ أمره على الفاعلية أي: نافذ أمره وفي «القاموس» أمر الله بلغ أي بالغ نافذ يبلغ أين أريد به ﴿قد جعل الله لكل شيء﴾ من الشدة والرخاء والفقر والغنى والموت والحياة ونحو ذلك ﴿قدراً﴾ أي: تقديراً متعلقاً بنفس ذاته وبزمانه وقومه، وبجميع كيفياته وأوصافه وإنه بالغ ذلك المقدر على حسب ما قدره وبالفارسية اندازه كه ازان درنكذرداو.

مقداراً وحداً معيناً أو وقتاً وأجلاً ونهاية ينتهي إليه لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه ولا يتأتى تغييره يعني بامقداري از زمانكه پيش وپس نيفتد. وفي «التأويلات النجمية»: أي: رتبة وكما لا يليق بذلك الشيء، وقال القاشاني: ومن يتوكل على الله، بقطع النظر عن الوسائط والانقطاع إليه من الوسائل، فهو كافيه يوصل إليه ما قدر له ويسوق إليه ما قسم لأجله من أنصبة الدنيا والآخرة، إن الله يبلغ ما أراد من أمره لا مانع له ولا عائق فمن تيقن ذلك ما خاف أحداً ولا رجا وفوض أمره إليه ونجا قد عين الله لكل أمر حداً معيناً ووقتاً معيناً في الأزل لا يزيد بسعي ساع ولا ينتقص بمنع مانع وتقصير مقصر، ولا يتأخر عن وقته ولا يتقدم عليه، والمتيقن لهذا الشاهد له متوكل بالحقيقة. انتهى.

وفي «المفردات» تقدير الله الأشياء على وجهين: أحدهما: بإعطاء القدرة، والثاني: أن يجعلها على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة وذلك أن فعل الله ضربان ضرب أوجده بالفعل ومعنى إيجاده بالفعل أنه أبدعه كاملاً دفعة لا يعتريه الكون والفساد إلى أن يشاء أن يغنيه أو يبدله كالسماوات وما فيها ومنه ما جعل أصوله موجودة بالفعل وأجزائه بالقوة وقدره على وجه لا يتأتى غير ما قدر فيه كتقديره في النواة أن ينبت منها النخل دون التفاح والزيتون وتقدير مني الآدمي أن يكون منه الإنسان دون سائر الحيوان فتقدير الله على وجهين أحدهما بالحكم منه أن يكون كذا ولا يكون كذا إما على سبيل الوجوب، وإما على سبيل الإمكان وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿قد جعل الله لكل شيء قدراً﴾ والثاني: بإعطاء القدرة عليه. انتهى.

والآية بيان لوجوب التوكل عليه وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شيء من الرزق وغيره لا يكون إلا بتقدير الله وتوقيته. لا يبقى إلا التسليم للقدر والتوكل.

قال الكاشفي: بناي اين آيت برتقوى وتوكلست تقوى نفخة بوستان قربست واز رتبة معيت خبر دهدكه إن الله مع الذين اتقوا وتوكل رائحة كلزار كفايتست واز بوي ريحان محبت رسدكه إن الله يحب المتوكلين وبي أين دوصفت قدم در طريق تحقيق نتوان نهاد.

سلوك راه معنى راتوكل بايد وتقوى   توكل مركب راهست وتقوى توشة رهرو

قال سهل قدس سره: لا يصح التوكل إلا للمتقين ولا تتم التقوى إلا بالتوكل ولذلك قرن الله بينهما فقال: ﴿ومن يتق الله﴾ إلخ وقال بعضهم: من تحقق في التقوى هون الله على قلبه الإعراض عن الدنيا ويسر له أمره في الإقبال عليه والتزين بخدمته وجعله إماماً لخلقه يقتدي به أهل الإرادة فيحملهم على أوضح السنن، وأوضح المناهج وهو الإعراض عن الدنيا والإقبال على الله تعالى وذلك منزلة المتقين وقال سهل رحمه الله: من يكل أموره إلى ربه فإن الله يكفيه هم الدارين أجمع قال الربيع رحمه الله: إن الله قضى على نفسه أن من توكل عليه كفاه ومن آمن به هداه ومن أقرضه جازاه، ومن وثق به أنجاه ومن دعاه أتاه وتصديق ذلك في كتاب الله ومن يتوكل على الله فهو حسبه ومن يؤمن بالله يهد قلبه من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم أجيب دعوة الداع إذا دعان.

﴿وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ۝٤ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ۝٥﴾

﴿واللائي﴾ من الموصولات جمع التي يعني آن زنان كه **﴿يئسن من المحيض من نسائكم﴾** اللاتي دخلتم بهن لكبرهن ويبسهن وقدروه بستين سنة وبخمس وخمسين فلو رأته بعد ذلك لا يكون حيضاً قوله: **﴿يئسن﴾** فعل ماض واليأس القنوط ضد الرجاء يقال: يئس من مراده ييأس يأساً وفي معناه أيس يأيس يأساً وإياساً لا أيساً وفاعلهما آيس لا يائس يقال: امرأة آيس إذا كان يأسها من الحيض دون آيسة لأن التاء إنما زيدت في المؤنث إذا استعملت الكلمة للمذكر أيضاً فرقاً بينهما وإذا لم تستعمل له فأي حاجة إلى الزيادة ومن ذلك يقال: امرأة حائض وطالق وحامل بلا تاء إذا كان حملها من الولد وأما إذا كان يأسها وحملها من غير الحيض وحمل الولد يقال آيسة وحاملة وفي «المغرب» اليأس انقطاع الرجاء وأما الإياس في مصدر الآيسة من الحيض فهو في الأصل ائياس على إفعال حذفت منه الهمزة التي هي عين الكلمة تخفيفاً والمحيض الحيض وهو في اللغة مصدر حاضت الأنثى، فهي حائض وحائضة أي خرج الدم من قبلها ويكون للأرنب والضبع والخفاش كما ذكره الجاحظ وفي «القاموس»: حاضت المرأة تحيض حيضاً ومحيضاً ومحاضاً فهي حائض وحائضاً من حوائض وحيض سال دمها والمحيض اسم ومصدر قيل ومنه الحوض لأن الماء يسيل إليه والحيضة المرة انتهى. وفي الشرع دم ينفضه رحم امرأة بالغة لاداء بها ولا إياس لها أي: يجعلها الشارع منقطعة الرجاء عن رؤية الدم ومن الأولى لابتداء الغاية ومتعلقة بالفعل قبلها والثانية للتبيين ومتعلقة بمحذوف **﴿إن ارتبتم﴾** من الارتياب بالفارسية بشك شدن.

أي: شككتم وأشكل عليكم حكمهن لانقطاع دمهن بكبر السن وجهلتم كيف عدتهن **﴿فعدتهن ثلاثة أشهر﴾** فقوله **﴿واللائي يئسن﴾** إلخ مبتدأ خبره فعدتهن وقوله **﴿إن ارتبتم﴾** اعتراض وجواب الشرط محذوف أي ارتبتم فيها فاعلموا أنها ثلاثة أشهر كذا قالوا والأشهر جمع شهر وهو مدة معروفة مشهورة بإهلال الهلال أو باعتبار جزء من اثني عشر جزءاً من دوران الشمس من نقطة إلى تلك النقطة قال في «القاموس»: الشهر العدد المعروف من الأيام لأنه يشهر بالقمر **﴿واللائي﴾** وآن زنان كه **﴿لم يحضن﴾** أي: ما رأين الدم لصغرهن أي فعدتهن أيضاً كذلك فحذف ثقة بدلالة ما قبله عليه والشابة التي كانت تحيض فارتفع حيضها بعذر من الأعذار قبل بلوغها سن الآيسات فعند أبي حنيفة والشافعي لا تنقضي عدتها حتى يعاودها الدم فتعتد بثلاثة أقراء أو تبلغ سن الآيسات فتعتد بثلاثة أشهر وضع السجاوندي الطاء الدالة على الوقف المطلق على وضعه وقانونه في لم يحضن لانقطاعه عما بعده وكان الظاهر أن يضع الميم الدالة على اللازم لأن المتبادر الاتصال الموهم معنى فاسداً لعله نظر إلى ظهور عدم حمل التي لم تحض لصغرها **﴿وأولات الأحمال﴾** واحدتها ذات بمعنى صاحبة والأحمال جمع حمل بالفتح بالفارسية بار.

والمراد الحبل أي: الثقل المحمول في الباطن وهو الولد في البطن والمعنى وذوات الأحمال من النساء والحبالى منهن **﴿أجلهن﴾** أي: منتهى عدتهن **﴿أن يضعن حملهن﴾** سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن فلو وضعت المرأة حملها أي: ولدت وحطت ما في بطنها يعني ازبالا بزير آورد.

بعد طلاق الزوج أو وفاته بلحظة انقضت عدتها وحلت للأزواج فكيف بعد ساعة أو يوم أو شهر وقد نسخ به عموم قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤] لتراخي نزوله عن ذلك وقد صح أن سبيعة بنت الحارث الأسلمية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله عليه السلام، فقال: قد حللت فتزوجي **﴿ومن يتق الله﴾** في شأن أحكامه وحقوقه **﴿يجعل له من أمره يسراً﴾** أي: يسهل عليه أمره ويوفقه للخير ويعصمه من المعاصي والشر بسبب التقوى فمن للبيان قدم على المبين للفواصل أو بمعنى في **﴿ذلك﴾** المذكور من الأحكام وإفراد الكاف مع أن الخطاب للجمع كما يفصح عنه ما بعده لما أنها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضي لا لتعيين خصوصية المخاطبين **﴿أمر الله﴾** حكمه الشرعي **﴿أنزله﴾** من اللوح المحفوظ **﴿إليكم﴾** إلى جانبكم، وقال أبو الليث: أنزله في القرآن على نبيكم لتستعدوا للعمل به فإياكم ومخالفته **﴿ومن يتق الله﴾** بالمحافظة على أحكامه **﴿يكفر عنه سيئاته﴾** يسترها لرضاه عنه بإتقانه، وبالفارسية بپوشد خداي تعالى از وبديهاي ويرا.

وربما يبدلها حسنات **﴿ويعظم له أجراً﴾** بالمضاعفة وبالفارسية وبزرك ساز دبراي او مزدرا يعني اورامزد زياده دهددر آخرت.

قال بعضهم: يعطيه أجراً عظيماً أي أجر كان ولذلك نكر فالتنكير للتعميم المنبىء عن التميم قال في «برهان القرآن»: أمر بالتقوى في أحكام الطلاق ثلاث مرات وعد في كل مرة نوعاً من الجزاء فقال أولاً يجعل له مخرجاً يخرجه مما دخل فيه وهو يكرهه ويهيىء له محبوبه من حيث لا يأمل وقال في الثاني: يسهل عليه الصعب من أمره ويفتح له خيراً ممن طلقها

والثالث: وعد عليه الجزاء بأفضل الجزاء وهو ما يكون في الآخرة من النعماء.

﴿أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَارُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَاتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾﴾.

﴿**أسكنوهن من حيث سكنتم**﴾ استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى في شأن المعتدات فقيل أسكنوهن ﴿**من حيث سكنتم**﴾ أي بعض مكان سكناكم والخطاب للمؤمنين المطلقين ﴿**من وجدكم**﴾ أي: من وسعكم أي مما تطيقونه يعني مسكن ايشان بقدر طاقت وتواناي خويش سازيد والوجد القدرة والغنى يقال: افتقر فلان بعد وجده وهو عطف بيان لقوله ﴿**من حيث سكنتم**﴾ وتفسير له وفي «عين المعاني»: ومن لتبيين الجنس لما في حيث من الإبهام انتهى. واعترض عليه أبو حيان بأنه لم يعهد في عطف البيان إعادة العامل إنما عهد ذلك في البدل فالوجه جعله بدلاً قال قتادة: إن لم يكن إلا بيت واحد أسكنها في بعض جوانبه. قال صاحب «اللباب»: إن كانت الدار التي طلقها فيها ملكه يجب عليه أن يخرج منها ويترك الدار لها مدة عدتها وإن كانت بإجارة فعليه الأجرة وإن كانت عارية فرجع المعير فعليه أن يكتري لها داراً تسكنها قال في «كشف الأسرار» وأما المعتدة من وطء الشبهة والمفسوخ نكاحها بعيب أو خيار عتق فلا سكنى لها ولا نفقة وإن كانت حاملاً ﴿**ولا تضاروهن**﴾ أي: ولا تقصدوا عليهن الضرر فى السكنى بأي وجه كان فإن المفاعلة قد لا تكون للمشاركة وبالفارسية ورنج مرسانيد مطلقات را ﴿**لتضيقوا عليهن**﴾ في المسكن ببعض الأسباب من إنزال من لا يوافقهن أو يشغل مكانهن أو غير ذلك وتلجئوهن إلى الخروج وبالفارسية براي آنكه تنك كردانيد برايشان مساكن ايشان.

وفيه حث المروءة والمرحمة ودلالة على رعاية الحق السابق حتى يتيسر لها التدارك في أمر المعيشة من تزوج آخر أو غيره ﴿**وإن كن**﴾ أي المطلقات ﴿**أولات حمل**﴾ ذوات حبل وبالفارسية خدا وتدبار.

يعني حاملة وأولات منسوب بالكسر على قانون جمع المؤنث وتنوين حمل للتعميم يعني أي: حمل كان قريب الوضع أو بعيده ﴿**فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن**﴾ فيخرجن من العدة وتتخلصوا من كلفة الإحصاء ويحل لهن تزوج غيركم اياشئن فالبائن بالطلاق إذا كانت حاملاً لها النفقة والسكنى بالاتفاق وأما البائن الحائل أي: غير الحامل فتستحق النفقة والسكنى عند أبي حنيفة كالحامل إلى أن تنقضي عدتها بالحيض أو بالأشهر خلافاً للثلاثة وأما المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن من التركة ولا سكنى بل تعتد حيث تشاء وإن كن أولات حمل لوقوع الإجماع على أن من أجبر الرجل على النفقة عليه من امرأة أو ولد صغير لا يجب أن ينفق عليه من ماله بعد موته فكذا المتوفى عنها الحامل وهو قول الأكثرين قال أبو حنيفة: تجب النفقة والسكنى لكل مطلقة سواء كانت مطلقة بثلاث أو واحدة رجعية أو بائنة ما دامت في العدة، أما المطلقة الرجعية فلأنها منكوحة كما كانت وإنما يزول النكاح بمضي العدة وكونه في معرض الزوال بمضي العدة لا يسقط نفقتها كما لو آلى وعلق طلاقها بمضي شهر فالمطلقة الرجعية لها النفقة والسكنى بالإجماع وأما المبتوتة فعندنا لها النفقة والسكنى ما دامت في العدة لقوله

تعالى: ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكم﴾ إذا المعنى أسكنوا المعتدات مكاناً من المواضع التي تسكنونها وأنفقوا عليهن في العدة من سعتكم لما قرأ ابن مسعود رضي الله عنه أسكنوهن من حيث سكنتم وأنفقوا عليهن من وجدكم وعند الشافعي لها السكنى لهذه الآية ولا نفقة لها إلا أن تكون حاملاً لقوله تعالى: ﴿وإن كن أولات حمل﴾ الخ فإن قلت: فإذا كانت كل مطلقة عندكم يجب لها النفقة فما فائدة الشرط في قوله ﴿وإن كن أولات حمل﴾ الخ قلت: فائدته أن مدة الحمل ربما طالت فظن ظان أن النفقة تسقط إذا مضى مقدار عدة الحامل فنفى ذلك الوهم كما في «الكشاف» ﴿فإن أرضعن لكم﴾ الرضاع لغة شرب اللبن من الضرع أو الثدي وشريعة شرب الطفل حقيقة أو حكماً للبن خالص أو مختلط غالباً من آدمية في وقت مخصوص والإرضاع شيردادن يعني هؤلاء المطلقات إن أرضعن لكم ولداً من غيرهن أو منهن بعد انقطاع عصمة الزوجية وعلاقة النكاح قال لكم ولم يقل أولادكم لما قال تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] فالأب يجب عليه إرضاع الولد دون الأم وعليه أن يتخذ له ظئراً إذا تطوعت الأم بإرضاعه وهي مندوبة إلى ذلك، ولا تجبر عليه ولا يجوز استئجار الأم عند أبي حنيفة رحمه الله ما دامت زوجة معتدة من نكاح ﴿فآتوهن أجورهن﴾، على الإرضاع إن طلبن أجورهن فإن حكمهن في ذلك حكم الاظآر حينئذٍ، قال في «اللباب»: فإن طلقها فلا يجب عليها الإرضاع إلا أن لا يقبل الولد ثدي غيرها فيلزمها حينئذٍ فإن اختلفا في الأجرة، فإن دعت إلى أجرة المثل وامتنع الأب إلا تبرعاً فالأم أولى بأجر المثل إذ لا يجد الأب متبرعة وإن دعا الأب إلى أجر المثل وامتنعت الأم لتطلب شططاً فالأب أولى به فإن أعسر الأب بأجرتها أجبرت على إرضاع ولدها انتهى.

إن قيل إن الولد للأب فلم لا يتبعه في الحرية والرقبة بل يتبع الأم لأنها إذا كانت ملكاً لغير الأب كان الولد ملكاً له وإن كان الأب حراً وإذا كانت حرة كان الولد حراً وإن كان الأب رقيقاً أجيب بأن الفقهاء قالوا في وجهه رجح ماء الأم على ماء الأب في الملكية لأن ماءها مستقر في موضع وماء الأب غير معلوم أفادت هذه المسألة أن المالكية تغلب الوالدية والتحقيق أن الأحكام شرعية لا عقلية والعلم عند شارعها يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد ﴿وائتمروا﴾ أيها الآباء والأمهات ﴿بينكم﴾ ميان يكدكر دركار فرزند ﴿بمعروف﴾ أي: تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضاً بجميل في الإرضاع والأجر وهو المسامحة ولا يكن من الأب مماكسة ولا من الأم معاسرة لأنه ولدهما معاً وهما شريكان فيه في وجوب الإشفاق عليه فالائتمار بمعنى التآمر كالاشتوار بمعنى التشاور يقال ائتمر القوم وتآمروا إذا أمر بعضهم بعضاً يعني الافتعال قد يكون بمعنى التفاعل وهذا منه ﴿وإن تعاسرتم﴾ يقال تعاسر القوم إذا تحروا تعسير الأمر أي: تضايقتم وبالفارسية واكر دشوار كنيد ومضايقه نماييد أي پدر ومادر رضاع ومزد دادن يعني شوهر از أجرا باكند يازن شيرندهد ﴿فسترضع له﴾ أي: للأب كما في «الكشاف» وهو الموافق لقوله فإن أرضعن لكم أو للصبي والولد كما في «الجلالين» و«تفسير الكاشفي» ونحوهما وفيه أن الظاهر حينئذٍ أن يقول فسترضعه ﴿أخرى﴾ أي: فستوجد ولا تعوز مرضعة أخرى غير الأم ترضعه يعني مرددايه كيرد براي رضيع خود ومادررا باكراه واجبار نفر مايد.

وفيه معاتبة للأم على المعاسرة كما تقول لمن تستقضيه حاجة فيتوانى سيقضيها غيرك تريد أن تبق غير مقضية فأنت ملوم قال سعدي المفتي: ولا يخلو عن معاتبة الأب أيضاً حيث

أسقط في الجواب عن حيز شرف الخطاب مع الإشارة إلى أنه إن ضويقت الأم في الأجر فامتنعت من الإرضاع لذلك فلا بد من إرضاع امرأة أخرى وهي أيضاً تطلب الأجر في الأغلب الأكثر والأم أشفق وأحن فهي به أولى وبما ذكرنا يظهر كمال الارتباط بين الشرط والجزاء.

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾

﴿لينفق﴾ لام الأمر **﴿ذو سعة﴾** خداوند فراخي وتوانكري **﴿من سعته﴾** ازغناي خود يعني بقدر تواناي خويش بر مطلقه ومرضعة نفقة كنيد.

ومن متعلقة بقوله لينفق **﴿ومن قدر عليه رزقه﴾** أي: ضيق وكان بمقدار القوت وبالفارسية وهركه تنك كرده شده است برو روزي أو يعني فقير وتنكدست است.

ومن هذا المعنى اشتق الأقدر أي القصير العنق وفرس أقدر يضع حافر رجله موضع حافر يده وقوله تعالى: **﴿وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ﴾** [البقرة: ٢٣٦] أي: ما يليق بحاله مقدراً عليه **﴿فلينفق مما آتاه الله﴾** وإن قل أي: لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه ويطيقه **﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾** من المال جل أو قل فإنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها وبالفارسية وتكليف نفر مايد خداي تعالى هيچ تني رامكر آنچه بدو عطا كرده است ازمال يعني تكليف ما لا يطاق نفر ما يد.

وقد أكد ذلك بالوعد حيث قال: **﴿سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾** أي: عاجلاً أو آجلاً إذ ليس في السين دلالة على تعين زمان وكل آت قريب ولو كان الآخرة، وبالفارسية زود باشدكه بديد آرد خداي تعالى بعد ازدشواري وتنكدستي آساني وتوانكري.

فلينتظر المعسر اليسر وفرج الله فإن الانتظار عبادة وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له في بذل مجهوده ووعد لفقراء الأزواج لا لفقراء ذلك الوقت عموماً كما جوزه الزمخشري حيث قال: موعد لفقراء ذلك الوقت بفتح أبواب الرزق عليهم أو لفقراء الأزواج إن أنفقوا ما قدروا عليه ولم يقصروا.

يقول الفقير: لا بعد في ذلك من حيث أن القرآن ليس بمحصور ولا التفات في مثل هذا المقام إلى سوق الكلام قال البقلي: سيجعل الله بعد ضيق الصدر من الاهتمام بالرزق وإنفاقه سعة الصدر ويسر السخاء والطمأنينة والرضا بالله وأيضاً سيجعل الله بعد عسر الحجاب للمشتاقين يسر كشف النقاب وفي «التأويلات النجمية» يعني: كل ذي سعة مأمور بإنفاق ما يقدر على إنفاقه فالخفي المنفق عليه من جانب الحق ينفق على الروح من سعته والروح ينفق على السر من سعته والصدر ينفق على القلب من سعته والقلب ينفق على النفس من سعته والنفس ينفق على الصدر من سعته والصدر ينفق على الجسم من سعته ومن قدر عليه رزقه من الفيوض الإلهية فلينفق مما آتاه الله بحسب استعداده **﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها﴾** في استعدادها الأزلي، وقابليتها الغيبية، سيجعل الله بعد عسر انقطاع الفيض يسر اتصال الفيض **﴿وكأين من قرية﴾** بمعنى كم الخبرية في كونها للتكثير والقرية اسم للموضع الذي يجتمع فيه الناس والمعنى وكثير من أهل قرية وبالفارسية وبسيار ازاهل ديهي وشهري.

فهو من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ثم وصفه بصفته أو من المجاز العقلي والإسناد إلى المكان وهذه الآية تحذير للناس عن المخالفة في الأحكام المذكورة وتأكيد لإيجابها عليهم **﴿عتت عن أمر ربها ورسله﴾** قال في «المفردات»: العتو النبو عن الطاعة وفي «القاموس» عتا عتواً وعتياً وعتياً استكبر وجاوز الحد فهو عات وعتى انتهى. والعتو لا يتعدى بعن وإنما عدي بها لتضمينه معنى الإعراض كأنه قيل أعرضت عن أمر بها وأمر رسل ربها بسبب التجاوز عن الحد في التكبر والعناد وفي إيراده صفة الرب توبيخ لهم وتجهيل لما أن عصيان العبيد لربهم ومولاهم طغيان وجهل بشأن سيدهم ومالكهم وبمرتبة أنفسهم ودوام احتياجهم إليه في التربية قوله **﴿وكأين﴾** مبتدأ ومن قرية بيان له وعتت خبر المبتدأ **﴿فحاسبناها حساباً شديداً﴾** أي: ناقشناها في الحساب وضيقنا وشددنا عليها في الدنيا وأخذناها بدقائق ذنوبها وجرائمها من غير عفو بنحو القحط والجوع والأمراض والأوجاع والسيف وتسليط الأعداء عليها وغير ذلك من البلايا مقدماً معجلاً على استئصالها وذوقها العذاب الأكبر لترجع إلى الله تعالى، لأن البلاء كالسوط للسوق فلم تفعل ولم ترفع رأساً، فابتلاها الله بما فوق ذلك كما قال: **﴿وعذبناها عذاباً نكراً﴾** أي نكراً عظيماً هائلاً متنفراً عنه بالطبع لشدته وإيلامه أو غير متوقع فإنهم كانوا لا يتوقعونه ولو قيل لهم لما يصدقونه والقهر الغير المتوقع أشد ألماً واللطف الغير المتوقع أتم لذة وبالفارسية وعذاب كرديم ايشانرا عذابي جنانكه نديده بودند ونشناخته.

وهو العذاب العاجل بالاستئصال بنحو الإغراق والإحراق والريح والصيحة فالنكر الأمر الصعب الذي لا يعرف والإنكار ضد العرفان.

يقول الفقير: أضاف الله المحاسبة والتعذيب إلى نفسه مع أن سببهما كان العتو عن أمره وأمر رسله لأن الرسل كانوا فانين في الله فاتخذوا الله وكيلاً في جميع أمورهم وتركوا التصرف والتعرض للقهر ونحوه وذلك أنهم قد بعثوا بعد رسوخهم ولهذا صبروا على تكذيب أممهم لهم ولو بعثوا قبل الرسوخ ربما بطشوا بمن كذبهم وأهلكوه وقس عليهم أحوال الكمل من الأولياء.

﴿فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾﴾.

﴿فذاقت﴾ پس بچشيدند اهل آن ديه **﴿وبال أمرها﴾** أي: ضرر كفرها وثقل عقوبة معاصيها أي: أحسته إحساس الذائق المطعوم **﴿وكان عاقبة أمرها خسراً﴾** هائلاً لا خسر وراءه يعني زيانكاري وكدام زيان ازان بدتركه ازحيات ومنافع آن محروم شدند وبعقوبات مبتلى كشتند.

فتجارتهم خسارة لا ربح فيها لتضييعهم بضاعة العمر والصحة والفراغ بصرفها في المخالفات، قال في «المفردات»: الخسر والخسران انتقاص رأس المال وينسب إلى الإنسان فيقال خسر فلان وإلى الفعل فيقال خسرت تجارته ويستعمل ذلك في القنيات الخارجية كالمال والجاه في الدنيا وهو الأكثر وفي النفسية كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب وفي الآية إشارة إلى أهل قرية الوجود الإنساني وهو النفس والهوى وسائر القوى فإنها أعرضت عن حكم

الروح فلم تدخل في حكم الشريعة وكذا عن متابعة أمر القلب والسر والخفي فعذبت بعذاب الحجاب واستهلكت في بحر الدنيا وشهواتها ولذاتها وكان عاقبة أمرها خسران الضلالة ونيران الجهالة ﴿**أعد الله لهم**﴾ مع ذلك في الآخرة ولام لهم لام التخصيص لا لام النفع كما في قولهم دعا له في مقابلة دعا عليه ﴿**عذاباً شديداً**﴾ أي: قدره في علمه على حسب حكمته أو هيأ أسبابه في جهنم بحيث لا يوصف كنهه فهم أهل الحساب والعذاب في الدنيا والآخرة لا في الدنيا فقط فإن ما أصابهم، في الدنيا لم يكن كفارة لذنوبهم لعدم رجوعهم عن الكفر فعذبوا بعذاب الآخرة أيضاً، وهذا المعنى من قوله ﴿**فحاسبناها**﴾ إلى هنا هو اللائق بالنظم الكريم هكذا ألهمت به حين المطالعة ثم وجدت في «تفسير الكواشي» و«كشف الأسرار» و«أبي الليث» و«الأسئلة المقحمة» ما يدل على ذلك والحمد لله تعالى فلا حاجة إلى أن يقال فيه تقديماً وتأخيراً وأن المعنى إنا عذبناها عذاباً شديداً في الدنيا ونحاسبها حساباً شديداً في الآخرة على أن لفظ الماضي للتحقيق كأكثر ألفاظ القيامة فإن فيه وفي نحوه تكلفاً بيناً على ما ارتكبه من يعد من أجلاء المفسرين ودل قوله في الأثر «حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا» على أن المحاسبة عامة لما في الدارين وأن المراد بها في بعض المواضع هو التضييق والتشديد مطلقاً ﴿**فاتقوا الله يا أولي الألباب**﴾ أي: اعتبروا بحال الأمم الماضين من المنكرين المعاندين وما نزل بهم من العذاب، والوبال فاتقوا الله أوامره ونواهيه إن خلصت عقولكم من شوب الوهم فإن اللب هو العقل الخالص من شوائب الوهم وذلك بخلوص القلب من شوائب صفات النفس والرجوع إلى الفطرة الأولى وإذا خلص العقل من الوهم والقلب من النفس كان الإيمان يقينياً فلذلك وصفهم بقوله: ﴿**الذين آمنوا**﴾ أي: الإيمان التحقيقي اليقيني العياني الشهودي وفيه إشارة إلى أن منشأ التقوى هو الخلوص المذكور ولا ينافي ذلك زيادة الخلوص بالتقوى فكم من شي يكون سبباً لأصل شيء آخر ويكون سبباً في زيادته وقوته على ذلك الآخر وبكمال التقوى يحصل الخروج من قشر الوجود المجازي والدخول في لب الوجود الحقيقي والاتصاف بالإيمان العياني قال بعضهم: الذين آمنوا حقاً وصدقاً ويجوز أن يكون صفة كاشفة لا مقيدة فإنه لا يليق أن يعد غير المؤمنين من أولي الألباب اللهم إلا أن يراد باللب العقل العاري عن الضعف، بأي وجه كان من البلادة والبله والجنون وغيرها فتخصيص الأمر بالتقوى بالمؤمنين من بينهم لأنهم المنتفعون انتهى. والظاهر أن قوله ﴿**الذين آمنوا**﴾ مبتدأ خبره قوله تعالى: ﴿**قد أنزل الله إليكم**﴾ والخطاب من قبيل الالتفات ﴿**ذكراً**﴾ هو النبي عليه السلام كما بينه بأن أبدل منه قوله ﴿**رسولاً**﴾ وعبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه والتذكير به وعبر عن إرساله بالإنزال بطريق الترشيح أي: للتجوز فيه عليه السلام بالذكر أو لأنه مسبب عن إنزال الوحي إليه يعني: أن رسول الله شبه بالذكر الذي هو القرآن لشدة ملابسته به فأطلق عليه اسم المشبه به استعارة تصريحية وقرن به ما يلائم المستعار منه وهو الإنزال ترشيحاً لها أو مجازاً مرسلاً من قبيل إطلاق اسم السبب على المسبب فإن إنزال الوحي إليه عليه السلام، سبب لإرساله وقال بعضهم: إن التقدير ﴿**قد أنزل الله إليكم ذكراً**﴾ يعني: القرآن وأرسل إليكم رسولاً يعني: محمداً عليه السلام لكن الإيجاز اقتضى اختصار الفعل الناصب للرسول وقد دل عليه القرينة وهو قوله أنزل نظيره قوله علفتها تبناً وماء بارداً أي: وسقيتها ماء بارداً فيكون الوقف في ذكراً تاماً بخلافه، إذا كان بدلاً وقال القاشاني: قد أنزل الله إليكم ذكراً أي: فرقاناً مشتملاً على ذكر

الذات والصفات والأسماء والأفعال والمعاد رسولاً أي: روح القدس الذي أنزله به فأبدل منه بدل الاشتمال لأن إنزال الذكر هو إنزاله بالاتصال بالروح النبوي وإلقاء المعاني في القلب ﴿**يتلو**﴾ يقرأ ويعرض ﴿**عليكم**﴾ يا أولي الألباب أو يا أيها المؤمنون ﴿**آيات الله**﴾ أي: القرآن ﴿**مبينات**﴾ أي: حال كون تلك الآيات مبينات ومظهرات لكم ما تحتاجون إليه من الأحكام أو مبينات بالفتح بمعنى واضحات لإخفاء في معانيها عند الأهالي أو لا مرية في إعجازها عند البلغاء المنصفين وإنما يتلوها أو أنزله ﴿**ليخرج**﴾ الرسول ويخلص أو الله تعالى قال بعضهم: اللام متعلقة بأنزل لا بقوله يتلو لأن يتلو مذكور على سبيل التبعية دون أنزل ﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ الموصول عبارة عن المؤمنين بعد إنزاله وإلا فإخراج الموصوفين بالإيمان من الكفر لا يمكن إذ لا كفر فيهم حتى يخرجوا منه أي: ليحصل لهم الرسول ما هم عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح بإخراجهم عما كانوا عليه أو ليخرج الله من علم، أو قدر أنه سيؤمن ولم يقل ليخرجكم إظهاراً لشرف الإيمان والعمل الصالح وبياناً لسبب الإخراج وحثاً على التحقيق بهما ﴿**من الظلمات إلى النور**﴾ أي: من الضلالة إلى الهدى ومن الباطل إلى الحق ومن الجهل إلى العلم ومن الكفر إلى الإيمان ومن الشبهات إلى الدلالات والبراهين ومن الغفلة إلى اليقظة ومن الأنس بغير الله إلى الأنس بالله على طبقاتهم ودرجاتهم في السعي والاجتهاد بعناية الله تعالى، وفي «التأويلات النجمية»: ليخرج الذين آمنوا بالإيمان العلمي وعملوا الصالحات بمقتضى العلم الظاهر لا بمقتضى الحال من ظلمات التقييد بالأعمال والأحوال إلى نور الإطلاق برؤية فاعلية الحق في الأشياء انتهى.

يقول الفقير: إنما جمع الظلمات لتراكمها وتكاثفها ولكثرة أسبابها وأنواعها ولذا قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الأنعام: ٦٣] أي: شدائدهما فإنها كالظلمات وكذا الأعمال السيئة ظلمات يوم القيامة كما ورد في حق الظلم. ﴿**ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً**﴾ خالصاً من الرياء والتصنع والغرض وهو استئناف لبيان شرف الإيمان والعمل الصالح ونهاية أمر من اتصف بهما تنشيطاً وترغيباً لغير أهلهما لهما قال بعض الكبار: لو كان الإيمان بذاته يعطي مكارم الأخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا وقد توجد مكارم الأخلاق بدونه وللإيمان وللمكارم آثار ترجع على أصحابها في أي دار كان كما ورد في حق أبي طالب فإنه قال العباس رضي الله عنه، يا رسول الله إن أبا طالب كان يحوطك وينصرك فهل ينفعه ذلك، قال: نعم «ولولا أنا كان في الدرك الأسفل من النار» وكما رؤي أبو لهب في المنام وهو يمص ماء من إبهامه ليلة الاثنين لعتقه بعض جواريه حين بشرته بولادة رسول الله عليه السلام، وكما قيل: إنه عليه السلام لما عرج به اطلع على النار فرأى حظيرة فيها رجل لا تمسه النار فقال عليه السلام: «ما بال هذا الرجل في هذه الحظيرة لا تمسه النار، فقال جبريل عليه السلام: هذا حاتم طي صرف الله عنه عذاب جهنم بسخائه وجوده» كما في «أنيس الوحدة وجليس الخلوة» فإذا كانت المكارم بهذه المرتبة بلا إيمان فكيف مع إيمان وعطف العمل الصالح من الصلاة والزكاة وغيرهما على الإيمان الذي هو تصديق القلب عند المحققين والتصديق مع الإقرار عند البعض يفيد المغايرة على ما هو المذهب الأصح وهو كاف في دخول الجنة بوعد الله وكرمه في القول الحق المثبت بالأدلة القوية فذكر العلم الصالح بعده للاهتمام والحث عليه إخباراً بأن أهله يدخلون ابتداء بلا حساب أو بحساب يسير ﴿**يدخله جنات تجري من تحتها**﴾ أي من تحت

قصورها أو أشجارها ﴿الأنهار﴾ الأربعة المذكورة في سورة محمد عليه السلام ﴿خالدين فيها﴾ مقيمين في تلك الجنات دائمين فيها وهو حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها ﴿أبداً﴾ ظرف زمان بمعنى دائماً غير منقطع فيكون تأكيداً للخلود لئلا يتوهم أن المراد به المكث الطويل المنقطع آخراً ﴿قد أحسن الله له رزقاً﴾ حال أخرى منه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب لأن الجملة الخبرية إذا لم يحصل منها فائدة الخبر ولا لازمها تحمل على التعجب إذا اقتضاه المقام كأنه قيل ما أحسن رزقهم الذي رزقهم الله وما أعظمه فرزقاً ظاهره المفعولية لأحسن والتنوين للتعظيم لإعداده تعالى فيها ما هو خارج عن الوصف أو للتكثير عدداً لما فيه مما تشتهي الأنفس من الرزق والأنفس أو مدداً لأن أكلها دائم لا ينقطع ولا بعد في أن يكون له بمعنى إليه ويكون رزقاً تمييزاً بمعنى قد هيأ له وأعد ما يحسن إليه به من جهة الرزق، قال بعض الكبار: الجزاء على الأعمال في حق العارفين من عين المنة فهو جزاء العمل لا جزاء العامل فافهم قال في «الأسئلة المقحمة»: الظاهر أن الرزق الحسن مال في قدر الكفاية بلا زيادة تطغى ولا حاجة تنسى.

يقول الفقير: هذا التفسير ليس في محله لأن المراد رزق الآخرة كما دل عليه ما قبل الآية لا رزق الدنيا. وفي «التأويلات النجمية»: ومن يؤمن بالله إيماناً حقيقياً عينياً ويعمل عملاً صالحاً منزهاً عن رؤيته مقدساً عن نسبته إلى العامل المجازي يدخله جنات المكاشفات والمشاهدات والمعاينات والمحاضرات من غير الفترة الحجابية قد أحسن الله له رزقاً فرزق الروح بالتفريد ورزق القلب بالتجريد ورزق السر بالتوحيد ورزق الخفي بالفناء والبقاء.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

﴿الله الذي﴾ الخ. مبتدأ وخبر أي: الملك القادر الذي ﴿خلق سبع سماوات﴾ بيافريد هفت آسمان بعضي بالآي بعض.

نكرها للتعظيم المفيد لكمال قدرة صانعها أو لكفايته في المقصود من إثبات قدرته الكاملة على وفق حكمته الشاملة وذلك يحصل بإخبار خلقه تعالى سبع سماوات من غير نظر إلى التعيين ﴿ومن الأرض﴾ أي وخلق من الأرض ﴿مثلهن﴾ أي مثل السماوات السبع في العدد والطباق وبالفارسية وبيافريد از زمين مانند آسمانها بعضي در تحت بعض.

فقوله مثلهن منصوب بفعل مضمر بعد الواو دل عليه الناصب لسبع سماوات وليس بمعطوف على سبع سماوات لأنه يستلزم الفصل بين حرف العطف وهو صرف واحد وبين المعطوف بالجار والمجرور وصرح سيبويه وأبو علي بكراهيته في غير موضع الضرورة واختلف في كيفية طبقات الأرض فالجمهور على أنها سبع أرضين طباقاً بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض وفي كل أرض سكان من خلق الله وقال الضحاك: مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق وفرجة أي سواء كان بالبحار أو بغيرها بخلاف السماوات قال القرطبي: والأول الأصح لأن الإخبار دالة عليه كما روى البخاري وغيره من أن كعباً حلف بالذي فلق البحر لموسى أن صهيباً حدثه أن النبي عليه السلام، لم ير قرية يريد

دخولها إلا قال حين يراها «اللهم رب السماوات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك من خير هذه القرية وخير أهلها وخير من فيها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها».

وروى شيبان بن عبد الرحمن قتادة عن الحسن، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال بينما النبي عليه السلام جالس إذا أتى عليهم سحاب، فقال: هل تدرون ما هذا العنان قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: هذه زوايا الأرض يسوقها الله إلى قوم لا يشكرونه ولا يدعونه، ثم قال: هل تدرون ما الذي فوقكم قالوا الله ورسوله أعلم. قال: فإنها الرقيع سقف محفوظ وبحر مكفوف. ثم قال: هل تدرون ما بينكم وبينها قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: فوقها العرش وبينه وبين السماء كبعد ما بين سماءين أو كما قال: ثم قال: هل تدرون ما تحتكم قالوا الله ورسوله أعلم قال: الأرض وتحتها أرض أخرى بينهما خمسمائة عام، ثم قال: والذي نفس محمد بيده لو أنكم أدليتم بحبل لهبطتم على الله، ثم قرأ عليه السلام «﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّاهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]»، كما في «خريدة العجائب» وفي «المقاصد الحسنة» لو أنكم دليتم بحبل إلى الأرض السفلى لهبط على الله فسره بعض أهل العلم، فقال: إنما هبط على علم الله وقدرته وسلطانه وعلم الله وقدرته وسلطانه في كل مكان وهو على العرش كما وصف في كتابه انتهى.

قال شيخنا: معناه أن علم الله شمل جميع الأقطار فالتقدير لهبط على علم الله والله تعالى منزه عن الحلول في الأماكن فالله سبحانه كان قبل أن يحدث الأماكن انتهى كلام «المقاصد الحسنة»، قال بعض العارفين: فيه إشارة إلى أنه ما من جوهر في العالم العلوي والسفلي إلا وهو مرتبط بالحق ارتباط الرب بالمربوب وفي الحديث: «اجتمع أملاك عند الكعبة واحد نازل من السماء وواحد صاعد من الأرض السفلى وثالث من ناحية المشرق ورابع من ناحية المغرب فسأل كل واحد صاحبه من أين جئت فكلهم قالوا من عند الله ثم نرجع» ونقول فالأرض بعضها فوق بعض وغلظ كل أرض مسيرة خمسمائة عام وكذا ما بينهما على ما دل عليه حديث أبي هريرة وفي الحديث «من أخذ من الأرض شبراً بغير حقه خسف به يوم القيامة إلى سبع أرضين» قال ابن الملك: وفيه إشعار بأن الأرض في الآخرة أيضاً سبع طباق وفي «الكواشي» قيل ما في القرآن آية تدل على أن الأرضين سبع إلا هذه الآية وأن ما بين كل سماءين مسيرة خمسمائة عام وكذا غلظ كل سماء والأرضون مثل السماوات فكما أن في كل سماء نوعاً من الملائكة يسبحون الله ويقدسونه ويحمدونه فكذا لكل أرض أهل على صفة وهيئة عجيبة ولكل أرض اسم خاص كما أن لكل سماء اسماً خاصاً وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن نافع بن الأزرق سأله هل تحت الأرضين خلق، قال: نعم، قال: فما الخلق قال إما ملائكة أو جن وعن عطاء بن يسار في هذه الآية في كل أرض آدم كآدمكم ونوح مثل نوحكم وإبراهيم مثل إبراهيمكم وعيسى كعيساكم قالوا: معناه أن في كل أرض خلقاً لله لهم سادة يقومون عليهم مقام آدم ونوح وإبراهيم وعيسى فينا، قال السخاوي في «المقاصد الحسنة»: حديث الأرضون سبع في كل أرض من الخلق مثل ما في هذه حتى آدم كآدمكم وإبراهيم كإبراهيمكم هو مجهول إن صح نقله عن ابن عباس رضي الله عنهما على أنه أخذه عن الإسرائيليات أي: أقاويل بني إسرائيل مما ذكر في التوراة أو أخذه من علمائهم ومشايخهم كما في «شرح النخبة» وذلك

وأمثاله إذا لم يخبر به ويصح سنده إلى معصوم فهو مردود على قائله انتهى كلام «المقاصد» مع تفسير الإسرائيليات وقال في «إنسان العيون» قد جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿**ومن الأرض مثلهن**﴾ قال: «سبع أرضين في كل أرض نبي كنبيكم وآدم كآدمكم ونوح كنوحكم وإبراهيم كإبراهيمكم وعيسى كعيساكم» رواه الحاكم في «المستدرك» وقال صحيح الإسناد وقال البيهقي: إسناده صحيح لكنه شاذ بالمرة أي: لأنه لا يلزم من صحة الإسناد صحة المتن فقد يكون فيه مع صحة إسناده ما يمنع صحته فهو ضعيف قال الجلال السيوطي: ويمكن أن يؤول على أن المراد بهم النذر الذين كانوا يبلغون الجن عن أنبياء البشر ولا يبعد أن يسمى كل منهم باسم النبي الذي يبلغ عنه هذا كلامه وحينئذٍ كان لنبينا عليه السلام رسول من الجن اسمه كاسمه ولعل المراد اسمه المشهور وهو محمد فليتأمل انتهى ما في «إنسان العيون» ونظير هذا المقام قول حضرة الشيخ الشهير بأفتاده خطاباً لحضرة محمود الهدائي قدس سرهما: الآن عوالم كثيرة يتكلم فيها محمود وأفتاده كثير قال في «خريدة العجائب» وليس هذا القول أي خبر في كل أرض آدم الخ بأعجب من قول الفلاسفة أن الشموس شموس كثيرة والأقمار أقمار كثيرة ففي كل إقليم شمس وقمر ونجوم وقالت القدماء: الأرض سبع على المجاورة والملاصقة وافتراق الأقاليم لا على المطابقة والمكابسة وأهل النظر من المسلمين يميلون إلى هذا القول ومنهم من يرى أن الأرض سبع على الانخفاض والارتفاع كدرج المراقي.

وحكى الكلبي عن ابن صالح عن أبي عباس رضي الله عنهما أنها سبع أرضين متفرقة بالبحار يعني: الحائل بين كل أرض وأرض بحار لا يمكن قطعها ولا الوصول إلى الأرض الأخرى ولا تصل الدعوة إليهم وتظل الجميع السماء قال الماوردي: وعلى هذا أي وعلى أنها سبع أرضين وفي كل أرض سكان من خلق الله تختص دعوة الإسلام بأهل الأرض العليا دون من عداهم وإن كان فيهن من يعقل من خلق وفي مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان أحدهما: أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها وهذا قول من جعل الأرض مبسوطة والثاني: أنهم لا يشاهدون السماء وأن الله خلق لهم ضياء يشاهدونه وهذا قول من جعل الأرض كرة قال سعدي المفتي: وقد تؤول الآية تارة بالأقاليم السبعة أي: فتكون الدعوة شاملة لجميعها وتارة بطبقات العناصر القوابل بالنسبة إلى الأثيريات فهي أرضها التي ينزل عليها منها الصور الكائنة وهي النار الصرفة والطبقة الممتزجة من النار والهواء المسماة كرة الأثير التي فيها الشهب وذوات الأذناب وغيرها وطبقة الزمهرير وطبقة النسيم وطبقة الصعيد والماء المشحونة بالنسيم الشاملة للطبقة الطينية التي هي السادسة وطبقة الأرض الصرفة عند المركز وإن حملناها على مراتب الغيوب السبعة المذكورة من غيب القوى والنفس والعقل والسر والروح والخفي وغيب الغيوب أي عين جمع الذات فالأرضون هي الأعضاء السبعة المشهورة. وفي «التأويلات النجمية»: هي طبقات القلوب من الصدر والقلب والفؤاد والروع والشغاف والمهجة والروح وأراضي النفوس وهي النفس الأمارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والنفس المعدنية والنباتية والحيوانية ﴿**يتنزل الأمر**﴾ أي: أمر الله واللام عوض عن المضاف إليه ﴿**بينهن**﴾ أي: بين السماوات السبع والأرضين السبع والظاهر أن الجملة استئنافية للإخبار عن شمول جريان حكمه ونفوذ أمره في العلويات والسفليات كلها فالأمر عند الأكثرين القضاء والقدر بمعنى: يجري قضاؤه وينفذ حكمه بين السماء السابعة التي

هي أعلى السماوات وبين الأرض السابعة التي هي أسفل الأرضين ولا يقتضي ذلك أن لا يجري في العرش والكرسي لأن المقام اقتضى ذكر ما ذكره والتخصيص بالذكر لا يقتضي التخصيص بالحكم كذا قالوا.

يقول الفقير: تحقيق هذا المقام يستدعي تمهيد مقدمة وهي أنه استوى الأمر الإرادي الإيجادي على العرش كما استوى الأمر التكليفي الإرشادي على الشرع الذي هو مقلوب العرش والتجليات الإيجادية الأمرية المتنزلة بين السماوات السبع والأرضين السبع موقوفة على استواء أمر تمام حصول الأركان الأربعة على العرش وتلك الأمور الأربعة هي الحركة المعنوية الاسمائية والحركة النورية الروحانية والحركة الطبيعية المثالية والحركة الصورية الحسية وهي حركة العرش فالعرش مستوى أمره الإيجادي لا مستوى نفسه تعالى عن ذلك ومنه يتنزل الأمر الإلهي بينهن وهي التجليات الإلهية الدنيوية والبرزخية والحشرية والنيرانية والجنانية وكلها تجليات وجودية أشير إليها بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] وبقوله: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَاۚ﴾ [سبأ: ٢] وأما التجليات الشهودية فما كانت وتكون في الدنيا والآخرة لقلوب أهل الكمال وأرواحهم وأسرارهم من الأنبياء العظام والأولياء الكرام فمعنى الآية يتنزل أمر الله بالإيجاد والتكوين وترتيب النظام والتكميل بين كل سماء وأرض من جانب العرش العظيم أبداً دائماً لأن الله تعالى لم يزل ولا يزال خالقاً في الدنيا والآخرة فيفني ويعدم عوالم ويوجد ويظهر عوالم أخرى لا نهاية لشؤونه فهو كل يوم وآن في أمر وشأن بحسب مقتضيات استعدادات أهل العصر وموجبات قابليات أصحاب الزمان ﴿**لتعلموا أن الله على كل شيء قدير**﴾ متعلق بخلق أو يتنزل أو بما يعمهما أي: فعل ذلك لتعلموا أن من قدر على ما ذكر قادر على كل شيء ومنه البعث للحساب والجزاء فتطيعوا أمره وتقبلوا حكمه وتستعدوا لكسب السعادة والخلاص من الشقاوة واللام لام المصلحة والحكمة لأن فعله تعالى خال عن العبث.

روي عن الإمام الأعظم أنه قال: إن هذه الآية من أخوف الآيات في القرآن لا لام الغرض فإنه تعالى منزه عن الغرض إذ هو لمن له الاحتياج والله غني عن العالمين ﴿**وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً**﴾ كما أحاط قدرة لاستحالة صدور الأفاعيل المذكورة ممن ليس كذلك والإحاطة العلم البالغ وبالفارسية وبدرستي كه فرارسيده است بهمه چيزازروي علم يعني علم وقدرت أو محيط است بهمه اشيا از موجودات علمي وعيني هيچ چيز ازدائرهٔ علم وقدرت أو خارج نيست.

رمزيست زسرقدرتش كن فيكون	بادانش أو يكيست بيرون ودرون
درغيب وشهادة ذرهٔ نتوان يافت	از دائرهٔ قدرت وعلمش بيرون

ويجوز أن يكون العامل في اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الأمر أي أوحى ذلك وبيَّنه لتعلموا بما ذكر من الأمور التي تشاهدونها والتي تتلقونها من الوحي من عجائب المصنوعات أنه لا يخرج عن علمه وقدرته شيء ما أصلاً قوله: ﴿**علماً**﴾ نصب على التمييز أي: أحاط علمه بكل شيء كما في «عين المعاني» أو على المصدر المؤكد لأن المعنى وأن الله قد علم كل شيء علماً كما في «فتح الرحمن»، قال البقلي قدس سره: لو كان للإنسان قدرة المعرفة

كالأرواح لم يخاطبه بالعلل والاستدلال ليعلم برؤية الأشياء وجود الحق وكان كالأرواح في الخطاب بلا علة في تعريف نفسه إياها يقول ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: ١٧٢] إذ هناك خطاب وشهود وتعريف بغير علة فلما علم عجزه وهو في عالم الجسم عن حمل واردات الخطاب الصرف أحاله إلى الشواهد بقوله: ﴿خلق سبع سماوات﴾ الخ. وليس بعارف في الحقيقة من عرفه بشيء من الأشياء أو بسبب من الأسباب فمن نظر إلى خلق الكون يعرف أنه ذو قدرة واسعة وذو إحاطة شاملة ويخاف من قهره ويذوب قلبه بعلمه في رؤية اطلاع الحق عليه قال الشيخ نجم الدين في «تأويلاته» وفي هذه الآية الكريمة غوامض من أسرار القرآن مكنونة ويدل عليه قول ابن عباس رضي الله عنهما لما سئل عن هذه الآية وقال: لو فسرتها لقطعوا حلقومي ورجموني والمعنى الذي أشار إليه رضي الله عنه مما لا يعبر عنه ولا يشار إليه ولكن يذاق.

تمت سورة الطلاق بعون الله الملك الخلاق في خامس عشر جمادى الأولى
من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

٦٦ ـ سورة التحريم

اثنتا عشرة آية مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾﴾.

﴿يا أيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك﴾ أصل لم لما والاستفهام لإنكار التحريم وهو بالفارسية حرام كردن.

كما أن الإحلال حلال كردن.

روي أن النبي عليه السلام خلا بسريته مارية القبطية التي أهداها إليه المقوقس ملك مصر في يوم عائشة رضي الله عنها ونوبتها وعلمت بذلك حفصة رضي الله عنها فقال لها: اكتمي عليَّ ولا تعلمي عائشة فقد حرمت مارية على نفسي وأبشرك أن أبا بكر وعمر رضي الله عنهما يملكان بعدي أمر أمتي فأخبرت به عائشة رضي الله عنها ولم تكتم وكانتا متصادقتين متظاهرتين على سائر أزواج النبي عليه السلام، قال السهيلي رحمه الله: أمرها أن لا تخبر عائشة ولا سائر أزواجه بما رأت وكانت رأته في بيت مارية بنت شمعون القبطية أم ولده إبراهيم المتوفى في الثدي وهو ابن ثمانية عشر شهراً فخشي أن يلحقهن بذلك غيرة وأسر الحديث إلى حفصة فأفشته وقيل: خلا بها في يوم حفصة كما قال بعض أهل التفسير كان رسول الله عليه السلام يقسم بين نسائه فلما كان يوم حفصة بنت عمر بن الخطاب رضي الله عنه استأذنت رسول الله في زيارة أبيها فأذن لها فلما خرجت أرسل رسول الله إلى أم ولده مارية القبطية قال في «كشف الأسرار»: دربيرون مدينة در نخلستان در سرايي مقام داشت كه زنان رسول نمي خواستندكه درمدينه باايشان نشنيد وكاه كاه رسول خدا ازبره طهارت بيرون شدي واورا ديدي انتهى.

فأدخلها بيت حفصة فوقع عليها فلما رجعت حفصة وجدت الباب مغلقاً فجلست عند الباب فخرج رسول الله ووجهه يقطر عرقاً وحفصة تبكي فقال ما يبكيك فقالت: إنما أذنت لي من أجل هذا أدخلت أمتك بيتي ثم وقعت عليها في يومي على فراشي فلو رأيت لي حرمة وحقاً ما كنت تصنع هذا بامرأة منهن فقال رسول الله: أليس هي جاريتي أحلها الله لي اسكني فهي حرام علي ألتمس بذلك رضاك فلا تخبري بهذا امرأة منهن فلما خرج رسول الله قرعت حفصة الجدار الذي بينها وبين عائشة فقالت: ألا أبشرك أن رسول الله قد حرم عليه أمته مارية وقد أراحنا الله منها وأخبرت عائشة بما رأت فلم تكتم فطلقها رسول الله بطريق الجزاء على إفشاء سره واعتزل نساءه ومكث تسعاً وعشرين ليلة في بيت مارية قال أبو الليث: أقسم أن لا

يدخل عليهن شهراً من شدة مؤاخذته عليهن حتى نزلت الآية ودخل عمر رضي الله عنه على بنته حفصة وهي تبكي فقال: أطلقكن رسول الله فقالت: لا أدري هو ذا معتزلاً في هذه المشربة» وهي بفتح الراء وضمها الغرفة والعلية كما في «القاموس».

وروي أنه قال لها لو كان في آل الخطاب خير لما طلقك قال عمر: فأتيته عليه السلام فدخلت وسلمت عليه فإذا هو متكىء على رمل حصير قد أثر في جنبه فقلت: أطلقت نساءك يا رسول الله فقال: لا، فقلت: الله أكبر لو رأيتنا يا رسول الله وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة وجدنا قوماً تغلبهم نساؤهم وطفقن نساؤنا يتعلمن من نسائهم فتبسم رسول الله ﷺ وقال عمر للنبي عليه السلام لا تكترث بأمر نسائك والله معك وأبو بكر معك وأنا معك فنزلت الآية موافقة لقول عمر قالت عائشة رضي الله عنها: لما مضت تسع وعشرون ليلة دخل عليَّ رسول الله، فقلت يا رسول الله إنك أقسمت أن لا تدخل علينا وإنك قد دخلت في تسع وعشرين أعدهن فقال: إن الشهر تسع وعشرون وكان ذلك الشهر كذلك ونزل جبريل فقال لرسول الله: «عن أمر الله راجع حفصة فإنها صوامة قوامة وإنها لمن نسائك في الجنة» وكان تحته عليه السلام يومئذٍ تسع نسوة خمس من قريش عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أمية وسودة بنت زمعة وغير القرشيات زينب بنت جحش الأسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية.

ونقلست كه حضرت پيغمبر ﷺ عسل وشربت أو وهرچيزكه حلو باشد دوست داشتي وقتي زينب رضي الله عنها مقداري عسل داشت كه بعضي خويشان وي درمكه بطريق هديه فرستاده بودهركاه آن حضرت عليه السلام بخانهء وي آمدي زينب شربت فرمودي وآن حضرت راد خانهء وي بسبب آن توقف بيشتر واقع شدي آن حال بر بعضي أزواج طاهرات كران آمد عائشة وحفصة اتفاق نمودندكه چون آن حضرت بعد از آشاميدن شربت عسل درخانهء وي نزد هركدام ازمادر آيند كوييم ازتوبوي مغافير ميشنويم ومغفور بالضم صمغ درختيست كه عرفط خوانند ازدرختان باديه واكرچه شيرينست ولكن رايحهء كريهه دارد وحضرت بوي خوش دوست ميداشت براي مناجات ملك وازروايح ناخوش محترزمي بود پس آن حضرت روزي شربت آشاميد ونزد هركدام آمداز أزواج كفتند يا رسول الله ازشما رايحهء مغفور مي آيد وايشان درجواب فرمودندكه مغفور نخورده ام أما درخانهء زينب شربت عسل آشاميده ام كفتند جرست النحلة العرفط يعني إن تلك النحلة أكلت العرفط وبالفارسية زنبور آن عسل ازشكوفهء عرفط چريده بود والجرس خوردن منج چرارا.

وفي «القاموس» الجرس اللحس باللسان إمام زاهد رحمه الله آورده كه چون اين صورت مكرر وجود كرفت حضرت عليه السلام فرمود حرمت العسل على نفسي فوالله لا آكله أبداً وأين سوكند بدان خورد تاديكر كس ويرا ازان عسل نيارد فنزلت الآية قال ابن عطية: والقول الأول وهو أن الآية نزلت بسبب مارية أصح وأوضح وعليه تفقه الناس في الآية وقال في «كشف الأسرار» قصة العسل أسند كما قال في «اللبابين» إن هذا هو الأصح لأنه مذكور في «الصحيحين» انتهى. وقصة مارية أشبه ومعنى الآية ﴿**لم تحرم ما أحل الله لك**﴾ من ملك اليمين أو من العسل أي: تمتنع من الانتفاع به مع اعتقاد كونه حلالاً لك لأن اعتقاد كونه حراماً بعد ما

أحل الله مما لا يتصور من عوام المؤمنين فكيف من الأنبياء قال الفقهاء: من اعتقد من عند نفسه حرمة شيء قد أحله الله فقد كفر إذ ما أحله الله لا يحرم إلا بتحريم الله إياه بنظم القرآن أو بوحي غير متلو والله تعالى إنما أحل لحكمة ومصلحة عرفها في إحلاله فإذا حرم العبد كان ذلك قلب المصلحة مفسدة ﴿تبتغي مرضاة أزواجك﴾ الابتغاء جستن.

والمرضاة مصدر كالرضا وفي بعض التفاسير: اسم مصدر من الرضوان قلبت واوها ألفاً والأزواج جمع زوج فإنه يطلق على المرأة أيضاً بل هو الفصيح كما قال في «المفردات» وزوجة لغة رديئة وجمع الأزواج مع أن من أرضاها النبي عليه السلام في هذه القصة عائشة وحفصة رضي الله عنهما إما لأن إرضاءهما في الأمر المذكور إرضاء لكلهنَّ أو لأن النساء في طبقة واحدة في مثل تلك الغيرة لأنهن جبلن عليها على أنه مضى ما مضى من قول السهيلي أو لأن الجمع قد يطلق على الاثنين أو للتحذير عن إرضاء من تطلب منه عليه السلام ما لا يحسن وتلح عليه أيتهن كان لأنه عليه السلام كان حيياً كريماً والجملة حال من ضمير تحرم أي: حال كونك مبتغياً وطالباً لرضا أزواجك والحال أنهن أحق بابتغاء رضاك منك فإنما فضيلتهن بك فالإنكار وارد على مجموع القيد والمقيد دفعة واحدة فمجموع الابتغاء والتحريم منكر نظيره قوله تعالى: ﴿لَا تَأْكُلُوا۟ ٱلرِّبَوٰٓا۟ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠] وفيه إشارة إلى فضل مارية والعسل وفي الحديث: «أول نعمة ترفع من الأرض العسل» وقد بين في سورة النحل ﴿والله غفور﴾ مبالغ في الغفران قد غفر لك وستر ما فعلت من التحريم وقصدت من الرضا لأن الامتناع من الانتفاع بإحسان المولى الكريم يشبه عدم قبول إحسانه ﴿رحيم﴾ قد رحمك ولم يؤاخذك به وإنما عاتبك محافظة على عصمتك.

وقال الكاشفي: مهربان كه كفارت سوكند توفرمود قال في «كشف الأسرار» هذا أشد ما عوتب به رسول الله في القرآن وقال البقلي: أدب الله نبيه أن لا يستبد برأيه ويتبع ما يوحى إليه كما قال بعض المشايخ في قوله ﴿لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٠٥] أن المراد به الوحي الذي يوحى به إليه لا ما يراه في رأيه فإن الله قد عاتبه لما حرم على نفسه ما حرم في قصة عائشة وحفصة فلو كان الدين بالرأي لكان رأي رسول الله أولى من كل رأي انتهى كلام ذلك البعض وفيه بيان أن من شغله شيء من دون الله وصل إليه منه ضرب لا تبرأ جراحته إلا بالله لذلك قال عقيب الآية ﴿والله غفور رحيم﴾ قال ابن عطاء لما نزلت هذه الآية على النبي عليه السلام كان يدعو دائماً ويقول: «اللهم إني أعوذ بك من كل قاطع يقطعني عنك».

آزرده است كوشه نشين از وداع خلق غافل كه اتصال حقست انقطاع خلق

﴿قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم﴾ الفرض هنا بمعنى الشرع والتبيين كما دل عليه لكم فإن فرض بمعنى أوجب إنما يتعدى بعلى والتحلة مصدر حلل بتضعيف العين بمعنى التحليل أصله تحللة كتكرمة وتعلة تبصرة وتذكرة من كرم وعلل وبصر وذكر بمعنى التكريم التعليل والتبصير والتذكير إلا أن هذا المصدر من الصحيح خارج عن القياس فإنه من المعتل اللام نحو سمى تسمية أو مهموز اللام مثل جزأ تجزئة والمراد تحليل اليمين كان اليمين عقد والكفارة حل يقال: حلل اليمين تحليلاً، كفرها أي: فعل ما يوجب الحنث وتحلل في يمينه استثنى وقال: إن شاء الله وقوله عليه السلام: «لا يموت لرجل ثلاثة أولاد فتمسه النار إلا تحلة القسم» أي: قدر ما يقول إن شاء الله» كما في «المفردات» أو قدر ما يبر الله قسمه فيه بقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] قال

في «تاج المصادر»: قوله فعلته تحلة القسم أي: لم أفعله إلا بقدر ما حللت به يميني أن لا أفعله ولم أبالغ ثم قيل لكل شيء لم يبالغ فيه تحليل يقال: ضربته تحليلاً والباب يدل على فتح الشيء ومعنى الكفارة الإطعام أو الكسوة أو العتق أو الصوم على ما مر تفصيله في سورة المائدة ومعنى الآية شرع الله لكم تحليل أيمانكم وبين لكم ما تنحل به عقدتها من الكفارة وهي المرادة هاهنا لا الاستثناء أي: أن يقول إن شاء الله متصلاً حتى لا يحنث فإن الاستثناء المتصل ما كان مانعاً من انعقاد اليمين جعل كالحل فالتحليل لما عقدته الإيمان بالكفارة أو بالاستثناء وبالفارسية بدرستي كه بيان كرد خداي تعالى براي شما فرو كشادن سوكند هاي شمرا بكفارت يعني آنچه بسو كند ببنديد بكفارت توان كشاد.

قال في «الهداية»: ومن حرم على نفسه شيئاً مما يملكه لم يصر محرماً وعليه إن استباحه وأقدم عليه كفارة فتحريم الحلال يمين عند أبي حنيفة رحمه الله ويعتبر الانتفاع المقصود فيما يحرمه فإذا حرم طعاماً فقد حلف على أكله أو أمة فعلى وطئها قال ابن عباس رضي الله عنهما: التحريم هو اليمين فلو قال لامرأته أنت على حرام فلو نوى الطلاق طلقت وإن نوى اليمين كان يميناً وإن أراد الكذب لم يقع شيء وكذا لو حرم طعاماً على نفسه ونوى اليمين كان يميناً خلافاً للشافعي كما في «عين المعاني» وقال بعضهم: لم يثبت عن رسول الله ﷺ أنه قال لما أحله الله هو حرام عليَّ وإنما امتنع عن مارية ليمين تقدمت منه وهو قوله والله لا أقربها بعد اليوم فقيل له: لم تحرم ما أحل الله لك أي: لم تمنع منه بسب اليمين يعني أقدم على ما حلفت عليه وكفر عن يمينك وظاهر قوله تعالى: ﴿**قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم**﴾ أنه كانت منه يمين فإن قلت: هل كفر رسول الله لذلك قلت: عن الحسن البصري قدس سره: أنه لم يكفر لأنه كان مغفوراً له ما تقدم من ذنبه وما تأخر وإنما هو تعليم للمؤمنين وعن مقاتل أنه أعتق رقبة في تحريم مارية وعاودها لأنه لا ينافي كونه مغفوراً له أن يكفر فهو والأمة سواء في الأحكام ظاهراً ﴿**والله مولاكم**﴾ سيدكم ومتولي أموركم ﴿**وهو العليم**﴾ بما يصلحكم فيشرعه لكم.

﴿**الحكيم**﴾ المتقن في أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولا ينهاكم إلا حسبما تقتضيه الحكمة.

﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍۖ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَاۖ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾﴾

﴿**وإذ أسرَّ النبي**﴾ الإسرار خلاف الإعلان ويستعمل في الأعيان والمعاني والسر: هو الحديث المكتتم في النفس وأسررت إلى فلان حديثاً أفضيت به إليه في خفية فالإسرار إلى الغير يقتضي إظهار ذلك لمن يفضي إليه بالسر وإن كان يقتضي إخفاءه من غيره فإذا قولهم أسررت إلى فلان يقتضي من وجه الإظهار ومن وجه الإخفاء والنبي رسول الله عليه السلام فإن اللام للعهد وإذ ظرف أي: اذكر الحادث وقت الإسرار والأكثر المشهور أنه مفعول أي: واذكر يا محمد وقت إسرار النبي وإخفائه على وجه التأنيب والتعتب أو واذكروا أيها المؤمنون فالخطاب إن كان له عليه السلام، فالإظهار في مقام الإضمار بأن قيل وإذ أسررت للتعظيم بإيراد وصف ينبىء عن وجوب رعاية حرمته ولزوم حماية حرمه عما يكرهه وإن كان لغيره عموماً على الاشتراك أو خصوصاً على الانفراد فذكره بوصف النبي للإشعار بصدقه في دعوى النبوة ﴿**إلى بعض أزواجه**﴾ وهي حفصة رضي الله عنها تزوجها النبي عليه السلام، في شعبان على رأس

ثلاثين شهراً من الهجرة قبل أحد بشهرين وكان ولادتها قبل النبوة بخمس سنين وقريش تبني البيت وماتت بالمدينة في شعبان سنة خمس وأربعين وصلى عليها مروان بن الحكم وهو أمير المدينة يومئذ وحمل سريرها وحمله أيضاً أبو هريرة وقد بلغت ثلاثاً وستين سنة وأبو حفص أبوها عمر رضي الله عنه كناه به رسول الله عليه السلام، والحفص ولد الأسد ﴿**حديثاً**﴾ قال الراغب: كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقال له حديث والمراد حديث تحريم مارية أو العسل أو أمر الخلافة قال سعدي المفتي فيه أن تحريم العسل ليس مما أسر إلى حفصة بل كان ذلك عند عائشة وسودة وصفية رضي الله عنهن ﴿**فلما نبأت به**﴾ أي: أخبرت حفصة صاحبتها التي هي عائشة بالحديث الذي أسره إليها رسول الله ﷺ وأفشته إليها ﴿**وأظهره الله عليه**﴾ أي: أطلع الله النبي على إفشاء حفصة ذلك الحديث على لسان جبريل فالضمير راجع إلى الحديث بتقدير المضاف وأظهر ضمن معنى أطلع من ظهر فلان السطح إذا علاه وحقيقته صار على ظهره وأظهره على السطح أي: رفعه عليه فاستعير للإطلاع على الشيء وهو من باب الإفعال بمعنى بررسانيدن كسي را برنهاني وديده وركردانيدن.

قال الراغب: ظهر الشيء أصله أن يحصل شيء على ظهر الأرض فلا يخفى وبطن إذا حصل في بطنان الأرض فيخفى ثم صار مستعملاً في كل بارز للبصر والبصيرة ﴿**عرف**﴾ النبي حفصة والتعريف بالفارسية بيا كاهيدن ﴿**بعضه**﴾ أي: بعض الحديث الذي أفشته إلى صاحبتها على طريق العتاب بأن قال لها: ألم آكَ أمرتك أن تكتمي سري ولا تبديه لأحد وهو حديث الإمامة.

روي أنه عليه السلام لما عاتبها قالت: والذي بعثك بالحق ما ملكت نفسي فرحاً بالكرامة التي خص الله بها أباها وبعض الشيء جزء منه ﴿**وأعرض عن بعض**﴾ أي: عن تعريف بعض تكرماً وهو حديث مارية وقال بعضهم: عرف تحريم الأمة وأعرض عن تعريف أمر الخلافة كراهة أن ينتشر ذلك في الناس وتكرماً منه وحلماً وفيه جواز إظهار الشيوخ الفراسة والكرامات لمريديهم لتزيد رغبتهم في الطريقة وفيه حث على ترك الاستقصاء فيما جرى من ترك الأدب فإنه صفة الكرام قال الحسن البصري قدس سره: ما استقصى كريم قط وقال بعضهم: ما زال التغافل من فعل الكرام ﴿**فلما نبأها به**﴾ أي: أخبر النبي حفصة بالحديث الذي أفشته بما أظهره الله عليه من أنها أفشت سره ﴿**قالت من أنبأك هذا**﴾ من أخبرك عني هذا تعني إفشاءها للحديث ظنت أن عائشة أخبرته وفيه تعجب واستبعاد من إخبار عائشة بذلك لأنها أوصتها بالكتم ولم يقل من نبأك ليوافق ما قبله للتفنن ﴿**قال**﴾ النبي عليه السلام ﴿**نبأني**﴾ بفتح ياء المتكلم ﴿**العليم الخبير**﴾ الذي لا يخفى عليه خافية فسكتت وسلمت ونبأ أيضاً من قبيل التفنن يقال: إن أنبأ ونبأ يتعديان إلى مفعولين إلى الأول بنفسهما وإلى الثاني بالباء قد يحذف الأول للعلم به وقد يحذف الجار ويتعدى الفعل إلى الثاني بنفسه أيضاً، فقوله تعالى: ﴿**فلما نبأها به**﴾ على الاستعمال الأول وقوله: فلما نبأت به على الاستعمال الثاني وقوله: من أنبأك على الاستعمال الثالث وقوله: العلم هو العالم والعلام من أسمائه سبحانه ومن أدب من علم أنه سبحانه عالم بكل شيء حتى بخطرات الضمائر ووساوس الخواطر أن يستحيي منه ويكف عن معاصيه ولا يغتر بجميل ستره ويخشى بغتات قهره ومفاجأة مكره وعن بعضهم أنه قال: كنت جائعاً، فقلت لبعض معارفي إني جائع فلم يطعمني شيئاً فمضيت فوجدت درهماً ملقى في الطريق فرفعته فإذا

عليه مكتوب أما كان الله عالماً بجوعك حتى طلبت من غيره والخبير بمعنى العليم، وقال الإمام الغزالي قدس سره: إذا اعتبر العلم المطلق فهو العليم مطلقاً وإذا أضيف إلى الغيب والأمور الباطنة فهو الخبير وإذا أضيف إلى الأمور الظاهرة فهو الشهيد وإذا علم العبد أنه تعالى خبير بأفعاله مطلع على سره علم أنه تعالى أحصى عليه جميع ما عمله أو أخفى في عمله وإن كان هو قد نسيه فيخجل خجلاً يكاد يهلكه.

حكي أن رجلاً تفكر يوماً فقال عمري كذا كذا سنة يكون كذا كذا شهراً يكون منها كذا كذا يوماً فبلغ عمره من الأيام ألوفاً كثيرة فقال: لو لم أعص الله كل يوم إلا معصية واحدة لكان في ديوان عملي كذا كذا ألف معصية وإني في كل يوم عملت كثيراً من المعاصي ثم صاح وفارق الدنيا.

يقول الفقير:

مذنبم كرچه ولي رب غفوريم كرست بمن افناده دهد از كرمش شايد دست

﴿إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾.

﴿إن تتوبا إلى الله﴾ خطاب لحفصة وعائشة رضي الله عنهما فالالتفات من الغيبة إلى الخطاب للمبالغة في الخطاب لكن العتاب يكون للأولياء كما أن العقاب يكون للأعداء كما قيل:

إذا ذهب العتاب فليس ود ويبقى الود ما بقي العتاب

ففيه إرادة خير لحفظة وعائشة بإرشادهما إلى ما هو أوضح لهما **﴿فقد صغت قلوبكما﴾** الفاء للتعليل كما في قولك اعبد ربك فالعبادة حق وإلا فالجزاء يجب أن يكون مرتباً على الشرط مسبباً عنه وصغو قلبيهما كان سابقاً على الشرط وكذا الكلام في **﴿وإن تظاهرا﴾** الخ والمعنى فقد وجد منكما ما يوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله وحب ما يحبه وكراهة ما يكرهه من صغا يصغو صغواً مال وأصغى إليه مال بسمعه قال الشاعر:

تصغي القلوب إلى أغر مبارك من آل عباس بن عبد المطلب

وجمع القلوب لئلا يجمع بين تثنيتين في كلمة فراراً من اجتماع المتجانسين وربما جمع **﴿وإن تظاهرا عليه﴾** بإسقاط إحدى التاءين وهو تفاعل من الظهر لأنه أقوى الأعضاء أي: تتعاونا على النبي عليه السلام، بما يسوءه من الإفراط في الغيرة وإفشاء سره وكانت كل منكما ظهراً لصاحبتها فيه **﴿فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين﴾** قوله هو مبتدأ ثان جيء به لتقوي الحكم لا للحصر وإلا لانحصرت الولاية له عليه السلام، في الله تعالى فلا يصح عطف ما بعده عليه وقوله وجبريل عطف على موضع اسم إن بعد استكمالها خبرها وكذا قوله **﴿وصالح المؤمنين﴾** وإليه مال السجاوندي رحمه الله إذ وضع علامة الوقف على المؤمنين والظاهر أن صالح مفرد ولذلك كتبت الحاء بدون واو الجمع ومنهم من جوز كونه جمعاً بالواو والنون وحذفت النون بالإضافة وسقطت واو الجمع في التلفظ لالتقاء الساكنين وسقطت في

الكتابة أيضاً حملاً للكتابة على اللفظ نحو يمح الله الباطل ويدع الإنسان وسندع الزبانية إلى غير ذلك والمعنى فلن يعدم هو أي النبي عليه السلام، من يظاهره فإن الله هو ناصره وجبريل رئيس الملائكة المقربين قرينه ورفيقه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه فيكون جبريل وما بعده أي: على تقدير العطف داخلين في الولاية لرسول الله ويكون جبريل أيضاً ظهيراً له بدخوله في عموم الملائكة ويجوز أن يكون الكلام قد تم عند قوله مولاه ويكون جبريل مبتدأ وما بعده عطفاً عليه وظهير خبر للجميع تختص الولاية بالله قال ابن عباس رضي الله عنهما: أراد بصالح المؤمنين أبا بكر وعمر رضي الله عنهما قال في «الإرشاد» هو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة فإنه جمع بين الظهير المعنوي والظهير الصوري كيف لا وإن جبريل ظهيره يؤيده بالتأييدات الإلهية وهما وزيراه في تدبير أمور الرسالة وتمشية الأحكام ظاهرة ومعاون آن حضرت كه رضاي أو بررضاي فرزندان خود ايثاركنند.

ولأن بيان مظاهرتهما له عليه السلام، أشده تأثيراً في قلوب بنتيهما وتوهيناً لأمرهما فكان حقيقاً بالتقديم بخلاف ما إذا أريد به جنس الصالحين كما هو المشهور وعن بعضهم إن المراد بصالح المؤمنين الأصحاب أو خيارهم وعن مجاهد هو علي رضي الله عنه، يقول الفقير: يؤيده قوله عليه السلام يا علي أنت مني بمنزلة هارون من موسى فإن الصالحين الأنبياء هم عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٢] وقال حكاية عن يوسف الصديق عليه السلام، ﴿وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ [يوسف: ١٠١] فإذا كان علي بمنزلة هارون فهو صالح مثله وقال السهيلي رحمه الله: لفظ الآية عام فالأولى حملها على العموم قال الراغب: الصلاح ضد الفساد الذي هو خروج الشيء عن الاعتدال والانتفاع قل أو كثر وهما مختصان في أكثر الاستعمال بالأفعال وقوبل الصلاح في القرآن تارة بالفساد وتارة بالسيئة.

وروي أن رجلاً قال لإبراهيم بن أدهم قدس سره: إن الناس يقولون لي صالح فبم أعرف أني صالح فقال: اعرض أعمالك في السر على الصالحين فإن قبلوها واستحسنوها فاعلم أنك صالح وإلا فلا وهذا من كلم الحكمة. **﴿والملائكة﴾** مع تكاثر عددهم وامتلاء السماوات من جموعهم.

وقال الكاشفي: وتمام فرشتكان آسمان وزمين **﴿بعد ذلك﴾** أي: بعد نصرة الله وناموسه الأعظم وصالح المؤمنين وفيه تعظيم لنصرتهم لأنها من الخوارق كما وقعت في بدر ولا يلزم منه أفضلية الملائكة على البشر **﴿ظهير﴾** خبر والملائكة والجملة معطوفة على جملة **﴿فإن الله هو مولاه﴾** وما عطف عليه أي: فوج مظاهر له معين كأنهم يد واحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه وما ينبىء عنه قوله تعالى: **﴿بعد ذلك﴾** من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث أن نصرة الكل نصرة الله بهم وبمظاهرتهم أفضل من سائر وجوه نصرته يعني: أن نصرة الله إما نصرة ذاتية بلا آلة ولا سبب أو نصرة بتوسط مخلوقاته والثاني: يتفاوت بحسب تفاوت قدرة المخلوقات وقوتهم ونصرة الملائكة أعظم وأبعد رتبة بالنسبة إلى سائر المخلوقات على حسب تفاوت قدرتهم وقوتهم فإنه تعالى مكن الملائكة على ما لم يمكن الإنسان عليه فالمراد بالبعدية ما كان بحسب الرتبة لا الزمان بأن يكون مظاهرة الملائكة أعظم بالنسبة إلى نصرة المؤمنين وجبريل دخل في عموم الملائكة ولا يخفى أن نصرة جميع الملائكة وفيهم جبريل أقوى من نصرة جبريل وحده قال في «الإرشاد»: هذا ما قالوا

ولعل الأنسب أن يجعل ذلك إشارة إلى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركاً لما يوهمه الترتيب من أفضلية المقدم أي: في نصرة فكأنه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه السلام، إيذاناً بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبراً لفصلها عن مظاهرة جبريل، قال بعضهم: لعل ذكر غير الله مع أن الإخبار بكونه تعالى مولاه كافٍ في تهديدهما لتذكير كمال رفعة شأن النبي عليه السلام، عند الله وعند الناس وعند الملائكة أجمعين.

يقول الفقير أيده الله القدير: هذا ما قالوا والظاهر أن الله تعالى مع كفاية نصرته ذكر بعد نفسه من كان أقوى في نصرته عليه السلام، من المخلوقات لكون المقام مقام التظاهر لكون عائشة وحفصة متظاهرتين وزاد في الظهير لكون المقام مقام التهديد أيضاً وقدم جبريل على الصلحاء لكونه أول نصير له عليه السلام، من المخلوقات وسفيراً بينه وبين الله تعالى وقدم الصلحاء على الملائكة لفضلهم عليه في باب النصرة لأن نصرة الملائكة نصرة بالفعل القالبي ونصرة الصلحاء نصرة به وبالهمة وهي أشد وما يفيده البعدية من أفضلية تظاهرهم على تظاهر الصلحاء فمن حيث الظاهر إذ هم أقدر على الأفعال الشاقة من البشر فاقتضى مقام التهديد ذكر البعدية وفي قوله ﴿**وصالح المؤمنين**﴾ إشارة إلى غريبة أطلعني الله تعالى عليها وهي أن صالحاً اسم النبي عليه السلام، كما في «المفردات»، فإن قلت كيف هو ونصرة النبي لنفسه محال قلت هذه نصرة من مقام ملكيته لمقام بشريته ومن مقام جمعه لمقام فرقه ومن مقام ولايته لمقام نبوته كالتسليم في قوله السلام عليك أيها النبي إن صح أنه عليه السلام، قال في تشهده ونظيره نصرة موسى عليه السلام لنفسه حين فر من القبط كما قال ففررت منكم وذلك لأن فيه نصرة نفسه الناطقة لنفسه الحيوانية وفيه إشارة أيضاً إلى القلب والقوى الروحانية المنصورة على النفس بتأييد الله تعالى وتأييد ملك الإلهام قال بعض الكبار ليس في العالم أعظم قوة من المرأة بسر لا يعرفه إلا من عرف فيم وجد العالم وبأي حركة أوجده الحق تعالى وإنه عن مقدمتين فإنه نتيجة والناتج طالب والطالب مفتقر والمنتوج مطلوب والمطلوب له عزة الافتقار إليه والشهوة في ذلك غالبة فقد بان لك محل المرأة من الموجودات وما الذي ينظر إليها من الخضرة الإلهية وبماذا كانت لها القوة وقد نبه تعالى على ما خصها به من القوة بقوله ﴿**وإن تظاهرا**﴾ الخ وما ذكر إلا معيناً قوياً من الملائكة الذين لهم الشدة والقوة فإن صالح المؤمنين يفعل بالهمة وهو أقوى من الفعل فإن فهمت فقد رميت بك على الطريق فإنه تعالى نزل الملائكة بعد ذكره نفسه وجبريل وصالح المؤمنين منزلة المعينين ولا قوة إلا بالله وقد أخبر الشيخ أفضل الدين الأحمدي قدس سره: أنه تفكر ذات ليلة في قوله تعالى ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] قال فقلت أين المنازع الذي يحتاج في مقاتلته إلى جنود السماوات والأرض وقد قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٧] وإذا كان هؤلاء جنوده فمن يقاتلون وما خرج عنهم شخص واحد فإذا بهاتف يقول لي لا تعجب فثمة ما هو أعجب فقلت: وما هو فقال: الذي قصه الله في حق عائشة وحفصة قلت: وما قص فتلا ﴿**وإن تظاهرا**﴾ الخ فهذا أعجب من ذكر الجنود انتهى. قال: فتحرك خاطري إلى معرفة هذه العظمة التي جعل الله نفسه في مقابلتها وجبريل وصالح المؤمنين فأخبرت بها في واقعة فما سررت بشيء سروري بمعرفة ذلك وعلمت من استندنا إليه ومن يقويهما وعلمت أن الله تعالى لولا ذكر نفسه في النصرة ما استطاعت

الملائكة والمؤمنون مقاومتهما وعلمت أنهما حصل لهما من العلم بالله والتأثير في العالم ما أعطاهما هذه القوة وهذا من العلم الذي كهيئة المكنون فشكرت الله على ما أولى انتهى. وكان الشيخ علي الخواص قدس سره يقول: ما أظن أحداً من الخلق استند إلى ما استند إليه هاتان المرأتان يقول لوط عليه السلام: ﴿لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِيَ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] فكان عنده والله الركن الشديد ولكن لم يعرفه وعرفتاه عائشة وحفصة فلم يعرف قدر النساء لا سيما عائشة وحفصة إلا قليل فإن النساء من حيث هن لهن القوة العظيمة حتى إن أقوى الملائكة المخلوقة من أنفاس العامة الزكية من كان مخلوقاً من أنفاس النساء ولو لم يكن في شرفهن إلا استدعاؤهن أعظم ملوك الدنيا كهيئة السجود لهن عند الجماع لكان في ذلك كفاية فإن السجود أشرف حالات العبد في الصلاة ولولا الخوف من إثارة أمر في نفوس السامعين يؤديهم إلى أمور يكون فيها حجابهم عما دعاهم الحق تعالى إليه لأظهرت من ذلك عجباً ولكن لذلك أهل والله عليم وخبير ﴿**عسى ربه**﴾ سزاست وشايد پروردكار او. يعني النبي عليه السلام ﴿**إن طلقكن**﴾ اكر طلاق دهدشماراكه زنان اوييد.

وهو شرط معترض بين اسم عسى وخبرها وجوابه محذوف أو متقدم أي: طلقكن فعسى ﴿**أن يبدله**﴾ أي: يعطيه عليه السلام بدلكن ﴿**أزواجاً**﴾ مفعول ثان ليبدله وقوله ﴿**خيراً منكن**﴾ صفة للأزواج وكذا ما بعده من قوله مسلمات إلى ثيبات وفيه تغليب المخاطب على الغائبات فالتقدير إن طلقكما وغيركما أو تعميم الخطاب لكل الأزواج بأن يكن كلهن مخاطبات لما عاتبهما بأنه قد صغت قلوبكما وذلك يوجب التوبة شرع في تخويفهما بأن ذكر لهما أنه عليه السلام يحتمل أن يطلقكما ثم إنه إن طلقكما لا يعود ضرر ذلك إلا إليكما لأنه يبدله أزواجاً خيراً منكما وليس في الآية ما يدل على أنه عليه السلام، لم يطلق حفصة وأن في النساء خيراً منهن فإن تعليق الطلاق للكل لا ينافي تطليق واحدة وما علق بما لم يقع لا يجب وقوعه يعني: إن هذه الخيرية لما علقت بما لم يقع لم تكن واقعة في نفسها وكان الله عالماً بأنه عليه السلام، لا يطلقهن ولكن تأخير عن قدرته على أنه إن طلقهن أبدله خيراً منهن تخويفاً لهن كقوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَٰلَكُم﴾ [محمد: ٣٨] فإنه إخبار عن القدرة وتخويف لهم لا أن في الوجود من هو خير من أصحاب محمد عليه السلام، قيل: كل عسى في القرآن واجب إلا هذا وقيل هو أيضاً واجب ولكن الله علقه بشرط وهو التطليق ولم يطلقهن فإن المذهب أنه ليس على وجه الأرض نساء خير من أمهات المؤمنين إلا أنه عليه السلام، إذا طلقهن لعصيانهن له وأذاهن إياه كان غيرهن من الموصوفات بهذه الصفات مع الطاعة لرسول الله خيراً منهن وفي «فتح الرحمن» عسى تكون للوجوب في ألفاظ القرآن إلا في موضعين أحدهما: في سورة محمد ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾ [محمد: ٢٢] أي علمتم أو تمنيتم والثاني: هنا ليس بواجب لأن الطلاق معلق بالشرط فلما لم يوجد الشرط لم يوجد الإبدال ﴿**مسلمات مؤمنات**﴾ مقرات باللسان مخلصات بالجنان فليس من قبيل التكرار أو منقادات انقياد ظاهرياً بالجوارح مصدقات بالقلوب ﴿**قانتات**﴾ مطيعات أي: مواظبات على الطاعة أو مصليات ﴿**تائبات**﴾ من الذنوب ﴿**عابدات**﴾ متعبدات أو متذللات لأمر الرسول عليه السلام، ﴿**سائحات**﴾ صائمات سمي الصائم سائحاً لأنه يسيح في النهار بلا زاد فلا يزال ممسكاً إلى أن يجد ما يطعمه فشبه به الصائم في إمساكه إلى أن يجيء وقت إفطاره وقال بعضهم: الصوم ضربان صوم حقيقي هو

ترك المطعم والمشرب والمنكح وصوم حكمي وهو حفظ الجوارح من المعاصي كالسمع والبصر واللسان والسائح هو الذي يصوم هذا الصوم دون الأول انتهى أو مهاجرات من مكة إلى المدينة إذ في الهجرة مزيد شرف ليس في غيرها كما قال ابن زيد: ليس في أمة محمد سياحة إلا الهجرة والسياحة في اللغة الجولان في الأرض ﴿ثيبات﴾ شوهر ديدكان ﴿وأبكاراً﴾ ودحتران بكر.

والثيب الرجل الداخل بامرأة والمرأة المدخول بها يستوي فيه المذكر والمؤنث فيجمع المذكر على ثيبين والمؤنث على ثيبات من ثاب إذا رجع سميت به المرأة لأنها راجعة إلى زوجها إن أقام بها وإلى غيره إن فارقها أو إلى حالتها الأولى وهي أنه لا زوج لها فهي لا تخلو عن الثوب أي: الرجوع وقس عليها الرجل وسميت العذراء بالبكر لأنها على أول حالتها التي طلعت عليها قال الراغب: سميت التي لم تفتض بكراً اعتباراً بالثيب لتقدمها عليها فيما يراد له النساء ففي البكر معنى الأولية والتقدم ولذا يقال البكرة لأول النهار والباكورة للفاكهة التي تدرك أولاً وسط بينهما العاطف دون غيرهما لتنافيهما وعدم اجتماعهما في ذات واحدة بخلاف سائر الصفات فكأنه قيل: ﴿أزواجاً خيراً﴾ منكن متصفات بهذه الصفات المذكورة المجودة كائنات بعضها ثيبات تعريضاً لغير عائشة وبعضها أبكاراً تعريضاً لها فإنه عليه السلام، تزوجها وحدها بكراً وهو الوجه في إيراد الواو الواصلة دون أو الفاصلة لأنها توهم الكل ثيبات أو كلها أبكار قال السهيلي رحمه الله: ذكر بعض أهل العلم أن في هذا إشارة إلى مريم البتول وهي البكر وإلى آسية بنت مزاحم امرأة فرعون وأن الله سيزوجه عليه السلام إياهما في الجنة كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال أبو الليث رحمه الله: تكون وليمة في الجنة ويجتمع عليها أهل الجنة فيزوج الله هاتين المرأتين يعني آسية ومريم من محمد عليه السلام وبدأ بالثيب قبل البكر لأن زمن آسية قبل زمن مريم ولأن أزواج النبي عليه السلام كلهن ثيب إلا واحدة وأفضلهن خديجة وهي ثيب فتكون هذه القبلية من قبلية الفضل والزمان أيضاً لأنه تزوج الثيب منهن قبل البكر وفي «كشف الأسرار»:

روي عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أن النبي ﷺ دخل على خديجة وهي تجود بنفسها يعني وي وفات ميكند.

فقال: أتكرهين ما نزل بك يا خديجة وقد جعل الله في الكره خيراً كثيراً فإذا قدمت على ضراتك فأقرئيهن مني السلام فقالت: يا رسول الله ومن هن قال مريم بنت عمران وآسية بنت مزاحم وحليمة أخت موسى فقالت بالرفاء والبنين أي: أعرست ملتبساً بالرفاء وهو الالتئام والاتفاق والمقصود حسن المعاشرة وكان هذا دعاء الأوائل للمعرس واحترز بالبنين عن البنات ثم نهى النبي ﷺ عن هذا القول وأمر بأن يقول من دخل على الزوج بارك الله لك وبارك عليك وجمع بينكما في خير ثم إن المراد من الإبدال أن يكون في الدنيا كما أفاده قوله تعالى: ﴿إن طلقكن﴾ لأن نساء الجنة يكن أبكاراً سواء كن في الدنيا ثيبات أو أبكاراً وفي الحديث: «إن الرجل من أهل الجنة ليتزوج خمسمائة حوراء وأربعة آلاف ثيب وثمانية آلاف بكر يعانق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا» فإن قلت فإذاً يكون أكثر أهل الجنة النساء وهو مخالف لقوله عليه السلام: «يا معشر النساء تصدقن فإني أريتكن أكثر أهل النار» قلت: لعل المراد بالرجل بعض الرجال لأن طبقات الأبرار والمقربين متفاوتة كما دل عليه قوله عليه السلام:

«أدنى أهل الجنة الذي له اثنتان وسبعون زوجة وثمانون ألف خادم» ولا بعد في كثرة الخادم لما قال بعضهم: إن أطفال الكفار خدام أهل الجنة على أن الخدام لا ينحصرون فيهم بل لأهل الجنة خدام أخر فإن قلت كان عليه السلام يحب الأخف الأيسر في كل شيء فلماذا كثر من النساء ولم يكتف منهن بواحدة أو ثنتين قلت: ذلك من أسرار النبوة ولذا لم يشبع من الصلاة ومن النساء.

روي أنه عليه السلام أعطي قوة أربعين رجلاً في البطش والجماع وكل حلال يكدر النفس إلا الجماع الخلال فإنه يصفيها ويجلي العقل والقلب والصدر ويورث السكون باندفاع الشهوة المحركة على أن شهوة الخواص ليست كشهوة العوام فإن نار الشهوة للخواص بعد نور المحبة وللعوام قبله ثم إن في الآيات المتقدمة فوائد منها أن تحريم الحلال غير مرضي كما أن ابتغاء رضا الزوج بغير وجهه وجه ليس بحسن ومنها أن إفشاء السر ليس في المروءة خصوصاً إفشاء أسرار السلاطين الصورية والمعنوية لا يعفي وكل سر جاوز الاثنين شاع أي: المسر والمسر إليه أو الشفتين ومنها أن من الواجب على أهل الزلة التوبة والرجوع قبل الرسوخ واشتداد القساوة ومنها أن البكارة وجمال الصورة وطلاقة اللسان ونحوها وإن كانت نفاسة جسمانية مرغوبة عند الناس لكن الإيمان والإسلام والقنوت والتوبة ونحوها نفاسة روحانية مقبولة عند الله وشرف الحسب أفضل من شرف النسب والعلم اللدني والأب الشرعي هما الحسب المحسوب من الفضائل فعلى العاقل أن يتحلى بالورع وهو الاجتناب عن الشبهات والتقوى وهو الاجتناب عن المحرمات ويتزين بزين أنواع المكارم والأخلاق الحسنة والأوصاف الشريفة المستحسنة.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ۝٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٧﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم﴾ أمر من الوقاية بمعنى الحفظ والحماية والصيانة أصله أو قيوا كاضربوا والمراد بالنفس هنا ذات الإنسان لا النفس الأمارة والمعنى احفظوا وبعدوا أنفسكم وبالفارسية نكاه داريد نفسهاي خودرا ودور كنيد.

يعني بترك المعاصي وفعل الطاعات **﴿وأهليكم﴾** بالنصح والتأديب والتعليم أصله أهلين جمع أهل حذفت النون بالإضافة وقد يجمع على أهالي على غير قياس وهو كل من في عيال الرجل والنفقة من المرأة والولد والأخ والأخت والعم وابنه والخادم ويفسر بالأصحاب أيضاً ودلت الآية على وجوب الأمر بالمعروف للأقرب فالأقرب وفي الحديث «رحم الله رجلاً قال يا أهلاه صلاتكم صيامكم زكاتكم مسكينكم يتيمكم جيرانكم لعل الله يجمعكم معهم في الجنة» وفي الحديث: «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وهو من الرعاية بمعنى الحفظ يعني كلكم ملتزم بحفظ ما يطالب به من العدل إن كان ولياً ومن عدم الخيانة إن كان مولياً عليه وكلكم مسؤول عما التزم حفظه يوم القيامة فالإمام على الناس راع والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده وعبد الرجل راع على مال سيده والكل مسؤول وقيل أشد الناس عذاباً يوم القيامة من جهل أهله وخص الأهلين بالنصيحة مع أن حكم الأجانب كحكمهم في ذلك

لأن الأقارب أولى بالنصيحة لقربهم كما قال تعالى: ﴿قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ ٱلۡكُفَّارِ﴾ [التوبة: ١٢٣] وقال تعالى: ﴿وَأَنذِرۡ عَشِيرَتَكَ ٱلۡأَقۡرَبِينَ ٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] ولأن شرائط الأمر والنهي قد لا توجد في حق الأجانب بخلاف الأقارب لا سيما الأهل فإن الرجل سلطان أهله وقال بعض أهل الإشارة في الآية طهروا أنفسكم عن دنس محبة الدنيا حتى تكون أهاليكم صالحين بمتابعتكم فإذا رغبتم في الدنيا فهم يشتغلون بها فإن زلة الإمام زلة المأمومين وقال القاشاني رحمه الله: الأهل بالحقيقة هو الذي بينه وبين الرجل تعلق روحاني واتصال عشقي سواء اتصل به اتصالاً جسمانياً أم لا، وكل ما تعلق به تعلقاً عشقياً فبالضرورة يكون معه في الدنيا والآخرة فوجب عليه وقايته وحفظه من النار كوقاية نفسه فإن زكى نفسه عن الهيئات الظلمانية وفيه ميل ومحبة لبعض النفوس المنغمسة فيها لم يزكها بالحقيقة لأنه بتلك المحبة ينجذب إليها فيكون معها في الهاوية محجوباً بها سواء كانت قواه الطبيعية الداخلة في تركيبه أم نفوساً إنسانية منتكسة في عالم الطبيعة خارجة عن ذاته ولهذا يجب على الصادق محبة الأصفياء والأولياء ليحشر معه فإن المرء يحشر مع من أحب ﴿ناراً﴾ نوعاً من النار. ﴿وقودها﴾ ما يوقد به تلك النار يعني حطبها وبالفارسية آتش انكيزوي.

فالوقود بالفتح اسم لما توقد به النار من الحطب وغيره والوقود بالضم مصدر بمعنى الاتقاد وقرىء به بتقدير أسباب وقودها أو بالحمل على المبالغة ﴿الناس﴾ كفار الإنس والجن وإنما لم يذكر الجن أيضاً لأن المقصود في الآية تحذير الإنس ولأن كفار الجن تابعة لكفار الإنس لأن التكذيب إنما صدر أولاً من الإنس. ﴿والحجارة﴾ أي: تتقد بها أيضاً اتقاد غيرها بالحطب فيه بيان لغاية إحراقها وشدة قوتها فإن اتقاد النار بالحجارة مكان الحطب من الشجر يكون من زيادة حرها ولذلك قال عليه السلام: ناركم جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وعن ابن عباس رضي الله عنهم، هي حجارة الكبريت وهي أشد الأشياء حراً إذا أوقد عليها ولها سرعة الاتقاد ونتن الرائحة وكثرة الدخان وشدة الالتصاق بالأبدان فيكون العذاب بها أشد وقيل وقدوها الناس إذا صاروا إليها والحجارة قبل أن يصيروا إليها.

قال الكاشفي:

تابتان سنكين كه كفارمي پرستند

دليله قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمۡ وَمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] وقرن الناس بالحجارة لأنهم نحتوها واتخذوها أرباباً من دون الله يا كنجهاي زروسيم كه منشأ آن سنكست:

زدوسيمند سنك زرد وسفيد اندرين سنكها ميندواميد
دلي ازسنك سختربايد كه زسنكيش راحت افزايد
دل ازين سنك اكر توبرنكنى سرز حسرت بسي بسنك زنى

وقيل: أراد بالحجارة الذين هم في صلابتهم عن قبول الحق كالحجارة كمن وصفهم بقوله ﴿فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗ﴾ [البقرة: ٧٤] كما قال في «التأويلات النجمية»: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ بالإيمان العلمي ﴿قوا أنفسكم وأهليكم﴾ من القوى الروحانية نار حجاب البعد والطرد التي يوقدها حطب وجود الناسين ميثاق ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡۖ قَالُواْ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] وحجارة قلوبهم القاسية وهم الصفات البشرية الطبيعية الحيوانية البهيمية السبعية الشيطانية انتهى. وأمر

الله المؤمنين باتقاء هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه في سورة البقرة حيث قال ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ وَلَن تَفْعَلُوا۟ فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَـٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: ٢٤] للمبالغة في التحذير ولأن الفساق وإن كانت دركاتهم فوق دركات الكفار فإنهم تبع للكفار في دار واحدة فقيل للذين آمنوا قوا أنفسكم باجتناب الفسوق مجاورة الذين أعدت لهم هذه النار أصالة ويبعد أن يأمرهم بالتوقي عن الارتداد كما في «التفسير الكبير».

﴿**عليها**﴾ أي: على تلك النار العظيمة. ﴿**ملائكة**﴾ تلي أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية التسعة عشر وأعوانهم فليس المراد بعلى الاستعلاء الحسي بل الولاية والقيام والاستيلاء والغلبة على ما فيها من الأمور قال القاشاني هي القوى السماوية والملكوتية الفعالة في الأمور الأرضية التي هي روحانيات الكواكب السبعة والبروج الاثني عشر المشار إليها بالزبانية التسعة عشر وغيرها من المالك الذي هو الطبيعة الجسمانية الموكلة بالعالم السفلي وجمع القوى والملكوت المؤثرة في الأجسام التي لو تجردت هذه النفوس الإنسانية عنها ترقت من مراتبها واتصلت بعالم الجبروت وصارت مؤثرة في هذه القوى الملكوتية ولكنها لما انغمست في الأمور البدنية وقرنت أنفسها بالأجرام الهيولانية المعبر عنها بالحجارة صارت متأثرة منها محبوسة في أسرها معذبة بأيديها ﴿**غلاظ**﴾ غلاظ القلوب بالفارسية سطبر جكران.

جمع غليظ بمعنى خشن خال قلبه عن الشفقة والرحمة ﴿**شداد**﴾ شداد القوى جمع شديد بمعنى القوي لأنهم أقوياء لا يعجزون عن الانتقام من أعداء الله على ما مروا به وقيل غلاظ الأقوال شداد الأفعال أقوياء على الأفعال الشديدة يعملون بأرجلهم كما يعملون بأيديهم إذا استرحموا لم يرحموا لأنهم خلقوا من الغضب وجبلوا على القهر لا لذة لهم إلا فيه فمقتضى جبلتهم تعذيب الخلق بلا مرحمة كما أن مقتضى الحيوان الأكل والشرب ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة أو كما بين المشرق والمغرب يضرب أحدهم بمقمعته ضربة واحدة سبعين ألفاً فيهوون في النار ﴿**لا يعصون الله ما أمرهم**﴾ أي: أمره في عقوبة الكفار وغيرها على أنه بدل اشتمال من الله وما مصدرية أو فيما أمرهم به على نزع الخافض وما موصولة أي لا يمتنعون من قبول الأمر ويلتزمونه ويعزمون على إتيانه فليست هذه الجملة مع التي بعدها في معنى واحد وقال الكاشفي:

كأعوان ملوك الدنيا يمتنعون بالرشوة ... برشوت فريفته نشوند تا مخالفت امربا يدكرد

﴿**ويفعلون ما يؤمرون**﴾ أي يؤدون ما يؤمرون به من غير تثاقل وتوان وتأخير وزيادة نقصان وقال القاضي: لا يعصون الله ما أمرهم فيما مضى ويستمرون على فعل ما يؤمرون به في المستقبل قال بعضهم: لعل التعبير في الأمر أولاً بالماضي مع نفي العصيان بالمستقبل لما أن العصيان وعدمه يكونان بعد الأمر وثانياً بالمستقبل لما أمرهم بعذاب الأشقياء يكون مرة بعد مرة قال بعض الكبار في هذه الآية دليل على عصمة جميع الملائكة السماوية وذلك لأنهم عقول مجردة بلا منازع ولا شهوة فيهم مطيعون بالذات بخلاف البشر والملائكة الأرضية الذين لا يصعدون إلى السماء فإن من الملائكة من لا يصعد من الأرض إلى السماء أبداً كما أن منهم من لا ينزل من السماء إلى الأرض أبداً وفيها دليل أيضاً على أنه لا نهي عند هؤلاء الملائكة فلا عبادة للنهي عندهم ففاتهم أجر ترك المنهيات بخلاف الثقلين وملائكة الأرض فإنهم جمعوا بين أجر عبادة الأمر وأجر اجتناب النهي قال الكرماني في «شرح البخاري»: إن قلت التروك أيضاً

عمل لأن الأصح أن الترك كف النفس فيحتاج إلى النية. قلت: نعم إذا كان المقصود امتثال أمر الشارع وتحصيل الثواب أما في إسقاط العقاب فلا فالتارك للزنى يحتاج فيه لتحصيل الثواب إلى النية وما اشتهر أن التروك لا تحتاج إليها يريدون به في الإسقاط يعني لو أريد بالتروك تحصيل الثواب وامتثال أمر الشارع لا بد فيها من قصد الترك امتثالاً لأمر الشارع فتارك الزنى إن قصد تركه امتثال ألامر يثاب.

﴿**يا أيها الذين كفروا**﴾ أي يقال لهم عند إدخال الملائكة إياهم النار حسبما أمروا به يعني چون زبانيه كافران رابكناهء دوزخ آرند ايشان آغاز اعتذار كرده داعية خلاصي نمايند پس حق تعالى باملائكه كويد ﴿**يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا اليوم**﴾ أي: في هذا اليوم يعني عذر مكوييد امر وزكه عذر مقبول نيست وفائده نخواهد داد.

قال القاشاني إذ ليس بعد خراب البدن ورسوخ الهيئات المظلمة إلا الجزاء على أعمال لامتناع الاستكمال ثمة والاعتذار بالفارسية عذر خواستن.

يقال اعتذرت إلى فلان من جرمي ويعدى بمن والمعتذر قد يكون محقاً وغير محق قال الراغب العذر تحري الإنسان ما يمحو به ذنوبه وذلك ثلاثة أضرب أن يقول لم أفعل أو يقول فعلت لأجل كذا فيذكر ما يخرجه عن كونه مذنباً أو يقول فعلت ولا أعود ونحو ذلك وهذا الثالث هو التوبة فكل توبة عذر وليس كل عذر توبة واعتذرت إليه أتيت بعذر وعذرته قبلت عذره ﴿**إنما تجزون ما كنتم تعملون**﴾ في الدنيا من الكفر والمعاصي بعد ما نهيتم عنها أشد النهي وأمرتم بالإيمان والطاعة فلا عذر لكم قطعاً أي حقيقة وأنهى عن الإتيان بما هو عذر صورة وفي حسبانهم وفي بعض التفاسير لا تعذروا اليوم لما أنه ليس لكم عذر يعتد به حتى يقبل فينفعكم وهذا النهي لهم إن كان قبل مجيء الاعتذار منهم فيوافق ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ۝٣٦﴾ [المرسلات: ٣٦] وإن كان بعده فيؤول هذا القول ويقال لا يؤذن لهم أن يتموا اعتذارهم ولا يسمع إليه وفي «التأويلات النجمية»: قل للذين ستروا الحق بالباطل وحجبوا عن شهود الحق في الدنيا لا تطلبوا مشاهدة الحق في الآخرة إنما تكافؤون بعدم رؤية الحق اليوم لعدم رؤيتكم له في يوم الدنيا كما قال ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ۝٧٢﴾ [الإسراء: ٧٢] انتهى.

قال بعض العارفين لا يتحسر يوم القيامة على فوات الأعمال الصالحة إلا العامة أما العارفون فلا يرون لهم عملاً يتحسرون على فواته بل ولا يصح الفوات أبداً إنما هي قسمة عادلة يجب على كل عبد الرضى بها وقول الإنسان أنا مقصر في جنب الله هو من باب هضم النفس لا حقيقة إذ لا يقدر أحد أن ينقص مما قسم له ذرة ولا يزيد عليه ذرة فلا يصح اللوم إلا في أعمال توهم العبد أنها له ثم فوتها وذلك لا يقوله عارف.

مصراع در دائرهء قسمت من نقطهء تسلم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٨﴾.

﴿**يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحاً**﴾ التوبة أبلغ وجوه الاعتذار بأن يقول

فعلت وأسأت وقد أقلت وفي الشرع ترك الذنب لقبحه والندم على ما فرط منه والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة فمتى اجتمع هذه الأربعة فقد كملت شرائط التوبة كما في «المفردات» والنصح تحري فعل أو قول فيه صلاح صاحبه والنصوح فعول من أبنية المبالغة كقولهم رجل صبور وشكور أي بالغة في النصح وصفت التوبة بذلك على الإسناد المجازي وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا أنفسهم بالتوبة فيأتوا بها على طريقها وذلك أن يتوبوا من القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لا يعودون في قبيح من القبائح إلا أن يعود اللبن في الضرع وكذا لو حزوا بالسيف وأحرقوا بالنار موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لا يلويهم عنه صارف أصلاً وعن علي رضي الله عنه: أنه سمع أعرابياً يقول اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك فقال يا هذا إن سرعة اللسان بالتوبة توبة الكذابين قال: وما التوبة؟ قال: إن التوبة يجمعها ستة أشياء على الماضي من الذنوب الندامة، وللفرائض الإعادة، أي القضاء صلاة أو صوماً أو زكاة أو نحوها، ورد المظالم واستحلال الخصوم، وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك في طاعة الله كما ربيتها في المعصية، وأن تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعاصي قال سعدي المفتي: والمذهب السني أنه يكفي في تحقق التوبة الندم والعزم على أن لا يعود بخلاف أهل الاعتزال حيث يلزم في تحققها عندهم رد المظالم وهو عندنا غير واجب في التوبة، قال بعض الكبار: ما لم تكن التوبة عامة من جميع المخالفات فهي ترك لا توبة وقيل نصوحاً من نصاحة الثوب بالفتح وهي بالفارسية جامعه دوختن أي توبة ترفو خروقك في دينك وترم خللك وفي الحديث: «المؤمن واه راقع فطوبى لمن مات على رقعه» ومعناه أن يخرق دينه ثم يرقعه بالتوبة ونحوه «استقيموا ولن تحصوا» أي: لن تستطيعوا أن تستقيموا في كل شيء حتى لا تميلوا ومنه يا حنظلة ساعة فساعة ومن بلاغات الزمخشري ما منع قول الناصح أن يروقك وهو الذي ينصح خروقك شبه فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح له بما يسده من خلل الثوب وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح إذا خلص من الشمع شبه التوبة في خلوصها بذلك وكذا تخلص قول الناصح من الغش بتخلص العسل من الخلط ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أي تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها في صاحبها واستعماله الجد والعزيمة في العمل بمقتضياتها وقال ذو النون المصري قدس سره التوبة إدمان البكاء على ما سلف من الذنوب والخوف من الوقوع فيها وهجران إخوان السوء وملازمة أهل الجنة وقال التستري رحمه الله هي توبة السني لا المبتدع لأنه لا توبة له بدليل قوله عليه السلام: حجر الله على كل صاحب بدعة أن يتوب. وقال الواسطي قدس سره: هي أن يتوب لا لغرض وقال الشيخ أبو عبد الله بن حفيف قدس سره طالب عباده بالتوبة وهو الرجوع إليه من حيث ذهبوا عنه والنصوح في التوبة الصدق فيها وترك ما منه تاب سراً وعلناً وقولاً وفكراً وقال القاشاني رحمه الله: مراتب التوبة كمراتب التقوى فكما أن أول مراتب التقوى هو الاجتناب عن المنهيات الشرعية وآخرها الاتقاء عن الأنانية والبقية فكذلك التوبة أولها الرجوع عن المعاصي وآخرها الرجوع عن ذنب الوجود الذي هو من أمهات الكبائر عند أهل التحقيق:

توبه چون باشد پشيمان آمدن بر درحق نو مسلمان آمدن
خدمتي از سر كرفتن بانياز باحقيقت روى كردن ازمجاز

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى المؤمنين الذين لم تترسخ أقدامهم في أرض الإيمان ترسخ أقدام الكمل ويحثهم على التوبة إلى الله بالرجوع عن الدنيا ومحبتها والإقبال على الله وطاعته توبة بحيث ترفو جميع خروق وقعت في ثوب دينه بسبب استيفاء اللذات الجسمانية واستقصاء الشهوات الحيوانية ويقال توبة العوام عن الزلات والخواص عن الغفلات والأخص عن رؤية الحسنات وفي الحديث: «أيها الناس توبوا إلى الله فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة» ودخل في الناس الذكور والإناث وهي أي التوبة واجبة على الفور لما في التأخير من الإصرار على المحرم وهو يجعل الصغيرة كبيرة وعلامة قبول التوبة أن لا يذكره الله ذنبه لأن التوبة لا تبقى للذنب وجوداً فمتى ذكر التائب ذنبه فتوبته معلولة وقد تكون التوبة مقبولة عند الله ومع ذلك فلا تدفع عن العاصي العذاب كما لو تاب السارق عند الحاكم لا ترفع توبته عنه حد القطع وفي حديث ماعز كفاية فإنه عليه السلام قال في حقه إنه تاب توبة لو قسمت على أهل مدينة لوسعتهم ومع ذلك فلم تدفع توبته عنه الحد بل أمر عليه السلام برجمه فرجم فاعرف وفي «المثنوي»:

بود مردي پيش ازين نامش نصوح ... بدزد لاكئ زن اورا فتوح
بود روى اوچو رخسار زنان ... مردئ خودرا همي كرداو نهان
أو بحمام زنان دلاك بود ... در دغا وحيله بس چالاك بود
سالها مي كردد لاكي وكس ... بونبرد ازحال وسر آن هوس
زانكه آواز ورخش زن وار بود ... ليك شهوت كامل وبيدار بود
دختران خسرو انرا زين طريق ... خوش همي ماليدومي شست آن عشيق
توبهامي كردو پادرمي كشيد ... نفس كافر توبه اش را مي دريد
رفت پيش عارفي آن زشت كار ... كفت مارا در دعايي ياد دار
سرا ودانست آن آزاد مرد ... ليك چون حلم خدا پيدا نكرد
سست خنديد وبكفت اي بدنهاد ... ز انكه داني ازيدت توبه دهاد
آن دعا ازهفت كردون در كذشت ... كارآن مسكين بآخر خوب كشت
يك سبب انكيخت صنع ذي الجلال ... كه رها نيدش زنفرين ووبال
اندران حمام پرمي كردطشت ... كوهري از دخترشه ياوه كشت
كوهري از حلقهاي كوش او ... ياوه كشت وهرزني درجست وجو
پس در حمام رابستند سخت ... تابجو يند اولش دربيخ رخت
رختها جستند وآن پيدا نشد ... دزد كوهر نيزهم رسوا نشد
پس بجد جستن كرفتند ازكزاف ... دردهان وكوش واندرهر شكاف
بالك آمدكه همه عريان شويد ... هركه هستيد از عجوز وكرنويد
يك بيك راح حاجبه جستن كرفت ... تابديد آيدكهر دانه شكفت
آن نصوح ازترس شد درخلوتي ... روي زر دولب كبود از خشيتي
كفت يا رب بارها بركشته ام ... توبها وعهدها بشكسته ام
كرده ام آنها كه از من مي سزيد ... تا چنين سيل سياهي در رسيد
نوبت جستن اكر در من رسد ... وه كه جان من چه سختيها كشد

اين چنين اندوه كافر رامباد دامن رحمت كرفتم داد داد
كرمرا اين بارستاري كني توبه كردم من زهرنا كردني
من اكر اين بار تقصيري كنم پس كر مسنودعا وكفتنم
درميان يا رب ويا رب بدو بانك آمد ازميان جست وجو
جمله را جستيم پيش آاي نصوح كشت بيهوش آن زمان پريد روح
بعد آن خوف وهلاك جان بده مژدها آمدكه اينك كم شده
از غريو ونعره ودستك زدن پرشده حمام قد زال الحزن
آن نصوح رفته باز آمد بخويش ديد چشمش تا بش صدر وزپيش
مي حلالي خواست ازوي هركسي بوسه مي دادند بردستش بسي
بد كمان بوديم ما راكن حلال لحم تو خورديم اندر قيل وقال
زانكه ظن جمله بروي پيش بود زانكه در قربت زجمله پيش بود
كوهرار بردست او بردست وبس زملازم تربخا تون نيست كس
أول اورا خواست جستن درنبرد بهر حرمت داشتش تأخير كرد
تابود كانرا بيندازد بجا اندرين مهلت رهاند خويش را
پس حلاليها ازومي خواستند وزبراي عذر برمي خواستند
كفت بد فضل خداي دادكر ورنه زانچم كفته شد هستم بتر
آنچه كفتندم زبدازصد يكيست برمن اين كشفست اركس راشكيست
آفرنيها برتو بادا اي خدا ناكهان كردي مرا ازغم جدا
كر سر هرموي من كردد زبان شكر هاي تونيايد دربيان
بعد ازان آمد كسي كز مرحمت دختر سلطان ما مي خواندت
ختر شاهت همي خواند بيا تا سرش شويي كنون أي پارسا
كفت رور ودست من بي كار شد وين نصوح توكنون بيمارشد
روكسي ديكر بجوا شتاب وتفت كه مرا والله دست ازكار رفت
بادل خود كفت كز حد رفت جرم ازدل من كي رودآن ترس وكرم
من بمردم يك ره وباز آمدم من چشيدم تلخئ مرك وعدم
توبۀ كردم حقيقت با خدا نشكتم تاجان شدن ازتن جدا
بعد آن محنت كرا بار دكر پارود سوي خطر الاكه خر

﴿عسى ربكم﴾ شايد بروردكار شما وفي «كشف الأسرار» الله برخود واب كرد تائب را از شما **﴿أن يكفر عنكم سيئاتكم﴾** يسترها بل يمحوها ويبدلها حسنات **﴿ويدخلكم جنات﴾** جمع جنات إما لكثرة المخاطبين لأن لكل منهم جنة أو لتعددها لكل منهم من الأنواع **﴿تجري من تحتها الأنهار﴾** قال في «الإرشاد»: وورود صيغة الإطماع والترجية للجري على سنن الكبرياء فإن الملوك يجيبون بلعل وعسى ويقع ذلك موقع القطع والإشعار بأنه تفضل والتوبة غير موجبة له وأن العبد ينبغي أن يكون بين خوف ورجاء وإن بالغ في إقامة وظائف العبادة.

يقول الفقير: التكفير إشارة إلى الخلاص من الجحيم لأن السيئات هي سبب العذاب فإذا زال السبب زال المسبب وإدخال الجنات إشارة إلى التقريب لأن الجنان موضع القرب والكرامة

وجريان الأنهار إشارة إلى الحياة الأبدية لأن الماء أصل الحياة وعنصرها فلا بد للإنسان في مقابلة هذه الأنهار من ماء العلم ولبن الفطرة وعسل الإلهام وخمر الحال فكما أن الحياة المعنوية في الدنيا إنما تحصل بهذه الأسباب فكذا الحياة الصورية في الآخرة إنما تحصل بصورها.

﴿يوم لا يخزي الله النبي﴾ ظرف ليدخلكم والإخزاء دور كردن ورسوا كردن وخوار كردن وهلاك كردن.

ومعاني هذه الكلمة يقرب بعضها من بعض كما في «تاج المصادر» والنبي المعهود.

يعني روزي كه حجل نكند خداي تعالى پيغمبررا يعني نه نفس اورا عذاب كندونه شفاعت اورا درباره عاصبان مردود سازد.

قال بعض أهل التفسير: يخزي إما من الخزي وهو الفضاحة فيكون تعريضاً للكفرة الذين قال الله تعالى فيهم ﴿إِنَّ ٱلْخِزْيَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [النحل: ٢٧] أومن الخزاية بمعنى الحياء والخجل وهو الأنسب هنا بالنظر إلى شأن الرسول خصوصاً إذا تم الكلام في النبي وإن أريد المعنى الأول حينئذٍ يجوز أن يكون باعتبار أن خزي الأمة لا يخلو عن إنشاء خزي ما في الرسول على ما يشعر به قوله في دعائه اللهم لا تخزنا يوم القيامة ولا تفضحنا يوم اللقاء بعض الإشعار حيث لم يقل لا تخزني كما قال إبراهيم عليه السلام، ﴿وَلَا تُخْزِنِى يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [الشعراء: ٨٧] ليكون دعاؤه عاماً لأمته من قوة رحمته وأدخل فيهم نفسه العالية من كمال مروءته قيل الخزي كناية عن العذاب لملازمة بينهما والأولى العموم لكل خزي يكون سبباً من الأسباب من الحساب والكتاب والعقاب وغيرها ﴿والذين آمنوا معه﴾ عطف على النبي ومعه صلة لا يخزي أي لا يخزي الله معه الذين آمنوا أي يعمهم جميعاً بأن لا يخزيهم أو حال من الموصول بمعنى كائنين معه أو متعلق بآمنوا وهو الموافق لقوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النحل: ٤٤] أي ولا يخزي المؤمنين الذين أتبعوه في الإيمان كما قال ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٥] وذلك بسوء الحساب والتعيير والعتاب وذل الحجاب ورد الجواب فيحاسبهم حساباً يسيراً بل ويرفع الحساب عن بعضهم ويلاطفهم ويكشف لهم جماله ويعطي مأمولهم من الشفاعة لأقاربهم وإخوانهم ونحو لهم وقال داود القيصري رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَٰنَ﴾ [النحل: ٤٤] أي إسلام سليمان أي أسلمت كما أسلم سليمان ومع في هذا الموضع كمع في قوله ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ [التحريم: ٨] وقوله: ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾ [الفتح: ٢٨ - ٢٩] ولا شك أن زمان إيمان المؤمنين ما كان مقارناً لزمان إيمان الرسول وكذا إسلام بلقيس ما كان عند إسلام سليمان فالمراد كما أنه آمن بالله آمنوا بالله وكما أنه أسلم أسلمت لله انتهى كلام القيصري وتم الكلام عند قوله معه وفيه تعريض بمن أخزاهم الله من أهل الكفر والفسوق كما سبق واستحماد إلى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم وقيل قوله ﴿والذين﴾ الخ مبتدأ خبره ما بعده من قوله ﴿نورهم﴾ الخ. أو خبره معه والمراد بالإيمان هو الكامل حينئذٍ حتى لا يلزم أن لا يدخل عصاة المؤمنين النار. ﴿نورهم﴾ أي: نور إيمانهم وطاعتهم على الصراط قال في «عين المعاني» نور الإخلاص على الصراط لأهل المعاملة بمنزلة الشمع ونور الصدق لأرباب الأحوال بمنزلة القمر ونور الوفاء لأهل المحبة بمنزلة شعاع الشمس ﴿يسعى﴾ السعي المشي

القوي السريع ففيه إشارة إلى كمال اللمعان ﴿بين أيديهم﴾ أي يضيء بين أياديهم يعني قدامهم جمع يد يراد بها قدام الشيء لتكون بين اليدين غالباً فالجمع إما بإطلاقه على التثنية أو بكثرة أيدي العباد ﴿وبأيمانهم﴾ جمع يمين مقابل الشمال أي وعن أيمانهم وشمائلهم على وجه الإضمار يعني جهة أيمانهم وشمائلهم أو عن جميع جهاتهم وإنما اكتفى بذكرهما لأنهما أشرف الجهات ومن أدعيته عليه السلام، اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي سمعي نوراً وفي بصري نوراً وعن يميني نوراً وعن شمالي نوراً وأمامي نوراً وخلفي نوراً وفوقي نوراً وتحتي نوراً واجعلني نوراً وقال بعضهم: تخصيص الأيدي والأيمان لأن أرباب السعادة يؤتون صحائف أعمالهم منهما كما أن أصحاب الشقاوة يأتون من شمائلهم ووراء ظهورهم فيكون ذلك علامة لذلك وقائداً على الصراط إلى دخول الجنة وزينة لهم فيها وقال القاشاني: نورهم يسعى بين أيديهم أي الذي لهم بحسب النظر والكمال العلمي وبأيمانهم أي الذي لهم بحسب العمل وكماله إذ النور العلمي من منبع الوحدة والعلمي من جانب القلب الذي هو يمين النفس أو نور السابقين منهم يسعى بين أيديهم ونور الأبرار منهم يسعى بأيمانهم وقد سبق تمامه في سورة الحديد وفي الحديث من المؤمنين من نوره أبعد ما بيننا وبين عدن أبين ومنهم من نوره لا يجاوز قدمه.

﴿يقولون﴾ أي: يقول المؤمنون وهو الظاهر أو الرسول لأمته والمؤمنون لأنفسهم إذا طفىء نور المنافقين إشفاقاً أي يشفقون على العادة البشرية على نورهم ويتفكرون فيما مضى منهم من الذنوب فيقولون: ﴿ربنا﴾ أي: پروردكارما ﴿أتمم لنا نورنا﴾ نكاه دار وباقي دار نورما تابسلامت بكذريم.

فيكون المراد بالإتمام هو الإدامة إلى أن يصلوا إلى دار السلام ﴿واغفر لنا﴾ يعني از ظلمت كناه پاك كن ﴿إنك على كل شيء قدير﴾ من الإتمام والمغفرة وغيرهما وقيل يدعون تقرباً إلى الله تعالى مع تمام نورهم كقوله واستغفر لذنبك وهو مغفور له قال في «الكشاف»: كيف يتقربون وليست الدار دار تقرب؟ قلت: لما كانت حالهم كحال المتقربين يطلبون ما هو حاصل لهم من الرحمة سماه تقرباً وقيل يتفاوت نورهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلاً فيكون قوله يقولون من باب بنو فلان قتلوا زيداً وقيل السابقون إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبواً وزحفاً وأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا وقال سهل قدس سره: لا يسقط الافتقار إلى الله عن المؤمنين في الدنيا ولآخرة وهم في العقبى أشد افتقاراً إليه وإن كانوا في دار العز والغنى ولشوقهم إلى لقائه يقولون أتمم لنا نورنا.

واعلم أن ما لا يتم في هذه الدار لا يتم هناك إلا ما كان متعلق النظر والهمة هنا فاعرف ثم أن الأنوار كثيرة نور الذات ونور الصفات ونور الأفعال ونور العبادات مثل الصلاة والوضوء وغيرهما كما قال عليه السلام في حديث طويل «والصلاة نور» والسر فيه أن المصلي يناجي به ويتوجه إليه وقد قال عليه السلام إن العبد إذا قام يصلي فإن الله ينصب له وجهه تلقاءه والله نور وحقيقة العبد ظلمانية فالذات المظلمة إذا واجهت الذات النيرة وقابلتها بمحاذاة صحيحة فإنها تكتسب من أنوار الذات النيرة ألا ترى القمر الذي هو في ذاته جسم أسود مظلم كثيف صقيل كيف يكتسب النور من الشمس بالمقابلة وكيف يتفاوت اكتسابه للنور بحسب التفاوت الحاصل في المحاذاة والمقابلة فإذا تمت المقابلة وصحت المحاذاة كمل اكتساب النور وفي الحديث بشر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام في يوم القيامة وفيه إشارة إلى أن كل ظلمة

ليست بعذر لترك الجماعة بل الظلمة الشديدة فإن الأعذار التي تبيح التخلف عن الجماعة المرض الذي يبيح التيمم ومثله كونه مقطوع اليد والرجل من خلاف أو مفلوجاً أو لا يستطيع المشي أو أعمى أو المطر والطين والبرد الشديد والظلمة الشديدة للصحيح وكذا الخوف من السلطان أو غيره من المتغلبين وفي الحديث وددت أنا قد رأينا إخواننا قالوا يا رسول الله ألسنا إخوانك قال أنتم أصحابي وإخواننا الذين لم يأتوا بعد فقالوا كيف تعرف من لم يأت بعد من أمتك يا رسول الله؟ فقال: أرأيتم لو أن رجلاً له خيل غير محجلة بين ظهراني خيل دهم بهم ألا يعرف خيله قالوا بلى يا رسول الله قال فإنهم يأتون غراً محجلين من الوضوء وأنا فرطهم على الحوض استعار عليه السلام لأثر الوضوء من البياض في وجه المتوضىء ويديه ورجليه بنور الوضوء يوم القيامة من البياض الذي في وجه الفرس ويديه ورجليه فإن الغر جمع الأغر والغرة بالضم بياض في جبهة الفرس فوق الدرهم والتحجيل بتقديم الحاء المهملة بياض قوائم الفرس كلها ويكون في رجلين ويد وفي رجلين فقط وفي رجل فقط ولا يكون في اليدين خاصة إلا مع الرجلين ولا في يد واحدة دون الأخرى إلا مع الرجلين والدهم جمع الأدهم بمعنى الأسود فإن الدهمة بالضم السواد والبهم جمع الأبهم وفرس بهيم إذا كان على لون واحد لم يشبه غيره من الألوان ومنه استعير ما روي أنه يحشر الناس يوم القيامة بهماً بالضم أي ليس بهم شيء مما كان في الدنيا نحو البرص والعرج والفرط بفتحتين المتقدم لإصلاح الحوض والدلو.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾﴾

﴿يا أيها النبي﴾ أي رسول خبر دهنده يا بلند قدر **﴿جاهد الكفار﴾** بالسيف يعني جهادكن با كافران بشمشير **﴿والمنافقين﴾** بالحجة أو بالوعيد والتهديد أو بإلقائهم بوجه قهر أو بإفشاء سرهم وقال القاشاني جاهد الكفار والمنافقين للمضادة الحقيقية بينك وبينهم قيل النفاق مستتر في القلب ولم يكن للنبي عليه السلام سبيل إلى ما في القلوب من النفاق والإخلاص إلا بعد إعلام من قبل الله فأمر عليه السلام، بمجاهدة من علمه منافقاً بإعلام الله إياه باللسان دون السيف لحرمة تلفظه بالشهادتين وأن يجري عليه أحكام المسلمين ما دام ذلك إلى أن يموت **﴿واغلظ عليهم﴾** واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما به من القتال والمحاجة وفيه إشارة إلى أن الغلظة على أعداء الله من حسن الخلق فإن أرحم الرحماء إذا كان مأموراً بالغلظة عليهم فما ظنك بغيره فهي لا تنافي الرحمة على الأحباب كما قال تعالى: ﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾ [الفتح: ٢٩] **﴿ومأواهم جهنم﴾** سيرون فيها عذاباً غليظاً يعني ومقام بازكشت كافران ومنافقان اكرايمان نيارند ومخلص نشوند دوزخست.

قال القاشاني: ما داموا على صفتهم أو دائماً أبداً لزوال استعدادهم أو عدمه **﴿وبئس المصير﴾** أي: جهنم أو مصيرهم وفيه تصريح بما علم التزاماً مبالغة في ذمهم وفيه إشارة إلى نبي القلب المجاهد في سبيل الله فإنه مأمور بجهاد الكفار أي النفس الأمارة بالسوء وصفاتها الحيوانية الشهوانية وبجهاد المنافقين أي الهوى المتبع وصفاته البهيمة والسبعية وبالغلظة عليهم بسيف الرياضة ورمح المجاهدة ومقامهم جهنم البعد والحجاب وبئس المصير إذ ذل الحجاب وبعد الاحتجاب أشد من شدة العذاب.

يقول الفقير: إذا كان الأعداء الظاهرة يحتاجون إلى الغلظة والشدة فما ظنك بأعدى الأعداء وهي النفس الأمارة ففي الغلظة عليها نجاة وفي اللين هلاك ولذا قال بعض الشعراء:

هست نرمي آفت جان سمور وزدرشتي مي برد جان خارپشت

وفي المثل العصا لمن عصا وقول الشيخ سعدي:

درشتي ونرمي بهم در بهست چو فصاد جراح ومرهم نهست

يشير إلى أن للمؤمن صفة الجمال والجلال وبهاء الكمال، فأول المعاملات الجمال لأن الله تعالى سبقت رحمته، ثم الجلال، فلما لم تقبل الكفار الدعوة بالرفق واللين، وكذا المنافقون الإخلاص واليقين أمر الله تعالى نبيه عليه السلام، بالغلظة عليهم، ليظهر أحكام كل من الأسماء المتقابلة ففيه إشارة إلى أن من خلق للرحمة، وهم المؤمنون لا يغضب عليهم ولا يغلظ لأنه قلب الحكمة وعكس المصلحة وإن من خلق للغضب وهم الكفار والمنافقون لا يرحم لهم ولا يرفق بهم لذلك ودخل فيهم أهل البدعة ولذا لا يجوز أن يلقاهم السني بوجه طلق وقد عاتب الله بعض من فعل ذلك فعلى المؤمن أن يجتهد في طريق الحق حتى يدفع كيد الأعداء ومكر الشياطين عن الظاهر والباطن ويديم ذلك لأن به يحصل الترقي الذي هو من خصائص الإنسان ولذا خص الجهاد بالثقلين وأما جهاد الملائكة فبالتبعية أو بتكثير السواد فاعرف.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾.

﴿ضرب الله مثلاً للذين كفروا﴾ ضرب المثل في أمثال هذه المواضع عبارة عن إيراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها في الغرابة أي يجعل الله مثالاً لحال هؤلاء الكفرة حالاً ومآلاً على أن مثلاً مفعول ثان لضرب واللام متعلقه به ﴿امرأة نوح وامرأة لوط﴾ أي حالهما مفعوله الأول أخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفسير لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء وامرأة نوح هي واعلة بالعين المهملة، أو والعة وامرأة لوط، هي واهلة بالهاء ﴿كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين﴾ بيان لحالهما الداعية لهما إلى الخير والصلاح والمراد بكونهما تحتهما كونهما في حكمهما وتصرفهما علاقة النكاح والزواج وصالحين صفة عبدين أي كانتا تحت نكاح نبيين وفي عصمة رسولين عظيمي الشأن متمكنتين من تحصيل خير الدنيا والآخرة وحيازة سعادتهما وإظهار العبدين المراد بهما نوح ولوط لتعظيمهما بالإضافة التشريفية إلى ضمير التعظيم والوصف بالصلاح وإلا فيكفي أن يقول تحتهما وفيه بيان شرف العبودية والصلاح ﴿فخانتاهما﴾ بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ما ينفيها من صحبة النبي والخيانة ضد الأمانة فهي إنما تقال اعتباراً بالعهد والأمانة أي فخانتاهما بالكفر والنفاق والنسبة إلى الجنون والدلالة على الأضياف ليتعرضوا لهم بالفجور لا بالبغاء فإنه ما بغت امرأة نبي قط فالبغي للزوجة شد في إيراث الأنفة لأهل العار والناموس من الكفر وإن كان الكفر أشد منه في أن يكون جرماً يؤاخذ به العبد يوم القيامة وهذا تصوير لحالهما المحاكية لهؤلاء لكفرة في خيانتهم لرسول الله عليه السلام، بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الإيمان والطاعة ﴿فلم يغنيا﴾ الخ بيان لما أدى إليه خيانتهما أي: فلم يغن النبيان ﴿عنهما﴾ أي عن تينك المرأتين بحق الزواج. ﴿من

الله﴾ أي من عذابه تعالى ﴿شيئاً﴾ من الإغناء أي لم يدفعا العذاب عنهما زن نوح غرق شد بطوفان وبر سرزن لوط سنك باريد ﴿وقيل﴾ لهما عند موتهما أو يوم القيامة وصيغة المضي للتحقق قاله الملائكة الموكلون بالعذاب. ﴿ادخلا النار مع الداخلين﴾ أي: مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأولياء ذكر بلفظ جمع المذكر لأنهن لا ينفردن بالدخول وإذا اجتمعا فالغلبة للذكور وقطعت هذه الآية طمع من يرتكب المعصية أن ينفعه صلاح غيره من غير موافقة له في الطريقة والسيرة وإن كان بينه وبينه لحمة نسب أو وصلة صهر قال القاشاني الوصل الطبيعية والاتصالات الصورية غير معتبرة في الأمور الأخروية بل المحبة الحقيقية والاتصالات الروحانية هي المؤثرة فحسب والصورية التي بحسب اللحمة الطبيعية والخلقة والمعاشرة لا يبقى له أثر فيما بعد الموت إذ لا أنساب بينهم يوم القيامة وقس عليه النسب الباطني فإن جميع القوى الخيرة والشريرة وإن تولدت من بين زوجي الروح والجسد لكن الشريرة ليست من أهل الروح في الحقيقة مثل ولد نوح فكل من السعداء والأشقياء مفترقون في الدارين.

چه نسبت است برندي صلاح وتقويرا سماع وعظ كجا نغمهٔ رباب كجا

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَـٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَـٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾

﴿وضرب الله مثلاً للذين آمنوا امرأة فرعون﴾ أي جعل حالها مثلاً لحال المؤمنين في أن وصلة الكفر لا تضرهم حيث كانت في الدنيا تحت أعداء الله وهي في أعلى غرف الجنة والمراد آسية بنت مزاحم يقال رجل آسي وامرأة آسية من الأسى وهو الحزن قال بعض الكبار: الحزن حلية الأدباء ومن لم يذق طعام الحزن لم يذق لذه العبادة على أنواعها أو من الأسو وهو المداواة والآسي بالمد الطبيب ويقال هذا حث للمؤمنين على الصبر في الشدة حتى لا يكونوا في الصبر عند الشدة أضعف من امرأة فرعون التي صبرت على أذى فرعون كما سيجيء ﴿إذ قالت﴾ ظرف للمثل المحذوف أي ضرب الله مثلاً للمؤمنين حالها إذ قالت ﴿رب﴾ أي برورد كار من ﴿ابن لي﴾ على أيدي الملائكة أو بيد قدرتك فإنه روي أن الله تعالى خلق جنة عدن بيده من غير واسطة وغرس شجرة طوبى بيده ﴿عندك بيتاً في الجنة﴾ أي قريباً من رحمتك على أن الظرف حال من ضمير المتكلم لأن الله منزه عن الحلول في مكان أو ابن لي في أعلى درجات المقربين فيكون عند ظرفاً للفعل وفي الجنة صفة لبيتاً وفي «عين المعاني» عندك أي من عندك بلا استحقاق مني بل كرامة منك.

روي أنها لما قالت ذلك رفعت الحجب حتى رأت بيتها في الجنة من درة بيضاء وانتزع روحها. سئل بعض الظرفاء أين في القرآن مثل قولهم الجار قبل الدار قال قوله ابن لي عندك بيتاً في الجنة فعندك هو المجاورة وبيتاً في الجنة هو الدار ﴿ونجني من فرعون﴾ الجاهل ﴿وعمله﴾ الباطل أي من نفسه الخبيثة وسوء جوارها ومن عمله السيىء الذي هو كفره ومعاصيه ﴿ونجني من القوم الظالمين﴾ أي: من القبط التابعين له في الظلم.

روي أنه لما غلب موسى عليه السلام السحرة آمنت امرأة فرعون وقيل هي عمة موسى

آمنت به فلما تبين لفرعون إسلامها طلب منها أن ترجع عن إيمانها فأبت فأوتد يديها ورجليها بأربعة أوتاد يعني أو راچها ميخ كرد وربطها وألقاها في الشمس حق تعالى ملائكة رابفر مودتا كردوي در آمده ببالها خود اورا سايه كردند.

وأراها الله بيتها في الجنة ونسيت ما هي فيه من العذاب فضحكت فعند ذلك قالوا هي مجنونة تضحك وهي في العذاب وفي هذا بيان أنها لم تمل إلى معصية مع أنها كانت معذبة فلتكن صوالح النساء هكذا وقال الضحاك أمر بأن يلقى عليها حجر رحى وهي في الأوتاد فقالت رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة فما وصل الحجر إليها حتى رفع روحها إلى الجنة فألقي الحجر عليها بعد خروج فلم تجد ألماً وقيل اشتاقت إلى الجنة وملت من صحبة فرعون فسألت ذلك.

ودر أكثر تفاسير هست كه حق سبحانه ويرا بآسمان ابرد بچسدوي وحالا دربهشت است.

كما قال الحسن البصري قدس سره: رفعت إلى الجنة فهي فيها تأكل وتشرب وتتنعم قال في «الكشاف» وفيه دليل على أن الاستعاذة بالله والالتجاء إليه ومسألة الخلاص منه عند المحن والنوازل من سير الصالحين وسنن الأنبياء والمرسلين وفي «المثنوي»:

تا فرود آيد بلايي دافعي — چون نباشد از تضرع شافعي
جز خضوع وبندكي واضطرار — اندرين حضرت ندارد اعتبار

فقدم الدعاء بكشف الضر مذموم عند أهل الطريقة لأنه كالمقاومة مع الله ودعوى التحمل لمشاقه كما قال ابن الفارض قدس سره:

ويحسن إظهار التجلد للعدى — ويقبح غير العجز عند الأحبة

﴿ومريم ابنة عمران﴾ عطف على امرأة فرعون وجمع في التمثيل بين التي لها زوج والتي لا زوج لها تسلية للأرامل وتطبيباً لأنفسهن وسميت مريم في القرآن باسمها في سبعة مواضع ولم يسم غيرها من النساء لأنها أقامت نفسها في الطاعة كالرجل الكامل ومريم بمعنى العابدة وقد سمى الله أيضاً زيداً في القرآن كما سبق في سورة الأحزاب والمعنى وضرب الله مثلاً للذين آمنوا حال مريم ابنة عمران والدة عيسى عليهما السلام، وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفاراً. ﴿التي أحصنت فرجها﴾ الإحصان العفاف يعني باز ايستادن اززشتي كما في «تاج المصادر» والفرج ما بين الرجلين وكنى به عن السوءة وكثر حتى صار كالصريح فيه والمعنى حفظت فرجها عن مساس الرجال مطلقاً حراماً وحلالاً على آكد الحفظ وبالفارسية آن زناكه نكاه داشت دامن خود را از حرام.

وفاحشه كما في «تفسير الكاشفي» قال بعضهم: صانته عن الفجور كما صان الله آسية عن مباشرة فرعون لأنه كان عنيناً وهو من لا يقدر على الجماع لمرض أو كبر سن أو يصل إلى الثيب دون البكر فالتعبير عن آسية بالثيب كما مر في ثيبات لكونها في صورة الثيب من حيث أن لها بعلاً وقال السهيلي رحمة الله: إحصان الفرج معناه طهارة الثوب يريد فرج القميص أي لم يعلق بثوبها ريبة أي أنها طاهرة الأثواب فكنى بإحصان فرج القميص عن طهارة الثوب من الريبة وفروج القميص أربعة الكمان والأعلى والأسفل فلا يذهبن وهمك إلى غير هذا لأن القرآن أنزه معنى وأوجز لفظاً وألطف إشارة وأحسن عبارة من أن يريد ما ذهب إليه وهم الجاهل انتهى.

قال في «الكشاف»: ومن بدع التفاسير أن الفرج هو جيب الدرع ومعنى أحصنته منعته **﴿فنفخنا فيه﴾** الفاء للسببية والنفخ نفخ الريح في الشيء أي فنفخنا بسبب ذلك في فرجها على أن يكون المراد بالفرج هنا الجيب.

كما قال الكاشفي: بس درد ميديم در كريبان جامهء أو وكذا السجاوندي في «عين المعاني» أي: فيما انفرج من جيبها وكذا أبو القاسم في «الأسئلة» لم يقل فيها لأن المراد بالكناية جيب درعها وهو إلى التذكير أقرب فيكون قوله فيه من باب الاستخدام لأن الظاهر أن المراد بلفظ الفرج العضو وأريد بضميره معنى آخر للفرج ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦] وكذا يكون إسناد النفخ إلى الضمير مجازياً أي نفخ جبريل بأمرنا وهو إنما نفخ في جيب درعها **﴿من روحنا﴾** أي: من روح خلقناه بلا توسط أصل وأضاف الروح إلى ذاته تعالى تفخيماً لها ولعيسى كقوله وطهر بيتي وفي سورة الأنبياء فنفخنا فيها أي في مريم أي أحيينا عيسى في جوفها من الروح الذي هو من أمرنا وقال بعضهم أحيينا في فرجها وأوجدنا في بطنها ولداً من الروح الذي هو بأمرنا وحده بلا سببية أصل وتوسل نسل على العادة العامة أو من جهة روحنا جبريل لأنه نفخ من جيب درعها فوصل النفخ إلى جوفها أو ففعلنا النفخ فيه وقرىء فيها على وفاق ما في سورة الأنبياء أي في مريم والمآل واحد انتهى.

يقول الفقير: يلوح لي ههنا سر خفي وهو أن النفخ وإن كان في الجيب إلا أن عيسى لما كان متولداً من الماءين الماء المتحقق وهو ماء مريم والماء المتوهم وهو ما حصل بالنفخ كان النفخ في الجيب بمنزلة صب الماء في الفرج فالروح المنفوخ في الجيب كالماء المصبوب في الفرج والماء المصبوب وإن لم يكن الروح عينه إلا أنه في حكم الروح لأنه يخلق منه الروح ولذا قال تعالى: **﴿فنفخنا فيه﴾** أي: في الفرج سواء قلت إن فرج القميص أو العضو فاعرف ولا يقبله إلا الألباء الروحانيون **﴿وصدقت﴾** معطوف على أحصنت **﴿بكلمات ربها﴾** أي بالصحف المنزلة على الأنبياء عليهم السلام، وفي «كشف الأسرار» يعني الشرائع التي شرعها الله للعباد بكلماته المنزلة ويقال صدقت بالبشارات التي بشر بها جبريل **﴿وكتبه﴾** أي بجميع كتبه المنزلة الشاملة للصحف وغيرها من الكتب الإلهية متقدمة أو متأخرة **﴿وكانت من القانتين﴾** أي: من عداد المواظبين على الطاعة فمن للتبعيض وفي «عين المعاني»: من المطيعين المعتكفين في المسجد الأقصى والتذكير لتغليب المذكر فإن مريم جعلت داخلة في ذلك اللفظ مع المذكرين والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم أو كانت من القانتين أي من نسلهم لأنها من أعقاب هارون أخي موسى عليه السلام، فمن لابتداء الغاية وعن النبي عليه السلام: كمل من الرجال كثير ولم تكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام كان العرب لا يؤثرون على الثريد شيئاً حتى سموه بحبوحة الجنة وذلك لأن الثريد مع اللحم جامع بين الغذاء واللذة وسهولة التناول وقلة المؤونة في المضغ فضرب به مثلاً يؤذن بأنها أعطيت مع حسن الخلق حلاوة المنطق وفصاحة اللهجة وجودة القريحة ورصانة العقل والتحبب إلى البعل فهي تصلح للتبعل والتحدث والاستئناس بها والإصغاء إليها وحسبك أنها عقلت من النبي عليه السلام، ما لم يعقل غيرها من النساء وروت

ما لم يرو مثلها من الرجال وقد قال عليه السلام، في حقها خذوا ثلثي دينكم من عائشة ولذا قال في الأمالي:

وللصديقة الرجحان فاعلم على الزهراء في بعض الخصال

لكن الكمال المطلق إنما هو لفاطمة الزهراء رضي الله عنها، كما دل عليه الحديث المذكور وأيضاً دل تشبيه عائشة بالثريد على تشبيه غيرها من المذكورات باللحم وهو سيد الإدام.

يقول الفقير: رأيت في بعض الليالي المنورة كأن النبي عليه السلام يقول لي عائشة ست النساء اللاتي اجتمعن ومعناه على ما ألهمت وقتئذٍ أن عائشة رضي الله عنها هي السادسة من النساء الست اللاتي اجتمعن في نكاح رسول الله ﷺ كأن الست من التسع متساوية في الفضيلة ومنها عائشة لكن اشتهرت عائشة بالفضل ونودي عليها بذلك وخفيت أحوال الباقيات من الست لحكمة خفية إلهية ولذا لم يعين لي رسول الله ﷺ من بقيت من الست ودل الحديث على كثرة كمال الرجال وقلة كمال النساء فيما بعد عصر النبي عليه السلام، وإن كانت القرون متفاوتة والأعصار متباينة ولذا قال الحافظ:

نشان أهل خدا عاشقيست باخود دار که در مشايخ شهر اين نشان نمي بينم

(وقال المولى الجامي):

أسرار عاشقا نرا بايد زبان ديگر درداكه نيست پيدا درشهر همزباني

والله الهادي:

«تمت سورة التحريم في أوائل شهر الله رجب من الشهور المنتظمة في سلك شهور»
«سنة ست عشرة ومائة

٦٧ ـ سورة الملك

مكية وآيها ثلاثون بالاتفاق

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾﴾.

﴿تبارك الذي بيده الملك﴾ البركة النماء والزيادة حسية أو عقلية ونسبتها إلى الله تعالى باعتبار تعاليه عما سواه في ذاته وصفاته وأفعاله يعني أن البركة تتضمن معنى الزيادة وهي تقتضي التعالي عن الغير كما قال ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١] أي في ذاته لوجوب وجوده وفي صفاته وأفعاله لكل لكماله فيهما وأما قوله تخلقوا بأخلاق الله فباعتبار اللوازم وبقدر الاستعداد لا باعتبار الحقيقة والكنه فإن الاتصاف بها بهذا الاعتبار مخصوص بالله تعالى فأين إحياء عيسى عليه السلام الأموات من إحياء الله تعالى فإنه من الله بدعائه فالمعجزة استجابة مثل هذا الدعاء ومظهريته له بقدر استعداده وبهذا التقرير ظهر معنى قول بعض المفسرين تزايد في ذاته فإن التزايد في ذاته لا يكون إلا باعتبار تعاليه بوجوده الواجب وتنزهه عن الفناء والتغير والاستقلال وصيغة تبارك بالدلالة على غاية الكمال وإنبائها عن نهاية التعظيم لم يجز استعمالها في حق غيره سبحانه ولا استعمال غيرها من الصيغ مثل يتبارك في حقه تبارك وتعالى وإسنادها إلى الموصول للاستشهاد بما في حيز الصلة على تحقق مضمونها والموصولات معارف ولا شك أن المؤمنين يعرفونه بكون الملك بيده وأما غيرهم فهم في حكم العارفين لأن الأدلة القطعية لما دلت على ذلك كان في قوة المعلوم عند العاقل واليد مجاز عن القدرة التامة والاستيلاء الكامل لما أن أثرها يظهر في الأكثر من اليد يقال فلان بيده الأمر والنهي والحل والعقد أي له القدرة الغالبة والتصرف العام والحكم النافذ قال الحكيم السنائي: يد اوقدر تست ووجه بقاش.

آمدن حكمش ونزول عطاش | اصبعينش نفاذ حكم قدر
قد مينش جلال وقهر وخطر

وفي «عين المعاني» اليد صلة والقدرة والمذهب أنها صفة له تعالى بلا تأويل ولا تكييف والملك بمعنى التصرف والسلطنة واللام للاستغراق ولذا قال في «كشف الأسرار»: ملك هجده هزار عالم بدست اوست.

والمعنى تعالى وتعاظم بالذات عن كل ما سواه ذاتاً وصفة وفعلاً الذي بقبضة قدرته

التصرف الكلي في كل الأمور لا بقبضة غيره فيأمر وينهي ويعطي ويمنع ويحيي ويميت ويعز ويذل ويفقر ويغني ويمرض ويشفي ويقرب ويبعد ويعمر ويخرب ويفرق ويصل ويكشف ويحجب إلى غير ذلك من شؤون العظمة وآثار القدرة الإلهية والسلطنة الأزلية والأبدية وقال بعضهم: البركة كثرة الخير ودوامه فنسبتها إلى الله تعالى باعتبار كثرة ما يفيض منه على مخلوقاته من فنون الخيرات أي تكاثر خير الذي بيده الملك وتزايد نعمه وإحسانه كما قال تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ﴾ [النحل: ١٨] قال الراغب البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الخير ولما كان الخير الإلهي يصدر من حيث لا يحس وعلى وجه لا يحصى ولا يحصر قيل لكل ما يشاهد منه زيادة غير محسوسة هو مبارك وفيه بركة وإلى هذه الزيادة أشير بما روي لا ينقص مال من صدقة وقوله ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى جَعَلَ فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجٗا﴾ [الفرقان: ٦١] تنبيه على ما يفيضه علينا من نعمه بوساطة هذه البروج والنيرات المذكورة وكل موضع ذكر فيه لفظة تبارك فهو تنبيه على اختصاصه تعالى بالخيرات المذكورة مع ذكر تبارك وفي «الكواشي» معنى تبارك تعالى عن صفات المحدثين وجميع المستعمل من «ب ر ك» وبعكسه يشتمل على معنى أي ثبت الثبوت الخير في خرائن الذي وقال سهل قدس سره: تعالى من تعظم عن الأشياء والأولاد والأضداد والأنداد بيده الملك يقلبه بحوله وقوته يؤتيه من يشاء وينزعه ممن يشاء وقيل يريد به النبوة يعز بها من اتبع ويذل بها من خالف وقال جعفر قدس سره: هو المبارك على من انقطع إليه أو كان له أي فإنه وارث النبي عليه السلام، وخليفة وقد قيل في حقه وبارك عليه وقال القاشاني قدس سره الملك عالم الأجسام كما أن الملكوت عالم النفوس ولذلك وصف ذاته باعتبار تصريفه في عالم الملك بحسب مشيئته بالتبارك الذي هو غاية العظمة ونهاية الازدياد في العلو والبركة وباعتبار تسخيره عالم الملكوت بمقتضى إرادته بالتسبيح الذي هو التنزيه كقوله: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىۡءٖ﴾ [يس: ٨٣] كلاً بما يناسب لأن العظمة والازدياد والبركة تناسب الأجسام والتنزه يناسب المجردات عن المادة وفي الآية إشارة إلى أن لملك إذا كان بيده فهو المالك وغيره المملوك فلا بد للمملوك من خدمة المالك.

خدمت اوكن مكرشاهان تراخدمت كنند چا كر اوباش تاسلطان ترا كردد غلام

وفي الحديث القدسي: «يا دنيا اخدمي من خدمني».

قال في «كشف الأسرار»: ملك انسانيت جداست وملك دلها جدا وملك جانها جدا زيار انسانيت ملك در دنيا راند ﴿إِنَّمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا لَعِبٞ وَلَهۡوٞۚ﴾ [محمد: ٣٦] ودل ملك در آخرت راند ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤] وجان ملك در عالم حقيقت راند ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] آن عزيز راه كوبد فرداكه علم كبرياي اوبقيامت برايدكه ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [غافر: ١٦] من ازكوشهء دل خويش بدستورى اودري بركشايم ودردي ازدردهاي او بيرون دهم تاكرد قيامت بر آيد وكويم لمن الملك اكر معترضي براه آيد كويم او كه چون ما ضعفا ومساكين دارد ميكويد لمن الملك ماچون أو ملك جبارى داريم چرانكوييم لمن الملك اكر اورا چون ما بندكانست ماز چون او خدا ونداست.

ومن هذا البيان يعرف سر قول عين العارفين أبي يزيد البسطامي قدس سره إلهي ملكي أعظم من ملكك أي فإن ملك العبد هو القديم وملك الرب هو الحادث فاعرف جداً فإن هذا

المقام من مزالق الأقدام. ﴿وهو﴾ تعالى وحده ﴿على كل شيء﴾ من الأشياء وعلى كل مقدور من الأنعام والانتقال وغيرهما ﴿قدير﴾ مبالغ في القدرة عليه ومنتهى إلى أقصاها يتصرف فيه حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة والجملة معطوفة على الصلة مقررة لمضمونها مفيدة لجريان أحكام ملكه تعالى في جلائل الأمور ودقائقها قال بعضهم: ﴿وهو على كل شيء قدير﴾ أي ما يمكن أن تتعلق به المشيئة من المعدومات الممكنة لأن الموجود الواجب لا يحتاج في وجوده إلى شيء ويمتنع زواله أزلاً وأبداً والموجود الممكن لايراد وجوده إذ هو تحصيل الحاصل والمعدوم الممتنع لا يمكن وجوده فلا تتعلق به المشيئة فتعلق القدرة بالمعدوم بالإيجاد وبالموجود بالإبقاء والتحويل من حال إلى حال قال القاشاني وهو القادر على كل ما عدم من الممكنات يوجده على ما يشاء فإن قرينة القدرة تخص الشيء بالممكن إذ تعلل القدرة به فيقال إنه مقدور لأنه ممكن.

«وفي التأويلات النجمية»: تعالى وتعاظم في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله الذي بيده المطلقة الملأى السحاء سلطنة الوجود المطلق الفائض على الوجودات المقيدة وهو أي هويته المطلقة ظاهرة في كل شيء قادرة على كل شيء.

﴿الذي خلق الموت والحياة﴾ شروع في تحصيل بعض أحكام الملك وآثار القدرة والموصول بدل من الموصول الأول فلا وقف على القدير والموت عند أهل السنة صفة وجودية مضادة للحياة كالحرارة والبرودة والحياة صفة وجودية زائدة على نفس الذات مغايرة للعلم والقدرة مصححة لاتصاف الذات بهما وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما من أن الموت والحياة جسمان وأن الله خلق الموت على صورة كبش أملح لا يمر بشيء ولا يجد رائحته شيء إلا مات وخلق الحياة على صورة فرس أنثى بلقاء وهي التي كان جبريل والأنبياء عليهم السلام يركبونها خطوتها مد البصر فوق الحمار ودون البغل لا تمر بشيء ولا يجد رائحتها شيء إلا حي وهي التي أخذ السامري من أثرها قبضة فألقاها على العجل فحيي فكلام وارد على سبيل التمثيل والتصوير وإلا فهما في التحقيق من قبيل الصفات لا من قبيل الأعيان هكذا قالوا وجوابه إن كون الموت والحياة صفتين وجوديتين لا ينافي أن يكون لهما صورة محسوسة كالأعيان فإنهما من مخلوقات عالم الملكوت ولكل منهما صورة مثالية في ذلك العام بها يرى ويشاهد يشاهده من يغيب عن عالم الملك وينسلخ عن البدن يؤيده قوله عليه السلام: «يذبح الموت بين الجنة والنار» على صورة كبش ولا شك أن الذبح إنما يتعلق بالأعيان وأيضاً عالم الآخرة عالم الصفة يعني أن كل صفة باطنة في الدنيا تتصور بصورة ظاهرة في العقبى حسنة أو قبيحة فلا شيء من المعاني إلا وهو مجسم مصور فقول ابن عباس رضي الله عنه محمول على هذا نعم إن قولهم إن الحياة فرس أنثى يخالف قولهم إن البراق حقيقة ثالثة لا ذكر ولا أنثى وقال بعضهم: الموت عبارة عن عدم صفة الحياة عن محل يقبلها يعني أن الموت والحياة من باب العدم والملكة فإن الحياة هي الإحساس والحركة الإرادية والاضطرارية كالتنفس والموت عدم ذلك عما من شأنه أن يكون له كما قال صاحب «الكشاف»الحياة ما يصح بوجوده الإحساس والموت عدم ذلك ومعنى خلق الموت والحياة إيجاد ذلك المصحح وإعدامه انتهى.

أي إيجاد أثر الموت بقطع ضوء الروح عن ظاهر الحي وباطنه مع كونه في غاية الاقتدار

على الحركة والتقلب وبجعله جماداً كأن لم تكن به حركة أصلاً وكذا إيجاد أثر الحياة بنفخ الروح وإضاءة ظاهر البدن وباطنه به وبجعله قادراً على التقلب بنفسه بالإرادة وعدم تلك الملكة ليس عدماً محضاً بل فيه شائبة الوجود وإلا لم يعتبر فيه المحل القابل للأمر الوجودي فلذلك صح تعلق الخلق بالموت كتعلقه بالحياة وبهذا التقرير اندفع ما اعترضوا به من أن العدم حال لا يكون مخلوقاً لأن المخلوق حادث وعد الحوادث أزلي ولو كان مخلوقاً لزم وجود الحوادث أزلاً وهو باطل وقال بعضهم: معنى خلق الموت على تقدير أن يكون الموت عبارة عن عدم الحياة قدره فإن الخلق يجيء بمعنى التقدير كما في قوله تعالى ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤] ولا يبعد أن يقال إن تعلق الخلق بالموت بمعنى الإيجاد إنما هو بتبعية تعلقه بالحياة بذلك المعنى وقدم على الحياة لأن الموت في عالم الملك ذاتي والحياة عرضية يعني أن الموت أسبق لأن الأشياء كانت مواتاً ثم عرضت لها الحياة كالنطفة على ما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨] ولأنه أدعى إلى إحساس العمل وأقرب إلى قهر النفوس فمن جعله نصب عينيه أفلح وفي الحديث: «لولا ثلاث ما طأطأ ابن آدم رأسه الفقر والمرض والموت» وفي «الإرشاد»: الأقرب أن المراد به الموت الطارىء وبالحياة ما قبله وما بعده لظهور مداريتهما كما ينطق به ما بعد الآية ﴿ليبلوكم﴾ الخ فإن استدعاء ملاحظتها لإحسان العمل مما لا ريب فيه مع أن نفس العمل لا يتحقق بدون الحياة الدنيوية انتهى.

وظاهره يخالف قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣] فإن المراد بهذه الحياة هي الحياة الدنيوية بقرينة النشور والقرآن يفسر بعضه بعضاً ثم إن الألف واللام في الموت والحياة عوض عن المضاف إليه أي موتكم وحياتكم أيها المكلفون لأن خلق موت غير المكلفين وحياتهم لابتلاء المكلفين لا معنى له قال بعض العارفين الموت والحياة عرضان والأعراض والجواهر مخلوقة له تعالى وأصل الحياة حياة تجليه وأصل الموت موت استتاره وهما يتعاقبان للعارفين في الدنيا فإذا ارتفعت الحجب يرتفع الموت عنهم بأنهم يشاهدون عياناً بلا استتار أبداً لا يجري عليهم طوارق الحجاب بعد ذلك قال الله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩] خلق الموت والحياة يميت قوماً بالمجاهدات ويحيي قوماً بالمشاهدات يميت قوماً بنعت الفناء في ظهور سطوات القدم ويحيي قوماً بنعت البقاء في ظهور أنوار البقاء لولا التجلي والاستتار لم يظهر شوق المشتاقين وتفاوت درجات الشوق ولا يتبين وله العاشقين وتفاوت درجاتهم في العشق وقال سهل قدس سره الموت في الدنيا بالمعصية والحياة في الآخرة بالطاعة في الدنيا وقال الجنيد قدس سره حياة الأجسام مخلوقة وهي التي قال الله تعالى خلق الموت والحياة وحياة الله دائمة لا انقطاع لها أوصلها إلى أوليائه في قديم الدهر الذي ليس له ابتداء فكانوا في علمه أحياء قبل إيجاده لهم ثم أظهرهم فأعارهم الحياة المخلوقة التي أحيا بها الخلق وأماتهم في سره فكانوا في سره بعد الوفاة كما كانوا ثم أورد عليهم حياة الأبد فكانوا أحياء أبداً وقال الواسطي قدس سره من أحياه الله عند ذكره في أزله لا يموت أبداً ومن أماته في ذلك لا يحيا أبداً وكم حي غافل عن حياته وميت غافل عن مماته ﴿**ليبلوكم أيكم أحسن عملاً**﴾ اللام متعلقة بخلق وظاهرها يدل على أن أفعال الله معللة بمصالح العباد وأنه تعالى يفعل الفعل لغرض كما ذهب إليه المعتزلة وعند أهل السنة ليس هي على ظاهرها بل معناها أن الله

تعالى فعل فعلاً لو كان يفعله من يراعي المصالح لم يفعله إلا لتلك المصلحة والغرض فمثل هذه اللام لام العلة عقلاً ولام الحكمة والمصلحة شرعاً وأيكم مبتدأ وأحسن خبره وعملاً تمييز والجملة الاسمية سادة مسد المفعول الثاني لفعل البلوى عدي إليه بلا واسطة لتضمنه معنى العلم باعتبار عاقبته وإلا فهو لا يتعدى بلا واسطة إلا إلى مفعول واحد فليس هو من قبيل التعليق المشهور الذي يقتضي عدم إيراد المفعول أصلاً وقد ذكر المفعول الأول هنا وهو كم مع اختصاصه بأفعال القلوب ولا من التضمين المصطلح بل هو مستعار لمعنى العلم البلوى الاختبار وليس هنا على حقيقته لأنه إنما يتصور ممن يخفى عليه عواقب الأمور فالابتلاء من الله أن يظهر من العبد ما كان يعلم منه في الغيب والمعنى ليعاملكم معاملة من يختبركم أيكم أحسن عملاً فيجازيكم على مراتب متفاوتة حسب تفاوت طبقات علومكم وأعمالكم فإن العلم غير مختص بعلم الجوارح ولذلك فسره عليه السلام، بقوله «أيكم أحسن عقلاً وأورع عن محارم الله وأسرع في طاعة الله» يعني: أتم عقلاً عند الله فهما لمراده فإن لكل من القلب والقالب عملاً خاصاً به فكما أن الأول أشرف من الثاني كذلك الحال في عمله كيف لا وعمله معرفة الله الواجبة على العباد أول كل شيء وإنما طريقها النظر والتفكر في بدائع صنع الله والتدبر في آياته المنصوبة في الأنفس والآفاق كما قال عليه السلام: «لا تفضلوني على يونس بن متى فإنه كان يرفع له كل يوم مثل عمل أهل الأرض قالوا وإنما كان ذلك التفكر في أمر الله الذي هو عمل القلب ضرورة أن أحداً لا يقدر على أن يعمل بجوارحه كل يوم مثل عمل أهل الأرض» كذا في «الإرشاد».

يقول الفقير: لعل حال يونس عليه السلام، إشارة إلى عمل قالبي مفضل على عمل أهل الأرض في زمانه بخواص قلبية فإن أعمال المقربين واحد منها مقابل بمائة ألف بل بغير حساب باعتبار التفاوت في الإحسان والشهود والخلوص ولذا قال تعالى: ﴿أحسن﴾ فإنه بعبارته إشارة إلى أحوال المقربين وبإشارته إلى أحوال غيرهم من الأبرار والكفار والمنافقين وذلك أن نية الإنسان لا تخلو إما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو الدنيا فهو سيىء نية وعملاً وهو حال الكفار وإما أن يكون متعلقها في لسانه هو الآخرة وفي جنانه هو الدنيا فهو أسوأ نية وعملاً وهو حال المنافقين وأما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو الآخرة فهو حسن نية وعملاً وهو حال الأبرار وأما أن يكون متعلقها في لسانه وجنانه هو وجه الله تعالى فهو أحسن نية وعملاً وهو حال المقربين ولما كان المقصود الأعظم هو تحصيل هذا الأحسن صرح بذكره دون ذكر الحسن فإنه مفهوم بطريق الإشارة وكذا غيره ولقد أصاب من قال في تفسير الآية تابياز مايد شمارا يعني باشما معاملهء آزمايند كان كند تاظاهر شودكه دردار تكليف كدام از شما نيكو ترند ازجهت عمل يعني إخلاص كدام بيشترست.

وكذا من قال أحسن الأعمال ما كان أخلص بأن يكون لوجه الله خالصاً وأصوب بأن يكون موافقاً للسنة أي وارداً على النهج الذي ورد عن الشارع فالعمل إذا كان خالصاً ولم يكن صواباً لم يقبل ولذا قال عليه السلام للأعرابي: قم صل فإنك لم تصل وكذا إذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل أيضاً ولذا جعل الله أعمال أهل الرياء والنفاق هباء منثوراً وقول من قال من العارفين حسن العمل نسيان العمل ورؤية الفضل هو من مراتب الإخلاص فإن الإخلاص سر عظيم من أسرار الله تعالى لا يناله إلا الخواص وفي «الإرشاد» إيثار صيغة التفضيل مع أن

الابتلاء شامل لهم باعتبار أعمالهم المنقسمة إلى الحسن والقبيح أيضا لا إلى الحسن والأحسن فقط للإيذان بأن المراد بالذات والمقصد الأصلي من الابتلاء هو ظهور كمال إحسان المحسنين مع تحقق أصل الإيمان والطاعة في الباقين أيضاً لكمال تعاضد الموجبات له وأما الإعراض عن ذلك فلكونه بمعزل من الاندراج تحت الوقوع فضلاً عن الانتظام في سلك الغاية للأفعال الإلهية وإنما هو عمل يصدر عن عامله بسوء اختياره من غير مصحح له ولا تقريب انتهى.

ثم إن المراد أيكم عمله أحسن من عمل غيره ولا معنى لقول السجاوندي في «عين المعاني» استفهام بمعنى الهمزة ولذا لم يعمل فيه الفعل تقديره ءأنتم أحسن عملاً أم غيركم انتهى. فإنه يشعر بأن يكون التفاوت بالنسبة إلى الإنسان وغيره كالملائكة ومؤمني الجن مثلاً وليس بمراد وعبارة القرآن في إسناد الحسن إلى الإنسان تدل على أن من كان عمله أحسن كان هو أحسن ولو أنه أبشع الناس منظراً و من كان عمله أسوأ كان بخلاف ذلك.

رءراست بايدند بالاي راست که کافرهم ازروى صورت چوماست

ولم يقل أكثر عملاً لأنه لا عبرة بالكثرة مع القبح قالوا والحسن إنما يدرك بالشرع فما حسنه الشرع فهو حسن وما قبحه فهو قبيح وقال بعضهم: ليبلوكم أيكم أحسن أخذاً من حياته لموته وأحسن أهبة في دنياه لآخرته قال النبي ﷺ لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما «خذ من صحتك لسقمك ومن شبابك لهرمك، ومن فراغك لشغلك، ومن حياتك لموتك فإنك لا تدري ما اسمك غداً» وسئل عليه السلام، «أي المؤمنين أكيس قال أكثرهم للموت ذكراً وأحسنهم له استعداداً» فالاستعداد للموت وللآخرة بكثرة الأعمال المقارنة للإخلاص سواء كانت صلاة أو صوماً أو زكاة أو حجاً أو نحوها، وإن كان لبعض الأعمال تفاوت بالنسبة إلى البعض الآخر كالصلاة فإنها معراج الشهود وفيها كسر النفس وإتعاب البدن ولذا كان السلف الصالح يكثرون منها حتى أن منهم من يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة ونحوها وكالصوم وتقليل الطعام فإنه سبب لورود الحكمة الإلهية إلى القلب ولذا كان بعض السلف يواصلون فمنهم من يطوي ثلاثة أيام ومنهم من يطوي فوق ذلك إلى سبعة إلى ثلاثين إلى أربعين فمن طوى أربعين يوماً انفتح له باب الحكمة العظمى مع أن في الصوم تهذيب الأخلاق أيضاً فإن أكثر المفاسد يجيء من قبل الأكل والشرب فيا أيها المؤمنون سابقوا وسارعوا فالنفس مطية والدنيا مضمار والسابقون السابقون أولئك المقربون وقد قال عليه السلام: «قد سبق المفردون» والتفريد هو تقطيع الموحد عن الأنفس والآفاق وشهود الحق في عالم الإطلاق فلا بد من السير والسلوك ثم الطيران في هواء الوحدة والهوية الذاتية فإن به يحصل الانفصال عن منازل الأكوان السفلية الحادثة ويتحقق العروج إلى عالم الوجوب والقدم نسأل الله من فضله أن يرينا وجهه الكريم إنه هو البر الرحيم. ﴿**وهو**﴾ أي وبحال أنه وحده ﴿**العزيز**﴾ الذي لا يفوته من أساء العمل. ﴿**الغفور**﴾ لمن شاء منهم بالتوبة وكذا بالفضل قال بعضهم لما كان العزيز منا يهلك كل من خالفه إذا علم بمخالفته قال مرغباً للمسيء في التوبة حتى لا يقول مثلي لا يصلح للخدمة لما لي من القاطعة وأين التراب ورب الأرباب الغفور الذي ستر ذنوب المسيء ويتلقى من أقبل إليه أحسن تلقٍ كما قال في الحديث القدسي «ومن أتاني يمشي أتيته هرولة».

﴿**الذي خلق سبع سموات**﴾ أبدعها من غير مثال سبق ﴿**طباقاً**﴾ صفة لسبع سماوات وقولهم الصفة في الإعداد تكون للمضاف إليه كما في قوله: ﴿سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ﴾ [يوسف: ٤٣]

لا يطرد ويجوز جعله حالاً لأن سبع سماوات معرفة لشمولها الكل وهو مصدر بمعنى الفاعل يقال طابقه مطابقة وطباق الشيء مثل كتاب مطابقة بكسر الباء وطابقت بين الشيئين إذا جعلتهما على حذو واحد وألزقتهما والباب يدل على وضع شيء مبسوط على مثله حتى يغطيه، والمعنى مطابقة بعضها فوق بعض وسماء فوق سماء غلظ كل سماء خمسمائة عام وكذا جوها بلا علاقة ولا عماد ولا مماسة فالسماء الدنيا موج مكفوف، أي ممنوع من السيلان والثانية من درة بيضاء والثالثة من حديد والرابعة من نحاس أو صفر والخامسة من فضة والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمراء وبين السابعة وما فوقها من الكرسي والعرش بحار من نور قال القاشاني: نهاية كمال عالم الملك في خلق السموات أن لا يرى أحكم خلقاً وأحسن نظاماً وطباقاً منها.

قال الجمهور: إن الأرض مستديرة كالكرة وإن السماء الدنيا محيطة بها من كل جانب إحاطة البيضة بالمح فالصفرة بمنزلة الأرض وبياضها بمنزلة الماء وجلدها بمنزلة السماء غير أن خلقها ليس فيه استطالة كاستطالة البيضة بل هي مستديرة كاستدارة الكرة المستديرة الخرط حتى قال مهندسوهم لو حفر في الوهم وجه الأرض لأدى إلى الوجه الآخر ولو ثقب مثلاً بأرض الأندلس لنفذ الثقب بأرض الصين وأن السماء الثانية محيطة بالدنيا وهكذا إلى أن يكون العرش محيطاً بالكل والكرسي الذي هو أقربها إليه بالنسبة إليه كحلقة ملقاة في فلاة فما ظنك بما تحته وكل سماء في التي فوقها بهذه النسبة **﴿ما ترى في خلق الرحمن من تفاوت﴾** استئناف والخطاب للرسول أو لكل أحد ممن يصلح للخطاب ووضع خلق الرحمن موضع الضمير إذا المقام مقام أن يقال في خلقه وهي السماوات على أن يكون بمعنى المخلوق والإضافة بمعنى اللام للإشعار بأنه تعالى خلقها بقدرته القاهرة رحمة وتفضلاً ومن لتأكيد النفي والمعنى ما ترى فيه شيئاً من اختلاف واضطراب في الخلقة وعدم تناسب بل هو مستوٍ مستقيم قال القاشاني: سلب التفاوت عنها بساطتها واستدارتها ومطابقة بعضها بعضاً وحسن انتظامها وتناسبها وهو من الفوت فإن كلاً من المتفاوتين يفوت منه بعض ما في الآخر فلا يناسبه ولا يلائمه قال الراغب: التفاوت الاختلاف في الأوصاف كأنه يفوت وصف أحدهما الآخر أو وصف كل واحد منهما الآخر وجعل بعض العلماء خلق الرحمن عاماً فسئل بأن المخلوقات بأسرها على غاية التفاوت لأن الليل غير النهار إلى غير ذلك من الأضداد ثم أجاب بأن ليس فيها تناقص أو زيادة غير محتاج إليها أو نقصان محتاج إليه بل الكل مستقيمة مستوية دالة على أن خالقها عالم انتهى وفي الآية إشارة إلى شمول رحمته الرحمانية الواسعة كل شيء كما قال يا رحمن الدنيا ورحيم الآخرة لأن الموجودات كلها علوية كانت أو سفلية نورانية كانت أو ظلمانية روحانية كانت أو جسمانية خلقت من نور الرحمن ورحمته من غير تفاوت في الخلقة وأصل الرزق.

اديم زمين سفرهٔ عام اوست ... برين خوان يغما چه دشمن چه دوست

﴿فارجع البصر﴾ أي رده إلى رؤية السماء حتى يتضح ذلك بالمعاينة ولا يبقى عندك شبهة ما ورجع يجيء لازماً ومتعدياً يقال رجع بنفسه رجوعاً وهو العود إلى ما منه البدء مكاناً كان أو فعلاً أو قولاً بذاته كان رجوعه أو بجزء من أجزائه أو بفعل من أفعاله ورجعه غيره رجعاً أي رده وأعاده **﴿هل ترى﴾** فيها **﴿من فطور﴾** جمع فطر كما في «القاموس» وهو الشق.

كما قال في «تاج المصادر»: الفطر آفريدن وابتداكردن وشكافتن.

يقال فطره فانفطر أي شقه فانشق والمعنى من شقوق وصدوع لامتناع خرقها والتئامها قاله

القاشاني: ولو كان لها فروج لفاتت المنافع التي رتبت لها النجوم المفرقة في طبقاتها أو بعضها أو كمالها كما في المناسبات فإذا لم ير في السماء فطور وهي مخلوقة فالخالق أشد امتناعاً من خواص الجسمانيات.

﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ يَنقَلِبۡ إِلَيۡكَ ٱلۡبَصَرُ خَاسِئٗا وَهُوَ حَسِيرٞ ﴿٤﴾ وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾﴾

﴿**ثم ارجع البصر كرتين**﴾ أي رجعتين أخريين وأعد النظر مرة بعد مرة في طلب الخلل والعيب.

يعني اكربيك نكريستن معلوم نكردد تكراركن نكريستن را.

والمراد بالتثنية التكرير والتكثير كما في لبيك وسعديك يريد إجابات كثيرة وإعانات وفيرة بعضها في أثر بعض وذلك لأن الكلام الآتي لا يقع بالمرتين أي رجعة بعد رجعة وإن كثرت قال الحسن رحمه الله: لو كررته مرة بعد مرة إلى يوم القيامة لم تر فيه فطوراً وقال الواسطي رحمه الله كرتين أي قلباً وبصراً لأن الأول كان بالعين خاصة والحاصل أن تكرار النظر وتجوال الفكر مما يفيد تحقيق الحقائق وإذا كان ذلك النظر فيها عند طلب الخروق والشقوق لا يفيد إلا الكلال والحرمان تحقق الامتناع وما أتعب من طلب وجود الممتنع ﴿**ينقلب**﴾ ينصرف ويرجع وبالفارسية باز كردد ﴿**إليك**﴾ بسوي تو ﴿**البصر**﴾ چشم تو ﴿**خاسئاً**﴾ أي ذليلاً بعيداً محروماً من إصابة ما التمسه من العيب والخلل كأنه يطرد عن ذلك طرد بالصغار والذلة فقوله ينقلب مجزوم على أنه جواب الأمر وخاسئاً حال من البصر وهو مع أنه اسم فاعل من خسأ بمعنى تباعد وهرب ففيه معنى الصغار والذلة فإذا قيل خسأ الكلب خسوءاً فمعناه تباعد من هوانه وخوفه كأنه زجر وطرد عن مكانه الأول بالصغار وخسأ يجيء متعدياً أيضاً يقال خسأت الكلب فخسأ أي باعدته وطردته وزجرته مستهيناً به فانزجر وذلك إذا قيل له اخسأ قال الراغب ومنه خسأ البصر أي انقبض من مهانة وفي «القاموس» الخاسىء من الكلاب والخنازير المبعد لا يترك أن يدنو من الناس ولا يكون خاسئاً في الآية من المتعدي إلا بأن يكون بمعنى المفعول أي مبعداً ﴿**وهو حسير**﴾ أي كليل وبالغ غاية الإعياء لطول المعاودة وكثرة المراجعة وهو فعيل بمعنى الفاعل من الحسور الذي هو الإعياء كما في «تاج المصادر» الحسور رنجه شدن وكندشدن چشم از مسافت دور.

وقال الراغب: يقال للمعيي حاسر ومحسور أما الحاسر فتصور أنه قد حسر بنفسه قواه وأما المحسور فتصور أن التعب قد حسره وقوله تعالى: ﴿**وهو حسير**﴾ يصح أن يكون بمعنى حاسر وبمعنى محسور انتهى. والجملة حال من البصر أو من الضمير المستتر في خاسئاً فيكون من قبيل الأحوال المتداخلة قال بعضهم فإذا كان الحال هذا في بعض المصنوع فكيف عند طلب العلم بالصانع في كماله وجلاله وجماله فكيف بمن يتفوه بالحلول والاتحاد حسبه جهنم وبئس المهاد.

سبحانه من تحير في ذاته سواء — فهم خرد بكنه كمالش نبرد راه
عمري خرد چو چشمهٔ ها چشمها كشاد — تابر كمال كنه اله افكند نكاه
ليكن كشيد عاقبتش در دوديده ميل — شكل الف كه حرف نخستست ازاله

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿فارجع بصرك﴾ الظاهر من ظواهر الأشياء إلى بصرك الباطن ومن بصرك الباطن إلى بواطن الأشياء يعني انظر باتحاد بصرك وبصيرتك إلى ظواهر الأشياء وبواطنها هل تر من شقوق الخلاف بحسب استعداد كل واحد من الموجودات لإعطائه كل ذي حق حقه ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئاً وهو حسير مبعد عن رؤية الخلل ومطالعة الزلل كما قال الإمام حجة الإسلام قدس سره في بعض كلماته ليس في الإمكان أبدع من هذا الوجود لاته لو كان ولم يظهر لكان بخلاً وهو جواد ولكان عجزاً وهو قادر كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: ٥٠] وقال بعضهم إنما لم يكن في الإمكان أبدع مما كان أي أظهر من هذا العالم لأنه ماثم الارتبتان الحق في المرتبة الأولى وهو القدم والعالم في الثانية وهو الإمكان والحدوث فلو خلق ما خلق إلى ما لا يتناهى فلا يزال في المرتبة الثانية الإمكانية.

﴿ولقد زينا السماء الدنيا﴾ بيان لكون خلق السماوات في غاية الحسن والبهاء أثر بيان خلوها عن شائبة القصور وتصدير الجملة بالقسم لإبراز كمال الاعتناء بمضمونها أي وبالله لقد زينا أقرب السماوات إلى الأرض والناس وجملناها فالزين والتزيين بالفارسية آراستن.

وهو ضد الشين بالفارسية معيوب كردن.

والدنيا تأنيث الأدنى بمعنى الأقرب وكون السماء قربى من سائر السموات إنما هو بالإضافة إلى ما تحتها من الأرض لا مطلقاً لأن الأمر بالعكس بالإضافة إلى ما فوقها من العرش ﴿بمصابيح﴾ بچرغها.

جمع مصباح وهو السراج وتنكيره للتعظيم والمدح أي بكواكب مضيئة بالليل إضاءة السرج من السيارات والثوابت تتراءى كلها مركوزة في السماء الدنيا مع أن بعضها في سائر السماوات لأن السماوات إذا كانت شفافة وأجراماً صافية فالكواكب سواء كانت في السماء الدنيا أو في سماوات أخرى فهي لا بد وأن تظهر في السماء الدنيا وتلوح منها فعلى التقديرين تكون السماء الدنيا مزينة بهذه المصابيح ودخل في المصابيح القمر لأنه أعظم نير يضيء بالليل وإذا جعل الله الكواكب زينة السماء التي هي سقف الدنيا فليجعل العباد المصابيح والقناديل زينة سقوف المساجد والجوامع ولا سرف في الخير وذكر أن مسجد الرسول ﷺ كان إذا جاء العشاء يوقد فيه بسعف النخل فلما قدم تميم الداري رضي الله عنه المدينة صحب معه قناديل وحبالاً وزيتاً وعلق تلك القناديل بسواري المسجد وأوقدت فقال عليه السلام: «نورت مسجدنا نور الله عليك أما والله لو كان لي ابنة لأنكحتكها» وسماه سراجاً وكان اسمه الأول فتحاً، ثم أكثرها عمر رضي الله عنه حين جمع الناس على أبي بن كعب رضي الله عنه في صلاة التراويح فلما رآها علي رضي الله عنه تزهر قال: نورت مسجدنا نور الله قبرك يا ابن الخطاب وعن بعضهم قال: أمرني المأمون أن اكتب بالاستكثار من المصابيح في المساجد فلم أدر ما أكتب لأنه شيء لم أسبق إليه فرأيت في المنام اكتب فإن فيه أنساً للمتهجدين ونفياً لبيوت الله عنه وحشة الظلم فانتبهت وكتبت بذلك وفيه إشارة إلى سماء القلب لدنوه منك من سماء الروح وزينة أنوار المعارف والعلوم الإلهية والواردات الرحمانية ﴿وجعلناها﴾ أي المصابيح المعبر بها عن النجوم أي بعضها كما في «تفسير أبي الليث» ﴿رجوماً﴾ جمع رجم بالفتح وهو ما يرجم به ويرمى للطرد ولزجر أو جمع راجم كسجود جمع ساجد ﴿للشياطين﴾ هم كفار الجن يخرجون الإنس

من النور إلى الظلمات وجمع الشياطين على صيغة التكثير لكثرتهم في الواقع فالمعنى وجعلنا لها فائدة أخرى هي رجم أعدائكم بانقضاض الشهب المقتبسة من الكواكب لا بالكواكب نفسها فإنها قارة في الفلك على حالها فمنهم من يقتله الشهاب ومنهم من يفسد عضواً من أعضائه أو عقله والشهاب شعلة ساطعة من نار وهو ههنا شعلة نار تنفصل من النجم فأطلق عليها النجم ولفظ المصباح ولفظ الكوكب ويكون معنى جعلناها رجوماً جعلنا منها رجوماً وهي تلك الشهب ومما يؤيد أن الشعلة منفصلة من النجوم ما جاء عن سلمان الفارسي رضي الله عنه، أن النجوم كلها كالقناديل معلقة في السماء الدنيا كتعليق القناديل في المساجد مخلوقة من نور وقيل إنها معلقة بأيدي الملائكة وينصر هذا القول قوله تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢﴾ [الانفطار: ١ ـ ٢] لأن انتثارها يكون بموت من كان يحملها من الملائكة وقيل: إن هذه ثقب في السماء وينصره قول بعض المكاشفين إن الكواكب ليست مركوزة في هذا التعين وإنما هي بانعكاس الأنوار في بعض عروقه اللطيفة والذي يرى كسقوط النجم فكدفع الشمس من موضع إلى موضع وهذا لا يطلع عليه الحكماء وإنما يعرفه أهل السلوك انتهى. وقال الفلاسفة إن الشهب إنما هي أجزاء نارية تحصل في الجو عند ارتفاع الأبخرة المتصاعدة واتصالها بالنار التي دون الفلك وقد سبق بيان هذا المقام مفصلاً في أوائل الصافات والحجر فلا نعيده والذي يلوح أن مذهب الفلاسفة قريب في هذه المادة من مذهب أهل الحقائق ومر بيان مذهبهم في الصافات والله أعلم بالخفيات ﴿**وأعتدنا لهم**﴾ أي هيئنا للشياطين في الآخرة بعد الإحراق في الدنيا بالشهب ومنه العتاد أي العدة والأهبة ﴿**عذاب السعير**﴾ أي: عذاب جهنم الموقدة المشعلة فالسعير فعيل بمعنى مفعول من سعرت النار إذا أوقدتها ولذلك لم يؤنث بالتاء في آخره مع أنه اسم للدركة الرابعة من دركات النار السبع وهي جهنم ثم لظى ثم الحطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية ولكن كل من هذه الأسماء يطلق على الآخر فيعبر عن النار تارة بالسعير وتارة بجهنم وأخرى بآخر.

واعلم أن في كل دركة منها فرقة من فرق العصاة كعصاة أهل التوحيد والنصارى واليهود والصابئة والمجوس والمشركين والمنافقين ولم يذكروا الشياطين في واحدة من الدركات السبع ولعلهم يقسمون على مراتب إضلالهم فيدخل كل قسم منهم مع قسم تبعه في إضلاله فكان سبباً لدخوله في دركة من الدركات الست التحتانية جزاء لضلاله وإضلاله وأذية لمن تبعه فيما دعا إليه بمصاحبته ومقارنته كما قال تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ مُّقَرَّنِينَ﴾ [إبراهيم: ٤٩] أي: مع شياطينهم وفي الآية إشارة إلى شياطين الخواطر النفسانية والهواجس الظلمانية وعذابها عذاب الرد والانقلاب بغلبة الخواطر الملكية والرحمانية.

﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ۝٦ إِذَآ أُلۡقُواْ فِيهَا سَمِعُواْ لَهَا شَهِيقٗا وَهِيَ تَفُورُ ۝٧ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلۡغَيۡظِۖ كُلَّمَآ أُلۡقِيَ فِيهَا فَوۡجٞ سَأَلَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ نَذِيرٞ ۝٨ قَالُواْ بَلَىٰ قَدۡ جَآءَنَا نَذِيرٞ فَكَذَّبۡنَا وَقُلۡنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ كَبِيرٖ ۝٩ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝١٠﴾.

﴿**وللذين كفروا بربهم**﴾ من الشياطين وغيرهم وكفرهم به إما بالتعطيل أو بالإمساك وقال سعدي المفتي: الأظهر حمله على الكفرة غير الشياطين كما يشعر به ما بعده ولئلا يلزم شبه

التكرار. ﴿عذاب جهنم﴾ أي: الدركة النارية التي تلقاهم بالتجهم والعبوسة يقال رجل جهم الوجه كالح منقبض وفيه إشارة إلى أن عذابه تعالى وانتقامه خارج عن العادة لكونه ليس بسيف ولا سوط ولا عصا ونحوها بل بالنار الخارجة عن الانطفاء وليس للكافر المعذب من الخلاص رجاء. ﴿وبئس المصير﴾ أي جهم وقال بعضهم: جهنم من الجهنام وهي بئر بعيدة القعر ففيه إشارة إلى أن أهل النار مبعدون عن جمال الله تعالى وعن نعيم الجنة محرقون في نار البعد والقطيعة نسأل الله العافية قال في «فتح الرحمن» تضمنت هذه الآية أن عذاب جهنم للكافرين المخلدين وقد جاء في الأثر أنه يمر على جهنم زمن تخفق أبوابها قد أخلتها الشفاعة فالذي في هذه الآية هي جهنم بأسرها أي جميع الطبقات والتي في الأثر هي الطبقة العليا لأنها مقر العصاة انتهى. وهو مراد من قال من كبار المكاشفين يأتي زمان تبقى جهنم خالية عن أهلها وهم عصاة الموحدين ويأتي على جهنم زمان ينبت في قعرها الجرجير وهي بقلة ﴿إذا ألقوا فيها﴾ أي الذين كفروا أي في جهنم وطرحوا كما يطرح الحطب في النار العظيمة وفي إيراد الإلقاء دون الإدخال إشعار بتحقيرهم وكون جهنم سفلية. ﴿سمعوا لها﴾ أي لجهنم نفسها وهو متعلق بمحذوف وقع حالاً من قوله: ﴿شهيقاً﴾ لأنه في الأصل صفة فلما قدمت صارت حالاً أي سمعوا كائناً لها شهيقاً أي صوتاً كصوت الحمير الذي هو أنكر الأصوات وأفظعها غضباً عليهم وهو حسيسها المنكر الفظيع كما قال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء: ١٠٢] قالوا: الشهيق في الصدر والزفير في الحلق أو شهيق الحمار آخر صوته والزفير أوله والشهيق رد النفس والزفير إخراجه ﴿وهي تفور﴾ أي والحال أنها تغلي بهم غليان المرجل بما فيها من شدة التلهب والتسعر فهم لا يزالون صاعدين هابطين كالحب إذا كان الماء يغلي به لاقرار لهم أصلاً الفور شدة الغليان ويقال ذلك في النار وفي القدر وفي الغضب وفوارات الماء سميت تشبيهاً بغليان القدر وفعلت كذا من فوري أي من غليان الحال وفارة المسك تشبيهاً به في الهيئة كما في «المفردات» قال بعضهم: نطقت الآية بأن سماعهم يكون وقت الإلقاء على ما هو المفهوم من إذا وعلى المفهوم من قوله وهي تفور أن يكون بعده اللهم إلا أن تغلي بما فيها كائناً ما كان ويؤول إذا ألقوا بإذا أريد الإلقاء أو إذا قربوا من الإلقاء بناء على أن صوت الشهيق يقتضي أن يسمع قبل الإلقاء انتهى. ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾ الجملة خبر آخر وتميز أصله تتميز بتاءين والتميز الانقطاع والانفصال بين المتشابهات والغيظ أشد الغضب يقال يكاد فلان ينشق من غيظه إذا وصف بالإفراط في الغضب والمعنى تكاد تتفرق جهنم من شدة الغضب عليهم أي قرب أن يتمزق تركيبها.

وينفصل بعضه من بعض وبالفارسية نزديكست كه پاره پاره شود دوزخ از شدت خشم بركافران.

شبه اشتعال النار بهم في قوة تأثيرها فيهم وإيصال الضرر إليهم باغتياظ المغتاظ على غيره المبالغ في إيصال الضرر إليه فاستعير اسم الغيظ لذلك الاستعمال استعاره تصريحية قال الإمام لعل سبب هذا المجاز أن دم القلب يغلي عند الغضب فيعظم مقداره فيزداد امتلاء العروق حتى يكاد يتمزق قال في «المناسبات»: وكان حذف إحدى التاءين إشارة إلى أنه يحصل افتراق واتصال على وجه من السرعة لا يكاد يدرك حق الإدراك وذلك كله لغضب سيدها وتأتي يوم القيامة تقاد إلى المحشر بألف زمام لكل زمام سبعون ألف ملك يقودونها به وهي من شدة

الغيظ تقوى على الملائكة وتحمل على الناس فتقطع الأزمة جميعاً وتحطم أهل المحشر وتقول لأنتقمن اليوم ممن أكل رزق الله وعبد غيره فلا يردها عنهم إلا النبي ﷺ يقابلها بنوره فترجع مع أن لكل ملك من القوة ما لو أمر به أن يقتلع الأرض وما عليها من الجبال ويصعد بها فعل من غير كلفة وهذا كما أطفأها في الدنيا بنفحة كما قال عليه السلام: «لقد أدنيت مني النار حتى جعلت أنفثها خشية أن تغشاكم» قال بعضهم: تلك المهواة لشدة منافاتها بالطبع لعالم النور وأصل فطرة النفس ليشتد غيظها على النفوس كما أن شدة منافرة الطباع بعضها بعضاً تستلزم شدة العداوة والبغض المقتضية لشدة الغيظ.

يقول الفقير: تقرر من هذا البيان ودل سائر الآثار الصحيحة أيضاً أن جهنم لها حياة وشعور كسائر الأحياء ولذا يصدر منها كما يصدر منهم فلا حاجة إلى ارتكاب المجاز عند أهل الله تعالى في أمثال ذلك قال جعفر الطيار رضي الله عنه: كنت مع النبي عليه السلام، في طريق فاشتد علي العطش فعلمه النبي عليه السلام، وكان حذاءنا جبل فقال عليه السلام: «بلغ مني السلام إلى هذا الجبل وقل له يسقيك إن كان فيه ماء» قال: فذهبت إليه وقلت السلام عليك أيها الجبل فقال الجبل ينطق بنطق فصيح لبيك يا رسول رسول الله فعرضت القصة فقال بلغ سلامي إلى رسول الله وقل منذ سمعت قوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤] بكيت لخوف أن أكون من الحجارة التي هي وقود النار بحيث لم يبق في ماء.

﴿**كلما ألقي**﴾ الإلقاء بيفكندن ﴿**فيها**﴾ أي في جهنم ﴿**فوج**﴾ جماعة من الكفرة بدفع الزبانية لهم الذين هم أغيظ عليهم من النار وهو استئناف مسوق لبيان حال أهلها بعد بيان حال نفسها ﴿**سألهم**﴾ أي: ذلك الفوج وضمير الجميع باعتبار المعنى ﴿**خزنتها**﴾ أي خزنة النار وهي مالك وأعوانه من الزبانية بطريق التوبيخ والتقريع ليزدادوا عذاباً فوق عذاب وحسرة أي ليزدادوا العذاب الروحاني على العذاب الجسماني جمع خازن بمعنى الحافظ والموكل يعرف ذلك من قولهم بالفارسية خزينة دار.

قال في «تاج المصادر»: الخزن نكاه داشتن مال وسر ﴿**ألم يأتكم**﴾ أي: وقالوا لهم أيها الكفرة الفجرة ألم يأتكم في الدنيا ﴿**نذير**﴾ أي منذر يتلو علكيم آيات ربكم وينذركم لقاء يومكم هذا والإنذار الإبلاغ ولا يكون إلا في التخويف ويعدى إلى مفعولين كما في «تاج المصادر» ﴿**قالوا**﴾ اعترافاً بأنه تعالى قد أزاح عللهم بالكلية ببعثة الرسل وإنذارهم ما وقعوا فيه وأنهم لم يأتوا من قدره كما تزعم المجبرة وإنما أتوا من قبل أنفسهم واختيارهم خلاف ما اختار الله فأمر به وأوعد على ضده. ﴿**بلى**﴾ لإيجاب نفي إتيان النذير ﴿**قد جاءنا نذير**﴾ جمعوا بين حرف الجواب ونفس الجملة المجاب بها مبالغة في الاعتراف وتحسراً على فوت سعادة التصديق وتمهيداً لبيان التفريط الواقع منهم أي قال كل فوج من تلك الأفواج قد جاءنا نذير أي واحد حقيقة أو حكماً كأنبياء بني إسرائيل فإنهم في حكم نذير واحد فأنذرنا وتلا علينا ما نزل الله عليه من آياته روى أبو هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال أنا النذير والموت المغير يعني موت عارت كننده است والساعة الموعد يعني قيامت وعده كاهست ﴿**فكذبنا**﴾ ذلك النذير في كونه نذيراً من جهته تعالى فإن قلت هذا يقتضي أن لا يدخلها الفاسق المصر لأنه لم يكذب النذير قلت قد دلت الأدلة السمعية على تعذيب العصاة مطلقاً والمراد بالفوج هنا بعض من ألقي فيها وهم الكفرة كما سبق. ﴿**وقلنا**﴾ في حق ما تلاه من الآيات إفراطاً في

التكذيب وتمادياً في الكبر بسبب الاشتغال في الأمور الدنيوية والأحكام الرسومية الخلقية. ﴿**ما نزل الله**﴾ على أحد ﴿**من شيء**﴾ من الأشياء فضلاً عن تنزيل الآيات عليكم وقال بعضهم: ما نزل الله من كتاب ولا رسول ﴿**إن أنتم**﴾ أي ما أنتم يا معشر الرسل في ادعاء أن الله تعالى نزل عليكم آيات تنذروننا بما فيها ﴿**إلا في ضلال كبير**﴾ بعيد عن الحق والصواب وجمع ضمير الخطاب مع أن مخاطب كل فوج نذيره لتغليبه على أمثاله مبالغة في التكذيب وتماديا في التضليل كما ينبىء عنه تعميم المنزل مع ترك ذكر المنزل عليه فإنه ملوح بعمومه حتماً.

﴿**وقالوا**﴾ أيضا معترفين بأنهم لم يكونوا ممن يسمع أو يعقل ﴿**لو كنا**﴾ في الدنيا ﴿**نسمع**﴾ كلاماً ﴿**أو نعقل**﴾ شيئاً وفيه دليل على أن العقل حجة التوحيد كالسمع وقدم السمع لأنه لا بد أولاً من سماع ثم تعقل المسموع وقال سعدي المفتي قوله ﴿**لو كنا**﴾ الخ. يجوز أن يكون إشارة إلى قسمي الإيمان التقليدي والتحقيقي أي الاستدلالي لأنه يحتاج إلى النظر دون التحقيقي العياني لأنه يحصل بالكشف لا العقل ﴿**ما كنا**﴾ اليوم. ﴿**في أصحاب السعير**﴾ أي: في عداد أهل النار الموقدة وأتباعهم وهم الشياطين لقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ٥] كأن الخزنة قالوا لهم في تضاعيف التوبيخ ألم تسمعوا آيات ربكم من ألسنة الرسل ولم تعقلوا معانيها حتى لا تكذبوا بها فأجابوا بذلك وفي «التأويلات النجمية» لو كنا نسمع بأسماع قلوبنا أو نعقل بعقول أروحنا ما كنا في أصحاب السعير ولكنا سمعنا بأسماع محتومة وعقول معلولة مقفولة.

﴿فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١٢﴾﴾.

﴿**فاعترفوا**﴾ اضطراراً حين لا ينفعهم الاعتراف وهو إقرار عن معرفة وفي «عين المعاني» عرفوا أنفسهم بالجرم. ﴿**بذنبهم**﴾ اختياراً بصرف قواهم إلى سوء الاقتراف وهو كفرهم وتكذيبهم بآيات الله ورسله وقال بعضهم أفرد الذنب لأنه يفيد فائدة الجمع بكونه اسم جنس شامل للقليل والكثير وأريد به الكفر وهو وإن كان على أنواع فهو ملة واحدة في كونه نهاية الجرم واقتضاء الخلود الأبدي في النار. ﴿**فسحقاً**﴾ مصدر مؤكد إما لفعل متعد من المزيد بحذف الزوائد أي فأسحقهم الله، أي: أبعدهم من حرمته سحقاً أي إسحاقاً وإبعاداً بسبب ذنبهم أو لفعل مرتب على ذلك الفعل، أي فأسحقهم الله فسحقوا أي بعدوا سحقاً أي بعداً ويقال سحق الشيء مثل كرم فهو سحيق أي بعد فهو بعيد قيل هو تحقيق وقيل هو على الدعاء وهو تعليم من الله لعباده أن يدعوا عليهم به كما في «التيسير» ومعناه بالفارسية پس دور كرد خداي تعالى دور كردني ايشان را از رحمت خود.

قال بعضهم: دعاء عليهم من الله إشعاراً بأن المدعو عليهم مستحقون لهذا الدعاء وسيقع عليهم المدعو به من البعد والهلاك ﴿**لأصحاب السعير**﴾ اللام للبيان كما في هيت لك والمراد الشياطين والداخلون من الكفرة وفيه إشارة إلى أن الله تعالى بعد أهل الحجاب من جنة القرب وقربهم من جهنم البعد.

﴿**إن الذين يخشون ربهم بالغيب**﴾ أي يخافون عذابه وهو عذاب يوم القيامة ويوم الموت ويوم القبر خوفاً وراء عيونهم حال كون ذلك العذاب غائباً عنهم ولم يعاينوه بعد على أن

بالغيب حال من المضاف المقدر أو غائبين عنه تعالى أي عن معاينة عذابه وأحكام الآخرة أو عن أعين الناس لأنهم ليسوا كالمنافقين الذين ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْا۟ إِلَىٰ شَيَـٰطِينِهِمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾﴾ [البقرة: ١٤] على أنه حال من الفاعل وهو ضمير بيخشون أو بما خفي منهم وهو قلوبهم فالباء للاستعانة متعلقة بيخشون والألف واللام اسم موصول وكانوا يشمون من كبد أبي بكر الصديق رضي الله عنه رائحة الكبد المشوي من شد الخوف من الله تعالى وكان عليه السلام يصلي ولصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء والأزيز الغليان وقيل صوته والمرجل قدر من نحاس ﴿**لهم مغفرة**﴾ عظيمة تأتي على جميع ذنوبهم ولما كان السرور إنما يتم بالإعطاء قال ﴿**وأجر كبير**﴾ أي ثواب عظيم في الآخرة فضلاً منه تعالى يكون لهم به من الإكرام ما ينسيهم ما قاسوه في الدنيا من شدائد الآلام وتصغر في جنبه لذائذ الدنيا وهو الجنة ونعيمها.

كفته اندايمنى از وشاديد ومكاره يعني مزد ثرسندكان امان باشد ازهر چه مي ترسند.

لا تخافوا مژدهٔ ترسنده است هركه مي ترسد مبارك بنده است

خوف وخشيت خاص دانايان بود هركه دانانيست كي ترسان بود

ترس كاري رستكاري آورد هركه درد آرد عوض درمان بود

فلا بد من العقل أولاً حتى يحصل الخوف ثانياً وكان بعض الأكاسرة وكانوا أعقل الملوك يرتب واحداً يكون وراءه بالقرب منه يقول إذا اجتمعت جنوده أنت عبد لا يزال يكرر ذلك والملك يقول له كلما قاله نعم وهكذا حال من يعرف مكر النفس ويخاف الله بقلبه قال مسروق: إن المخافة قبل الرجاء فإن الله تعالى خلق جنة وناراً فلن تخلصوا إلى الجنة حتى تمروا بالنار قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: ٧١] قال فضيل قدس سره إذا قيل لك أتخاف الله فاسكت فإنك إذا قلت لا فقد جئت بأمر عظيم وإذا قلت نعم فالخائف لا يكون على ما أنت عليه ألا ترى أن الله تعالى لما اتخذ إبراهيم عليه السلام خليلاً ألقى في قلبه الوجل حتى إن خفقان قلبه يسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء وقيل لفضيل بم بلغ بك الخوف الذي بلغ قال بقلة الذنوب فللخوف أسباب وأول الأمر العقل السليم ثم يحصل كماله بترك العصيان وذلك أن ترك المعصية وإن كان نتيجة الخوف لكن القلب يترقى في الرقة بترك المعصية فيشتد خوفه فقاسي القلب لا يعرف الخوف لأن عقله ضعيف مغلوب يقال العقل كالبعل والنفس كالزوجة والجسم كالبيت فإذا سلط العقل على النفس أشغلت النفس بمصالح الجسم كما تشتغل المرأة المقهورة بمصالح البيت فصلحت الجملة وإن غلبت النفس كان سعيها فاسداً كالمرأة التي قهرت زوجها ففسدت الجملة.

مبر طاعت نفس شهوت پرست كه هرساعتش قبلهٔ ديكرست

كرا جامه پاكست وسيرت پليد در دوزخش رانبايد كليد

﴿وَأَسِرُّوا۟ قَوْلَكُمْ أَوِ ٱجْهَرُوا۟ بِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾

﴿**وأسروا قولكم أو اجهروا به**﴾ وپنهان سازيد سخن خودرا درشان پيغمبر عليه السلام، يا آشكارا كنيد مرانرا.

قال ابن عباس رضي الله عنهما، نزلت في المشركين كانوا يتكلمون فيما بينهم بأشياء يعني درباب حضرت پيغمبر سخنان ناشايسته كفتندي.

فيظهر الله رسوله عليها، فقال بعضهم لبعض: أسروا قولكم كيلا يسمع رب محمد فيخبره بما تقولون فقيل لهم أسروا ذلك أو اجهروا به فإن الله يعلمه وإسرار الأقوال وإعلانها مستويان عنده تعالى في تعلق علمه والأمر، للتهديد لا للتكليف وتقديم السر على الجهر للإيذان بافتضاحهم ووقوع ما يحذرون من أول الأمر والمبالغة في بيان شمول علمه المحيط بجميع المعلومات كأن علمه تعالى بما يسرونه أقدم منه بما يجهرون به مع كونهما في الحقيقة على السوية فإن علمه تعالى بمعلوماته ليس بطريق حصول صورها بل وجود كل شيء في نفسه علم بالنسبة إليه تعالى أو لأن مرتبة السر متقدمة على مرتبة الجهر إذ ما من شيء يجهر به إلا وهو أومباديه مضمر في القلب يتعلق به الإسرار غالباً فتعلق علمه تعالى بحالته الأولى متقدم على تعلقه بحالته الثانية. ﴿**إنه عليم بذات الصدور**﴾ مبالغ في الإحاطة بمضمرات جميع الناس وأسرارهم الخفية المستكنة في صدورهم بحيث لا تكاد تفارقها أصلاً فكيف يخفى عليه ما تسرونه وتجهرون به ويجوز أن يراد بذات الصدور القلوب التي في الصدور والمعنى إنه عليم بالقلوب وأحوالها فلا يخفى عليه سر من أسرارها، قال القاشاني ﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الأنفال: ٤٣] لكون تلك السرائر عين علمه فيكف لا يعلم ضمائرها من خلقها وسواها وجعلها مرائي أسراره ولم يقل ذوات الصدور لإرادة الجنس وذات هنا تأنيث ذي بمعنى صاحب حذف الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أي عليم بالمضمرات صاحبة الصدور وهي الخواطر القائمة بالقلب من الدواعي والصوارف الموجودة فيه وجعلت صاحبة الصدور بملازمتها لها وحلولها فيها كما يقال للبن ذو الإناء ولولد المرأة وهو جنين ذو بطنها.

﴿**ألا يعلم**﴾ آياندا ند ﴿**من خلق**﴾ أي ألا يعلم السر والجهر من أوجد بحكمته جميع الأشياء التي هما من جملتها فهو إنكار ونفي لعدم إحاطة علمه تعالى بالمضمر والمظهر ومن فاعل يعلم ويجوز أن يكون منصوباً على أنه مفعول يعلم والعائد محذوف أي ألا يعلم الله من خلقه ﴿**وهو**﴾ أي والحال أنه تعالى وحده ﴿**اللطيف**﴾ العالم بدقائق الأشياء يرى أثر النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء ﴿**الخبير**﴾ العالم ببواطنها قال القاشاني هو المحيط ببواطن ما خلق وظواهره بل هو هو في الحقيقة باطناً وظاهراً لا فرق إلا بالوجوب والإمكان والإطلاق والتقييد واحتجاب الهوية بالعندية والحقيقة بالشخصية فإن قلت: ذكر الخبير بعد اللطيف تكرار قلت لا تكرار فيه فإنه قال الإمام الغزالي رحمه الله: إنما يستحق اسم اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها وما دق منها وما لطف ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح على سبيل الرفق دون العنف فإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في الإدراك تم معنى اللطف ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلا لله تعالى والخبير هو الذي لا يعزب عنه الأخبار الباطنة فلا يجري في الملك والملكوت شيء ولا تتحرك ذرة ولا تسكن ولا تضطرب نفس ولا تطمئن إلا ويكون عنده خبرها وهو بمعنى العليم لكن العلم إذا أضيف إلى الخفايا الباطنة يسمى خبرة ويسمى صاحبها خبيراً قال بعضهم: كنا جماعة من القراء فأصابتنا فاقة ومجاعة فذهبنا إلى إبراهيم الخواص قدس سره وقلت في نفسي أباسط الشيخ في أحوالي وأحوال هؤلاء الفقراء فلما وقع بصره علي قال لي الحاجة التي جئتني فيها الله عليم بها أم لا؟

فارفعها إليه فسكت ثم انصرفنا فلما وصلنا إلى المنزل فتح علينا بشي وإذا علم العبد أنه مطلع على سره عليم بخفي ما في صدره يكتفي من سؤاله برفع همته إليه وإحضار حاجته في قلبه من غير أن ينطق بلسانه والله لطيف بعباده ومن لطفه بهم أنه يوصل إليهم ما يحتاجون إليه بسهولة فمن قوته رغيف لو تفكر فيه يعلم كم عين سهرت فيه من أول الأمر حتى تم وصلح للأكل من الحارث والباذر للبذر والحاصد والدائس والمذري والطاحن والعاجن والخابز ويتشعب من ذلك الآلات التي تتوقف عليها هذه الأعمال من الأخشاب والحجارة والحديد والحبال والدواب بحيث لا تكاد تنحصر وهكذا كل شيء ينعم به على عبده من مطعوم ومشروب وملبوس فيه مقدمات كثيرة لو احتاج العبد إلى مباشرتها بنفسه لعجز عن ذلك ومن سنة الله سبحانه حفظ كل لطيفة في طي كل كثيفة كصيانة الودائع في المواضع المجهولة ألا ترى أنه جعل التراب الكثيف معدن الذهب والفضة وغيرهما من الجواهر والصدف معدن الدر والذباب معدن الشهد والدود معدن الحرير وكذا جعل قلب العبد محلاً ومعدناً لمعرفته ومحبته وهو مضغة لحم فالقلب خلق لهذا لا لغيره فعلى العبد أن يطهره عن لوث التعلق بما سوى الله فإن الله تعالى لطف به بإيجاده ذلك القلب في جوفه ووصف نفسه بأنه لطيف خبير مطلع على ما في الباطن فإذا كان هو المنظر الإلهي وجب تخليته عن الأفكار والأغيار وتحليته بأنواع المعارف والعلوم والأسرار وتجليته بتجلي الله الملك العزيز الغفار بوجوه أسمائه وصفاته بل بعين ذاته نسأل الله تعالى نواله وأن يرينا جماله.

﴿هو﴾ وحده ﴿الذي جعل لكم﴾ أي لمنافعكم ﴿الأرض﴾ اختلفوا في مبلغ الأرض وكميتها فروي عن مكحول أنه قال ما بين أقصى الدنيا إلى أدناها مسيرة خمسمائة سنة مائتان من ذلك في البحر ومائتان ليس يسكنها أحد وثمانون فيها يأجوج ومأجوج وعشرون فيها سائر الخلق وعن قتادة أنه قال: الدنيا إن بسيطها من حيث يحيط بها البحر المحيط أربعة وعشرون ألف فرسخ فملك السودان منها اثنا عشر ألف فرسخ وملك الروم ثمانية آلاف فرسخ وملك العجم والترك ثلاثة آلاف فرسخ وملك العرب ألف فرسخ وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أنه قال: ربع من لا يلبس الثياب من السودان أكثر من جميع الناس وقد خرج بطليموس مقدار قطر الأرض واستدارتها في «المجسطي» بالتقريب وهو كتاب له يذكر فيه القواعد التي يتوسل بها في إثبات الأوضاع الفلكية والأرضية بأدلتها التفصيلية قال استدارة الأرض مائة ألف وثمانون ألف اسطاربوس وهي أربعة وعشرون ألف ميل فتكون على هذا الحكم ثمانية آلاف فرسخ والفرسخ ثلاثة أميال والميل ثلاثة آلاف ذراع بالمكي والذراع ثلاثة أشبار وكل شبر اثنتا عشرة أصبعاً والأصبع خمس شعيرات مضمومات بطون بعضها إلى بعض وعرض الشعيرة الواحدة ست شعرات من شعر بغل والاسطاربوس أربعمائة ألف ذراع قال وغلظ الأرض وهو قطرها سبعة آلاف وستمائة وثلاثون ميلاً يكون ألفين وخمسمائة فرسخ وخمسة وأربعين فرسخاً وثلثي فرسخ قال فبسيط الأرض كلها مائة واثنان وثلاثون ألف ألف وستمائة ألف ميل فيكون مائتي ألف وثمانية آلاف فرسخ قال صاحب «الخريدة» فإن كان ذلك حقاً فهو وحي من الحق أو إلهام وإن كان قياساً واستدلالاً فهو قريب أيضاً من الحق وأما قول قتادة ومكحول فلا يوجب العلم اليقيني الذي يقطع على الغيب به انتهى ﴿ذلولا﴾ أي: لينة منقادة غاية الانقياد لما تفهمه صيغة المبالغة يسهل عليكم السلوك فيها لتتوصلوا إلى ما ينفعكم وبالفارسية نرم ومنقادتا آسان باشد سير شماربران.

ولو جعلها صخرة خشنة تعسر المشي عليها أو جعلها لينة منبتة يمكن فيها حفر الآبار وشق العيون والأنهار وبناء الأبنية وزرع الحبوب وغرس الأشجار ولو كانت صخرة صلبة لتعذر ذلك ولكانت حارة في الصيف جداً وباردة في الشتاء فلا تكون كفاتاً للأحياء والأموات وأيضاً ثبتها بالجبال الراسيات كيلا تتمايل وتنقل بأهلها ولو كانت مضطربة متمايلة لما كان منقادة لنا فكانت على صورة الإنسان الكامل في سكوتها وسكونها وكانت هي وحقائقها في مقابلة القلم الأعلى والملائكة المهيمة والحاصل أن الله تعالى جعل الأرض بحيث ينتفع بها وقسمها إلى سهول وجبال وبراري وبحار وأنهار وعيون وملح وعذب وزرع وشجر وتراب وحجر ورمال ومدر وذات سباع وحيات وفارغة وغير ذلك بحكمته وقدرته.

قال سهل قدس سره: خلق الله الأنفس ذلولاً فمن أذلها بمخالفتها فقد نجاها من الفتن والبلاء والمحن ومن لم يذلها وأتبعها أذلته نفسه وأهلكته يقال دابة ذلول بينة الذل أو هو بالكسر اللين والانقياد وهو ضد الصعوبة فالذلول من كل شي المنقاد الذي يذل لك وبالضم الهوان ضد العز قال الراغب: الذل ما كان عن قهر يقال ذل يذل ذلاً والذل ما كان بعد تصعب وشماس من غير قهر يقال ذل يذل ذلاً وجعلهما البيهقي في «تاج المصادر» من الباب الثاني حيث قال في ذلك الكتاب والباب الذل خورشدن والذل رام شدن.

وكذا في «مختار الصحاح» وجعل صاحب «القاموس» الذل ضد الصعوبة بالضم والكسر والذل بمعنى الهوان بالضم فقط والذلول فعول بمعنى الفاعل ولذا عري عن علامة التأنيث مع أن الأرض مؤنث سماعي ﴿**فامشوا في مناكبها**﴾ الفاء لترتيب الأمر على الجعل المذكور وهو أمر إباحة عند بعض أي فاسلكوا في جوانبها وخبر في صورة الأمر عند آخرين أي تمشون في أطرافها من حيث أي منكبي الرجل جانباه فشبه الجوانب بالمناكب وإذا مشوا وساروا في جوانبها وأطرافها فقد أحاطوا بها وحصل لهم الانتفاع بجميع ما فيها قال الراغب المنكب مجتمع ما بين العضد والكتف ومنه استعير للأرض في قوله ﴿**فامشوا في مناكبها**﴾ كاستعارة الظهر لها في قوله ما ترك على ظهرها انتهى أو في جبالها وشبهت بالمناكب من حيث الارتفاع وكان لبشر بن كعب سرية، فقال لها: إن أخبرتني ما مناكب الأرض فأنت حرة فقالت مناكبها جبالها فصارت حرة فأراد أن يتزوجها فسأل أبا الدرداء رضي الله عنه فقال دع ما يريبك إلى ما لا يريبك وهو مثل لفظ التذليل ومجاوزته الغاية أي تذليل البعير لا مطلقاً كما في «حواشي» سعدي المفتي فإن منكب البعير أرق أعضائه وأنباها عن أن يطاها الراكب بقدمه فإذا جعل الأرض في الذل بحيث يتأتى المشي في مناكبها لم يبق منها شيء لم يتذلل فخرج الجواب عن وجه تخصيص المشي في الجبال على تقدير أن يراد بالمناكب الجبال لكن من الجبال ما يتعذر سلوكها كجبل السد بيننا وبين يأجوج ومأجوج ورد في الحديث أنه تزالق عليه الأرجل ولا تثبت ومنها ما يشق سلوكها وإنما لم تعتبر لندرتها وقلتها في «التأويلات النجمية»: هو الذي جعل لكم أرض البشرية ذلولاً منقادة فخذوا من أرضها بقدر الحاجة من أعاليها وأسافلها من اللذات الجسمانية المباحة لكم بحكم الشرع لتقوية أبدانكم وتهيئة أسباب طاعاتكم وعباداتكم لئلا تضعف بالكلية وتكل عن العبادة ﴿**وكلوا من رزقه**﴾ والتمسوا من نعم الله تعالى فيها من الحبوب والفواكه ونحوها والأمر إن كان أمر إباحة فالرزق ما يكون حلالاً وإن كان خبراً في صورة الأمر بمعنى تأكلون فيجوز أن يكون شاملاً للحرام أيضاً فإنه من رزقه أيضاً وإن كان

التناول منه حراماً ﴿وإليه﴾ أي: إلى الله وحده ﴿النشور﴾ أي: المرجع بعد البعث فبالغوا في شكر نعمه يقال نشر الله الميت نشراً أحياه بعد موته ونشر الميت بنفسه نشوراً فهو يتعدى ولا يتعدى كرجعه رجعاً ورجع بنفسه رجوعاً إلا أن الميت لا يحيا بنفسه بدون إحياء الله إذ هو محال.

﴿ءَأَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يَخۡسِفَ بِكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمۡ أَمِنتُم مَّن فِي ٱلسَّمَآءِ أَن يُرۡسِلَ عَلَيۡكُمۡ حَاصِبٗاۖ فَسَتَعۡلَمُونَ كَيۡفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدۡ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾﴾.

﴿ءأمنتم﴾ آيا ايمن شديد اي مكذبان.

وهو استفهام توبيخ فالهمزة الأولى استفهامية والثانية من نفس الكلمة ﴿من﴾ موصولة ﴿في السماء﴾ أي: الملائكة الموكلين بتدبير هذا العالم أو الله سبحانه على تأويل من في السماء أمره وقضاؤه وهو كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٣] وحقيقته ءأمنتم خالق السماء ومالكها قال في «الأسئلة»: خص السماء بالذكر ليعلم أن الأصنام التي في الأرض ليست بآلهة لا لأنه تعالى في جهة من الجهات لأن ذلك من صفات الأجسام وأراد أنه فوق السماء والأرض فوقية القدرة والسلطنة لا فوقية الجهة انتهى. على أنه لا يلزم من الإيمان بالفوقية الجهة فقد ثبت فانظر ماذا ترى وكن مع أهل السنة من الورى كما في «الكبريت الأحمر» للإمام الشعراني قدس سره وأما رفع الأيدي إلى السماء في الدعاء فلكونها محل البركات وقبلة الدعاء كما أن الكعبة قبلة الصلاة وجناب الله تعالى قبلة القلب ويجوز أن تكون الظرفية باعتبار زعم العرب حيث كانوا يزعمون أنه تعالى في السماء أي ءأمنتم من تزعمون أنه في السماء وهو متعال عن المكان و«في فتح الرحمن» هذا المحل من المتشابه الذي استأثر الله بعلمه ونؤمن به ولا نتعرض لمعناه ونكل العلم فيه إلى الله قوله: ﴿من في السماء﴾ في موضع النصب على أنه مفعول أمنتم. ﴿أن يخسف بكم الأرض﴾ بعدما جعلها لكم ذلولاً تمشون في مناكبها وتأكلون من رزقه لكفرانكم تلك النعمة أي يقلبها ملتبسة بكم فيغيبكم فيها كما فعل بقارون وهو بدل اشتمال من من أي ءأمنتم من في السماء خسفه والباء للملابسة والخسف بزمين فرو بردن.

والخسوف بزمين فروشدن.

والمشهور أن الباء في مثل هذا الموضع للتعدية أي يدخلكم ويذهبكم فيها وبالفارسية فرو برد شمارا بزمين.

قال الجوهري: خسف المكان يخسف خسوفاً ذهب في الأرض وخسف الله به الأرض خسفاً غاب به فيها، وفي «القاموس» أيضاً خسف الله بفلان الأرض غيبه فيها ﴿فإذا هي﴾ پس آنكاه زمين ايس زفرو بردن شمابوي ﴿تمور﴾ قال في «القاموس»: المور الاضطراب والجريان على وجه الأرض والتحرك أي تضطرب ذهاباً ومجيئاً على خلاف ما كانت عليه من الذل والاطمئنان وقال بعضهم: فإذا الأرض تدور بكم إلى الأرض السفلى وبعضهم تنكشف تارة للخوض فيها وتلتئم أخرى للتعذيب بها.

﴿أم أمنتم﴾ يا ايمن شديد.

وهو انتقال إلى التهديد بوجه آخر ﴿من في السماء أن يرسل عليكم حاصباً﴾ أي حجارة من السماء كما أرسلها على قوم لوط وأصحاب الفيل أي أم أمنتم من في السماء إرساله على

أن قوله أن يرسل بدل من من أيضاً والمعنى هل جعل لكم من هذين أمان وإذ لا أمان لكم منهما فما معنى تماديكم في شرككم. ﴿فستعلمون﴾ عن قريب البتة ﴿كيف نذير﴾ أي: إنذاري عند مشاهدتكم للمنذر به أهو واقع أم لا أشديد أم ضعيف يعني حين حققتم المنذر به تعلمون أنه لا خلف لخبري وأن عذابي لشديد وأنه لا دفع عنه ولكن لا ينفعكم العلم حينئذٍ فالنذير وكذا النكير الآتي مصدران بمعنى الإنذار والإنكار وأصلهما نذيري ونكيري بياء الإضافة فحذفت اكتفاء بكسر ما قبلها قال في «برهان القرآن» خوفهم بالخسف أولاً لكونهم على الأرض وأنها أقرب إليهم من السماء ثم بالحاصب من السماء فلذلك جاء ثانياً.

يقول الفقير: أشارت الآية الأولى على ما ألهمت في جوف الليل إلى أن الاستتار تحت اللحاف وعدم النهوض إلى الصلاة والمناجاة وقت السحر عقوبة من الله تعالى على أهل الغفلة كالخسف ولذا لما قام بعض العارفين متهجداً فأخذه البرد وبكى من العري قيل له من قبل الله تعالى: أقمناك وأنمناهم فتبكي علينا يعني أن إقامتك وإنامة الغافلين نعمة لك ونقحة لهم فاشكر عليها ولا تجزع من العري فإن بلاء العري أهون من بلاء الغفلة وأشارت الآية الثانية إلى نزول المطر الشديد من السماء فإنه ربما يمنع المتهجد عن القيام والاشتغال بالوضوء والطهارة فيكون غضباً في صورة الرحمة فعلى العاقل أن لا يضيع الوقت ويغتنم الفراغ قبل الشغل أيقظنا الله وإياكم.

﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾ أي من قبل كفار مكة من كفار الأمم السالفة كقوم نوح وعاد وأضرابهم والتفات إلى الغيبة لإبراز الإعراض عنهم ﴿فكيف كان نكير﴾ أي إنكاري عليهم بإنزال العذاب أي كان على غاية الهول والفظاعة وهذا مورد التأكيد القسمي لا تكذيبهم فقط وإنكار الله تعالى على عبده أن يفعل به أمراً صعباً وفعلاً هائلاً لا يعرف وفي الآية تسلية للرسول الله ﷺ وتهديد لقومه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَٰٓفَّٰتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱلرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍۭ بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ﴿٢٠﴾﴾

﴿أولم يروا﴾ أي أغفلوا ولم ينظروا ﴿إلى الطير﴾ فالرؤية بصرية لأنها تتعدى بإلى وأما القلبية فتعديتها بفي والطير يطلق على جنس الطائر وهو كل ذي جناح يسبح في الهواء إما لكون جمعه في الأصل كركب وراكب أو مصدره جعل اسماً لجنسه فباعتبار تكثره في المعنى وصف بصافات وفي «المفردات» إنه جمع طائر ﴿فوقهم﴾ يجوز أن يكون ظرفاً ليروا وأن يكون حالاً من الطير أي كائنات فوقهم ﴿صافات﴾ حال من الطير والصف أن يجعل الشيء على خط مستو كالناس والأشجار ونحو ذلك ومفعول صافات وكذا يقبضن إنما هو أجنحة الطير لا أنفسها والمعنى باسطات أجنحتهن في الجو عند طيرانها فإنهن إذا بسطنها صففن قوادمها صفاً وقوادم الطير مقاديم ريشه وهي عشر في كل جناح الواحدة قادمة ﴿ويقبضن﴾ ويضممنها إذا ضربن بها جنوبهن حيناً فحيناً للاستظهار به على التحرك وهو السر في إيثار يقبضن الدال على تجدد القبض تارة بعد تارة على قابضات فإن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء فكما أن الأصل في السباحة مد الأطراف وبسطها فكذا الأصل في الطيران صف الأجنحة وبسطها والقبض إنما يكون تارة بعد تارة للاستظهار المذكور كما في السابح قال ابن الشيخ ويقبضن عطف على

صافات لأنه بمعنى وقابضات وإلا لما عطف الفعل على الاسم ﴿ما يمسكهن﴾ في الجو وما يأخذهن عن السقوط عند الصف والقبض على خلاف مقتضى الطبع الجسماني فإنه يقتضي الهبوط إلى السفل ﴿إلا الرحمن﴾ الواسع رحمته كل شيء بأن برأهن على أشكال وخصائص وهيأهن للجري في الهواء ﴿إنه بكل شيء بصير﴾ يعلم إبداع المبدعات وتدبير العجائب والبصير هو الذي يشاهد ويرى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وهو في حقه تعالى عبارة عن الوصف الذي به ينكشف كمال نعوت المبصرات فالبصر صفة زائدة على علمه تعالى خلافاً للقدرية فمن عرف هذه الصفة كان المراد به دوام المراقبة ومطالبة النفس بدقيق المحاسبة والمراقبة إحدى ثمرات الإيمان.

حكي أن بعض الملوك كان له عبد يقبل عليه أكثر مما يقبل على أمثاله ولم يكن أحسن منهم صورة ولا أكثر منهم قيمة فكانوا يتعجبون من ذلك فركب الملك يوماً إلى الصحراء ومعه أصحابه وعبيده فنظر إلى جبل بعيد عليه قطعة ثلج نظرة واحدة ثم أطرق فركض ذلك العبد فرسه من غير أن ينظر الملك إليه ولا أشار بشيء من ذلك ولم تعلم الجماعة لأي شيء ركض فرسه فما لبث إلا ساعة حتى عاد ومعه شيء من الثلج فقيل له بم عرفت أن الملك أراد الثلج فقال لأنه نظر إليه ونظر الملوك إلى شيء لا يكون عبثاً فقال الملك لهذا أقربه وأقدمه عليكم فإنكم مشغولون بأنفسكم وهو مشغول بمراقبة أحوالي وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى طيران الأرواح العلوية المخلوقة قبل الأجساد بألفي عام الباسطات الأجنحة الروحانية القابضات القوادم الجسمانية من العوالم الهيولانية ما يمسكهن إلا الرحمن المشتمل على الاسم الحفيظ وبه يمسكها في جو سماء القدرة إنه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الأشياء الغريبة وكيف يدبر الأمور العجيبة.

﴿أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن﴾ أصله أم من على أن أم منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله إلى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك والاستفهام متوجه إلى تعيين الناظر لتبكيتهم بإظهار عجزهم عن تعيينه ولا سبيل هنا إلى تقدير الهمزة مع بل لأن ما بعدها من الاستفهامية ولا يدخل الاستفهام على الاستفهام ومن مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته وإيثار هذا لتحقير المشار إليه وينصركم صفة لجند بالاعتبار لفظه والجند جمع معد للحرب والمعنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم وعسكر وعون من آلهتكم وغيرها ينصركم عند نزول العذاب والآفات متجاوزاً نصر الرحمن فمن دون الرحمن حال من فاعل ينصركم ودون بمعنى غير أو ينصركم نصراً كائناً من دون نصره تعالى على أنه نعت لمصدره أو ينصركم من عذاب كائن من عند الله على أنه متعلق بينصركم وقد تجعل من موصولة مبتدأ وهذا مبتدأ ثانياً والموصول مع صلته خبره والجملة صلة من بتقدير القول وينصركم وأم منقطعة أو متصلة والقرينة محذوفة بدلالة السياق على أن يكون المعنى الله الذي هذه الأوصاف الكاملة والقدرة الشاملة ينصركم وينجيكم من الخسف والحصب إن أصابكم أم الذي يشار إليه ويقال في حقه هذا الذي تزعمون أنه جند لكم ينصركم من دون الله وإيثار الرحمن للدلالة على أن رحمة الله هي المنجية من غضبه لا غير قال القاشاني: أي من يشار إليه ممن يستعان به من الأغيار حتى الجوارح والآلات والقوى وكل ما ينسب إليه التأثير

والمعونة من الوسائط فيقال هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن فيرسل ما أمسك من النعم الباطنة والظاهرة أو يمسك ما أرسل من النعم المعنوية والصورية لو يحصل لكم ما منع ولم يقدر لكم أو يمنع ما أصابكم به وقدر عليكم. ﴿**إن الكافرون إلا في غرور**﴾ إن نافية بمعنى ما أي ما هم في زعمهم أنهم محفوظون من النوائب بحفظ آلهتهم لا بحفظه تعالى فقط أو أن آلهتهم تحفظهم من بأس الله إلا في غرور عظيم وضلال فاحش من جهة الشيطان ليس لهم في ذلك شيء يعتد به في الجملة والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء حالهم الإعراض عنهم وبيان قبائحهم لغيرهم والإظهار في موضع الإضمار لذمهم بالكفر وتعليل غرورهم به.

﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿**أمن هذا الذي يرزقكم**﴾ يعطيكم الرزق ﴿**إن أمسك**﴾ الرحمن وحبس ﴿**رزقه**﴾ بإمساك المطر ومباديه ولو كان الرزق موجوداً أو كثيراً وسهل التناول فوضع الأكلة في فمه فأمسك الله عنه قوة الابتلاع عجز أهل السماوات والأرض عن أن يسوغوه تلك اللقمة وإعرابه كإعراب ما سبق والمعنى على تقدير كون من موصولة الله الرزاق ذو القوة المتين يرزقكم أم الذي يقال في حقه هذا الحقير المهين الذي تدعون أنه يرزقكم قال بعض المفسرين كان الكفار يمتنعون عن الإيمان ويعاندون الرسول عليه السلام، معتمدين على شيئين أحدهما: اعتمادهم بمالهم وعددهم والثاني: اعتقادهم أن الأوثان توصل إليهم جميع الخيرات وتدفع عنهم جميع الآفات فأبطل الله عليهم الأول بقوله ﴿**أمن هذا الذي هو جند لكم**﴾ الخ ورد عليهم الثاني بقوله ﴿**أمن هذا الذي يرزقكم**﴾ الخ ﴿**بل لجوا في عتو ونفور**﴾ منبيء عن مقدر يستدعيه المقام كأنه قيل أثر التبكيت والتعجيز لم يتأثروا بذلك ولم يذعنوا للحق بل لجوا وتمادوا في عتو أي عناد واستكبار وطغيان ونفور أي شراد عن الحق وتباعد وإعراض لمضادتهم الحق بالباطل الذي أقاموا عليه فاللجاج التمادي في العناد في تعاطي الفعل المزجور عنه والعتو والتجاوز عن الحد والنفور الفرار ففيه تحقير لهم وإشارة إلى أنهم ﴿حمر مستنفرة فرت من قسورة﴾ [المدثر: ٥١] يعني كوييا ايشان خران وحشي اندر ميدكن كه كريخته باشند از شيريا از صياد ياريسمان دام يا مردم تيرانداز يا آو ازهاي مختلف.

كسى راكه پندار درسر بود — مپندار هركزكه حق بشنود

﴿**أفمن يمشي مكباً على وجهه أهدى**﴾ الخ مثل ضرب للمشرك والموحد توضيحاً لحالهما والفاء لترتيب ذلك على ما ظهر من سوء حالهم وتقديم الهمزة عليها صورة إنما هو لاقتضائها الصدارة وأما بحسب المعنى فالأمر بالعكس حتى لو كان مكان الهمزة هل لقيل فهل من يمشي مكباً، والمكب الساقط على وجهه وحقيقته صار ذا كب ودخل في الكب وكبه قلبه وصرعه يعني أسقطه على وجهه ولا يقال أكبه فإن أكب لازم وعند صاحب «القاموس» لازم ومتعد ومكباً حال من فاعل يمشي والمعنى فمن يمشي وهو يعثر في كل ساعة ويخر على وجهه في كل خطوة لتوعر طريقه واختلال قواه أشد هداية ورشداً إلى المقصد الذي يؤمه قال في «المناسبات» لم يسم سبحانه لمشيانه طريقاً لأنه لا يستحق ذلك ولما كان ربما صادف السهل لا عن بصيرة بل عن اتفاق قال أهدى ﴿**أمن**﴾ أي أهو أهدى أم من ﴿**يمشي سوياً**﴾ أي

قائماً سالماً من الخبط والعثار. ﴿على صراط مستقيم﴾ مستوى الأجزاء لا عوج فيه ولا انحراف وقيل المكب كناية عن الأعمى لأنه لا يهتدي إلى الطريق فيتعسف يعني بي راه ميرود فيلزمه أن يكب على وجهه بخلاف البصير السوي.

فرقست ميان آنكه از روى يقين بادیدۀ بینا رودانـدرره دین
با آنكه دوچشم بسته بي دست كسى هركوشه همي رود بظن وتخمين

وقال قتادة هو الكافر أكب على معاصي الله في الدنيا فحشره الله على وجهه إلى النار في العقبى والمؤمن استقام على أمر الله في الدنيا فحشره الله على قدميه إلى الجنة في الآخرة وقيل للنبي عليه السلام، وكيف يمشون على وجوههم قال إن الذي أمشاهم على أقدامهم قادر على أن يمشيهم على وجوههم وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يظهر للإنسان يوم القيامة ما أبطن اليوم خيراً أو شراً.

سيرتي كاندر وجودت غالبست هم بران تصوير حشرت واجبست

قال القاشاني: أفمن يمشي منتكساً بالتوجه إلى الجهة السفلية والمحبة للملاذ الحسية والانجذاب إلى الأمور الطبيعية أهدى أممن يمشي مستوياً منتصباً على صراط التوحيد الموصوف بالاستقامة التامة التي لا توصف فالجاهل المحجوب الطالب للدنيا المعرض عن المولى الأعمى عن طريق الحق مكبوب على وجه الخجلة بواسطة ظلمة الغفلة والعارف المحقق التارك للدنيا المقبل على المولى المبصر البصير لطريق الحق ماش سوياً بالظاهر والباطن على طريق التوحيد الذي لا فيه أمت ولا عوج.

﴿قل﴾ يا أفضل الخلق ﴿هو﴾ تعالى وحده ﴿الذي أنشاكم﴾ أيها الكفار كما دل عليه السباق والسياق ويندرج فيه الإنسان الغافل أيضاً أي أنشأكم إنشاء بديعاً قابلاً لجمع جميع الحقائق الإلهية والكيانية وابتدأ خلقكم على أحسن خلق بأن صوركم فأحسن صوركم.

﴿وجعل لكم السمع﴾ وأعطى لكم الأذن لتسمعوا آيات الله وتعملوا بموجبها بل لتسمعوا الخطابات الغيبية من ألسنة الموجودات بأسرها فإنها كلها تنطق نطق الإنسان كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤] قيل لبرزجمهر من أكمل الناس قال: من لم يجعل سمعه غرضاً للفحشاء وقدم السمع لأنه شرط النبوة ولذلك ما بعث الله رسولاً أصم ولأن فوائد السمع أقوى بالنسبة إلى العوام وإن كانت فوائد البصر أعلى بالنسبة إلى الخواص ولأن السمع مرتبة الخطاب عند انفتاح باب القلب والبصر مرتبة الرؤية ولا شك أن مرتبة الخطاب أقدم بالنسبة إلى مرتبة الرؤية لأن مرتبة الرؤية هي مرتبة التجلي فهي نهاية الأمر ألا ترى أنه عليه السلام، سمع قبل النبوة صوت إسرافيل ولم ير شخصه وأما بعدها فقد رأى جميع الملائكة وأم لهم ليلة المعراج عند السدرة بل ورأى الله تعالى بلا كيف فترقى من مرتبة الخطاب التي هي مرتبة الوحي إلى مرتبة التجلي التي هي مرتبة الموحى.

﴿والأبصار﴾ لتنظروا بها إلى الآيات التكوينية الشاهدة بشؤون الله تعالى ولتبصروا جميع مظاهره تعالى في غاية الكمال ونهاية الإتقان ﴿والأفئدة﴾ لتتفكروا بها فيما تسمعونه وتشاهدونه من الآيات التنزيلية والتكوينية وترتقوا في معارج الإيمان والطاعة بل لتقبلوا بها الواردت القلبية والإلهامات الغيبية قال في «القاموس» التفؤد التحرق والتوقد ومنه الفؤاد للقلب مذكر والجمع أفئدة انتهى. وخص هذه الثلاثة بالذكر لأن العلوم والمعارف بها تحصل كما في «كشف

الأسرار» ولأن القلب كالحوض حيث ينصب إليه ما حصل من طريق السمع والبصر **﴿قليلاً ما تشكرون﴾** أي باستعمالها فيما خلقت لأجله من الأمور المذكورة وقليلاً نعت لمحذوف وما مزيدة لتأكيد القلة أي شكراً قليلاً أو زماناً قليلاً تشكرون وقيل القلة عبارة عن العدم قال سعدي المفتي: القلة بمعنى النفي إن كان الخطاب للكفرة أو بمعناها المعروف إن كان للكل يقال قلما أفعل كذا أي لا أفعله قال بعض العارفين:

لو عشت ألف عام ... في سجدة لربي
شكر الفضل يوم ... لم أقض بالتمام
والعام ألف شهر ... والشهر ألف يوم
واليوم ألف حين ... والحين ألف عام

قال بعضهم: من وظائف السمع في الشكر التعلم من العلماء والحكماء والإصغاء إلى الموعظة ونصح العقلاء والتقليد لأهل الحق والصواب ورد أقوال أهل البدعة والهوى ومن وظائف الأبصار فيه النظر إلى المصاحف وكتب الدين ومعابد المؤمنين ومسالك المسلمين وإلى وجوه العلماء والصالحين والفقراء والمساكين بعين الرحمة والتفات المحسنين إلى المصنوعات ونظر أصحاب اليقين وأرباب الشوق والذوق والحنين إلى غير ذلك مما فيه خير.

زبان آمد از بهر شكر وسپاس ... بغيبت نكر دانداش حق شناس
كذركاه قرآن وپندست كوش ... به بهتان وباطل شنيدن مكوش
دو چشم ازپى صنع باري نكوست ... زعيب برادر فروكير ودوست
بهايم خموشنده وكويا بشر ... پرا كنده كوى از بهايم بتر
بنطق است وعقل آدمي زاده فاش ... چو طوطي سخن كوى رنادان مباش
ببد كفتن خلق چون دم زدي ... اكر راست كويى سخن هم بدي
ترا آنكه چشم ودهان داد وكوش ... اكر عاقلي درخلافش مكوش
مكن كردن ز شكر منعم مپيچ ... كه روزپسين سر بر آرى بهيچ

ومن وظائف الأفئدة الفكر في جلال الله وكماله وجماله ونواله والخوف والرجاء منه والمحبة له والاشتياق إلى لقائه والمحبة لأنبيائه وأوليائه والبغض لأعدائه والنظر في المسائل والدلائل والاهتمام في حوائج العيال ونحو ذلك مما فيه فائدة.

صيقلي كن دلت بنور جمال ... تاكه حاصل شود جميع كمال

﴿قُلْ هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَـٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾﴾

﴿قل﴾ يا أكمل الخلق **﴿هو الذي ذرأكم في الأرض﴾** أي: خلقكم وكثركم فيها لا غيره من الذرء وهو بالفارسية آفريدن قال في «القاموس»: ذرأ كجعل خلق والشيء كثره ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين. **﴿وإليه﴾** تعالى لا إلى غيره اشتراكاً أو استقلالاً **﴿تحشرون﴾** حشراً جسمانياً أي تجمعون وتبعثون للحساب والجزاء شيئاً فشيئاً إلى البرزخ دفعة واحدة يوم البعث فابنوا أموركم على ذلك ختم الآية بقوله **﴿وإليه تحشرون﴾** فبين أن جميع الدلائل المذكورة إنما كان لإثبات هذا المطلوب.

﴿ويقولون﴾ من فرط عنادهم واستكبارهم أو بطريق الاستهزاء كما دل عليه هذا في قوله ﴿متى هذا الوعد﴾ أي الحشر الموعود كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿وإليه تحشرون﴾ فالوعد بمعنى الموعود والمشار إليه الحشر وقيل ما خوفوا به من الخسف والحاصب واختيار لفظ المستقبل إما لأن المقصود بيان ما يوجد من الكفار من هذا القول في المستقبل وإما لأن المعنى وكانوا يقولون ﴿إن كنتم صادقين﴾ يخاطبون به النبي والمؤمنين حيث كانوا مشاركين له عليه السلام في الوعد وتلاوة الآيات المتضمنة له وجواب الشرط محذوف أي إن كنتم صادقين فيما تخبرونه من مجيء الساعة والحشر فبينوا وقته.

﴿قل﴾ يا أعلم الخلق ﴿إنما العلم﴾ بوقته ﴿عند الله﴾ الذي قدر الأشياء ودبر الأمور لا يطلع عليه غيره ﴿وإنما أنا نذير مبين﴾ مخوف ظاهر بلغة تعرفونها ومظهر للحق كاشف عن الواقع أنذركم وقوع الموعود لا محالة وأما العلم بوقت وقوعه فليس من وظائف الإنذار قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه أخفى الله علمه في عباده وعن عباده وكل يتبع أمره على جهة الاشتباه لا يعلم ما سبق له وبماذا يختم له وذلك قوله تعالى: ﴿قل إنما﴾.. الخ.

﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿فلما رأوه﴾ الفاء فصيحة معربة عن تقدير جملتين وترتيب الشرطية عليهما كأنه قيل وقد أتاهم الموعود فرأوه أي رؤية بصرية فلما رأوه نزل الأمر الغير الواقع منزلة الواقع لتحققه. ﴿زلفة﴾ حال من مفعول رأوا لأن رأى من رؤية البصر كما أشير إليه آنفاً إما بتقدير المضاف أي ذا زلفة وقرب أو على أنه مصدر بمعنى الفاعل أي مزدلفاً وقرب الحشر هو قرب ما دلهم فيه ﴿سيئت﴾ بد كردد وزشت شود ﴿وجوه الذين كفروا﴾ بأن غشيتها الكآبة ورهقها القتر والذلة وخص الوجوه بالذكر لأن الوجه هو الذي يظهر عليه أثر المسرة والمساءة ووضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بالكفر وتعليل المساءة به وأصل الكلام ساءت رؤية الموعود وجوههم فكانت كوجه من يقاد إلى القتل أو يعرض على بعض العذاب والسياءة من ساءه الشيء يسوءه سوءاً ومساءة نقيض سره كما في «تاج المصادر» السوء غمكين كردن.

ثم بني للمفعول وفي «القاموس» ساءه فعل به ما يكره فيكون متعدياً ويجوز أن يكون لازماً بمعنى قبح ومنه ساء مثلاً وسيء إذا قبح قال بعض المفسرين وأهل اللغة ومنه الآية فالفعل في الحقيقة مسند إلى أصحاب الوجوه بمعنى ساؤوا وقبحوا قال بعضهم المحجوبين مع اعترافهم بالإبداء منكرون للإعادة فلا جرم يسوء وجوههم رؤية ما ينكرونه وتعلوها الكآبة ويأتيهم من العذاب الأليم ما لا يدخل تحت الوصف. ﴿وقيل﴾ توبيخاً لهم وتشديداً لعذابهم بالنار الروحانية قبل الإحراق بالنار الجسمانية والقائلون الزبانية وإيراد المجهول لكون المراد بيان المقول لا بيان القائل ﴿هذا﴾ مبتدأ أشير به إلى ما رأوه زلفة وخبره قوله ﴿الذي كنتم به تدعون﴾ أي تطلبونه في الدنيا وتستعجلونه إنكاراً واستهزاء على أنه تفتعلون من الدعاء والباء على هذا صلة الفعل يقال دعا بكذا إذا استدعاه وقيل هو من الدعوى أي كنتم بسبب ذكر النبي عليه السلام، والمؤمنين العذاب لكم يوم القيامة تدعون أن لا بعث ولا حشر ولا عذاب، فالباء للسببية ويجوز أن تكون للملابسة وعن بعض الزهاد أنه تلاها في أول الليلة في صلاته فبقي

يكررها وهو يبكي إلى أن نودي لصلاة الفجر هذه معاملة العارفين بجلال الله مع الله عند ملاحظة جبروته وقهره.

﴿قل﴾ يا خير الخلق ﴿أرأيتم﴾ أي أخبروني خبراً أنتم في الوثوق به على ما هو كالرؤية قال بعضهم: لما كانت الرؤية سبباً للإخبار عبر بها عنه وقال بعضهم: لما كان الإخبار قوياً بالرؤية شاع أرأيت في معنى أخبر ﴿إن أهلكني الله﴾ أي أماتني والتعبير عنه بالإهلاك لما كانوا يدعون عليه ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك ويتربصون به ريب المنون ويقولون إن أمر محمد لا يتم ولا يبقى بل يزول عن قريب ﴿ومن معي﴾ ومن المؤمنين وحصل مقصودكم ﴿أو رحمنا﴾ بتأخير آجالنا وحصل مقصودنا فنحن في جوار رحمته متربصون لإحدى الحسنيين إما أن نهلك فننقلب إلى الجنة أو نرحم بالنصرة والإدالة للإسلام كما نرجو فأنتم ما تصنعون وأي راحة لكم في موتنا وأي منفعة وغايتكم إلى العذاب كما قال تعالى ﴿فمن﴾ بس كيست آنكه او ﴿يجير﴾ ينجي ويخلص قال في «تهذيب المصادر» الإجارة زينها دادان.

وفي «القاموس» أجاره أنقذه وأعاذه ﴿الكافرين من عذاب أليم﴾ مؤلم شديد الإيلام أي لا ينجيكم منه أحد إذا نزل بكم سواء متنا أو بقينا إنما النجاة بالإيمان والعمل الصالح ووضع الكافرين موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بالكفر وتعليل نفي الإنجاء به وقال بعضهم كيف قال إن أهلكني الله الخ بعد أن علم أنه تعالى لا يهلك الأنبياء والمؤمنين قلت فيه مبالغة في التخويف كأنه قيل نحن معاشر الأنبياء والمؤمنين نخاف الله أن يأخذنا بذنوبنا فمن يمنعكم من عذابه وأنتم كافرون وكيف لا تخافون وأنتم بهذه المثابة من الإجرام فيكون معنى أهلكنا عذبنا بعذاب ومعنى رحمنا غفر لنا كما في «الجلالين».

﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ ﴿٣٠﴾﴾

﴿قل﴾ يا أشفق الخلق ﴿هو الرحمن﴾ أي: الذي أدعوكم إلى عبادته مولى النعم كلها وموصلها ﴿آمنا به﴾ وحده لما علمنا أن كل ما سواه فإما نعمة أو منعم عليه ولم نكفر به كما كفرتم على أن يكون وقوع آمناً مقدماً على به تعريضاً للكفار حيث ورد عقيب ذكرهم. ﴿وعليه توكلنا﴾ فوضنا أمورنا لا على غيره أصلاً كما فعلتم أنتم حيث توكلتم على رجالكم وأموالكم لعلمنا بأن ما عداه كائناً ما كان بمعزل من النفع والضر فوقوع عليه مقدماً يدل عى الاختصاص ﴿فستعلمون﴾ يا كفار مكة عن قريب البتة عند معاينة العذاب ﴿من﴾ استفهامية أو موصولة ﴿هو في ضلال مبين﴾ منا ومنكم أي خطأ ظاهر وفي «التأويلات النجمية»: وعلى فيضه الأتم ولطفه الأعم توكلنا بكليتنا لا على غيره فستعلمون من هو في ضلال مبين أي من توجه إليه بالاستفاضة منها أو من أعرض عنه بالإنكار له.

﴿قل﴾ يا أكرم الخلق ﴿أرأيتم﴾ أي أخبروني ﴿إن أصبح﴾ اكر كرد.

فهو بمعنى صار ﴿ماؤكم﴾ وكان ماء أهل مكة من بئرين بئر زمزم وبئر ميمون الحضرمي ﴿غوراً﴾ خبر أصبح وهو مصدر وصف به أي غائراً في الأرض بالكلية ذاهباً ونازلاً فيها وقيل بحيث لا تناله الدلاء ولا يمكن لكم نيله بنوع حيلة كما يدل عليه الوصف بالمصدر وبالفارسية فروورفته بزمين چنانكه دست ودلو بدان نرسد.

يقال غار الماء نضب والنضوب فرودشدن آب درز مين وفي «المفردات» الغور المنهبط من الأرض ﴿فمن يأتيكم﴾ على ضعفكم حينئذٍ ﴿بماء معين﴾ جارو بالفارسية پس كيست آنكه بيارد براي شما آب جاري.

من عان الماء أو معن كلاهما بمعنى جرى أو ظاهر للعيون سهل المأخذ يعني تناله الأيدي فهو على هذا اسم مفعول من العين بمعنى الباصرة كمبيع من البيع لعل تكرير الأمر بقل لتأكيد المقول وتنشيط المقول له فإن قلت كيف خص ذكر النعمة بالماء من بين سائر نعمه؟ قلت: لأن الماء أهون موجود وأعز مفقود كما في «الأسئلة المقحمة».

ودر آثار آمده كه بعد از تلاوت اين آيت بايد كفت كه الله رب العالمين در تفسير زاهدي رحمه الله مذكور است كه زنديقي شنيدكه معلمي شاكرد خودرا تلين مي كرد فمن يأتيكم بماء معين واو جواب دادكه يأتي به المعول والمعين قال في «القاموس» المعول كمنبر الحديدة تنقر بها الجبال انتهى شبانه نابينا شد هاتقي وهو من يسمع صوته ولا يرى شخصه آواز دادكه اينك كه آب چشمهٔ چشم توغائر شد بكوتا بمعول ومعين بازآرند نعوذ بالله من الجراءة على الله وبيناته وترك حرمة القرآن وآياته وإنما عوقب بذهاب ماء عينيه لأن الجزاء من جنس العمل في «المثنوي»:

فلسفئ منطقئ مستهان | مي كذشت ازسوى مكتب آن زمان
چونكه بشنيد آيت اوزا نا پسند | كفت ما اريم آبى بر بلند
تا بزخم بيل وتيزئ تبر | آب را آريم ازپستي زبر
شب بخفت وديد او يك شير مرد | زد طبانچه هردو چشمش كور كرد
كفت هان زين چشمهٔ چشم أي شقى | باتبر نوري برآر ار صادقي
روز برجست ودوچشمش كورديد | نور فائض ازدو چشمش نابديد

وفي الحديث: «سورة من كتاب الله ما هي إلا ثلاثون آية شفعت لرجل فأخرجته يوم القيامة من النار وأدخلته الجنة وهي سورة تبارك»، قال في «التيسير»: هي ثلاثون آية وثلاثمائة وثلاث وثلاثون كلمة، وألف وثلاثمائة واحد وعشرون حرفاً، وفي حديث آخر: «وددت أن تبارك الذي بيده الملك في قلب كل مؤمن»، وكان عليه السلام لا ينام حتى يقرأ سورة الملك وألم تنزيل السجدة وقال علي رضي الله عنه: من قرأها يجيء يوم القيامة على أجنحة الملائكة وله وجه في الحسن كوجه يوسف عليه السلام، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ضرب بعض الصحابة خباءه على قبر وهو لا يشعر أنه قبر فإذا فيه إنسان يقرأ سورة الملك فأتى النبي عليه السلام، فقال: يا رسول الله ضربت خبائي على قبر وأنا لا أعلم أنه قبر فإذا إنسان يقرأ سورة الملك فقال عليه السلام: «هي المانعة» أي من عذاب الله تعالى «هي المنجية» تنجيه من عذاب القبر وكانوا يسمونها على عهد رسول الله عليه السلام، المنجية وكانت تسمى في التوراة المانعة وفي الإنجيل الواقية قال ابن مسعود رضي الله عنه: يؤتى الرجل في قبره من قبل رأسه فيقال ليس لكم عليه سبيل إنه كان يقرأ على رأسه سورة الملك فيؤتى من قبل رجليه فيقال ليس لكم عليه سبيل إنه كان يقوم فيقرأ سورة الملك فيؤتى من قبل جوفه فيقال ليس لكم عليه سبيل إنه وعى سورة الملك أي حفظها وأودعها في جوفه وبطنه من قرأها في ليلة أو يوم فقد أكثر وأطاب.

يقول الفقير: سورة الملك عند أهل الحقائق هي سورة المام الذي يلي يسار القطب وينظر إلى عالم الشهادة وإليه الإشارة بقوله: ملك الناس فسر هذه السورة في أولها كما أن سر يس في آخرها وهو قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى﴾ [يس: ٨٣]. . الخ. ولذا تقرأ عند المحتضر لأن وقت الموت قبض الملكوت الذي هو الروح وهو بيده تعالى بقي الكلام في قراءة الموتى في قبورهم وهل يصلون وهل يتعلمون العلم بعد الموت فدل حديث ابن عباس رضي الله عنهما على القراءة وكذا ما أخرج السيوطي رحمه الله عن عكرمة رضي الله عنه أنه قال «يعطى المؤمن مصحفاً يقرأ في القبر» وأخرج عن سعيد بن جبير رحمه الله أنه رأى بعينه ثابتاً البناني رحمه الله، يصلي في قبره حين سقطت لبنة من قبره وكانوا يستمعون القرآن كثيراً من قبره وأخرج عنه الحسن البصري قدس سره أنه قال بلغني أن المؤمن إذا مات ولم يحفظ القرآن أمر حفظته أن يعلموه القرآن في قبره حتى يبعثه الله يوم القيامة مع أهله وذكر اليافعي رحمه الله أن مالك بن دينار ماتت له قبل توبته بنت لها سنتان فرآها في المنام وهي تقول له يا أبت ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله فبكى وقال يا بنية وأنتم تعرفون القرآن فقالت يا أبت نحن أعرف به منكم فكان ذلك سبب توبته ونقل الإمام الشعراني في «كتاب الجواهر» له عن بعض أهل الله أنه قال من أهل البرزخ من يخلق الله تعالى من همتهم من يعمل في قبورهم بغالب أعمالهم في الدنيا ويكتب الله لعبده ثواب ذلك العمل إلى آخر البزرخ كما وقع لثابت البناني رحمه الله، فإنهم وجدوا في قبره شخصاً على صورته يصلي فظنوا أنه هو وإنما هو مخلوق من همته وكذلك المثالات المتخيلة في صور أهل البرازخ لأهل الدنيا في النوم واليقظة فإذا رأى مثال أحدهم فهو إما ملك خلقه الله تعالى من همة ذلك الولي وإما مثال أقامه الله تعالى على صورة لتنفيذ ما شاء الله تعالى من حوائج الناس وغيرها فأرواح الأولياء في البرزخ ما لها خروج منه أبداً وأما أرواح الأنبياء عليهم السلام، فإنها مشرفة على وجود الدنيا والآخرة انتهى.

وقال السيوطي رحمه الله نقلاً عن بعض المحققين: إن رسول الله عليه السلام رأى ليلة المعراج موسى عليه السلام، قائماً يصلي في قبره ورآه في السماء السادسة فالروح كانت هناك في مثال البدن ولها اتصال بالبدن بحيث يصلي في قبره ويرد على المسلم عليه وهو في الرفيق الأعلى ولا تنافي بين الأمرين فإن شأن الأرواح غير شأن الأبدان، وقد مثل بعضهم بالشمس في السماء وشعاعها في الأرض، كالروح المحمدي يرد على من يصلي عليه عند قبره دائماً مع القطع بأن روحه في أعلى عليين وهو لا ينفك عن قبره كما ورد عنه قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى والرسول عليه السلام له الخيار في طواف العوالم مع أرواح الصحابة رضي الله عنهم لقد رآه كثير من الأولياء وقال صدر الدين القنوي قدس سره: فمن ثبتت المناسبة بينه وبين الأرواح الكمل من الأنبياء والأولياء الماضيين اجتمع بهم متى شاء وتوجه توجهاً وجدانياً يقظة ومناماً انتهى.

تمت سورة الملك بعونه تعالى في غرة شعبان المبارك
من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

٦٨ ـ سورة القلم

مكية وآيها ثنتان وخمسون بالاتفاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿نٓۚ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ بِمَجۡنُونٖ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجۡرًا غَيۡرَ مَمۡنُونٖ ۝٣﴾.

﴿ن﴾ أي هذه سورة ن أو بحق ن وهي هذه السورة أقسم الله بها على سبيل التأكيد في إثبات الحكم على ما عليه عادة الخلق مع ما فيه من بيان عظم شأن المقسم به وإلا فكما أنه تعالى لا يليق القسم بشأنه العالي فكذا لا يصح لغيره أن يكون مقسماً به والنون حرف واحد في الكتابة وثلاثة أحرف في التلفظ وقد قال عليه السلام: «من قرأ حرفاً من كتاب الله تعالى فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف» أراد عليه السلام بالحرف ما يتهجى به فيرجى أن يعطى الله بلفظ ن ثلاثين حسنة لأنه مشتمل في التلفظ على نونين بينهما واو، وقال بعضهم هو مفتاح اسم النور والناصر أو قسم بنصرة الله المؤمنين اعتباراً بقوله تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧] وقال سهل قدس سره: النون اسم من أسماء الله تعالى وذلك أنه اجتمعت أوائل هذه السورة الثلاث ألر وحم ون يكون الرحمن وقيل فيه أنه اسم من أسماء النبي عليه السلام كما في «التكملة» لعل هذا القائل أشار إلى قوله عليه السلام: «أول ما خلق الله نوري» فيكون النور اسمه عليه السلام، فإن قلت فيلزم التكرار لأن القلم أيضاً من أسمائه كما قال أول ما خلق الله القلم قلت التغاير في العنوان بمنزلة التغاير في الذات فسمي عليه السلام، باعتبار نورانيته نوراً وباعتبار أنه صاحب القلم قلماً كما سمي خالد بن وليد رضي الله عنه سيف الله المسلول لكونه صاحب سيف وقال بعضهم: هو لوح من نور أو اسم نهر في الجنة.

وفي «المفردات»: النون الحوت العظيم ولذا قال عكرمة في الآية أقسم الله بالحوت الذي لطخ سهم نمرود بدمه لأن نمرود لما رمى السهم نحو السماء عاد السهم مختضباً بدم سمكة في بحر معلق في الهواء فأكرم الله ذلك الحوت بأن أقسم به وأحل جنسه من غير ذكاة فإنه لا يحل إلا ميتتان السمك والجراد وفي معناهما ما يستحيل من الأطعمة كدود التفاح والجبن فإن الاحتراز عنهما غير ممكن فأما إذا أفردت وأكلت فحكمها حكم الذباب والخنفساء والعقرب وكل ما ليس له نفس سائلة ولا سبب في تحريمه إلا الاستقذار ولو لم يكن لكان لا يكره وإن وجد شخص لا يستقذره لا يلتفت إلى خصوص طبعه فإنه التحق بالخبائث لعموم الاستقذار فيكره أكله كما لو جمع المخاط وشربه كره كما في «الإحياء» يقال: لو أريد به معنى الحوت، كانت المناسبة بين المتعاطفين كما في ما بين كم الخليفة وألف باذنجانة.

يقول الفقير: المناسبة بينهما خفية لا يدركها إلا أهل الحقائق وهي أن كبد الحوت غذاء أهل الجنة قبل كل شيء فيجدون بعد أكله حياة أبدية في أبدانهم كما أن القلم يكتب به من العلوم ما فيه حياة باقية لأرواحهم ولذا سمي جبريل روحاً لأنه كان يجيء بالوحي الذي هو سبب لحياة القلوب والأرواح فيكون ن والقلم كالماء والعلم ولا شك في ثبوت المناسبة التامة بينهما فالقياس الذي ذكره القائل باطل وقائل الباطل جاهل وقال بعضهم: هو اسم الحوت الذي احتبس يونس عليه السلام، في بطنه ولذا أسماه الله تعالى ذا النون وقال بعضهم: هو الحوت الذي على ظهره الأرض وهو في بحر تحت الأرض السفلى اسمه ليوثاً أو يهموت بالياء المثناة التحتانية وفي «عين المعاني» لوثيا أو برهوت كما قال علي رضي الله عنه:

مـا لـي أراكـم كـلـكـم سـكـوتـا والله ربـي خـلـق الـبـرهـوتـا

روي: أن الله تعالى لما خلق الأرض كانت تتكفأ كما تتكفأ السفينة أي تضطرب وتميل فبعث الله ملكاً فهبط حتى دخل تحت الأرض فوضعها على كاهله وهو كصاحب ما بين الكتفين ثم أخرج يديه إحداهما بالمشرق والأخرى بالمغرب ثم قبض على الأرضين السبع فضبطها فاستقرت فلم يكن لقدمي الملك قرار فأهبط الله ثوراً من الجنة له أربعون ألف قرن وأربعون ألف قائمة فجعل قرار قدمي الملك على سنامه فلم تستقر قدماه على سنامه فبعث الله ياقوتة خضراء من الجنة غلظها مسيرة كذا ألف عام فوضعها على سنام الثور فاستقرت عليها قدما الملك وقرون الثور خارجة من أقطار الأرض مشبكة إلى تحت العرش ومنخر الثور في ثقبين من تلك الياقوتة الخضراء تحت البحر فهو يتنفس في اليوم نفسين فإذا تنفس مد البحر وإذا رد النفس جزر البحر وهو ضد مد ولم يكن لقوائمه قرار فخلق الله كمكاماً من الرمل كغلظ سبع سماوات وسبع أرضين فاستقر عليه قوائم الثور ثم لم يكن للكمكام مستقر فخلق الله حوتاً يقال له برهو فوضع الكمكام على وبر الحوت والوبر الجناح الذي يكون في وسط ظهره وذلك مزموم بسلسلة من القدرة كغلظ السماوات والأرض مرار وانتهى إبليس لعنه الله إلى ذلك الحوت فقال له ما خلق الله خلقاً أعظم منك فلم لا تزيل الدنيا عن ظهرك فهم بشيء من ذلك فسلط الله عليه بقة في أنفه فشغلته وفي رواية بعث الله دابة فدخلت منخره فوصلت إلى دماغه فعج الحوت إلى الله تعالى منها فأذن لها فخرجت قال كعب فوالله الذي نفسي بيده إنه لينظر إليها وإنها لتنظر إليه إن هم بشيء من ذلك عادت كما كانت قيل وأنبت الله من تلك الياقوتة جبل قاف وهو من زمردة وله رأس ووجه وأسنان وأنبت من جبل قاف الجبال الشواهق كما نبت الشجر من عروق الشجر وزعم وهب أن الحوت والثور يبتلعان ما ينصب من مياه الأرض في البحار فلذلك لا يؤثر في البحار زيادة فإذا امتلأت أجوافهما من المياه قامت القيامة وزعم قوم أن الأرض على الماء والماء على الصخرة على سنام الثور والثور على كمكام من الرمل متلبداً والكمكام على ظهر الحوت والحوت على الريح العقيم والريح على حجاب من ظلمة والظلمة على الثرى وقد انتهى علم الخلائق إلى الثرى ولا يعلم ما وراء ذلك أحد إلا الله الذي له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى وهذه الأخبار مما تزيد المرء بصيرة في دينه وتعظيماً لقدرة ربه وتحيراً في عجائب خلقه فإن صحت فما خلقها على الصانع القدير بعزيز وإن تكن من اختراع أهل الكتاب وتنميق القصاص فكلها تمثيل وتشبيه ليس بمنكر كذا في «خريدة العجائب».

وقال في «كشف الأسرار»: بعض مفسران كفتند ماهيت برآب زير هفت طبقهء زمين ما هي از كرانىء بار زمين خم درخم كرديد بر مثال نون شدشكم بآب فروبرده وسراز مشرق برآورده وذنب ازمغرب وخواست كه ازكران باري بنالد جبريل بانك بروي زد چنان بترسيدكه كران بارىء زمين فراموش كردونا بقيامت نياردكه بجنيد ما هي چون بار برداشت وننالید رب العالمين او را دو تشريف داديكي آنكه بد وقسم ياد كرد محل قسم خداوند جهان كشت ديكر تشريف آنست كه كارد از حلق او برداشت همه جانور انرا بكارد ذبح كنند واورا نكنند تا عالميان بدانندكه هركه بار كشد رنج او ضياع نكنند اي جوانمرد اكر ماهي بار زمين كشيد بندهء مؤمن بار امانت مولى كشيدكه وحملها الإنسان ما هي كه بار زمين برداشت از كار در عقوبت ايمن كشت چه عجب كه اكر مؤمن بار امانت برداشت از كارد قطيعت ايمن كردد ﴿والقلم﴾ هو ما يكتب به والواو للقسم على التقدير الأول وللعطف على الثاني والمراد قلم اللوح كما جاء في الخبر أن أول ما خلق الله القلم ونظر إليه فانشق بنصفين ثم قال له اجر بما هو كائن إلى يوم القيامة فجرى على اللوح المحفوظ بذلك من الآجال والأعمال والأرزاق وهو القدر الذي يجب أن يؤمن بخيره وشره ثم ختم على القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والأرض وبعدما خلق القلم خلق النون أي السمكة فدحا الأرض عليها فارتفع بخار الماء ففتق منه السماوات واضطرب النون فمادت الأرض فأثبتت بالجبال وإن الجبال لتفخر على الأرض إلى يوم القيامة وقد عرفت المناسبة بين القلم وبين النون بمعنى السمكة وفي رواية الواحدي في «الوسيط» أول چيزي كه خداي تعالى بيا فريد قلم بود پس نون را بيا فريدو آن دو اتست وقلم ازان دوات نوشت آنچه بود وهست وبادشو برين تقدير خداي تعالى قسم فرمود بدوات بقلم أعلى كه از نورست كما في «تفسير الكاشفي».

وفي «القاموس»: النون من حروف الزيادة والدواة والحوت انتهى. وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن المراد بالقلم قلم الكرام الكاتبين أو جنس القلم أقسم الله بالدواة والقلم لكثرة منافعهما وعظم فوائدهما فإن التفاهم بالنطق والبيان إنما يكون بين الحاضرين وأما بالنسبة إلى من غاب وبعد من أهل عصر واحد ومن أهل الزمان الآتي فإنما يكون بالكتابة كما قال بعضهم: البيان اثنان بيان اللسان وبيان بنان ومن فضل بيان البنان أن ما تثبته الأقلام باق على الأيام وبيان اللسان تدرسه الأعوام ولو لم يكن للقلم مزية سوى كونه آلة لتحرير كتب الله لكفى به فضلاً موجباً لتعظيمه ومن تعظيمه تعظيم برايته فتوضع حيث لا تطأها الأقدام وإلا أورثت الآلام وعن بعض الحكماء قوام أمور الدين والدنيا بشيئين القلم والسيف والسيف تحت القلم لولا القلم ما قام دين ولا صلح عيش قال بعضهم:

إن يخدم القلم السيف الذي خضعت ... له الرقاب ودانت خوفه الأمم
كذا قضى الله للأقلام مذ بريت ... إن السيوف لها مذ أرهفت خدم

وقال بعضهم:

إذا أقسم الأبطال يوماً بسيفهم ... وعدوه مما يجلب المجد والكرم
كفى قلم الكتاب فخراً ورفعة ... مدى الدهر أن الله أقسم بالقلم

﴿وما يسطرون﴾ ما موصولة والعائد محذوف والسطر الصف من الكتابة ومن الشجر المغروس ومن القوم الوقوف وسطر فلان كذا أي كتبه سطراً أسطراً وضمير الجمع لأصحاب

القلم المدلول عليه بذكره والمعنى بالفارسية وديكر سوكند ياد فرمود بآنچه أصحاب قلم آسمانيان وزمنينيان مي نويسند از كتاب وكلام درتبيان از ابن هيضم رحمه الله، نقل فرمودكه نون دهنست وقلم زبان وما يسطرون آنچه حفظه ببنده مي نويسند حق تعالى بدينها سوكند فرموده.

قال بعض العارفين: النون نون الذات والقلم قلم الصفات وما يسطرون هي الأفعال والشؤون الإلهية يكتبونها على لوح القدرة والإرادة حرفاً حرفاً.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى أن نون الجمع الذاتي أي دواته وهو أصل كتاب الوجود الذي هو أم الكتاب سمي بالنون لكونه مجتمع مداد مواد نقوش العالم وإن شئت قلت إلى نون النقطة التي هي مرتبة الأحدية وقد كان الإمام على رضي الله عنه يقول في خطبته على رؤوس الأشهاد أنا نقطة باء بسم الله الذي فرطتم فيه أنا القلم وأنا اللوح المحفوظ وأنا العرش وأنا الكرسي وأنا السماوات السبع والأرضون فإذا صحا وارتفع عنه تجلي الوحدة أثناء الخطبة يشرع معتذراً ويقر بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت الأحكام الإلهية وفي «التأويلات النجمية»: يشير بكلمة ن إلى العلم الإجمالي المندمج في الأحدية الذاتية الجمعية وبالقلم إلى العلم التفصيلي في الوحدة الأسمائية وإنما نسبنا الإجمالي الروحي إلى ن والتفصيلي القلبي إلى القلم لأن هذه الدواة مشتملة بما في بطنها على جميع الحروف المجردة والكلمات المركبة اشتمال النواة على الشجرة واندماج الشجرة المفصلة في النواة المجملة فبالقلم يسطر على لوح القلب بالتفصيل كل ما هو في ضمير الدواة بالإجمال فإذا فهمت المقصود فاعلم أن الله تعالى أقسم بعلمه الإجمالي الكائن في الأحدية وبعلمه التفصيلي الثابت في الواحدية وبالتحقيق أقسم بأحدية ذاته المطلقة وبواحدية أسمائه الجمعية إذ العلم من حيث هو عين ذاته وأقسم إذا بكل ما سطر قلمه الكريم من دواته القديم من الحروف الإلهية المجردة العلوية والكلمات الربانية المركبة السفلية انتهى كما قال بعض الكبار في بيان حروف كتاب الوجود الظلي وكلماته وآياته وسوره إن الشؤون الغيبة حروفه العاليات والأعيان الثابتة العلمية كلماته التامات والحقائق الأرواحية والمثالية آياته المتعاليات والصور الحسية العينية سوره الكاملات وأما كتاب الوجود الحقيقي فحروفه المجردة الأسماء الذاتية الأحدية وكلماته الأسماء الصفاتية الواحدية وآياته الأسماء الأفعاليه الواحدية وصوره الأسماء الآثارية المظهرية وكل منها كتاب مبين انتهى. وهكذا قال بعض الكبار القلم علم التفصيل والنون علم الإجمال وتلك الحروف التي هي مظاهر تفصيل القلم مجملة في مداد الدواة ولا تقبل التفصيل ما دامت فيها فإذا انتقل المداد منها إلى القلم تفصلت الحروف به في اللوح وتفصل العلم بها لا إلى غاية وأما علم الإجمال المعبر عنه بالنون فإن النون في الرقم نصف دائرة محسوسة ونصف دائرة معقولة تشعر نقطتها في الوسط بكونه مراد التتميم الدائرة الذاتية التي هي ظرف مداد الوجود ولذلك كان من الحروف الدورية عكسه كطرده فإن النصف المحسوس ظرف مداد عالم الخلق والنصف المعقول ظرف مداد عالم الأمر والخط الفاصل بينهما وهو خط ألف قام بين تدوير النونين برزخ جامع وهو مستوى الصحف الإلهية والكتب المتفرقة من حيطة الكتاب المحيط بالمحيطات المقول فيه: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وهو كتاب ينطوي على العلوم الجمة المنطوي عليها أيضاً مداد النون وتشتمل على مائة وأربع عشرة سورة كما اشتمل النون على عدد يطابقها فإن النونين

والواو والألف الذي انتهى إليه اسم النون مائة وثلاثة عشر وكون مسماه حرفاً واحداً متمم لأربعة عشر فاعلم ذلك فإنه دقيق قل أن تجده في كلام أحد انتهى.

وقال القاشاني: ن هو النفس الكلية والقلم هو العقل الكلي والأول من باب الكناية بالاكتفاء من الكلمة بأول حروفها والثاني من باب التشبيه إذ تنتقش في النفس صور الموجودات بتأثير العقلي كما تنتقش الصور في اللوح بالقلم وما يسطرون من صور الأشياء وما هيأتها وأحوالها المقدرة على ما تقع عليه وفاعل ما يسطرون الكتبة من العقول المتوسطة والأرواح المقدسة وإن كان الكاتب في الحقيقة هو الله تعالى لكن لما كان في حضرة الأسماء نسب إليها مجازاً أقسم بهما وبما يصدر عنهما من مبادي الوجود وصور التقدير الإلهي ومبدأ أمره ومخزن غيره لشرفهما وكونما مشتملين على كل الوجود في أول مرتبة التأثير والتأثر ولمناسبتهما للمقسم عليه وهو قوله: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾ جواب القسم والباء متعلقة بمضمر هو حال من الضمير في خبر ما وهو مجنون والعامل فيها معنى النفي والجنون حائل بين النفس والعقل وجن فلان أي أصابه الجن أو أصاب جنانه أو حيل بين نفسه وعقله فجن عقله ذلك كأنه قيل انتفى عنك الجنون يا محمد وأنت بريء منه ملتبساً بنعمة الله التي هي النبوة والرياسة العامة والمراد تنزيهه عليه السلام عما كانوا ينسبونه عليه السلام إليه من الجنون حسداً وعداوة ومكابرة مع جزمهم بأنه عليه السلام، في غاية الغايات من حصافة العقل ورزانة الرأي قال أبو حيان: قوله: ﴿بنعمة ربك﴾ قسم اعترض به بين المحكوم عليه والحكم على سبيل التأكيد والتشديد والمبالغة في انتفاء الوصف الذميم عنه عليه السلام، وذهب إلى القسم أيضاً حضرة الشيخ نجم الدين في «تأويلاته» روي أنه عليه السلام، غاب عن خديجة رضي الله عنها إلى حراء فلم تجده فإذا هو قد طلع ووجهه متغير بلا غبار فقالت له: ما لك؟ فذكر نزول جبرائيل عليه السلام، وأنه قال له ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق: ١] فهو أول ما نزل من القرآن قال: ثم نزل بي إلى قرار الأرض فتوضأ وتوضأت ثم صلى وصليت معه ركعتين وقال هكذا الصلاة يا محمد، فذكر عليه السلام، ذلك لخديجة فذهبت خديجة إلى ورقة بن نوفل وهو ابن عمها وكان قد حالف دين قريش ودخل في النصرانية فسألته فقال: أرسليني إلى محمد فأرسلته فأتاه فقال: هل أمرك جبرائيل أن تدعو أحد فقال: لا، فقال: والله لئن بقيت إلى دعوتك لأنصرنك نصراً عزيزاً، ثم مات قبل دعاء الرسول عليه السلام، ووقعت تلك الواقعة في ألسنة كفار قريش فقالوا: إنه مجنون فأقسم الله تعالى على أنه ليس بمجنون وهو خمس آيات من أول هذه السورة، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أول ما نزل قوله: ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ﴾ [الأعلى: ١]، وهذه الآية هي الثانية وفي «التأويلات النجمية»: ما أنت بنعمة ربك بمستور عما كان من الأزل وما سيكون إلى الأبد لأن الجن هو الستر وما سمي الجن جناً إلا لاستتاره من الإنس بل أنت عالم بما كان خبير بما سيكون ويدل على إحاطة علمه قوله عليه السلام، فوضع كفه على كتفي فوجدت بردها بين ثديي فعلمت ما كان وما سيكون قال الإمام القشيري قدس سره في «شرح الأسماء الحسنى»: نصرة الحق لعبده أتم من نصرة العبد لنفسه قال تعالى لنبيه عليه السلام: ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون ثم انظر بماذا سلاه وبأي شي خفف عليه تحمل أثقال الأذى حيث قال فسبح بحمد ربك يعني إذا تأذيت بسماع السوءة فيك منهم فاسترح بروح ثنائك علينا ولذة التنزيه والذكر لنا فإن ذلك يريحك ويشغلك عنهم ثم إنه عليه السلام، لما قبل هذه النصيحة

وامتثل بأمر ربه تولى نصرته والرد عنه فلما قيل إنه مجنون أقسم على نفي ذلك بقوله ﴿ن والقلم﴾ الخ، تحقيقاً لتنزيهه لما اشتغل عنهم بتنزيه ربه ثم عاب الله القادح فيه بالجنون بعشر خصال ذميمة بقوله: ﴿ولا تطع كل حلاف مهين﴾ إلى قوله: ﴿أساطير الأولين﴾ وكان رد الله عنه وذبه أتم من رده عن نفسه حيث كان من جملة القرآن باقياً على الألسنة إلى يوم القيامة.

﴿وإن لك﴾ بمقابلة مقاساتك ألوان الشدائد من جهتهم وحملك لأعباء الرسالة ﴿لأجراً﴾ لثواباً عظيماً ﴿غير ممنون﴾ مع عظمه كقوله تعالى: ﴿عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٨] أي غير منقوص ولا مقطوع ومنه قيل المنون للمنية لأنها تنقص العدد وتقطع المدد وبالفارسية مزدي بردوا مكه هركز انقطاع بدان راه نيابد.

ويقال أجر النبي مثل أجر الأمة قاطبة غير منقوص ويجوز أن يكون معناه غير مكدر عليك بسبب المنة لأنه ثواب تستوجبه على عملك وليس بتفضل ابتداء وإنما تمت الفواضل لا الأجور على الأعمال كما في «الكشاف».

وقال الكاشفي: غير ممنون منب نانهاده يعني حق تعالى بي واسطهٔ كسى كه ازو منت بايد داشد بتو عطاكرد.

وفي إشارة إلى أن أنوار المكاشفات والمشاهدات غير مقطوعة لكونها سرمدية فلا يزال العارف يترقى في الشهود في جميع المواطن ولا ممنونة لأن الفتح والفيض إنما يجيء من عند الله لا من عند غيره فالله يمن على عباده لا العباد بعضهم على بعض وقال بعضهم: أجره قبول شفاعته وهي غير منقطعة عن أهل الكبائر من أمته لا يخيب الله رجاءه عليه السلام، في غفرانهم جميعاً بلا عتاب ولا عذاب.

يقول الفقير: الظاهر أن أجره عليه السلام، هو الله تعالى لأنه عوض عما سواه ولذا جاء اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل والله تعالى مان لا ممنون وإلى هذا المقام يشير قول الصديق رضي الله عنه، ورسوله أي أبقيت الله ورسوله حين ما قال له عليه السلام: ما أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟ فالله تعالى عوض عن نفس الفاني عن نفسه وعن ولده وماله وهو الأجر العظيم لأنه العظيم.

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ الْمَفْتُونُ ﴿٦﴾﴾

﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ لا يدرك شأوه أحد من الخلق ولذلك تحتمل من جهتهم ما لا يكاد يحتمله البشر قال بعضهم: لكونك متخلقاً بأخلاق الله وأخلاق كلامه القديم ومتأيد بالتأييد القدسي فلا تتأثر بافترائهم ولا تتأذ بأذاهم إذ بالله تصبر لا بنفسك كما قال: ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧] ولا أحد أصبر من الله وكلمة على للاستعلاء فدلت على أنه عليه السلام، مشتمل على الأخلاق الحميدة ومستولٍ على الأفعال المرضية حتى صارت بمنزلة الأمور الطبيعية له ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ مَا أَسْئَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [ص: ٨٦] أي لست متكلفاً فيما يظهر لكم من أخلاقي لأن المتكلف لا يدوم أمره طويلاً بل يرجع إليه الطبع وللإنسان صورة ظاهرة لها هيئة يشاهدها البصر الذي هو في الرأس وهي عالم الملك وهي الشكل صورة باطنة لها سيرة يشاهدها البصيرة التي هي في القلب وهي من عالم الملكوت وهي الخلق فكما أن لهيئته الظاهرة حسناً أو قبحاً صورياً باعتبار أشكالها وأوضاعها

وألوانها فكذلك لسيرته الباطنة حسن أو قبح معنوي باعتبار شمائلها وطبائعها ومن ذلك قسموا الخلق إلى المحمود والمذموم تارة وإلى الحسن والقبيح أخرى وكثيراً ما يطلق ويراد به المحمود فقط لأنه اللائق بأن يسمى خلقاً ومن هذا قوله تعالى: ﴿خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وعليه قول الإمام الرازي الخلق ملكة نفسانية يسهل على المتصف بها الإتيان بالأفعال الجميلة ونفس الإتيان بالأفعال الجميلة شيء وسهولة الإتيان بها شيء آخر فالحالة التي باعتبارها تحصل تلك السهولة الخلق وسمي خلقاً لأنه لرسوخه وثباته صار بمنزلة الخلقة التي جبل عليها الإنسان وإن احتاج في كونه ملكة راسخة إلى اعتمال وطول رياضة ومجاهدة ولذا قالوا الخلق يتبدل بالمصاحبة والمعاملة فيكون الحسن قبيحاً والقبيح حسناً على حال المصاحبين والمعاملين كما في الحديث: «المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل»، وفي حديث آخر: «لا تجالسوا أهل الأهواء والبدع فإن لهم عرة كعرة الجرب» ومن ذلك كانت مصاحبة الأخيار مستحسنة مرغباً فيها ومصاحبة الأشرار مستقبحة مرهباً عنها وكذلك يتبدل بالسعي في أسبابه ولذلك صنف أطباء الأرواح أبواباً في علم الأخلاق لبيان ما هو صحة روحانية وما هو مرض روحاني كما ألف أطباء الأشباح فصولاً في علم الأبدان لبيان سبب كل مرض وعلاجه وإنما أفرد الخلق ووصفه بالعظمة كما وصف القرآن بالعظيم لينبه على أن ذلك الخلق الذي هو عليه السلام عليه، جامع لمكارم الأخلاق اجتمع فيه شكر نوح وخلة إبراهيم وإخلاص موسى وصدق وعد إسماعيل وصبر يعقوب وأيوب واعتذار داود وتواضع سليمان وعيسى وغيرها من أخلاق سائر الأنبياء عليهم السلام، كما قال تعالى: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠] إذ ليس هذا الهدى معرفة الله تعالى لأن ذلك تقليد وهو غير لائق بالرسول عليه السلام، ولا الشرائع لأن شريعته ناسخة لشرائعهم ومخالفة لها في الفروع والمراد منه الاقتداء بكل منهم فيما اختص به من الخلق الكريم لو كان كل منهم مختصاً بخلق حسن غالب على سائر أخلاقه فلما أمر بذلك فكأنه أمر بجمع جميع ما كان متفرقاً فيهم فهذه درجة عالية لم تتيسر لأحد من الأنبياء عليهم السلام فلا جرم وصفه الله بكونه على خلق عظيم كما قال بعض العارفين:

لكل نبي في الأنام فضيلة ... وجملتها مجموعة لمحمد

ولم يتصف عليه السلام بمقتضى قوته النظرية إلا بالعلم والعرفان والإيقان والإحسان ولم يفعل بمقتضى قوته العملية إلا ما فيه رضى الله من فرض أو واجب أو مستحب ولم يصدر منه حرام أو مفسد أو مكروه فكان هو الملك بل أعلى منه ويجمع هذا كله قول عائشة رضي الله عنها لما سئلت عن خلقه عليه السلام، فقالت: «كان خلقه القرآن» أرادت به أنه عليه السلام، كان متحلياً بما في القرآن من مكارم الأخلاق ومحاسن الأوصاف ومتخلياً عما يزجر عنه من السيئات وسفساف الخصال وفي رواية قالت للسائل ألست تقرأ القرآن ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: ١] يعني اقرأ الآي العشر في سورة المؤمنين فذلك خلقه وفيه تنبه للسامعين على عظيم أخلاقه من الإيمان الذي هو أصل الأخلاق القلبية والصلاة التي هي عماد الأخلاق البدنية والزكاة التي هي رأس الأخلاق المالية إلى آخر ما في الآيات وفي «سلسلة الذهب» للمولى الجامي رحمه الله:

بود هم بحر مكرمت هم كان ... كوهرش كان خلقه القرآن
وصف خلق كسى كه قرآنست ... خل را نعت اوچه امكانست

وفي «التأويلات النجمية»: كان خلقه القرآن بل كان هو القرآن كما قال العارف بالحقائق:

أنا القرآن والسبع المثاني وروح الروح لا روح الأواني

محمد بن حكيم الترمذي قدس سره فرموده كه هيچ خلقي بزر كتراز خلق حضرت محمد عليه السلام، نبوده چه زميشت خوددست باز داشت وخودرا كلي باحق كذاشت وإمام قشيري قدس سره كفته كه ازبلا منحرف شد و نه از عطا منصرف كشت وكفته كه آن حضرت راهيچ مقصد ومقصودي جز خداي تعالى نبوده كما قال الجنيد قدس سره: كان على خلق عظيم لجوده بالكونين:

له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغر أجلى من الدهر

وقال الحسين النوري قدس سره كيف لا يكون خلقه عظيماً وقد تجلى الله لسره بأنوار أخلاقه.

يقول الفقير: كان خلقه عظيماً لأنه مظهر العظيم فكان خلق العظيم عظيماً فافهم جداً وفي «تلقيح الأذهان» لحضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر أوتي عليه السلام جوامع الكلم لأنه مبعوث لتتميم مكارم الأخلاق كما قال عليه السلام، ولذلك قال الله تعالى: **﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾** وهو عين كونه صراط المستقيم قال ﷺ: «إن لله ثلاثمائة وستين خلقاً من لقيه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة»، قال أبو بكر رضي الله عنه: هل فيّ منها يا رسول الله قال: «كلها فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله السخاء» انتهى. ولذلك كان أحسن أخلاق المرء في معاملته مع الحق التسليم والرضى وأحسن أخلاقه في معاملته مع الخلق العفو والسخاء وإنما قال مع التوحيد لأنه قد توجد مكارم الأخلاق ولا إيمان كما أنه قد يوجد الإيمان ولا أخلاق إذ لو كان الإيمان يعطي بذاته مكارم الأخلاق لم يقل للمؤمن افعل كذا واترك كذا وللمكارم آثار ترجع على صاحبها في أي دار كان كما ورد في حق أبي طالب قال بعض الكبار: من أراد أن يرى رسول الله ﷺ، ممن لم يدركه من أمته فلينظر إلى القرآن فإنه لا فرق بين النظر فيه وبين النظر إلى رسول الله فكأن القرآن انتشاء صورة جسدية يقال لها محمد بن عبد الله بن عبد المطلب والقرآن كلام الله وهو صفته فكأن محمداً عليه السلام، خلعت عليه صفة الحق من يطع الرسول فقد أطاع الله وقال بعضهم: من أراد أن يرى رسول الله فليعمل بسنته لا سيما في مكان أميتت السنة فيه فإن حياة رسول الله بعد موته هي حياة سنته ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً لأنه المجموع الأتم الأكمل ﷺ وقال بعضهم: لم يبق بعد بعثة رسول الله سفساف أخلاق أبداً لأنه ﷺ أبان لنا عن مصارفها كلها من حرص وحسد وشره وبخل وخوف وكل صفة مذمومة فمن أجراها على تلك المصارف عادت كلها مكارم أخلاق وزال عنها اسم الذم قال ﷺ لمن ركع دون الصف: زادك الله حرصاً ولا تعد وقال: لا حسد إلا في اثنتين وقال: أكثروا من ذكر الله وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] وقال: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء: ٦٧] وغير ذلك من الآيات. والأخبار فما أمر الله باجتناب بعض الأخلاق إلا لمن يعتقد أنها سفساف أخلاق وجهل معنى قوله عليه السلام: بعثت لأتمم مكارم الأخلاق فمن الناس من علم ومنهم من جهل فالكامل لا يرى في العالم إلا أخلاق الله تعالى التي به وجدت وفي «كشف الأسرار» في تفسير الآية عرض عليه مفاتيح

العرض فلم يقبلها ورقاه ليلة المعراج وأراه جميع الملائكة والجنة فلم يلتفت إليها قال الله تعالى ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾ [النجم: ١٧] ما التفت يميناً وشمالاً فقال تعالى: ﴿إنك لعلى خلق عظيم﴾.

أي جوانمرد قدرآن مهتركه داند وكدام خاطر ببدايت عزا أو رسد صد هذار وبيست وچهار هزار نقطهٔ نبوت كه رفتند در برابر درجات أو كواكب بودند وبا آنكه أو غائب بودهمه نور نبوت ازو كرفتند چنانكه آفتاب اكرچه غائب باشد كواكب نور ازوى كيرند ليكن چون آفتاب پيدا شود كواكب در نور او پيدا شوند همچنين همه انبيا نور ازو كرفتند ليكن چون محمد عليه السلام، بعالم صورت در آمد ايشان هم كم شدند.

كـأنـك شـمـس والـمـلـوك كـواكـب إذا طـلـعـت لـم يـبـد مـنـهـن كـوكـب

وفي «القصيدة البردية»:

فـاق الـنـبـيـيـن فـي خـلـق وفـي خـلـق ولـم يـدانـوه فـي عـلـم ولا كـرم

فـإنـه شـمـس فـضـل هـم كـواكـبـهـا يـظـهـرن أنـوارهـا لـلـنـاس فـي الـظـلـم

ومن أخلاقه عليه السلام، ما أشار إليه قوله: صل من قطعك واعف عمن ظلمك وأحسن إلى من أساء إليك فإنه عليه السلام، ما أمر أمته بشيء قبل الائتمار به، وفي الحديث: «إن المؤمن ليدرك بحسن خلقه درجة قائم الليل صائم النهار»، وروي عن علي بن موسى الرضى، عن أبيه موسى بن جعفر، عن أبيه جعفر بن محمد، عن أبيه محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين، عن أبيه الحسين بن علي، عن أبيه علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، قال قال رسول الله ﷺ: «عليكم بحسن الخلق فإن حسن الخلق في الجنة لا محالة وإياكم وسوء الخلق فإن سوء الخلق في النار لا محالة».

﴿فستبصر ويبصرون﴾ يقال: أبصرته وبصرت به علمته وأدركته فإن البصر يقال للجارحة الناظرة ولقوة القلب المدركة ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة وفي «تاج المصادر» الأبصار ديدن بچشم وبدل.

فالمعنى فستعلم ويعلمون يوم القيامة حين يتبين الحق من الباطل وقال القاشاني: فستبصر ويبصرون عند كشف الغطاء بالموت، وقال مقاتل: هذا وعيد بعذاب بدر.

ولذا قال الكاشفي: بدان وقت كه عذاب نازل شود برايشان معلوم كرددكه ديوانه تومي يا ايشان.

وهو الأوضح ففيه: وعد لرسول الله عليه السلام بغلبة الإسلام وأهله وبالانتقام من الأعداء ﴿بأيكم المفتون﴾ أي: أيكم الذي ابتلي بفتنة الجنون فأيكم مبتدأ والمفتون بمعنى المجنون خبره والباء مزيدة في المبتدأ كما في بحسبك زيد أو بأيكم الجنون على أن المفتون مصدر بمعنى الفتون وهو الجنون كالمجلود بمعنى الجلادة والمعقول بمعنى العقل كما في قوله: «حتى إذا لم يتركوا لعظامه لحماً ولا لفؤاده معقولاً» والباء للإلصاق نحو به داء أو بأي الفريقين منكم المجنون أبفريق المؤمنين أم بفريق الكافرين أي في أيهما يوجد من يستحق هذا الاسم فالباء بمعنى في والمفتون مبتدأ مؤخر والأمة داخلة في خطاب فستبصر بالتبعية لا يختص به عليه السلام، كالسوابق وهو تعريض بأبي جهل بن هشام والوليد بن المغيرة وأضرابهما كقوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾ [القمر: ٢٦] من الكذاب الأشر أي أصالح عليه السلام أم قومه.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ۝٧ فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ۝٩﴾.

﴿**إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله**﴾ تعالى المؤدي إلى سعادة الدارين وهام في تيه الضلال متوجهاً إلى ما يفضيه إلى الشقاوة الأبدية وهذا هو المجنون الذي لا يفرق بين النفع والضر بل يحسب الضر نفعاً فيؤثره والنفع ضراً فيهجره. ﴿**وهو أعلم بالمهتدين**﴾ إلى سبيله الفائزين بكل مطلوب ناجين من كل محذور وهم العقلاء المراجيح فيجزي كلاً من الفريقين حسبما يستحقه من العقاب والثواب وإعادة هو أعلم لزيادة التقرير وفي الآية إشعار بأن المجنون في الحقيقة هو العاصي لا المطيع وإشارة إلى الضال عن سبيل الوصول إلى حضرة المولى بسبب محبة الدنيا والميل إلى شهواتها والمهتدي إلى طريق التوحيد والوحدة بنور العناية الأزلية والهداية الأبدية قال بعض الكبار: وهو أعلم بالمهتدين أي القابلين للتوفيق فهداة البيان هم الرسل وهادي التوفيق هو الحق تعالى فللهادي الذي هو الله الإبانة والتوفيق وليس للهادي الذي هو المخلوق إلا الإبانة خاصة ومن لا علم له بالحقائق يظن أن العبد إذا صدق في الإرشاد والوعظ أثر ذلك القبول في نفوس السامعين وإذا لم يصدق في ذلك لم يؤثر وهذا من الوهم الفاسد فإنه لا أقرب إلى الله ولا أصدق في التبليغ عنه ولا أحب للقبول لما جاء من عند الله تعالى من الرسل لغلبة الرحمة على قلوبهم ومع ذلك فأعم القبول فيمن سمعهم بل قال الرسول الصادق في التبليغ ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦﴾ [نوح: ٥ ـ ٦] فلما لم يعم القبول مع تحققنا هذه المهمة العظيمة من أكابر أولي العزم من الرسل علمنا أن الهمة ما لها أثر جملة واحدة في المدعو وأن الذي قبل من السامعين ليس هو من أثر همة الداعي الهادي الذي هو المبلغ وإنما هو قوة الاستعداد في محل القبول من حيث ما وهبه الله تعالى في خلقه من مزاج يقتضي له قبولاً مثل هذا وأمثاله وهو المزاج الخاص الذي لا يعلمه إلا الله الذي خلقهم عليه وهو قوله تعالى: ﴿**وهو أعلم بالمهتدين**﴾ قال الشيخ سعدي قدس سره:

كفت عالم بكوش جان بشنو ور نماند بكفتنش كردار
باطلست آنكه مدعى كويد خفته را خفته كي كند بيدار
مرد بايدكه كيرد اندر كوش ورنوشته است پند برديوار

﴿**فلا تطع المكذبين**﴾ أي: إذا تبين عندك ما تقدم فدم على ما أنت عليه من عدم طاعتهم فيما يدعونك إليه من الكف عنهم ليكفوا عنك وتصلب في ذلك أمره عليه السلام، بالتشدد مع قومه وقوى قلبه بذلك مع قلة العدد وكثرة الكفار فإن هذه السورة من أوائل ما نزل دلت الآية على أن الإطاعة للعاصي عصيان والاقتداء بالطاغي طغيان.

﴿**ودوا لو تدهن**﴾ لو للتمني والإدهان في الأصل مثل التدهين واشتقاقهما من الدهن لكن جعل عبارة عن الملاينة وترك الجد قال في «تاج المصادر» الإدهان مداهنت كردن.

والتركيب يدل على لين وسهولة وقلة والمعنى أحبوا لو تلاينهم وتسامحهم في بعض الأمور وترك الدعوة ﴿**فيدهنون**﴾ أي فهم يداهنونك حينئذٍ بترك الطعن.

كما قال الكاشفي: فرمان مبر مشركان كه راكه ترا بدين آباء دعوت مي نمايند ودوست

مي دارندكه تونرمي كنى باايشان وسرزنشي نكنى برشرك تاايشان نير چرب ونرمي كنند وبردين توطعنه نزنند.

فالفاء للعطف على تدهن فيكون يدهنون داخلاً في حيز لو ولذا لم ينصب يدهنون بسقوط النون جواباً للتمني والفعل للاستقبال أو الفاء للسببية فهو مسبب عن تدهن ويجوز أن يكون الفعل للحال على معنى ودوا ادهانك فهم الآن يدهنون طمعاً في إدهانك فالتسبب عن التمني وتقدير المبتدأ لأنه لولاه لكان الفعل منصوباً لاقتضاء التسبب عما في حيز التمني ذلك قال بعضهم: لا توافقهم في الظاهر كما لا توافقهم في الباطن فإن موافقة الظاهر أثر موافقة الباطن وكذا المخالفة وإلا كان نفاقاً سريع الزوال ومصانعة وشيكة الانقضاء وأما هم فلانهماكهم في الرذائل وتعمقهم في التلون والاختلاف لتشعب أهوائهم وتفرق أمانيهم يصانعون ويضمون تلك الرذيلة إلى رذيلتهم طمعاً في مداهنتك معهم ومصانعتك إياهم قال بعضهم المداهنة بيع الدين بالدنيا فهي من السيئات والمداراة بيع الدنيا بالدين فهي من الحسنات ويقال الإدهان الملاينة لمن لا ينبغي له ذلك وهو لا ينافي الأمر بالمداراة كما قال عليه السلام: «أمرت بمداراة الناس كما أمرت بالتبليغ» قال الإمام الغزالي رحمه الله في «الإحياء» الفرق بين المداراة والمداهنة بالغرض الباعث على الإغضاء فإن أغضيت للأمة دينك ولما ترى فيه من إصلاح أخيك بالإغضاء فأنت مدار وإن أغضيت لحظ نفسك واجتلاب شهواتك وسلامة جاهك فأنت مداهن قال أبو الدرداء رضي الله عنه: إنا لنبش في وجوه أقوام وإن قلوبنا لتلعنهم وهذا معنى المداراة وهو مع من يخاف شره.

﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾﴾

﴿ولا تطع كل حلاف﴾ كثير الحلف في الحق والباطل لجهله حرمة اليمين وعدم مبالاته من الحنث لسوء عقيدته وتقديم هذا الوصف عى سائر الأوصاف الزاجرة عن الطاعة لكونه أدخل في الزجر قال في «الكشاف»: وكفى به مزجرة لمن اعتاد الحلف ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٤]. . انتهى. ودخل فيه الحلف بغير الله تعالى فإنه من الكبائر وأصل الحلف اليمين الذي يأخذ بعضهم من بعض بها الحلف أي العهد ثم عبر به عن كل يمين. **﴿مهين﴾** حقير الرأي والتدبير لأنه لم يعرف عظمة الله ولذا أقدم على كثرة الحلف من المهانة وهي القلة والحقارة ويجوز أن يراد به الكذاب لأنه حقير عند الناس. **﴿هماز﴾** عياب طعان يعني عيب كننده در عقب مردم ياطعنه زننده در روى باايشان.

قال الحسن رحمه الله: يلوي شدقيه في أقفية الناس وفيه إشارة إلى من يعيب ويطعن في أهل الحق في رياضاتهم ومجاهداتهم وانزوائهم وعزلتهم عن الناس وفي الحديث: «لا يكون المؤمن طعاناً ولا لعاناً». وفي حديث آخر: «طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس» يعني من ينظر إلى عيب نفسه يكون ذلك مانعاً له عن النظر إلى عيب غيره وتعييبه به وذلك لا يقتضي أن لا ينهى العاصي عن معصيته اقتداء بأمر الله تعالى بالنهي عن المنكر لا إعجاباً بنفسه وازدراء لقدر غيره عند الله فإنه العالم ببواطن الأمور والهماز مبالغة هامز والهمز الطعن والضرب والكسر والعيب ومنه المهمز والمهماز بكسر الميم حديدة تطعن بها الدابة قيل لأعرابي أتهمز

الفأرة قال: السنور يهمزها واستعير للمغتاب الذي يذكر الناس بالمكروه ويظهر عيوبهم ويكسر أعراضهم كأنه يضربهم بأذاه إياهم ﴿مشاءٍ بنميم﴾ مضربه نقال للحديث من قوم إلى قوم على وجه السعاية والإفساد بينهم فإن النميم والنميمة السعاية وإظهار الحديث بالوشاية وهو من الكبائر أما نقل الكلام بقصد النصيحة فواجب كما قال من قال: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [القصص: ٢٠] وفي «التعريفات» النمام هو الذي يتحدث مع القوم فينم عليهم فيكشف ما يكره كشفه سواء كرهه المنقول عنه أو المنقول إليه أو الثالث وسواء كان الكشف بالعبارة أو بالإشارة أو بغيرهما وفي الحديث: «لا يدخل الجنة نمام»، أي: ماش بالسعاية وهي بالفارسية غمز كردن.

وفي «التأويلات النجمية»: مشاء بنميم يحفظون كلام أهل الحق من هذه الطائفة الكريمة ثم يحكونه عند الجهال من أصحاب الحجب فيضحكون عليهم وينسبون ذلك الكلام إلى السفسفة والسفه ﴿مناع﴾ مبالغة مانع ﴿للخير﴾ أي بخيل والخير المال أو مناع الناس من الخير الذي هو الإيمان والمطاعة والإيقان ولأرباب السلوك من إرشاد الطالبين المسترشدين فذكر الممنوع منه دون الممنوع وكان للوليد بن المغيرة عشرة من البنين وكان يقول لهم ولأقاربه من تبع منكم دين محمد لا أنفعه بشيء أبداً وكان الوليد موسراً له تسعة آلاف مثقال فضة وكانت له حديقة في الطائف ﴿معتد﴾ متجاوز في الظلم أي يتجاوز الحق والحد بأن يظلم على الناس ويمكن حمله على جميع الأخلاق الذميمة فإن جميعها تجاوز عن حد الاعتدال. وفي «التأويلات النجمية»: متجاوز في الظلم على نفسه بانغماسه في بحر الشهوات وانهماكه في ظلمة المنهيات ﴿أثيم﴾ كثير الإثم وهو اسم للأفعال المطبعة عن الثواب.

وقال الكاشفي: بسيار كناهكار زيانكار.

وفي «التأويلات النجمية»: كثير الآثام بالركون إلى الأخلاق الرديئة والرغبة في الصفات المردودة ﴿عتل﴾ جاف غليظ من عتله إذا قاده بعنف وغلظة قال الراغب: العتل الأخذ بمجامع الشيء وجره بقهر كعتل البعير وبالفارسية كشدن بعنف.

وقال الكاشفي: عتل يعني سخت روى وزشت خوى انتهى.

ومن كان جافياً في المعاملة غليظ القلب والطبع بحيث لا يقبل الصفات الروحانية ولا يلين للحق اجترأ على كل معصية قال في «القاموس» العتل بضمتين مشددة اللام الأكول المنيع الجافي الغليظ ﴿بعد ذلك﴾ أي بعدما عد من مقابحه ﴿زنيم﴾ دعي ملصق بالقوم وملحق بهم في النسب وليس منهم فالزنيم هو الذي تبناه أحد أي اتخذه ابناً وليس بابن له من نسبه في الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤] قال الراغب: الزنيم والمزنم الزائد في القوم وليس منهم أي المنتسب إلى قوم وهو معلق بهم لا منهم تشبيهاً بالزنمتين من الشاة وهما المتدليتان من أذنها ومن الحلق وفي «الكشاف» الزنيم من الزنمة وهي الهنة من جلد الماعزة تقطع فتخلى معلقة في حلقها لأنه زيادة معلقة بغير أهله وفي «القاموس» الزنمة محركة شيء يقطع من أذن البعير فيترك معلقاً يفعل بكرامها والظاهر من قول ابن عباس رضي الله عنهما الحقيقة حيث قال إنه لم يعرف حتى قيل زنيم فعرف أنه كان له زنمة أي في حلقه ويقال كان يعرف بالشر كما تعرف الشاة بزنمتها قال العتبي لا نعلم أن الله وصف أحداً ولا ذكر من عيوبه ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة فألحق به عاراً لا يفارقه أبداً وفي

قوله بعد ذلك دلالة على أن دعوته أشد معايبه وأقبح قبائحه وكان الوليد دعياً في قريش وليس من نسبهم وسنخهم أي أصلهم ادعاه أبوه المغيرة بعد ثمان عشرة سنة من مولده يعني وليد هژده ساله بودكه مغيره دعوى كردكه من پدر اويم واورا بخود كرفت.

فقوله بعد ذلك ههنا نظير ثم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البلد: ١٧] من حيث إنها للتراخي رتبة وفي الحديث: «لا يدخل الجنة جواظ ولا جعظري ولا العتل الزنيم»، فالجواظ الجموع المنوع والجعظري الفظ الغليظ والعتل كل رحيب الجوف أكول شروب غشوم ظلم وفي الحديث «ألا أخبركم بأهل الجنة كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبره ألا أخبركم بأهل النار كل عتل جواظ مستكبر» وقيل بغت أم الوليد ولم يعرف حتى نزلت هذه الآية فمعنى زنيم حينئذٍ ولد الزنى، وبالفارسية حرام زاده كه پدر أو معلوم نباشد قال الشاعر:

زنـيـم لـيـس يـعـرف مـن أبـوه بـغـي الأم ذو حـسـب لـئـيـم

در تفسير امام زاهد مذكور است گه چون حضرت رسول الله ﷺ اين آيت درانجمن قريش بر وليد خواند بهر عيبي كه رسيد درخود بازيافت مكر حرام زادكي باخود كفت من سيد قريش وپدر من مردي معروفست وميدانم كه محمد دروغ نكويد چكونه اين مهم را بر سر آرم شمشير كشيده نزدما در آمد القصه بعد از تهديد بسياز ازو اقرار كشيدكه پدر تو در قصهٔ زنان جرأتي نداشت واورا برادر زادكان بودند چشم برميراث وى هاده مررشك آمد غلام فلا نرا بمزد كرفتم وتوف زنداويي ودليل روشن بر صدق قول زن شدت خصومت وليدست وستيزهٔ او بآن حضرت ﷺ ودرين باب كفته اند.

جرم وكنـاه مـدعـى از فـعـل مـادرسـت كـور اخـطـاي مـادر اوخـا كـسـار كـرد

والغالب أن النطفة إذا خبثت خبث الولد الناشىء منها ومن ثمة قال رسول الله عليه السلام: «لا يدخل الجنة ولد الزنى ولا ولده ولا ولد ولده» كما في «الكشاف» وفي الحديث: «لا تزال أمتي بخير ما لم يفش فيهم ولد الزنى فإذا فشا فيهم ولد الزنى أو السكران يعمهم الله بعذابه» وفي حديث آخر: «ولد الزنى شر الثلاثة» قال الرهاوي في «شرح المنار»: هذا في مولود خاص لأنا قد نشاهد ولد الزنى أصلح من ولد الرشدة في أمر الدين والدنيا ويستحق جميع الكرامات من قبول شهادته وعبادته وصحة قضائه وإمامته وغير ذلك فالحديث ليس على عمومه انتهى.

يقول الفقير: إذا كان الرضاع يغير الطباع فإن من ارتضع امرأة فالغالب عليه أخلاقها من خير وشر فما ظنك بالزنى ولا عبرة بالصلاح الظاهر والكرامات الصورية وفي الحديث: «ولدت من نكاح لا من سفاح» وكذا سائر الأنبياء عليهم السلام وجميع الأولياء الكرام قدس الله أسرارهم فالزنى أقبح من الكفر من وجه فإن الله يخرج الحي من الميت أي المؤمن من الكافر بخلاف الرشيد من الزاني فولد الزنى لا يصلح للولاية الحقيقية وإن كان صالحاً للولاية الصورية وقيل نزلت الآية في الأخنس بن شريق واسمه أبي وكان ثقفياً ملصقاً في قريش فلذلك قال زنيم لا على جهة الذم لنسبه ولكن على جهة التعريف به ذكره السهيلي، قال ابن عطية: وظاهر اللفظ عموم من بهذه الصفة والمخاطبة بهذا المعنى مستمرة باقي الزمن لا سيما لولاة الأمور قال في «فتح الرحمن» ثم هذا الترتيب إنما هو في قول الواصف لا في حصول تلك

الصفات في الموصوف وإلا فكونه عتلاً هو قبل كونه صاحب خير يمنعه وفي «برهان القرآن» قوله حلاف إلى قوله﴿زنيم﴾ أوصاف تسعة ولم يدخل بينها واو العطف ولا بعد السابع فدل على أن ضعف القول بواو الثمانية صحيح.

﴿أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾﴾.

﴿أن كان ذا مال وبنين﴾ متعلق بقوله تعالى: ﴿لا تطع﴾ على حذف الجار أي لا تطع من هذه مثالبة لأن كان مثولاً ذا مال كثير مستظهراً بالبنين.

﴿إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين﴾ استئناف جار مجرى التعليل المنهي أي إذا تقرأ عليه آيات كلامنا القديم قال هي أحاديث لا نظام لها اكتتبوها كذباً فيما زعموه لقوله اكتتبها فهي تملى عليه وبالفارسية افسا نهاي پيشينيانست.

وقال السدي: أساجيع الأولين أي جعل مجازاة النعم التي خولناها من المال والبنين الكفر بآياتنا قال المبرد الأساطير جمع أسطورة نحو أحدوثة وأحاديث وقد سبق غير هذا وفي «التأويلات النجمية»: لا تطع الحلاف المهين الحقير في نفسه بسبب ثروة أعماله المنسوبة إلى الرياء والسمعة وبنين الأحوال المطعونة بالعجب والإعجاب إذا تتلى عليه آياتنا من الحقائق والدقائق قال أساطير الأولين ما سطره الصوفية المتقدمون وهي من ترهاتهم وخرافاتهم ﴿سنسمه على الخرطوم﴾ أصله سنوسمه من الوسم وهو إحداث السمة بالكسر أي العلامة وبالفارسية داغ كردن.

والميسم بالكسر المكواة أي آلة الكي والخرطوم كزنبور الأنف أو مقدمه أو ما ضممت عليه الفكين كالخرطم كقنفذ كما في «القاموس»، والمعنى سنجعل له سمة وعلامة يعرف بها بالكي على أكرم مواضعه لغاية إهانته وإذلاله إذ الأنف أكرم موضع من الوجه لتقدمه له ولذلك جعلوه مكان العز والحمية واشتقوا منه الأنفة وقالوا الأنف بالأنف وحمى أنفه وفلان شامخ العرنين وقالوا في الذليل جدع أنفه ورغم أنفه ولقد وسم العباس رضي الله عنه أباعره في وجوهها فقال له رسول الله عليه السلام: «أكرموا الوجوه فوسمها في جواعرها» أي: في أدبارها وفي التعبير عن الأنف بلفظ الخرطوم استهانة بصاحبه واستقباح له، لأنه لا يستعمل إلا في الفيل وخنزير وكلما كان الحيوان أخبث وأقبح كانت الاستهانة والاستقباح أشد وأكثر قيل: أصاب أنف الوليد جراحة يوم بدر فبقيت علامتها قال صاحب «الكشف»: هو ضعيف فإن الوليد مات قبله فلم يوسم بوسم بقي أثره مدة حياته وقال الراغب: نلزمه عاراً لا ينمحي عنه كما قال صاحب «الكشاف» هو عبارة عن أن يذله غاية الإذلال وذلك لأن الوجه أكرم موضع والأنف أبين عضو منه فالوسم على الأنف غاية الإذلال والإهانة لأن الوسم على الوجه شين فكيف إذا كان على أظهر موضع منه وكما قال العتبي وصف الله الوليد بالحلف والمهانة والهمز والمشي بالنميمة والبخل والظلم والإثم والجفوة والدعوة فألحق به عاراً لا يفارقه في الدنيا والآخرة، قال: والذي يدل عى هذا ما روي عن الشعبي في قوله عتل حيث قال العتل الشديد والزنيم الذي له زنمة من الشر، يعرف بها كما تعرف الشاة وقيل: سنعلمه يوم القيامة بعلامة مشوهة يعلم بها من سائر الكفرة بأن نسود وجهه غاية التسويد إذ كان بالغاً في عداوة سيد

المرسلين عليه وعليهم الصلاة والسلام أقصى مراتب العداوة فيكون الخرطوم مجازاً عن الوجه على طريق ذكر الجزء وإرادة الكل.

وفي «التأويلات النجمية»: نكوى خرطوم استعداده بكى نار الحجاب والبعد حتى لا يشم النفحات الإلهية والنسمات الربانية.

﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إنا بلوناهم﴾ يقال: بلي الثوب، بلى أي: خلق بلوته اختبرته كأني أخلقته من كثرة اختباري له والبلايا اختبارات والمعنى أنا ابتلينا أهل مكة بالقحط والجوع سبع سنين بدعوة رسول الله ﷺ حتى أكلوا الجيف والجلود والعظام والدم لتمردهم وكفرانهم نعم الله تعالى. **﴿كما بلونا أصحاب الجنة﴾** أي: ابتلاء مثل ابتلاء أصحاب الجنة المعروف خبرها عندهم، واللام للعهد والكاف في موضع النصب على أنها نعت لمصدر محذوف وما مصدرية والجنة البستان وبالفارسية باغ.

وأصحاب الجنة قوم من أهل صنعاء وفي «كشف الأسرار» سه برادر بودند.

كانت لأبيهم هذه الجنة دون صنعاء بفرسخين وقال السهيلي: هي جنة بضروان وضروان على فراسخ من صنعاء وفي «فتح الرحمن» الجنة بستان يقال له ضروان باليمن كان أصحاب هذه الجنة بعد رفع عيسى عليه السلام بيسير وكانوا بخلاء وكان أبوهم يأخذ منها قوت سنة ويتصدق بالباقي وكان ينادي الفقراء وقت الصرام ويترك لهم ما أخطأه المنجل وما في أسفل الأكداس وما أخطأه القطاف من العنب وما بقي على البساط الذي يبسط تحت النخلة إذا صرمت.

قال الكاشفي: وده ازيك حاصل نزي برايشان قسمت كردي.

فكان يجتمع لهم شيء كثير ويتزودون به أياماً كثيرة فلما مات أبوهم قال بنوه إن فعلنا ما كان يفعل أبونا ضاق علينا الأمر ونحن أولو عيال فحلفوا فيما بينهم وذلك قوله تعالى: **﴿إذ أقسموا﴾** ظرف لبلونا والإقسام سوكند خوردن يعني سوكند خوردند وارثان باغ كه پنهان ازفقرا **﴿ليصرمنها﴾** الصرام والصرم قطع ثمار النخيل وبالفارسية بار خرما بريدن.

من صرمه إذا قطعه أي ليقطعن ثمارها من الرطب والعنب ويجمعن محصولها من الحرث وغيره. **﴿مصبحين﴾** أي: داخلين في الصباح مبكرين وسواد الليل باقي قوله ليصرمنها جواب للقسم وجاء على خلاف منطوقهم ولو جاء على منطوقهم لقيل لنصرمنها بنون المتكلم ومصبحين حال من فاعل ليصرمنها. **﴿ولا يستثنون﴾** أي: لا يقولون إن شاء الله وتسميته استثناء مع أنه شرط من حيث أن مؤداه مؤدي الاستثناء فإن قولك لأخرجن إن شاء الله ولا أخرج إلا إن شاء الله بمعنى واحد والجملة مستأنفة أو حال بعد حال لعل إيراده بعد إيراد أقسامهم على فعل مضمر لمقصودهم مستنكر عند أرباب المروة وأصحاب الفتوة لتقبيح شأنهم بذكر السببين لحرمانهم وإن كان أحدهما كافياً فيه لكن ذكر الأقسام على أمر مستنكر أولاً وجعل ترك الاستثناء حالاً منه يفيد أصالته وقوته في اقتضاء الحرمان والأظهر أن المعنى ولا يستثنون حصة المساكين، أي لا يميزونها ولا يخرجونها كما كان يفعله أبوهم وقال أبو حيان:

ولا ينثنون عما عزموا عليه من منع المساكين، قال في «تاج المصادر»: الاستثناء إن شاء الله كفتن واستثنا كردن.

والباب يدل على تكرير الشيء مرتين أو جعله شيئين متوالين أو متباينين والاستثناء من قياس الباب وذلك أن ذكره يثنى مرة في الجملة ومرة في التفصيل لأنك إذا قلت خرج الناس ففي الناس زيد وعمرو فإذا قلت إلا زيداً فقد ذكرت زيداً مرة أخرى ذكراً ظاهراً انتهى. قال الرغب الاستثناء إيراد لفظ يقتضي رفع بعض ما يوجبه عموم لفظ متقدم أو يقتضي رفع حكم اللفظ كما هو فمن الأول قوله تعالى: ﴿قُل لَّآ أَجِدُ﴾ [الأنعام: ١٤٥] فيما أوحى إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا يكون ميتة ومن الثاني قوله لأفعلن كذا إن شاء الله وعبده عتيق وامرأته طالق إن شاء الله.

﴿فطاف عليها﴾ أي على الجنة أي أحاط بها **﴿طائف﴾** بلاء طائف كقوله وأحيط بثمره وذلك ليلاً إذ لا يكون الطائف إلا بالليل وأيضاً دل عليه ما بعده من ذكر النوم وكان ذلك الطائف ناراً نزلت من السماء فأحرقتها **﴿من ربك﴾** مبتدىء من جهته تعالى قال الراغب الطوف الدوران حول الشيء ومنه الطائف لمن يدور حول البيت حافظاً ومنه استعير الطائف من الجن والخيال والخادم وغيرها قال تعالى: **﴿فطاف﴾** .. الخ. تعريضاً بما نالهم من النائبة انتهى. **﴿وهم نائمون﴾** غافلون عما جرت به المقادير أو غافلون عن طوافه بالنوم الذي هو أخو الموت وبالفارسية وايشان خفتكان بودند.

والنوم استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه أو أن يتوفى الله النفس من غير موت أي أن يقطع ضوء الروح عن ظاهر الجسد دون باطنه أو النوم موت خفيف والموت نوم ثقيل وكل هذه التعريفات صحيحة. **﴿فأصبحت﴾** پس كشت جنت ايشان با آن بلا **﴿كالصريم﴾** فعيل بمعنى مفعول أي كالبستان الذي صرمت ثماره بحيث لم يبق فيها شيء لأن النار السماوية أحرقتها وقيل كالليل لأن الليل يقال له الصريم أي صارت سوداء كالليل لاحتراقها.

﴿فَتَنَادَوْا مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿فتنادوا﴾ أي نادى بعضهم بعضاً **﴿مصبحين﴾** حال كونهم داخلين في الصباح **﴿أن اغدوا﴾** أي اغدوا على أن مفسرة أو بأن اغدوا على أنها مصدرية أي أخرجوا غدوة وأول النهار وبالفارسية بامداد بيرون ايید **﴿على حرثكم﴾** بستانكم وضيعتكم وفي «كشف الأسرار» دران بستان هم زرع بودهم درخت انكور انتهى.

يقول الفقير: فالحرث يجوز أن يراد به الحاصل مطلقاً وأن يراد به الزرع خصوصاً لأنه أعز شيء يعيش به الإنسان وتعدية الغدو بعلى لتضمنه معنى الإقبال والاستيلاء وقال بعضهم: إنه يتعدى بعلى كما في «القاموس» غدا عليه غدواً وغدوة بالضم واغتدى بكر قال الراغب: الحرث إلقاء البذر بالأرض وتهيئتها للزرع ويسمى المحروث حرثاً قال تعالى: **﴿أن اغدوا على حرثكم﴾** **﴿إن كنتم صارمين﴾** قاصدين للصرم وقطع الثمرة وجمع المحصول أي فاغدوا فجوابه محذوف.

﴿فانطلقوا﴾ فمضوا إليها وبالفارسية پس برفتند بجانب باغ ﴿وهم يتخافتون﴾ التخافت بايكديكر پنهان راز كفتن.

أي يتشاورون فيما بينهم بطريق المخافتة والسر كيلا يسمع أحد ولا يدخل عليهم ﴿أن لا يدخلنها﴾ أي الجنة ﴿اليوم عليكم مسكين﴾ من المساكين فضلاً عن أن يكثروا وبالفارسية امروز برشما يعني درباغ شمادر ويشي تابهره بكيرد وز حصهء ماكم نكردد.

وأن مفسرة لما في التخافت من معنى القول بمعنى أي لا يدخلنها تفسيراً لما يتخافتون والمسكين هو الذي لا شيء له وهو أبلغ من الفقير والمراد بنهي المسكين عن الدخول المبالغة في النهي عن تمكينه من الدخول كقولهم لا أرينك ههنا فإن دخول المسكين عليهم لازم لتمكينهم إياه من الدخول كما أن رؤية المتكلم المخاطب لازم لحضوره عنده فذكر اللازم لينتقل منه إلى الملزوم.

﴿وغدوا﴾ مشوا بكرة وبالفارسية وبامداد برفتند. ﴿على حرد﴾ الحرد المنع عن حدة وغضب يقال نزل فلان حريداً أي ممتنعاً من مخالطة القوم وحاردت السنة منعت قطرها والناقة منعت درها وحرد غضب. ﴿قادرين﴾ حال مقدرة من فاعل غدوا فإن القدرة مع الفعل عند أهل الحق والمعنى وخرجوا أول الصباح على امتناع من أن يتناول المساكين من جنتهم حال كونهم قادرين على نفعهم أو على الاجتناء والصرم بزعمهم فلم يحصل إلا النكد والحرمان وفي الكشاف وغدوا قادرين على نكد لا غير عاجزين عن النفع يعني أنهم عزموا أن ينكدوا على المساكين ويحرموهم وهم قادرون على نفعهم فغدوا بحال فقر وذهاب مال لا يقدرون فيها إلا على النكد والحرمان وذلك أنهم طلبوا حرمان المساكين فتعجلوا الحرمان والمسكنة. ﴿فلما رأوها﴾ پس آن هنكام كه ديدنباغ رابخلاف آنچه كذاشنه بودند.

﴿قالوا﴾: أي قال بعضهم لبعض ﴿إنا لضالون﴾ أي طريق جنتنا وما هي بها لما رأوا من هلاكها ﴿بل نحن محرومون﴾ قالوه بعد ما تأملوها ووقفوا على حقيقة الأمر وأنها هي مضربين عن قولهم الأول أي لسنا ضالين بل نحن محرومون حرمنا خيرها ومنعنا نفعها بجنايتنا على أنفسنا بسوء نيتنا وهي إرادة حرمان المساكين وقصد منع حق الفقراء.

﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَـٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَلَـٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَـٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿قال أوسطهم﴾ أي رأياً أوسناً وفي «الكشاف» أعدلهم وخيرهم من قولهم فلان من وسطه قومه وأعطني من وسطات مالك ومنه قوله تعالى: ﴿أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال الكاشفي: كفت فاضلتر ايشان ازروى عقل يا يزر كتربسن يا صائب ترىراي.

قال الراغب: الوسط تارة يقال فيما له طرفان مذمومان كالجواد الذي بين البخل والسرف فيستعمل استعمال القصد المصون عن الإفراط والتفريط فيمدح به نحو السواء والعدل ونحو ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] وعلى ذلك قال أوسطهم وتارة يقال فيما له طرف محمود وطرف مذموم كالخير والشر ويكنى به عن الرذل نحو قولهم وسط بين الرجال تنبيهاً على أنه قد خرج من حد الخير ﴿ألم أقل لكم لولا تسبحون﴾ لولا تذكرون الله بالتسبيح

والتهليل وتتوبون إليه من خبث نيتكم وقد كان قال لهم حين عزموا على ذلك اذكروا الله وانتقامه من المجرمين وتوبوا إليه من هذه العزيمة الخبيثة من فوركم وسارعوا إلى حسم شرها قبل حلول النقمة فعصوه فعيرهم وفي الآية دليل على أن العزم على المعصية مما يؤاخذ به الإنسان لأنهم عزموا على أن يفعلوا فعوقبوا قبل فعلهم ونظيرها قوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج: ٢٥] وعلى هذا قوله تعالى: ﴿وَذَرُوا ظَاهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٠] والعزم قوة قصد الفعل والجزم به والمحققون على أنه يؤاخذ به وأما الهم وهو ترجيح قصد الفعل فمرفوع. ﴿**قالوا**﴾ معترفين بالذنب والاعتراف به يعد من التوبة ﴿**سبحان ربنا**﴾ ننزه ربنا عن كل سوء ونقصان سيما عن أن يكون ظالماً فيما فعل بنا ﴿**إنا كنا ظالمين**﴾ بقصد حرمان المساكين اتباعاً لشح النفس كأنهم قالوا نستغفر الله من سوء صنيعنا ونتوب إليه من خبث نيتنا حيث قصدنا عدم إخراج حق المساكين من غلة بستاننا ولو تكلموا بهذه الكلمة قبل نزول العذاب لنجوا من نزوله لكنهم تكلموا بها بعد خراب البصرة ﴿**فأقبل بعضهم على بعض**﴾ پس روى آوردند بعضي ازايشان بر بضعي ديكر ﴿**يتلاومون**﴾ اللوم الملامة وبالفارسية نكوهيدن يعني خوار داشتن.

أي يلوم بعضهم بعضاً على ما فعلوا فإن منهم من أشار بذلك ومنهم من استصوبه ومنهم من سكت راضياً به ومنهم من أنكره وبالفارسية أين آنرامي كفت توچنين انديشيدي وآن عذرمي آوردكه توهم بدين راضي بودي ﴿**قالوا**﴾ يعني بكناه خود اعتراف نمودند وازروى نياز كفتند ﴿**يا ويلنا**﴾ أي وأي برما ودر دزدكي ﴿**إنا كنا طاغين**﴾ متجاوزين حدود الله تعالى وبالفارسية ازحد برندكان دركنهكاري كه درويشانرا محروم ساختيم ﴿**عسى ربنا**﴾ شايد پروردكار ماكه ازكرم اواميد واريم ﴿**أن يبدلنا**﴾ أن يعطينا بدلاً منها ببركة التوبة والاعتراف بالخطيئة ﴿**خيراً منها**﴾ بهتري ازان باغ ﴿**إنا إلى ربنا راغبون**﴾ راجون العفو طالبون الخير وإلى لانتهاء الرغبة لأن الله منتهى رجائهم وطلبهم أو لتضمنها معنى الرجوع وإلا فالمشهور أن تتعدى الرغبة بكلمة في أو عن دون إلى روي أنهم تعاقدوا وقالوا إن أبدلنا الله خيراً منها لنصنعن كما صنع أبونا فدعوا الله وتضرعوا إليه فأبدلهم الله من ليلتهم ما هو خير منها قالوا إن الله أمر جبريل أن يقتلع تلك الجنة المحترقة فيجعلها بزعر من أرض الشام أي موضع قليل النبات ويأخذ من الشام جنة فيجعلها مكانها وقال ابن مسعود رضي الله عنه إن القوم لما أخلصوا وعرف الله منهم الصدق أبدلهم جنة يقال لها الحيوان فيها عنب يحمل البغل منه عنقوداً، قال أبو خالد اليماني: دخلت تلك الجنة فرأيت كل عنقود منها كالرجل الأسود القائم، يعني دران باغ خوشهء انكور ديدم برابر مردي سياه برپاي ايستاده محققان كفته اندهركه ببلايي مبتلاً كردد وثمال أو عرضة تلف شودوا وتأمل نمايدو داندكه باستحقاق برونارل شده پس بكناه اعتراف نموده بحضرت عزت بازشت كندبهترو خوشتر ازآنچه ازوبازستده بدودهد چنانچه بوستان حيون بعوض باغ ضرواني وپيررومي قدس سره ازين معنى خبر ميدهد آنجا ميفرمايد.

أو لم خم شكست وسركه بريخت — من نكويم كه اين زيانم كرد
صدخم شهد صافي ازپى آن — عوضم داد وشادمانم كرد

وسئل قتادة عن أصحاب الجنة أهم من أهل الجنة أم من أهل النار فقال لقد كلفتني تعباً وعن الحسن رحمه الله قول أصحاب الجنة إنا إلى ربنا راغبون لا أدري إيماناً كان ذلك منهم أو

على حد ما يكون من المشركين إذا أصابتهم الشدة فتوقف في أمرهم والأكثرون على أنهم تابوا وأخلصوا حكاه القشيري قدس سره.

يقول الفقير: إن كان ذلك القول منهم على حد ما يصدر من المضطر فإبدال الله إياهم جنة خيراً من جنتهم يكون من قبيل الاستدراج وإن كان عن توبة وإخلاص فذلك الإبدال من آثار تحقيق التوبة ونتائج الإخلاص فإن للإخلاص ثمرات عجيبة وعن الشيخ أبي الربيع المالقي رحمه الله، قال: سمعت بامرأة من الصالحات في بعض القرى اشتهر أمرها وكان من دأبنا أن لا نزور امرأة فدعت الحاجة إلى زيارتها للاطلاع على كرامة اشتهرت عنها وكانت تدعى بفضة فنزلنا القرية التي هي بها فذكر لنا أن عندها شاة تحلب لبناً وعسلاً فاشترينا قدحاً جديداً لم يوضع فيه شيء فمضينا إليها وسلمنا عليها ثم قلنا لها نريد أن نرى هذه البركة التي ذكرت لنا عن هذه الشاة التي عندكم فأعطتنا الشاة فحلبناها في القدح فشربنا لبنا وعسلاً فلما رأينا ذلك سألناها عن قصة الشاة فقالت نعم كانت لنا شويهة ونحن قوم فقراء ولم يكن لنا شيء فحضر العيد فقال لي زوجي وكان رجلاً صالحاً نذبح هذه الشاة في هذا اليوم فقلت له لا نفعل فإنه قد رخص لنا في الترك الله يعلم حاجتنا إليها فاتفق أن استضاف بنا في ذلك اليوم ضيف ولم يكن عندنا قراء فقلت له يا رجل هذا ضيف وقد أمرنا بإكرامه فخذ تلك الشاة فاذبحها قالت فخفنا أن يبكي عليها صغارنا فقلت له: أخرجها من البيت إلى وراء الجدار فاذبحها فلما أراق دمها قفزت شاة على الجدار فنزلت إلى البيت فخشيت أن تكون قد انفلتت منه فخرجت لأنظرها فإذا هو سلخ الشاة فقلت له يا رجل عجباً وذكرت له القصة فقال لعل الله قد أبدلنا خيراً منها وكانت تلك الشاة تحلب اللبن والعسل ببركة إكرامنا الضيف ثم قالت يا أولادي إن شويهتنا هذه ترعى في قلوب المريدين فإذا طابت قلوبهم طاب لبنها وإن تغيرت تغير لبنها فطيبوا قلوبكم قال اليافعي عنت بالمريدين نفسها وزوجها ولكن أطلقت لفظاً ظاهرة العموم مع إرادة التخصيص تستراً وتحريضاً للمريدين على تطييب قلوبهم إذ بطيب القلوب حصل كل طيب محبوب من الأنوار والأسرار ولذة العيش بمنادمة الملك الغفار والمعنى لما طابت قلوبنا طاب ما عندنا فطيبوا قلوبكم يطب لكم ما عندكم ولو لم يكن الأمر كذلك بل المراد عموم المريدين لكان بطيب اللبن من سائر الغنم ولو خبث قلبهما لما نفعهما طيب قلوب المريدين وإذا طاباهما لم يضرهما خبث قلوب المريدين.

﴿**كذلك العذاب**﴾ جملة من مبتدأ وخبر مقدم لإفادة القصر والألف واللام للعهد أي مثل الذي بلونا به أهل مكة وأصحاب الجنة عذاب الدنيا وفي «كشف الأسرار» كذلك أفعل بأمتك إذا لم تعطف أغنياؤهم على فقرائهم بأن أمنعهم القطر وأرسل عليهم الجوائح وأرفع البركة من زروعهم وتجارتهم ففيه وعيد لمانعي الزكاة والصدقة بإهلاك المال وإنزال العذاب بأي طريق كان.

مكن بدكه بدبيني اي يا رينك ... نيايد زتخم بدى بارنيك

كسى نيك بيند بهر دوسراي ... كه نيكي رساند بخلق خداي

﴿**ولعذاب الآخرة أكبر**﴾ أعظم وأشد وبالفارسية بزركتراست چه اين عذاب زوال يابد وآن باقي باشد ﴿**لو كانوا يعلمون**﴾ أنه أكبر لاحترزوا عما يؤديهم إليه ويطرحهم ويرميهم عليه.

﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿إن للمتقين﴾ أي: من الكفر والمعاصي ﴿عند ربهم﴾ أي: في الآخرة وذكر عند للتشريف والتكريم وذلك لأنه لا ملك فيها حقيقة وصورة إلا لله فكأنها حاضرة عنده تعالى يتصرف فيها كيف يشاء وإلا فمحال كون عندية الجنة بالنسبة إلى الله تعالى مكانية وهي ظرف معمول للاستقرار الذي تعلق به للمتقين ويجوز أن يكون متعلقاً بمحذوف منصوب على الحالية من المنوي في قوله ﴿للمتقين﴾ ولا يجوز أن يكون حالاً من جنات لعدم العامل والأظهر أن معنى عند ربهم في جوار القدس فالمراد عندية المكانة المنزهة عن الجهة والتحيز لا عندية المكان كما في قوله تعالى: ﴿عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ [القمر: ٥٥] إذ للمقربين قرب معنوي من الله تعالى قال الراغب عند لفظ موضوع للقرب فتارة يستعمل في المكان وتارة يستعمل في الاعتقاد نحو عندي كذا وتارة في الزلفى والمنزلة كقوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٩] وعلى ذلك قيل الملائكة المقربون ﴿جنات النعيم﴾ جنات ليس فيها إلا التنعم الخالص عن شائبة ما ينغصه من الكدورات وخوف الزوال كما عليه نعيم الدنيا واستفيد الحصر من الإضافة اللامية الاختصاصية فإنها تفيد اختصاص المضاف إليه.

﴿أفنجعل المسلمين كالمجرمين﴾ كان صناديد قريش يرون وفور حظهم من الدنيا وقلة حظوظ المسلمين منها فإذا سمعوا بحديث الآخرة وما وعد الله المسلمين قالوا إن صح أنا نبعث كما يزعم محمد ومن معه لم تكن حالنا وحالهم إلا مثل ما هي في الدنيا وإلا لم يزيدوا علينا ولم يفضلونا وأقصى أمرهم أن يساوونا فردهم الله تعالى والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام أي أنحيف في الحكم فنجعل المؤمنين كالكافرين في حصول النجاة والوصول إلى الدرجات فالمراد من المجرمين الكافرون على ما دل عليه سبب النزول وهم المجرمون الكاملون الذين أجرموا بالكفر والشرك وإلا فالإجرام في الجملة لا ينافي الإسلام نعم المسلم المطيع ليس كالمسلم الفاسق فيه وعظ للعاقل وزجر للمتبصر ثم قيل لهم بطريق الالتفات لتأكيد الرد وتشديده.

﴿ما لكم كيف تحكمون﴾ تعجيباً من حكمهم واستبعاداً له وإيذاناً بأنه لا يصدر عن عاقل وما استفهامية في موضع الرفع بالابتداء والاستفهام للإنكار، أي لإنكار أن يكون لهم وجه مقبول يعتد به في دعواهم حتى يتمسك به ولكم خبرها والمعنى أي شيء ظهر لكم حتى حكمتم هذا الحكم القبيح كأن أمر الجزاء مفوض إليكم فتحكمون فيه بما شئتم ومعنى كيف في أي حال أفي حال العلم أم في حال الجهل فيكون ظرفاً أو أعالمين أم جاهلين فيكون حالاً وفي «التأويلات النجمية»: أفنجعل المتقين لأحكام الشريعة وآداب الطريقة ورموز الحقيقة كالكاسبين للأخلاق الرديئة والأوصاف الرذيلة المخالفة للشريعة والطريقة والحقيقة ما لكم كيف تحكمون بهذا الظلم الصريح والقول القبيح.

﴿أم لكم﴾ أي بل ألكم وبالفارسية آياشماراست ﴿كتاب﴾ نازل من السماء ﴿فيه﴾ متعلق بقوله ﴿تدرسون﴾ أي تقرؤون قال في «المفردات» درس الشيء معناه بقي أثره ودرست العلم

تناولت أثره بالحفظ ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبر عن إدامة القراءة بالدرس ﴿**إن لكم فيه لما تخيرون**﴾ تخير الشيء واختياره أخذ خيره قال الراغب: الاختيار طلب ما هو خير فعله وقد يقال ما يراه الإنسان خيراً وإن لم يكن خيراً وفي «تاج المصادر» والتخير بركزيدن.

والمعنى ما تتخيرونه وتشتهونه وأصله أن لكم بالفتح لأنه مدروس فيكون مفعولاً واقعاً موضع المفرد فلا يكسر همزة إن ولكن لما جيء باللام كسرت فإن لام الابتداء لا تدخل على ما هو في حيز أن المفتوحة وهذه اللام للابتداء داخلة على اسم إن والمعنى تدرسون في الكتاب أن لكم ما تختارونه لأنفسكم وأن يكون العاصي كالمطيع بل أرفع حالاً منه فائتوا بكتاب إن كنتم صادقين ويجوز أن يكون حكاية للمدروس كما هو كقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾﴾ [الصافات: ١٢٩] سلام على نوح في العالمين فيكون الموقع من مواقع كسر إن لعدم وقوعها موقع المفرد حكاه الله في القرآن بصورته والفرق بين الوجهين أن المدروس في الأول ما انسبك من الجملة وفي الثاني الجملة بلفظها وقوله فيه لا يستغني عنه بفيه أو لا فقد يكتب المؤلف في كتابه ترغيباً للناس في مطالعته إن في هذا الكتاب كذا وكذا قال سعدي المفتي: لك أن تمنع كون الضمير للكتاب بل الظاهر أنه ليوم القيام المعلوم بدلالة المقام.

﴿**أم لكم أيمان علينا**﴾ قوله علينا صفة أيمان وكذا بالغة أي عهود مؤكدة بالإيمان ﴿**بالغة**﴾ أي متناهية في التوكيد والصحة لأن كل شيء يكون في نهاية الجودة وغاية الصحة يوصف بأنه بالغ يقال لفلان علي يمين بكذا إذا ضمنت وكفلت له به وحلفت له على الوفاء به أي بل أضمنا لكم أو أقسمنا بأيمان مغلظة فثبت لكم علينا عهود مؤكدة بالأيمان ﴿**إلى يوم القيامة**﴾ متعلق بالمقدر في لكم أي ثابتة لكم إلى يوم القيامة لا تخرج عن عهدتها حتى نحكمكم يومئذٍ ونعطيكم ما تحكمون أو ببالغة أو أيمان تبلغ ذلك اليوم وتنتهي إليه وافرة لم تبطل منها يمين إلى أن يحصل المقسم عليه الذي هو التحكيم واتباعنا لحكمهم ﴿**إن لكم لما تحكمون**﴾ جواباً لقسم لأن معنى أم لكم أيمان علينا أم أقسمنا لكم كما سبق.

﴿سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾ فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِى لَهُمْ ۚ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿**سلهم**﴾ أمر من سأل يسأل بحذف العين وهمزة الوصل وهو تلوين للخطاب وتوجيه له إلى رسول الله ﷺ بإسقاطهم عن رتبة الخطاب أي سلهم مبكتاً لهم يعني بپرس أي محمد مشركا نراكه. ﴿**أيهم**﴾ كدام ايشان. ﴿**بذلك**﴾ الحكم الخارج عن العقول ﴿**زعيم**﴾ أي: قائم يتصدى لتصحيحه كما يقوم زعيم القوم بإصلاح أمورهم فقوله بذلك متعلق بزعيم والزعيم بمعنى القائم بالدعوى وإقامة الحجة عليها قال الراغب: قوله زعيم إما من الزعامة أي الكفالة أو من الزعم بالقول وهو حكاية قول يكون مظنة للكذب وقيل للمتكفل والرئيس زعيم للاعتقاد في قولهم إنه مظنة للكذب.

﴿**أم لهم**﴾ آياايشا نراست ﴿**شركاء**﴾ يشاركونهم في هذا القول ويذهبون مذهبهم ﴿**فليأتوا بشركائهم**﴾ پس بكوبياريد شريكان خود.

فالباء للتعدية ويجوز أن تكون للمصاحبة ﴿إن كانوا صادقين﴾ في دعواهم إذ لا أقل من التقليد يعني أنه كما ليس لهم دليل عقلي في إثبات هذا المذهب وهو التسوية بين المحسن والمسيء كما قال ما لكم كيف تحكمون ولا دليل نقلي وهو كتاب يدرسونه ولا عهود موثقة بالأيمان فليس لهم من يوافقهم من العقلاء على هذا القول حتى يقلدونهم وإن كان التقليد لا يفلح من تشبث بذيله فثبت أن ما زعموا باطل من كل الوجوه وفيه إشارة إلى أن اللائق بالحاكم تحري الصواب بقدر الوسع فيما ليس بحاضر عنده وإن حكم بلا تحر فلا يخلو عن خطأ وإن أصاب مصل صلى في أرض لم يعلم القبلة فيها فإنه إن صلى بتحر فصلاته صحيحة وإن أخطأ القبلة وإن صلى فيها بغير تحر فغير صحيحة وإن أصابها وإذا كان الحكم بلا تحر خطأ فكيف الحكم بشيء والأدلة قائمة بخلافه.

﴿يوم يكشف عن ساق﴾ يوم منصوب باذكر المقدر وعن ساق قائم مقام الفاعل ليكشف والمراد يوم القيامة أي اذكر يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف الساق مثل في ذلك ولا كشف ولا ساق ثمة كما تقول للأقطع الشحيح يده مغلولة ولا يد ثمة ولا غل وإنما هو مثل في البخل بأن شبهت حال البخيل في عدم تيسر الإنفاق له بحال من غلت يده وكذا شبهت حال من اشتد عليه الأمر في الموقف بالمخدرات اللاتي اشتد عليهن الأمر فاحتجن إلى تشمير سوقهن في الهرب بسبب وقوع أمر هائل بالغ إلى نهاية الشدة مع أنهن لا يخرجن من بيوتهن ولا يبدين زينتهن لغير محارمهن لغاية خوفهن وزوال عقلهن من دهشتهن وفرارهن لخلاص أنفسهن فاستعمل في حق أهل الموقف من الأشقياء ما يستعمل في حقهن من غير تصرف في مفردات التركيب بل التصرف إنما هو في الهيئة التركيبية فكشف الساق استعارة تمثيلية في اشتداد الأمر وصعوبته.

قال المولى الفناري في «تفسير الفاتحة»: فالساق التي كشفت لهم عبارة عن أمر عظيم من أهوال يوم القيامة تقول العرب كشفت الحرب عن ساقها إذا عظم أمرها وتقول لمن وقع في أمر عظيم شديد يحتاج فيه إلى جهد ومقاساة شمر عن ساقك وكذلك التفت الساق بالساق أي دخلت الأهوال والأمور العظام بعضها في بعض يوم القيامة وقيل ساق الشيء أصله الذي به قوامه كساق الشجر وساق الإنسان فإن ساق الشجر مثلاً أصله والأغصان تنبت على ذلك الأصل وتقوم به فالمعنى حينئذٍ يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصير عياناً وتنكيره على الوجه الأول للتهويل لأن يوم القيامة يوم يقع فيه أمر فظيع هائل منكر خارج عن المألوف وعلى الثاني للتعظيم. ﴿ويدعون﴾ أي الكفار والمنافقون ﴿إلى السجود﴾ توبيخاً وتعنيفاً على تركهم إياه في الدنيا وتحسيراً لهم على تفريطهم في ذلك لا على سبيل التكليف والتعبد لأن يوم القيامة لا يكون فيه تعبد ولا تكليف وسيأتي غير هذا ﴿فلا يستطيعون﴾ لزوال القدرة الحقيقية عليه وسلامة الأسباب والآلات وفيه دلالة على أنهم يقصدون السجود فلا يتأتى منهم ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه تعقم أصلابهم أي ترد عظاماً بلا مفاصل لا تنثني عند الرفع والخفض فيبقون قياماً على حالهم حتى تزداد حسرتهم وندامتهم على تفريطهم وفي الحديث: «وتبقى أصلابهم طبعاً واحداً» أي فقارة واحدة.

ودر خبرست كه پشت كافر ومنافق چوق سرون كاويك مهره شود (كأن سفافيد الحديد في ظهورهم) عن أبي بردة عن أبي موسى رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إذا

كان يوم القيامة مثل لكل قوم ما كانوا يعبدونه في الدنيا فذهب كل قوم إلى ما كانوا يعبدون في الدنيا ويبقى أهل التوحيد فيقال لهم كيف بقيتم فيقولون ذهب الناس فيقولون إن لنا رباً كنا نعبده في الدنيا ولم نره فيقال تعرفونه إذا رأيتموه فيقولون نعم فيقال لهم كيف ولم تروه قالوا: لا يشبهه شيء فيكشف لهم الحجاب فينظرون إلى الله تعالى فيخرون له سجداً ويبقى أقوام ظهورهم مثل صياصي البقر فيريدون السجود ولا يستطيعون» كقوله تعالى: ﴿**يوم يكشف**﴾ الخ يقول الله يا عبادي ارفعوا رؤوسكم قد جعلت بدل كل رجل منكم رجلاً من اليهود والنصارى في النار، قال أبو بردة فحدثت بهذا الحديث عمر بن عبد العزيز رحمه الله، فقال: والله الذي لا إله إلا هو أحدثك أبوك بهذا الحديث فحلفت له بثلاث أيمان فقال عمر: ما سمعت من أهل التوحيد حديثاً هو أحب إلي من هذا الحديث وفي «تفسير الفاتحة» للفناري رحمه الله يتجلى الحق في ذلك اليوم فيقول لتتبع كل أمة ما كانت تعبد حتى تبقى هذه الأمة وفيها منافقوها فيتجلى لهم الحق في أدنى صورة من الصور التي كان يتجلى لهم فيها قبل ذلك فيقول أنا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك نحن منتظرون حتى يأتينا ربنا فيقول لهم جل وعلا هل بينكم وبينه علامة تعرفونه بها فيقولون نعم فيتحول لهم في الصورة التي عرفوه فيها بتلك العلامة فيقولون أنت ربنا فيأمرهم بالسجود فلا يبقى من كان يسجد لله إلا سجد ومن كان يسجد اتقاء ورياء جعل ظهره طبقة نحاس كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، وذلك قوله تعالى: ﴿**يوم يكشف**﴾ الخ. وقال أيضاً يكون على الأعراف من تساوت كفتا ميزانه فهم ينظرون إلى النار وينظرون إلى الجنة ومالهم رجحان بما يدخلهم إحدى الدارين فإذا دعوا إلى السجود وهو الذي يبقى يوم القيامة من التكليف يسجدون فيرجح ميزان حسناتهم فيدخلون الجنة انتهى.

وكفته اندكه دران روزنوري عظيم بناميد وخلق بسجده در افتند.

فيكون كشف الساق عبارة عن التجلي الإلهي كما ذهب إليه البعض وفي الحديث: «يوم يكشف عن ساق» قيل: عن نور عظيم يخرون له سجداً كما في «كشف الأسرار» وفيه أيضاً عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: يأخذ الله عز وجل للمظلوم من الظالم حتى لا يبقى مظلمة عند أحد حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء فإذا فرغ من ذلك نادى مناد ليسمع الخلائق كلهم ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله فلا يبقى أحد عبد شيئاً من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه ويجعل الله ملكاً من الملائكة على صورة عزير ويجعل ملكاً من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم فيتبع هذا اليهود ويتبع هذا النصارى ثم تلويهم آلهتهم إلى النار وهم الذين يقول الله: ﴿لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٩٩﴾﴾ [الأنبياء: ٩٩] وإذا لم يبق إلا المؤمنون وفيهم المنافقون قال الله لهم: ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره فينصرف الله عنهم فيمكث ما شاء أن يمكث ثم يأتيهم فيقول أيها الناس ذهب الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره فيكشف لهم عن ساق ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون به أنه ربهم فيخرون سجداً على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه وتجعل أصلابهم كصياصي البقر ثم يضرب الصراط بين ظهراني جهنم انتهى.

واعلم أن حديث التحول مجمع عليه وهو من آثار الصفات الإلهية كرؤيته في المنام في الصورة الإنسانية وإلا فالله تعالى بحسب ذاته منزه عن الصورة وما يتبعها ومن مشى على

المراتب لم يعثر ثم إن الآية دلت على جواز ورود الأمر بتكليف ما لا يطاق والقدرية لا يقولون بذلك ففيها حجة عليهم كما في «أسئلة المقحمة» لكن ينبغي أن يعلم أن المراد بما لا يطاق هو المحال العادي كنظر الأعمى إلى المصحف ولا نزاع في تجويز التكليف به وكذا المحال العارضي كإيمان أبي جهل فإنه صار محالاً بسبب عارض وهو إخبار الله تعالى بأنه لا يؤمن وقد أجاز الأشاعرة التكليف به ومنعه المعتزلة وأما المحال العقلي وهو الممتنع لذاته كإعدام القديم فلم يذهب إلى جواز التكليف به أحد.

﴿**خاشعة أبصارهم**﴾ حال من مرفوع يدعون على أن أبصارهم مرتفع به على الفاعلية ونسبة الخشوع إلى الأبصار لظهور أثره فيها وإلا فالأعضاء أيضاً خاشعة ذليلة متواضعة بل الخاشع في الحقيقة هو القلب لكونه مبدأ الخشوع.

وقال الكاشفي: يعني خداوندان أبصار سر درپيش افكنده وشر منده باشد.

قال أبو الليث: وذلك أن المسلمين إذا رفعوا رؤوسهم من السجود صارت بيضاء كالثلج فلما نظر إليهم اليهود والنصارى والمنافقون وهم الذين لم يقدروا على السجود حزنوا واغتموا واسودت وجوههم كما قال تعالى: ﴿**ترهقهم**﴾ تلحقهم وتغشاهم فإن الرهق غشيان الشيء الشيء ﴿**ذلة**﴾ شديدة تخزيهم كأنه تفسير لخشوع أبصارهم يقال ذل يذل ذلاً بالضم وذلة بالكسر وهو ذليل يعني خوار. ﴿**وقد كانوا**﴾ في الدنيا ﴿**يدعون**﴾ دعوة التكليف ﴿**إلى السجود**﴾ أي إليه والإظهار في الموضع الإضمار لزيادة التقرير أو لأن المراد به الصلاة أو ما فيها من السجود وخص السجود بالذكر من حيث أنه أعظم الطاعات قال بعضهم: يدعون بدعوة الله صريحاً مثل قوله تعالى: ﴿فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ﴿٦٢﴾﴾ [النجم: ٦٢] أو ضمناً مثل قوله تعالى: ﴿أَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [المجادلة: ١٣] فإن الدعوة إلى الصلاة دعوة إلى السجدة وبدعوة رسول الله عليه السلام صريحاً كقوله عليه السلام، «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء» قالوا أي السجود أو ضمناً كقوله عليه السلام صلوا خمسكم وصوموا شهركم وأدوا زكاة أموالكم وأطيعوا إذا أمركم تدخلوا جنة ربكم وبدعوة علماء كل عصر ومن أعظم الدعوة إلى السجود أذان المؤذنين وإقامتهم فإن قولهم حي على الصلاة دعوة بلا مرية فطوبى لمن أجاب دعوتهم بطوع لا بإكراه امتثالاً لقوله تعالى: ﴿أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ﴾ [الأحقاف: ٣١] والجملة حال من ضمير يدعون ﴿**وهم سالمون**﴾ حال من مرفوع يدعون الثاني أي أصحاء في الدنيا سلمت أعضاؤهم ومفاصلهم من الآفات والعلل متمكنون من أداء السجدة وقبول الدعوة أقوى تمكن أي فلا يجيبون إليه ويأبونه وإنما ترك ذكره ثقة بظهوره وبالفارسية وايشان تندرست بودند وقادر بران چون فرصت فوت كردند درين روز جز حسرت وندامت بهره ندارند.

مد فرصت از دست كر بايدت ... كه كوى سعادت زميدان برى

كه فرصت عزيزست چون فوت شد ... بسى دست حسرت بدندان برى

وفي الآية وعيد لمن ترك الصلاة المفروضة أو تخلف عن الجماعة المشروعة قال رجل لرسول الله ﷺ: «ادع الله أن يرزقني مرافقتك في الجنة»، فقال: «أعني بكثرة السجود» وكان السلف يعزون أنفسهم ثلاثة أيام إذا فاتهم التكبير الأول وسبعة إذا فاتهم الجماعة قال أبو سليمان الداراني قدس سره: أقمت عشرين سنة ولم أحتلم فدخلت مكة فأحدثت بها حدثاً فما أصبحت إلا احتلمت وكان الحدث أن فاتته صلاة العشاء بجماعة.

وقال الشيخ أبو طالب المكي قد سره: في «قوت القلوب»: ولا بد من صلاة الجماعة سيما إذا سمع التأذين أو كان في جوار المسجد وحد الجوار أن يكون بينه وبين المسجد مائة دار وأولى المساجد التي يصلي فيها أقربها إليه إلا أن يكون له نية في الأبعد لكثرة الخطى أو لفضل إمام فيه فالصلاة خلف العالم الفاضل أفضل أو يريد أي يعمر بيتاً من بيوت الله بالصلاة فيه وإن بعد وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: من صلى الخمس في جماعة فقد ملأ البر والبحر عبادة، قال أبو الدرداء رضي الله عنه حالفاً بالله تعالى من أحب الأعمال إلى الله ثلاثة أمر بصدقة وخطوة إلى صلاة جماعة وإصلاح بين الناس وفي الآية إشارة إلى أنه يرفع الحجاب ويبقى المحجوبون في حجاب أنانيتهم ويشتد عليهم الأمر ويدعون إلى الفناء في الله فلا يستطيعون لإفساد استعدادهم الفطري بالركون إلى الدنيا وشهواتها ذليلة أبصارهم متحيرة لذهاب قوتها النورية تلحقهم ذلة الحجاب وهوان الاحتجاب وقد كانوا في زمان استعدادهم يدعون إلى سجود الفناء بترك اللذات والشهوات وهم نائمون في نوم الغفلة لا يرفعون له رأساً لفساد استعداد مزاجهم بالعلل النفسانية والأمراض الهيولانية.

﴿فذرني ومن يكذب بهذا الحديث﴾ من منصوب للعطف على ضمير المتكلم أو على أنه مفعول معه وهو مرجوح لإمكان العطف من غير ضعف أي وإذا كان حالهم في الآخرة كذلك فدعني ومن يكذب بالقرآن وخل بيني وبينه ولا تشغل قلبك بشأنه وتوكل علي في الانتقام منه فإني عالم بما يستحقه من العذاب ويطيق له وكافيك أمره يقال ذرني وإياه يريدون كله إلي فإني أكفيك قال في «فتح الرحمن»: وعيد ولم يكن ثمة مانع ولكنه كما تقول دعني مع فلان أي سأعاقبه والحديث القرآن لأن كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه يقال له حديث. ﴿سنستدرجهم﴾ يقال استدرجه إلى كذا إذا استنزله إليه درجة درجة حتى يورطه فيه وفي «تاج المصادر» الاستدراج اندك اندك نزديك دانيدن خداي بنده را بخشم وعقوبت خود.

والمعنى سنستنزلهم إلى العذاب درجة فدرجة بالإحسان وإدامة الصحة وازدياد النعمة حتى نوقعهم فيه فاستدراج الشخص إلى العذاب عبارة عن هذا الاستنزال والاستدناء. ﴿من حيث لا يعلمون﴾ أي من الجهة التي لا يشعرون أنه استدراج وهو الإنعام عليهم لأنهم يحسبونه إيثاراً لهم وتفضيلاً عل المؤمنين وهو سبب لهلاكهم وفي الحديث: «إذا رأيت الله ينعم على عبد وهو مقيم على معصيته فاعلم أنه مستدرج» وتلا هذه الآية وقال أمير المؤمنين رضي الله عنه من وسع عليه دنياه فلم يعلم أنه قد مكر به فهو مخدوع عن عقله.

وروي: أن رجلاً من بني إسرائيل قال: يا رب كم أعصيك ولم أنت لا تعاقبني فأوحى الله إلى نبي زمانه أن قل له كم من عقوبة لي عليك وأنت لا تشعر كونها عقوبة إن جمود عينك وقساوة قلبك استدراج مني وعقوبة لو عقلت قال بعض المكاشفين من المكر الإلهي بالعبد أن يرزق العلم ويحرم العمل به أو يرزق العمل ويحرم الإخلاص فيه فمن علم اتصافه بهذا من نفسه فليعلم أنه ممكور به وأخفى ما يكون المكر الإلهي في المتأولين من أهل الاجتهاد وغيرهم ومن يعتقد أن كل مجتهد مصيب يدعو الناس على بصيرة وعلم قطعي وكذلك مكر الله بالخاصة خفي مستور في إبقاء الحال عليهم وتأييدهم بالكرامات مع سوء الأدب الواقع منهم فتراهم يتلذذون بأحوالهم ويهجمون على الله في مقام الإدلال وما عرفوا ما ادخر لهم من

المؤاخذات نسأل الله العافية وقال بعض العارفين: مكر الله في نعمه أخفى منه في بلائه فالعاقل من لا يأمن مكر الله في شيء وأدنى مكر بصاحب النعمة الظاهرة أو الباطنة أنه يخطر في نفسه أنه مستحق لتلك النعمة وأنها من أجل إكرامه خلقت ويقول إن الله ليس بمحتاج إليها فهي لي بحكم الاستحقاق وهذا يقع فيه كثيراً من لا تحقيق عنده من العارفين لأن الله إنما خلق الأشياء بالأصالة لتسبح بحمده وأما انتفاع عباده بها فبحكم التبعية لا بالأول وقال بعض المحققين: كل علم ضروري وجده العبد في نفسه من غير تعمل فكر فيه ولا تدبر، فهو عطاء من الله لوليه الخاص بلا واسطة ولكن لا يعرف أن ذلك من الله إلا الكمل من الرجال ويحتاج صاحب مقام الفتوح إلى ميزان دقيق لأنه قد يكون في الفتوح مكر خفي واستدراج ولذلك ذكره تعالى في القراء على نوعين بركات وعذاب حتى لا يفرح العاقل بالفتح قال تعالى: «﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ [الأعراف: ٩٦] بركات من السماء وقال تعالى: ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِم﴾ [المؤمنون: ٧٧] باباً ذا عذاب شديد وتأمل قول قوم عاد هذا عارض ممطرنا لما حجبتهم العادة فقيل لهم ﴿بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الأحقاف: ٢٤].

واعلم أن كل فتح أعطاك أدباً وترقياً فليس هو بمكر بل عناية من الله لك وكل فتح أعطى العبد أحوالاً وكشفاً وإقبالاً من الحق فليحذر منه فإنه نتيجة عجلت في غير موطنها فينقلب صاحبها إلى الدار الآخرة صفر اليدين نسأل الله اللطف.

قال أبو الحسين رضي الله عنه: المستدرج سكران والسكران لا يصل إليه ألم فجع المعصية إلا بعد إفاقته فإذا أفاقوا من سكرتهم خلص ذلك إلى قلوبهم فانزعجوا ولم يطمئنوا والاستدراج هو السكون إلى اللذات والتنعم بالنعمة ونسيان ما تحت النعم من المحن والاغترار بحلم الله تعالى وقال أبو سعيد الخراز قدس سره الاستدراج فقدان اليقين فالمستدرج من فقد فوائد باطنه واشتغل بظاهره واستكثر من نفسه حركاته وسعيه لغيبوبته عن المنة وقال بعضهم: بالاستدراج تعرف العقوبة ويخاف المقت وبالانتباه تعرف النعمة ويرجى القرب ﴿وأملي لهم﴾ الإملاء مهلت دادن.

أي: وأمهلهم بإطالة العمر وتأخير الأجل ليزدادوا إثماً وهم يزعمون أن ذلك لإرادة الخير بهم ﴿إن كيدي﴾ أي أخذي بالعذاب ﴿متين﴾ قوي شديد لا يطاق ولا يدفع بشيء وبالفارسية وبدرستى كه عقوبت من محكم است بهر چيزى دفع نشود وكرفتن من سخت است كس را طاقت آن نباشد.

وفي «الكشاف» سمى إحسانه وتمكينه كيداً كما سماه استدراجاً لكونه في صورة الكيد حيث كان سبباً للتورط في الهلكة ووصفه بالمتانة لقوة أثر إحسانه في التسبب للهلاك قال بعضهم: الكيد إظهار النفع وإبطان الضر للمكيد وفي «المفردات» الكيد ضرب من الاحتيال وقد يكون محموداً ومذموماً وإن كان يستعمل في المذموم أكثر وكذلك الاستدراج والمكر ولكون بعض ذلك محموداً قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ كِدْنَا لِيُوسُفَ﴾ [يوسف: ٧٦] قال بعضهم: أراد بالكيد العذاب والصحيح أنه الإمهال المؤدي إلى العذاب انتهى. وفي «التعريفات» الكيد إرادة مضرة الغير خفية وهو من الخلق الحيلة السيئة ومن الله التدبير بالحق لمجازاة أعمال الخلق.

﴿أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن

﴿كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَارَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿أم تسألهم﴾ آيا مبطلي از ايشان بر ابلاغ وارشاد ودعوت ايمان وطاعت.

وهو معطوف على قوله أم لهم شركاء ﴿أجراً﴾ دنيوياً ﴿فهم﴾ لأجل ذلك ﴿من مغرم﴾ أي من غرامة مالية وهي ما ينوب الإنسان في ماله من ضرر لغير جناية منه ﴿مثقلون﴾ مكلفون حملاً ثقيلاً فيعرضون عنك أي لا تسأل منهم ذلك فليس لهم عذر في إعراضهم وفرارهم.

﴿أم عندهم الغيب﴾ أي اللوح أو المغيبات ﴿فهم يكتبون﴾ منه ما يحكمون من التسوية بين المؤمن والكافر ويستغنون به عن علمك. ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ وهو إمهالهم وتأخير نصرتك عليهم ﴿ولا تكن﴾ في التضجر والعجلة بعقوبة قومك وبالفارسية مباش در دلتنكى وشتاب زدكى.

﴿كصاحب الحوت﴾ أي يونس عليه السلام، يعني يونس كه صبر نكرد براذيت قوم وبي فرماني الهي ازميان قوم برفت تابشكم ما هي محبوس كشت ﴿إذ نادى﴾ داعياً إلى الله في بطن الحوت بقوله ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧] ﴿وهو مكظوم﴾ مملوء غيظاً وغماً يقال كظم السقاء إذا ملأه وشد رأسه وبالقيد الثاني قال تعالى: ﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ﴾ [آل عمران: ١٣٤] بمعنى الممسكين عليه وعليه قول النبي ﷺ من كظم غيظاً وهو يقدر على إنفاذه ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً والجملة حال من ضمير نادى وعليها يدور النهي لأنها عبارة عن الضجرة والمغاضبة المذكورة صريحاً في قوله وذا النون إذ ذهب مغاضباً لا على النداء فإنه أمر مستحسن ولذلك لم يذكر المنادى وإذ منصوب بمضاف محذوف أي لا يكن حالك كحاله وقت ندائه أي لا يوجد منك ما وجد منه من الضجرة والمغاضبة فتبتلى ببلائه وهو التقام الحوت أو بنحو ذلك قال بعضهم: فاصبر لحكم ربك بسعادة من سعد وشقاوة من شقي ونجاة من نجا وهلاك من هلك ولا تكن كصاحب الحوت في استيلاء صفات النفس عليه وغلبة الطيش والغضب للاحتجاب عن حكم الرب حتى رد عن جناب القدس إلى مقر الطبع فالتقمه حوت الطبيعة السفلية في مقام النفس وابتلي بالاجتنان في بطن حوت الرحم.

﴿لولا أن تداركه﴾ ناله وبلغه ووصل إليه وبالفارسية اكرنه آنست كه دريافت اورا ﴿نعمة﴾ رحمة كائنة ﴿من ربه﴾ وهو توفيقه للتوبة وقبولها منه وحسن تذكير الفعل للفصل بالضمير وأن مع الفعل في تأويل المصدر مبتدأ خبره مقدر بمعنى ولولا تدارك نعمة من ربه إياه حاصل. ﴿لنبذ﴾ أي طرح من بطن الحوت فإن النبذ إلقاء الشيء وطرحه لقلة الاعتداد به ﴿بالعراء﴾ أي: بالأرض الخالية من الأشجار قال الراغب: العراء مكان لا سترة به ﴿وهو مذموم﴾ مليم مطرود من الرحمة والكرامة لكنه رحم فنبذ غير مذموم بل سقيماً من جهة الجسد ومليم من ألام الرجل بمعنى أتى ما يلام عليه ودخل في اللوم فإن قلت فسر المذموم بالمليم وقد أثبته الله تعالى بقوله فالتقمه الحوت وهو مليم أجيب على ذلك التفسير بأن الإلامة حين الالتقام لا تستلزم الإلامة حين النبذ ذا التدارك نفاها فالتفت على ما هو حكم لولا الامتناعية كما أشير إليه في تصوير المعنى آنفاً وهو حال من مرفوع نبذ عليها يعتمد جواب لولا لأنها هي المنفية لا النبذ بالعراء كما في الحال الأولى لأنه نبذ غير مذموم بل محمود.

﴿**فاجتباه ربه**﴾ عطف على مقدر أي فتداركته نعمة ورحمة من ربه فجمعه إليه وقربه بالتوبة عليه يأن در إليه الوحي وأرسله إلى مائة ألف أو يزيدون يقال جبيت الماء في الحوض جمعته والحوض الجامع له جابية والاجتباء الجمع على طريق الاصطفاء وقيل اشتباه إن صح أنه لم يكن نبياً قبل هذه الواقعة ومن أنكر الكرامات والإرهاص لا بد أن يختار القول الأول لأن احتباسه في بطن الحوت وعدم موته هناك لما لم يكن إرهاصاً ولا كرامة لا بد أن يكون معجزة وذلك يقتضي أن يكون رسولاً قبل هذه الواقعة. ﴿**فجعله من الصالحين**﴾ من الكاملين في الصلاح بأن عصمه من أن يفعل فعلاً يكون تركه أولى روي أنها نزلت بأحد حين هم رسول الله عليه السلام أن يدعو على المنهزمين فتكون الآية مدنية وقيل حين أراد أن يدعو على ثقيف.

حق تعالى فرمودكه صبركن وآن دعا در توقف داركه كارها بصبر نيكوشود.

كارها از صبر كردد دلپسند خرم آن كز صبر باشد بهره مند

چون دارافتادى بكر داب حرج صبركن والصبر مفتاح الفرج

دلت الآيات على فضيلة الصبر وعلى أن ترك الأولى يصدر من الأنبياء عليهم السلام وإلا لما كان يونس عليه السلام مليماً وعلى أن الندم على ما فرط من العبد والتضرع إلى الله لذلك من وسائل الإكرام وعلى أن توفيق الله نعمة باطنة منه وعلى أن الصلاح درجة عالية لا ينالها إلا أهل الاجتباء وعلى أن فعل العبد مخلوق لله لدلالة قوله ﴿**فجعله من الصالحين**﴾ على أن الصلاح إنما يكون بجعل الله وخلقه وإن كان للعبد مدخل فيه بسبب الكسب بصرف إرادته الجزئية والمعتزلة يأولونه تارة بالإخبار بصلاحه وتارة باللطف له حتى صلح لكنه مجاز والأصل هو الحقيقة.

﴿وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾﴾

﴿**وإن**﴾ مخففة واللام دليلها ﴿**يكاد الذين كفروا ليزلقونك بأبصارهم**﴾ يقال أزلقه أزل رجله يعني بلغزانيد ﴿**لما سمعوا الذكر**﴾ لما ظرفية منصوبة بيزلقونك والمعنى أنهم من شدة عداواتهم لك ينظرون إليك شزراً أي نظر الغضبان بمؤخر العين بحيث يكادون يزلون قدمك فيرمونك وقت سماعهم القرآن وذلك لاشتداد بغضهم وحسدهم عند سماعه من قولهم نظر إلي نظراً يكاد يصرعني أي لو أمكنه بنظره الصرع لفعله أو أنهم يكادون يصيبونك بالعين قال في «كشف الأسرار»: الجمهور على هذا القول روي أنه كان في بني أسد عيانون والعيان والمعيان والعيون شديد الإصابة بالعين وكان الواحد منهم إذا أراد أن يعين شيئاً يتجوع له ثلاثة أيام ثم يتعرض له فيقول تالله ما رأيت أحسن من هذا فيتساقط ذلك الشيء وكان الرجل منهم ينظر إلى الناقة السمينة أو البقرة السمينة ثم يعينها ثم يقول للجارية خذي المكتل والدرهم فائتينا بلحم من لحم هذه فما تبرح حتى تقع فتنحر والحاصل أنه لا يمر به شيء فيقول فيه لم أر كاليوم مثله الإعانة وكان سبباً لهلاكه وفساده فسأل الكفار من قريش من بعض من كانت له هذه الصفة أن يقول في رسول الله ﷺ ما رأيت مثله ولا مثل حججه.

تاپر توجمال آن حضرت بآسيب عين الكمال از ساحت عالم محو سازد.

فقال فعصمه الله تعالى: وقال الكاشفي: حق تعالى براي عصمت وي از چشم بداين آيت را فرستاد.

قال الحسن البصري قدس سره دواء الإصابة بالعين أن تقرأ هذه الآية، كما قال الحافظ:

حضور مجلس أنس است دوستان جمعند وإن يكاد بخوانيد ودر فراز كنيد

وفي «الأسرار المحمدية»: قد قيل إن في هذه الآية خاصية لدفع العين تعليقاً وغسلاً وشرباً انتهى. وفي الحديث: «العين حق» أي أثرها في المعين واقع قالوا إن الشيء لا يعان إلا بعد كماله وكل كامل فإنه يعقبه النقص بقضاء ولما كان ظهور القضاء بعد العين أضيف ذلك إليها ولما خاف يعقوب عليه السلام، على أولاده من العين لأنهم كانوا أعطوا جمالاً وقوة امتداد قامة وكانوا ولد رجل واحد قال: يا بني لا تدخلوا من باب واحد وادخلوا من أبواب متفرقة فأمرهم أن يتفرقوا في دخولها لئلا يصابوا بالعين وكان رسول الله ﷺ يعوذ الحسن والحسين فيقول: «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة» ويقول هكذا كان يعوذ إبراهيم إسماعيل وإسحاق عليهم السلام، وعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، قال: دخلت على رسول الله عليه السلام في أول النهار فرأيته شديد الوجع ثم عدت إليه آخر النهار فوجدته معافى فقال: «إن جبريل أتاني فرقاني فقال بسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك ومن كل عين وحاسد الله يشفيك قال عليه السلام فأفقت» والرقية بالفارسية افسون كردن.

يقال رقاه الراقي رقياً، ورقية إذا عوذه ونفث في عوذته قالوا: وإنما تكره الرقية إذا كانت بغير لسان العرب ولا يدري ما هو ولعله يدخله سحر أو كفر وأما ما كان من القرآن أو شيء من الدعوات فلا بأس به كما في «المغرب» للمطرزي ولا تختص العين بالإنس بل تكون في الجن أيضاً وقيل: عيونهم أنفذ من أسنة الرماح وعن أم سلمة رضي الله عنها أن النبي عليه السلام رأى في بيتها جارية تشتكي وفي وجهها صفرة فقال استرقوا لها فإن بها النظرة وأراد بها العين أصابتها من الجن كما في «شرح المصابيح» وفي الحديث: «لو كان شيء يسبق القدر لسبقته العين» أي لو كان شيء مهلكاً أو مضراً بغير قضاء الله وقدره لكان العين أي إصابتها لشدة ضررها وعنه عليه السلام، إن العين لتدخل الرجل القبر والجمل القدر ومما يدفع العين ما روي أن عثمان رضي الله عنه رأى صبياً مليحاً فقال دسموا نونته لئلا تصيبه العين أي سودوا نقرة ذقنه قالوا ومن هذا القبيل نصب عظام الرؤوس في المزارع والكروم ووجهه أن النظر الشؤم يقع عليها أولاً فتنكسر سورته فلا يظهر أثره ومن الشفاء من العين أن يقال على ماء في إناء نظيف ويسقيه منه ويغسله عنس عابس بشهاد قابس رددت العين من المعين عليه وإلى أحب الناس إليه فارجع البصر هل ترى من فطور والفاتحة وآية الكرسي وست آيات الشفاء وهي ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤] ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [يونس: ٥٧] ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢] ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠] ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾ [فصلت: ٤٤].

ومن الشفاء أن يؤمر العائن فيغتسل أو يتوضأ بماء ثم يغتسل به المعين قيل وجه إصابة العين أن الناظر إذا نظر إلى شيء واستحسنه ولم يرجع إلى الله وإلى رؤية صنعه قد يحدث الله في المنظور علة بجناية نظره على غفلة ابتلاء لعباده ليقول المحق إنه من الله وغيره من غيره

فيؤاخذ الناظر لكونه سببها ووجهها بعض بأن العائن قد ينبعث من عينه قوة سمية تتصل بالمعين فيهلك أو يفسد كما قيل مثل ذلك في بعض الحيات.

قال في «الأسرار المحمدية»: ذوات السموم تؤثر بكيفياتها الخبيثة الكامنة فيها بالقوة فمتى قابلت عدوها انبعثت منها قوة غضبية وتكيفت نفسها بكيفية خبيثة مؤذية ومنها ما تشتد كيفيتها وتقوى حتى تؤثر في إسقاط الجنين، ومنها ما يؤثر في طمس البصر، ومنها ما يؤثر في الإنسان كيفيتها بمجرد الرؤية من غير اتصال به لشدة خبث تلك النفس وكيفيتها الخبيثة المؤثرة والتأثير غير موقوف على الاتصالات الجسمية، بل بعضه بالمقابلة والرؤية كما اشتهر عن نوع من الأفاعي أنها إذا وقع بصرها على الإنسان هلك فهو من هذا الجنس ولا يستبعد أن تنبعث من عين بعض الناس جواهر لطيفة غير مرئية فتتصل بالمعين وتتخلل مسام جسمه أي ثقبه كالفم والمنخر والأذن فيتضرر به وإذا كانت النفوس مختلفة في جواهرها وماهياتها لم يمتنع أيضاً اختلافها في لوازمها وآثارها فلا يستبعد أن يكون لبعض النفوس خاصية التأثير المذكور وبه يحصل الجواب عمن أنكر إصابة العين وقال إنها لا حقيقة لها لأن تأثير الجسم في الجسم لا يعقل إلا بواسطة المماسة ولا مماسة ههنا فامتنع حصول التأثير انتهى وعقلاء الأمم على اختلاف مللهم ونحلهم لا تدفع أمر العين ولا تنكره وبعض النفوس لا تحتاج إلى المقابلة بل بتوجه الروح ونحوه يحصل الضرر فربما يوصف الشيء للأعمى فتؤثر نفسه فيه بالوصف من غير مقابلة ورؤية وإذا قتلت ذوات السموم بعد لسعها خَفَّ أثر لسعها لأن الجسد تكيف بكيفية الاسم وصار قابلاً للانحراف فما دامت حية فإن نفسها تمده بامتزاج الهواء بنفسها وانتشاق الملسوع به.

قال الجاحظ: علماء الفرس والهند وأطباء اليونانيين ودهاة العرب وأهل التجربة من المعتزلة وحذاق المتكلمين كانوا يكرهون الأكل بين يدي السباع يخافون عيونها لما فيها من النهم والشره لما ينحل عند ذلك من أجوافها من البخار الرديء وينفصل من عيونها ما إذا خالط الإنسان نقصه وأفسده وكانوا يكرهون قيام الخدم بالمذاب والأشربة على رؤوسهم مخافة العين وكانوا يأمرون أتباعهم قبل أن يأكلوا أن يطردوا الكلب والسنور أو يشغلوه بما يطرح له ومن هذا يعرف بعض أسرار قوله عليه السلام: «من أكل وذو عينين ينظر إليه ولم يواسه ابتلا بداء لا دواء له» وفائدة الرقى الروح إذا تكيفت به وقويت واستعانت بالنفث والتفل قابلت ذلك الأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة والخواص الفاسدة فأزالته والحاصل أن الرقية بما ليس بشرك مشروعة لكن التحرز من العين لازم وإنه واجب على كل مسلم أعجبه شيء أن يبرك ويقول تبارك الله أحسن الخالقين اللهم بارك فيه فإنه إذا دعا بالبركة صرف المحذور لا محالة ومن عرف بإصابة العين منع من مداخلة الناس دفعاً لضرره قال بعض العلماء: يأمره الإمام بلزوم بيته وإن كان فقيراً رزقه ما يقوم به معاشه ويكف أذاه عن الناس وقيل ينفي والاحتياط الأمر بلزوم بيته دون الحبس والنفي وبهذا التقرير يعرف حال المجذومين ولذا اتخذوا لهم في بعض البلاد مكاناً مخصوصاً بحيث لا يخالطون الناس ولا يشاركونهم في محلاتهم وذكر الجاحظ أن أعجب ما في الدنيا ثلاثة البوم لا تظهر بالنهار خوفاً أن تصيبها العين لحسنها قال في «حياة الحيوان» ولما تصور في نفسه أنه أحسن الحيوان لم يظهر إلا بالليل.

والثاني: الكركي لا يطأ الأرض بقدمية بل بإحداهما فإذا وطئها لم يعتمد عليها خوفاً أن

تخسف الأرض والثالث الطائر الذي يقعد على سواقي الماء من الأنهار يعرف بمالك الحزين شبيه الكركي لا يشبع من الماء خشية أن يفنى فيموت عطشاً ففي الأول إشارة إلى ذم العجب وفي الثاني إلى مدح الخوف وفي الثالث إلى قدح الحرص فليعتبر العاقل من غير العاقل والسعيد من وعظ بغيره وأخذ الإشارة من كل شي نسأل الله البصيرة التامة بمنه. ﴿ويقولون﴾ لغاية حيرتهم في أمره عليه السلام ونهاية جهلهم بما في القرآن من بدائع العلوم ولتنفير الناس عنه وإلا فقد علموا أنه أعقلهم ﴿إنه﴾ عليه السلام ﴿لمجنون﴾ الظاهر أنه مثل قولهم ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ﴾ [الحجر: ٦].

وقال الكاشفي: بدرستى كه اين مرد ديو كرفته يعني بااوجنى است كه اورا تعليم ميدهند.

كما قال الوليد بن المغيرة: معلم مجنون يعني يأتيه رئيّ من الجن فيعلمه وحيث كان مدار حكمهم الباطل ما سمعوا منه عليه السلام، رد ذلك ببيان علو شأنه وسطوع برهانه فقيل ﴿وما هو إلا ذكر للعالمين﴾ على أنه حال من فاعل يقولون مفيدة لغاية بطلان قولهم وتعجيب للسامعين من جراءتهم على التفوه بتلك العظيمة أي يقولون ذلك والحال أن القرآن ذكر للعالمين من الجن والإنس أي تذكير وبيان لجميع ما يحتاجون إليه من أمور دينهم فأين من أنزل عليه ذلك وهو مطلع على أسراره طراً ومحيط بجميع حقائقه خبراً مما قالوا في حقه من الجنون أي إنه من أول الأمور على كمال عقله وعلو شأنه فمن نسب إليه القصور فإنما هو من جهله وجنته فإن الفضل لا يعرفه إلا ذووه.

إذا لم يكن للمرء عين صحيحة فلا غرو أن يرتاب والصحيح مسفر

وقيل: معناه شرف وفضل لقوله تعالى: ﴿وإنه لذكر﴾ لك ولقومك وفيه إشارة إلى الإلهام فإنه ذكر لصاحبه ولمن اعتقده واقتدى به إذا الآثار باقية إلى يوم القيامة وقيل الضمير لرسول الله ﷺ وكونه ذكراً وشرفاً للعالمين لا ريب فيه:

أي شرف جملهٔ عالم بتو روشنى ديدهٔ عالم بتو

وفيه إشارة إلى سادات أمته وأركان دينه.

تمت سورة نون بعونه خالق القلم وما يسطرون في الخامس والعشرين
يوم الاثنين من شعبان من سنة ست عشرة بعد المائة

٦٩ ـ سورة الحاقة

وآيها إحدى وخمسون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾﴾.

﴿الحاقة﴾ هي من أسماء القيامة من حق يحق بالكسر إذا وجب وثبت لأنها يحق أي يجب مجيئها ويثبت وقوعها كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا﴾ [غافر: ٥٩] فالإسناد حقيقي وقال الراغب في «المفردات»: لأنها يحق فيها الجزاء فالإسناد مجازي كنهاره صائم ونحو **﴿ما الحاقة﴾** الأصل ما هي أي أي شيء هي في حالها وصفتها فإن ما قد يطلب بها الصفة والحال فوضع الظاهر موضع المضمر تأكيداً لهولها كما يقال زيد ما زيد على التعظيم لشأنه فقوله الحاقة مبتدأ ما مبتدأ ثان وما بعده خبره والجملة خبر للمبتدأ الأول والرابط تكرير المبتدأ بلفظه هذا ما ذكروه في إعراب هذه الجملة ونظائرها ومقتضى التحقيق أن تكون ما الاستفهامية خبراً لما بعدها فإن مناط الفائدة بيان أن الحاقة أمر بديع وخطب فظيع كما يفيده كون ما خبراً لا بيان أن أمراً بديعاً الحاقة كما يفيده كونها مبتدأ وكون الحاقة خبراً كذا في «الإرشاد» **﴿وما أدراك﴾** من الدراية بمعنى العلم يقال دراه ودرى به أي علم به من باب رمى وأدراه به أعلمه قال في «تاج المصادر» الدراية والدرية والدرى دانستن ويعدى بالباء وبنفسه قال سيبويه وبالباء أكثر قوله ما مبتدأ وأدراك خبره ولا مساغ ههنا للعكس والمعنى وأي شيء أعلمك يا محمد وبالفارسية وچه چيز دانا كردانيدترا **﴿ما الحاقة﴾** جملة من مبتدأ وخبر في موضع المفعول الثاني لإدراك والجملة الكبيرة تأكيد لهول الساعة وفظاعتها ببيان خروجها عن دائرة علم المخلوقات على معنى إن أعظم شأنها ومدى هولها وشدتها بحيث لا يكاد تبلغه دراية أحد ولا وهمه وكيفما قدرت حالها فهي أعظم من ذلك وأعظم فلا يتسنى الإعلام قال بعضهم إن النبي عليه السلام وإن كان عالماً بوقوعها ولكن لم يكن عالماً بكمال كيفيتها ويحتمل أن يقال له عليه السلام إسماعاً لغيره وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالحاقة إلى التجلي الأحدي الإطلاقي في مرآة الواحدية المفني للكل كما قال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] بقهر سطوات أنوار الأحدية جميع ظلمات التعينات الساترة إطلاق الذات المطلقة وسمي بالحاقة لثبوته في ذاته وتحققه في نفسه.

﴿كذبت ثمود﴾ قوم صالح من الثمد وهو الماء القليل الذي لا مادة له. **﴿وعاد﴾** قوم هود وهي قبيلة أيضاً وتمنع كما في «القاموس» **﴿بالقارعة﴾** من جملة أسماء الساعة أيضاً لأنها تقرع الناس أي تضرب بفنون الأفزاع والأهوال أي تصيبهم بها كأنها تقرعهم بها والسماء

بالانشقاق والانفطار والأرض والجبال بالدك والنسف والنجوم بالطمس والانكدار ووضعت موضع ضمير الحاقة للدلالة على معنى القرع فيها زيادة في وصف شدتها فإن في القارعة ما ليس في الحاقة من الوصف يقال أصابتهم قوارع الدهر أي أهواله وشدائده قيل: منها قوارع القرآن للآيات التي تقرأ حين الفزع من الجن والإنس لقرع قلوب المؤذين بذكر جلال الله والاستمداد من رحمته وحمايته مثل آية الكرسي ونحوها وفي الآية تخويف لأهل مكة من عاقبة تكذيبهم بالبعث والحشر.

﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ۝٥ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ۝٦﴾

﴿فأما ثمود﴾ وكانوا عرباً منازلهم بالحجر بين الشام والحجاز يراها حجاج الشام ذهاباً وإياباً. **﴿فأهلكوا﴾** أي أهلكهم الله لتكذيبهم فأخبر عن الفعل لأنه المراد دون الفاعل لأنه معلوم **﴿بالطاغية﴾** أي بالصيحة التي جاوزت عن حد سائر الصيحات في الشدة فرجفت منها الأرض والقلوب وتزلزلت فاندفع ما يرى من التعارض بين قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ﴾ [الأعراف: ٧٨] وبين قوله تعالى: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ﴾ [الحجر: ٧٣] والقصة واحدة وفي الآية إشارة إلى أهل العلم الظاهر المحجوبين عن العلوم الحقيقية فإنهم أهل العلم القليل كما أن ثمود أهل الماء القليل فلما كذبوا فناء أهل العلم الباطن من طريق السلوك أهلكهم الله بصاعقة نار البعد والاحتجاب فليس لهم صلاح في الباطن وإن كان لهم صلاح في الظاهر وذلك لأنهم لم يتبعوا صالحاً من الصلحاء الحقيقين فبقوا في فساد النفس.

﴿وأما عاد﴾ وكانت منازلهم بالأحقاف وهي الرمل بين عمان إلى حضرموت واليمن وكانوا عرباً أيضاً ذوي بسطة في الخلق وكان أطولهم مائة ذراع وأقصرهم ستين وأوسطهم ما بين ذلك وكان رأس الرجل منهم كالقبة يفرخ في عينيه ومنخره السباع وتأخيره عن ثمود مع تقدمهم زماناً من قبيل الترقي من الضال الشديد إلى الأضل الأشد **﴿فأهلكوا بريح﴾** هي الدبور لقوله عليه السلام: نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور **﴿صرصر﴾** أي شديدة الصوت لها صرصرة في هبوبها وهي بالفارسية بانك كردن بازو چرغ وآنچه بدان ماند.

أو شديدة البرد تحرق ببردها النبات والحرث فإن الصر بالكسر شدة البرد. **﴿عاتية﴾** مجاوزة للحد في شدة العصيان كأنها عتت على خزانها فلم يتمكنوا من ضبطها والرياح مسخرة لميكائيل تهب بإذنه وتنقطع بإذنه وله أعوان كأعوان ملك الموت (روي) أنه ما يخرج من الريح شيء إلا بقدر معلوم ولما اشتد غضب الله على قوم عاد أصابتهم ريح خارجة عن ضبط الخزان ولذلك سميت عاتية أو المعنى عاتية على عاد فلم يقدر وأعلى ردها بحيلة من استتار ببناء أو لياذ بجبل أو اختفاء في حفرة فإنها كانت تنزعهم من مكامنهم وتهلكهم.

﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ۝٧ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ۝٨﴾.

﴿سخرها عليهم﴾ التسخير سوق الشيء إلى الغرض المختص به قهراً والمسخر هو المقيض للفعل والمعنى سلط الله تلك الريح الموصوفة على قوم عاد بقدرته القاهرة كما شاء الظاهر أنه صفة أخرى ويقال استئناف لدفع ما يتوهم من كونها باتصالات فلكية مع أنه لو كان كذلك لكان بتسببيه وتقديره فلا يخرج من تسخيره تعالى **﴿سبع ليال﴾** منصوب على الظرفية

لقوله ﴿سخرها﴾ أنث العدد لكون الليالي جمع ليلة وهي مؤنث فتبع مفرد موصوفة يقال ليل وليلة ولا يقال يوم ويومة وكذا نهارة وتجمع الليلة على الليالي بزيادة الياء على غير القياس فيحذف ياؤها حالة التنكير بالإعلال مثل الأهالي والأهال في جمع أهل إلا حالة النصب نحو قوله تعالى: ﴿سِيرُواْ فِيهَا﴾ [سبأ: ١٨] ليالي وأياماً آمنين لأنه غير منصرف والفتح خفيف ﴿وثمانية أيام﴾ ذكر العدد لكون الأيام جمع يوم وهو مذكر ﴿حسوماً﴾ جمع حاسم كشهود جمع شاهد وهو حال من مفعول سخرها بمعنى حاسمات عبر عن الريح الصرصر بلفظ الجمع لتكثرها باعتبار وقوعها في تلك الليالي والأيام وقال بعضم صفة لما قبله.

كما قال الكاشفي: روزها وشبهاى متوالي.

والمعنى على الأول حال كون تلك الريح متتابعات ما خفق هبوبها في تلك المدة ساعة حتى أهلكتهم تمثيلاً لتتابعها بتتابع فعل الحاسم في إعادة الكي على داء الدابة مرة بعد أخرى حتى ينحسم وينقطع الدم كما قال في «تاج المصادر»: الحسم بريدن وپيوسته داغ كردن.

فهو من استعمال المقيد في المطلق إذ الحسم هو تتابع الكي أو نحسات حسمت كل خير واستأصلته أو قاطعات قطعت دابرهم والحاصل أن تلك الرياح فيها ثلاث حيثيات الأولى تتابع هبوبها والثانية كونها قاطعة لكل خير ومستأصلة لكل بركة أتت عليها والثالثة كونها قاطعة دابرهم فسميت حسوماً معنى حاسمات إما تشبيهاً لها بمن يحسم الداء في تتابع الفعل وإما لأن الحسم في اللغة القطع والاستئصال وسمي السيف حساماً لأنه يحسم العدو عما يريده من بلوغ عداوته وهي كانت أيام برد العجوز من صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال ويقال آخر أسبوع من شهر صفر إلى غروب الأربعاء الآخر وهو آخر الشهر وعن ابن عباس رضي الله عنه يرفعه آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر وإنما سميت عجوزاً لأن عجوزاً من عاد توارت في سرب أي في بيت الأرض فانتزعتها الريح في اليوم الثامن فأهلكتها وقيل هي أيام العجز وهي آخر الشتاء ذات برد ورياح شديدة فمن نظر إلى الأول قال برد العجوز ومن نظر إلى الثاني قال برد العجز وفي «روضة الأخبار» رغبت عجوز إلى أولادها أن يزوجوها وكن لها سبعة بنين فقالوا إلى أن تصبري على البرد عارية لكل واحد منا ليلة ففعلت فلما كانت في السابعة ماتت فسميت تلك الأيام أيام العجوز وأسماء هذه الأيام الصن وهو بالكسر أول أيام العجوز كما في «القاموس» والصنبر وهي الريح الباردة والثاني من أيام العجوز كما في «القاموس» والوبر وهو ثالث أيام العجوز والمعلل كمحدث وهو الرابع من أيامها ومطفىء الجمر وهو خامس أيام العجوز أو رابعها كما في «القاموس» وقيل: مكفىء الظعن أي مميلها وهو جمع ظعينة وهو الهودج فيه امرأة أم لا والآمر والمؤتمر قال في «القاموس» آمر ومؤتمر آخر أيام العجوز.

قال الشاعر:

كسع الشتاء بسبعة غبر ... أيام شهلتنا من الشهر
فإذا انقضت أيام شهلتنا ... بالصن والصنبر والوبر
وبآمر وأخيه مؤتمر ... ومعلل وبمطفىء الجمر
ذهب الشتاء مولياً هرباً ... وأتتك موقدة من الحر

قال في «الكواشي»: ولم يسم الثامن لأن هلاكهم وإهلاكها كان فيه وفي «عين المعاني» إن الثامن هو مكفىء الظعن ثم قال في «الكواشي»: ويجوز أنها سميت أيام العجوز لعجزهم

عما حل بهم فيها ولم يسم الثامن على هذا لإهلاكهم فيه والذي لم يسم هو الأول وإن كان العذاب واقعاً في ابتدائه لأن ليلته غير مذكورة فلم يسم اليوم تبعاً لليله لأن التاريخ يكون بالليالي دون الأيام فالصن ثاني الأيام الثمانية أول الأيام المذكورة لياليها انتهى.

يقول الفقير: سر العدد أن عمر الدنيا بالنسبة إلى الإنس سبعة أيام من أيام الآخرة وفي اليوم الثامن تقع القيامة ويعم الهلاك ثم في الليالي السبع إشارة إلى الليالي البشرية الساترة للصفات السبع الإلهية التي هي الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام وفي الأيام إشارة إلى الأيام الكاشفات للصفات الثمان الطبيعية وهي الغضب والشهوة والحقد والحسد والبخل والجبن والعجب والشره التي تقطع أمور الحق وأحكامه من الخيرات والمبرات يعني قاطعات كل خير وبر وقال القاشاني: وأما عاد المغالون المجاوزون حد الشرائع بالزندقة والإباحة في التوحيد فأهلكوا بريح هوى النفس الباردة بجمود الطبيعة وعدم حرارة الشوق والعشق العاتية أي الشديدة الغالبة عليهم الذاهبة بهم في أودية الهلاك سخرها الله عليهم في مراب الغيوب السبع التي هي لياليهم لاحتجابهم عنها والصفات الثمان الظاهرة لهم كالأيام وهي الوجود والحياة والعلم والقدرة والسمع والبصر والتكلم على ما ظهر منهم وما بطن تقطعهم وتستأصلهم.

﴿فترى﴾ يا محمد أو يا من شأنه أن يرى ويبصر إن كنت حاضراً حينئذٍ. **﴿القوم﴾** أي: قوم عاد فاللام للعهد وبالفارسية پس توميد يدي قوم عاد را اكر حاضر مي بودي **﴿فيها﴾** أي في محال هبوب تلك الريح أو في تلك الليالي والأيام ورجحه أبو حيان للقرب وصراحة الذكر **﴿صرعى﴾** موتى جمع صريع كقتلى وقتيل حال من القوم لأن الروية بصرية والصريع بمعنى مصروع أي مطروح على الأرض ساقط لأن الصرع الطرح وقد صرعوا بموتهم. **﴿كأنهم﴾** كوبيا ايشان از عظم أجسام. **﴿أعجاز نخل﴾** بنخهاى درخت خرما اند.

الكاف في موضع الحال إما من القوم على قول من جوز حالين من ذي حال واحد أو من المنوي في صرعى عند من لم يجوز ذلك أي مصروعين مشبهين بأصول نخل، كما قال في «القاموس»: العجز مثلثة وكندس وكتف مؤخر الشي وأعجاز النخل أصولها انتهى. والنخل اسم جنس مفرد لفظاً وجمع معنى واحدتها نخلة. **﴿خاوية﴾** أصل الخوى الخلاء يقال خوى بطنه من الطعام أي خلا والمعنى متآكلة الأجواف خاليتها لا شيء فيها يعني أنهم متساقطون على الأرض أمواتاً طوالاً غلاظاً كأنهم أصول نخل مجوفة بلا فروع شبهوا بها من حيث أن أبدانهم خوت وخلت من أرواحهم كالنخل الخاوية وقيل: كانت الريح تدخل من أفواههم فتخرج ما في أجوافهم من أدبارهم فصاروا كالنخل الخاوية ففيه إشارة إلى عظم خلقهم وضخامة أجسادهم ولذا كانوا يقولون من أشد منا قوة وإلى الذا لريح إبلتهم فصاروا كالنخل الموصوفة وفيه إشارة إلى أن أهل النفس موتى لا حياة حقيقية لهم لأنهم قائمون بالنفس لا بالله كما قال كأنهم خشب مسندة كأنهم أعجاز نخل أي أقوياء بحسب الصورة لا معنى فيهم ولا حياة ساقطة عن درجة الاعتبار والوجود الحقيقي إذ لا تقوم بالله وإلى أن النفس وصفائها مجوفة ليس لها بقاء لأن البقاء إنما هو بفيض الروح يعني أن الذي رش عليه من رطوبة الروح حي بإذن الله وصلح قابلاً للصفات الإلهية وإلا مات وفسد.

﴿فهل ترى لهم من باقية﴾ الاستفهام لإنكار الرؤية والباقية اسم كالبقية لا يوصف والتاء

لنقل الاسمية ومن زائدة وباقية مفعول ترى أي ما ترى منهم بقية من صغارهم وكبارهم وذكورهم وإناثهم غير المؤمنين ويجوز أن يكون صفة موصوف محذوف بمعنى نفس باقية أو مصدراً بمعنى البقاء كالكاذبة والطاغية والبقاء ثبات الشيء على الحالة الأولى وهو يضاد الفناء.

مقر راست كه بودند برزمانه بسى　　شهان تخت نشين خسر وإن شاء نشان

چو عاصفات قضا ازمهب قهر وزيد　　شدند خاك وازان خاك نيزنيست نشان

فعلى العاقل أن يجتهد حتى يبقى في الدنيا بالعمر الثاني كما دل عليه قوله تعالى حكاية عن إبراهيم الخليل عليه السلام: ﴿وَٱجْعَل لِّي لِسَانَ صِدْقٍ فِي ٱلْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [الشعراء: ٨٤] على أن الحياة الباقية الحقيقية هي ما حصلت بالتجلي الإلهي والفيض المآلي الكلي نسأل الله سبحانه أن يفيض علينا سجال فيضه وجوده بحرمة أسمائه وصفاته ووجوب وجوده.

﴿وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾ فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾ إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِي ٱلْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَآ أُذُنٌ وَٰعِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾

﴿**وجاء فرعون**﴾ أي فرعون موسى أفرده بالذكر لغاية علوه واستكباره ﴿**ومن قبله**﴾ ومن تقدمه من الكفرة غير عاد وثمود فهو من قبيل التعميم بعد التخصيص ومن موصولة وقبل نقيض بعد وقرأ أبو عمرو ويعقوب والكسائي قبله بكسر القاف وفتح الباء بمعنى ومن معه من القبط من أهل مصر ﴿**والمؤتفكات**﴾ أي قرى قوم لوط أي أهلها لأنها عطفت على ما قبلها من فرعون ومن قبله يقال أفكه عن الشيء أي قلبه وائتفكت البلدة بأهلها أي انقلبت والله تعالى قلب قرى قوم لوط عليهم فهي المنقلبات بالخسف وهي خمس قريات صعبه وصعده وعمره ودوما وسدوم وهي أعظم القرى ثم هذا من قبيل التخصيص بعد التعميم للتتميم لأن قوم لوط أتوا بفاحشة ما سبقهم بها من أحد من العالمين ﴿**بالخاطئة**﴾ الباء للملابسة والتعدية وهو الأظهر أي بالخطأ أو بالغفلة أو الأفعال ذات الخطأ العظيم التي من جملتها تكذيب البعث والقيام فالخاطئة على الأول مصدر كالعاقبة وعلى الأخيرين صفة لمحذوف والبناء للنسبة على التجريد والأظهر أنه من المجاز العقلي كشعر شاعر.

﴿**فعصوا رسول ربهم**﴾ أي: فعصى كل أمة رسولهم حين نهاهم عما كانوا يتعاطونه من القبائح فالرسول هنا بمعنى الجمع لأن فعولاً وفعيلاً يستوي فيهما المذكر والمؤنث والواحد والجمع فهو من مقابلة الجمع بالجمع المستدعية لانقسام الآحاد على الآحاد فالإضافة ليست للعهد بل للجنس ﴿**فأخذهم**﴾ أي الله تعالى بالعقوبة أي كل قوم منهم ﴿**أخذة رابية**﴾ أي: زائدة في الشدة على عقوبات سائر الكفار أو على القدر المعروف عند الناس لما زادت معاصيهم في القبح على معاصي سائر الكفرة أغرق من كذب نوحاً وهم كل أهل الأرض غير من ركب معه في السفينة وحمل مدائن لوط بعد أن نتقها من الأرض على متن الريح بواسطة من أمره بذلك من الملائكة ثم قلبها وأتبعها الحجارة وخسف بها وغمرها بالماء المنتن الذي ليس في الأرض ما يشبهه وأغرق فرعون وجنوده أيضاً في بحر القلزم، أو في النيل وهكذا عوقب كل أمة عاصية بحسب أعمالهم القبيحة وجوزيت جزاء وفاقاً وفي كل ذلك تخويف لقريش وتحذير لهم عن التكذيب وفيه عبرة موقظة لأولي الألباب يقال: ربا الشيء يربو إذا زاد ومنه الربا الشرعي وهو الفضل الذي يأخذه آكل الربا زائداً على ما أعطاه.

﴿إنا لما طغا الماء﴾ المعهود وقت الطوفان أي جاوز حده المعتاد حتى ارتفع على كل شيء خمسمائة ذراع وقال بعضهم ارتفع على أرفع جبل في الدنيا خمسة عشر ذراعاً أو حده في المعاملة مع خزانة من الملائكة بحيث لم يقدروا على ضبطه وذلك الطغيان ومجاوزة الحد بسبب إصرار قوم نوح على فنون الكفر والمعاصي ومبالغتهم في تكذيبه فيما أوحى إليه من الأحكام التي جملتها أحوال القيامة فانتقم الله منهم بالإغراق. ﴿حملناكم﴾ أيها الناس أي حملنا آباءكم وأنتم في أصلابهم فكأنكم محمولون بأشخاصكم وفيه تنبيه على المنة في الحمل لأن نجاة آبائهم سبب ولادتهم ﴿في الجارية﴾ يعني في سفينة نوح لأن من شأنها أن تجري على الماء والمراد بحملهم فيها رفعهم فوق الماء إلى انقضاء أيام الطوفان لا مجرد رفعهم إلى السفينة كما يعرف عنه كلمة في فإنها ليست بصلة للحمل بل متعلقة بمحذوف هو حال من مفعوله أي رفعناكم فوق الماء وحفظناكم حال كونكم في السفينة الجارية بأمرنا وحفظنا من غير غرق وخرق وفيه تنبيه على أن مدار نجاتهم محض عصمته تعالى وإنما السفينة سبب صوري.

﴿لنجعلها﴾ أي: لنجعل الفعلة التي هي عبارة عن إنجاء المؤمنين وإغراق الكافرين.

﴿لكم تذكرة﴾ عبرة ودلالة على كمال قدرة الصانع وحكمته وقوة قهره وسعة رحمته فضمير لنجعلها إلى المفعلة والقصة بدلالة ما بعد الآية من الوعي.

وقال الكاشفي: نا كردانيم آن كشتى رابراي شماپندى وعبرتي درنجات مؤمنان وهلاك كافران وفي «كشف الأسرار» تا آنرا يادكارى كنيم تاجهان بود.

وقد أدرك السفينة أوائل هذه الأمة وكان ألواحها على الجودي ﴿وتعيها﴾ أي: تحفظها وبالفارسية: ونكاه دارداين پندرا.

والوعي أن تحفظ العلم ووعيت الشيء في نفسك يقال وعيت ما قلته ومنه ما قال عليه السلام: لا خير في العيش إلا لعالم ناطق ومستمع واع والإيعاء أن تحفظه في غير نفسك من وعاء يقال أوعيت المتاع في الوعاء منه ما قال عليه السلام لأسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما «لا توعي فيوعي الله عليك أرضخي ما استطعت» وقال الشاعر:

الخير يبقى وإن طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد

﴿أذن واعية﴾ أي أذن من شأنها أن تحفظ ما يجب حفظه بتذكره والتفكر فيه ولا تضيعه بترك العمل به يقال الوعي فعل القلب ولكن الآذان تؤدي الحديث إلى القلوب الواعية فنعتت الأذن بنعت القلوب وفي «البستان»:

وكرنيستى سعى جاسوس كوش خبركي رسيدي بسلطان هوش

والتنكير والتوحيد حيث لم يقل الآذان الواعية للدلالة على قلتها وإن من هذا شأنه مع قلته يتسبب لنجاة الجم الغفير وإدامة نسلهم يعني أن من وعى هذه القصة إنما يعيها ويحفظها لأجل أن يدكرها للناس ويرغبهم في الإيمان المنجي ويحذرهم عن الكفر المردي فيكون سبباً للنجاة والإدامة المذكورتين قال في «الكشاف»: الأذن الواحدة إذا وعت وعقلت عن الله فهي السواد الأعظم عند الله وإن ما سواها لا يبالي بهم وإن ملؤوا ما بين الخافقين وفي الحديث: «أفلح من جعل الله له قلباً واعياً» وعن النبي عليه السلام أنه قال لعلي رضي الله عنه عند نزول هذه الآية «سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي قال فما نسيت شيئاً بعد وما كان لي أن أنسى إذ هو الحافظ للأسرار الإلهية وقد قال ولدت على الفطرة وسبقت إلى الإيمان والهجرة» وفي

رواية أخذ بأذن علي بن أبي طالب وقال هي هذه ذكره النقاش.

كرچه ناصح را بود صدداعيه پندار أذني ببايد واعيه
كرنبودي كوشهاي غيب كير وحى ناوردي زكردون يك بشير

قال بعضهم: تلك آذان أسمعها الله في الأزل خطابه فهي واعية تعي من الحق كل خطاب وعن أبي هريرة أنه قيل لي إنك تكثر رواية الحديث وغيرك لا يروي مثلك فقلت إن المهاجرين والأنصار كان شغلهم عمل أموالهم وكنت امرأ مسكيناً ألزم رسول الله وأقنع بقوتي وقال عليه السلام يوماً من الأيام: «إنه لن يبسط أحد ثوبه حتى أقضي مقالتي ثم يجمع إليه ثوبه إلا وعى ما أقول فبسطت نمرة علي حتى إذا قضى مقالته جمعتها إلى صدري فما نسيت من مقالته عليه السلام شيئاً» وفيه إشارة إلى تأثير حسن المقال وفائدته وإلا لكان دعاؤه عليه السلام كافياً في وعيه كما وقع لأمير المؤمنين رضي الله عنه.

﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِىَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾﴾.

﴿**فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة**﴾ شروع في بيان نفس الحاقة وكيفية وقوعها أثر بيان عظم شأنها بإهلاك مكذبيها والنفخ إرسال الريح من الفم وبالفارسية دميدن.

والصور قرن من نور أوسع من السماوات ينفخ فيه إسرافيل بأمر الله فيحدث صوت عظيم فإذا سمع الناس ذلك الصوت يصيحون ثم يموتون إلا من شاء والمصدر المبهم هو الذي يكون لمجرد التأكيد وإن كان لا يقام مقام الفاعل فلا يقال ضرب ضرب إذ لا يفيد أمراً زائداً على مدلول الفعل إلا أنه حسن إسناد الفعل في الآية إلى المصدر وهو النفخة لكونها نفخاً مقيداً بالوحدة والمرة لا نفخاً مجرداً مبهماً والمراد بها ههنا النفخة الأولى التي لا يبقى عندها حيوان إلا مات ويكون عندها خراب العالم لما دل عليه الحمل والدك الآتيان وفي «الكشاف» فإن قلت هما نفختان فلم قيل واحدة قلت معناه أنها لا تثنى في وقتها انتهى. يعني أن حدوث الأمر العظيم بالنفخة وعلى عقبها إنما استعظم من حيث وقوع النفخ مرة واحدة لا من حيث أنه نفخ فنبه على ذلك بقوله واحدة وفي «كشف الأسرار» ذكر الواحدة للتأكيد لأن النفخة لا تكون إلا واحدة ﴿**وحملت الأرض والجبال**﴾ أي: قامت ورفعت من أماكنها بمجرد القدرة الإلهية أو بتوسط الزلزلة والريح العاصفة فإن الريح من قوة عصفها تحمل الأرض والجبال كما حملت أرض وجود قوم عاد وجبال جمالهم مع هوادجها. ﴿**فدكتا دكة واحدة**﴾ أي فضربت الجملتان جملة الأرضين وجملة الجبال أثر رفعها بعضها ببعض ضربة واحدة بلا احتياج إلى تكرار الضرب وتثنية الدق حتى تندق وترجع كثيباً مهيلاً وهباء منبثاً وإلا فالظاهر فدككن دكة واحدة لإسناد الفعل إلى الأرض والجبال وهي أمور متعددة ونظيره قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا﴾ [الأنبياء: ٣٠] حيث لم يقل كن والدكّ أبلغ من الدق وفي «الصحاح» الدك الدق وقد دكه إذا ضربه وكسره حتى سواه بالأرض وبابه رد وفي «المفردات»: الدك الأرض اللينة السهلة ودكت الجبال دكاً أي جعلت بمنزلة الأرض اللينة ومنه الدكان.

﴿**فيومئذٍ**﴾ أي: فحينئذٍ وهو منصوب بقوله ﴿**وقعت الواقعة**﴾ هي من أسماء القيامة بالغلبة لتحقق وقوعها وبهذا الاعتبار أسند إليه وقعت أي إذا كان الأمر كذلك قامت القيامة التي

توعدون بها أو نزلت النازلة العظيمة التي هي صيحة القيامة وهو جواب لقوله ﴿فإذا نفخ في الصور﴾ ويومئذٍ بدل من إذا كرر الطول لكلام والعامل فيهما وقعت.

﴿وانشقت السماء﴾ وآسمان برشكافت از طرف مجره.

يعني انفرجت لنزول الملائكة لأمر عظيم أراده الله كما قال: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا﴾ [الفرقان: ٢٥] أو بسبب شدة ذلك اليوم وهو معطوف على وقعت. ﴿فهي﴾ أي السماء ﴿يومئذٍ﴾ ظرف لقوله ﴿واهية﴾ ضعيفة مسترخية ساقطة القوة جداً كالغزل المنقوض بعدما كانت محكمة مستمسكة وإن كانت قابلة للخرق والالتئام يقال وهى البناء يهي وهياً فهو واه إذا ضعف جداً قال في «القاموس» وهي كوعى وولى تخرق وانشق واسترخى رباطه وفي «المفردات» الوهي شق في الأديم والثوب ونحوهما.

﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾

﴿والملك﴾ أي: الخلق المعروف بالملك وهو أعم من الملائكة ألا ترى إلى قولك ما من ملك إلا وهو شاهد أعم من قولك ما من ملائكة. ﴿على أرجائها﴾ أي جوانب السماء جمع رجى بالقصر وهي جملة حالية ويحتمل أن تعطف على ما قبلها كذا قالوا والمعنى تنشق السماء التي هي مساكنهم فيلجؤون إلى أكنافها وحافاتها قالوا وقوفهم لحظة على أرجائها وموتهم بعدها فإن الملائكة يموتون عند النفخة الأولى لا ينافي التعقيب المدلول عليه بالفاء وقد يقال إنهم هم المستثنون بقوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧] أي: ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا الملائكة ونحوهم، قال المولى الفناري في «تفسير الفاتحة»: فإذا وهت السماء نزلت ملائكتها على أرجائها فيرون أهل الأرض خلقاً عظيماً أضعاف ما هم عليه عدداً فيتخيلون أن الله نزل فيهم لما يرون من عظم الملائكة مما لم يشاهدوه من قبل فيقولون أفيكم ربنا فيقول الملائكة سبحان ربنا ليس فينا وهو آت فيصطف الملائكة صفاً مستديراً على نواحي الأرض محيطين بعالمي الإنس والجن وهؤلاء هم عمار السماء الدنيا ثم ينزل أهل السماء الثانية بعدما يقبضها الله أيضاً ويرمي بكوكبها في النار وهو المسمى كاتباً وهم أكثر عدداً من أهل السماء الدنيا فيقول الخلائق أفيكم ربنا فيفزع الملائكة فيقولون سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فيفعلون فعل الأولين من الملائكة يصطفون خلفهم صفاً ثانياً مستديراً ثم ينزل أهل السماء الثالثة ويرمي بكوكبها المسمى زهرة في النار فيقبضها الله بيمينه فيقول الخلائق أفيكم ربنا فتقول الملائكة سبحان ربنا ليس هو فينا وهو آت فلا يزال الأمر هكذا سماء بعد سماء حتى ينزل أهل السماء السابعة فيرون خلقاً أكثر من جميع من نزل فيقول الخلائق فيكم ربنا فيقول الملائكة سبحان ربنا قد جاء ربنا وإن كان وعد ربنا لمفعولاً فيأتي الله في ظلل من الغمام والملائكة على المجنبة اليسرى منهم ويكون إتيانه إتيان الملك فإنه يقول ملك يوم الدين وهو ذلك اليوم فسمي بالملك ويصطف الملائكة عليه سبعة صفوف محيطة بالخلائق فإذا أبصر الخلائق جهنم لها فوران وتغيظ على الجبابرة المتكبرين يفرون بأجمعهم منها لعظم ما يرونه خوفاً وفزعاً وهو الفزع الأكبر إلا الطائفة التي لا يحزنهم الفزع الأكبر فتتلقاهم الملائكة هذا يومكم الذي كنتم توعدون فهم الآمنون مع النبيين على أنفسهم غير أن النبيين يفزعون على

أممهم للشفقة التي جبلهم الله عليها للخلق فيقولون في ذلك سلم سلم وكان قد أمر أن ينصب للآمنين من خلقه منابر من نور متفاضلة بحسب منازلهم في الموقف فيجلسون عليها آمنين مبشرين وذلك قبل مجيء الرب تعالى فإذا فر الناس خوفاً من جهنم يجدون الملائكة صفوفاً لا يتجاوزونهم فتطردهم الملائكة وزعة الملك الحق سبحانه وتعالى إلى الحشر فيناديهم أنبياؤهم ارجعوا ارجعوا أو ينادي بعضهم بعضاً فهو قول الله تعالى فيما يقول رسول الله عليه السلام «إني أخاف عليكم يوم التناد يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم» انتهى.

يقول الفقير: دل هذا البيان على أن المراد بالوهي سقوط السماء على الأرض التي تسمى بالساهرة وأن نزول الملائكة على أرجاء السماء لا يكون يوم يقوم الناس من قبورهم بالنفخة الثانية وإن ذكر في أثناء النفخة الأولى كما دل عليه ما بعد الآية من حمل العرش والأرض اللذين إنما يكونان بعد النفخة الثانية وأن معنى نزولهم طرد الخلق ونحوه كما قال تعالى ﴿لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ﴾ [الرحمن: ٣٣] أي لا تقصدون مهرباً إلا وهناك لي أعوان ولي به سلطان.

﴿ويحمل عرش ربك﴾ وهو الفلك التاسع وهو جسم عظيم لا يعلم عظمه إلا الله تعالى لأنه في الآفاق بمنزلة القلب في الأنفس والقلب أوسع شيء لما وسع الله كما في الحديث وكان عرش الرحمن والفائدة في ذكر العرش عقيب ما تقدم أن العرش بحاله خلاف السماء والأرض ولذلك لا يفنى وأيضاً له وجه آخر سيأتي وعن علي بن الحسن رضي الله عنهما قال إن الله خلق العرش رابعاً لم يخلق قبله إلا ثلاثة الهواء والقلم والنور ثم خلق العرش من أنوار مختلفة من ذلك نور أخضر منه اخضرت الخضرة ونور أصفر منه اصفرت الصفرة ونور أحمر منه احمرت الحمرة ونور أبيض وهو نور الأنوار ومه ضوء النهار قال بعض الكبار الأنوار أربعة على عدد المراتب الأربع فإذا أعطى الأنوار يعطي في مرتبة الطبيعة نور أسود وفي مرتبة النفس نوراً أحمر وفي مرتبة الروح نوراً أخضر وفي مرتبة السر نوراً أبيض. **﴿فوقهم﴾** أي: فوق الملائكة الذين هم على الأرجاء أو فوق الثمانية أي يحملون العرش فوق أنفسهم فالمحمول لا يلزم أن يكون فوق الحامل، فقد يكون في يده وقد يكون في جيبه فكل واحد من قوله فوقهم ويومئذٍ ظرف لقوله يحمل حينئذ وأما على التقدير الأول فالظاهر أن فوقهم حال من ثمانية قدمت عليها لكونها نكرة. **﴿يومئذٍ﴾** أي: يوم القيامة **﴿ثمانية﴾** من الملائكة عن النبي عليه السلام هم اليوم أربعة فإذا كان يوم القيامة أيدهم الله بأربعة أخرى فيكون ثمانية قال بعض العلماء الأربعة اللاحقة إشارة إلى الأئمة الأربعة الذين هم أبو حنيفة والشافعي ومالك وأحمد لأنهم اليوم حملة الشرع فإذا كان يوم القيامة انقلب الشرع العرش فيكونون من حملته حكماً وروي ثمانية أملاك أرجلهم في تخوم الأرض السابعة والعرش فوق رؤوسهم وهم مطرقون مسبحون قال عليه السلام، أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش من شحمة أذنه إلى عاتقه خفقان الطير مسيرة سبعمائة سنة يقول سبحانك حيث كنت قال يحيى بن سلام بلغني أن اسمه زوقيل وعن الحسن البصري قدس سره ثمانية أي ثمانية آلاف وعن الضحاك ثمانية صفوف لا يعلم عددهم إلا الله.

يقول الفقير: الأنسب هو الأول لكونه أدخل في العظمة والهيبة وإظهار القدرة ولأن الأركان أربعة كأركان الكعبة وأركان القلب إذ في يمين القلب الروح والسر وفي يساره النفس والطبيعة وباعتبار الظاهر والباطن يحصل ثمانية آلاف إذ الألف تفصيل الواحد بحيث لا تفصيل

وراءه إلا باعتبار التضعيف والله أعلم ومرّ في أوائل سورة حم المؤمن بعض ما يتعلق بهذا المقام فلا نعيده.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى عرش الذات الحاملة للصفات الثمانية الذاتية الغيبية التي هي مفاتيح الغيب الموصوفة بحمل ذوات الصفات والصفات تحمل ظهورات الصفات فافهم.

﴿**يومئذٍ**﴾ العامل فيه قوله ﴿**تعرضون**﴾ على الله أي تسألون وتحاسبون عبر عنه بذلك تشبيهاً له بعرض السلطان العسكر لتعرف أحوالهم يقال عرض الجند إذا أمرهم عليه ونظر ما حالهم والخطاب عام للكل على التغليب.

روي أن في يوم القيامة ثلاث عرضات فأما عرضتان فاعتذار واحتجاج وتوبيخ وأما الثالثة ففيها تنشر الكتب فيأخذ الفائز كتابه بيمينه والهالك بشماله وهذا العرض وإن كان بعد النفخة الثانية لكن لما كان اليوم اسماً لزمان متسع يقع فيه النفختان والصعقة والنشور والحساب وإدخال أهل الجنة الجنة وأهل النار النار صح جعله ظرفاً للكل كما تقول جئت عام كذا وإنما كان مجيئك في وقت واحد من أوقاته وذهب المشبهة من حمل العرش والعرض إلى كونه تعالى محمولاً حاضراً في العرش وأجيب بأنه تمثيل لعظمة الله بما يشاهد من أحوال السلاطين يوم بروزهم للقضاء العام فيكون المراد من إتيانه تعالى في ظلل من الغمام إتيان أمره وقضائه وأما حديث التحول فمحمول على ظهوره تعالى في مرتبة الصفات ولا مناقشة فيه لأن النبي عليه السلام رآه ليلة المعراج في صورة شاب أمرد لأن الصورة الإنسانية أجمع الصور ومثله الرؤيا المنامية والله تعالى منزه في ذاته عن أوصاف الجسمانيات. ﴿**لا تخفى منكم خافية**﴾ حال من مرفوع تعرضون ومنكم كان في الأصل صفة لخافية قدم للفاصلة فتحول حالاً أي تعرضون غير خاف عليه تعالى فعلة خفيفة، أي سر من أسراركم وإنما العرض لإفشاء الحال والمبالغة في العدل وغير خاف يومئذٍ على الناس كقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾﴾ [الطارق: ٩] فقوله منكم يتعلق بما قبله وما بعده على التجاذب.

قال في «الكشاف»: خافية أي سريرة وحال كانت تخفى في الدنيا بستر الله عليكم والسر والسريرة الذي يكتم ويخفى فتظهر يوم القيامة أحوال المؤمنين فيتكامل بذلك سرورهم وتظهر أحوال غيرهم فيحصل الحزن والافتضاح ففي الآية زجر عظيم عن المعصية لتأديها إلى الافتضاح على رؤوس الخلائق فقلب الإنسان ينبغي أن يكون بحال لو وضع في طبق وأدير على الناس لما وجد فيه ما يورث الخجالة وهو صفة أهل الإخلاص والنصيحة.

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿**فأما**﴾ تفصيل لأحكام العرض ﴿**من**﴾ موصولة ﴿**أوتي كتابه**﴾ أي مكتوبه الذي كتبت الحفظة فيه تفاصيل أعماله ﴿**بيمينه**﴾ تعظيماً له لأن اليمين يتيمن بما والباء بمعنى في أو للإلصاق وهو الأوجه والمراد منهم الأبرار فإن المقربين لا كتاب لهم ولا حساب لهم لمكانتهم من الله تعالى وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه عليه السلام قال: أول من يعطى كتابه بيمينه من هذه الأمة عمر بن الخطاب وله شعاع كشعاع الشمس قيل له فأين أبو بكر فقال هيهات زفته الملائكة إلى الجنة.

يقول الفقير: لعل هذا مكافاة له حين أخذ سيفه بيده وخرج من دار الأرقم وهو يظهر الإسلام على ملأ من قريش فبسيفه ظهر الإسلام فرضي الله عنه وعن محبيه وفي الحديث اثبت أحد فإنما عليك نبي والصديق وشهيدان وكان عليه رسول الله عليه السلام وأبو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فتحرك فقاله دل الحديث على أن رتبة أبي بكر فوق رتبة غيره لأن الصديقية تلي النبوة ﴿**فيقول**﴾ فرحاً وسروراً فإنه لما أوتي كتابه بيمينه علم أنه من الناجين من النار ومن الفائزين بالجنة فأحب أن يظهر ذلك لغيره حتى يفرحوا بما ناله ﴿**هاؤم اقرأوا كتابيه**﴾ أي خذوا يا أهل بيتي وقرابتي وأصحابي كتابي وتناولوه اقرؤوا كتابي زيرا در اينجا عملي نيست كه از إظهار آن شرم دارم ودر تبيان آورده كه اين كتاب ديكر است بغير كتاب اعمل كه نوشته ودراو بشارت جنت است وپس چه كتاب حفظ ميان بنده وخدا وندست وكسى آنرانه بيند ونه خواند.

وفي الخبر: «حسنات المؤمن في ظاهر كتابه وسيئاته في باطنه لا يراها إلا هو فإذا انتهى يرى مكتوباً فقد غفرتها لك فاقلب فيرى في الظاهر قد قبلتها منك فيقول من فرط السرور ﴿**هاؤم اقرأوا كتابيه**﴾» أي هلموا أصحابي كما في «عين المعاني»، يقال هاء يا رجل بفتح الهمزة وهاء يا امرأة بكسرها وهاؤما يا رجلان أو يا امرأتان وهاؤم يا رجال وهاؤن يا نسوة بمعنى خذ خذا خذوا خذي خذا خذن ومفعوله محذوف وكتابي مفعول اقرؤوا لا أقرب العاملين فهو أقوى لكونه بمنزلة العلة القريبة وأصله هاؤم كتابي اقرؤوا كتابي فحذف الأول لدلالة الثاني عليه ونظيره آتوني أفرغ عليه قطراً والهاء للوقف والاستراحة والسكت تثبت بالوقف وتسقط في الوصل كما هو الأصل في هاء السكت لأنها إنما جيء بها حفظاً للحركة أي لتحفظ حركة الموقوف عليه إذ لولاها لسقطت الحركة في الوقف فتثبت حال الوقف إذ لا حاجة إليها حال الوصل فلذلك كان حقها أن تثبت في الوقف وتسقط في الوصل إلا أن القراء السبعة اتفقوا في كل المواضع على إثباتها وقفاً ووصلاً إجراء للوصل مجرى الوقف واتباعاً لرسم الإمام فإنها ثابتة في المصحف في كل المواضع وهي كتابيه وحسابيه وماليه وسلطانيه وماهيه في القارعة وما كان ثابتاً فيه لا بد أن يكون مثبتاً في اللفظ إلا أن حمزة أسقط الهاء من ثلاث كلم وصلاً وهي ماليه وسلطانيه وماهيه وأثبتها وقفاً على الأصل ولم يعمل بالأصل في كتابيه وحسابيه وأثبتها في الحالين جمعاً بين اللغتين وتبين من هذا التقرير أن المستحب إيثار الوقف اتباعاً للوصل وأن إثباتها وصلاً إنما هو لاتباع المصحف قال في «القاموس» هاء السكت هي اللاحقة لبيان حركة أو حرف نحو ماهيه وها هناه وأصلها أن يوقف عليها وربما وصلت بنية الوقف انتهى. وهذه الهاء لا تكون إلا ساكنة وتحريكها لحن أي خطأ لأنه لا يجوز الوقف على المتحرك وهاء السكت في القرآن في سبعة مواضع في لم يتسنه وفي فبهداهم اقتده وفي كتابيه وفي حسابيه وفي ماليه وفي سلطانيه وفي ماهيه وأما الهاء التي في القاضية وفي هاوية وخاوية وثمانية وعالية ودانية وأمثالها فللتأنيث فيوقف عليهن بالهاء يوصلن بالتاء.

﴿**إني ظننت أني ملاق حسابيه**﴾ الحساب بمعنى المحاسبة وهو عد أعمال العباد في الآخرة.

خيراً وشراً للمجازاة أي علمت وأيقنت أني مصادف حسابي في ديوان الحساب الإلهي وأني أحاسب في الآخرة يعني دانستم وإيمان آوردم كه مرا حساب خواهند كرد وآنرا آماده ومتهيىء شدم.

قال الراغب: الظن اسم لما يحصل من أمارة ومتى قويت أدت إلى العلم ومتى ضعفت جداً لم تتجاوز حد التوهم انتهى. ومنه يعلم قول من قال سمي اليقين ظناً لأن الظن يلد اليقين انتهى. وإنما فسر الظن بالعلم لأن البعث والحساب مما يجب بهما الإيمان ولا إيمان بدون اليقين قال سعدي المفتي وفيه بحث فإيمان المقلد ذو اعتبار وصرحوا بأن الظن الغالب الذي لا يخطر معه احتمال النقيض يكفي في الإيمان ثم إنه يجوز أن يكون المراد ما حصل له من حسابه اليسير ولا يقين به لوجوب أن يكون المؤمن بين الخوف والرجاء والمراد إني ظننت أني ملاق حسابي على الشدة والمناقشة لما سلف مني من الهفوات والآن أزال الله عني ذلك وفرج همي انتهى.

يقول الفقير: هذا عدول عما عليه ظاهر القرآن فإن الظن في مواضع كثيرة منه بمعنى اليقين كما في قوله تعالى حكاية ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٩] وهم المؤمنون بالآخرة وفي قوله تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾ [ص: ٢٤] أي: علم وأيقن بالعلامة القوية قال القاضي ولعل التعبير عن العلم بالظن للإشعار بأنه لا يقدح في الاعتقاد ما يهجس في النفس من الخطرات التي لا تنفك عنها العلوم النظرية غالباً يعني أن الظن استعير للعلم الاستدلالي لأنه لا يخلو عن الخطرات والوساوس عند الذهول عما قاد إليه من الدليل للإشعار المذكور وأما العلوم الضرورية والكشفية فعارية عن الاضطراب وفي «الكشاف» وإنما أجري الظن مجرى العلم لأن الظن الغالب يقام مقام العلم في العادات والأحكام ويقال أظن ظناً كاليقين أن الأمر كيت وكيت ﴿فهو﴾ أي من أوتي كتابه بيمينه. ﴿في عيشة﴾ نوع من العيش وهو بالفتح وكذا العيشة والمعاش والمعيش والعيشوشة بالفارسية زيستن.

قال بعض العلماء: إذا كسر العين من العيش، يلزمه التاء كما في عيشة والعيش الحياة المختصة بالحيوان وهو أخص من الحياة لأن الحياة تقال في الحيوان وفي الباري وفي الملك ويشتق منه المعيشة لما يتعيش منه قال عليه السلام: «لا عيش إلا عيش الآخرة» ﴿راضية﴾ ذات رضى يرضاها من يعيش فيها على النسبة بالصيغة فإن النسبة نسبتان نسبة بالحرف كمكي ومدني ونسبة بالصيغة كلابن وتامر بمعنى ذي لبن وذي تمر ويجوز أن يجعل الفعل لها وهو لصاحبها فيكون من قبيل الإسناد المجازي ومآل الوجهين كون العيشة مرضية وإلى ما ذكرنا يرجع قول من قال راضية في نفسها فكأنها لرغادتها قد رضيت بما هي فيه مجازاً أو بمعنى مرضية كماء دافق أي مدفوق انتهى. وفي «التأويلات النجمية»: راضية هنيئة مريئة صافية عن شوائب الكدر طائرة عن نوائب الحذر وبالفارسية در زندكاني باشد پسنديده صافي از كدورت ومقرون بحرمت وحشمت.

وذلك أي كون العيشة مرضية لاشتمالها على أمور ثلاثة الأول كونها منفعة صافية عن الشوائب والثاني كونها دائمة لا يترقب زوالها وانقطاعها والثالث كونها بحيث يقصد بها تعظيم من رضي بها وإكرامه وإلا يكون استهزاء واستدراجاً وعيشة من أعطي كتابه بيمينه جامعة لهذه الأمور فتكون مرضياً بها كمال الرضى قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعيشون فلا يموتون ويصحون فلا يمرضون وينعمون فلا يرون بؤساً أبداً.

﴿في جنة عالية﴾ مرتفعة المكان لأنها في السماء كما أن للنار سافلة لأنها تحت الأرض أو الدرجات أو الأبنية والأشجار فيكون عالية من الصفات الجارية على غير من هي له وهو

بدل من عيشة بإعادة الجار ويجوز كونه متعلقاً بعيشة راضية أي يعيش عيشاً مرضياً في جنة عالية.

﴿قطوفها﴾ ثمراتها جمع قطف بالكسر وهو ما يقطف ويجتنى بسرعة والقطف بالفتح مصدر قال سعدي المفتي اعتبار السرعة في مفهوم القطف محل كلام قال ابن الشيخ: معنى السرعة قطع الكل بمرة، وفي «القاموس»: القطف بالكسر العنقود واسم للثمار المقطوفة انتهى. فلا حاجة إلى أن يقال غلب هنا في جميع ما يجتبى من الثمر عنباً كان أو غيره. ﴿دانية﴾ من الدنو وهو القرب أي قريبة من مريديها.

يعني خوشه هاي آن ازدست چيننده نزديك.

ينالها القائم والقاعد والمضطجع من غير تعب وقيل لا يتأخر إدراكها انتهى. وإذا أراد أن تدنو إلى فيه دنت بخلاف ثمار الدنيا فإن في قطفها وتحصيلها تعباً ومشقة غالباً وكذا لا تؤكل إلا بمزاولة اليد.

يقول الفقير: أشجار الجنة على صورة الإنسان يعني أن أصل الإنسان رأسه وهي في طرف العلو ورجله فرعه مع أنها في طرف السفل فكذلك أصول أشجار الجنة في طرف العلو وأغصانها متدلية إلى جانب السفل ولذا لا يرون تعباً في القطف على أن نعيم الجنة تابع لإرادة المتنعم به فيصرف فيه كيف يشاء من غير مشقة.

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿كلوا واشربوا﴾ بإضمار القول والجمع بعد قوله فهو باعتبار المعنى والأمر أمر امتنان وإباحة لا أمر تكليف ضرورة أن الآخرة ليست بدار تكليف وجمع بين الأكل والشرب لأن أحدهما شقيق الآخر فلا ينفك عنه ولذا لم يذكر هنا الملابس وإن ذكرت في موضع آخر يقال لمن أوتي كتابه بيمينه كلوا من طعام الجنة وثمارها واشربوا من شرابها مطلقاً. ﴿هنيئاً﴾ أكلاً وشرباً هنيئاً أي سائغاً لا تنغيص فيه في الحلقوم وبالفارسية خوردنى وآشاميدني كوارنده.

وجعل الهنيء صفة لهما لأن المصدر يتناول المثنى أيضاً من هنؤ الطعام والشراب وهنىء يهنأ ويهنؤ ويهنىء هناءة وهناء أي صار هنيئاً سائغاً فهو هنيء ومنه اليهنىء المشتهر في اللسان التركي في اللحم المطبوخ ويستعمله العجم بالخاء المعجمة بدل الهاء كما قال في «المثنوي»:

وين پزاز بهرميان روزرا يخنىء باشدشه فيروزرا

وإسناد الهناءة إلى الأكل والشرب مجاز للمبالغة لأنها للمأكول والمشروب وقولهم هنيئاً عند شرب الماء ونحوه بمعنى صحة وعافية لأن السائغ محظوظ منه بسبب الصحة والعافية غالباً ﴿بما أسلفتم﴾ بمقابلة ما قدمتم من الأعمال الصالحة أو بدله أو بسببه ومعنى الإسلاف في اللغة تقديم ما ترجو أن يعود عليك بخير فهو كالإقراض ومنه يقال أسلف في كذا إذا قدم فيه ماله ﴿في الأيام الخالية﴾ أي: الماضية في الدنيا وعن مجاهد أيام الصيام فيكون المعنى كلوا واشربوا بدل ما أمسكتم عن الأكل والشرب لوجه الله في أيام الصيام لا سيما في الأيام الحارة وهو الأولى لأن الجزاء لا بد وأن يكون من جنس العمل وملائماً له كما قال بعض الكبار: لم يقل اشهدوا ولا اسمعوا وإنما جوزوا من حيث عملوا ونظيره فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وقوله ﴿إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ﴾ [هود: ٣٨] ونظائر ذلك ورؤي بعضهم في

المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال رحمني وقال كل يا من لم يأكل واشرب يا من لم يشرب فلم يقل كل يا من قطع الليل تلاوة واشرب يا من ثبت يوم الزحف فإن هذا ما لا تعطيه الحكمة كما في مواقع النجوم.

وروي يقول الله يا أوليائي طالما نظرت إليكم في الدنيا وقد قلصت شفاهكم عن الأشربة وغارت أعينكم وخمصت بطونكم فكونوا اليوم في نعيمكم وكلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية.

قوله: قلصت من الباب الثاني يقال قلص الظل أي نقص والماء أي ارتفع في البئر والشفة أي انزوت والثوب أي انزوى بعد الغسل ومصدر الجميع القلوص والتركيب يدل على انضمام شيء بعضه إلى بعض وخمصه الجوع خمصاً ومخمصة من الباب الأول يعني باريك ميان كرد ويرا كرسنكى.

وفيه إشارة إلى أيام الأزل الخالية عن الأعمال والعلل والأسباب أي كلوا من نعيم الوصال واشربوا من شراب الفيض بما أسلفه الله لكم في الأزل والقدم من العناية إذ بتلك العناية قمتم مع الحق في جميع الأحوال.

چون حسن عاقبت نه برندى وزاهديست آن به كه كارخود بعنايت رها كنند

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ (٢٧) مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ۜ (٢٨) هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ (٢٩)﴾

﴿وأما من أوتي كتابه بشماله﴾ تحقيراً له لأن الشمال يتشاءم بها بأن تلوى يسراه إلى خلف ظهره فيأخذه بها ويرى ما فيه من قبائح الأعمال **﴿فيقول﴾** تحزناً وتحسراً وخوفاً مما فيه وهو من قبيل الألم الروحاني الذي هو أشد من الألم الجسماني **﴿يا﴾** هؤلاء يا معشر المحشر **﴿ليتني﴾** كاشكى من.

وهو تمنٍ للمحال **﴿لم أوت﴾** متكلم مجهول من الإيتاء بمعنى لم أعط **﴿كتابيه﴾** هذا الذي جمع جميع سيئاتي **﴿ولم أدر﴾** متكلم من الدراية بمعنى العلم **﴿ما حسابيه﴾** لما شاهد من سوء العاقبة وبالفارسية كاشكى ندانستمى امروز چيست حساب من چه حاصلي نيست مرانرا جز عذاب وشدت ومحنت.

فما استفهامية معلق بها الفعل عن العمل ويجوز أن تكون موصولة بتقدير المبتدأ في الصلة **﴿يا ليتها﴾** تكرير للتمني وتجديد للتحسر أي يا ليت الموتة التي متها وذقتها وذلك أن الموتة وإن لم تكن مذكورة إلا أنها في حكم المذكور بدلالة المقام **﴿كانت القاضية﴾** أي: القاطعة لأمري وحياتي ولم أبعث بعدها ولم ألق ما ألقى يتمنى عند مطالعة كتابه أن تدوم عليه الموتة الأولى وأنه لا يبعث للحساب ولا يلقى ما أصابه من الخجالة وسوء العاقبة ويجوز أن يكون ضمير ليتها لما شاهد من الحالة أي يا ليت هذه الحالة كانت الموتة التي قضت علي يتمنى أن يكون بدل تلك الحالة الموتة القاطعة للحياة لما أنه وجد تلك الحالة أمر من الموت فتمناه عندها وكان في الدنيا أشد كراهية للموت قال الشاعر:

وشر من الموت الذي إن لقيته تمنيت منه الموت والموت أعظم

﴿ما أغنى عني﴾ أي لم يدفع عني شيئاً من عذاب الآخرة على أن ما نافية والمفعول

محذوف ﴿ماليه﴾ أي الذي كان لي في الدنيا من المال والأتباع على أن ما موصولة واللام جارة داخلة على ياء المتكلم ليعم مثل الأتباع فإنه إذا كان اسماً مضافاً إلى ياء المتكلم لم يعم وفي «الكشاف» ما أغنى نفي واستفهام على وجه الإنكار أي أي شيء أغنى عني ما كان لي من اليسار انتهى. حتى ضيعت عمري فيه أي لم ينفعني ولم يدفع عني شيئاً من العذاب فما استفهامية منصوبة المحل على أنها مفعول أغنى.

يقول الفقير: الظاهر أن ماليه هو المال المضاف إلى ياء المتكلم أي لم يغن عني المال الذي جمعته في الدنيا شيئاً من العذاب بل ألهاني عن الآخرة وضرني فضلاً عن أن ينفعني وذلك ليوافق قوله تعالى: ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل: ١١] وقوله: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢﴾ [المسد: ٢] ونظائر ذلك فما ذهب إليه أكثر أهل التفسير من التعميم عدول عما ورد به ظاهر القرآن.

﴿هلك عني سلطانيه﴾ قال الراغب: السلاطة التمكن من القهر ومنه سمي السلطان والسلطان يقال في السلاطة نحو قوله تعالى ﴿فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا﴾ [الإسراء: ٣٣] وقد يقال لذي السلاطة وهو الأكثر وسميت الحجة سلطاناً وذلك لما لحق من الهجوم على القلوب لكن أكثر تسلطه على أهل العلم والحكمة من المؤمنين وقوله ﴿هلك عني سلطانيه﴾ يحتمل السلطانين انتهى. والمعنى هلك عني ملكي وتسلطي على الناس وبقيت فقيراً ذليلاً أو ضلت عني حجتي كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ومعناه بطلت حجتي التي كنت أحتج بها عليهم في الدنيا وبالفارسية كم كشت از من حجتي كه دردنيا چنك دران زده بودم.

ورجح هذا المعنى بأن من أوتي كتابه بشماله لا اختصاص له بالملوك بل هو عام لجميع أهل الشقاوة.

يقول الفقير: قوله تعالى: ﴿ما أغنى عني ماليه﴾ يدل على الأول على أن فيه تعريضاً بنحو الوليد من رؤساء قريش وأهل ثروتهم، ويجوز أن يكون المعنى تسلطي على القوى والآلات فعجزت عن استعمالها في العبادات وذلك لأن كل أحد كان له سلطان على نفسه وماله وجوارحه يزول في القيامة سلطانه فلا يملك لنفسه نفعاً.

﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ۝٣٢ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ۝٣٣ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣٤ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ۝٣٥ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ۝٣٦﴾.

﴿خذوه﴾ حكاية لما يقول الله يومئذٍ لخزنة النار وهم الزبانية الموكلون على عذابه والهاء راجع إلى من الثاني أي خذوا العاصي لربه ﴿فغلوه﴾ بلا مهلة أي اجمعوا يديه إلى عنقه بالقيد والحديد وشدوه به يقال غل فلان وضع في عنقه أو يده الغل وهو بالضم الطوق من حديد الجامع لليد إلى العنق المانع عن تحرك الرأس وبالفتح دست باكردن بستن.

وفي الفقه وكره جعل الغل في عنق عبده لأنه عقوبة أهل النار وقال الفقيه إن في زماننا جرت العادة بذلك إذا خيف من الإباق كما في «الكبرى» بخلاف التقييد فإنه غير مكروه لأنه سنة المسلمين في المتمردين.

﴿ثم الجحيم صلوه﴾ دل التقديم على التخصيص والمعنى لا تصلوه أي لا تدخلوه إلا

الجحيم ولا تحرقوه إلا فيها وهي النار العظمى ليكون الجزاء على وفق المعصية حيث كان يتعظم على الناس قال سعدي المفتي فيكون مخصوصاً بالمتعظمين وفيه بحث انتهى. وقد مر جوابه.

﴿ثم في سلسلة﴾ من نار وهي حلق منتظمة كل حلقة منها في حلقة والجار متعلق بقوله ﴿فاسلكوه﴾ والفاء ليست بمانعة عن التعلق ﴿ذرعها﴾ طولها وبالفارسية كزان.

والذراع ككتاب ما يذرع به حديداً أو قضيباً وفي «المفردات» الذراع العضو المعروف ويعبر به عن المذروع والممسوح يقال ذراع من الثوب والأرض والذرع پيمودن.

قوله ذرعها مبتدأ خبره قوله ﴿سبعون﴾ والجملة في محل الجر على أنها صفة سلسلة وقوله ﴿ذراعاً﴾ تمييز ﴿فاسلكوه﴾ السلك هو الإدخال في الطريق والخيط والقيد وغيرها ومعنى ثم الدلالة على تفاوت ما بين العذابين الغل وتصلية الجحيم وما بينهما وبين السلك في السلسلة في الشدة لا على تراخي المدة يعني أن ثم أخرج عن معنى المهلة لاقتضاء مقام التهويل ذلك إذ لا يناسب التوعد بتفرق العذاب قال ابن الشيخ: إن كلمتي ثم والفاء إن كانتا لعطف جملة فاسلكوه لزم اجتماع حرفي العطف وتواردهما على معطوف واحد ولا وجه له فينبغي أن يكون كلمة ثم لعطف مضمر على مضمر قبل قوله ﴿خذوه﴾ أي قيل لخزنة النار: خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم قيل لهم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه فيكون الفاء لعطف المقول على المقول مع إفادة معنى التعقيب وكلمة ثم لعطف القول على القول مع الدلالة على أن الأمر الأخير أشد وأهول مما قبله من الأوامر مع تعاقب المأمور بها من الأخذ وجعل يده مغلولة إلى عنقه وتصلية الجحيم وسلكهم إياه السلسلة الموصوفة والمعنى فأدخلوه فيها بأن تلفوها على جسده وتجعلوه محاطاً بها فهو فيما بينها مرهق مضيق عليه لا يستطيع حراكاً كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن أهل النار يكونون في السلسلة كما يكون الثعلب في الجلبة والثعلب طرف خشبة الرمح الداخل في الجلبة السنان وهي الدرع وذلك إنما يكون رهقاً أي غشية، وبالفارسية: پس در آريد اورادران يعني درجسد أو پيچيد محكم تا حركت نتواندكرد.

وتقديم السلسلة على السلك كتقديم الجحيم على التصلية في الدلالة على الاختصاص والاهتمام بذكر ألوان ما يعذب به أي لا تسلكوه إلا في هذه السلسلة لأنها أفظع من سائر مواضع الإرهاق في الجحيم وجعلها سبعين ذراعاً إرادة الوصف بالطول كما قال إن تستغفر لهم سبعين مرة يريد مرات كثيرة لأنها إذا طالت كان الإرهاق أشد فهو كناية عن زيادة الطول لشيوع استعمال السبعة والسبعين والسبعمائة في التكثير وقال سعدي المفتي الظاهر أنه لا منع من الحمل على ظاهره من العدد، قال الكاشفي: يعني بذراع ملك كه هر ذراعي هفتاد باعست وهرباعي ازكوفه تامكه.

وقال بعض المفسرين هي بالذراع المعروفة عندنا وإنما خوطبنا بما نعرفه ونحصله وقال الحسن قدس سره الله أعلم بأي ذراع هي وعن كعب لو جمع حديد الدنيا ما وزن حلقة منها ولو وضعت منها حلقة على جبل لذاب مثل الرصاص تدخل السلسلة في فيه وتخرج من دبره ويلوي فضلها على عنقه وجسده ويقرن بها بينه وبين شيطانه.

يقول الفقير هذا يقتضي أن يكون ذلك عذاب الكافر لأن جسده يكون في العظم مسيرة

ثلاثة أيام وضرسه مثل جبل أحد على ما جاء في الحديث وعن النبي عليه السلام قال لو أن رضراضة أي صخرة قدر رأس الرجل وفي رواية لو أن رضراضة مثل هذه وأشار إلى صخرة مثل الجمجمة سقطت من السماء إلى الأرض وهي خمسمائة عام لبلغت الأرض قبل الليل ولو أنها أرسلت من رأس السلسلة لسارت أربعين خريفاً الليل والنهار قبل أن تبلغ أصلها وقعرها قال الشراح اللام في السلسلة في هذا الحديث للعهد إشارة إلى السلسلة التي ذكرها الله في قوله **﴿ثم في سلسلة﴾** الخ.

روي أن شاباً قد حضر صلاة الفجر مع الجماعة خلف واحد من المشايخ فقرأ ذلك الشيخ سورة الحاقة فلما بلغ إلى قوله تعالى: **﴿خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه﴾** صاح الشاب وسقط وغشي عليه فلما أتم الشيخ صلاته قال: من هذا؟ قالوا: هو شاب صالح خائف من الله تعالى وله والدة عجوز ليس لها غيره قال الشيخ: ارفعوه واحملوه حتى نذهب به إلى أمه ففعلوا ما أمر به الشيخ فلما رأت أمه ذلك فزعت وأقبلت وقالت: ما فعلتم بابني قالوا ما فعلنا به شيئاً إلا أنه حضر الجماعة وسمع آية مخوفة من القرآن فلم يطق سماعها فكان هكذا بأمر الله فقالت آية آية هي فاقرؤوها حتى أسمع فقرأها الشيخ فلما وصلت الآية إلى سمع الشاب شهق شهقة أخرى خرجت معها روحه بأمر الله فلما رأت الأم ذلك خرت ميتة.

وفي «التأويلات النجمية»: قوله **﴿ثم في سلسلة﴾** الخ. يشير إلى كثرة أخلاقه السيئة وأوصافه الرديئة وأحكام طبيعته الظلمانية إذ هي يوم القيامة كلها سلاسل العذاب وأغلال الطرد والحجاب **﴿إنه﴾**. بدرستى كه اين كس. كأنه قيل ما له يعذب بهذا العذاب الشديد فأجيب بأنه **﴿كان لا يؤمن بالله العظيم﴾** وصفه تعالى بالعظم للإيذان بأنه المستحق للعظمة فحسب فمن نسبها إلى نفسه استحق أعظم العقوبات.

﴿ولا يحض على طعام المسكين﴾ الحض الحث على الفعل بالحرص على وقوعه قال الراغب: الحض التحريك كالحث إلا أن الحث يكون بسير وسوق والحض لا يكون بذلك وأصله من الحث على الحضيض وهو قرار الأرض والمعنى ولا يحث أهله وغيرهم على إعطاء طعام يطعم به الفقير فضلاً عن أن يعطي ويبذل من ماله على أن يكون المراد من الطعام العين فأضمر مثل إعطاء أو بذل لأن الحث والتحريض لا يتعلق بالأعيان بل بالأحداث وأضيف الطعام إلى المسكين من حيث أن له آلية نسبة أو المعنى ولا يحثهم على إطعامه على أن يكون اسماً وضع موضع الإطعام كما يوضع العطاء موضع الإعطاء فالإضافة إلى المفعول وذكر الحض دون الفعل ليعلم أن تارك الحض بهذه المنزلة فيكف بتارك الفعل يعني يكون ترك الفعل أشد من أن يكون سبب المؤاخذة الشديدة وجعل حرمان المسكين قرينة للكفر حيث عطفه عليه للدلالة على عظم الجرم ولذلك قال عليه السلام: البخل كفر والكافر في النار فتخصيص الأمرين بالذكر لما أن أقبح العقائد الكفر وأشنع الرذائل البخل والعطف للدلالة على أن حرمان المسكين صفة الكفرة كما في قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٦ ـ ٧] فلا يلزم أن يكون الكفار مخاطبين به بالفروع وفي «عين المعاني» وبه تعلق الشافعي في خطاب الكفار بالشرائع ولا يصح عندنا لأن توجيه الخطاب بالأمر ولا أمر ههنا على أنه ذكر الإيمان مقدماً وبه نقول انتهى. وقال ابن الشيخ: فيه دليل على تكليف الكفار بالفروع على معنى أنهم يعاقبون على ترك الامتثال بها كعدم إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والانتهاء

عن الفواحش والمنكرات لا على معنى أنهم يطالبون بها حال كفرهم فإنهم غير مكلفين بالفروع بهذا المعنى لانعدام أهلية الأداء فيهم لأن مدار أهلية الأداء هو استحقاق الثواب بالأداء ولا ثواب لأعمال الكفار وأهلية الوجوب لا تستلزم أهلية الأداء كما تقرر في الأصول انتهى. والحاصل أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة لا غير وعن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه كان يحض امرأته على تكثير المرق لأجل المساكين وكان يقول خلعنا نصف السلسلة بالإيمان أفلا نخلع نصفها الآخر بالإطعام والحض عليه.

جـــوى بـــازدارد بـــلاي درشـــت عـصـايـى شـنـيـدي كـه عـوجي بـكـشـت

كـســي نـيـك بـيـنـد بـهـردو سـراى كـه نـيـكـى رسـانـد بـخـلـق خـداي

﴿**فليس له اليوم**﴾ وهو يوم القيامة ﴿**ههنا**﴾ أي في هذا المكان وهو مكان الأخذ والغل ﴿**حميم**﴾ أي قريب نسباً أو وداً يحميه ويدفع عنه ويحزن عليه لأن أولياءه يتحامونه ويفرون منه كقوله ﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا﴾ [المعارج: ١٠] وقال في «عين المعاني» قريب يحترق له قلبه من حميم الماء وقال القاشاني: لاستيحاشه من نفسه فكيف لا يستوحش غيره منه وهو من تتمة ما يقال للزبانية في حقه إعلاماً بأنه محروم من الرحمة وحثاً لهم على بطشه ﴿**ولا طعام إلا من غسلين**﴾ قال في «القاموس»: الغسلين بالكسر ما يغسل من الثوب ونحوه كالغسالة وما يسيل من جلود أهل النار والشديد الحر وشجر في النار انتهى. والمعنى ولا طعام إلا من غسالة أهل النار وما يسيل من أبدانهم من الصديد والدم بعصر قوة الحرارة النارية وبالفارسية زردابه وريمى كه ازتنهاى ايشان ميرود.

روي أنه لو وقعت قطرة منه على الأرض لأفسدت على الناس معايشهم يقال للنار دركات ولكل دركة نوع طعام وشراب وسيجيء وجه التلفيق بينه وبين قوله ليس لهم طعام إلا من ضريع في الغاشية وهو فعلين من الغسل فالياء والنون زائدتان وفي «الكواشي» أو نونه غير زائدة وهو شجر في النار وهو من أخبث طعامهم والظاهر أن الاستثناء متصل إن جعل الطعام شاملاً للشراب كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّىٓ﴾ [البقرة: ٢٤٩] فإنهم مفسروه بمن لم يذقه من طعم الشيء إذا ذاقه مأكولاً كان أو مشروباً.

﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿**لا يأكله إلا الخاطئون**﴾ صفة غسلين والتعبير بالأكل باعتبار ذكر الطعام أي لا يأكل ذلك الغسلين إلا الآثمون أصحاب الخطايا وهم المشركون كما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما وقد جوز أن يراد بهم الذين يتخطون الحق إلى الباطل ويتعدون حدود الله من خطىء الرجل من باب علم إذا تعمد الخطأ أي الذنب فالخاطىء هو الذي يفعل ضد الصواب متعمداً لذلك والمخطىء هو الذي يفعله غير متعمد أي يريد الصواب فيصير إلى غيره من غير قصد كما يقال المجتهد قد يخطىء وقد يصيب وفي «عين المعاني» الخاطئون طريق التوحيد.

وفي «التأويلات النجمية»: ولا يحض مساكين الأعضاء والجوارح بالأعمال الصالحات والأقوال الصادقات والأحوال الصافيات فليس له اليوم ههنا من يعينه ويؤنسه لأن المؤنس ليس إلا الأعمال والأحوال ولا طعام لنفسه الميشومة إلا غسالة أعماله وأفعاله القبيحة الشنيعة لا يأكله إلا المتجاوزون عن أعمال الروح والقلب القاصدون مراضي النفس والهوى متبعون

للشهوات الجسمانية واللذات الحيوانية.

﴿فلا أقسم﴾ أي فأقسم على أن لا مزيدة للتأكيد وأما حمله على معنى نفي الإقسام لظهور الأمر واستغنائه عن التحقيق بالقسم فيرده تعيين المقسم به بقوله ﴿بما﴾ الخ وقال بعضهم هو جملتان والتقدير وما قاله المكذبون فلا يصح إذ هو قول باطل ثم قال أقسم ﴿بما تبصرون وما لا تبصرون﴾ قسم عظيم لأنه قسم بالأشياء كلها على سبيل الشمول والإحاطة لأنها لا تخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر فالمبصر المشاهدات وغير المبصر المغيبات فدخل فيهما الدنيا والآخرة والأجسام والأرواح والإنس والجن والخلق والخالق والنعم الظاهرة والباطنة وغير ذلك مما يكون لائقاً بأن يكون مقسماً به إذ من الأشياء ما لا يليق بأن يكون مقسماً به وإليه الإشارة بقول القاشاني: أي الوجود كله ظاهراً وباطناً وبقول ابن عطاء آثار القدرة وأسرارها وبقول الشيخ نجم الدين: بما تبصرون من المشهودات والمحسوسات بأبصار الظواهر وما لا تبصرون من المغيبات ببصائر البواطن يعني بالمظاهر الاسمائية والمظاهر الذاتية وبقول الحسين أي بما أظهر الله لملائكته والقلم واللوح وبما اختزن في علمه ولم يجر القلم به ولم تشعر الملائكة بذلك وما أظهر الله للخلق من صفاته وأراهم من صنعه وأبدى لهم من علمه في جنب ما اختزن عنهم إلا كذرة في جنب الدنيا والآخرة ولو أظهر الله ما اختزن لذابت الخلائق عن آخرهم فضلاً عن حمله وقال الشيخ أبو طالب المكي قدس سره في قوت القلوب: إذا كان العبد من أهل العلم بالله والفهم عنه والسمع منه والمشاهدة له شهد ما غاب عن غيره وأبصر ما عمي عنه سواء كما قال تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [الحاقة: ٣٨ - ٣٩].

﴿إنه﴾ أي القرآن ﴿لقول رسول﴾ وقوله قول الحق كما قال: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾ [النجم: ٣] وكما قال: ﴿فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦] وفي «كشف الأسرار» أضاف القول إليه لأنه لما قال قول رسول اقتضى مرسلاً وكان معلوماً أن ما يقرأه كلام مرسله وإنما هو مبلغه فالإضافة الاختصاصية إلى رسول الله تدل على اختصاص القول بالرسول من حيث التبليغ ليس إلا إذ شأن الرسول التبليغ لا الاختراع وقد يأتي القول في القرآن والمراد به القراءة قال الله تعالى: ﴿حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾ [النساء: ٤٣] أي ما تقرؤون في صلاتكم ﴿كريم﴾ على الله تعالى يعني بزركوار نزدخداي تعالى.

وهو النبي عليه السلام، ويدل عليه مقابلة رسول بشاعر وكاهن لأن المعنى على إثبات أنه رسول لا شاعر ولا كاهن ولم يقولوا لجبريل شاعر ولا كاهن وقيل هو جبريل أي هو قول جبريل الرسول الكريم وما هو من تلقاء محمد كما تزعمون وتدعون أنه شاعر أو كاهن فالمقصود حينئذٍ إثبات حقية القرآن وأنه من عند الله والحاصل أن القرآن كلام الله حقيقة، أظهر في اللوح المحفوظ وكلام جبريل أيضاً من حيث أنه أنزله من السماوات إلى الأرض وتلاه على خاتم النبيين وكلام سيد المرسلين أيضاً من حيث أنه أظهره للخلق ودعا الناس إلى الإيمان به وجعله حجة لنبوته.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوْلِ كَاهِنٍ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

﴿وما هو بقول شاعر﴾ كما تزعمون تارة. قال الكاشفي: چنانچه أبو جهل ميكويد وسبق

معنى الشعر في يس ﴿قليلاً ما تؤمنون﴾ إيماناً قليلاً تؤمنون بالقرآن وكونه كلام الله أو بالرسول وكونه مرسلاً من الله والمراد بالقلة النفي أي لا تؤمنون أصلاً كقولك لمن لا يزورك قلما تأتينا وأنت تريد لا تأتينا أصلاً.

يقول الفقير: يجوز عندي أن تكون قلة الإيمان باعتبار قلة المؤمن بمعنى أن القليل منكم يؤمنون وقس عليه نظائره ﴿ولا بقول كاهن﴾ كما تدعون ذلك تارة أخرى.

قال الكاشفي: چنانچه عقبة بن أبي معيط كمان ميبرد.

كرر القول مبالغة في إبطال أقاويلهم الكاذبة على القرآن الحق والرسول الصادق والكاهن هو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب وفي «كشف الأسرار» الكاهن هو الذي يزعم أن له خدماً من الجن يأتونه بضرب من الوحي وقد انقطعت الكهانة بعد نبينا محمد عليه السلام، لأن الجن حبسوا ومنعوا من الاستماع انتهى. وقال الراغب في «المفردات»: الكاهن الذي يخبر بالأخبار الماضية الخفية بضرب من الظن كالعراف الذي يخبر بالأخبار المستقبلة على نحو ذلك ولكون هاتين الصناعتين مبنيتين على الظن الذي يخطىء ويصيب قال عليه السلام: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما قال فقد كفر بما أنزل الله على محمد» ويقال كهن فلان كهانة إذا تعاطى ذلك وكهن إذا تخصص بذلك وتكهن تكلف ذلك انتهى. وفي «شرح المشارق» لابن الملك العراف من يخبر بما أخفي من المسروق ومكان الضالة والكاهن من يخبر بما يكون في المستقبل، وفي «الصحاح»: العراف الكاهن ﴿قليلاً ما تذكرون﴾ أي: تذكراً قليلاً أو زماناً قليلاً تتذكرون أي لا تتذكرون أصلاً.

قال الكاشفي: اندكى پندميكيريد يعني پندكير نمى شويد.

«وفي كشف الأسرار»: اندك پندمى پذيريد ودرمى بابيد.

«وفي تاج المصادر»: التذكر يادكردن ويا ياد آوردن وپندكرفتن ومذكرشدن كلمهٔ كه مؤنث بود.

وقال بعضهم المراد من الإيمان القليل إيمانهم واستيقانهم بأنفسهم وقد جحدوا بألسنتهم لا معنى النفي وقال بعضهم: إن كان المراد منه الإيمان الشرعي فالتقليل للنفي وإن كان اللغوي فالتقليل على حاله لأنهم كانوا يصدقون ببعض أحكام القرآن كالصلة والخير والعفاف ونحوها ويكذبون ببعضها كالوحدة والحقانية والبعث ونحوها وعلى هذا التذكر قيل ذكر الإيمان مع نفي الشاعرية والتذكر مع نفي الكاهنية لما أن عدم مشابهة القرآن الشعر أمر بين لا ينكره إلا معاند فلا مجال فيه لتوهم عذر لترك الإيمان فلذلك وبخوا عليه وعجب منه بخلاف مباينته للكهانة فإنها تتوقف على تذكر أحواله عليه السلام، ومعاني القرآن المنافية لطريقة الكهنة، ومعاني أقوالهم فالكاهن ينصب نفسه للدلالة على الضوائع والأخبار بالمغيبات يصدق فيها تارة ويكذب كثيراً ويأخذ جعلاً على ذلك ويقتصر على من يسأله وليس واحد منها من دأبه عليه السلام.

والحاصل: أن الكاهن من يأتيه الشياطين ويلقون إليه من أخبار السماء فيخبر الناس بما سمعه منهم وما يلقيه عليه السلام، من الكلام مشتمل على ذم الشياطين وسبهم فكيف يمكن أن يكون ذلك بإلقاء الشياطين فإنهم لا ينزلون شيئاً فيه ذمهم وسبهم لا سيما على من يلعنهم ويطعن فيهم وكذا معاني ما يلقيه عليه السلام منافية لمعاني أقوال الكهنة فإنهم لا يدعون إلى تهذيب الأخلاق وتصحيح العقائد والأعمال المتعلقة بالمبدأ والمعاد بخلاف معاني قوله عليه

السلام، فلو تذكر أهل مكة معاني القرآن ومعاني أقوال الكهنة لما قالوا بأنه كاهن وفي «برهان القرآن» خص ذكر الشعر بقوله ﴿ما تؤمنون﴾ لأن من قال القرآن شعر ومحمد عليه السلام شاعر بعدما علم اختلاف آيات القرآن في الطول والقصر واختلاف حروف مقاطعه فلكفره وقلة إيمانه فإن الشعر كلام موزون مقفى وخص ذكر الكهانة بقول ﴿ما تذكرون﴾ لأن من ذهب إلى أن القرآن كهانة وأن محمداً عليه السلام، كاهن فهو ذاهل عن ذكر كلام الكهان فإنه إسجاع لا معاني تحتها وأوضاع تنبو الطباع عنها ولا يكون في كلامهم ذكر الله انتهى.

قال المولى أبو السعود في «الإرشاد»: وأنت خبير بأن ذلك أيضاً مما لا يتوقف على تأمل قطعاً انتهى. أي فتعليلهم بالفرق غير صحيح وفيه أن الإنابة شرط للتذكر كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣] والكافر ليس من أهل الإنابة وأيضاً ما يذكر إلا أولو الألباب أي أولو العقول الزاكية والقلوب الطاهرة والكافر ليس منهم فليس من أهل التذكر ولا شك أن كون الشيء أمراً بيناً لا ينافي التذكر ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢] مع أن شواهد الألوهية ظاهرة لكل بصير باهرة عند كل خبير على أنه يظهر من تقريراتهم أنه لا بد من التذكر في نفي الكهانة لخفاء أمرها في الجملة بالنسبة إلى الشعر والعلم عند الله العلام.

﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿تنزيل﴾ أي هو منزل فعبر عن المفعول بالمصدر مبالغة. ﴿من رب العالمين﴾ نزله على لسان جبريل تربية للسعداء وتبشيراً لهم وإنذاراً للأشقياء كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾ [الشعراء: ١٩٣ ـ ١٩٤] وقال تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الفتح: ٨].

﴿ولو تقول علينا بعض الأقاويل﴾ كما يتقوله الشعراء أي ولو ادعى محمد علينا شيئاً لم نقله كما تزعمون كما قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الطور: ٣٣] وفي ذكر البعض إشارة إلى أن القليل كاف في المؤاخذة الآتية فضلاً عن الكثير سمي الافتراء تقولاً وهو بناء التكلف لأنه قول متكلف، كما قال «صاحب الكشاف»: التقول افتعال القول لأن فيه تكلفاً من المفتعل وسميت الأقوال المفتراة أقاويل تحقيراً لها لأن صيغة أفعولة إنما تطلق على محقرات الأمور وغرائبها كالأعجوبة لما يتعجب منه والأضحوكة لما يضحك منه وكان الأقاويل جمع أقوولة من القول وإن لم يثبت عن نقلة اللغلة ولم يكن أقوولة مستعملاً لكن كونه على صورة جمع أفعولة كاف في التحقير ويؤيد أنه ليس جمع الأقوال لزوم أن لا يعاقب بما دون ثلاثة أقوال فالأقاويل ههنا بمعنى الأقوال لا أنه جمعه وفي «حواشي» ابن الشيخ الظاهر أن الأقاويل جمع أقوال جمع قول كأناعيم جمع أنعام جمع نعم.

﴿لأخذنا منه﴾ حال من قوله ﴿باليمين﴾ أي بيمينه وقال سعدي المفتي هو من باب ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ [الشرح: ١] في التفصيل بعد الإجمال.

﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ أي نياط قلبه بضرب عنقه والنياط عرف أبيض غليظ كالقصبة علق به القلب إذا انقطع مات صاحبه وفي «المفردات» الوتين عرق يسقي الكبد إذا انقطع مات صاحبه ولم يقل لأهلكناه أو لضربنا عنقه لأنه تصوير لإهلاكه بأفظع ما يفعله الملوك بمن

يغضبون عليه وهو أن يأخذ القتال بيمينه ويكفحه بالسيف ويضرب عنقه فإنه إذا أراد أن يوقع الضرب في قفاء أخذ بيساره وإذا أراد أن يوقعه في جيده وأن يكفحه بالسيف أي يواجهه وهو أشد من المصبور لنظره إلى السيف أخذ بيمينه فلذا خص اليمين دون اليسار وفي «المفردات» لأخذنا منه باليمين أي منعناه ودفعناه فعبر عن ذلك بالأخذ باليمين كقولك خذ بيمين فلان انتهى. وقيل اليمين بمعنى القوة، فالمعنى لانتقمنا بقوتنا وقدرتنا وقيل المعنى حينئذٍ لأخذنا منه اليمين وسلبنا منه القوة والقدرة على التكلم بذلك على أن الباء صلة أي زائدة وعبر عن القوة باليمين لأن قوة كل شيء في ميامنه فيكون من قبيل ذكر المحل وإرادة الحال أو ذكر الملزوم وإرادة اللازم.

﴿فما منكم﴾ أيها الناس ﴿من أحد عنه﴾ أي: عن القتل أو المقتول وهو متعلق بقوله: ﴿حاجزين﴾ دافعين وهو وصف لأحد فإنه عام لوقوعه في سياق النفي كما في قوله عليه السلام: «لم تحل الغنائم لأحد أسود الرأس غيرنا» فمن أحد في موضع الرفع بالابتداء ومن زائدة لتأكيد النفي ومنكم خبره والمعنى فما منكم قوم يحجزون عن المقتول أو عن قتله وإهلاكه المدلول عليه بقوله ﴿ثم لقطعنا منه الوتين﴾ أي لا يقدر على الحجز والدفع وهذا مبني على أصل بني تميم فإنهم لا يعلمون ما لدخولها على القبيلتين وقد يجعل حاجزين خبراً لما على اللغة الحجازية ولعله أولى فتكون كلمة ما هي المشبهة بليس فمن أحد اسم ما وحاجزين منصوب على أنه خبرها ومنكم حال مقدم وكان في الأصل صفة لأحد وفي الآية تنبيه على أن النبي عليه السلام لو قال من عند نفسه شيئاً أو زاد أو نقص حرفاً واحداً على ما أوحي إليه لعاقبه الله وهو أكرم الناس عليه فما ظنك بغيره ممن قصد تغيير شيء من كتاب الله أو قال شيئاً من ذات نفسه كما ضل بذلك بعض الفرق الضالة.

﴿وَإِنَّهُۥ لَتَذْكِرَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَسْرَةٌ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَحَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لتذكرة﴾ موعظة وبالفارسية پنديست ﴿للمتقين﴾ لمن اتقى الشرك وحب الدنيا فإنه يتذكر بهذا القرآن وينتفع به بخلاف المشرك ومن مال إلى الدنيا وغلبه حبها فإنه يكذب به ولا ينتفع وفي «تاج المصادر» التذكير والتذكرة باياد دادن وحرف را مذكر كردن.
ومنه الحديث فذكروه أي فأجلوه لأن في تذكير الشي إجلالاً له.

﴿وإنا لنعلم أن منكم مكذبين﴾ أي منكم أيها الناس مكذبين بالقرآن فنجازيهم على تكذيبهم قال مالك رحمه الله ما أشد هذه الأمة على هذه الآية وفيه إشارة إلى مكذبي الإلهام أيضاً فإنهم ملتحقون بمكذبي الوحي لأن الكل من عند الله لكن أهل الاحتجاب لا يبصرون النور كالأعمى فكيف يقرون.

﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لحسرة﴾ وندامة يوم القيامة ﴿على الكافرين﴾ المكذبين له عند مشاهدتهم لثواب المؤمنين المصدقين به وفي الدنيا أيضاً إذا رأوا دولة المؤمنين ويجوز أن يرجع الضمير إلى التكذيب المدلول عليه بقوله مكذبين.

﴿وإنه﴾ أي: القرآن ﴿لحق اليقين﴾ أي: لليقين الذي لا ريب فيه فالحق واليقين صفتان بمعنى واحد أضيف أحدهما إلى الآخر إضافة الشي إلى نفسه كحب الحصيد للتأكيد فإن الحق

هو الثابت الذي لا يتطرق إليه الريب وكذا اليقين قال الراغب في «المفردات»: اليقين من صفة العلم فوق المعرفة والدراية وأخواتهما يقال علم اليقين عين اليقين حق اليقين وبينها فرق مذكور في غير هذا الكتاب انتهى. وقد سبق الفرق من «شرح الفصوص» في آخر سورة الواقعة فارجع وقال الإمام: معناه أنه حق يقين أي حق لا بطلان فيه ويقين لا ريب فيه ثم أضيف أحد الوصفين إلى الآخر للتأكيد وقال الزمخشري لليقين حق اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم ويراد به البليغ الكامل في شأنه وفي «تفسير القاشاني» محض اليقين وصرف اليقين كقولك هو العالم حق العالم وجد العالم أي خلاصة العالم وحقيقته من غير شوب شي آخر وقال الجنيد قدس سره حق اليقين ما يتحقق العبد بذلك معرفة بالحق وهو أن يشاهد الغيوب كمشاهدته للمرئيات مشاهدة عيان ويحكم على المغيبات ويخبر عنها بالصدق كما أخبر الصديق الأكبر في مشاهدة النبي عليه السلام، حين سأله: «ماذا أبقيت لنفسك قال الله ورسوله» فأخبر عن تحققه بالحق وانقطاعه عن كل ما سوى الله ووقوفه على الصدق معه ولم يسأله النبي عليه السلام، عن كيفيته ما أشار إليه ما عرف من صدقه وبلوغه المنتهى فيه ولما سأل عليه السلام حارثة «كيف أصبحت»؟ قال: «أصبحت مؤمناً حقاً» فأخبر عن حقيقة إيمانه فسأله عليه السلام، عن ذلك لما كان يجد في نفسه من عظيم دعواه ثم لما أخبر لم يحكم له بذلك فقال: «عرفت فالزم» أي عرفت الطريق إلى حقيقة الإيمان فالزم الطريق حتى تبلغ إليه وكان يرى حال أبي بكر رضي الله عنه مستوراً من غير استخبار عنه ولا استكشاف لما علم من صدقه فيما ادعى وهذا مقام حق اليقين واليقين اسم للعلم الذي زال عنه اللبس ولهذا لا يوصف علم رب العزة باليقين.

﴿**فسبح باسم ربك العظيم**﴾ أي: فسبح الله بذكر اسم العظيم بأن تقول سبحانه الله تنزيهاً له عن الرضى بالتقول لله وشكراً على ما أوحى إليك فمفعول سبح محذوف والباء في باسم ربك للاستعانة كما في ضربته بالسوط فهو مفعول ثان بواسطة حرف الجر على حذف المضاف والعظيم صفة الاسم ويحتمل أن يكون صفة ربك ويؤيده ما روي أن رسول الله عليه السلام قال لما نزلت هذه الآية: «اجعلوها في ركوعكم» فالتزم ذلك جماعة العلماء كما في «فتح الرحمن»، وقال في «التأويلات النجمية»: نزه وقدس تنزيهاً في عين التشبيه اسم ربك أي مسمى ربك إذا لاسم عين المسمى عند أرباب الحق وأهل الذوق وقال القاشاني: نزه الله وجرده عن شوب الغيب بذلك الذي هو اسمه الأعظم الحاوي للأسماء كلها بأن لا يظهر في شهودك تلوين من النفس أو القلب فتحجب برؤية الاثنينية أو الأثانية وإلا كنت مشبهاً لا مسبحاً روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه قال: خرجت يوماً بمكة متعرضاً لرسول الله ﷺ فوجدته قد سبقني إلى المسجد فجئت فوقفت وراءه فافتتح سورة الحاقة فلما سمعت سرد القرآن، قلت في نفسي إنه لشاعر كما يقول قريش حتى بلغ إلى قوله: ﴿**إنه لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلاً ما تؤمنون ولا بقول كاهن قليلاً ما تذكرون تنزيل من رب العالمين**﴾ ثم مر حتى انتهى إلى آخر السورة فأدخل الله في قلبي الإسلام.

تمت سورة الحاقة بعون الله تعالى في السابع عشر من شهر رمضان
من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

٧٠ ـ سورة المعارج

أربع وأربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ﴿١﴾ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ﴿٢﴾ مِّنَ ٱللَّهِ ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ﴿٤﴾﴾.

﴿**سأل سائل بعذاب واقع**﴾ من السؤال بمعنى الدعاء والطلب يقال دعا بكذا استدعاه وطلبه ومنه قوله تعالى: ﴿يَدۡعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٖ﴾ [الدخان: ٥٥] أي: يطلبون في الجنة كل فاكهة والمعنى دعا داع بعذاب واقع نازل لا محالة سواء طلبه أو لم يطلبه أي استدعاه وطلبه ومن التوسعات الشائعة في لسان العرب حمل النظير على النظير وحمل النقيض على النقيض فتعدية سأل بالباء من قبيل التعدية بحمل النظير على النظير فإنه نظير دعا وهو يتعدى بالباء لا من قبيل التعدية بالتضمين بأن ضمن سأل معنى دعا فعدي تعديته كما زعمه صاحب «الكشاف» لأن فائدة التضمين على ما صرح به ذلك الفاضل في تفسير سورة النحل إعطاء مجموع المعنيين ولا فائدة في الجمع بين معنى سأل ودعا، لأن أحدهما يغني عن الآخر، والمراد بهذا السائل على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما واختاره الجمهور هو النضر بن الحارث من بني عبد الدار حيث قال إنكاراً واستهزاء: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿٣٢﴾﴾ [الأنفال: ٣٢] وصيغة الماضي وهو واقع دون سيوقع للدلالة على تحقق وقوعه إما في الدنيا وهو عذاب يوم بدر فإن النضر قتل يومئذٍ صبراً وإما في الآخرة وهو عذاب النار وعن معاوية أنه قال لرجل من أهل سبأ ما أجهل قومك حين ملكوا عليهم امرأة قال أجهل من قومي قومك قالوا لرسول الله عليه السلام، حين دعاهم إلى الحق إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء ولم يقولوا إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا له، وقيل السائل هو الرسول عليه السلام، استعجل بعذابهم وسأل أن يأخذهم الله أخذاً شديداً ويجعله سنين كسني يوسف وإن قوله تعالى: ﴿**سأل سائل**﴾ حكاية لسؤالهم المعهود على طريقة قوله تعالى ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ﴾ [الأعراف: ١٨٧] وقوله تعالى ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ﴾ [يونس: ٤٨] ونحوهما إذ هو المعهود بالوقوع على الكافرين لا ما دعا به النضر فالسؤال بمعناه وهو التفتيش والاستفسار لأن الكفرة كانوا يسألون النبي عليه السلام، وأصحابه إنكاراً واستهزاء عن وقوعه وعلى من ينزل ومتى ينزل والباء بمعنى عن كما في قوله تعالى ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [الفرقان: ٥٩] أي فاسأل عنه لأن الحروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض باتفاق العلماء وعن الإمام الواحدي أن الباء في بعذاب زائدة للتأكيد كما في قوله تعالى:

﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾ [مريم: ٢٥] أي عذاباً واقعاً كقولك سألته الشيء وسألته عن الشيء.

﴿للكافرين﴾ أي: عليهم فاللام بمعنى على كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ أَسَأۡتُمۡ﴾ [الإسراء: ٧] فلها أي فعليها أو بهم فاللام بمعنى الباء على ما ذهب بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ [البينة: ٥] أي: بأن يعبدوا الله أو على معناه أي نازل لأجل كفرهم ومتعلقه على التقادير الثلاثة هو واقع قال بعض العارفين بهذا وصف أهل الأمل والظن الكاذب الذين يظنون أنهم يتركون في قبائح أعمالهم وهم لا يعذبون. ﴿ليس له﴾ أي لذلك العذاب ﴿دافع من الله﴾ أي من جهته تعالى إذا جاء وقته وأوجبت الحكمة وقوعه ﴿ذي المعارج﴾ صفة لله لأنه من الأسماء المضافة مثل فالق الإصباح وجاعل الليل سكناً ونحوهما والمعارج جمع معرج بفتح الميم هنا بمعنى مصعد وهو موضع الصعود، قال الراغب: العروج ذهاب في صعود والمعارج المصاعد ومعنى ذي المعارج بالفارسية خداوند درجهاى بلند است.

والمراد الأفلاك التسعة المرتبة بعضها فوق بعض وهي السماوات السبع والكرسي والعرش ﴿تعرج الملائكة﴾ المأمورون بالنزول والعروج دون غيرهم من المهيمين ونحوهم لأن من الملائكة من لا ينزل من السماء أصلاً ومنهم من لا يعرج من الأرض قطعاً ﴿والروح﴾ أي جبريل أفرده بالذكر لتميزه وفضله كما في قوله تعالى: ﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ﴾ [القدر: ٤] فقد ذكر مع نزولهم في آية وعروجهم في أخرى ﴿إليه﴾ أي يعرجون من مسقط الأمر إلى عرشه وإلى حيث تهبط منه أوامره كقول إبراهيم عليه السلام، ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي﴾ [الصافات: ٩٩] أي إلى حيث أمرني ربي بالذهاب إليه فجعل عروجهم إلى العرش عروجاً إلى الرب لأن العرش مجلى صفة الرحمانية فمنه تبتدأ الأحكام وإلى حيث شاء الله تعالى تهبط الملائكة بأعمال بني آدم إلى الله تعالى والروح إليها ناظر في ذلك المشهد.

في يوم متعلق بتعرج كإلى ﴿كان مقداره خمسين ألف سنة﴾ مما يعده الناس كما صرح به قوله تعالى: ﴿فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [السجدة: ٥] وقوله: ﴿خمسين﴾ خبر كان وهو من باب التشبيه البليغ والأصل كمقدار مدة خمسين ألف سنة.

واعلم أن تحقيق هذه الآية يستدعي تمهيد مقدمة وهي أن البروج اثنا عشر على ما أفاده هذا البيت وهو قوله:

چون حمل چون ثور وچون جوزا وسرطان وأسد
سنبله ميزان وعقرب قوس وجدي ودلو وحوت

وكان مبدأ الدولة العرشية من الميزان ومنه إلى الحوت أوجد الله فيه الأرواح السماوية والصور الأصلية الكلية المتعينة في جوف العرش ولكل برج يوم مخصوص به ومدة هذه البروج الستة وهي الميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت أحد وعشرون ألف سنة ومن الحمل إلى برج السنبلة في الحكم خمسون ألف سنة ومدة دور السنبلة سبعة آلاف سنة وهي الآخرة وفي أول هذه الدورة التي هي دور السنبلة بموجب الأمر الإلهي الموحى به هناك ظهر النوع الإنساني وبعث نبينا عليه السلام في الألف الآخر من السبعة وفي الأجزاء البرزخية بين أحكام دور السنبلة ودور الميزان المختص بالآخرة فإنه إذا تم دور البروج الاثني عشر ينتقل الحكم إلى الميزان وهو زمان القيامة الكبرى فأخذنا كفة الألف الأولى للدنيا في الدولة المحمدية والكفة الأخرى للآخرة والحشر أي أخذنا النصف الأول من ألف الميزان الثاني لهذه

النشأة والنصف الأخير منه للنشأة الآخرة ولهذا استقرت الأخبار في قيام الساعة وامتدادها إلى خمسمائة سنة بعد الألف وهي النصف الأول من الألف الثاني من الميزان الثاني ولم يتجاوز حد الدنيا ذلك عند أحد من علماء الشريعة فبعث النبي عليه السلام، في زمان امتزاج الدنيا بالآخرة كالصبح الذي هو أول النهار المشرع ومنه إلى طلوع الشمس نظراً لزمان الذي هو من المبعث إلى قيام الساعة فكما يزداد الضوء بعد طلوع الفجر بالتدريج شيئاً بعد شيء كذلك ظهور أحكام الآخرة من حين المبعث يزداد إلى زمان طلوع الشمس من مغربها كما أشار عليه السلام إليه بقوله «بعثت أنا والساعة كفرسي رهان» وبقوله «لا تقوم الساعة حتى يكلم الرجل عذبة سوطه وحتى يحدثه فخذه بما يصنع أهله بعده» وكذا يسمع جمهور الناس في آخر الزمان نطق الجمادات والنباتات والحيوانات على ما ورد في الأخبار الصحيحة فلليوم مراتب وأحكام.

فيوم كالآن وهو أدنى ما يطلق عليه الزمان ومنه يمتد الكل وهو المشار إليه بقوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فسمي الزمن الفرد يوماً لأن الشأن يحدث فيه وهو أصغر الأزمان وأدقها والساري في كل الأدوار سريان المطلق في المقيد.

ويوم كألف سنة وهو اليوم الإلهي ويوم الآخرة كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ﴾ [الحج: ٤٧] وقال: ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥﴾ [السجدة: ٥].

ويوم كخمسين ألف سنة وإلى ما لا يتناهى كيوم أهل الجنة فلا حد لأكبر الأيام يوقف عنده فهذا اليوم الذي كان مقداره خمسين ألف سنة هو يوم المعراج ويوم القيامة أيضاً.

درفتوحات آورده كه هراسمى را ازاسماء الهيه روزيست خاص كه تعلق بدوداردودر قرآن در روزاز إنها مذكوراست يوم الرب كه هزار سالست ويوم ذي المعارج كه پنجاه هزار سالست.

وكل ألف سنة دورة واحدة تقع فيها القيامة الصغرى لأهل الدنيا بتبديل الأحكام والشرائع وأنواع الهياكل والنفوس وكل سبعة آلاف سنة دورة لنوع خاص كالإنسان وكل خمسين ألف سنة دورة أيضاً تقع فيها القيامة الكبرى فيفنى العالم وأهله وكان عروج الملائكة من الأرض إلى السماء ونزولهم من السماء إلى الأرض لإجراء أحكام الله وإنفاذ أمره في مدة البروج الستة الآخر التي هي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة وهي خمسون ألف سنة كما سبق.

وعند العارفين يطلق على نزول الملائكة العروج أيضاً وإن كانت حقيقة العروج إنما هي لطالب العلو وذلك لأن لله تعالى في كل موجود تجلياً ووجهاً خاصاً به يحفظه فنزول الملائكة وعروجهم دائماً إلى الحق لعدم تحيز وكل ما كان إليه فهو عروج وإن كان في السفليات لأنه هو العلي الأعلى فهو صفة علو على الدوام وجعلت أجنحة الملائكة للهبوط عكس الطائر عبرة ليعرف كل موجود عجزه وعدم تمكنه من تصرفه فوق طاقته التي أعطاها الله له فالملائكة إذا نزلت نزلت بجناحها وإذا علت علت بطبعها والطيور بالعكس فاعلم ذلك وكذلك يكون عروجهم ونزولهم أي يقع في اليوم الطويل الذي هو يوم القيامة لإجراء أحكام الله على ما شاء وإنفاذ أمره على مقتضى علمه وحكمته وهو مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا ودل على مدة هذا اليوم قوله عليه السلام: «ما من صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي منها حقها إلا إذا كان يوم القيامة صفحت له صفائح من نار فأحمي عليها في نار جهنم»، أي مرة ثانية ليشتد حرها

«فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت له» أي لكيه إلى نار جهنم «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة حتى يقضي بين العباد فيرى سبيله إما إلى الجنة» أي إن لم يكن له ذنب سوء أو كان ولكن الله عفا عنه «وإما إلى النار» أي إن كان على خلاف ذلك رواه مسلم.

وروي أن للقيامة خمسين موقفاً يسأل العبد في كل منها عن أمر من أمور الدين فإن لم يقدر على الجواب وقف في كل موقف بمقدار اليوم الإلهي الذي هو ألف سنة ثم لا ينتهي اليوم إلى ليل أي يكون وقت أهل الجنة كالنهار أبداً ويكون زمان أهل النار كالليل أبداً إذ كما لا ظلمة لأهل لنور كذلك لا نور لأهل الظلمة وفيه تذكير للعاقل على أن يوم القيامة إذا كان أوله مقدار خمسين ألف سنة فماذا آخره ثم هذا الطول في حق الكافر والعاصي لا المؤمن والمطيع لما روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قيل لرسول الله عليه السلام ما أطول هذا اليوم فقال عليه السلام: «والذي نفسي بيده إنه ليخف على المؤمن حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا» وفي التمثيل بالصلاة إشارة إلى وجه آخر لسر المعدد وهو أن الكافر أضاع الصلاة وهي في الأصل خمسون صلاة فكأنه عذب بكل واحدة منها ألف سنة، ولهذا السر يكلف يوم القيامة بالسجود لا بغيره ولا يلزم من وجود هذا اليوم بهذا الطول ومن عروج الملائكة في أثنائه إلى العرش أن يكون ما بين أسفل العالم وأعلى سرادقات العرش مسيرة خمسين ألف سنة لأن المراد بيان طول اليوم عروج الملائكة ونزولهم في مثل هذا اليوم إلى العرش ومنه لتلقي أمره وتبليغه إلى محله مراراً وكراراً لا بيان طول المعارج لأن ما بين مركز الأرض ومقعر السماء مسيرة خمسمائة عام وثخن كل واحدة من السماوات السبع كذلك فيكون المجموع تسعة آلاف إلى العرش أي بالمنظر الظاهري وإلا فهي أزيد من ذلك بل من كل عدد متصور كما ستجيء الإشارة إليه وقول من قال جعل ما بين الكرسي والعرش كما بين غيرهما غير موجه لما في الحديث الصحيح: «إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض» فيكون بين الكرسي الذي هو صحن الجنة وبين العرش الذي هو سقف الجنة خمسمائة سنة مائة مرة أولها من أرض الكرسي إلى الدرجة السافلة من العرش فيكون المجموع مقدار خمسين ألف سنة تأمل تعرف أن كلامه ليس بصحيح من وجوه الأول أن المراد في هذا المقام بيان الطول من أسفل العالم إلى أعلاه وأنه مقدار خمسين ألف سنة لا من صحن الجنة إلى سقفها لأنه على ما ذكره من المسافة بين العرشين يزيد على ذلك المقدار وبالنظر إلى أسفل العالم زيادة بينة فلا يحصل المقصود.

والثاني أن مراد النبي عليه السلام، من التمثيل بما بين السماء والأرض ليس التحديد بل بيان مجرد السعة وطول الامتداد بما لا يعرفه إلا الله كما يقتضيه المقام والثالث أن الحديث الذي أورده لا يدل على أن نهاية الدرجة الأخيرة من تلك الدرجات منتهية إلى الدرجة السافلة من العرش بل هو ساكت عنه فيجوز أن يكون المقدار أزيد مما ذكره لأن طبقات المجاهدين متفاوتة على أن سقف الجنة وإن كان هو عرش الرحمن لكن المراد به ذروته وهي التي ينتهي دونها عالم التركيب وهي موضع قدم النبي عليه السلام ليلة المعراج وما بين أسفل الجنة من محدب الكرسي إلى أعلاها من تلك الذروة التي هي محدب العرش لا حد له يعرف على ما سيجيء في سورة الأعلى إن شاء الله تعالى فإذا تحققت هذا البيان الشافي في الآية الكريمة وهو الذي أشار إليه الحكماء الإلهية فدع عنك القيل والقال الذي قرره أهل المراء والجدال فمنه أن

قوله ﴿في يوم﴾ بيان لغاية ارتفاع تلك المعارج وبعد مداها على منهاج التمثيل والتخييل والمعنى من الارتفاع بحيث لو قدر قطعها في ذلك لكان ذلك الزمان مقدار خمسين ألف سنة من سني الدنيا انتهى وفيه أن كونه محمولاً على التمثيل إنما يظهر إذا فسرت المعارج بغير السماوات وهو خلاف المقصود ومنه أن معناه تعرج الملائكة والروح إلى عرشه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة أي يقطعون في يوم من أيام الدنيا ما يقطعه الإنسان في خمسين ألف سنة لو فرض ذلك القطع وذلك لغاية سرعتهم وقوتهم على الطيران وبالفارسية اكر يكى ازبنى آدم خواهدكه سير كنداز دنيا تا آنجا كه محل امر ملائكة است وايشان بيكروز ميررند او بدين مقدار سال تواند رفت انتهى.

وفيه أن سير الملائكة لحظي فيصلون من أعلى الأوج إلى أسفل الحضيض في آن واحد فتقدير سيرهم باليوم المعلوم في العرف غير واضح ومنه أن اليوم في الآية عبارة عن أول أيام الدنيا إلى انقضائها وأنها خمسون ألف سنة لا يدري أحد كم مضى وكم بقي إلا الله تعالى انتهى وفيه أن أيام الدنيا تزيد على ذلك زيادة بينة كما لا يخفى على أهل الأخبار وعندي أنها ثلاثمائة وستون ألف سنة بمقدار أيام السنة دل عليه قولهم إن عمر الإنسان جامعة من جمع الآخرة وقد أسفلناه في موضعه ومنه أن المراد باليوم هو يوم من أيام الدنيا يعرج فيه الأمر من منتهى أسفل الأرضين إلى منتهى أعلى السماوات ومقدار ذلك اليوم خمسون ألف سنة وأما اليوم الذي مقداره ألف سنة كما في سورة ألم السجدة فباعتبار نزول الأمر من السماء إلى الأرض وباعتبار عروجه من الأرض إلى السماء فللنزول خمسمائة وكذا للصعود والمجموع ألف وفيه أنه زاد في الطنبور نغمة أخرى حيث اعتبر العروج من أسفل الأرضين ليطول المسافة وظاهر أنه لا يتم المقصود بذلك ومنه أن المراد تصعد الحفظة بأعمال بني آدم كل يوم إلى محلي قربته وكرامته وهو السماء في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من سني الدنيا لو صعد فيه غير الملك لأن الملك يصعد من منتهى أمر الله من أسفل السفل إلى منتهى أمره من فوق السماء السابعة في يوم واحد ولو صعد فيه بنو آدم لصعدوا في خمسين ألف سنة انتهى وفيه ما في السابق من تقدير اليوم في حق الملائكة مع أن قصر الصعود على الصعود بمجرد العمل قصور لأنه شأن الملائكة الحافظين والآية مطلقة عامة لهم ولغيرهم من المدبرات ومنه أن قوله: ﴿في يوم﴾ متعلق بواقع على أن يكون المراد به يوم القيامة والمعنى يقع العذاب في يوم طويل مقداره خمسون ألف سنة من سني الدنيا فتكون جملة قوله ﴿تعرج الملائكة﴾ معترضة بين الظرف ومتعلقه انتهى، وفيه أنه من ضيق العطن لأنه لا مانع من إرادة يوم القيامة على تقدير تعلقه بتعرج أيضاً على ما عرف من تقديرنا السابق فإن قلت لماذا وصف الله ذاته في مثل هذا المقام بذي المعارج؟ قلت للتنبيه على أن عروج الملائكة على مصاعد الأفلاك ونزولهم منها إنما هو للأمر الإلهي كما قال تعالى: ﴿يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢] ومن أمره إيصال اللطف إلى أوليائه وإرسال القهر على أعدائه ففيه تحذير للكفار من عقوبة السماء النازلة بواسطة الملائكة كما وقعت للأمم الماضية المكذبة وزجر لهم عما يؤدي إلى المحاسبة الطويلة يوم القيامة هذا ما تيسر لي في هذا المقام والعلم عند الله العلام.

وفي «التأويلات النجمية»: في ذي المعارج أي يصعد بتعذيب أهل الشهوات واللذات مرتبة فوق مرتبة ومصعداً فوق مصعد من معرج نفوسهم إلى معرج قلوبهم ومنه إلى معرج

سرهم ومنه إلى معرج روحهم يعذبهم في كل مرتبة عذاباً أشد من أول وفي قوله تعالى: ﴿تعرج﴾ الخ أي تعرج الخواطر الروحانية خصوصاً خاطر جبريل الروح في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة من أيام الله وهي أيام السماء التي تحت حيطة الله الاسم الجامع فافهم.

قال القاشاني: ذي المعارج أي المصاعد وهي مراتب الترقي من مقام الطبائع إلى مقام المعادن بالاعتدال ثم إلى مقام النبات ثم إلى الحيوان ثم إلى الإنسان في مدارج الانتقالات المترتبة بعضها فوق بعض ثم في منازل السلوك بالانتباه واليقظة والتوبة والإنابة إلى آخر ما أشار إليه أهل السلوك من منازل اليقين ومناهل القلب في مراتب الفناء في الأفعال في الذات مما لا يحصى كثرة فإن له تعالى بإزاء كل صفة مصعداً بعد المصاعد المتقدمة على مقام والصفات إلى الفناء الفناء في الصفات تعرج الملائكة من القوى الأرضية والسمائية في وجود الإنسان والروح الإنساني إلى حضرته الذاتية الجامعة في القيامة الكبرى في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة وهو يوم من أيام الله العلي بالذات ذي المعارج العلي وهي الأيام الستة السرمدية من ابتداء الأزل إلى انتهاء الأبد وأما اليوم المقدر بألف سنة في قوله: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾ [الحج: ٤٧] فهو يوم من أيام الرب المدبر الذي وقت به العذاب وإنجاز الوعد في قوله: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَن يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ﴾ [الحج: ٤٧] والتدبير في قوله: ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٥﴾﴾ [السجدة: ٥] وذلك اليوم الأخير من الأسبوع الذي هو مدة الدنيا المنتهية بنبوة الخاتم ﷺ والذي قال فيه: «إن استقامت أمتي فلها يوم وإن لم تستقم فلها نصف يوم» مع قوله: «بعثت أنا والساعة كهاتين» فهذا يوم من أيام الربوبية والتدبير وأما اليوم الذي هو من الأيام الألوهية فهو مقدار ابتداء الربوبية بأسماء الله الغير المتناهية التي تندرج معها لا تناهيها في الأسماء السبعة وهي الحي العالم القادر المريد السميع البصير المتكلم ولكل من هذه السبعة ربوبية مطلقة بالنسبة إلى ربوبيات الأسماء المندرجة تحته ومقيدة بالنسبة إلى ربوبية كل واحد من أخواته إلى انتهائها بالتجلي الذاتي، وكما أن هذا اليوم المذكور سبع من أيام الدنيا فمدة الدنيا سبع من ذلك اليوم الإلهي الحاصل من ضرب أيام الدنيا في عدد أسماء الربوبية وهي تسع وأربعون سنة وآخره أول الخمسين الذي هو يوم واحد من أيام الله وهو يوم القيامة الكبرى.

﴿فَاصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا ﴿٦﴾﴾

﴿**فاصبر**﴾ يا محمد ﴿**صبراً جميلاً**﴾ لا جزع فيه ولا شكوى لغير الله فإن العذاب يقع في هذه المدة المتطاولة التي تعرج فيها الملائكة والروح وعن الحسن الصبر الجميل هو المجاملة في الظاهر، وعن ابن بحر انتظار الفرج بلا استعجال وهو متعلق بسأل لأن السؤال كان عن استهزاء وتعنت وتكذيب بالوحي وذلك مما يضجره عليه السلام، أو كان عن تضجر واستبطاء للنصر والمعونة.

﴿**إنهم**﴾ أي: أهل مكة ﴿**يرونه**﴾ أي: العذاب الواقع أي يزعمونه في رأيهم. ﴿**بعيداً**﴾ أي: يستبعدونه بطريق الإحالة كما كانوا يقولون ﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا﴾ [المؤمنون: ٨٢] الآية ﴿مَن يُحْيِ الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨] فلذلك يسألون به وسبب استبعادهم عدم علمهم باستحقاقهم إياه يقول المرء لخصمه هذا بعيد رداً لوقوعه وإمكانه

﴿وَنَرَاهُ قَرِيبًا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾﴾

﴿ونراه﴾ أي: نعلمه **﴿قريباً﴾** لعلمنا باستحقاقهم إياه بحسب استعدادهم أي هيناً في قدرتنا غير بعيد علينا ولا متعذر فالمراد بالبعد هو البعد من الإمكان وبالقرب هو القرب منه وقال سهل رحمه الله إنهم يرون المقضي عليهم من الموت والبعث والحساب بعيداً لبعد آمالهم ونراه قريباً فإن كل كائن قريب والبعيد ما لا يكون وفي الحديث: «ما الدنيا فيما مضى وما بقي إلا كثوب شق باثنين وبقي خيط واحد ألا وكان ذلك الخيط قد انقطع» قال الشاعر:

هل الدنيا وما فيها جميعاً سوى ظل يزول مع النهار
ما هجو سافريم درزيد درخت جون سايه برفت زود بردار درخت
ومن عجب الأيام أنك قاعد على الأرض في الدنيا وأنت تسير
فسيرك يا هذا كسير سفينة بقوم قعود والقلوب تطير

﴿يوم تكون السماء كالمهل﴾ وهو ههنا خبث الحديد ونحوه مما يذاب على مهل وتدريج أو دردي الزيت لسيلانه على مهل لثخانته، وعن ابن مسعود كالفضة المذابة في تلونها أو كالقير والقطران في سوادهما ويوم متعلق بقريباً أي يمكن ولا يتعذر في ذلك اليوم، أي يظهر إمكانه وإلا فنفس الإمكان لا اختصاص له بوقت أو متعلق بمضمر مؤخر أي يوم تكون السماء كالمهل يكون من الأحوال والأهوال ما لا يوصف.

﴿وتكون الجبال كالعهن﴾ العهن الصوف المصبوغ قال تعالى: ﴿كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة: ٥] وتخصيص العهن لما فيه من اللون كما ذكر في قوله تعالى: ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾ [الرحمن: ٣٧] والمعنى وتكون الجبال كالصوف المصبوغ ألواناً لاختلاف ألوان الجبال منها جدد بيض وحمر وغرابيب سود فإذا بست وطيرت في الجو أشبهت العهن المنفوش إذا طيرته الريح، قال في «كشف الأسرار»: أول ما تتغير الجبال تصير رملاً مهيلاً ثم عهناً منفوشاً ثم تصير هباء منثوراً.

﴿وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾﴾

﴿ولا يسأل حميم حميماً﴾ أي لا يسأل قريب قريباً عن أحواله ولا يكلمه لابتلاء كل منهم بما شغله عن ذلك وإذا كان الحال بين الأقارب هكذا فكيف يكون بين الأجانب والتنكير للتعميم **﴿يبصرونهم﴾** استئناف كأنه قيل لعله لا يبصره فكيف يسأل عن حاله فقل يبصرونهم والضمير الأول لحميم أول والثاني للثاني وجمع الضميرين لعموم الحميم لكل حميمين لا لحميمين اثنين قال في «تاج المصادر» التبصير بينا كردن.

والتعريف والإيضاح ويعدى إلى المفعول الثاني بالباء وقد تحذف الباء وعلى هذا يبصرونهم انتهى. يعني عدي يبصرونهم بالتضعيف إلى ثان وقام الأول مقام الفاعل والشائع المتعارف تعديته إلى الثاني بحرف الجر يقال بصرته به وقد يحذف الجار وإذ نسبت الفعل للمفعول به حذفت الجار وقلت بصرت زيداً وما في الآية من هذا القبيل والمعنى يبصر الاحماء الاحماء يعني بينا كرده شونديشان بخويشان خود.

فلا يخفون عليهم ولا يمنعهم من التساؤل إلا تشاغلهم بحال أنفسهم وليس في القيامة

مخلوق إلا وهو نصب عين صاحبه فيبصر الرجل أباه وأخاه وأقرباءه وعشيرته ولكن لا يسأله ولا يكلمه لاشتغاله بما هو فيه. قال ابن عباس رض الله عنهما: يتعارفون ساعة ثم يتناكرون.

﴿يود المجرم﴾ أي يتمنى الكافر وقيل كل مذنب ﴿لو﴾ بمعنى التمني فهو حكاية لودادتهم ﴿يفتدي﴾ فدادهد.

وهو حفظ الإنسان عن التائبة بما يبذل عنه ﴿من عذاب يومئذٍ﴾ أي: من العذاب الذي ابتلوا به يوم إذا كان الأمر ما ذكر وهو بكسر الميم لإضافة العذاب إليه وقرىء يومئذٍ بالفتح على البناء للإضافة إلى غير متمكن ﴿ببنيه﴾ أصله بنين سقطت نونه بالإضافة وجمعه لأن كثرتهم محبوبة مرغوب فيها. ﴿وصاحبته﴾ زوجته التي يصاحبها ﴿وأخيه﴾ الذي كان ظهيراً له ومعيناً والجملة استئناف لبيان أن اشتغال كل مجرم بنفسه بلغ إلى حيث يتمنى أن يفتدى بأقرب الناس إليه وأعلقهم بقلبه ويجعله فداء لنفسه حتى ينجو هو من العذاب فضلاً عن أن يهتم بحاله ويسأل عنها كأنه قيل كيف لا يسأل مع تمكنه من السؤال فقيل يود الخ.

﴿وفصيلته﴾ وهي في الأصل القطعة المفصولة من الجسد وتطلق على الآباء الأقربين وعلى الأولاد لأن الولد يكون مفصولاً من الأبوين فلما كان الولد مفصولاً منهما كانا مفصولين منه أيضاً فسمي فصيلة لهذا السبب والمراد بالفصيلة في الآية هو الآباء الأقربون والعشيرة الأدنون لقوله وبنيه ﴿التي تؤويه﴾ أوى إلى كذا انضم إليه وآواه غيره كما قال تعالى: ﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيۡهِ أَخَاهُۖ﴾ [يوسف: ٦٩] أي ضمه إلى نفسه فمعنى تؤويه تضمه إليها في النسب أو عند الشدائد فيلوذ بها وبالفارسية وخويشان خودراكه جاي داده انداورا دردنيانزد خود يعني پناكاه وى بوده اند.

﴿وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾.

﴿ومن في الأرض جميعاً﴾ من الثقلين والخلائق ومن للتغليب ﴿ثم ينجيه﴾ عطف على يفتدى أي يود لو يفتدى ثم ينجيه الافتداء وثم لاستبعاد الإنجاء يعني يتمنى لو كان هؤلاء جميعاً تحت يده وبذلهم في فداء نفسه ثم ينجيه ذلك وهيهات أن ينجيه وفيه إشارة إلى مجرم الروح المنصبغ بصبغة النفس فإنه يود أن يفتدى من هول عذاب يوم الفراق والاحتجاب ببني القلب وصفاته وصاحبة نفسه وأخي سره وفصيلته أي توابعه وشيعته ومن في أرض بشريته جميعاً من القوى الروحانية والجسمانية ثم ينجيه هذا الافتداء ولا ينفعه لفساد الاستعداد وفوات الوقت.

﴿كلا﴾ ردع للمجرم عن الودادة وتصريح بامتناع إنجاء الافتداء أي لا يكون كما يتمنى فإنه بهيئته الظلمانية الحاصلة من الإجرام استحق العذاب فلا ينجو منه، وفي الحديث يقول الله: «لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة: لو أن لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به؟ فيقول نعم، فيقول أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي» وعن القرطبي أن كلا يكون بمعنى الردع وبمعنى حقاً وكلا الوجهين جائزان هنا فعلى الثاني يكون تمام الكلام ينجيه فيوقف عليه ويكون كلا من الجملة الثانية التي تليه والمحققون على الأول ومن ذلك وضع السجاوندي علامة الوقف المطلق على كلا ﴿إنها﴾ أي النار المدلول عليها بذكر العذاب والمراد جهنم ﴿لظى﴾ وهو علم للنار وللدرك الثاني منها منقول من اللظى بمعنى

اللهب الخالص الذي لا يخالطه دخان فيكون في غاية الإحراق لقوة حرارته النارية بالصفاء وهو خبر إن بمعنى مسماة بهذا الاسم ويجوز أن يراد اللهب الخالص على الأصل فيكون خبراً بلا تأويل.

كما قال الكاشفي: بدرستى كه آتش دوزخ كه مجرم ازوفدا دهد زبانه ايست خالص.

وفي «كشف الأسرار»: آن آتشى است زبانه زن.

﴿نزاعة للشوى﴾ نزع الشيء جذبه من مقره وقلعه والشوى الأطراف أي الأعضاء التي ليست بمقتل كالأيدي والأرجل ونزاعة على الاختصاص للتهويل أي أعني بلظى جذابة للأعضاء الواقعة في أطراف الجسد وقلاعة لها بقوة الإحراق لشدة الحرارة ثم تعود كما كانت وهكذا أبداً والشوى جمع شواة، وهي جلدة الرأس يعني أن النار تنزع جلود الرأس وتقشرها عنه وذلك لأنهم كانوا يسعون بالأطراف للأذى والجفاء ويصرفون عن الحق الأعضاء الرئيسة التي تشتمل عليها الرأس خصوصاً العقل الذي كانوا لا يعقلون به في الرأس.

﴿تدعو من أدبر﴾ أي: عن الحق ومعرفته وهو مقابل أقبل ومعنى تدعو تجذب إلى نفسها وتحضر فهو مجاز عن إحضارهم كأنها تدعوهم فتحضرهم.

قال الكاشفي: زبنه ميزند وكافر رابخود ميكشد ازصد ساله ودويست ساله راه چنانچه مقناطيس آهن راجذب ميكند.

وتقول لهم إلي إلي يا كافر ويا منافق ويا زنديق فإني مستقرك أو تدعو الكافرين والمنافقين بلفظ فصيح بأسمائهم ثم تلتقطهم كالتقاط الطير الحب ويجوز أن يخلق الله فيها كلاماً كما يخلقه في جلودهم وأيديهم وأرجلهم وكما خلقه في الشجرة أو تدعو زبانيتها على حذف المضاف أو على الإسناد المجازي حيث أسند فعل الداعي إلى المدعو إليه. ﴿وتولى﴾ أي: أعرض عن الطاعة لأن من أعرض يولي وجهه وفي «التأويلات النجمية»: من أدبر عن التوجه إلى الحق بموافقات الشريعة ومخالفات الطبيعة وتولى عن الإقبال على الآخرة والإدبار عن الدنيا. وقال القاشاني: بمناسبة نفسه للجحيم انجر إليها إذ الجنس إلى الجنس يميل ولظى نار الطبيعة السفلية ما استدعت إلا المدبر عن الحق المعرض عن جناب القدس وعالم النور المقبل بوجهه إلى معدن الظلمة المؤثر لمحبة الجواهر الفانية السفلية المظلمة فانجذب بطبعه إلى مواد النيران الطبيعية واستدعته وجذبته إلى نفسها للجنسية فاحترق بنارها الروحانية المستولية على الأفئدة فكيف يمكن الإنجاء منها وقد طلبها بداعي الطبع ودعاها بلسان الاستعداد.

﴿وجمع﴾ المال حرصاً وحباً للدنيا. ﴿فأوعى﴾ فجعله في وعاء وكنزه ولم يؤد زكاته وحقوقه الواجبة فيه وتشاغل به عن الدين وتكبر باقتنائه وذلك لطول أمله وانعدام شفقته على عباد الله وإلا ما ادخر بل بذل وفي جمع الجمع مع الإدبار والتولي تنبيه على قباحة البخل وخساسة البخيل وعلى أنه لا يليق بالمؤمن وفي الخبر يجاء بابن آدم يوم القيامة كأنه بذج بين يدي الله وهو بالفارسية بره.

فيقول له أعطيتك وخولتك وأنعمت عليك فما صنعت فيقول رب جمعته وثمرته وتركته أكثر ما كان فأرجعني آتك به كله فإذا هو عبد لم يقدم خيراً فيمضي به إلى النار وفي الخبر بصق عليه السلام يوماً في كفه ووضع عليها أصبعه فقال يقول الله لابن آدم تعجزني وقد خلقتك

من مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد يعني زمين را ازتو آواز شديدبود. فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقي قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة وفي «التأويلات النجمية»: جمع الكمالات الإنسانية من الأخلاق الروحانية والأوصاف الرحمانية ولم ينفق على الطلاب الصادقين العاشقين والمحبين المشتاقين بطريق الإرشاد والتعليم والتسليك.

﴿۞ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿إن الإنسان﴾ أي جنس الإنسان **﴿خلق﴾** حال كونه **﴿هلوعاً﴾** مبالغ هالع من الهلع وهو سرعة الجزع عند مس المكروه بحيث لا يستمسك وسرعة المنع عند مس الخير يقال ناقة هلواع سريعة السير وهو من باب علم وقد فسره أحسن تفسير على ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: **﴿إذا﴾** ظرف لجزوعاً **﴿مسه الشر﴾** أي: أصابه ووصل إليه الفقر أو المرض أو نحوهما **﴿جزوعاً﴾** مبالغة في الجزع مكثراً منه لجهله بالقدر وهو ضد الصبر وقال ابن عطاء: الهلوع الذي عند الموجود يرضى وعند المفقود يسخط وفي الحديث «شر ما أعطي ابن آدم شح هالع وجبن خالع» فالهالع المحزن يعني اند وهكين كننده والخالع الذي يخلع قلبه.

قال بعض العارفين: إنما كرهت نفوس الخلق المرض لأنه شاغل لهم عن أداء ما كلفوا به من حقوق الله تعالى إذ الروح الحيواني حين يحس بالألم يغيب عن تدبير الجسد الذي يقوم بالتكليف وإنما لم تكره نفوس العارفين الموت لما فيه من لقاء الله تعالى فهو نعمة ومنة ولذلك ما خير نبي في الموت إلا اختاره.

﴿وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وإذا﴾ ظرف لمنوعاً **﴿مسه الخير﴾** أي: السعة أو غيرهما **﴿منوعاً﴾** مبالغاً في المنع والإمساك لجهله بالقسمة وثواب الفضل وللصحة مدخل في الشح فإن الغني قد يعطي في المرض ما لا يعطيه في الصحة ولذا كانت الصدقة حال الصحة أفضل.

ودر لباب از مقاتل نقل ميكندكه هلوع جانوريست درپس كوه قاف كه هرروز هفت صحرا ازكياه خالي ميكند يعني همه حشايش آنرامى خورد وآب هفت دريامى آشامد ودر كرما وسر ما صبر ندارند وهرشب دراندیشهٔ آنست كه فردا چه خواهد خورد پس حق سبحانه وتعالى آدمى را دربي صبري واندیشهٔ روزى بدين دابه تشبيه ميكند.

جانور يراكه بجز آدميست — معده چو پرشد سبب بي غميست
آدميست آنكه نه سيرى برد — برسر سيرى غم روزى خورد
خوردهمه عمر چه بيشت وچه كم — روزئ هرروزه زخوان كرم
وزره حرص واملش همچنان — هيچ غمى نيست بجز فكرنان

والأوصاف الثلاثة وهي هلوعاً وجزوعاً ومنوعاً أحوال مقدرة لأن المراد بها ما يتعلق به الذم والعقاب وهو ما يدخل تحت التكليف والاختيار وذلك بعد البلوغ أو محققة لأنها طبائع

جبل الإنسان عليها كما قال المتنبي:

الظلم من شيم النفوس فإن تجد ذا عفة فلعلة لا يظلم

ولا يلزم أن لا تفارقه بالمعالجات المذكورة في كتب الأخلاق فإنها كبرودة الماء ليست من اللوازم المهيئة للوجود بل إنما حصولها فيه بوضع الله تعالى وخلقه وهو يزيلها أيضاً بالأسباب التي سببها إذا أراد فإن قيل فيلزم أن يكون له هلع حين كان في المهد صبياً قلنا نعم ولا محذور ألا يرى أنه كيف يسرع إلى الثدي ويحرص عى الرضاع ويبكي عند مس الألم ويمنع بما وسعه إذا تمسك بشيء فزوحم فيه قال الراغب: فإن قيل ما الحكمة في خلق الإنسان على مساوي الأخلاق قلنا الحكمة في خلق الشهوة أن يمانع نفسه إذا نازعته نحوها ويحارب شيطانه عند تزيينه المعصية فيستحق من الله مثوبة وجنة انتهى. يعني كما أنه ركب فيه الشهوة ركب فيه العقل الرادع وحصلت الدلالة إلى الصراط السوي من الشارع.

قال بعض العارفين: الشح في الإنسان أمر جبلي لا يمكن زواله ولكن يتعطل بعناية الله تعالى استعماله لا غير فلذلك قال: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ﴾ [التغابن: ١٦] فأثبت الشح في النفس إلا أن العبد يوقاه بفضل الله وبرحمته وقال ﴿**إن الإنسان خلق هلوعاً**﴾ إلخ وأصل ذلك كله أن الإنسان استفاد وجوده من الله فهو مفطور على الاستفادة لا على إفادة فلا تعطيه حقيقته أن يتصدق أو يعطي أحداً شيئاً ولذلك ورد الصدقة برهان يعني دليل أن هذا الإنسان وقي بها شح النفس.

يقول الفقير: وعليه المزاح المعروف وهو أن بعض العلماء وقع في الماء فكاد يغرق فقال له بعض الحاضرين يا سلطاني ناولني يدك فقيل لا تقل هكذا فإنه اعتاد الأخذ لا الإعطاء بل قل خذ بيدي وقال بعضهم: الغضب والشره والحرص والجبن والبخل والحسد وصف جبلي في الإنسان والجان وما كان من الجبلة فمحال أن يزول إلا بانعدام الذات الموصوفة به ولهذا عين الشارع ﷺ لهذه الأمور مصارف فقال: «لا حسد إلا في اثنتين» وأمر بالغضب لله لا حمية جاهلية وقال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ﴾ [الإسراء: ٢٣] ثم مدح من قال: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٦٧] وقال: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ﴾ ثم قال: ﴿وَخَافُونِ﴾ [آل عمران: ١٧٥] فالكل يستعملون هذه الصفات استعمالاً محموداً وكثير من الفقراء يظنون زوال هذه الصفات منهم حين يعطل الله استعمالها فيهم وليس كذلك.

يقول الفقير: ومنه يعلم صحة قول من قال إن النفس لأمارة بالسوء وإن كانت نفس الأنبياء على ما أسلفناه في سورة يوسف والحاصل أن أصول الصفات باقية في الكل لبقاء المحاربة مع النفس إذ لا يحصل الترقي إلا بالمحاربة والترقي مستمر إلى الموت فكذا المحاربة المبنية على بقاء أصول الصفات فأصل النفس أمارة لكن لا يظهر أثرها في الكاملين كما يظهر في الناقصين فاعلم ذلك قال القاشاني إن النفس بطبعها معدن الشر ومأوى الرجس لكونها من عالم الظلمات فمن مال إليها بقلبه واستولى عليه مقتضى جبلته وخلقته ناسب الأمور السفلية واتصف بالرذائل التي أردأها الجبن والبخل المشار إليهما بقوله ﴿**وإذا مسه الشر**﴾ إلخ. لمحبة البدن ما يلائمه وتسببه في شهواته ولذاته وإنما كانا أردأ لجذبهما القلب إلى أسفل مراتب الوجود.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى هلع الإنسان المستعد لقبول الفيض الإلهي ساعة

فساعة ولحظة فلحظة وعدم صبره عن بلوغه إلى الكمال فإنه لا يزال في طريق السلوك يتعلق باسم من الأسماء الإلهية ويتحقق به ويتخلق ثم يتوجه إلى اسم آخر إلى أن يستوفي سلوك جميع الأسماء إذا مسه الشر الفترة الواقعة في الطريق يجزع ويضطرب ويتقلقل ولا يعلم أن هذه الفترة الواقعة في طريقه سبب لسرعة سلوكه وموجب لقوة سيره وطيرانه وإذا مسه الخير من المواهب الذاتية والعطايا الاسمائية يمنع من مستحقيه ويبخل على طالبيه.

﴿**إلا المصلين**﴾ استثناء من الإنسان لأنه في معنى الجمع للجنس وهذا الاستثناء باعتبار الاستمرار، أي: أن المطبوعين على الصفات الرذيلة مستمرون عليها إلا المصلين فإنهم بدلوا تلك الطبائع واتصفوا بأضدادها.

﴿**الذين هم**﴾ تقديم هم يقيد تقوية الحكم وتقريره في ذهن السامع كما في قولك هو يعطي الجزيل قصداً إلى تحقيق أنه يفعل إعطاء الجزيل. ﴿**على صلاتهم دائمون**﴾ لا يشغلهم عنها شاغل فيواظبون على أدائها كما روي عن النبي عليه السلام أنه قال أفضل العمل أدومه وإن قل وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمله ديمة قدم الصلاة على سائر الخصال لقوله عليه السلام: «أول ما افترض الله على أمتي الصلوات الخمس» وأول ما يرفع من أعمالها الصلوات، وأول ما يحاسب به العبد يوم القيامة صلاته فإن صلحت فقد أفلح وأنجح وإن فسدت فقد خاب وخسر وإنها آخر ما يجب عليه رعايته فإنه يؤخر الصوم في المرض دون الصلاة إلا أن لا يقدر على التميم والإيماء ولذا ختم الله الخصال بها كما قال: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [المعارج: ٣٤] وكان آخر ما أوصى به عليه السلام الصلاة وما ملكت أيمانكم وفي الآية إشارة إلى صلاة النفس وهي التزكية عن المخالفات الشرعية وصلاة القلب وهي التصفية عن الميل إلى الدنيا وشهواتها وزخارفها وصلاة السر وهي التخلية عن الركون إلى المقامات العلية والمراتب السنية وصلاة الروح وهي بالمكاشفات الربانية والمشاهدات الرحمانية والمعاينات الحقانية وصلاة الخفي وهي بالفناء في الحق والبقاء به فالكمل يداومون على هذه الصلوات ﴿**والذين**﴾ أي وإلا الذين ﴿**في أموالهم حق معلوم**﴾ أي: نصيب معين يستوجبونه على أنفهسم تقرباً إلى الله تعالى وإشفاقاً على الناس من الزكاة المفروضة الموظفة.

﴿**للسائل**﴾ أي: للذي يسأل ومن كان له قوت يوم لا يحل له السؤال وأما حكم الدافع له عالمًا بحاله فكان القياس أن يأثم لأنه إعانة على الحرام لكنه يجعله هبة ولا إثم في الهبة للغني وله أن يرده برد جميل مثل أن يقول آتاكم الله من فضله ﴿**والمحروم**﴾ الذي لا يسأل إما حياء أو توكلاً فيظن أنه غني فيحرم وفيه إشارة إلى أحوال الحقائق والمعارف الحاصلة من رأس مال الأعمال الصالحة والأحوال الصادقة ففيها حق معلوم للسائل وهو المستعد للسلوك والاجتهاد فينبغي أن يفيض عليه ويرشده إلى طلب الحق والمحروم هو المرمي الساقط على أرض العجز بسبب الأهل والعيال والاشتغال بأسبابهم فيسليهم ويطيب قلوبهم برحمة الله وغفرانه ويفيض عليهم من بركات أنفاسه الشريفة لئلا يحرم من كرم الله وفيضه.

﴿**والذين يصدقون بيوم الدين**﴾ أي: بأعمالهم حيث يتعبون أنفسهم في الطاعات البدنية والمالية طمعاً في المثوبة الأخروية بحيث يستدل بذلك على تصديقهم بيوم الجزاء فمجرد التصديق بالجنان واللسان وإن كان ينجي من الخلود في النار لكن لا يؤدي إلى أن يكون صاحبه مستثنى من المطبوعين بالأحوال المذكورة، قال القاشاني: والذين يصدقون من أهل

اليقين البرهاني أو الاعتقاد الإيماني بأحوال الآخرة والمعاد وهم أرباب القلوب المتوسطون.

﴿**والذين هم من عذاب ربهم مشفقون**﴾ خائفون على أنفسهم مع مالهم من الأعمال الفاضلة استقصاراً لها واستعظاماً لجنابه تعالى (قال الكاشفي) وعلامت ترس إلهي اجتناب از ملاهي ومنا هيست.

وقال الحسن: يشفق المؤمن أن لا تقبل حسناته وتقديم من يحسن أن يكون للحصر امتثالاً لأمره تعالى فارهبون مع جواز أن يكون للتقوية.

﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٣١﴾﴾.

﴿**إن عذاب ربهم غير مأمون**﴾ كه عذاب خداونديشان نه آنست كه ازان ايمن باشند.

وهو اعتراض مؤذن بأنه لا ينبغي لأحد أن يأمن عذابه تعالى وإن بالغ في الطاعة والاجتهاد بل يكون بين الخوف والرجاء لأنه لا يعلم أحد عاقبته، قال القاشاني: ﴿**والذين هم**﴾ الخ. أي أهل الخوف من المتبدين في مقام النفس السائرين عنه بنور القلب لا الواقفين معه أو المشفقين من عذاب الحرمان والحجاب في مقام القلب من السالكين أو في مقام المشاهدة من التلوين فإنه لا يؤمن الاحتجاب ما بقيت بقية كما قال ﴿**إن عذاب ربهم غير مأمون**﴾ ومن العذاب إعجاب المرء بنفسه فإنه من الموبقات الموقعات في عذاب نار الجحيم وجحيم العقاب نسأل الله العافية.

﴿**والذين هم لفروجهم**﴾ فرج الرجل والمرأة سوءاتهما أي قبلهما عبر به عنها رعاية للأدب في الكلام وأدب المرء خير من ذهبه والجار متعلق بقوله: ﴿**حافظون**﴾ من الزنى متعففون عن مباشرة الحرام فإن حفظ الفرج كناية عن العفة. ﴿**إلا على**﴾ بمعنى من كما في كتب النحو ﴿**أزواجهم**﴾ نسائهم المنكوحات ﴿**أو ما ملكت أيمانهم**﴾ من الجواري في أوقات حلها كالطهر من الحيض والنفاس ومضي مدة الاستبراء عبر عنهن بما إجراء لهن لمملوكيتهن مجرى غير العقلاء أو لأنوثتهن المنبئة عن القصور وإيراد ما ملكت الأيمان يدل على المراد من الحافظين هنا الذكور وإن كان الحفظ لازماً للإناث أيضاً بل أشد لأنه لازم عليهن على عبيدهن وإن كانوا مما ملكت أيمانهن ترجيحاً لجانب الذكور في صيانة عرضهم. ﴿**فإنهم**﴾ أي: الحافظين ﴿**غير ملومين**﴾ على عدم حفظها منهن أي غير معيوبين شرعاً فلا يؤاخذون بذلك في الدنيا والآخرة وبالفارسية بجاي سرزنش نيستند.

وفيه إشعار بأن من لم يحفظ تكفيه ملامة اللائمين فكيف العذاب.

﴿**فمن ابتغى**﴾ پس هركه طلب كندبراى نفس خود. ﴿**وراء ذلك**﴾ الذي ذكر وهو الاستمتاع بالنكاح وملك اليمين وحد النكاح أربع من الحرائر ولا حد الملك اليمين ﴿**فأولئك**﴾ المبتغون ﴿**هم العادون**﴾ المتعدون لحدود الله الكاملون في العدوان المتناهون لأنه من عدا عليه إذا تجاوز الحد في الظلم ودخل فيه حرمة وطىء الذكران والبهائم والزنى وقيل يدخل فيه الاستمناء أيضاً روي أن العرب كانوا يستمنون في الأسفار فنزلت الآية وفي الحديث «ومن لم يستطع» أي التزوج «فعليه بالصوم» استدل به بعض المالكية على تحريم الاستمناء لأنه عليه السلام أرشد عند العجز عن التزوج إلى الصوم الذي يقطع الشهوة فلو كان الاستمناء مباحاً

لكان الإرشاد إليه أسهل، وقد أباح الاستمناء طائفة من العلماء وهو عند الحنابلة وبعض الحنفية لأجل تسكين الشهوة جائز وفي رواية «الخلاصة»: الصائم إذا عالج ذكره حتى أمنى يجب عليه القضاء ولا كفارة عليه ولا يحل هذا الفعل خارج رمضان إن قصد قضاء الشهوة وإن قصد تسكين شهوته أرجو أن لا يكون عليه وبال وفي بعض «حواشي» البخاري والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة قال الله تعالى: ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾ إلى قوله: ﴿**فأولئك هم العادون**﴾ أي الضالون المتجاوزون من الحلال إلى الحرام، قال البغوي: الآية دليل على أن الاستمناء باليد حرام، قال ابن جريج: سألت ابن عطاء عنه فقال: سمعت أن قوماً يحشرون حبالى وأظنهم هؤلاء عن سعيد بن جبير عذب الله أمة كانوا يعبثون بمذاكيرهم والواجب على فاعله التعزيز كما قال بعضهم: نعم يباح عند أبي حنيفة وأحمد إذا خاف على نفسه الفتنة وكذلك يباح الاستمناء بيد امرأته وجاريته لكن قال القاضي حسين مع الكراهة لأنه معنى العزل وفي التاتارخانية قال أبو حنيفة: أحسبه أن يتجوز رأساً برأس.

يقول الفقير من اضطر إلى تسكين شهوته فعليه أن يدق ذكره بحجر كما فعله بعض الصلحاء المتقين حين التوقان صيانة لنفسه عن الزنى ونحوه والحق أحق أن يتبع وهو العمل بالإرشاد النبوي الذي هو الصوم فإن اضطر فالعمل بما ذكرناه أولى وأقرب من أفعال أهل الورع والتقوى.

﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾﴾

﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾ لا يخلون بشيء من حقوقها والأمانة اسم لجنس ما يؤتمن عليه الإنسان سواء من جهة الباري تعالى وهي أمانات الدين التي هي الشرائع والأحكام أو من جهة الخلق وهي الودائع ونحوها والجمع بالنظر إلى اختلاف الأنواع وكذا العهد شامل لعهد الله وعهد الناس وهو ما عقده الإنسان على نفسه لله أو لعباده وهو يضاف إلى المعاهد والمعاهد فيجوز هنا الإضافة إلى الفاعل والمفعول وقال الجنيد قدس سره: الأمانة المحافظة على الجوارح والعهد حفظ القلب مع الله على التوحيد والرعاية القيام على الشيء بحفظه وإصلاحه وقد جعل رسول الله ﷺ الخيانة عند ائتمان والكذب عند التحديث والغدر عند المعاهدة والفجور عند المخاصمة من خصال المنافق.

اكرمي بايد از آتش امانت فرومكذار قانون امانت
بهر عهدي كه مي بندى وفاكن رسوم حق كزارى را اداكن

قال بعض الكبار: كل من اتصف بالأمانة وكتم الأسرار سمع كلام الموتى وعذابهم ونعيمهم كما سمعت البهائم عذاب أهل القبور لعدم النطق وكذلك يسمع من اتصف بالأمانة كلام أعضائه له في دار الدنيا لأنها حية ناطقة ولذلك تستشهد يوم القيامة فتشهد ولا يشهد إلا عدل مرضي بلا شك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى الأمانة المعروضة على السماوات والأرض والجبال وهي كمال المظهرية وتمام المضاهاة الإلهية وإلى عهد ميثاق ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢] ورعاية ذلك العهد أن لا يخالفه بالمخالفات الشرعية والموافقات الطبيعية وقال بعضهم: والذين هم لأماناتهم التي استودعوها بحسب الفطرة من المعارف العقلية وعهدهم الذي أخذ الله

ميثاقه منهم في الأزل راعون بأن لم يدنسوا الفطرة بالغواشي الطبيعية والأهواء النفسانية.

﴿والذين هم بشهاداتهم﴾ الباء متعلق بقوله ﴿قائمون﴾ سواء كانت للتعدية أم للملابسة والجمع باعتبار أنواع الشهادة أي مقيمون لها بالعدل ومؤدونها في وقتها إحياء لحقوق الناس فالمراد بالقيام بالشهادة أداؤها عند الأحكام على من كانت هي عليه من قريب أو بعيد شريف أو وضيع قال عليه السلام: «إذا علمت مثل الشمس فاشهد وإلا فدع» وتخصيصها بالذكر مع اندراجها في الأمانات لإبانة فضلها لأن في إقامتها إحياء الحقوق وتصحيحها، وفي كتمها وتركها تضييعها وإبطالها وفي «الأشباه» إذا كان الحق يقوم بغيرها أو كان القاضي فاسقاً أو كان يعلم أنها لا تقبل جاز الكتمان وفي «فتح الرحمن» تحمل الشهادة فرض كفاية وأداؤها إذا تعين فرض عين ولا يحل أخذ أجرة عليها بالاتفاق فإذا طلبه المدعي وكان قريباً من القاضي لزمه المشي إليه وإن كان بعيداً أكثر من نصف يوم لا يأثم بتخلفه لأنه يلحقه الضرر وإن كان الشاهد يقدر على المشي فأركبه المدعي من عنده لا تقبل شهادته وإن كان لا يقدر فأركبه لا بأس به ويقتصر في المسلم على ظاهر عدالته عند أبي حنيفة رحمه الله إلا في الحدود والقصاص فإن طعن الخصم فيه سأل عنه وقال صاحباه يسأل عنهم في جميع الحقوق سراً وعلانية وعليه الفتوى وجعل بعضهم شهادة التوحيد داخلة فيها كما قال سهل رحمه الله، قائمون بحفظ ما شهدوا به من شهادة أن لا إله إلا الله فلا يشركون به في شيء من الأفعال والأقوال وقال القاشاني في الآية: أي يعملون بمقتضى شاهدهم من العلم فكل ما شهدوه قاموا بحكمه وصدروا عن حكم شاهدهم لا غير.

﴿وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾ أُولَٰئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾ فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ﴿٣٦﴾ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ﴿٣٧﴾ أَيَطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ﴿٣٨﴾ كَلَّا ۖ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿والذين هم على صلاتهم يحافظون﴾ تقديم على صلاتهم يفيد الاختصاص الدال على أن محافظتهم مقصورة على صلاتهم لا تتجاوز إلى أمور دنياهم أي يراعون شرائطها ويكملون فرائضها وسننها ومستحباتها وآدابها ويحفظونها من الإحباط باقتران الذنوب فالدوام المذكور أولاً يرجع إلى نفس الصلوات والمحافظة إلى أحوالها وفي «المفردات» فيه تنبيه على أنهم يحفظون الصلاة بمراعاة أوقاتها وأركانها والقيام بها في غاية ما يكون من الطوق فإن الصلاة تحفظهم بالحفظ الذي نبه عليه في قوله ﴿إِنَّ الصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥] وفي الحديث: «من حافظ عليها كانت له نوراً وبرهاناً ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم تكن له نوراً ولا برهاناً ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف» وهو الذي ضربه النبي عليه السلام، في غزوة أحد برمح في عنقه فمات منه في طريق مكة وكان أشد وأطغى من أبي جهل دل عليه كونه مقتولاً بيد النبي عليه السلام، ولم يقتل عليه السلام بيده غيره وبعض العلماء جعل المحافظة شاملة للإدامة على ما هو الظاهر من قوله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فيكون من قبيل التعميم بعد التخصيص لتتميم الفائدة وللإشعار بأن الصلاة أول ما يجب على العبد أداؤه بعد الإيمان وآخر ما يجب عليه رعايته بعده كما سبق.

وكفتم اند دوام تعلق بفرائض دارد ومحافظت بنوافل.

والحاصل: أن في تكرير ذكر الصلاة ووصفهم بها أولاً وآخراً باعتبارين للدلالة على فضلها وإنافتها على سائر الطاعات وتكرير الموصولات لتنزيل اختلاف الصفات منزلة اختلاف الذوات إيذاناً بأن كل واحدة من تلك الصفات حقيق بأن يفرد لها موصوف مستقل لشأنها الخطير ولا يجعل شيء منها تتمة للأخرى، قال بعضهم: دلت هذه الآية على أن التغاير المفهوم من العطف ليس بذاتي بل هو اعتباري إذ لا يخفى أنه ليس المراد من الدائمين طائفة والمحافظين أخرى فالمقصود مدح المؤمنين بما كانوا عليه في عهد رسول الله من الأخلاق الحسنة والأعمال المرضية ففيه ترغيب لمن يجيء منهم إلى يوم القيامة وترهيب عن المخالفة.

قال في «برهان القرآن» قوله ﴿**إلا المصلين**﴾ عد عقيب ذكرهم الخصال المذكورة أول سورة المؤمنين وزاد في هذه السورة ﴿**والذين هم بشهاداتهم قائمون**﴾ لأنه وقع عقيب قوله ﴿**والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون**﴾ وإقامة الشهادة أمانة يؤديها إذا احتاج إليها صاحبها لإحياء حق فهي إذاً من جملة الأمانة في سورة المؤمنين وخصت هذه السورة بزيادة بيانها كما خصت بإعادة ذكر الصلاة حيث يقول ﴿**والذين هم على صلاتهم يحافظون**﴾ بعد قوله: ﴿**إلا المصلين الذين هم على صلاتهم دائمون**﴾ انتهى. وقال القاشاني: والذين هم على صلاة القلب وهي المراقبة يحافظون أو صلاة النفس على الظاهر وفي «فتح الرحمن» واتفق القراء على الإفراد في صلاتهم هنا وفي الأنعام بخلاف الحرف المتقدم في المؤمنين لأنه لم يكتنفها فيهما ما كنفها في المؤمنين قبل وبعد من عظيم الوصف المتقدم وتعظيم الجزاء في المتأخر فناسب لفظ الجمع ولذلك قرأ به أكثر القراء ولم يكن ذلك في غيرها فناسب الإفراد ﴿**أولئك**﴾ المصونون بما ذكر من الصفات الفاضلة ﴿**في جنات**﴾ أي مستقرون في جنات لا يقادر قدرها ولا يدرك كنهها ﴿**مكرمون**﴾ بالثواب الأبدي والجزاء السرمدي أي سيكونون كذلك فكأن الإكرام فيها واقع لهم الآن وهو خبر آخر أو هو الخبر وفي جنات متعلق به قدم عليه لمراعاة الفواصل أو بمضمر هو حال من الضمير في الخبر أي مكرمون كائنين في جنات ﴿**فمال الذين**﴾ أي فما بال الذين ﴿**كفروا**﴾ وحرموا من الاتصاف بالصفات الجليلة المذكورة وما استفهامية للإنكار في موضع رفع بالابتداء والذين كفروا خبرها واللام الجارة كتبت مفصولة إتباعاً لمصحف عثمان رضي الله عنه، قال في «فتح الرحمن»: وقف أبو عمرو والكسائي بخلاف عنه على الألف دون اللام من قوله فمال هؤلاء في النساء ومال هذا الكتاب في الكهف مال هذا الرسول في الفرقان وفمال الذين في سأل ووقف الباقون في فمال على اللام إتباعاً للخط بخلاف عن الكسائي قال ابن عطية ومنعه قوم جملة لأنها حرف جر فهي بعض المجرور وهذا كله بحسب ضرورة وانقطاع نفس وأما إن اختار أحد الوقف فيما ذكرناه ابتداء فلا انتهى. ﴿**قبلك**﴾ حال من المنوي في للذين كفروا أي فما لهم ثابتين حولك. ﴿**مهطعين**﴾ حال من المستكن في قبلك من الإهطاع وهو الإسراع أي مسرعين نحوك مادي أعناقهم إليك مقبلين بأبصارهم عليك. ﴿**عن اليمين وعن الشمال عزين**﴾ الجار متعلق بعزين لأنه بمعنى مفترقين وعزين حال بعد حال من المنوي في للذين أي فرقاشتى وبالفارسية كروه كروه حلقه زدكان.

جع عزة وهي الفرقة من الناس وأصلها عزوة من العزو بمعنى الانتماء والانتساب كأن كل فرقة تعتزي إلى غير من تعتزي إليه الأخرى إما في الولادة أو في المظاهرة فهم مفترقون

كان المشركون يتحلقون حول رسول الله حلقاً حلقاً وفرقاً فرقاً ويستهزئون بكلامه ويقولون إن دخل هؤلاء الجنة كما يقول محمد فلندخلنها قبلهم فنزلت.

﴿**أيطمع**﴾ الطمع نزوع النفس إلى الشيء شهوة له وأكثر الطمع من جهة الهوى ﴿**كل امرىء**﴾ هرمردى ﴿**منهم**﴾ أي: من هؤلاء المهطعين ﴿**أن يدخل جنة نعيم**﴾ بالإيمان أي: جنة ليس فيها إلا التنعم المحض من غير تكدر وتنغص. ﴿**كلا**﴾ ردع لهم عن ذلك الطمع الفارغ أي اتركوا هذا الطمع واقطعوا مثل هذا الكلام وبالفارسية نه اينچنين است وكافر انرا دربهشت راه نيست آن.

قيل: كيف يكون الطمع وهم قالوا ذلك استهزاء أجيب بأن الله عليم بأحوالهم فلعل منهم من كان يطمع وإلا فيكون المراد من الردع قطع وهم الضعفاء عن احتمال صدق قولهم لعل وجه إيراد يدخل مجهولاً من الأدخل دون يدخل معلوماً من الدخول مع أنه الظاهر في رد قولهم لندخلنها إشعار بأنه لا يدخل من يدخل إلا بإدخال الله وأمره للملائكة به وبأنهم محرومون من شفاعة تكون سبباً للدخول وبأن إسناد الدخول إخباراً وإنشاء إنما يكون للمرضي عنهم والمكرمين عند الله بإيمانهم وطاعتهم كقوله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [النساء: ١٢٤] وقوله: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ [الزخرف: ٧٠] وفي تنكير جنة إشعار بأنهم مردودون من كل جنة وإن كانت الجنان كثيرة وفي توصيفها بنعيم إشعار بأن كل جنة مملوءة بالنعمة وأن من طرد من راحة النعيم وقع في كدر الجحيم وفي إيراد كل إشعار بأن من آمن منهم بعد قولهم هذا وأطاع الله ورسوله حق له الطمع وتعميم للردع لكل منهم كائناً من كان ممن لم يؤمن ﴿**إنا خلقناهم مما يعلمون**﴾ كما قال: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الواقعة: ٦٢] وهو كلام مستأنف ومن ذلك وضع السجاوندي علامة الطاء على كلا لتمام الكلام عنده قد سيق تمهيداً لما بعده من بيان قدرته تعالى على أن يهلكهم لكفرهم بالبعث والجزاء واستهزائهم برسول الله وبما نزل عليه من الوحي وادعائهم دخول الجنة بطريق السخرية وينشىء بدلهم قوماً آخرين فإن قدرته تعالى على ما يعلمون من النشأة الأولى من حال النطفة ثم العلقة ثم المضغة حجة بينة على قدرته تعالى على ذلك كما تفصح عنه الفاء الفصيحة في قوله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ [الانشقاق: ١٦]، وفي «التأويلات النجمية»: إنا خلقناهم من الشقاوة الأزلية للعداوة الأبدية باليد اليسرى الجلالية القهرية كيف ينزلون مكان من خلقهم من السعادة الأزلية للمحبة الأبدية باليد اليمنى الجلالية اللطفية هذا مما يخالف الحكمة الإلهية والإرادة السرمدية ولا عبرة بالنطفة والطين لاشتراك الكل فيهما وإنما العبرة بالاصطفائية والخاصية في المعرفة فمن عرف الله كان في جوار الله لأن ترابه من تراب الجنة في الحقيقة وروحه من نور الملكوت ومن جهله كان في بعد عنه لأنه من عالم النار في الحقيقة وكل يرجع إلى أصله.

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِرَبِّ ٱلْمَشَٰرِقِ وَٱلْمَغَٰرِبِ إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿**فلا أقسم**﴾ أي: أقسم كما سبق نظائره.

وقال الكاشفي: فلا پس نه چنانست كه كفار ميكويند اقسم سوكند ميخورم ﴿**برب**

المشارق والمغارب﴾ جمع المشارق والمغارب إما لأن المراد بهما مشرق كل يوم من السنة ومغربه فيكون لكل من الصيف والشتاء مائة وثمانون مشرقاً ومغرباً وبالفارسية بآفريدكار مشرقها كه آفتاب دارد وهر روز از نقطهٔ ديكر طلوع مينمايد وبخداوند مغربها كه آفتاب راهست وهررور بنقطهٔ ديكر غروب ميكند أو مشرق كل كوكب ومغربه يعني مراد مشارق ومغارب نجومست چه هريك ازايشان را محل شروق وغروب ازدائرة افق نقطهٔ ديكرست.

أو المراد بالمشرق ظهور دعوة كل نبي وبالمغرب موته أو المراد أنواع الهدايات والخذلانات **﴿إنا لقادرون﴾** جواب القسم. **﴿على أن نبدل خيراً منهم﴾** أي نبدلهم حذف المفعول الأول للعلم به وخيراً مفعوله الثاني بمعنى التفضيل على التسليم إذ لا خير في المشركين أو نهلكهم بالمرة حسبما تقتضيه جناياتهم ونأتي بدلهم بخلق آخرين ليسوا على صفتهم ولم يقع هذا التبديل وإنما ذكر الله ذلك تهديداً لهم لكي يؤمنوا وقيل بدل الله بهم الأنصار والمهاجرين. **﴿وما نحن بمسبوقين﴾** بمغلوبين إن أردنا ذلك لكن مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة اقتضت تأخير عقوباتهم وبالفارسية يعني كسى برماپيشى نتواندكرفت اكر ارادهٔ امري كنيم ومغلوب نتوان ساخت در إظهار آن.

وقيل: عاجزين لأن من سبق إلى شيء عجز.

﴿فذرهم﴾ فخلهم وشأنهم **﴿يخوضوا﴾** ويشرعوا في باطلهم الذي من جملته ما حكي عنهم وهو جواب الأمر وهو تهديد لهم وتوبيخ كقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠]. **﴿ويلعبوا﴾** في الدنيا بالاشتغال بما لا ينفعهم وأنت مشتغل بما أمرت به وهذه الآية منسوخة بالسيف **﴿حتى يلاقوا﴾** من الملاقاة بمعنى المعاينة **﴿يومهم﴾** هو يوم البعث عند النفخة الثانية والإضافة لأنه يوم كل الخلق وهم منهم أو لأن يوم القيامة يوم الكفار من حيث العذاب ويوم المؤمنين من جهة الثواب فكأنه يومان يوم للكافرين ويوم للمؤمنين. **﴿الذي يوعدون﴾** الآن أو على الاستمرار وهو من الوعد كقولهم متى هذا الوعد ويجوز أن يكون من الإيعاد وهو بالفارسية بيم كردن.

﴿يوم يخرجون من الأجداث﴾ بدل من يومهم ولذا حمل على يوم البعث جمع جدث وهو القبر. **﴿سراعاً﴾** حال من مرفوع يخرجون جمع سريع كظراف جمع ظريف أي مسرعين إلى جانب الداعي وصوته وهو إسرافيل ينادي على الصخرة كما سبق **﴿كأنهم إلى نصب﴾** حال ثانية من المرفوع وهو كل ما نصب فعبد من دون الله وعن ابن عمر رضي الله عنهما هو شبكة يقع فيها الصيد فيسارع إليها صاحبها واحد الأنصاب كما قال تعالى: ﴿وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣] وكان للعرب حجارة تعبدها وتذبح عليها وقال الأخفش جمع نصب كرهن ورهن والأنصاب جمع الجمع **﴿يوفضون﴾** من الإيفاض وهو بالفارسية شتافتن.

وأصله متعد أي يسرعون أيهم يستمله أولاً وفيه تهجين لحالهم الجاهلية وتهكم بهم بذكر جهالتهم التي اعتادوها من الإسراع إلى ما لا يملك نفعاً ولا ضراً.

﴿خاشعة أبصارهم﴾ حال من فاعل يوفضون وأبصارهم فاعلها على الإسناد المجازي يعني وصفت أبصارهم بالخشوع مع أنه وصف الكل غاية ظهور آثاره فيها، والمعنى ذليلة خاضعة لا يرفعون ما يتوقعون من العذاب **﴿ترهقهم ذلة﴾** هو أيضاً حال من فاعل يوفضون أي

تغشاهم ذلة شديدة وحقارة عظيمة وهو بالفارسية خوارى ونكونسارى. **﴿ذلك﴾** اليوم المذكور الذي سيقع فيه الأحوال الهائلة وهو مبتدأ خبره قوله **﴿اليوم الذي كانوا يوعدون﴾** أي يوعدونه في الدنيا على ألسنة الرسل وهم يكذبون به فاندفع توهم التكرار لأن الوعد الأول محمول على الآتي والاستمراري كما مر وهذا الوعد محمول على الماضي بدلالة لفظ كان وفي الذلة إشارة إلى ذلة الأنانية فإنهم يوم يخرجون من الأجداث يسارعون إلى صور تناسب هيئاتهم الباطنة فيكون أهل الأنانية في أنكر الصور بحيث يقع المسخ على ظاهرهم وباطنهم كما وقع لإبليس بقوله ﴿أَنَاْ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ [الأعراف: ١٢] فكما أن إبليس طرد من مقام القرب ورهقته ذلة البعد فكذا من في حكمه من الإنس ولذا كان السلف يبكون دماً من الأخلاق السيئة لا سيما ما يشعر بالأنانية من آثار التعيين فإن التوحيد الحقيقي هو أن يصير العبد فانياً عن نفسه باقياً بربه فإذا لم يحصل هذا فقد بقي فيه بقية من الناسوتية وكل إناء يرشح بما فيه فطوبى لمن ترشح منه الحق لا النفس والله أسأل أن يكرمني به وإياكم.

تمت سورة المعارج بعون خالق الداخل والخارج في العاشر من شوال
سنة ست عشرة ومائة ألف

٧١ ـ سورة نوح

مكية وآيها سبع أو ثمان وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ①﴾.

﴿إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه﴾ مرّ سر نون العظمة مراراً والإرسال يقابل بالإمساك يكون للتسخير كإرسال الريح والمطر ببعث من له اختيار نحو إرسال الرسل وبالتخلية وترك المنع نحو إنا أرسلنا على الكافرين.

قال قتادة: أرسل نوح من جزيرة فذهب إليهم ونوح اسمه عبد الغفار عليه السلام، سمي نوحاً لكثرة نوحه على نفسه أو هو سرياني معناه الساكن لأن الأرض طهرت من خبث الكفار وسكنت إليه وهو أول من أوتي الشريعة في قول، وأول أولي العزم من الرسل على قول الأكثرين وأول نذير على الشكر وكان قومه يعبدون الأصنام وأول من عذبت أمته وهو شيخ المرسلين بعث ابن أربعين سنة أو ثلاثمائة وخمسين أو أربعمائة وثمانين ولبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً وعاش بعد الطوفان تسعين سنة قال بعض من تصدى للتفسير فيه دلالة على أنه لم يرسل إلى أهل الأرض كلهم لأنه تعالى قال إلى قومه فلو أرسل إلى الكل لقيل إلى الخلق أو ما يشابهه كما قيل لرسول الله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] ولقول رسول الله: «كان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس عامة» ثم قال: إن قيل فما جريمة غير قومه حتى عممهم في الدعاء عليهم كما قال: **﴿لا تذر على الأرض من الكافرين دياراً﴾** فإنه إذا لم يرسل إليهم لم يكن كلهم مخالفاً لأمره وعاصياً له حتى يستحقوا الدعاء بالإهلاك أجيب بأنه يحتمل أنه تحقق أن نفوس كفرة زمانه على سجية واحدة يستحقون بذلك أن يدعى عليهم بالإهلاك أيضاً انتهى وفيه نظر لأنه قال في «إنسان العيون» في قوله عليه السلام: «وكان كل نبي إنما يرسل إلى قومه» أي جميع أهل زمنه أو جماعة منهم خاصة ومن الأول نوح عليه السلام، فإنه كان مرسلاً لجميع من كان في زمنه من أهل الأرض ولما أخبر بأنه لا يؤمن منهم إلا من آمن معه وهم أهل السفينة وكانوا ثمانين أربعين رجلاً وأربعين امرأة أو كانوا أربعمائة كما في «العوارف» وقد يقال من الآدميين وغيرهم فلا مخالفة دعا على من عدا من ذكر باستئصال العذاب لهم فكان الطوفان الذي كان به هلاك جميع أهل الأرض إلا من آمن ولو لم يكن مرسلاً إليهم ما دعا عليهم بسبب مخالفتهم له في عبادة الأصنام لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ﴾ [الإسراء: ١٥] أي في الدنيا حتى نبعث رسولاً وقول بعض المفسرين: أرسل إلى آل قابيل لا ينافي ما ذكر لأنه يجوز أن يكون آل قابيل أكثر أهل الأرض وقتئذٍ.

وقد ثبت أن نوحاً عليه السلام، أول الرسل أي لمن يعبد الأصنام لأن عبادة الأصنام أول ما حدثت في قومه وأرسله الله إليهم ينهاهم عن ذلك، وحينئذٍ لا يخالف كون أول الرسل آدم أرسله الله إلى أولاده بالإيمان به تعالى وتعليم شرائعه فإن قلت إذا كانت رسالة نوح عامة لجميع أهل الأرض كانت مساوية لرسالة نبينا عليه السلام، قلت: رسالة نوح عليه السلام، عامة لجميع أهل الأرض في زمنه ورسالة نبينا محمد عليه السلام عامة لجميع من في زمنه ومن يوجد بعد زمنه إلى يوم القيامة فلا مساواة وحينئذٍ يسقط السؤال وهو أنه لم يبق بعد الطوفان إلا مؤمن فصارت رسالة نوح عامة ويسقط جواب الحافظ ابن حجر عنه بأن هذا العموم الذي حصل بعد الطوفان لم يكن من أصل بعثته بل طرأ بعد الطوفان بخلاف رسالة نبينا عليه السلام.

﴿**أن**﴾ أي: ﴿**أنذر قومك**﴾ خوفهم بالنار على عبادة الأصنام كي ينتهوا عن الشرك ويؤمنوا بالله وحده فإن مفسرة لما في الإرسال من معنى القول، ويجوز أن تكون مصدرية حذف منها الجار وأوصل إليها الفعل أي بأن أنذرهم وجعلت صلتها أمراً كما في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ﴾ [يونس: ١٠٥] لأن مدار وصلها بصيغ الأفعال دلالتها على المصدر وذلك لا يختلف بالخبرية والإنشائية ووجوب كون الصلة خبرية في الموصول الاسمي إنما هو للتوصل إلى وصف المعارف بالجمل وهي لا توصف إلا بالجمل الخبرية وليس الموصول الحرفي كذلك وحيث استوى الخبر والإنشاء في الدلالة على المصدر استويا في صحة الوصل بها فيتجرد عند ذلك كل منهما عن المعنى الخاص بصيغته فيبقى الحدث المجرد عن معنى الأمر والنهي والمضي والاستقبال كأنه قيل أرسلناه بالإنذار كذا في «الإرشاد» وقال بعض العارفين الأنبياء والأولياء في درجات القرب على تفاوت فبعضهم يخرج من نور الجلال وبعضهم من نور الجمال وبعضهم من نور العظمة وبعضهم من نور الكبرياء فمن خرج من نور الجمال أورث قومه البسط والأنس ومن خرج من نور العظمة أورث قومه الهيبة والجلال وكان نوح مشكاة نور عظمة الله ولذلك أرسله إلى قومه بالإنذار فلما عصوه أخذهم بالقهر ﴿**من قبل أن يأتيهم**﴾ من الله تعالى ﴿**عذاب أليم**﴾ عاجل كالطوفان والغرق أو آجل كعذاب الآخرة لئلا يبقى لهم عذر ما أصلاً كما قال تعالى: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] والأليم بمعنى المؤلم أو المتألم مبالغة والألم جسماني وروحاني والثاني أشد كأنه قيل فما فعل نوح عليه السلام فقيل:

﴿قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾﴾

﴿**قال**﴾ لهم ﴿**يا قوم**﴾ أي كروه من وأصله يا قومي خاطبهم بإظهار الشفقة عليهم وإرادة الخير لهم وتطبيباً لهم. ﴿**إني لكم نذير**﴾ منذر من عاقبة الكفر والمعاصي وأفرد الإنذار مع كونه بشيراً أيضاً لأن الإنذار أقوى في تأثير الدعوة لما أن أكثر الناس يطيعون أولاً بالخوف من القهر وثانيا بالطمع في العطاء وأقلهم يطيعون بالمحبة للكمال والجمال.

يقول الفقير: الظاهر أن الإنذار أول الأمر كما قال تعالى لنبينا عليه السلام ﴿قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾﴾ [المدثر: ٢] والتبشير ثاني الأمر كما قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٨٧] فالإنذار يتعلق

بالكافرين والتبشير بالمؤمنين وإن أمكن تبشير الكفار بشرط الإيمان لا في حال الكفر فإنهم في حال الكفر إنما يستحقون التبشير التهكمي كما قال تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٤].

﴿مبين﴾ موضح لحقيقة الأمر بلغة تعرفونها أو بين الإنذار.

﴿أن اعبدوا الله﴾ متعلق بنذير أي بأن اعبدوا الله والأمر بالعبادة يتناول جميع الواجبات والمندوبات من أفعال القلوب والجوارح ﴿واتقوه﴾ يتناول الزجر عن جميع المحظورات والمكروهات ﴿وأطيعون﴾ يتناول أمرهم بطاعته في جميع المأمورات والمنهيات والاعتقاديات والعمليات.

وفي «التأويلات النجمية»: أي في أخلاقي وصفاتي وأفعالي وأعمالي وأقوالي وأحوالي انتهى. وهذا وإن كان داخلاً في الأمر بعبادة الله وتقواه إلا أنه خصه بالذكر تأكيداً في ذلك التكليف ومبالغة في تقريره قال بعضهم: أصله وأطيعوني بالياء ولم يقل وأطيعوه بالهاء مع مناسبته لما قبله يعني أسند الإطاعة إلى نفسه لما أن إطاعة الرسول إطاعة الله كما قال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وقال تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ﴾ [النور: ٥٤] فإذا كانوا مأمورين بإطاعة الرسول فكان للرسول أن يقول وأطيعون وأيضاً أن الإجابة كانت تقع له في الظاهر ﴿يغفر لكم﴾ جواب الأمر ﴿من ذنوبكم﴾ أي: بعض ذنوبكم وهو ما سلف في الجاهلية فإن الإسلام يجب ما قبله لا ما تأخر عن الإسلام فإنه يؤاخذ به ولا يكون مغفوراً بسبب الإيمان ولذلك لم يقل يغفر لكم ذنوبكم بطي من التبعيضية فإنه يعم مغفرة جميع الذنوب ما تقدم منها وما تأخر وقيل المراد ببعض الذنوب بعض ما سبق على الإيمان وهو ما لا يتعلق بحقوق العباد ﴿ويؤخركم﴾ بالحفظ من العقوبات المهلكة كالقتل والإغراق والإحراق ونحوها من أسباب الهلاك والاستئصال وكان اعتقادهم أن من أهلك بسبب من هذه الأسباب لم يمت بأجله فخاطبهم على المعقول عندهم فليس يريد أن الإيمان يزيد في آجالهم كذا في بعض التفاسير ﴿إلى أجل مسمى﴾ معين مقدر عند الله والأجل المدة المضروبة للشيء.

قال في «الإرشاد»: وهو الأمد الأقصى الذي قدره الله لهم بشرط الإيمان والطاعة صريح في أن لهم أجلاً آخر لا يجاوزونه إن لم يؤمنوا به وهو المراد بقوله تعالى: ﴿إن أجل الله﴾ وهو ما قدر لكم على تقدير بقائكم على الكفر وهو الأجل القريب المطلق الغير المبرم بخلاف الأجل المسمى فإنه البعيد المبرم، وأضيف الأجل هنا إلى الله لأنه المقدر والخالق أسبابه وأسند إلى العباد في قوله إذا جاء أجلهم لأنهم المبتلون المصابون. ﴿إذا جاء﴾ وأنتم على ما أنتم عليه من الكفر. ﴿لا يؤخر﴾ فبادروا إلى الإيمان والطاعة قبل مجيئه حتى لا يتحقق شرطه الذي هو بقاؤكم على الكفر فلا يجيء ويتحقق شرط التأخير إلى الأجل المسمى فتؤخروا إليه فالمحكوم عليه بالتأخير هو الأجل المشروط بشرط الإيمان والمحكوم عليه بامتناعه هو الأجل المشروط بشرط البقاء على الكفر فلا تناقض لانعدام وحدة الشرط ويجوز أن يراد به وقت إتيان العذاب المذكور في قوله تعالى ﴿من قبل أن يأتيهم عذاب أليم﴾ فإنه أجل موقت له حتماً.

﴿لو كنتم تعلمون﴾ شيئاً لسارعتم إلى ما أمرتكم به أو لعلمتم أن الأجل لا تأخير فيه ولا إهمال وفيه إشارة إلى أنهم ضيعوا أسباب العلم وآلات تحصيله بتوغلهم في حب الدنيا وطلب لذاتهم حتى بلغوا بذلك إلى حيث صاروا كأنهم شاكون في الموت.

روزى كه اجل در آيد ازپيش وپست   شك نيست كه مهلت ندهديك نفست

يارى نرسد دران دم از هيچ كست بر باد شود جمله هوا وهوست

﴿قال﴾ أي نوح مناجياً لربه وحاكياً له وهو أعلم بحال ما جرى بينه وبين قومه من القيل والقال في تلك المدد الطوال بعد ما بذل في الدعوة غاية المجهود وجاوز في الإنذار كل حد معهود وضاقت عليه الحيل وعيت به العلل ﴿رب﴾ أي پروردكارمن ﴿إني دعوت قومي﴾ إلى الإيمان والطاعة ﴿ليلاً ونهاراً﴾ في الليل والنهار، أي دائماً من غير فتور ولا توان فهما ظرفان لدعوت أراد بهما الدوام على الدعوة لأن الزمان منحصر فيهما، وفي «كشف الأسرار» بشبها درخانهاى ايشان وبروزها در انجمنهاى ايشان.

وكان يأتي باب أحدهم ليلاً فيقرع الباب فيقول صحاب البيت من على الباب فيقول أنا نوح قل لا إله إلا الله.

﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِىٓ إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨﴾.

﴿فلم يزدهم دعائي إلا فراراً﴾ مما دعوتهم إليه.

وفي «التأويلات النجمية»: من متابعي وديني وما أنا عليه من آثار وحيك، والفرار وبالفارسية كريختن.

وهو مفعول ثانٍ لقوله: ﴿لم يزدهم﴾ لأنه يتعدى إلى مفعولين يقال زاده الله خيراً وزيده فزاد وازداد كما في «القاموس» وإسناد الزيادة إلى الدعاء مع أنها فعل الله تعالى لسببيته لها والمعنى أن الله يزيد الفرار عند الدعوة الصرف لمدعو اختياره إليه.

﴿وإني كلما دعوتهم﴾ أي إلى الإيمان.

وفي «التأويلات النجمية»: كلما دعوتهم بلسان الأمر مجرداً عن انضمام الإرادة الموجبة لوقوع المأمور فإن الأمر إذا كان مجرداً عن الإرادة لا يجب أن يقع المأمور به بخلاف ما إذا كان مقروناً بالإرادة فإنه لا بد حينئذٍ من وقوع المأمور به ﴿لتغفر لهم﴾ بسببه ﴿جعلوا أصابعهم في آذانهم﴾ أي: سدوا مسامعهم من استماع الدعوة فالجعل المذكور كناية عن هذا السد ولا مانع من الحمل على حقيقته بأن يدخلوا أصابعهم في ثقب آذانهم قصداً إلى عدم الاستماع ﴿واستغشوا ثيابهم﴾ الاستغشاء جامه بسر در كشيدن.

كما في «تاج المصادر» مأخوذ من الغشاء وهو الغطاء وفي الأصل اشتمال من فوق ولما كان فيه معنى الستر استعمل معناه وأصل الاستغشاء طلب الغشي، أي الستر لكن معنى الطلب هنا ليس بمقصود بل هو بمعنى التغطي والستر وإنما جيء بصيغته التي هي السين للمبالغة والثياب جمع ثوب سمي به لثوب الغزل، أي رجوعه إلى الحالة التي قدر لها والمعنى وبالغوا في التغطي بثيابهم كأنهم طلبوا منها أن تغشاهم، أي جميع أجزاء بدنهم آلة الإبصار وغيرها لئلا يبصروه كراهة النظر إليه فإن المبطل يكره رؤية المحق للتضاد الواقع بينهما وقس عليهما المتكبر والكافر والمبتدع بالنسبة إلى المتواضع والمؤمن والسني أو لئلا يعرفهم فيدعوهم.

يقول الفقير: هذا الثاني ليس بشيء لأن دعوته على ما سبق كانت عامة لجميع من في الأرض ذكورهم وإناثهم والمعرفة ليست من شرط الدعوة واشتباه الكافر بالمؤمن مدفوع بأن المؤمن كان أقل القليل معلوماً على كل حال على أن التغطي من موجبات الدعوة لأن بذلك

يعلم كونه من أهل الفرار إذ لم يكن في ذلك الزمان حجاب، وقال بعضهم: ويجوز أن يكون التغطي مجازاً عن عدم ميلهم إلى الاستماع والقبول بالكلية لأن من هذا شأنه لا يسمع كلامه غيره. ﴿وأصروا﴾ أي: أكبوا وأقاموا على الكفر والمعاصي وفي «قوت القلوب» الإصرار يكون بمعنى يعقد بقلبه أنه متى قدر على الذنب فعله أو لا يعقد الندم ولا التوبة منه وأكبر الإصرار السعي في طلب الأوزار.

«وفي تاج المصادر» الإصرار برچيزى باستادن وكوش راست كردن است.

يقال: أصر الحمار على العانة وهي القطيع من حمر الوحش إذا ضم أذنيه إلى رأسه وأقبل عليها يكدمها ويطردها استعير للإقبال على الكفر والمعاصي والإكباب عليهما بتشبيه الإقبال المذكور بإصرار الحمار على العانة يكدمها ويطردها ولو لم يكن في ارتكاب المعاصي إلا التشبيه بالحمار لكفى به مزجرة فكيف والتشبيه في أسوء حاله وهو حال الكدم والطرد للسفاد ﴿واستكبروا﴾ تعظموا عن اتباعي وطاعتي وأخذتهم العزة في ذلك. ﴿استكباراً﴾ شديداً لأنهم قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] قال بعض العارفين: من أصر على المعصية أورثته التمادي في الضلالة حتى يرى قبيح أعماله حسناً فإذا رآه حسناً يتكبر ويعلو بذلك على أولياء الله ولا يقبل بعد ذلك نصيحتهم قال سهل قدس سره: الإصرار على الذنب يورث النفاق والنفاق يورث الكفر. ﴿ثم إني دعوتهم﴾ دعوة ﴿جهاراً﴾ أي: أظهرت لهم الدعوة يعني آشكارا در محافل ايشان. والجهر ظهور الشيء بإفراط لحاسة البصر أو حاسة السمع.

﴿ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠﴾

﴿ثم إني أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾ إشارة إلى ذكر عموم الحالات بعد ذكر عموم الأوقات أي دعوتهم تارة بعد تارة ومرة غب مرة على وجوه متخالفة وأساليب متفاوتة وثم لتفاوت الوجوه فإن الجهار أشد من الإسرار والجمع بينهما أغلظ من الإفراد والإعلان ضد الإسرار يقال أسررت إلى فلان حديثاً أفضيت به إليه في خفية أي من غير إطلاع أحد عليه وجهرت به أظهرته بحيث اطلع عليه الغير ويجوز أن يكون ثم لتراخي بعض الوجوه عن بعض بحسب الزمان بأن ابتدأ بمناصحتهم ودعوتهم في السر فعاملوه بالأمور الأربعة وهي الجعل والتغطي والإصرار والاستكبار ثم ثنى بالمجاهرة بعد ذلك فلما لم يؤثر جمع بين الإعلان والإسرار أي خلط دعاءه بالعلانية بدعاء السر فكما كلمهم جميعاً كلمهم واحداً واحداً سراً وقال بعضهم: إشكارا كردم مر بعضي ايشانرا يعين باشكارا آوز برداشتم وباعلاي صوت دعوت كردم وبراز كفتم مر بعضي ديكر از ايشانرا.

وفي بعض التفاسير: إن نوحاً عليه السلام لما آذوه بحيث لا يوصف حتى كانوا يضربونه في اليوم مرات عيل صبره فسأل الله أن يواريه عن أبصارهم بحيث يسمعون كلامه ولا يرونه فينالونه بمكروه ففعل الله ذلك به دعاهم كذلك زماناً فلم يؤمنوا فسأل أن يعيده إلى ما كان وهو قوله: ﴿أعلنت لهم وأسررت لهم إسراراً﴾ وقال القاشاني: ﴿ثم إني دعوتهم جهاراً﴾ أي: نزلت عن مقام التوحيد ودعوتهم إلى مقام العقل وعالم النور ثم إني أعلنت لهم بالمعقولات الظاهرة وأسررت لهم في مقام القلب بالأسرار الباطنة ليتوصلوا إليها بالمعقول. ﴿فقلت﴾ لهم

عقيب الدعوة عطف على قوله دعوت ﴿استغفروا ربكم﴾ اطلبوا المغفرة منه لأنفسكم بالتوبة عن الكفر والمعاصي قبل الفوت بالموت ﴿إنه﴾ تعالى ﴿كان غفاراً﴾ للتائبين بجعل ذنوبهم كأن لم تكن والمراد من كونه غفاراً في الأزل كونه مريداً للمغفرة في وقتها المقدر وهو وقت وجود المغفور له وفي «كشف الأسرار» كان صلة إليه ورؤية التقصير في العبودية الندم على ما ضاع من أيامهم بالغفلة عن الله وفي الحديث: «من أعطى الاستغفار لا يمنع المغفرة لأنه تعالى قال: استغفروا ربكم إنه كان غفاراً» ولذا كان علي رضي الله عنه يقول: ما ألهم الله عبداً الاستغفار وهو يريد أن يعذبه وعن بعض العلماء قال الله تعالى: إن أحب عبادي إلي المتحابون بحبي والمعلقة قلوبهم بالمساجد والمستغفرون بالأسحار أولئك الذين إذا أردت أهل الأرض بعقوبة ذكرتهم فتركتهم وصرفت العقوبة عنهم والغفار أبلغ من الغفور وهو من الغافر وأصل الغفر الستر والتغطية ومنه قيل لجنة الرأس مغفر لأنه يستر الرأس والمغفرة من الله ستره للذنوب وعفوه عنها بفضله ورحمته لا بتوبة العباد وطاعتهم وإنما التوبة والطاعة للعبودية وعرض الافتقار وفي بعض الأخبار عبدي لو أتيتني بقراب الأرض ذنوباً لغفرتها لك ما لم تشرك بي.

حكي أن شيخاً حج مع شاب فلما أحرم قال لبيك اللهم لبيك فقيل له لا لبيك فقال الشاب للشيخ: ألا تسمع هذا الجواب، فقال: كنت أسمع هذا الجواب منذ سبعين سنة قال فلأي شيء تتعب نفسك فبكى الشيخ فقال فإلى أي باب ألتجىء فقيل له قد قبلناك.

همه طاعت آرند ومسكين نياز بياتا بدركاه مسكين نواز

چوشاخ برهنه برآريم دست كه بي برك ازين بيش نتوان نشست

﴿يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾.

﴿يرسل السماء﴾ أي المطر كما قال الشاعر:

إذا نزل السماء بأرض قوم

وقال بعضهم: أي ماء السماء فحذف المضاف. ﴿عليكم﴾ حال كونه ﴿مدراراً﴾ أي كثير الدرور أي السيلان والانصباب، وبالفارسية: فرو كشايد برشما باران پي در پي وبيهكنام.

وفي الإرسال مبالغة بالنسبة إلى الإنزال وكذا المدرار صيغة مبالغة ومفعال مما يستوي فيه المذكر والمؤنث كقولهم رجل أو امرأة معطار ويرسل جواب شرط محذوف أي إن تستغفروا يرسل السماء وفي قول النحاة في مثله إنه جواب الأمر وهو ههنا استغفروا تسامح في العبارة اعتماداً على وضوح المراد وكسر اللام بالوصل لتحرك الساكن به كأن قوم نوح تعللوا وقالوا إن كنا على الحق فكيف نتركه وإن كنا على الباطل فكيف يقبلنا بعدما عكفنا عليه دهراً طويلاً فأمرهم الله بما يمحق ما سلف منهم من المعاصي ويجلب عليهم المنافع وهو الاستغفار، ولذلك وعدهم بالعوائد العاجلة التي هي أوقع في قلوبهم من المغفرة وأحب إليهم إذ النفس حريصة بحب العاجل ولذلك جعلها جواب الأمر بأن قال: ﴿يرسل السماء﴾ الخ دون المغفرة بأن قال يغفر لكم ليرغبوا فيها ويشاهدوا أن أثرها وبركتها ما يقاس عليه حال المغفرة، فالاشتغال بالطاعة سبب لانفتاح أبواب الخيرات كما أن المعصية سبب لخراب العالم بظهور أسباب القهر الإلهي، وقيل لما كذبوه بعد تكرير الدعوة حبس الله عنهم القطر وأعقم أرحام

نسائهم أربعين سنة وقيل سبعين سنة فوعدهم إن آمنوا أن يرزقهم الله الخصب ويدفع عنهم ما كانوا فيه.

يقول الفقير: هذا القول هو الموافق للحكمة لأن الله تعالى يبتلي عباده بالخير والشر ليرجعوا إليه ألا ترى إلى قريش حيث أن الله جعل لهم سبع سنين كسني يوسف بدعاء النبي عليه السلام ليرجعوا عما كانوا عليه من الشرك فلم يرفعوا له رأساً.

﴿**ويمددكم بأموال وبنين**﴾ أي: يوصل إليكم ويعط لكم المدد والقوة بهما كما قال الله تعالى: ﴿وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢] ﴿**ويجعل لكم**﴾ أي: وينشىء لكم ﴿**جنات**﴾ بساتين ذوات أشجار وأثمار. ﴿**ويجعل لكم**﴾ فيها ﴿**أنهاراً**﴾ جارية تزينها بالنبات وتحفظها عن اليبس وتفرح القلوب وتسقي النفوس كان الظاهر تقديم الجنات والأنهار على الإمداد لكونهما من توابع الإرسال وإنما أخرهما لرعاية رأس الآية وللإشعار بأن كلاً منهما نعمة إلهية على حدة.

وعن الحسن البصري قدس سره أن رجلاً شكا إليه الجدب فقال استغفر الله وشكا إليه آخر الفقر وآخر قلة النسل وآخر قلة ريع أرضه فأمرهم كلهم بالاستغفار فقال له الربيع بن صبيح: أتاك رجال يشكون أبواباً ويسألون أنواعاً فأمرتهم كلهم بالاستغفار فتلا الآية، قال في «فتح الرحمن»: ولذلك شرع الاستغفار في الاستسقاء وهو الدعاء بطلب السقيا على وجه مخصوص فإذا أجدبت الأرض وقحط المطر سن الاستسقاء بالاتفاق ومنع أبو حنيفة وأصحابه من خروج أهل الذمة ولم يمنعوا عند الثلاثة ولم يختلطوا بالمسلمين ولم يفردوا بيوم وقد سبق بعض تفصيله في سورة البقرة.

﴿**ما لكم لا ترجون لله وقاراً**﴾ إنكار لأن يكون لهم سبب ما في عدم رجائهم لله تعالى وقاراً على أن الرجاء بمعنى الاعتقاد أي الظن بناء على أنه أي الرجاء إنما يكون بالاعتقاد وأدنى درجته الظن والوقار في الأصل السكون والحلم وهو ههنا بمعنى العظمة لأنه يتسبب عنها في الأغلب ولا ترجون حال من ضمير المخاطبين والعامل فيها معنى الاستقرار في لكم ولله متعلق بمضمر وقع حالاً من وقاراً، ولو تأخر لكان صفة له والمعنى أي سبب حصل لكم واستقر حال كونكم غير معتقدين لله عظمة موجبة لتعظيمه بالإيمان والطاعة له أي لا سبب لكم في هذا مع تحقق مضمون الجملة الحالية، وبالفارسية: چيست شمارا كه اميدناريد يعني نمى شناسيد مرخدايرا عظمت وبزر كوارى واعتقاد نمى كنيد تابترسيد ازنا فرمانىء او.

وفي «كشف الأسرار»: هذا الرجاء بمعنى الخوف والوقار العظمة أي لا تخافون لله عظمة وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما لكم لا تخشون منه عقاباً ولا ترجون منه ثواباً بتوقيركم إياه وفي «التأويلات النجمية» ما لكم لا تطلبون ولا تكسبون من اسم الله الأعظم ما يوقركم عنده بالتخلق بكل اسم تحته حتى تصيروا بسبب تحققكم بجميع أسمائه الداخلة فيه مظهره ومجلاه.

﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ ٱللَّهُ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾﴾

﴿**وقد خلقكم أطواراً**﴾ يقال فعل كذا طوراً بعد طور، أي تارة بعد تارة وعدا طوره أي تجاوز حده وقدره والمعنى والحال أنكم على حالة منافية لما أنتم عليه بالكلية وهي أنكم

تعلمون أنه تعالى خلقكم وقدركم تارات أي مرات حالاً بعد حال عناصر ثم أغذية ثم أخلاطاً ثم نطفاً ثم علقاً ثم مضغاً ثم عظاماً ولحوماً ثم أنشأكم خلقاً آخر، فإن التقصير في توقير من هذه شؤونه في القدرة القاهرة والإحسان التام مع العلم بها مما لا يكاد يصدر عن العاقل وقال بعضهم: هي إشارة إلى الأطوار السبعة المذكورة في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٢ ـ ١٤] فهذه هي التارات والأحوال السبع المترتب بعضها على بعض كل تارة أشرف مما قبلها وحال الإنسان فيها أحسن مما تقدمها.

چون صورت توبت نه نكارند بكشمير   چون قامت توسرونه كارند بكشور
كر نقش توپيش بت آزر بنكارند   اشرم فروريزد نقش بت آزر

وقيل: خلقكم صبياناً وشباناً وشيوخاً وقيل طوالاً وقصاراً وأقوياء وضعفاء مختلفين في الخلق والخلق كما قال تعالى: ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ [الروم: ٢٢] وقيل: خلقهم أطواراً حين أخرجهم من ظهر آدم للعهد ثم خلقهم حين أذن بهم إبراهيم عليه السلام للحج ثم خلقهم ليلة أسري برسول الله ﷺ فأراه إياهم، وقال بعض أهل المعرفة خلقكم أطواراً من أهل المعرفة ومن أهل المحبة ومن أهل الحكمة ومن أهل التوحيد ومن أهل الشوق ومن أهل العشق ومن أهل الفناء ومن أهل البقاء ومن أهل الخدمة ومن أهل المشاهدة خلق طور الأرواح القدسية من نور الجبروت وطور العقول الهادية العارفة من نور الملكوت وطور القلوب الشائقة من معادن القربة وطور أجسام الصديقين من تراب الجنة فكل طور يرجع إلى معدنه من الغيب.

﴿ألم تروا﴾ يا قومي والاستفهام للتقرير والرؤية بمعنى العلم لعلهم علموا ذلك بالسماع من أهله أو بمعنى الأبصار والمراد مشاهدة عجائب الصنع الدال على كمال العلم والقدرة ﴿كيف خلق الله سبع سموات﴾ حال كونها ﴿طباقاً﴾ أي: متطابقاً بعضها فوق بعض كما سبق في سورة الملك أتبع الدليل الدال على أنه يمكن أن يعيدهم وعلى أنه عظيم القدرة بدلائل الأنفس لأن نفس الإنسان أقرب الأشياء إليه ثم أتبع ذلك بدلائل آفاق فقال:

﴿وَجَعَلَ ٱلْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ ٱلشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾﴾.

﴿وجعل القمر فيهن نوراً﴾ أي: منوراً لوجه الأرض في ظلمة الليلة ونسبته إلى الكل مع أنه في السماء الدنيا لأن كل واحدة من السموات شفافة لا يحجب ما وراءها فيرى الكل كأنها سماء واحدة ومن ضرورة ذلك أن يكون ما في واحدة منها كأنه في الكل على أنه ذهب ابن عباس وابن عمر ووهب بن منبه رضي الله عنهم إلى أن الشمس والقمر والنجوم وجوهها مما يلي السماء وظهورها مما يلي الأرض وهو الذي يقتضيه لفظ السراج لأن ارتفاع نوره في طرف العلو ولولا ذلك لأحرقت جميع ما في الأرض بشدة حرارتها فجعلها الله نوراً وسراجاً لأهل الأرض والسماوات فعلى هذا ينبغي أن يكون تقدير ما بعده وجعل الشمس فيهن سراجاً حذف لدلالة الأول عليه ﴿وجعل الشمس﴾ هي في السماء الرابعة وقيل في الخامسة وقال عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في الشتاء في الرابعة وفي الصيف في السابعة ولو أضاءت من

الرابعة أو من السماء الدنيا لم يطق لها شيء كما قال في «المثنوي»:

آفتابى كزوى اين عالم فروخت   اندكى كرپيش آيد جمله سوخت

﴿سراجاً﴾ من باب التشبيه البليغ أي كالسراج يزيل ظلمة الليل عند الفجر ويبصر أهل الدنيا في ضوئها الأرض ويشاهدون الآفاق كما يبصر أهل البيت في ضوء السراج ما يحتاجون إلى أبصاره وليس القمر بهذه المثابة إنما هو نور في الجملة.

وحضرت رسول الله ﷺ بجهت آن چراغ كفته كه كما قال تعالى: ﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٦] نووى تاريكىء كفر ونفاق را از عرصهء روى زمين زائل كردانيد.

چراغ دل چشم چشم وچراغ جان رسول الله

كه شمع ملت است ازپر تو احكام اورخشان

درين ظلمت سرا كرنه چراغ افرو ختى شرعش

كجاكس را خلاصي بودي ازتاريكى طغيان

والسراج أعرق عند الناس من الشمس بوجه الشبه الذي هو إزالة ظلمة الليل لأنهم يستعملونه في الليالي فلا يرد أن يقال إن نور القمر عرضي مستفاد من الشمس كضوء السراج فتشبه القمر بالسراج أولى من تشبيه الشمس به وأيضاً إنه من تشبيه الأعلى بالأدنى وقال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره في «شرح الأربعين حديثاً»: الضياء هو امتزاج النور بالظلمة وليس في ذات القمر ما يمتزج بالشمس حتى يسمى الناتج بينهما ضياء ولهذا سمى الحق القمر نوراً دون الشمس المشبهة بالسراج لكونه ممدوداً من الشجرة المباركة المنفي عنها الجهات وإنها الحضرة الجامعة للأسماء والصفات.

﴿والله أنبتكم من الأرض نباتاً﴾ أي إنباتاً عجيباً وأنشأكم منها إنشاء غريباً بواسطة إنشاء أبيكم آدم منها أو أنشأ الكل منها من حيث أنه خلقهم من النطف المتولدة من النبات المتولد من الأرض استعير الإنبات للإنشاء لكونه أدل على الحدوث والتكون من الأرض لأنهم إذا كانوا نباتاً كانوا محدثين لا محالة حدوث النبات ووضع نباتاً موضع إنباتاً على أنه مصدر مؤكد لأنبتكم بحذف الزوائد ويسمى اسم مصدر دل عليه القرينة الآتية وهي قوله ﴿ويخرجكم إخراجاً﴾. وقال بعضهم: نباتاً حال لا مصدر ونبه بذلك أن الإنسان من وجه نبات من حيث أن بدأه ونشأته من التراب وأنه ينمو نموه وإن كان له وصف زائد على النبات والنبات ما يخرج من الأرض سواء كان له ساق كالشجر أو لم يكن كالنجم لكن اختص في التعارف بما لا ساق له بل اختص عند العامة بما يأكله الحيوان وقال بعض أهل المعرفة والله أنبتكم من الأرض نباتاً أي جعل غذاءكم الذي تنمو به أجسادكم من الأرض كما جعل النبات ينمو بالماء بواسطة التراب فغذاء هذه النشأة ونموها بما خلقت منه.

﴿ثم يعيدكم فيها﴾ أي: في الأرض بالدفن عند موتكم ﴿ويخرجكم﴾ منها عند البعث والحشر ﴿إخراجاً﴾ محققاً لا ريب فيه وذلك لمجازاة الأولياء ومحاسبة الأعداء ولم يقل ثم يخرجكم بل ذكر بالواو الجامعة إياها مع يعيدكم رمزاً إلى أن الإخراج مع الإعادة في القبر كشيء واحد لا يجوز أن يكون بعضها محقق الوقوع دون بعض.

وفي «التأويلات النجمية»: والله أنبت من أرض بشريتكم نبات الأخلاق والصفات ثم

يعيدكم في تلك الأرض بالبقاء بعد الفناء بطريق الرجوع إلى أحكام البشرية بالله لا بالطبع والميل الطبيعي ويخرجكم أي ويظهركم ويغلبكم على التصرف في العالم بالله لا بكم ولا بقدرتكم واستطاعتكم.

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِّتَسْلُكُوا۟ مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾﴾

﴿والله﴾ كرر الاسم الجليل للتعظيم والتيمن والتبرك **﴿جعل لكم﴾** أي لمنافعكم **﴿الأرض﴾** سبق بيانها في سورة الملك وغيرها **﴿بساطاً﴾** مبسوطة متسعة كالبساط والفراش تتقلبون عليها تقلبكم على بسطكم في بيوتكم قال أبو حيان: ظاهره أن الأرض ليست كرية بل هي مبسوطة قال سعدي المفتي: وإنما هو في التقلب عليها على ما فسروه انتهى. وقد مر مراراً أن كرية الأرض لا تتنافى الحرث والغرس ونحوهما لعظم دائرتها كما يظهر الفرق بين بيضة الحمامة وبيضة النعامة. **﴿لتسلكوا﴾** من السلوك وهو الدخول لا من السلك وهو الإدخال **﴿منها سبلاً فجاجاً﴾** أي طرقاً واسعة جمع سبيل وفج وهو الطريق الواسع فجرد هنا لمعنى الواسع فجعل صفة لسبلاً وقيل هو المسلك بين الجبلين.

قال في «المفردات»: الفج طريق يكتنفها جبلان ويستعمل في الطريق الواسع ومن متعلقة بما قبلها لما فيه من معنى الاتخاذ أي لتسلكوا متخذين من الأرض سبلاً فتصرفوا فيها مجيئاً وذهاباً أو بمضمر هو حال من سبلاً أي كائنة من الأرض ولو تأخر لكان صفة لها ثم جعلها بساطاً للسلوك المذكور لا ينافي غيره من الوجوه كالنوم والاستراحة والحرث والغرس ونحوها ثم السلوك إما جسماني بالحركة الأينية الموصلة إلى المقصد وإما روحاني بالحركة الكيفية الموصلة إلى المقصود ولكل منهما فوائد جليلة كطلب العلم والحج والتجارة وغيرها وكتحصيل المحبة والمعرفة والأنس ونحوها وقال القاشاني: والله جعل لكم أرض البدن بساطاً لتسلكوا منها سبل الحواس فجاجاً أي خروقاً واسعة أو من جهتها سبل سماء الروح إلى التوحيد كما قال أمير المؤمنين رضي الله عنه سلوني عن طرق السماء فإني أعلم بها من طرق الأرض أراد الطرق الموصلة إلى الكمال من المقامات والأحوال كالزهد والعبادة والتوكل والرضى وأمثال ذلك ولهذا كان معراج النبي عليه السلام، بالبدن.

﴿قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِى وَٱتَّبَعُوا۟ مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُۥ وَوَلَدُهُۥٓ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾.

﴿قال نوح﴾ أعيد لفظ الحكاية لطول العهد بحكاية مناجاته لربه فهو بدل من قال الأول ولذا ترك العطف أي قال مناجياً له تعالى **﴿رب﴾** أي: پروردكار من **﴿إنهم عصوني﴾** داموا على عصياني ومخالفتي فيما أمرتهم به مع ما بالغت في إرشادهم بالعظة والتذكير. **﴿واتبعوا من لم يزده ماله وولده إلا خساراً﴾** أي: استمروا على اتباع رؤسائهم الذين أبطرتهم أموالهم وغرتهم أولادهم وصارت تلك الأموال والأولاد سبباً لزيادة خسارهم في الآخرة فصاروا أسوة لهم الخسار وفي وصفهم بذلك إشعار بأنهم إنما اتبعوهم لوجاهتهم الحاصلة لهم بسب الأموال والأولاد لما شهدوا فيهم من شبهة مصححة للاتباع كما قالت قريش لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم فجعلوا الغنى سبباً مصححاً للاتباع ودل الكلام على أن ازدياد المال والولد كثيراً ما يكون سبباً للهلاك الروحاني ويورث الضلال في الدين أولاً والإضلال عن

اليقين ثانياً قال ابن الشيخ: المفهوم من نظم الآية أن أموالهم وأولادهم عين الخسار وأن ازديادهما إنما هو ازدياد خسارهم والأمر في الحقيقة كذلك فإنهما وإن كانا من جملة المنافع المؤدية إلى السعادة الأبدية بالشكر عليهما وصرفهما إلى وجوه الخير إلا أنهما إذا أديا إلى البطر والاغترار وكفران حق المنعم بهما وصارا وسيلتين إلى العذاب المؤبد في الآخرة صارا كأنهما محض الخسار لأن الدنيا في جنب الآخرة كالعدم فمن انتفع بهما في الدنيا خسر سعادة الآخرة وصار كمن أكل لقمة مسمومة من الحلوى فهلك فإن تلك اللقمة في حقه هلاك محض إذ لا عبرة لانتفاعه بها في جنب ما أدت إليه.

توغافل درانديشهٔ سود ومال   كه سرمايهٔ عمر شد پايمال

﴿ومكروا﴾ عطف على صلة من لأن المكر الكبار يليق بكبرائهم والجمع باعتبار معناها والمكر الحيلة الخفية وفي «كشف الأسرار» المكر في اللغة غاية الحيلة وهو من فعل الله تعالى إخفاء التدبير ﴿مكراً كباراً﴾ أي: كبيراً في الغاية وقرىء بالتخفيف والأول أبلغ منه وهو أبلغ من الكبير نحو طوال وطوال وطويل ومعنى مكرهم الكبار احتيالهم في منع الناس عن الدين وتحريشهم لهم على أذية نوح.

قال الشيخ: لما كان التوحيد أعظم المراتب كان المنع منه والأمر بالشرك أعظم الكبائر فلذا وصفه الله بكونه مكراً كباراً.

﴿وقالوا﴾ أي: الرؤساء للأتباع والسفلة ﴿لا تذرن آلهتكم﴾ أي: لا تتركوا عبادتها على الإطلاق إلى عبادة رب نوح ومن عطف مكروا على اتبعوا يقول معنى وقالوا، وقال بعضهم لبعض فالقائل ليس هو الجمع ﴿ولا تذرن وداً ولا سواعاً ولا يغوث ويعوق ونسراً﴾ جرد الأخيرين عن حرف النفي إذ بلغ التأكيد نهايته وعلم أن القصد إلى كل فرد فرد لا إلى المجموع من حيث هو مجموع والمعنى ولا تذرون عبادة هؤلاء خصوصاً فهو من عطف الخاص على العام خصوصاً بالذكر مع اندراجها فيما سبق لأنها كانت أكبر أصنامهم وأعظم ما عندهم وقد انتقلت هذه الأصنام بأعيانها عنهم إلى العرب فكان ود لكلب بدومة الجندل بضم دال دومة ولذلك سمت العرب بعبد ود.

قال الراغب: الود صنم سمي بذلك إما لمودتهم له أو لاعتقادهم أن بينه وبين الباري تعالى مودة تعالى عن ذلك وكان سواع لهمدان بسكون الميم قبيلة باليمن ويغوث لمذحج كمجلس بالذال المعجمة وآخره جيم ومنه كانت العرب تسمي عبد يغوث ويعوق لمراد وهو كغراب أبو قبيلة سمي به لأنه تمرد ونسب لحمير بكسر الحاء وسكون الميم بوزن درهم موضع غربي صنعاء اليمن وقيل انتقلت أسماؤها إليهم فاتخذوا أمثالها فعبدوها إذ يبعد بقاء أعيان تلك الأصنام كيف وقد خربت الدنيا في زمان الطوفان ولم يضعها نوح في السفينة لأنه بعث لنفيها وجوابه أن الطوفان دفنها في ساحل جدة فلم تزل مدفونة حتى أخرجها اللعين لمشركي العرب نظيره ما روي أن آدم عليه السلام كتب اللغات المختلفة في طين وطبخه فلما أصاب الأرض الغرق بقي مدفوناً ثم وجد كل قوم كتاباً فكتبوه فأصاب إسماعيل عليه السلام، الكتاب العربي وقيل هي أسماء رجال صالحين كانوا بين آدم ونوح وقيل من أولاد آدم ماتوا فحزن الناس عليهم حزناً شديداً واجتمعوا حول قبورهم لا يكادون يفارقونها وذلك بأرض بابل فلما رأى إبليس فعلهم ذلك جاء إليهم في صورة إنسان وقال لهم هل لكم أن أصور لكم صورهم إذا

نظرتم إليها ذكرتموهم واستأنستم وتبركتم بهم قالوا نعم فصور لهم صورهم من صفر ورصاص ونحاس وخشب وحجر وسمى تلك الصور بأسمائهم ثم لما تقادم الزمن وانقرضت الآباء والأبناء وأبناء الأبناء قال لمن حدث بعدهم إن من قبلكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوها في زمان مهلاييل بن قينان ثم صارت سنة في العرب في الجاهلية وذلك إما بإخراج الشيطان اللعين تلك الصور كما سبق، أو بأنه كان لعمرو بن لحي وهو أول من نصب الأوثان في الكعبة تابع من الجن فقال له اذهب إلى جدة وائت منها بالآلهة التي كانت تعبد في زمن نوح وإدريس وهي ود الخ فذهب وأتى بها إلى مكة ودعا إلى عبادتها فانتشرت عبادة الأصنام في العرب، وعاش عمرو بن لحي ثلاثمائة وأربعين سنة ورأى من ولده وولد ولد ولده ألف مقاتل ومكث هو وولده في ولاية البيت خمسمائة سنة، ثم انتقلت الولاية إلى قريش فمكثوا فيها خمسمائة أخرى فكان البيت بيت الأصنام ألف سنة.

وذكر الإمام الشعراني: أن أصل وضع الأصنام إنما هو من قوة التنزيه من العلماء الأقدمين فإنهم نزهوا الله عن كل شيء وأمروا بذلك عامتهم فلما رأوا بعض عامتهم صرح بالتعطيل وضعوا لهم الأصنام وكسوها الديباج والحلي والجواهر وعظموها بالسجود وغيره ليتذكروا بها الحق الذي غاب عن عقولهم وغاب عن أولئك العلماء أن ذلك لا يجوز إلا بإذن من الله تعالى هذا كلامه قال السهيلي ولا أدري من أين سرت لهم تلك الأسماء القديمة أمن قبل الهند فقد ذكر عنهم أنهم كانوا المبدأ في عبادتهم الأصنام بعد نوح أم الشيطان ألهمهم ما كانت عليه الجاهلية الأولى قبل نوح وفي «التكملة» روى تقي بن مخلد أن هذه الأسماء المذكورة في السورة كانوا أبناء آدم عليه السلام من صلبه وأن يغوث كان أكبرهم وهي أسماء سريانية ثم وقعت تلك الأسماء إلى أهل الهند فسموا بها أصنامهم التي زعموا أنها على صور الدراري السبعة وكانت الجن تكلمهم من جوفها فافتتنوا بها ثم أدخلها إلى أرض العرب عمرو بن لحي بن قمعة بن إلياس بن مضر فمن قبله سرت إلى أرض العرب وقيل كان ود على صورة رجل وسواع على صورة امرأة ويغوث على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسر على صورة نسر وهو طائر عظيم لأنه ينسر الشي ويقتلعه.

وفي «التأويلات النجمية»: لا تتركن عبودية آلهتكم التي هي ود النفس المصورة بصورة المرأة وسواع الهوى المصور بصورة الرجل ويغوث الطبيعة المشكلة بشكل الأسد ويعوق الشهوة المشكلة بصورة الفرس ونسر الشره المصور بصورة النسر وقال القاشاني: أي معبوداتكم التي عكفتم بهواكم عليها من ود البدن الذي عبدتموه بشهواتكم وأحببتموه وسواع النفس ويغوث الأهل ويعوق المال ونسر الحرص.

﴿وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّـٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَـٰلًا ﴿٢٤﴾ مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾﴾

﴿وقد أضلوا﴾ أي الرؤساء والجملة حالية **﴿كثيراً﴾** أي خلقاً كثيراً أو أضل الأصنام كقوله تعالى: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا﴾ [إبراهيم: ٣٦] من الناس جمعهم جمع العقلاء لعدهم آلهة ووصفهم بأوصاف العقلاء **﴿ولا تزد الظالمين﴾** بالإشراك فإن الشرك ظلم عظيم إذ أصل الظلم وضع الشيء في غير موضعه فهل شيء أسوأ في هذا من وضع أخس المخلوق وعبادته موضع

الخالق الفرد الصمد وعبادته ﴿إلا ضلالاً﴾ الجملة عطف على قوله تعالى: ﴿رب إنهم عصوني﴾ أي قال رب إنهم عصوني، وقال: ﴿ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً﴾ قالوا ومن الحكاية لا من المحكي أو من كلام الله لا من كلام نوح فنوح قال كل واحد من هذين القولين من غير أن يعطف أحدهما على الآخر فحكى الله أحد قوليه بتصديره بلفظ قال: وحكى قوله الآخر بعطفه على قوله الأول بالواو النائبة عن لفظ قال فلا يلزم عطف الإنشاء على الأخبار ويجوز عطفه على مقدر أي فأخذلهم قالوا وحينئذٍ من المحكي والمراد بالضلال هو الصيام والهلاك والضلال في تمشية مكرهم وترويجه مصالح دنياهم لا في أمر دينهم حتى لا يتوجه أنه إنما بعث ليصرفهم عن الضلال فكيف يليق به أن يدعو الله في أن يزيد ضلالهم وأن هذا الدعاء يتضمن الرضى بكفرهم وذلك لا يجوز في حق الأنبياء وإن كان يمكن أن يجاب بأنه بعدما أوحى إليه أنه لا يؤمن من قومك إلا من قد آمن وأن المحذور هو الرضى المقرون بَاستحسان الكفر ونظيره دعاء موسى عليه السلام، بقوله واشدد على قلوبهم فمن أحب موت الشرير بالطبع على الكفر حتى ينتقم الله منه فهذا ليس بكفر فيؤول المعنى إلى أن يقال ولا يزد الظالمين إلاضلالاً وغياً ليزدادوا عقاباً كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًاۚ﴾ [آل عمران: ١٧٨] وقوله: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِي وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِۚ﴾ [المائدة: ٢٩] قالوا دعا نوح الأبناء بعد الآباء حتى بلغوا سبعة قرون فلما أيس من إيمانهم دعا عليهم ﴿مما خطيئاتهم﴾ أي من أجل خطيئات قوم نوح وأعمالهم المخالفة للصواب وهي الكفر والمعاصي وما مزيدة بين الجار والمجرور لتأكيد الحصر المستفاد من تقديم قوله ﴿مما خطيئاتهم﴾ فإنه يدل على أن إغراقهم بالطوفان لم يكن إلا من أجل خطيئاتهم تكذيباً لقول المنجمين من أن ذلك كان لاقتضاء الأوضاع الفلكية إياه ونحو ذلك فإنه كفر لكونه مخالفاً لصريح هذه الآية ولزيادة ما الإبهامية فائدة غير التوكيد وهي تفخيم خطيئاتهم أي من أجل خطيئاتهم العظيمة ومن لم ير زيادتها جعلها نكرة وجعل خطيئاتهم بدلاً منها والخطيئات جمع خطيئة، وقرأ أبو عمرو خطاياهم بلفظ الكثرة لأن المقام مقام تكثير خطيئاتهم لأنهم كفروا ألف سنة والخطيئات لكونه جمع السلامة لا يطلق على ما فوق العشرة إلا بالقرينة والظاهر من كلام الرضي أن كل واحد من جمع السلامة والتكثير لمطلق الجمع من غير نظر إلى القلة والكثرة فيصلحان لهما ولذا قيل إنهما مشتركان بينهما واستدلوا عليه بقوله تعالى: ﴿مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ﴾ [لقمان: ٢٧] ﴿أغرقوا﴾ في الدنيا بالطوفان لا بسبب آخر وفيه زجر لمرتكب الخطايا مطلقاً ﴿فأدخلوا ناراً﴾ تنكير النار إما لتعظيمها وتهويلها أو لأنه تعالى أعد لهم على حسب خطيئاتهم نوعاً من النار والمراد إما عذاب القبر فهو عقيب الإغراق، وإن كانوا في الماء فإن من مات في ماء أو نار أو أكلته السباع أو الطير أصابه ما يصيب المقبور من العذاب عن الضحاك أنهم كانوا يغرقون من جانب أي بالأبدان ويحرقون من جانب أي بالأرواح فجمعا بين الماء والنار كما قال الشاعر:

الخلق مجتمع طوراً ومفترق والحادثات فنون ذات أطوار
لا تعجبن لأضداد إذا اجتمعت فالله يجمع بين الماء والنار

أو عذاب جهنم والتعقيب لتنزيله منزلة المتعقب لإغراقهم لاقترابه وتحققه لا محالة واتصال زمانه بزمانه كما دل عليه قوله: «من مات فقد قامت قيامته» على أن النار إما نصف نار وهي للأرواح في البرزخ وإما تمام نار وهي للأرواح والأجسام جميعاً بعد الحشر وقس على

الجحيم النعيم ﴿فلم يجدوا لهم من دون الله أنصاراً﴾ أي: لم يجد أحد منهم لنفسه واحداً من الأنصار ينصرهم على من أخذهم بالقهر والانتقام، وفيه تعريض باتخاذهم آلهة من دون الله وبأنها غير قادرة على نصرهم وتهكم بهم، ومن دون الله حال متقدمة من قوله أنصاراً والجملة الاستئنافية إلى هنا من كلام الله إشعاراً بدعوة إجابة نوح وتسلية للرسول عليه السلام وأصحابه وتخويفاً للعاصي من العذاب وأسبابه.

﴿وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى ٱلْأَرْضِ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا۟ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوٓا۟ إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿وقال نوح﴾ بعدما قنط من اهتدائهم قنوطاً تاماً بالأمارات الغالبة وبأخبار الله تعالى ﴿رب﴾ أي پروردكار من ﴿لا تذر على الأرض﴾ لا تترك على الأرض ﴿من الكافرين﴾ بك وبما جاء من عندك حال متقدمة من قوله: ﴿دياراً﴾ أحد يدور في الأرض فيذهب ويجيء أي فأهلكهم بالاستئصال والجملة عطف على نظيرها السابق وقوله تعالى: ﴿مما خطيئاتهم﴾ الخ اعتراض وسط بين دعائه عليه السلام، للإيذان من أول الأمر بأن ما أصابهم من الإغراق والإحراق لم يصبهم إلا لأجل خطيئاتهم التي عددها نوح، وأشار إلى استحقاقهم للإهلاك لأجلها لما أنها حكاية لنفس الإغراق والإحراق على طريقة حكاية ما جرى بينه عليه السلام وبينهم من الأحوال والأقوال وإلا لأخر عن حكاية دعائه هذا، وديار من الأسماء المستعملة في النفي العام يقال ما بالدار ديار أو ديور كقيام وقيوم أي أحد وساكن وهو فيعال من الدور أو من الدار أصله ديوار وقد فعل به ما فعل بأصل سيد فمعنى ديار على الأول أحد يدور في الأرض فيذهب ويجيء وعلى الثاني أحد ممن ينزل الدار ويسكنها وأنكر بعضهم كونه من الدوران وقال: لو كان من الدوران لم يبق على وجه الأرض جني ولا شيطان وليس المعنى على ذلك وإنما المعنى أهلك كل ساكن دار من الكفار أي كل إنسي منهم.

يقول الفقير: جوابه سهل فإن المراد كل من يدور على الأرض من أمة الدعوة وليس الجن والشيطان منها إذ لم يكن نوح مبعوثاً إلى الثقلين وليس ديار فعالاً من الدار وإلا لقيل دوار لأن أصل دار دور فقلبت واوه ألفاً فلما ضعفت عينه كان دواراً بالواو الصحيحة المشددة إذ لا وجه لقلبها ياء.

﴿إنك إن تذرهم﴾ عليها كلاً أو بعضاً ولا تهلكهم بيان لوجه دعائه عليهم وإظهار بأنه كان من الغيرة في الدين لا لغلبة غضب النفس لهواها ﴿يضلوا عبادك﴾ عن طريق الحق قال بعضهم عبادك المؤمنين وفيه إشعار بأن الأهل لأن يقال لهم عباد أهل الإيمان انتهى. وفيه نظر بل المراد يصدوا عبادك عن سبيلك. كقوله تعالى: ﴿وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [محمد: ٣٤] دل عليه أنه كان الرجل منهم ينطلق بابنه إلى نوح فيقول له احذر هذا فإنه كذاب وإن أبي حذرنيه وأوصاني بمثل هذه الوصية فيموت الكبير وينشأ الصغير على ذلك ﴿ولا يلدوا﴾ ونزايند ﴿إلا فاجراً﴾ الفجر شق الشي شقاً واسعاً كفجر الإنسان السكر وهو بالكسر اسم لسد النهر وما سد به النهر والفجور شق ستر الديانة ﴿كفاراً﴾ مبالغاً في الكفر والكفران.

قال الراغب: الكفار أبلغ من الكفور وهو المبالغ في كفران النعمة والمعنى إلا من سيفجر ويكفر فالوجه ارتفاعهم عن وجه الأرض والعلم لك فوصفهم بما يصيرون إليه بعد

البلوغ فهو من مجاز الأول وكأنه اعتذار مما عسى يرد عليه من أن الدعاء بالاستئصال مع احتمال أن يكون من أخلافهم من يؤمن منكر وإنما قاله بالوحي لقوله تعالى في سورة هود ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾ [هود: ٣٦] فإن قلت هذا إذا كان دعاء نوح متأخراً عن وحي تلك الآية وذلك غير معلوم قلت الظاهر أن مثل هذا الدعاء إنما يكون في الأواخر بعد ظهور أمارات النكال قال بعضهم: لا يلد الحية إلا الحية وذلك في الأغلب ومن هناك قيل: «إذا طاب أصل المرء طابت فروعه» ونحوه الولد سر أبيه قال بعضهم في توجيهه: إن الولد إذا كبر إنما يتعلم من أوصاف أبيه أو يسرق من طباعه بل قد يصحب المرء رجلاً فيسرق من طباعه في الخير والشر.

يقول الفقير: معناه فيه ما فيه أي من الجمال والجلال فقد يكون الجمال الظاهر في الأب باطناً في الابن كما كان في قابيل بن آدم حيث ظهر فيه ما بطن في أبيه من الجلال وكان الأمر بالعكس في هابيل بن آدم وهكذا الأمر إلى يوم القيامة في الموافقة والمخالفة وقال بعض الكبار: اعتذار نوح يوم القيامة عند طلب الخلق الشفاعة منه بدعوته على قومه إنما هو لما فيها من قوله **﴿ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً﴾** لا نفس دعائه عليهم من حيث كونه دعوة انتهى. أشار إلى أن دعاء نوح كان بالأمارات حيث جربهم قريباً من ألف سنة فلم يظهر منهم إلا الكفر والفجور ولو كان بالوحي لما اعتذر كما قال القاشاني: ملَّ من دعوة قومه وضجر واستولى عليه الغضب ودعا ربه لتدمير قومه وقهرهم وحكم بظاهر الحال أن المحجوب الذي غلب عليه الكفر لا يلد إلا مثله فإن النطفة التي تنشأ منها النفس الخبيثة المحجوبة وتتربى بهيئتها المظلمة لا تقبل إلا مثلها كالبذر الذي لا ينبت إلا من صنفه وسبخه وغفل عن أن الولد سر أبيه، أي حاله الغالبة على الباطن فربما كان الكافر باقي الاستعداد صافي الفطرة نقي الأصل بحسب الاسعداد الفطري وقد استولى على ظاهره العادة ودين آبائه وقومه الذين نشأ بينهم فدان بدينهم ظاهراً وقد سلم باطنه فيلد المؤمن على حال النورية كولادة أبي إبراهيم عليه السلام، فلا جرم تولد من تلك الهيئة الغضبية الظلمانية التي غلبت على باطنه وحجبته في تلك الحالة عما قال مادة ابنه كنعان وكان عقوبة لذنب حاله انتهى. ويدل على ما ذكر من أن دعاءه ليس مبنياً على الوحي ما ثبت أن النبي ﷺ شبه عمر رضي الله عنه في الشدة بنوح وأبا بكر رضي الله عنه في اللين بإبراهيم، قال بعض العارفين في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧] في هذه الآية عتاب لطيف فإنها نزلت حين مكث يدعو على قومه شهراً مع أن سبب ذلك الدعاء إنما هو الغيرة على جناب الله تعالى وما يستحقه من الطاعة ومعنى العتاب إني ما أرسلتك سباباً ولا لعاناً وإنما بعثتك رحمة أي لترحم مثل هؤلاء الذين دعوت عليهم كأنه يقول: لو كان بدل دعائك عليهم الدعاء لهم لكان خيراً فإنك إذا دعوتني لهم ربما أجبت دعاءك فوفقتهم لطاعتي فترى سرور عينك وقرتها في طاعتهم لي وإذا لعنتهم ودعوت عليهم وأجبت دعاءك فيهم لم يكن من كرمي أن آخذهم إلا بزيادة طغيانهم وكثرة فسادهم في الأرض وكل ذلك إنما كان بدعائك عليهم فكأنك أمرتهم بالزيادة في الطغيان الذي أخذناهم به فتنبه رسول الله عليه السلام لما أدبه به ربه فقال: «إن الله أدبني فأحسن تأديبي» ثم صار يقول بعد ذلك: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون» وقام ليلة كاملة إلى الصباح بقوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ۝١١٨﴾ [المائدة: ١١٨] لا يزيد عليها فأين

هذا من دعائه قبل ذلك على رعل وذكوان وعصية وعلى صناديد قريش اللهم عليك بفلان اللهم عليك بفلان فاعلم ذلك فاقتد بنبيك في ذلك والله يتولى هداك. وقال بعض أهل المعرفة: نوح چون از قوم خود پرنجيد بهلاك ايشان دعا كرد ومصطفى عليه السلام چون از قوم خود برنجيد بشفقت كفت اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون.

واعلم أنه لا يجوز أن يدعى على كافر معين لأنا لا نعلم خاتمته ويجوز على الكفار والفجار مطلقاً وقد دعا عليه السلام، على من تحزب على المؤمنين وهذا هو الأصل في الدعاء على الكافرين.

﴿رَّبِّ ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِىَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾﴾

﴿**رب اغفر لي**﴾ ذنوبي وهي ما صدر منه من ترك الأولى ﴿**ولوالدي**﴾ ذنوبهما أبوه ملك بن متوشلخ على وزن الفاعل كمتدحرج أو هو بضم الميم والتاء المشددة المضمومة وفتح الشين المعجمة وسكون اللام وروى بعضهم الفتح في الميم وأمه سمخا بنت أنوش كانا مؤمنين قال ابن عباس رضي الله عنهما لم يكفر لنوح أب ما بينه وبين آدم وفي «إشراق التواريخ» أمه قسوس بنت كابيل وفي «كشف الأسرار»: هيجل بنت لاموس بن متوشلخ بنت عمه وكانا مسلمين على ملة إدريس عليه السلام وقيل المراد بوالديه آدم وحواء عليهما السلام ﴿**ولمن دخل بيتي**﴾ أي منزلي وقيل مسجدي فإنه بيت أهل الله وإن كان بيت الله من وجه وقيل سفينتي فإنها كالبيت في حرز الحوائج وحفظ النفوس عن الحر والبرد وغيرهما ﴿**مؤمناً**﴾ حال كون الداخل مؤمناً وبهذا القيد خرجت امرأته واعلة وابنه كنعان، ولكن لم يجزم عليه السلام بخروجه إلا بعد ما قيل له إنه ليس من أهلك ﴿**وللمؤمنين والمؤمنات**﴾ بي أو من لدن آدم إلى يوم القيامة.

وكفته ندمراد ابن امت مرحومة اند.

خص أولاً من يتصل به نسباً وديناً لأنهم أولى وأحق بدعائه ثم عمم المؤمنين والمؤمنات وفي الحديث: «ما الميت في القبر إلا كالغريق المتغوث، ينتظر دعوة تلحقه من أب أو أخ أو صديق، فإذا لحقته كانت أحب إليه من الدنيا وما فيها، «وإن الله ليدخل على أهل القبور من دعاء أهل الأرض أمثل الجبال وإن هدية الأحياء إلى الأموات الاستغفار لهم» ﴿**ولا تزد الظالمين إلا تباراً**﴾ أي: هلاكاً وكسراً وبالفارسية مكر هلاكي بسختي.

والتبر دقاق الذهب قال في الأول: ﴿**ولا تزد الظالمين إلا ضلالاً**﴾ لأنه وقع بعد قوله ﴿**وقد أضلوا كثيراً**﴾ وفي الثاني ﴿**إلا تباراً**﴾ لأنه وقع بعد قوله ﴿**لا تذر على الأرض**﴾ الخ.

فذكر في كل مكان ما اقتضاه وما شاكل معناه والظاهر أنه عليه السلام أراد بالكافرين والظالمين الذين كانوا موجودين في زمانه متمكنين في الأرض ما بين المشرق والمغرب فمسؤوله أن يهلكهم الله فاستجيب دعاؤه فعمهم الطوفان بالغرق وما نقل عن بعض المنجمين من أنه أراد جزيرة العرب فوقع الطوفان عليهم دون غيرهم من الآفاق مخالف لظاهر الكلام وتفسير العلماء وقول أصحاب التواريخ بأن الناس بعد الطوفان توالدوا وتناسلوا وانتشروا في الأطراف مغاربها ومشارقها من أهل السفينة، دل الكلام على أن الظالم إذا ظهر ظلمه وأصر عليه ولم ينفعه النصح استحق أن يدعى عليه وعلى أعوانه وأنصاره قيل غرق معهم صبيانهم أيضاً لكن لا على

وجه العقاب لهم بل لتشديد عذاب آبائهم وأمهاتهم بإراءة إهلاك أطفالهم الذين كانوا أعز عليهم من أنفسهم قال عليه السلام يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى، وعن الحسن أنه سئل عن ذلك فقال علم الله براءتهم فأهلكهم بغير عذاب وكم من الصبيان من يموت بالغرق والحرق وسائر أسباب الهلاك، وقيل أعقم الله أرحام نسائهم وأيبس أصلاب آبائهم قبل الطوفان بأربعين أو سبعين سنة، فلم يكن معهم صبي ولا مجنون حين غرقوا لأن الله تعالى قال ﴿وَقَوْمَ نُوحٍ لَّمَّا كَذَّبُوا۟ ٱلرُّسُلَ أَغْرَقْنَٰهُمْ﴾ [الفرقان: ٣٧] ولم يوجد التكذيب من الأطفال والمجانين، وفي «الأسئلة المقحمة» ولو أهلك الأطفال بغير ذنب منهم ماذا يضر في الربوبية أليس الله يقول: ﴿قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ١٧].

يقول الفقير: الظاهر هلاك الصبيان مع الآباء والأمهات لأن نوحاً عليه السلام ألحقهم بهم حيث قال ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً إذ من سيفجر ويكفر في حكم الفاجر والكافر فلذلك دعا على الكفار مطلقاً عموماً بالهلاك لاستحقاق بعضهم له بالأصالة وبعضهم بالتبعية ودعا للمؤمنين والمؤمنات عموماً وخصوصاً بالنجاة لأن المغفور ناج لا محالة وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه كان إذا قرأ القرآن بالليل فمر بآية يقول لي يا عكرمة ذكرني هذه الآية غداً فقرأ ذات ليلة هذه الآية أي ﴿رب اغفر لي﴾ الخ.. فقال يا عكرمة ذكرني هذه غداً فذكرتها له فقال: إن نوحاً دعا بهلاك الكافرين ودعا للمؤمنين بالمغفرة وقد استجيب دعاؤه على الكافرين فأهلكوا وكذلك استجيب دعاؤه في المؤمنين فيغفر الله للمؤمنين والمؤمنات بدعائه.

ورد عن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قال نجاة المؤمنين بثلاثة أشياء بدعاء نوح وبدعاء إسحاق وبشفاعة محمد عليه السلام يعني المذنبين.

وفي «التأويلات النجمية»: رب اغفر لي ولوالدي من العقل الكلي والنفس الكلي ولمن دخل بيتي مؤمناً من الروح والقلب وللمؤمنين من القوى الروحانية والمؤمنات من النفوس الداخلة تحت نور الروح والقلب بسبب نور الإيمان ولا تزد الظالمين النفس الكافرة والهوى الظالم إلا تباراً هلاكاً بالكلمة بالفناء في الروح والقلب وعلى هذا التأويل يكون دعاء لهم لا دعاء عليهم انتهى. وقال القاشاني: ﴿رب اغفر لي﴾ أي استرني بنورك بالفناء في التوحيد ولروحي ونفسي اللذين هما أبوا القلب ولمن دخل بيتي أي مقامي في حضرة القدس مؤمناً بالتوحيد العلمي ولأرواح الذين آمنوا ونفوسهم فبلغهم إلى مقام الفناء في التوحيد ولا تزد الظالمين الذين نقصوا حظهم بالاحتجاب بظلمة نفوسهم عن عالم النور إلا تباراً هلاكاً بالغرق في بحر الهيولى وشدة الاحتجاب انتهى. فيكون دعاء عليهم كما لا يخفى.

تمت سورة نوح بعون من بيده الفتوح يوم الأربعاء الرابع والعشرين
من شوال من سنة ست عشرة ومائة وألف

٧٢ ـ سورة الجن

ثمان وعشرون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ﴿١﴾ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ﴿٢﴾﴾.

﴿قل﴾ يا محمد لقومك **﴿أوحي إلي﴾** أي ألقي علي بطريق الوحي وأخبرت بإعلام من الله تعالى والإيحاء إعلام في خفاء وفائدة أخباره بهذه الأخبار بيان أنه رسول الثقلين والنهي عن الشرك والحث على التوحيد فإن الجن مع تمردهم وعدم مجانستهم إذا آمنوا فكيف لا يؤمن البشر مع سهولة طبعهم ومجانستهم **﴿أنه﴾** بالفتح لأنه فاعل أوحي والضمير الشأن، أي أن الشأن والحديث **﴿استمع﴾** أي: القرآن أو طه أو اقرأ وقد حذف لدلالة ما بعده عليه والاستماع بالفارسية نيوشدن.

والمستمع من كان قاصداً للسماع مصغياً إليه والسامع من اتفق سماعه من غير قصد إليه فكل مستمع سامع من غير عكس **﴿نفر من الجن﴾** جماعة منهم ما بين الثلاثة والعشرة وبالفارسية كروهى كه ازده كمتر وازسه پيشتر بودند.

قال في «القاموس»: النفر ما دون العشرة من الرجال كالنفير والجمع أنفار وفي «المفردات» النفر عدة رجال يمكنهم النفر إلى الحرب بالفارسية ببرون شدن.

والجن: واحده جني كروم ورومي ونحوه قال ابن عباس رضي الله عنهما: «انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه إلى سوق عكاظ فأدركهم وقت صلاة الفجر وهم بنخلة فأخذ هو عليه السلام يصلي بأصحابه صلاة الفجر فمر عليهم نفر من الجن وهم في الصلاة فلما سمعوا القرآن استمعوا له» وفيه دليل على أنه عليه السلام لم يرَ الجن حينئذٍ؛ إذ لو رآهم لما أسند معرفة هذه الواقعة إلى الوحي فإن ما عرف بالمشاهدة لا يستند إثباته إلى الوحي وكذا لم يشعر بحضورهم وباستماعهم ولم يقرأ عليهم وإنما اتفق حضورهم في بعض أوقات قراءته فسمعوها فأخبره الله بذلك وقد مضى ما فيه من التفصيل في سورة الأحقاف فلا نعيده والجن أجسام رقاق في صورة تخالف صورة الملك والإنس عالقة كالإنس خفية عن أبصارهم لا يظهرون لهم ولا يكلمونهم إلا صاحب معجزة بل يوسوسون سائر الناس يغلب عليهم النارية أو الهوائية ويدل على الأول مثل قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْجَانَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾﴾ [الرحمن: ١٥] فإن المشهور أن المركبات كلها من العناصر فما يغلب فيه النار فناري كالجن وما يغلب فيه الهواء فهوائي كالطير وما يغلب فيه الماء فمائي كالسمك وما يغلب فيه التراب فترابي كالإنسان

وسائر الحيوانات الأرضية، وأكثر الفلاسفة ينكرون وجود الجن في الخارج واعترف به جمع عظيم من قدمائهم وكذا جمهور أرباب الملل المصدقين بالأنبياء.

قال القاشاني: إن في الوجود نفوساً أرضية قوية لا في غلظ النفوس السبعية والبهيمة وكثافتها وقلة إدراكها ولا على هيئات النفوس الإنسانية واستعداداتها ليلزم تعلقها بالأجرام الكثيفة الغالب عليها الأرضية ولا في صفاء النفوس المجردة ولطافتها لتتصل بالعالم العلوي وتتجرد أو تتعلق ببعض الأجرام السماوية متعلقة بأجرام عنصرية لطيفة غلبت عليها الهوائية أو النارية أو الدخانية على اختلاف أحوالها سماها بعض الحكماء الصور المعلقة ولها علوم وإدراكات من جنس علومنا وإدراكاتنا، ولما كانت قريبة الطبع إلى الملكوت السماوي أمكنها أن تتلقى من عالمه بعض الغيب فلا يستبعد أن ترتقي أفق السماء فتسترق السمع من كلام الملائكة أي النفوس المجردة ولما كانت أرضية ضعيفة بالنسبة إلى القوى السماوية تأثرت تلك القوى فرجمت بتأثيرها عن بلوغ شأوها وإدراك مداها من العلوم ولا ينكر أن تشتعل أجرامها الدخانية بأشعة الكواكب فتحترق وتهلك أو تنزجر عن الارتقاء إلى الأفق السماوي فتتسفل فإنها أمور ليست بخارجة عن الإمكان وقد أخبر عنها أهل الكشف والعيان الصادقون من الأنبياء والأولياء خصوصاً أكملهم نبينا محمد ﷺ وهي في الوجود الإنساني لاستتارها في غيب الباطن ﴿**فقالوا**﴾ لقومهم عند رجوعهم إليهم. ﴿**إنا سمعنا قرآناً**﴾ أي: كتاباً مقروءاً على لسان الرسول ﴿**عجباً**﴾ مصدر بمعنى العجيب وضع موضعه للمبالغة والعجيب ما خرج عن حد أشكاله ونظائره، والمعنى بديعاً مبايناً لكلام الناس في حسن النظم ودقة المعنى، وقال البقلي: كتاباً عجيباً تركبه وفيه إشارة إلى أنهم كانوا من أهل اللسان قال عيزار بن حريث: كنت عند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه فأتاه رجل فقال له كنا في سفر فإذا نحن بحية جريحة تتشحط في دمها أي تضطرب فإن الشحط بالحاء المهملة الاضطراب في الدم فقطع رجل منا قطعة من عمامته فلفها فيها فدفنها فلما أمسينا ونزلنا أتانا امرأتان من أحسن نساء الجن فقالتا أيكم صاحب عمرو أي الحية التي دفنتموها فأشرنا لهما إلى صاحبها فقالتا إنه كان آخر من بقي ممن استمع القرآن من رسول الله ﷺ كان بين كافري الجن ومسلميهم قتال فقتل فيهم فإن كنتم أردتم به الدنيا ثوبناكم أي عوضناكم فقلنا لا إنما فعلنا ذلك لله فقالتا أحسنتم وذهبتا يقال اسم الذي لف الحية صفوان بن معطف المرادي صاحب قصة الإفك والجني عمرو بن جابر رحمه الله.

﴿**يهدي إلى الرشد**﴾ إلى الحق والصواب وصلاح الدين والدنيا كما قال عليه السلام اللهم ألهمني رشدي أي الاهتداء إلى مصالح الدين والدنيا فيدخل فيهٔ التوحيد والتنزيه وحقيقة الرشد هو الوصول إلى الله تعالى قال بعضهم الرشد كالقفل خلاف الغي يقال في الأمور الدنيوية والأخروية والرشد كالذهب يقال في الأمور الأخروية فقط ﴿**فآمنا به**﴾ أي بذلك القرآن. ومن ضرورة الإيمان به الإيمان بمن جاء به ولذا قال بعضهم:

داخل اندر دعوت أو جن وإنس ... تاقيامت امتش هر نوع وجنس
أوست سلطان وطفيل أو همه ... اوست شاهنشاه وخيل اوهمه

﴿**ولن نشرك**﴾ بعد اليوم البتة أي بعد علمنا الحق ﴿**بربنا أحداً**﴾ حسبما نطق به ما فيه من دلائل التوحيد أي لا نجعل أحداً من الموودات شريكاً له اعتقادنا ولا نعبد غيره فإن تمام الإيمان إنما يكون بالبراءة من الشرك والكفر كما قال إبراهيم عليه السلام ﴿إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّمَّا

﴿تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨] فلكونه قرآناً معجزاً بديعاً موجب الإيمان به ولكونه يهدي إلى الرشد موجب قطع الشرك من أصله والدخول في دين الله كله فمجموع قوله ﴿فآمنا به ولن نشرك بربنا أحداً﴾ مسبب عن مجموع قوله: ﴿إنا سمعنا قرآناً عجباً﴾ يهدي إلى الرشد ولذا عطف ولن تشرك بالواو مع أن الظاهر الفاء.

﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾ وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى ٱللَّهِ شَطَطًا ﴿٤﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ﴿٥﴾﴾

﴿وأنه تعالى جد ربنا﴾ بالفتح وكذا ما بعده من الجمل المصدرة بأن في أحد عشر موضعاً عطف على أنه استمع فيكون من جملة الكلام الموحى به على أن الموحى عين عبارة الجن بطريق الحكاية كأنه قيل: قل أوحي إلي كيت وكيت، وهذه العبارات فاندفع ما قيل من إنك لو عطفت وإنا ظننا وإنا سمعنا وإنه كان رجال وإنا لمسنا وشبه ذلك على أنه استمع لم يجز لأنه ليس مما أوحي إليه وإنما هو أمر أخبروا به عن أنفسهم انتهى.

ومن قرأ بالكسر عطف على المحكي بعد القول وهو الأظهر لوضوح اندراج الكل تحت القول وقيل في الفتح والكسر غير ذلك والأقرب ما قلناه والمعنى وإن الشأن ارتفع عظمة ربنا كما تقول في الثناء وتعالى جدك، أي ارتفع عظمتك وفي إسناد التعالي إلى العظمة مبالغة لا تخفى من قولهم جد فلان في غنى أي عظم تمكنه أو سلطانه لأن الملك والسلطنة غاية العظمة أو غناه على أنه مستعار من الجد الذي هو البخت والدولة والحظوظ الدنيوية سواء استعمل بمعنى الملك والسلطان، أو بمعنى الغنى فإن الجد في اللغة كما يكون بمعنى العظمة وبمعنى أب الأب وأب الأم يكون بمعنى الحظ والبخت يقال رجل مجدود أي محظوظ شبه سلطان الله وغناه الذتيان الأزليان ببخت الملوك والأغنياء فأطلق اسم الجد عليه استعارة ﴿ما اتخذ صاحبة ولا ولداً﴾ بيان لحكم تعالى جده كأنه قيل ما الذي تعالى عنه فقيل ما اتخذ أي لم يختر لنفسه لكمال تعاليه زوجة ولا بنتاً كما يقول الظالمون وذلك أنهم لما سمعوا القرآن ووفقوا للتوحيد والإيمان تنبهوا للخطأ فيما اعتقده كفرة الجن من تشبيه الله بخلقه في اتخاذ الصاحبة والولد فاستعظموه ونزهوه تعالى عنه لعظمته ولسلطانه أو لغناه فإن الصاحبة تتخذ للحاجة إليها والولد للتكثير وإبقاء النسل بعد فوته وهذه من لوازم الإمكان والحدوث وأيضاً هو خارج عن دائرة التصور والإدراك فكيف يكفيه أحد فيدخله تحت جنس حتى يتخذ صاحبة من صنف تحته أو ولداً من نوع يماثله وقد قالت النصارى أيضاً المسيح ابن الله واليهود عزير ابن الله وبعض مشركي العرب الملائكة بنات الله ويلزم من كون المسيح ابن الله على ما زعموا أن تكون مريم صاحبة له ولذا ذكر الصاحبة يعني أن الولد يقتضي الأم التي هي صاحبة الأب الولد وأشار بالصاحبة إلى النفس وبالولد إلى القلب فيكون الروح كالزوج والأب لهما وهو في الحقيقة مجرد عن كل علاقة وإنما تعلق بالبدن لتظهر قدرة الله وأيضاً ليستكمل ذاته من جهة الصفات.

﴿وأنه﴾ أي: الشأن ﴿كان يقول سفيهنا﴾ أي: جاهلنا وهو إبليس أو مردة الجن فقوله سفيهنا للجنس والظاهر أن يكون إبليس من الجن كما قال تعالى: ﴿كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠] والسفه خفة الحلم أو نقيضه أو الجهال كما في «القاموس» وقال الراغب: السفه خفة في البدن واستعمل في خفة النفس لنقصان العقل وفي الأمور الدنيوية والأخروية

والمراد به في الآية هو السفه في الدين الذي هو السفه الأخروي كذا في «المفردات».

﴿على الله﴾ متعلق بيقول أورد على لأن ما قالوه عليه تعالى لا له. ﴿شططاً﴾ هو مجاوزة الحد في الظلم وغيره، وفي «المفردات» الإفراط في البعد أي قولاً ذا شطط أي بعد عن القصد ومجاوزة الحد أو هو شطط في نفسه لفرط بعده عن الحق فوصف بالمصدر للمبالغة والمراد به نسبة الصاحبة والولد إليه تعالى وفي الآية إشارة إلى أن العالم الغير العامل في حكم الجاهل فإن إبليس كان من أهل العلم فلما لم يعمل بمقتضى علمه جعل سفيهاً جاهلاً لا يجوز التقليد له فالاتباع للجاهل ومن في حكمه اتباع للشيطان والشيطان يدعو إلى النار لأنه خلق منها.

﴿وأنا ظننا أن﴾ مخففة من الثقيلة أي: أن الشان ﴿لن تقول الإنس والجن على الله كذباً﴾ اعتذار منهم عن تقليدهم لسفيههم أي كنا نظن أن الشان والحديث لن يكذب على الله أحد أبداً ولذلك اتبعنا قوله وصدقناه في أن لله صاحبة وولداً فلما سمعنا القرآن وتبين لنا الحق بسببه علمنا أنهم قد يكذبون عليه تعالى وكذباً مصدر مؤكد لتقول؛ لأنه نوع من القول وأشار بالإنس إلى القوى الروحانية وبالجن إلى القوى الطبيعية، وقال القاشاني: إنس الحواس الظاهرة وجن القوى الباطنة فتوهمنا أن البصر يدرك شكله ولونه والأذن تسمع صوته والوهم والخيال يتوهمه ويتخيله حقاً مطابقاً لما هو عليه قبل الاهتداء والتنور بنور الروح فعلمنا من طريق الوحي الوارد على القلب بواسطة روح القدس أن لسنا في شيء من إدراكه فليس له شكل ولا لون ولا صوت ولا هو داخل في الوهم والخيال وليس كلام الله من جنس الكلام المصنوع المتلقف بالفكر والتخيل والمستنتج من القياسات العقلية أو المقدمات الوهمية والتخييلية فليس الله من قبيل المخلوق جنساً أو نوعاً أو صنفاً أو شخصاً فكيف يكون له صاحبة وولد.

﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ۝٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ۝٧ وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝٨ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَـٰعِدَ لِلسَّمْعِ ۖ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا ۝٩﴾.

﴿وأنه﴾ أي: وإن الشأن ﴿كان﴾ في الجاهلية ﴿رجال﴾ كائنون ﴿من الإنس﴾ خبر كان قوله ﴿يعوذون﴾ العوذ الالتجاء إلى الغير والتعلق به ﴿برجال من الجن﴾ فيه دلالة أن للجن نساء كالإنس لأن لهم رجالاً ولذا قيل في حقهم إنهم يتوالدون لكنهم ليسوا بمنظرين كإبليس وذريته قال أهل التفسير: كان الرجل من العرب إذا أمسى في واد قفر في بعض مسايره وخاف على نفسه يقول أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه يريد الجن وكبيرهم فيبيت في أمن وجوار حتى يصبح فإذا سمعوا بذلك استكبروا وقالوا سدنا الإنس والجن وذلك قوله تعالى: ﴿فزادوهم﴾ عطف على يعوذون والماضي للتحقق أي فزاد الرجال العائذون الإنسيون الجن ﴿رهقاً﴾ مفعول ثان لزاد أي تكبراً وعتوا وسفهاً فإن الرهق محركة يجيء على معان منها السفه وركوب الشر والظلم قال في «آكام المرجان»: وبهذا يجيبون المعزم والراقي بأسمائهم وأسماء ملوكهم فإنه يسم عليهم بأسماء من يعظمونه فيحصل لهم بذلك من الرياسة والشرف على الإنس ما يحملهم على أن يعطوهم بعض سؤلهم وهم يعلمون أن الإنس أشرف منهم وأعظم قدراً فإذا خضعت الإنس لهم واستعاذت بهم كان بمنزلة أكابر الناس إذا خضع لهم أصاغرهم يقضون لهم حاجاتهم أو المعنى فزاد الجن العائذين غياً بأن أضلوهم حتى استعاذوا بهم وإذا

استعاذوا بهم فأمنوا ظنوا أن ذلك من الجن فازدادوا رغبة في طاعة الشياطين وقبول وساوسهم والفاء حينئذٍ لترتيب الأخبار وإسناد الزيادة إلى الإنس والجن باعتبار السببية.

وروي عن كردم بن أبي السائب الأنصاري رضي الله عنه أنه قال خرجت مع أبي إلى المدينة في حاجة وذلك أول ما ذكر النبي عليه السلام، بمكة فأداني المبيت إلى راعي غنم فلما انتصف الليل جاء الذئب فحمل حملاً من الغنم فقال الراعي: يا عامر الوادي جارك فنادى منادٍ لا نراه يقول يا سرحان أرسله فأتى الحمل يشتد حتى دخل في الغنم ولم تصبه كدمة فأنزل الله على رسوله بمكة ﴿وأنه كان رجال﴾ الخ قال مقاتل: كان أول من تعوذ بالجن قوم من أهل اليمن ثم من حنيفة ثم فشا ذلك في العرب فلما جاء الإسلام عاذوا بالله وتركوهم وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال: إذا كنت بواد تخاف فيه السبع فقل أعوذ بدانيال وبالجب من شر الأسد انتهى. أشار بذلك إلى ما رواه البيهقي في الشعب «أن دانيال طرح في الجب وألقيت عليه السباع فجعلت السباع تلحسه وتبصبص إليه فأتاه رسول فقال يا دانيال فقال من أنت قال أنا رسول ربك إليك أرسلني إليك بطعام فقال الحمد لله الذي لا ينسى من ذكره».

وروى ابن أبي الدنيا أن بخت نصر ضرى أسدين وألقاهما في جب وجاء بدانيال فألقاه عليهما فلم يضراه وذكر قصته فلما ابتلي دانيال بالسباع جعل الله الاستعاذة به في ذلك تمنع الشر الذي لا يستطاع كما في «حياة الحيوان» فعلم من ذلك أن الاستعاذة بغير الله مشروعة في الجملة لكن بشرط التوحيد واعتقاد التأثير من الله تعالى قال القاشاني: في الآية أي تستند القوى الظاهرة إلى القوى الباطنة وتتقوى بها فزادوهم غشيان المحارم وإتيان المناهي بالدواعي الوهمية والنوازع الشهوية والغضبية والخواطر النفسانية.

﴿وأنهم﴾ أي: الإنس ﴿ظنوا كما ظننتم﴾ أيها الجن على أنه كلام مؤمني الجن للكفار حين رجعوا إلى قومهم منذرين فكذبوهم أو الجن ظنوا كما ظننتم أيها الكفرة على أنه كلام الله تعالى. ﴿أن لن يبعث الله أحداً﴾ أن هي المخففة والجملة سادة مسد مفعولي ظنوا واعمل الأول على ما هو مذهب الكوفيين لأن ما في كما ظننتم مصدرية فكان الفعل بعدها في تأويل المصدر والفعل أقوى من المصدر في العمل والظاهر أن المراد بعثة الرسالة أي لن يبعث الله أحداً بالرسالة بعد عيسى أو بعد موسى يقيم به الحجة على الخلق ثم إنه بعث إليهم محمداً عليه السلام خاتم النبيين فآمنوا به فافعلوا أنتم يا معشر الجن مثل ما فعل الإنس وقيل بعد القيامة أي لن يبعث الله أحداً بعد الموت للحساب والجزاء.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى أهل الغفلة من الإنس والجن فإنهم يظنون بالله ظن السوء ويقولون إن الله لا يبعث أحداً من نوم الغفلة بل يبقيه على حاله من الاستغراق في اللذات والانهماك في الشهوات ولا يدرون أن الله تعالى يبعث من في القبور مطلقاً ويحيي أجسادهم وقلوبهم وأرواحهم بالحياة الباقية لأن أهل النوم لانقطاع شعورهم لا يعرفون حال أهل اليقظة وفيه إثبات العجز لله تعالى والله على كل شيء قدير.

﴿وأنا لمسنا السماء﴾ أي طلبنا بلوغ السماء لاستماع ما يقول الملائكة من الحوادث أو خبرها للإفشاء بين الكهنة واللمس مستعار من المس للطلب شبه الطلب بالمس واللمس باليد في كون كل واحد منهما وسيلة إلى تعرف حال الشيء فعبر عنه بالمس واللمس قال الراغب: اللمس إدراك بظاهر البشرة كالمس ويعبر به عن الطلب قال في «كشف الأسرار» ومنه الحديث

الذي ورد أن رجلاً، قال لرسول الله عليه السلام: «إن امرأتي لا تدع عنها يد لامس» أي لا ترد يد طالب حاجة صفراً يشكوا تضييعها ماله ﴿**فوجدناها ملئت حرساً**﴾ أي حراساً وحفظة وهم الملائكة يمنعونهم عنها اسم جمع لحارس بمعنى حافظ كخدم لخادم مفرد اللفظ ولذلك قيل ﴿**شديداً**﴾ أي قوياً ولو كان جمعاً لقيل شداداً وقوله ﴿**ملئت حرساً**﴾ حال من مفعول وجدناها إن كان وجدنا بمعنى أصبنا وصادفنا ومفعول ثان إن كان من أفعال القلوب أي فعلمناها مملوءة وحرساً تمييز. ﴿**وشهباً**﴾ عطف على حرساً وحكمه في الإعراب حكمه جمع شهاب وهي الشعلة المقتبسة من نار الكواكب هكذا قالوا وقد مر تحقيقه.

﴿**وأنا كنا نقعد**﴾ قبل هذا ﴿**منها**﴾ أي: من السماء ﴿**مقاعد للسمع**﴾ خالية عن الحرس والشهب يحصل منها مقاصدنا من استماع الأخبار للإلقاء إلى الكهنة أو صالحة للترصد والاستماع وللسمع متعلق بتقعد أي على الوجه الأول أي لأجل السمع أو بمضمر هو صفة لمقاعد أي على الثاني أي مقاعد كائنة للسمع، وفي «كشف الأسرار»: أي مواضع لاستماع الأخبار من السماء وكان لكل حي من الجن باب في السماء يستمعون فيه ومن أحاديث البخاري عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ﷺ «إن الملائكة تنزل في العنان» وهو بالفتح السحاب فتذكر الأمر الذي قضى في السماء فتسترق الشياطين السمع فتسمعه فتوحيه إلى الكهان فيكذبون معه مائة كذبة من عند أنفسهم.

يقول الفقير: وجه التوفيق بين الاستراق من السماء ومن السحاب أن الملائكة مرة ينزلون في العنان فيتحدثون هناك وأخرى يتذاكرون في السماء ولا منع من عروج الشياطين إلى السماء في مدة قليلة للطافة أجسامهم وحيث كانت نارية أو هوائية أو دخانية لا يتأثرون من النار أو الهواء حين المرور بكرتهما ولو سلم فعروجهم من قبيل الاستدراج ولله في كل شيء حكمة وأسرار. ﴿**فمن**﴾ شرطية ﴿**يستمع الآن**﴾ في مقعد من المقاعد ويطلب الاستماع والآن أي في هذا الزمان وبعد المبعث وفي «اللباب» ظرف حالي استعير للاستقبال. ﴿**يجد له**﴾ جواب الشرط والضمير لمن أي يجد لنفسه ﴿**شهاباً رصداً**﴾ الرصد الاستعداد للتقرب، أي شهاباً راصداً له ولأجله يصده عن الاستماع بالرجم أو ذوي شهاب راصدين له ليرجموه بما معهم من الشهب على أنه اسم مفرد في معنى الجمع كالحرس فيكون المراد بالشهاب الملائكة بتقدير المضاف ويجوز نصب رصداً على المفعول له وفي الآية إشارة إلى طلب القوى الطبيعية أن تدخل سماء القلب فوجدتها محفوفة بحراس الخواطر الملكية والرحمانية يحرسونها عن طرق الخواطر النفسانية والشيطانية بشهاب نار نور القلب المنور بنور الرب، وكان الشهاب والرجم قبل البعثة النبوية لكن كثر بعدها وزاد زيادة بينة حتى تنبه لها الإنس والجن ومنع الاستراق أصلاً لئلا يلتبس على الناس أقوال الرسول المستندة إلى الوحي الإلهي بأقوال الكهنة المأخوذة من الشياطين مما استرقوا من أقوال أهل السماء ويدل على ما ذكر قوله تعالى: ﴿**فوجدناها ملئت حرساً شديداً**﴾ فإنه يدل على أن الحادث هو الكمال والكثرة، أي زيدت حرساً وشهباً حتى امتلأت بهما وقوله تعالى: ﴿**وإنا كنا نقعد منها مقاعد**﴾ أي كنا نجد فيهما بعض المقاعد خالية عن الحرس والشهب والآن قد ملئت المقاعد كلها فلما رأى الجن ذلك قالوا ما هذا إلا لأمر أراده الله بأهل الأرض وذلك قولهم:

﴿وَأَنَّا لَا نَدْرِيٓ أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾﴾

﴿وأنا لا ندري أشر أريد بمن في الأرض﴾ بحراسة السماء منا **﴿أم أراد بهم ربهم رشداً﴾** أي خيراً وإصلاحاً أوفق لمصالحهم والاستفهام لإظهار العجز عن الاطلاع على الحكمة قال بعضهم: لعل التردد بينهما مخصص بالاستفهام وأن يكون فاعل فعل مضمر مفسر بما بعده بمعنى لا ندري أريد شر أم خير ورجحوه للموافقة بين المعطوفين في كونهما جملة فعلية والباء في الموضعين متعلقة بما قبلها والجملة الاستفهامية قائمة مقام المفعول ونسبة الخير إلى الله تعالى دون الشر من الآداب الشريفة القرآنية كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء: ٨٠] ونظائره قال صاحب «الانتصاب»: ومن عقائد الجن أن الهدى والضلال جميعاً من خلق الله تعالى فتأدبوا من نسبة الرشاد إليه وجعلوا الشر مضمر الفاعل فجمعوا بين حسن الاعتقاد والأدب.

﴿وأنا منا الصالحون﴾ أي الموصوفون بصلاح الحال في شأن أنفسهم وفي معاملتهم مع غيرهم أو ما يكون إلى الخير والصلاح حسبما تقتضية الفطرة السليمة لا إلى الشر والفساد كما هو مقتضى النفوس الشريرة والقصر ادعائي كأنهم لم يعتدوا بصلاح غير ذلك البعض، فالصالحون مبتدأ ومنا خبره المقدم والجملة خبر أن ويجوز أن يكون الصالحون فاعل الجار والمجرور الجاري مجرى الظرف لاعتماده على المبتدأ. **﴿ومنا دون ذلك﴾** أي قوم دون ذلك في الصلاح فحذف الموصوف لأنه يجوز حذف هذا الموصوف في التفصيل بمن حتى قالوا منا ظعن ومنا أقام يريدون منا فريق ظعن ومنا فريق أقام ودون ظرف وهم المقتصدون في صلاح الحال على الوجه المذكور غير الكاملين فيه لا في الإيمان والتقوى كما توهم فإن هذا بيان لحالهم قبل استماع القرآن كما يعرب به عنه قوله تعالى: **﴿كنا طرائق قدداً﴾** وأما حالهم بعد استماعه فسيحكى بقوله **﴿وأنا لما سمعنا الهدى﴾** إلى قوله **﴿وأنا منا لمسلمون﴾** أي كنا قبل هذا طرائق في اختلاف الأحوال فهو بيان للقسمة المذكورة وقدر المضاف لامتناع كون الذوات طرائق قالوا في الجن قدرية ومرجئة وخوارج وروافض وشيعية وسنية.

قال في «المفردات» جمع الطريق طرق وجمع الطرق طرائق والظاهر أن الطرائق جمع طريقة كقصائد جمع قصيدة ثم قال وقوله تعالى: **﴿كنا طرائق قدداً﴾** إشارة إلى اختلافهم في درجاته كقوله ﴿هُمْ دَرَجَٰتٌ﴾ [آل عمران: ١٦٣] والطريق الذي يطرق بالأرجل أي يضرب ومنه استعير كل مسلك يسلكه الإنسان في فعل محموداً كان أو مذموماً وقيل طريقة من النخل تشبيهاً بالطريق في الامتداد والقد قطع الشيء طولاً والقد المقدود ومنه قيل لقامة الإنسان قد كقولك تقطيعة والقدة كالقطعة يعني أنها من القد كالقطعة من القطع وصفت الطرائق بالقدد لدلالتها على معنى التقطع والتفرق وفي «القاموس»: القدة الفرقة من الناس هوى كل واحد على حدة ومنه كنا طرائق قدداً أي فرقاً مختلفة أهواءها وقد تعددوا قال القاشاني: وإنا منا الصالحون كالقوى المدبرة لنظام المعاش وصلاح البدن ومنادون ذلك من المفسدات كالوهم والغضب والشهوة والمعاملة بمقتضى هوى النفس والمتوسطات كالقوى النباتية الطبيعية كنا ذوي مذاهب مختلفة لكل طريق ووجهة مما عينه الله ووكله به قال بعض المفسرين المراد بالصالحين السابقون بالخيرات وبما

دون ذلك أي أدنى مكان منهم المقتصدون الذين خلطوا عملاً صالحاً وآخر سيئاً وأما الظالمون لأنفسهم فمندرج في قوله تعالى: ﴿كنا طرائق قدداً﴾ فيكون تعميماً بعد تخصيص على الاستئناف ويحتمل أن يكون دون بمعنى غير فيندرج القسمان الأخيران فيه.

﴿وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾ وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾ وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾ وَأَلَّوِ ٱسْتَقَٰمُوا۟ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَٰهُم مَّآءً غَدَقًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿وأنا ظننا﴾ أي: علمنا الآن بالاستدلال والتفكر في آيات الله فالظن هنا بمعنى اليقين لأن الإيمان لا يحصل بالظن ولأن مقصودهم ترغيب أصحابهم وترهيبهم وذا بالعلم لا بالظن كما قال عليه السلام أنا النذير العريان ﴿أن﴾ أي أن الشأن ﴿لن نعجز الله﴾ عن إمضاء ما أراد بنا كائنين. ﴿في الأرض﴾ أينما كنا من أقطارها فقوله ﴿في الأرض﴾ حال من فاعل نعجز والإعجاز عاجز كردن. ﴿ولن نعجزه هرباً﴾ قوله ﴿هرباً﴾ حال من فاعل لن نعجز أي هاربين من الأرض إلى السماء وإلى الجار وإلى جبل قاف أو لن نعجزه في الأرض إن أراد بنا أمراً ولن نعجزه هرباً إن طلبنا فالفرار من موضع إلى موضع وعدمه سيان في أن شيئاً منهما لا يفيد فواتنا منه ولعل الفائدة في ذكر الأرض حينئذٍ الإشارة إلى أنها مع سعتها وانبساطها ليست منجى منه تعالى ولا مهرباً.

﴿وأنا لما سمعنا الهدى﴾ أي القرآن الذي ﴿يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩] ﴿آمنا به﴾ من غير تأخير وتردد ﴿فمن يؤمن بربه﴾ وبما أنزله من الهدى ﴿فلا يخاف﴾ أي فهو لا يخاف فالكلام في تقدير مبتدأ وخبر ولذلك دخلت الفاء ولولا ذلك القيل لا يخف وفائدة رفع الفعل ووجوب إدخال الفاء أنه دال على تحقيق أن المؤمن ناج لا محالة وأنه المختص بذلك دون غيره ﴿بخساً﴾ أي نقصاً في الجزاء ﴿ولا رهقاً﴾ ولا ترهقه ذلة وتغشاه أو جزاء بخس ولا رهق أي ظلم إذ لم يبخس أحداً حقاً ولا رهق أي ظلم أحداً فلا يخاف جزاءهما وفيه دلالة على أن من حق من آمن بالله أن يجتنب المظالم ومنه قوله عليه السلام: «المؤمن من أمنه الناس على أنفسهم وأموالهم» قال الواسطي رحمه الله حقيقة الإيمان ما أوجب الأمان فمن بقي في مخاوف المرتابين لم يبلغ إلى حقيقة الإيمان.

﴿وأنا منا المسلمون﴾ أي بعد استماع القرآن ﴿ومنا القاسطون﴾ الجائرون عن طريق الحق الذي هو الإيمان والطاعة فالقاسط الجائر لأنه عادل عن الحق والمقسط العادل لأنه عادل إلى الحق يقال قسط إذا جار وأقسط إذا عدل وقد غلب هذا الاسم أي القاسط على فرقة معاوية، ومنه الحديث خطاباً لعلي رضي الله عنه «تقاتل الناكثين والقاسطين والمارقين» فالناكثون أصحاب عائشة رضي الله عنها فإنهم الذين نكثوا البيعة أي نقضوها واستنزلوا عائشة وساروا بها إلى البصرة على جمل اسمه عسكر، ولذا سميت الوقعة يوم الجمل، والقاسطون أصحاب معاوية لأنهم قسطوا أي جاروا حين حاربوا الإمام الحق والوقعة تعرف بيوم صفين، والمارقون الخوارج فإنهم الذين مرقوا أي خرجوا من دين الله واستحلوا القتال مع خليفة رسول الله عليه السلام وهم عبد الله بن وهب الراسبي وحرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي الثدية وتعرف

تلك الواقعة بيوم النهروان هي من أرض العراق على أربعة فراسخ من بغداد. ﴿**فمن أسلم**﴾ پس هركه كردن نهاد امر خدايرا همچنانچه ما كرده ايم قال سعدي المفتي يجوز أن يكون من كلام الجن ويجوز أن يكون مخاطبة من الله لرسوله ما فيما بعده من الآيات ﴿**فأولئك**﴾ إشارة إلى من أسلم والجمع باعتبار المعنى. ﴿**تحروا**﴾ التحري في الأصل طلب الأحرى والأليق قولاً أو فعلاً أي طلبوا وقصدوا ﴿**رشداً**﴾ يقال رشد كنصر وفرح رشداً ورشداً رشاداً اهتدى كما في «القاموس»، أي اهتداء عظيماً إلى طريق الحق والصواب يبلغهم إلى دار الثواب فتحري الرشد مجاز عن ذلك بعلاقة السببية وبالفارسية قصد كرده اندراه راست وازان بمقصد خواهندرسيد.

ودل على أن للجن ثواباً على أعمالهم لأنه ذكر سبب الثواب وموجبه وقد سبق تحقيقه.

﴿**وأما القاسطون**﴾ الجائرون عن سنن الهدى ﴿**فكانوا لجهنم حطباً**﴾ الحطب ما يعد للإيقاد أي حطباً توقد بهم كما توقد بكفرة الإنس.

روي أن الحجاج قال لسعيد بن جبير حين أراد قتله ما تقول في؟ قال: إنك قاسط عادل فقال الحاضرون ما أحسن ما قال حسبوا أنه يصفه بالقسط والعدل فقال الحجاج يا جهلة جعلني جاهلاً كافراً وتلا قوله تعالى: ﴿**وأما القاسطون فكانوا لجهنم حطباً**﴾ وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١] وأسند بعضهم قول سعيد إلى امرأة كما قال في «الصحاح» ومنه قول تلك المرأة للحجاج إنك قاسط عادل فيحتمل التوارد.

﴿**وأن لو استقاموا**﴾ أن مخففة من الثقيلة والجملة معطوفة قطعاً على أنه استمع والمعنى وأوحى إلي أن الشأن لو استقام الجن أو الإنس أو كلاهما ﴿**على الطريقة**﴾ التي هي ملة الإسلام ﴿**لأسقيناهم ماء غدقاً**﴾ الإسقاء والسقي بمعنى وقال الراغب: السقي والسقيا هو أن تعطيه ماء ليشرب والإسقاء أن تجعل له ذلك له حتى يتناوله كيف شاء كما يقال أسقيته نهراً، فالإسقاء أبلغ وغدق من باب علم إذا غزر وصف الماء به للمبالغة في غزارته كرجل عدل وتخصيص الماء الكثير بالذكر لأنه أصل السعة وإن كان أصل المعاش هو أصل الماء لا كثرته ولعزة وجوده بين العرب قال عمر رضي الله عنه: أينما كان الماء كان العشب وأينما كان العشب كان المال وأينما كان المال كانت الفتنة والمعنى لأعطيناهم مالاً كثيراً وعيشاً رغداً ووسعنا عليهم الرزق في الدنيا وبالفارسية هرآيينه بدهيم ايشان را آب بسيار بعد ازتثل سالي يعني روزي برايشان فراخ كردانيم.

وفيه دلالة على أن الجن يأكلون ويشربون ولكن فيه تفصيل وقد سبق وقال بعض أهل المعرفة المراد بالاستقامة على الطريقة هو القيام على سبيل السنة والميل إلى أهل الصلاح وبالإسقاء الإفاضة على قلوبهم ماء الوداد.

﴿لِّنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِۦ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴿١٧﴾ وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُواْ يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿**لنفتنهم فيه**﴾ لنختبرهم في ذلك الإسقاء والتوسيع كيف يشكرونه كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٦٨] أو في ذلك الماء والمآل واحد.

وقال الكاشفي: تابياز مابيم ايشانرادر آن زندكانى كه بوظائف شكر چكونه قيام نمايند.

وفيه إشارة إلى أن المرزوق بالرزق الروحاني والغذاء المعنوي يجب عليه القيام بشكره أيضاً وذلك بوظائف الطاعات وصنوف العبادات وضروب الخدمات.

﴿ومن يعرض عن ذكر ربه﴾ عن عبادته أو عن موعظته أو وحيه ﴿يسلكه﴾ يدخله ﴿عذاباً صعداً﴾ أي: شاقاً صعباً يتصعد أي يعلو المعذب ويغلبه فلا يطيقه على أنه مصدر وصف به للمبالغة يقال سلكت الخيط في الإبرة إذا أدخلته فيها أي يسلكه في عذاب صعد كما قال ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ [المدثر: ٤٢] أي أدخلهم فيها فحذف الجار وأوصل الفعل ثم إن كان إعراضه بعدم التصديق عذابه بالتأبيد وإلا فبقدر جريمته إن لم يغفر له وروي: أن صعداً جبل في النار إذا وضع عليه يديه أو رجليه ذابتا وإذا رفعهما عادتا وقال بعضهم: صعدا جبل أملس في جهنم ويكلف الوليد بن المغيرة صعوده أربعين عاماً فيجذب من أعلاه بالسلاسل فإذا انتهى إلى أعلاه انحدر إلى أسفله ثم يكلف ثانياً هكذا يعذب أبداً.

﴿وأن المساجد لله﴾ عطف على قوله ﴿أنه استمع﴾ أي وأوحي إلي أن المساجد مختصة بالله تعالى وبعبادته خصوصاً المسجد الحرام ولذلك قيل بيت الله فالمراد بالمساجد المواضع التي بنيت للصلاة وذكر الله ويدخل فيها البيوت التي يبنيها أهل الملل للعبادة نحو الكنائس والبيع ومساجد المسلمين، ثم هذا لا ينافي أن تضاف المساجد وتنسب إلى غير تعالى بوجه آخر إما لبانيها كمسجد رسول الله أو لمكانها كمسجد بيت المقدس إلى غير ذلك من الاعتبارات وأعظم المساجد حرمة المسجد الحرام ثم مسجد المدينة ثم مسجد بيت المقدس ثم الجوامع ثم مساجد المحال ثم مساجد الشوارع ثم مساجد البيوت. ﴿فلا تدعوا﴾ أي لا تعبدوا فيها الفاء للسببية ﴿مع الله أحداً﴾ أي لا تجعلوا أحداً غير الله شريكاً لله في العبادة فإذا كان الإشراك مذموماً فكيف يكون حال تخصيص العبادة بالغير.

قال الكاشفي: پس مخوانيد دران بخداي تعالى يكى را چنانچه يهود ونصارى در كنايس وصوامع خود عزير ومسيح رابالوهيت ياد ميكنند وچنانچه مشركان در حوالىء بيت الحرام ميكويند لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك وكفته اندمراد ازيى مساجد تمام روى زمينست كه مسجد حضرت سيد المرسلين است لقوله عليه السلام جعلت لي الأرض مسجداً وتربتها طهوراً پس در هيچ بقعه باياد خدا ياد ديكرى نيكو نباشد.

دلـرا بـجـزا زيـاد خـدا شـاد مـكـن بـايـادوى از كـسـى ديـكـر يـاد مـكـن

قال بعض العارفين: إنما تبرأ تعالى من الشريك لأنه عدم والله وجود فتبرأ من العدم الذي لا يلحقه إذ هو واجب الوجود لذاته والله تعالى مع الخلق ما الخلق مع الله لأنه تعالى يعلمهم وهم لا يعلمونه فهو تعالى معهم أينما كانوا في ظرفية أمكنتهم وأزمانهم وأحوالهم ما الخلق معه تعالى فإنهم لا يعرفونه حتى يكونوا معه ولو عرفوه من طريق الإيمان كانوا كالأعمى يعلم أنه جليس زيد ولكن لا يراه فهو كأنه يراه بخلاف أهل المشاهدة فإنه ذو بصر إلهي فمن دعاء الله مع الله ما هو كمن دعاء الخلق مع الله هذا معنى فلا تدعوا مع الله أحداً ثم إن السجود وإن كان لله لا يقع في الحس أبداً إلا لغير الله أي لجهة غير الله لأن الله ليس بجهة بل هو بكل شيء محيط فما وقع من عبد سجود إلا لغير الله لكن منه ما كان لغير الله عن أمر الله كالسجود لآدم وهو مقبول ومنه ما كان عن غير أمره كالسجود للأصنام وهو مردود، وإنما وضعت المساجد للتعظيم كما أنه عينت القبلة للأدب يروى عن كعب أنه قال: إني لأجد في التوراة أن

الله تعالى يقول إن بيوتي في الأرض المساجد، وإن المسلم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله وحق على المزور أن يكرم زائره ومن هنا قالوا إن من دخل المسجد ينوي زيارة الله تعالى قال بعض أهل المعرفة إن مساجد القلوب لزوار تجلية فلا ينبغي أن يكون فيها ذكر غير الله وقال بعضهم: إن مساجد القلوب الصافية عن القاذورت مختصة بالله تعالى وبالتجليات الذاتية والصفاتية والاسمائية فلا تدعوا مع الله أحداً من الأسماء الجزئية أي طهروا مساجد قلوبكم لتجلي اسم الله الأعظم فيها لا غير وقال ابن عطاء مساجدك أعضاؤك التي أمرت أن تسجد عليها لا تخضعها ولا تذللها لغير خالقه وهي الوجه واليدان والركبتان والرجلان والحكمة في إيجاب السجود على هذه الأعظم أن هذه الأعضاء التي عليها مدار الحركة هي المفاصل التي تنفتح وتنطبق في المشي والبطش وأكثر السعي ويحصل بها اجتراح السيئات وارتكاب الشهوات فشرع الله بها السجود للتكفير ومحو الذنب والتطهير.

﴿**وأنه**﴾ من جملة الموحى به أي وأوحي إلي أن الشأن ﴿**لما قام عبد الله**﴾ إلى النبي عليه السلام ولذا جعلوا في أسمائه لأنه هو العبد الحقيقي في الحقيقة المضاف إلى اسم الله الأعظم فرقاً وإن كان هو المظهر له جمعاً.

ودر آثار آمده كه آن حضرت را عليه السلام هيچ نام ارين خوشتر نيامده چه شريطهء عبادت وعبوديت بروجهى كه آن حضرت قيام هيچكس را قدرت براقامت بران نبوده لا جرم دروقت عروج آن حضرت برمنازل ملكي باين سام مذكور شدكه سبحان الذي أسرى بعبده وبهنكام نزول قرآن از مدارج فلكي اورا يهمين نام ميكندكه تبارك الذي نزل الفرقان على عبده.

آن بنده شعار بندكى دوست   كزجملهٔ بندكان كزين اوست
دادند ببند كيش راهى   كاتراك نديده هيچ شاهى

وإيراده عليه السلام بلفظ العبد للإشعار بما هو المقتضي لقيامه وعبادته وهو العبودية أي كونه عبداً له وللتواضع لأنه واقع موقع كلامه عن نفسه إذ التقدير وأوحي إلي أني لما قمت وهذا على قراءة الفتح، وأما على قراءة نافع وأبي بكر فيتعين كونه للإشعار بالمقتضي وفيه تعريض لقريش بأنهم سموا عبد ود وعبد يغوث وعبد مناف وعبد شمس ونحوها لا عبد الله وأن من سمي منهم بعبد الله فإنما هي من قبيل التسمية المجردة عن معانيها. ﴿**يدعوه**﴾ حال من فاعل قام أي يعبده وذلك قيامه لصلاة الفجر بنخلة كما سبق. ﴿**كادوا**﴾ أي قرب الجن ﴿**يكونون عليه لبداً**﴾ جمع لبدة بالكسر نحو قربة وقرب وهي ما تلبد بعضه على بعض أي تراكب وتلاصق ومنها لبدة الأسد وهي الشعر المتراكب بين كتفيه، والمعنى متراكمين يركب بعضهم بعضاً ويقع من ازدحامهم على النبي عليه السلام تعجباً مما شاهدوا من عبادته وسمعوا من قراءته واقتداء أصحابه به قياماً وقعوداً وسجوداً لأنهم رأوا ما لم يروا مثله قبله وسمعوا بما لم يسمعوا بنظيره، وعلى قراءة الكسر إذا جعل مقول الجن فضمير كادوا لأصحابه عليه السلام الذين كانوا مقتدين به في الصلاة.

يقول الفقير: في هذا المقام إشكال على القراءتين جميعاً لأن المراد إن كان ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما على ما ذهب إليه المفسرون فلا معنى للازدحام، إذ كان الجن بنخلة نفراً سبعة أو تسعة ولا معنى لازدحام النفر القليل مع سعة المكان وقرب القاري وإنما وقع الازدحام في الحجون بعد العود من نخلة على ما رواه ابن مسعود رضي الله عنه، ولا

مخلص إلا بأن يقال لم يزالوا يدنون من جهة واحدة حتى كادوا يكونون عليه لبداً أو بأن يتجوز في النفر وحينئذٍ يبقى تعيين العدد على ما فعله بعضهم بلا معنى وإن كان المراد ما ذهب إليه ابن مسعود رضي الله عنه، ففيه أن ذلك كان بطريق المشاهدة على ما أسلفناه في الأحقاف ولا معنى لإخباره بطريق الوحي على ما مضى في أول السورة وأيضاً أنه لم يكن معه عليه السلام، إذ ذاك إلا نفر قليل من أصحابه بل لم يكن إلا زيد بن حارثة رضي الله عنه على ما في «إنسان العيون» فلا معنى للازدحام والله أعلم بمراده.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُواْ رَبِّي وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّي لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾

﴿قل إنما أدعو﴾ أي: أعبد **﴿ربي ولا أشرك به﴾** أي بربي في العبادة **﴿أحداً﴾** فليس ذلك ببدع فلا مستنكر يوجب التعجب أو الاطباق على عداوتي وهذا حالي فليكن حالكم أيضاً كذلك **﴿قل إني لا أملك﴾** لا أستطيع **﴿لكم﴾** أيها المشركون **﴿ضراً ولا رشداً﴾** كأنه أريد لا أملك ضراً ولا نفعاً ولا غياً ولا رشداً، أي ليس هذا بيدي بل بيد الله تعالى فإنه هو الضار النافع الهادي المضل فترك من كلا المتقابلين ما ذكر في الآخر فالآية من الاحتباك وهو الحذف من كل ما يدل مقابلة عليه.

وفي «التأويلات النجمية»: أي من حيث وجوده المضاف إليه كما قال ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] وأما من حيث وجوده الحق المطلق فإنه يملك الضر والرشد كقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢] قال القاشاني: أي غياً وهدى إنما الغواية والهداية من الله إن سلطني عليكم تهتدوا بنوري وإلا بقيتم في الضلال ليس في قوتي أن أقسركم على الهداية. **﴿قل إني لن يجيرني﴾** ينقذني ويخلصني **﴿من الله﴾** من قهره وعذابه إن خالفت أمره وأشركت به **﴿أحد﴾** إن استنقذته أو لن ينجيني منه أحد إن أرادني بسوء قدره علي من مرض أو موت أو غيرهما قال بعضهم هذه لفظة تدل على الإخلاص في التوحيد إذ التوحيد هو صرف النظر إلى الحق لا غير وهذا لا يصح إلا بالإقبال على الله والإعراض عما سواه والاعتماد عليه دون ما عداه. **﴿ولن أجد من دونه ملتحداً﴾** يقال ألحد في دين الله والتحد فيه أي مال عنه وعدل ويقال للملجأ الملتحد لأن اللاجىء يميل إليه والمعنى ولن أجد عند الشدائد ملتجأ غيره تعالى وموئلاً ومعدلاً فلا ملجأ ولا موئل ولا معدل إلا هو وهذا بيان لعجزه عليه السلام، عن شؤون نفسه بعد بيان عجزه عن شؤون غيره أي وإذ لا أملك لنفسي شيئاً فكيف أملك لكم شيئاً.

﴿إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦۚ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوْاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ أَضْعَفُ نَاصِرًا وَأَقَلُّ عَدَدًا ﴿٢٤﴾ قُلْ إِنْ أَدْرِيٓ أَقَرِيبٌ مَّا تُوعَدُونَ أَمْ يَجْعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾﴾.

﴿إلا بلاغاً من الله﴾ استثناء متصل من قوله لا أملك أي من مفعوله فإن التبليغ إرشاد ونفع وما بينهما اعتراض مؤكد لنفي الاستطاعة عن نفسه فلا يضر طول الفصل بينهما وفائدة الاستثناء المبالغة في توصيف نفسه بالتبليغ لدلالته على أنه لا يدع التبليغ الذي يستطيعه لتظاهرهم على عدوانه وقوله **﴿من الله﴾** صفة بلاغاً أي بلاغاً كائناً منه وليس متعلقاً بقوله بلاغاً

لأن صلة التبليغ في المشهور إنما هي كلمة عن دون من وبلاغاً واقع موقع التبليغ كما يقع السلام والكلام موقع التسليم والتكليم أو استثناء من قوله ﴿ملتحداً﴾ أي لن أجد من دونه تعالى منجي إلا أن أبلغ عنه ما أرسلني به فهو حينئذٍ منقطع فإن البلوغ ليس ملتحداً من دون الله لأنه من الله وبإعانته وتوفيقه. ﴿ورسالاته﴾ عطف على بلاغاً بإضمار المضاف وهو البلاغ أي لا أملك لكم إلا تبليغاً كائناً منه تعالى وتبليغ رسالاته التي أرسلني بها يعني الآن أبلغ عن الله وقول قال الله كذا ناسباً للمقالة إليه وأن أبلغ رسالاته التي أرسلني بها من غير زيادة ولا نقصان، وقال سعدي المفتي: لعل المراد من بلاغاً من الله ما هو ما يأخذه منه تعالى بلا واسطة ومن رسالاته ما هو بها انتهى، والمراد بالرسالة هو ما أرسل الرسول به من الأمور والأحكام والأحوال لا معنى المصدر والظاهر أن المراد إلا التبليغ والرسالة من الله تعالى وجمع الرسالة باعتبار تعدد ما أرسل هو به. ﴿ومن يعص الله ورسوله﴾ في الأمر بالتوحيد بأن لا يمتثل أمرهما به ودعوتهما إليه فيشرك به إذ الكلام فيه وهو يصلح أن يكون مخصصاً للعموم فلا متمسك للمعتزلة في الآية على تخليد عصاة المؤمنين في النار. ﴿فإن له نار جهنم خالدين فيها﴾ أي في النار أو في جهنم والجمع باعتبار المعنى. ﴿أبداً﴾ بلا نهاية فهو دفع لأن يراد بالخلود المكث الطويل ﴿حتى إذا رأوا ما يوعدون﴾ غاية لمحذوف يدل عليه الحال من استضعاف الكفار لأنصاره عليه السلام، ولاستقلالهم لعددهم حتى قالوا هم بالإضافة إلينا كالحصاة من جبال كأنه قيل لا يزالون على ما هم عليه حتى إذا رأوا ما يوعدون من فنون العذاب في الآخرة ﴿فسيعلمون﴾ حينئذٍ عند حلوله بهم ﴿من أضعف ناصراً وأقل عدداً﴾ أي: فسيعلمون الذي هو أضعف وأقل أهم أم المؤمنون فمن موصولة وأضعف خبر مبتدأ محذوف ويجوز أن تكون استفهامية مرفوعة بالابتداء وأضعف خبره والجملة في موضع نصب سدت مسد مفعولي العلم، وناصراً وعدداً منصوبان على التمييز وحمل بعضهم ما توعدون على ما رأوه يوم بدر وأياً ما كان ففيه دلالة على أن الكفار مخذولون في الدنيا والآخرة وإن كثروا عدداً وقووا حسداً لأن الكافرين لا مولى لهم وأن المؤمنين منصورون في الدارين وإن قلوا عدداً وضعفوا جسداً لأن الله مولاهم والواحد على الحق هو السواد الأعظم فإن نصره ينزل من العرش قال الحافظ:

تيغى كه اسمانش ازفيض خود دهد آب تنها جهان بكيردبى منت سپاهى

﴿قل إن أدري﴾ أي: ما أدري لأن إن نافية ﴿أقريب﴾ خبر مقدم لقوله ﴿ما توعدون﴾ ويجوز أن يكون ما توعدون فاعلاً لقريب ساداً مسد الخبر لوقوعه بعد ألف الاستفهام وما موصولة والعائد محذوف أي أقريب الذي توعدونه نحو أقائم الزيدان. ﴿أم يجعل له ربي أمداً﴾ أي: غاية تطول مدتها والأمد وإن كان يطلق على القريب أيضاً إلا أن المقابلة تخصصه بالبعيد والفرق بين الزمان والأمد أن الأمد يقال باعتبار الغاية والزمان عام في المبدأ والغاية والمعنى أن الموعود كائن لا محالة وأما وقته فما أدري متى يكون لأن الله لم يبينه لما رأى في إخفاء وقته من المصلحة وهو رد لما قاله المشركون عند سماعهم ذلك متى يكون الموعود إنكاراً له واستهزاء فإن قيل أليس قال عليه السلام: «بعثت أنا والساعة كهاتين» فكان عالماً بقرب وقوع القيامة فكيف قال ههنا لا أدري أقريب أم بعيد والجواب أن المراد بقرب وقوعه هو أن ما بقي من الدنيا أقل ممن انقضى فهذا القدر من القرب معلوم وأما قربه بمعنى كونه

بحيث يتوقع في كل ساعة فغير معلوم على أن كل آت قريب، ولذا قال تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النحل: ١] وقال كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلا ساعة من نهار وذلك بالموت للمتقدمين ووقوع عين القيامة للمتأخرين كما أوعد نوح عليه السلام بالطوفان فلم يدركه بعضهم بل هلك قبله وغرق في طوفان الموت وبحر البلاء.

قال بعض أهل المعرفة: قل إن أدري أقريب ما توعدون في القيامة الصغرى من الفناء الصوري والموت الطبيعي الاضطراري والدخول في نار الله الكبرى عند البعث لعدم الوقوف على قدر الله أو في الكبرى من الموت الإرادي والفناء الحقيقي لعدم الوقوف على قوة الاستعداد فيقع عاجلاً أم ضرب الله غاية وأجلاً.

﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾﴾

﴿**عالم الغيب**﴾ وحده وهو خبر مبتدأ محذوف أي هو عالم لجميع ما غاب عن الحس على أن اللام للاستغراق، والجملة استئناف مقرر لما قبله من عدم الدراية. ﴿**فلا يظهر**﴾ آكاه نكند ﴿**على غيبه أحداً**﴾ الفاء لترتيب عدم الإظهار على تفرده تعالى بعلم الغيب على الإطلاق، أي فلا يطلع على غيبه إطلاعاً كاملاً ينكشف به جلية الحال انكشافاً تاماً موجباً لعين اليقين أحد من خلقه ﴿**إلا من ارتضى من رسول**﴾ الارتضاء پسنديدن وأصله تناول مرضي الشيء أي إلا رسولاً ارتضاه واختاره لإظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته كما يعرب عنه بيان من ارتضى بالرسول تعلقاً ما، إما لكونه من مبادي رسالته بأن يكون معجزة دالة على صحتها، وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي أمر بها المكلفون وكيفيات أعمالهم وأجزيتها المترتبة عليها في الآخرة وما تتوقف هي عليه من أحوال الآخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث وغير ذلك من الأمور الغيبية التي بيانها عن وظائف الرسالة، وإما ما لا يتعلق بها على أحد الوجهين من الغيوب التي من جملتها وقت قيام الساعة فلا يظهر عليه أحداً أبداً على أن بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف فإن اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلاً ولا يدعى أحد لأحد من الأولياء ما في مرتبة الرسل من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح بل إطلاعهم بالأخبار الغيبي والتلقف من الحق فيدخل في الرسول وارثه.

قال الجنيد قدس سره: قعد علي غلام نصراني متنكراً، وقال: أيها الشيخ ما معنى قوله عليه السلام: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله»؟ قال: فأطرقت رأسي ورفعت فقلت أسلم أسلم فقد حان وقت إسلامك فأسلم الغلام فهذا إما بطريق الفراسة أو بغيرها من أنواع الكشوف وخرج من البين أهل الكهانة والتنجيم لأنهم ليسوا من أهل الارتضاء والاصطفاء كالأنبياء والأولياء فليس إخبارهم بطريق الإلهام والكشف بل بالإمارات والظنون ونحوها ولذا لا يقع أكثرها إلا كاذباً ومن قال أنا أخبر من أخبار الجن يكفر لأن الجن كالإنس لا تعلم غيباً، وقد سبق أن الكهانة انقطعت اليوم فلا كهانة أبداً لأن الشياطين منعوا من السماء قال ابن

الشيخ: إنه تعالى لا يطلع على الغيب الذي يختص به علمه إلا المرتضى الذي يكون رسولاً وما لا يختص به يطلع عليه غير الرسول إما بتوسط الأنبياء أو بنصب الدلائل وترتيب المقدمات أو بأن يلهم الله بعض الأولياء وقوع بعض المغيبات في المستقبل بواسطة الملك فليس مراد الله بهذه الآية أن لا يطلع أحداً على شيء من المغيبات إلا الرسل لظهور أنه تعالى قد يطلع على شيء من الغيب غير الرسل كما اشتهر أن كهنة فرعون أخبروا بظهور موسى عليه السلام، وبزوال ملك فرعون على يده وأن بعض الكهنة أخبروا بظهور نبينا محمد عليه السلام قبل زمان ظهوره ونحو ذلك من المغيبات وكانوا صادقين فيه وأرباب الملل والأديان مطبقون على صحة علم التعبير والمعبر قد يخبر عن وقوع الوقائع الآتية في المستقبل ويكون صادقاً فيه ثم الآية نظير قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ [آل عمران: ١٧٩] ولكن الله يجتبي من رسله من يشاء. **﴿فإنه يسلك﴾** پس بدرستى كه درمى آرد خداي تعالى يعني ميسازد.

وبالعربية يدخل ويثبت **﴿من بين يديه﴾** أي قدام الرسول المرتضى **﴿ومن خلفه رصداً﴾** قال في «القاموس» الرصد محركة الراصدون أي الراقبون بالفارسية نكهبانان.

يقال للواحد والجماعة كما في «المفردات»، وهو تقريب وتحقيق للإظهار المستفاد من الاستثناء وبيان لكيفيته أي فإنه تعالى يسلك من جميع جوانب الرسول عند إظهاره على غيبه حرساً من الملائكة يحرسونه من بعض الشياطين لما أظهره عليه من الغيوب المتعلقة برسالته يعني أن جبريل كان إذا نزل بالرسالة نزل معه ملائكة يحفظونه من أن يسمع الجن الوحي فيلقونه إلى كهنتهم فتخبر به الكهنة قبل الرسول فيختلط على الناس أمر الرسالة قال القاشاني: إلا من ارتضى من رسول أي أعده في الفطرة الأولى وزكاء وصفاء من رسول القوة القدسية فإنه يسلك من بين يديه أي من جانبه الإلهي ومن خلفه، أي ومن جهته البدنية رصداً حفظة أما من جهة الله التي إليها وجهه فروح القدس والأنوار الملكوتية والربانية وأما من جهة البدن فالملكات الفاضلة والهيئات النورية الحاصلة من هياكل الطاعات والعبادات يحفظونه من تخبيط الجن وخلط كلامهم من الوساوس والأوهام والخيالات بمعارفها اليقينية ومعانيها القدسية والواردات المغيبية والكشوف الحقيقية.

﴿ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم﴾ متعلق بيسلك غاية له من حيث أنه مترتب على الإبلاغ المترتب عليه إذ المراد به العلم المتعلق بالإبلاغ الموجود بالفعل وإن مخففة من الثقيلة واسمها الذي هو ضمير الشأن محذوف والجملة خبرها والإبلاغ الإيصال وبالفارسية رسانيدن.

ورسالات ربهم عبارة عن الغيب الذي أريد إظهار المرتضى عليه والجمع باعتبار تعدد أفراده وضمير أبلغوا إما للرصد، فالمعنى أنه تعالى يسلكهم من جميع جوانب المرتضى ليعلم أن الشأن قد أبلغوه رسالات ربهم سالمة عن الاختطاف والتخليط علماً مستتبعاً للجزاء وهو أن يعلمه موجوداً حاصلاً بالفعل كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ﴾ [محمد: ٣١] والغاية في الحقيقة هو الإبلاغ والجهاد وإيراد علمه تعالى لإبراز اعتنائه تعالى بأمرهما لإشعار بترتيب الجزاء عليهما والمبالغة في الحث عليهما والتحذير من التفريط فيهما وإما لمن ارتضى والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد في الضميرين السابقين باعتبار لفظها فالمعنى ليعلم أنه قد أبلغ الرسل الموحى إليهم رسالات ربهم إلى أممهم كما هي من غير اختطاف ولا تخليط بعد ما أبلغها الرصد إليهم كذلك **﴿وأحاط بما لديهم﴾** أي بما عند الرصد أو الرسل حال عن

فاعل يسلك بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور جيء بها لتحقيق استغنائه تعالى أي وقد أحاط بما لديهم من الأحوال جميعاً. ﴿وأحصى﴾ علم علماً بالغاً إلى حد الإحاطة تفصيلاً وبالفارسية وشمرده است ﴿كل شيء﴾ مما كان وما سيكون ﴿عدداً﴾ أي: فرداً فرداً فكيف لا يحيط بما لديهم قال القاسم هو أوجدها فأحصاها عدداً وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أحصى ما خلق وعرف عدد ما خلق لم يفته علم شيء حتى مثاقيل الذر والخردل.

قال الكاشفي: مراد كمال علم است وتعلق آن بجميع معلومات يعني معلومي مطلقاً از دائرهٔ علم أو خارج نيست.

هرچه دانستي است درد وجهان نيست از علم شاملش پنهان

قوله عدداً تمييز منقول من المفعول به كقوله ﴿وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا﴾ [القمر: ١٢] والأصل أحصى عدد كل شيء وفائدته بيان أن علمه تعالى بالأشياء ليس على وجه كلي إجمالي بل على وجه جزئي تفصيلي فإن الإحصاء قد يراد به الإحاطة الإجمالية كما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [النحل: ٨] أي لا تقدروا على حصرها إجمالاً فضلاً عن التفصيل وذلك لأن أصل الإحصاء أن الحاسب إذا بلغ عقداً معيناً من عقود الأعداد كالعشرة والمائة والألف وضع حصاة ليحفظ بها كمية ذلك العقد فيبني على ذلك حسابه وهذه الآية مما يستدل به على أن المعدوم ليس بشيء لأنه لو كان شيئاً لكانت الأشياء غير متناهية وكونه أحصى عددها يقتضي كونها متناهية لأن إحصاء العدد إنما يكون في المتناهي فيلزم الجمع بين كونها متناهية وغير متناهية وذلك محال فوجب القطع بأن المعدوم ليس بشيء حتى يندفع هذا التناقض والتنافي كذا في «حواشي» ابن الشيخ رحمه الله.

تمت سورة الجن بعون ذي الطول والمن في عصر الثلاثاء السابع من ذي القعدة من شهور سنة ست عشرة ومائة وألف

٧٣ ـ سورة المزمل

وآيها تسع عشرة أو عشرون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ ٱلَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ ٱلْقُرْءَانَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِى عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾﴾.

﴿يا أيها المزمل﴾ أي: المتزمل من تزمل بثيابه إذا تلفف بها وتغطى فأدغم التاء في الزاي فقيل المزمل بتشديدين كان عليه السلام نائماً بالليل متزملاً في قطيفة أي دثار مخمل فأمر أن يترك التزمل إلى التشمر للعبادة ويختار التهجد على الهجود وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أول ما جاءه جبريل خافه فظن أن به مساً من الجن فرجع من جبل حراء إلى بيت خديجة مرتعداً وقال: زملوني فبينما هو كذلك إذا جاء جبريل وناداه، وقال **﴿يا أيها المزمل﴾** وعن عكرمة أن المعنى يا أيها الذي زمل أمراً عظيماً، أي حمله والزمل الحمل ازدمله احتمله قال السهيلي رحمه الله: ليس المزمل من أسمائه عليه السلام التي يعرف بها كما ذهب إليه بعض الناس وعده في أسمائه وإنما المزمل مشتق من حالته التي كان عليها حين الخطاب وكذا المدثر وفي خطابه بهذا الاسم فائدتان إحداهما الملاطفة فإن العرب إذا قصدت ملاطفة المخاطب وترك المعاتبة سموه باسم مشتق من حالته التي هو عليها كقول النبي عليه السلام لعلي رضي الله عنه حين غاضب فاطمة رضي الله عنها أي أغضبها وأغضبته فأتاه وهو نائم قد لصق بجنبه التراب فقال له: «قم يا أبا تراب» إشعاراً بأنه غير عاتب عليه وملاطفة له وكذلك قوله عليه السلام لحذيفة رضي الله عنه: «قم يا نومان» وكان نائماً ملاطفة وإشعاراً بترك العتب والتأديب فقول الله تعالى لمحمد عليه السلام يا أيها المزمل تأنيس وملاطفة ليستشعر أنه غير عاتب عليه والفائدة الثانية التنبيه لكل متزمل راقد ليله لينتبه إلى قيام الليل وذكر الله فيه لأن الاسم المشتق من الفعل يشترك فيه مع المخاطب كل من عمل بذلك العمل واتصف بتلك الصفة انتهى.

وفي «فتح الرحمن»: الخطاب الخاص بالنبي عليه السلام كأيها المزمل ونحوه عام للأمة إلا بدليل يخصه وهذا قول أحمد والحنفية والمالكية وقال أكثر الشافعية لا يعمهم إلا بدليل وخطابه عليه السلام لواحد من الأمة هل يعم غيره قال الشافعي والحنفية والأكثر لا يعم وقال أبو الخطاب من أئمة الحنابلة إن وقع جواباً عم وإلا فلا. **﴿قم الليل﴾** بكسر الميم لالتقاء الساكنين، أي لا تتزمل وترقد ودع هذه الحال لما هو أفضل منها وقم إلى الصلاة في الليل فانتصاب الليل على الظرفية وإن استغرق الحدث الواقع فيه فحذف في واو صل الفعل إليه فنصب لأن عمل الجر لا يكون في الفعل والنصب أقرب إليه من الرفع ومن ذلك قال بعضهم:

هو مفعول نظراً إلى الظاهر في الاستعمال ومن ذلك ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وقوله: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥] في أحد الوجهين كما سبق ومثله الإحياء في قوله: «من أحيى ليلة القدر» ونحوه فإن الإحياء وإن كان واقعاً على الليل في الظاهر لكن المراد به إحياء الصلاة والذكر في الليل واستعمالها وحد الليل من غروب الشمس إلى طلوع الفجر.

قال بعض العارفين: إن الله اشتاق إلى مناجاة حبيبه فناداه أن يقوم في جوف الليل وقد قالوا إن القيام والمناجاة ليسا من الدنيا بل من الجنة لما يجده أهل الذوق من الحلاوة. **﴿إلا قليلا﴾** استثناء من الليل.

﴿نصفه﴾ بدل من الليل الباقي بعد الثنيا بدل الكل والنصف أحد شقي الشيء، أي قم نصفه والتعبير عن النصف المخرج بالقليل لإظهار كمال الاعتداد بشأن الجزء المقارن للقيام والإيذان بفضله وكون القيام فيه بمنزلة القيام في أكثره في كثرة الثواب يعني أنه يجوز أن يوصف النصف المستثنى بكونه قليلاً بالنسبة إلى النصف المشغول بالعبادة مع أنهما متساويان في المقدار من حيث أن النصف الفارغ لا يساويه بحسب الفضيلة والشرف فالاعتبار بالكيفية لا بالكمية وقال بعضهم إن القلة في النصف بالنسبة إلى الكل لا إلى العديل الآخر وإلا لزم أن يكون أحد النصفين المساويين أقل من الآخر وفيه أنه من عرائه عن الفائدة خلاف الظاهر كما في «الإرشاد». **﴿أو انقص منه﴾** أي انقص القيام من النصف المقارن له إلى الثلث **﴿قليلا﴾** أي نقصان قليلاً أو مقداراً قليلاً بحيث لا ينحط إلى نصف الليل.

﴿أو زد عليه﴾ أي: زد القيام على النصف المقارن له إلى الثلثين فالمعنى تخييره عليه السلام بين أن يقوم نصفه أو أقل منه أو أكثر أي قم إلى الصلاة في الزمان المحدود المسمى بالليل إلا في الجزء القليل منه وهو نصفه أو انقص القيام من نصفه أو زد عليه قيل هذا التخيير على حسب طول الليالي وقصرها فالنصف إذا استوى الليل والنهار والنقص منه إذا أقصر الليل والزيادة عليه إذا طال الليل **﴿ورتل القرآن﴾** في أثناء ما ذكر من القيام أي اقرأه على تؤدة وتبيين حروف وبالفارسية وقر آرا كشده حروف خوان بحديكه بعضي آن بربى بعضي باشد **﴿ترتيلا﴾** بليغاً بحيث يتمكن السامع من عدها ولذا نهى ابن مسعود رضي الله عنه عن التعجل، وقال ولا يكن هم أحدكم آخر السورة يعني لا بد للقارىء من الترتيل ليتمكن هو ومن حضره من التأمل في حقائق الآيات فعند الوصول إلى ذكر الله يستشعر عظمته وجلاله وعند الوصول إلى الوعد والوعيد يقع في الرجاء والخوف وليسلم نظم القرآن من الخلل، والرتل اتساق الشيء وانتظامه على استقامة والترتيل هو يدا كردن سخن بي تكلف.

قال في «الكشاف»: ترتيل القرآن قراءته على ترسل وتؤده بتبيين الحروف وإشباع الحركات حتى يجيء المتلو منه شبيهاً بالثغر المرتل وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان وأن لا يهزه هزاً ولا يسرده سرداً كما قال عمر رضي الله عنه شر السير الحقحقة وشر القراءة الهذرمة حتى يجيء المتلو في تتابعه كالثغر الألص، والأمر بترتيل القرآن يشعر بأن الأمر بقيام الليل نزل بعد ما تعلم عليه السلام مقداراً منه وإن قل وقوله **﴿إنا سنلقي﴾** على الاستقبال بالنسبة إلى بقية القرآن ثم الظاهر أن الأمر به يعم الأمة لأنه أمر مهم للكل والأمر للوجوب كما دل عليه التأكيد أو للندب وكانت قراءته عليه السلام، مداً يمد ببسم الله ويمد بالرحمن ويمد بالرحيم أما الأولان فمدهما طبيعي قدر الألف وأما الأخير فمده عارضي بالسكون فيجوز فيه ثلاثة أوجه

الطول وهو مقدار ألفات ثلاث والتوسط قدر ألفين والقصر قدر ألف، وكان عليه السلام مجوداً للقرآن كما أنزل وتجويده تحسين ألفاظه بإخراج الحروف من مخارجها وإعطاء حقوقها من صفاتها كالجهر والهمس واللين ونحوها وذلك بغير تكلف وهو ارتكاب المشقة في قراءته بالزيادة على أداء مخرجه والمبالغة في بيان صفته فينبغي أن يتحفظ في الترتيل عن التمطيط وهو التجاوز عن الحد وفي الحدر عن الإدماغ والتخليط بأن تكون قراءته بحال كأنه يلف بعض الحروف والكلمات في بعض آخر لزيادة السرعة وذلك أن القراءة بمنزلة البياض إن قل صار سمرة وإن كثر صار برصاً وما فوق الجعودة فهو القطط فما كان فوق القراءة فليس بقراءة فعلم من هذا أن التجويد على ثلاث مراتب ترتيل وحدر وتدوير.

أما الترتيل: فهو تؤدة وتأن وتمهل قال في «القاموس»: ورتل الكلام ترتيلاً أحسن تأليفه وترتل فيه ترسل انتهى. وهو مختار ورش وعاصم وحمزة ويؤيده قوله عليه السلام من قرأ القرآن أقل من ثلاث لم يفهمه وفي «قوت القلوب» أفضل القراءة الترتيل لأن فيه التدبر والتفكر وأفضل الترتيل والتدبر للقرآن ما كان في صلاة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما لأن أقرأ البقرة أرتلها وأتدبرها أحب إلي من أن أقرأ القرآن كله هذرمة أي سرعة وعن النبي عليه السلام أنه قرأ بسم الله الرحمن الرحيم قرأها عشرين مرة وكان له كل مرة فهم وفي كل كلمة علم وقد كان بعضهم يقول كل آية لا أفهمها ولا يكون قلبي فيها لم أعد لها ثواباً وكان بعض السلف إذا قرأ سورة لم يكن قلبه أعادها ثانية قال بعض العلماء لكل آية ستون ألف فهم وما بقي من فهمها أكثر قال مالك بن دينار رحمه الله إذا قام العبد يتهجد من الليل ويرتل القرآن كما أمر قرب الجبار منه قال وكانوا يرون أن ما يجدونه في قلوبهم من الرقة والحلاوة وتلك الفتوح والأنوار من قرب الرب من القلب وفي الحديث: «يؤتى بقارىء القرآن يوم القيامة فيوقف في أول درج الجنة ويقال اقرأ وارق ورتل كما كنت ترتل في الدنيا فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» ولكون المقصود من إنزال القرآن فهم الحقائق والعمل بالفحاوي شرع الإنصات لقراءة القرآن وجوباً في الصلاة وندباً في غيرها وللقارىء أجر وللمستمع أجران لأنه يسمع وينصت أو يسمع بأذنيه يقرأ بلسان واحد والمستمع يؤدي الفرض ولذا قالوا استماعه أثوب من تلاوته.

وفي «سلسلة الذهب» للمولى الجامي:

صرف او كن حواس جسماني	وقف أو كن قواي روحاني
دل بمعنى زبان بلفظ سپار	چشم برخط ونقط وعجم كذار
كوش از ومعدن جواهركن	هوش از ومخزن سر آئركن
در اد ايش مكن زبان كج مج	حرفهايش إذا كن از مخرج
دورباش ازتهتك وتعجيل	كام كيراز تأمل وترتيل

وأما الحدر: فهو الإسراع في القراءة كما روي أنه ختم القرآن في ركعة واحدة أربعة من الأمة عثمان بن عفان وتميم الداري وسعيد بن جبير وأبو حنيفة رضي الله عنهم وكان همسر بن المنهال يختم في الشهر تسعين ختمة وما لم يفهم رجع فقرأ مرة أخرى وفي «القاموس» وأبو الحسن علي بن عبد الله بن شاذان بن البتني كعربي مقرىء ختم في النهار أربع ختمات إلا ثمناً مع فهم التلاوة انتهى.

وأما ما روي في مناقب الشيخ موسى السدراني من أكابر أصحاب الشيخ أبي مدين رضي

الله عنه من أن له ورداً في اليوم والليلة سبعين ألف ختمة فمعناه أن اليوم والليلة أربع وعشرون ساعة فيكون في كل اثنتي عشرة ساعة خمسة وثلاثون ألف ختمة لأنها إما أن تنبسط إلى ثلاث وأربعين سنة وتسعة أشهر، وإما إلى أكثر وعلى التقدير الأول يكون اليوم والليلة منبسطاً إلى سبع وثمانين سنة وستة أشهر فيكون في كل يوم وليلة من أيام السنين المنبسطة أيامها ولياليها ختمتان ختمة في اليوم وختمة في الليلة كما هو العادة ويحتمل التوجيه بأقل من ذلك باعتبار سرعة القارىء، وهذا أي الحدر مختار ابن كثير وأبي عمرو وقالون.

وأما التدوير فهو التوسط بين الترتيل والحدر وهو مختار ابن عامر والكسائي وهذا كله إنما يتصور في مراتب المدود وفي الحديث: «رب قارىء للقرآن والقرآن يلعنه» وهو متناول لمن يخل بمبانيه أو معانيه أو بالعمل بما فيه وذلك موقوف على بيان اللحن وهو أنه جلي وخفي فالجلي خطأ يعرض للفظ ويخل بالمعنى بأن بدل حرفاً مكان حرف بأن يقول مثلاً الطالحات بدل الصالحات وبالإعراب كرفع المجرور ونصبه سواء تغير المعنى به أم لا كما إذا قرأ الله بريء من المشركين ورسوله بجر رسوله والخفي خطأ يخل بالعرف والضابطة كترك الإخفاء والإدغام والإظهار والقلب وكترقيق المفخم وعكسه ومد المقصور وقصر الممدود وأمثال ذلك ولا شك أن هذا النوع مما ليس بفرض عين يترتب عليه العقاب الشديد وإنما فيه التهديد وخوف العقاب قال بعضهم اللحن الخفي الذي لا يعرفه إلا مهرة القراء من تكرير الراءات وتطنين النونات وتغليظ اللامات وترقيق الراءات في غير محلها لا يتصور أن يكون من فرض العين يترتب عليه العقاب على فاعلها لما فيه من حرج ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها وفي بعض «شروح الطريقة» ومن الفتنة أن يقول لأهل القرى والبوادي والعجائز والعبيد والإماء لا تجوز الصلاة بدون التجويد وهم لا يقدرون على التجويد فيتركون الصلاة رأساً فالواجب أن يعلم مقدار ما يصح به النظم والمعنى ويتوغل في الإخلاص وحضور القلب.

لعنت است اين كه بهر لهجه وصوت	شود از تو حضور خاطر فوت
فكر حسن غنا برد هوشت	متكلم شود فراموشت
لعنت است اين كه سازدت پى سيم	روز وشب با امير وخواجه نديم
لعنت است اين كه همت توتمام	كنت مصروف لفظ وحرف وكلام
نقد عمرت زفكرت معوج	خرج شد در رعايت مخرج
صرف كردى همه حيات سره	در قراآت سبعه وعشره
همچنين هرچه از كلام اخدا	جزخدا قبلهٔ دلست ترا
موجب لعن ومايهٔ طرد ست	حبذا مقبلي كه زن فردست
معنىٔ لعن چيست مر دودى	بمقامات بعد خشنودى
هركه ماند ازخدا بيك سرمو	آمد اندر مقام بعد حرو
كرچه ملعون نشد زحق مطلق	هست ملعون بقدر بعد ازحق

روي أن عمران بن حصين رضي الله عنه مر على وقاص يقرأ ثم يسأل فاسترجع ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول من قرأ القرآن فليسأل الله به فإنه سيجيء أقوام يقرؤون القرآن يسألون به الناس انتهى. فيكون إعطاء شيء إياه من قبيل الإعانة على المعصية كالإعطاء لسائل المسجد وهو يتخطى رقاب الناس، ولا يدع السواك في كل ما استيقظ من نوم الليل والنهار

وفي الخبر طيبوا طرق القرآن من أفواهكم باستعمال السواك والصلاة بعد السواك تفضل علي بغير سواك سبعين ضعفاً، وفي «قوت القلوب» وفي الجهر بالقرآن سبع نيات منها الترتيل الذي أمر به ومنها تحسين الصوت بالقرآن الذي ندب إليه في قوله عليه السلام، «زينوا القرآن بأصواتكم» وفي قوله: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن» أي يحسن صوته وهو أحب من أخذه بمعنى الغنية والاكتفاء ومنها أن يسمع أذنيه ويوقظ قلبه ليتدبر الكلام ويتفهم المعاني ولا يكون ذلك كله إلا في الجهر ومنها أن يطرد النوم عنه برفع صوته ومنها أن يرجو بجهره يقظة نائم فيذكر الله فيكون هو سبب إحيائه ومنها أن يراه بطال غافل فينشط للقيام ويشتاق إلى الخدمة فيكون هو معاوناً له على البر والتقوى ومنها أن يكثر بجهره تلاوته ويدوم قيامه على حسب عادته للجهر ففي ذلك كثرة عمله فإذا كان القارىء على هذه النيات فجهره أفضل لأن فيه أعمالاً وإنما يفضل العمل بكثرة النيات وكان أصحاب رسول الله عليه السلام إذا اجتمعوا أمروا أحدهم أن يقرأ سورة من القرآن، وفي «شرح الترغيب» اختلف في القراءة بالألحان فكرهها مالك والجمهور لخروجها عما جاء القرآن له من الخشوع والتفهم وأباحها أبو حنيفة وجماعة من السلف للأحاديث لأن ذلك سبب للرقة وإثارة الخشية. وفي «أبكار الأفكار»: إنما استحب تحسين الصوت بالقراءة وتزيينه ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط فإن أفرط حتى زاد حرفاً أو أخفاه فهو حرام وقال بعض أهل المعرفة قوله رتل أي اتل وجاءت التلاوة بمعنى الإبلاغ في مواضع من القرآن، فالمعنى بلغ أحكام القرآن لأهل النفوس المتمردة المنحرفة عن الإقبال على الآخرة وهم العوام وهذا من قبيل الظهر كما قال عليه السلام ما من آية إلا ولها ظهر وبطن وحد ومطلع وفصل معانيه لأصحاب القلوب المقبلة على المولى كما قال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت: ٣] وهم الخواص وهذا من قبيل البطن وفهم حقائقه لسدنة الأسرار المستهلكين في عين المشاهدة المستغرقين في بحر المعاينة وهم أخص الخواص وهذا من قبيل الحد وأوجد أسراره لأرباب الأرواح الطاهرة الفانين عن ناسوتيتهم الباقين بلاهوتيته.

﴿إنا سنلقي عليك﴾ أي: سنوحي إليك وإيثار الإلقاء عليه لقوله تعالى: **﴿قولاً ثقيلاً﴾** وهو القرآن العظيم المنطوي على تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين وأيضاً إن القرآن قديم غير مخلوق والحادث يذوب تحت سطوة القديم إلا من كان مؤيداً كالنبي عليه السلام والثقل حقيقة في الأجسام ثم يقال في المعاني وقال بعضهم: ثقيلاً تلقية كما سئل رسول الله ﷺ كيف يأتيك الوحي؟ قال: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشد علي فيفصم عني أي يقلع وينحى وقد وعيت ما قال وأحياناً يتمثل إلي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول قالت عائشة رضي الله عنها ولقدر رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد فيفصم عنه وإن جبينه ليرفض عرقاً» أي يترشح.

قال الكاشفي: در حين نزول وحي برآن حضرت برين وجه كه مذكور شداكر برشتر سواري بودي دست وپاي شترخم كشتى واكرتكيه برران يكى ازياران داشتى خوف شكستن آن بودي ودرين محل روى كلبركش برافروخته (مصراع) بسان كل كه بصحن چمن برافروزد.

وفي «التأويلات النجمية»: ثقل المحمول بحسب لطف الحامل ولا شك أن نبينا عليه السلام كان ألطف الأنبياء خلقاً وأعدلهم مزاجاً وطبعاً وأكملهم روحانية ورحمانية وأفضلهم نشأة وفطرة وأشملهم استعداداً وقابلية فلذلك خص القرآن بالثقل من بين سائر الكتب السماوية

المشتملة على الأوامر والنواهي والأحكام والشرائع للطف فطرته وشمول رحمته، والجملة اعتراض بين الأمر وهو قم الليل وبين تعليله وهو ﴿إن ناشئة الليل﴾. الخ لتسهل ما كلفه عليه السلام من القيام يعني أن في توصيف ما سيلقى عليه بالثقل إيماء إلى أن ثقل هذا التكليف بالنسبة إليه كالعدم فإذا كان ما سيكلف أصعب وأشق فقد سهل هذا التكليف وفي «الكشاف» أراد بهذا الاعتراض ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الصعبة التي ورد بها القرآن لأن الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه فمن استأنس بهذا التكليف لا يثقل عليه أمثاله.

يقول الفقير: سورة المزمل مما نزل في أوائل النبوة فكأن قوله: ﴿إنا سنلقي عليك قولاً ثقيلاً﴾ يشير إلى مدة الوحي الباقية لأن حروفه مع اعتبار النون المدغم فيها ونوني التنوين اثنان وعشرون فالسين دل على الاستقبال ومجموع الحروف على المدة الباقية وجعل القرآن حملاً ثقيلاً لأن عليه السلام بعث لتتميم مكارم الأخلاق، ولا شك أن ما كان أجمع كان أثقل والله تعالى أعلم بمراده وأيضاً إن كون القول ثقيلاً إنما هو بالنسبة إلى النفس الثقيلة الكثيفة لتراكم حجبها وبعدها عن درك الحق وأما بالنسبة إلى النفس الخفيفة اللطفية فخفيف ولطيف ولذا كان تعب التكاليف مرفوعاً عن الكمل فهم يجدون العبادات كالعادات في ارتفاع الكلفة وفي الذوق والحلاوة.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْـًٔا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦ إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾

﴿إن ناشئة الليل﴾ أي: النفس التي تنشأ في الليل من مضجعها إلى العبادة أي تنهض من نشأ من مكانه إذا نهض فالموصوف محذوف والإضافة للملابسة بمعنى النفس الناشئة في الليل. ﴿هي﴾ خاصة ﴿أشد وطئاً﴾ أي: كلفة وثقلاً مصدر قولك وطىء الشيء، أي داسه برجله أو جعل عليه ثقله فإن النفس القائمة بالليل إلى العبادة أشد وطئاً من التي تقوم بالنهار فلا بد من قيام الليل فإن أفضل العبادات أشقها فالوطء مصدر من المبني للمفعول لأن الواطىء الذي يلقي ثقله على العابد هو العبادة في الليل فيكون العابد بالليل أشد موطوءاً له من العابد بالنهار ووطئاً نصب على التمييز ويجوز أن يكون معنى أشد وطئاً أشد ثبات قدم واستقرارها فيكون المقصود بيان وجه اختيار الليل وتخصيصه بالأمر بالقيام فيه من حيث أنه تعالى جعل الليل لباساً يستر الناس ويمنعهم عن الاضطراب والانقلاب في اكتساب المعاش وجعل النهار معاشاً يباشرون فيه أمور معاشهم فلا تثبت فيه أقدامهم للعبادة ﴿وأقوم قيلاً﴾ اسم من القول بمعناه بقلب الواو ياء أي أزيد من جهة السداد والاستقامة في المقال ومن جهة الثبات والاستقرار على الصواب يعني خواندن قرآن درو بصوا بتراست كه دل فارغ باشد وأصوات ساكن وزبان بادل موافقت نمايد بزبان مى خواند وبدل تفكر ميكند.

خاموش شد عالم بشب تاجست باشى در طلب
زيراكه بانك عربده تشويش خلوتخانه بود

ويحتمل أن تكون ناشئة الليل بمعنى قيام الليل على أن الناشئة مصدر من نشأ كالعافية بمعنى العفو وهذا وافق لسان الحبشة حيث يقولون نشأ إذا قام أو يكون بمعنى العبادة التي تنشأ بالليل أي تحدث فيكون الوطء مصدراً من المبني للفاعل، فإن كل واحد من قيام الليل ومن

العبادة التي تحدث فيه ثقيلان على العابد من قيام النهار والعبادة فيه، فمعنى ﴿**أشد وطئاً**﴾ أثقل وأغلظ على المصلي من صلاة النهار فيكون أفضل يعني آن سخت تراست ازجهت رنج وكلفت چه ترك خواب وراحت برنفس بغايت شاق است.

ويحتمل أن يكون المراد بناشئة الليل ساعاته فإنها تحدث واحدة بعد واحدة أي ساعات الليل الناشئة أي الحادثة شيئاً بعد شيء فتكون الناشئة صفة ساعات الليل فتكون أشد وطئاً أي بملاحظة القيام فيها من ساعات النهار لكن ابن عباس رضي الله عنها قيد الناشئة بما كان بعد العشاء فما كان قبلها فليس بناشئة وخصصتها عائشة رضي الله عنها بما كان بعد النوم فلو لم يتقدمها نوم لم تكن ناشئة، وفي «قوت القلوب» أن يصلي بين العشاءين ما تيسر إلى أن يغيب الشفق الثاني وهو البياض الذي يكون بعد ذهاب الحمرة وقيل غسق الليل وظلمته لأنه آخر ما يبقى من شعاع الشمس في القطر الغربي إذا قطعت الأرض العليا ودارت من وراء جبل قاف مصعدة تطلب المشرق فهذا الوقت هو المستحب لصلاة العشاء الآخرة وهو آخر الورد الأول من أوراد الليل والصلاة فيه ناشئة الليل، أي ساعته لأنها أول نشوء ساعاته وقرأ ابن عامر وأبو عمرو وطاء بالكسر والمد من المواطأة بمعنى الموافقة فإن فسرت الناشئة بالنفس الناشئة كان المعنى أنها أشد من جهة موافقة القلب الكائن لها لسانها وإن فسرت بالقيام أو العبادة أو الساعات كان المعنى أنها أشد من جهة موافقة قلب القائم لسانه فيها أو من جهة كونها موافقة لما يراد من الخشوع والإخلاص وعن الحسن رحمه الله أشد موافقة بين السر والعلانية لانقطاع رؤية الخلائق.

﴿**إن لك في النهار سبحاً طويلاً**﴾ أي تقلباً وتصرفاً في مهماتك كتردد السابح في الماء واشتغالاً بشواغلك فلا تستطيع أن تتفرغ للعبادة فعليك بها في الليل وهذا بيان للداعي الخارجي إلى قيام الليل بعد بيان ما في نفسه من الداعي.

قال الراغب: السبح المر السريع في الماء أو في الهواء استعير لمر النجوم في الفلك كقوله تعالى: ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠] ولجري الفرس كقوله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ [النازعات: ٣] ولسرعة الذهاب في العمل كقوله تعالى: ﴿**إن لك في النهار سبحاً طويلاً**﴾ وفي «تاج المصادر» السبح تصرف كردن در معيشت.

وفي بعض التفاسير قيل السباحة لما فيها من التقلب باليد والرجل في الماء وقيل معنى الآية إن فاتك من الليل شيء فلك في النهار فراغ تقدر على تداركه فيه حتى لا ينقص شيء من حظك من المناجاة لربك ويناسبه قوله عليه السلام: «من نام عن حزبه أو عن شيء منه فقرأه فيما بين صلاة الفجر وصلاة الظهر كتب له كأنما قرأه من الليل» ومن أقوال المشايخ إن المريد الصادق إذا فاته ورد من أوراده يليق به أن يقضيه ولو بعد شهر حتى لا تتعود النفس بالكسل فالورد من الشؤون الواردة عن الرسول عليه السلام وأخيار أمته ومن لا ورد له أي وارد خاص بالخواص وفي «قوت القلوب»: من فاته ورد من الأوراد استحب له فعل مثله متى ذكره لا على وجه القضاء لأنه لا تقضي إلا الفرائض ولكن على سبيل التدارك ورياضة النفس بذلك ليأخذ بالعزائم كيلا يعتاد الرخص.

﴿وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾﴾.

﴿**واذكر اسم ربك**﴾ ودم على ذكره تعالى ليلاً ونهاراً على أي وجه كان من تسبيح

وتهليل وتحميد وصلاة وقراءة قرآن ودراسة علم خصوصاً بعد صلاة الغداة وقبل غروب الشمس فإنهما من ساعات الفتح والفيض، وذكر الله على الدوام من وظائف المقربين سواء كان قلباً أو لساناً أو أركاناً وسواء كان قياماً أو قعوداً أو على الجنوب وبالفارسية ويا دكن پروردكار خودرا وبأسماء حسنى اورا بخوان.

قال عليه السلام من أحصاها أي حصلها دخل الجنة فالمراد من ذكر اسمه فذكره تعالى بواسطة ذكر اسمه ولذا قال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] فالذكر والنسيان في الحقيقة كلاهما من صفات القلب وعند تجلي المذكور يفنى الذكر والذاكر كما قال شيخي وسندي روح الله روحه في «شرح تفسير الفاتحة» للقنوي قدس سره: من اشتغل من الأسماء المجازية بما يسر الله الاشتغال به وداوم عليه فلا ريب أنه يحصل بينه وبين سر هذا الاسم المشتغل به وروحه بعناية الله وفضله مناسبة ما بقدر الاشتغال ومتى قويت تلك المناسبة بينهما وكملت بحسب قوة الاشتغال وكماله يحصل بينه وبين مدلوله من الأسماء الحقيقة بواسطة هذه المناسبة الحاصلة مناسبة بقدرها قوة وكمالاً ومتى بلغت إلى حد الكمال أيضاً هذه المناسبة الثانية الحاصلة بينه وبين هذا الاسم الحقيقي بجود الحق سبحانه وعطائه يحصل بينه وبين مسماه الحق تعالى مناسبة بمقدار المناسبة الثانية من جهة القوة والكمال لأن العبد بسبب هذه المناسبة يغلب قدسه على دنسه ويصير مناسباً لعالم القدس بقدر ارتفاع حكم الدنس فحينئذٍ يتجلى الحق سبحانه له من مرتبة ذلك الاسم بحسبها وبقدر استعداده ويفيض عليه ما شاء من العلوم والمعارف والأسرار الإلهية والكونية إما من الوجد العام وطريق سلسلة ترتيب المراتب والحضرات وغيرها من الوسائط والأسباب والأدوات والمواد المعنوية والصورية وإما من الوجه الخاص بدون الوسائل والأغيار أو منهما معاً جميعاً إذ وجه إما هذا أو ذاك لا غيرهما غير نسبة الجمع بينهما وقال بعضهم في الآية: إذا أردت قراءة القرآن أو الصلاة فقل بسم الله الرحمن الرحيم، وقال القاشاني: واذكر اسم ربك الذي هو أنت أي اعرف نفسك واذكرها ولا تنسها فينساك الله واجتهد لتحصيل كمالها بعد معرفة حقيقتها.

﴿**وتبتل إليه تبتيلا**﴾: التبتل الانقطاع وتبتيل دل ازدنيا بريدن.

والمعنى وانقطع إلى ربك انقطاعاً تاماً بالعبادة وإخلاص النية والتوجه الكلي كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: ٦٤] ثم ذرهم وبالفارسية يعني نفس خودرا از انديشهء ما سوى الله مجرد ساز واز همكى روى بردار.

دل در وبـنـد واز غـيـرش بـكـسـل   هـرچـه جز اوسـت بـرون كـن از دل

وليس هذا منافياً لقوله عليه السلام: «لا رهبانية ولا تبتل في الإسلام» فإن التبتل هنا هو الانقطاع عن النكاح ومنه قيل لمريم العذراء رضي الله عنها البتول أي المنقطعة عن الرجال والانقطاع عن النكح والرغبة عنه لقوله تعالى: ﴿وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ﴾ [النور: ٣٢] ومنكم وقوله عليه السلام: «تناكحوا تكثروا فإني أباهي بكم الأمم يوم القيامة» وأما إطلاق البتول على فاطمة الزهراء رضي الله عنها فلكونها شبيهة بسيدة نساء بني إسرائيل في الانقطاع عما سوى الله لا عن النكاح وقيل تبتلاً مكان تبتيلاً لأن معنى تبتل بتل نفسه فجيء به على معناه مراعاة لحق الفواصل لأن حظ القرآن من حسن النظم والرصف فوق كل حظ وقال بعضهم: لما لم يكن الانقطاع الكلي إلا بتجريد النبي عليه السلام نفسه عن العوائق الصادة عن مراقبة الله وقطع

العلائق عما سواه قيل تبتلاً مكان تبتيلاً فيكون النظم من قبيل الاحتباك كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَنۢبَتَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾ [نوح: ١٧] على وجه وهو أن التقدير أنبتكم منها إنباتاً فنبتم نباتاً وكذا التقدير ههنا أي تبتل إليه تبتلاً يبتلك عما سواه تبتيلاً والأنسب يبتلك ربك تبتيلاً فإن التبتيل فعل الله فلا يحصل للعبد إلا بمعاونته.

وفي «التأويلات النجمية»: واذكر اسم ربك بفناء صفاتك وأفعالك وتبتل إليه تبتيلاً بفناء ذاتك وبقاء ذاته ثم إن التبتل يكون من الدنيا إما ظاهراً فقط فهو مذموم كبعض الحفاة العراة الذين أظهروا الفقر في ظواهرهم وأبطنوا الحرص في ضمائرهم وإما باطناً فقط وهو ممدوح كالأغنياء من الأنبياء والأولياء عليهم السلام فإنهم انقطعوا عن الدنيا باطناً؛ إذ ليس فيهم حب الدنيا أصلاً وإنما لم ينقطعوا ظاهراً لأن إرادتهم تابعة لإرادة الله والله تعالى أراد ملكهم ودولتهم كسليمان ويوسف وداود وأيوب والإسكندر وغيرهم عليهم السلام، وإما ظاهراً وباطناً كأكثر الأنبياء والأولياء وقد يكون التبتل من الخلق إما ظاهراً فقط كتبتل بعض المتعبدة في قلل الجبال وأجواف المغارات لجذب القلوب وجلب الهدايا، وإما باطناً لا ظاهراً كأهل الإرشاد وهم عامة الأنبياء وبعض الأولياء إذ لا بد في إرشاد الخلق من مخالطتهم وإما ظاهراً وباطناً كبعض الأولياء الذين اختاروا العزلة وسكنوا في المواضع الخالية عن الناس.

قال بعضهم السلوك إلى الله تعالى يكون بالتبتل ومعناه الإقبال على الله بملازمة الذكر والإعراض عن غيره بمخالفة الهوى وهذا هو السفر بالحركة المعنوية من جانب المسافر إلى جانب المسافر إليه وإن كان الله أقرب إلى العبد من حبل الوريد، فإن مثال الطالب والمطلوب مثال صورة حاضرة مع مرآة لكن لا تتجلى فيها لصدأ في وجهها فمتى صقلتها تجلت فيها الصورة لا بارتحال الصورة إليها ولا بحركتها إلى جانب الصورة ولكن بزوال الحجاب، فالحجاب في عين العبد وإلا فالله متجل بنوره غير خفي على أهل البصيرة وإن كان فرق بين تجل وتجل بحسب المحل ولذا قال عليه السلام: «إن الله يتجلى للناس عامة ولأبي بكر خاصة» فتجلي العامة كتجلي صورة واحدة في مرائي كثيرة في حالة واحدة وتجلي الخاصة كتجلي صورة واحدة في مرآة واحدة وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «لي مع الله وقت» إذ لا يخفى أن التجلي في ذلك الوقت مخصوص به عليه السلام لا يزاحمه غيره فيه.

يقول الفقير: إن في هذا المقام إشكالاً وهو أنه عليه السلام إذا كان مستغرق الأوقات في الذكر دائم الانقطاع إلى الله على ما أفاده الآيتان فكيف يتأتى له السبح في النهار على ما أفصح عنه قوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝٧﴾ [المزمل: ٧] ولعل جوابه من وجوه الأول أن الأمر بالذكر الدائم والانقطاع الكلي من باب الترقي من الرخصة إلى العزيمة كما يقتضيه شأن الأكامل والثاني أن السبح في النهار ليس من قبيل الواجب فله أن يختار التوكل على التقلب ويكون مستوعب الأوقات بالذكر والثالث أن الشغل الظاهر لا يقطع الكمل عن مراقبته تعالى كما قال تعالى: ﴿رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [النور: ٣٧] وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ۝٢٣﴾ [المعارج: ٢٣] والرابع أن ذلك بحسب اختلاف الأحوال والأشخاص فمن مشتغل ومن ذاكر والله أعلم بالمرام.

﴿**رب المشرق والمغرب**﴾ مرفوع على المدح أي هو ربهما وخالقهما ومالكهما وما بينهما من كل شيء قال في «كشف الأسرار»: يريد به جنس المشارق والمغارب في الشتاء

والصيف ﴿لا إله إلا هو﴾ استئناف لبيان ربوبيته بنفي الألوهية عما سواه يعني هيچ معبودي نيست سزاورا عبادت مكر أو ﴿فاتخذه﴾ لمصالح دينك ودنياك والفاء لترتيب الأمر وموجبه على اختصاص الألوهية والربوبية به تعالى ﴿وكيلاً﴾ موكولاً ومفوضاً إليه لإصلاحها وإتمامها واسترح أنت.

وفي «التأويلات النجمية»: رب مشرق الذات المطلقة عن حجب تعينات الأسماء والصفات ورب مغرب الصفات والأسماء لاستتاره باستتار حجب الصفات وهي حجب الذات وهو المتعين في جميع الموجودات فلا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً، أي جرد نفسك عنك وعن وجودك المجازي واتخذ وجوده الحقيقي مقام وجودك المجازي وامشِ جانبك، هذا مثل ما قال المريد لشيخه؟ أريد أن أحج على التجريد، فقال له شيخه: جرد نفسك ثم سر حيث شئت. قال الإمام القشيري رحمه الله: إن الله هو المتولي لأحوال عباده يصرفهم على ما يشاء ويختار وإذا تولى أمر عبد بجميل العناية كفاه كل شغل وأغناه عن كل غير فلا يستكثر العبد حوائجه لعلمه أن مولاه كافيه ولهذا قيل من علامات التوحيد كثرة العيال على بساط التوكل.

حكي عن ممشاد الدينوري رحمه الله أنه قال كان علي دين فاهتممت به في بعض الليالي وضاق صدري فرأيت كأن قائلاً يقول لي أخذت هذا المقدار عليك الأخذ وعلينا العطاء ثم انتبهت ففتح لي ما قضيت به الدين ثم لم أحاسب بعد ذلك قصاباً ولا بقالاً ثم قال القشيري: اعلم أن من جعل المخلوق وكيلاً له فإنه يسأله الأجر وقد يخونه في ماله وقد يخطىء في تصرفه أو يخفى عنه الأصوب والأرشد لصاحبه ومن رضي بالله وكيلاً أعطاه الأجر وحقق آماله وأثنى عليه ولطف به في دقائق أحواله بما لا يهتدي إليه أماله بتفاصيل سؤاله ومن جعل الله وكيلاً لزمه أيضاً أن يكون وكيلاً لله على نفسه في استحقاق حقوقه وفرائضه وكل ما يلزمه فيخاصم نفسه في ذلك ليلاً ونهاراً لا يفتر لحظة ولا يقصر طرفة قال الزروقي رحمه الله خاصية الاسم الوكيل نفي الحوائج والمصائب فمن خاف ريحاً أو صاعقة أو نحوهما فليكثر منه فإنه يصرف عنه السوء ويفتح له أبواب الخير والرزق.

﴿وَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣﴾﴾

﴿واصبر على ما يقولون﴾ يعني قريشاً مما لا خير فيه من الخرافات والهذيانات في حق الله من الشريك والصاحبة والولد وفي حقك من الساحر والشاعر والكاهن والمجنون وفي حق القرآن من أنه أساطير الأولين ونحو ذلك ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾ تأكيد للأمر بالصبر أي واتركهم تركاً حسناً بأن تجانبهم بقلبك وهواك وتداريهم ولا تكافئهم وتكل أمورهم إلى ربهم كما أعرب عنه ما بعد الآية قال الراغب: الهجر والهجران مفارقة الإنسان غيره إما بالبدن أو باللسان أو بالقلب وقوله تعالى: ﴿واهجرهم هجراً جميلاً﴾ يحتمل للثلاثة ويدعو إلى تحريها ما أمكن مع تحري المجاملة قال الحكماء تسلح على الأعداء بحسن المداراة حتى تبصر فرصة.

آسايش دوكيتي تفسير اين دو حرفست   با دوستان تلطف بادشمنان مدارا

﴿وذرني والمكذبين﴾ أي دعني وإياهم وكل أمرهم إلي فإني أكفيكهم وقد سبق في ن والقلم وقال بعضهم يجوز نصب المكذبين على المعية، أي دعني معهم وهو الظاهر ويجوز

على العطف أي دعني على أمري مما تقتضيه الحكمة ودع المكذبين بك وبالقرآن وهو أوفق للصناعة لأن النصب إنما يكون نصاً في الدلالة على المصاحبة إذا كان الفعل لازماً وهنا الفعل متعد ﴿**أولي النعمة**﴾ أرباب التنعم، وبالفارسية: خدا وندان نازوتن آساني.

صفة للمكذبين وهم صناديد قريش وكانوا أهل ترفه وتنعم لا سيما بني المغيرة والنعمة بفتح النون لتنعم وبكسرها الإنعام وما أنعم به عليك وبالضم السرور والتنعم استعمال ما فيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات وفي «تاج المصادر» التنعم بناز زيستن.

وفيه إشارة إلى أن متعلق الذم ليس نفس النعمة والرزق بل التنعم بهما كان قال عليه السلام، لمعاذ رضي الله عنه حين بعثه إلى اليمن والياً «إياك والتنعم فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين» وفيه تسلية للفقراء فإنهم يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام. ﴿**ومهلهم**﴾ التمهيل زمان دادن.

والمهل التؤدة والسكون يقال مهل في فعله وعمل في مهلة. ﴿**قليلاً**﴾ أي: زماناً قليلاً وأجلهم أجلاً يسيراً ولا تعجل فإن الله سيعذبهم في الآخرة إذ عمر الدنيا قليل وكل آت قريب ويدل على هذا المعنى ما بعد الآية من بيان عذاب الآخرة وقال الطبري كان بين نزول هذه الآية ووقعة بدر زمان يسير، ولذا قيل: إنها مدنية.

﴿**إن لدينا**﴾ في الآخرة وفيما هيأناه للعصاة من آلات العذاب وأسبابه وهو أولى من قول بعضهم في علمنا وتقديرنا لأن المقام مقام تهديد العصاة فوجود آلات العذاب بالفعل أشد تأثيراً على أن تلك الآلات صور الأعمال القبيحة ولا شك أن معاصري النبي عليه السلام من الكفار قد قدموا تلك الآلات بما فعلوا من السيئات.

﴿**أنكالاً**﴾ قيوداً ثقالاً يقيد بها أرجل المجرمين إهانة لهم وتعذيباً لا خوفاً من فرارهم جمع نكل بالكسر وهو القيد الثقيل والجملة تعليل للأمر من حيث أن تعداد ما عنده من أسباب التعذيب الشديد في حكم بيان اقتداره على الانتقام منهم فهم يتنعمون في الدنيا ولا يبالون وعند الله العزيز المنتقم في الآخرة أمور مضادة لتنعمهم. ﴿**وجحيماً**﴾ وبالفارسية: وآتشى عظيم.

وهي كل نار عظيمة في مهواة وفي «الكشاف» هي النار الشديدة الحر والاتقاد. ﴿**وطعاماً ذا غصة**﴾ هو ما ينشب في الحلق ويعلق من عظم وغيره فلا ينساغ، أي: طعاماً غير سائغ يأخذ بالحلق لا هو نازل ولا هو خارج كالضريع والزقوم وهما في الدنيا من النباتات والأشجار سمان قاتلان للحيوان الذي يأكلهما مستكرهان عند الناس فما ظنك بضريح جهنم وزقومها وهو في مقابلة الهنيء والمريء لأهل الجنة وإنما ابتلوا بهما لأنهم أكلوا نعمة الله وكفروا بها ﴿**وعذاباً أليماً**﴾ ونوعاً آخر من العذاب مؤلماً لا يقادر قدره ولا يدرك كنهه كما يدل عليه التنكير كل ذلك معد لهم ومرصد فالمراد بالعذاب سائر أنواع العذاب جاء في التفسير أنه لما نزلت هذه الآية خر النبي عليه السلام مغشياً عليه وعن الحسن البصري قدس سره: أنه أمسى صائماً فأتى طعام فعرضت له هذه الآية فقال: ارفعه ووضع عنده الليلة الثانية فعرضت له فقال ارفعه وكذلك الثالثة فأخبر ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فجاؤوا فلم يزالوا حتى شرب شربة من سويق.

اعلم أن أصناف العذاب الروحاني في الآخرة ثلاثة حرقة فرقة المشتهيات وخزي خجلة الفاضحات وحسرة فوت المحبوبات ثم ينتهي الأمر إلى مقاساة النار الجسمانية الحسية والخزي

الذل والحقارة والخجلة التحير من الحياء والفاضح الكاشف عيب المجرم.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذْنَٰهُ أَخْذًا وَبِيلًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿**يوم ترجف الأرض والجبال**﴾ ظرف للاستقرار الذي تعلق به لدينا والرجفة الزلزلة والزعزعة الشديدة أي تضطرب وتتزلزل بهيبة الله وجلاله ليكون علامة لمجيء القيامة وأمارة لجريان حكم الله في مؤاخذة العاصين، أفرد الجبال بالذكر مع كونها من الأرض لكونها أجساماً عظاماً أوتاداً لها فإذا تزلزلت الأوتاد لم يبق للأرض قرار وأيضاً إن زلزلة العلويات أظهر من زلزلة السلفيات ومن زلزلتها تبلغ القلوب الحناجر خوفاً من الوقوع. ﴿**وكانت الجبال**﴾ من شدة الرجفة مع صلابتها وارتفاعها ﴿**كثيباً**﴾ في «القاموس» الكثيب التل من الرمل انتهى من كثب الشيء إذا جمعه كأنه فعيل بمعنى مفعول في أصله ثم صار اسماً بالغلبة للرمل المجتمع. ﴿**مهيلا**﴾ أي: كانت مثل رمل مجتمع هيل هيلا أي نثر وأسيل بحيث لو حرك من أسفله انهال من أعلاه وسال لتفرق أجزائه كالعهن المنقوش ومثل هذا الرمل يمر تحت الرجل ولا يتماسك فكونه متفرق الأجزاء منثوراً سائلاً لا ينافي كونه رملاً مجتمعاً وبالفارسية كوههاى سخت چون ريك روان شد از هيبت آن روز.

فقوله مهيلا اسم مفعول من هال يهيل وأصله مهيول كمبيع من باع لا فعيل من مهل يمهل وخص الجبال بالتشبيه بالكثيب المهيل لأن ذلك خاصة لها فإن الأرض تكون مقررة في مكانها بعد الرجفة دل عليه قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ [طه: ١٠٥ - ١٠٧] والحاصل أن الأرض والجبال يدق بعضها ببعض كما قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٤] فترجع الجبال كثيباً مهيلاً ثم ينسفها الريح فتصير هباء منبثاً وتبقى الأرض مكانها ثم تبدل كما مر.

وفي «التأويلات النجمية»: يوم ترجف أرض البشرية وجبال الأنانية وكانت جبال أنانية كل واحد رملاً منثوراً متفتتاً شبه التعينات الاعتبارية الموهومة بالرمل لسرعة زوالها وانتشارها.

﴿**إنا أرسلنا إليكم**﴾ يا أهل مكة شروع في التخويف بأهوال الدنيا بعد تخويفهم بأهوال الآخرة ﴿**رسولاً**﴾ هو محمد عليه السلام وكونه مرسلاً إليهم لا ينافي إرساله إلى من عداهم فإن مكة أم القرى فمن أرسل إلى أهل مكة فقد أرسل إلى أهل الدنيا جميعاً ولذا نص الله تعالى عليه بقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨] ليندفع أوهام أهل الوهم ﴿**شاهداً عليكم**﴾ يشهد يوم القيامة بما صدر عنكم من الكفر والعصيان وكذا يشهد على غيركم كما قال تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١] ﴿**كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً**﴾ هو موسى عليه السلام لأن هارون عليه السلام ردء له وتابع وعدم تعيينه لعدم دخله في التشبيه وتخصيص فرعون لأنه من رؤساء أولي النعمة المترفهين المتكبرين فبينه وبين قريش جهة جامعة ومشابهة حال ومناسبة سريرة.

﴿**فعصى فرعون الرسول**﴾ أي فعصى فرعون المعلوم حاله كبراً وتنعماً الرسول لذي أرسلناه إليه ومحل الكاف النصب على أنها صفة لمصدر محذوف أي إنا أرسلنا إليكم رسولاً

فعصيتموه كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿**شاهداً عليكم**﴾ إرسالاً كائناً كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً فعصاه بأن جحد رسالته ولم يؤمن به وفي إعادة فرعون والرسول مضطهدين تفظيع لشأن عصيانه وأن ذلك لكونه عصيان الرسول لا لكونه عصيان موسى وفي ترك ذكر ملأ فرعون إشارة إلى أن كل واحد منهم كأنه فرعون في نفسه لتمرده ﴿**فأخذناه**﴾ بسبب عصيانه ﴿**أخذاً وبيلاً**﴾ ثقيلاً لا يطاق يعني بآتش غرق كرديم وازراه آب بآتش برديم.

والوبيل الثقيل الغليظ ومنه الوابل للمطر العظيم والكلام خارج عن التشبيه جيء به للتنبيه على أنه سيحيق بهؤلاء ما حاق بأولئك لا محالة.

﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذْكِرَةٌ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾﴾

﴿**فكيف تتقون**﴾ قال ابن الشيخ: مرتب على الإرسال فالعصيان وكان الظاهر أن يقدم على قوله كما أرسلنا إلا أنه أخر زيادة في التهويل إذ علم من قوله ﴿**فأخذناه**﴾ أنهم مأخوذون مثله وأشد فإذا قيل بعده فكيف تتقون كان ذلك زيادة كأنه قيل هبوا أنكم لا تؤخذون في الدنيا أخذة فرعون وأمثاله فكيف تتقون أي تقون أنفسكم فاتقى ههنا مأخوذ بمعنى وقى المتعدي إلى مفعولين دل عليه قول الإمام البيهقي رحمه الله في «تاج المصادر» الاتقاء حذر كردن وخود رانكاه داشتن انتهى.

وافتعل يجيء بمعنى فعل نص عليه الزمخشري في «المفصل» وإن كانت الأمثلة لا تساعده فإنه ليس وقى واتقى مثل جذب واجتذب وخطف واختطف فتأمل ﴿**إن كفرتم**﴾ أي بقيتم على الكفر ﴿**يوماً**﴾ أي عذاب يوم فهو مفعول به لتتقون ويجوز أن يكون ظرفاً أي فكيف لكم بالتقوى والتوحيد في يوم القيامة إن كفرتم في الدنيا أي لا سبيل إليه لفوت وقته فاتقى على حاله وكذا إذا انتصب بكفرتم على تأويل جحدتم أي فكيف تتقون الله وتخشون عقابه، إن جحدتم يوم القيامة والجزاء. ﴿**يجعل الولدان**﴾ من شدة هوله وفظاعة ما فيه من الدواهي وهو صفة ليوماً نسب الجعل إلى اليوم للمبالغة في شدته وإلا نفس اليوم لا تأثير له البتة، والولدان بالفارسية نوزادكان ازمادر.

جمع وليد يقال لمن قرب عهده بالولادة وإن كان في الأصل يصح إطلاقه على من قرب عهده بها ومن بعد ﴿**شيباً**﴾ شيوخاً، يعني: پير كندوموى سر ايشان سفيد سازد.

جميع أشيب والشيب بياض الشعر وأصله أن يكون بضم الشين كحمر في جمع أحمر لأن الضم يقتضي الواو فكسرت لأجل صيانة الياء فرقاً بين مثل سود وبين مثل بيض وجعلهم شيوخاً فيه وجوه.

الأول: أنه محمول على الحقيقة كما ذهب إليه بعض أهل التفسير ويؤيده ما قال في «الكشاف»، وقد مر بي في بعض الكتب أن رجلاً أمسى فاحم الشعر كحلك الغراب أي سواده وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة بياضاً وهو بفتح الثاء المثلثة وبالغين المعجمة نبت أبيض قال: أريت القيامة والجنة والنار ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار فمن هول ذلك أصبحت كما ترون، وقال أحمد الدورقي: مات رجل من جيراننا شاباً فرأيته في الليل وقد شاب فقلت وما قصتك قال دفن بشر في مقبرتنا فزفرت جهنم زفرة شاب منها كل من في

المقبرة كما في «فصل الخطاب»: وبشر المريسي ومريس قرية بمصر أخذ الفقه عن أبي يوسف القاضي إلا أنه اشتغل بالكلام وقال بخلق القرآن وأضل خلقاً كثيراً ببغداد فإن قلت: إيصال الألم والضرر إلى الصبيان يوم القيامة غير جائز بل هم لكونهم غير مكلفين معصومون محفوظون عن كل خطر قلت قد يكون في القيامة من هيبة المقام ما يجثوبه الأنبياء عليهم السلام على الركب فما ظنك بغيرهم من الأولياء والشيوخ والشبان والصبيان وفي الآية مبالغة وهي أنه إذا كان ذلك اليوم يجعل الولدان شيباً وهم أبعد الناس من الشيخوخة لقرب عهد ولادتهم فغيرهم أولى بذلك وكذا في القصة السابقة فإن من شاب بمجرد الرؤيا فكيف حاله في اليقظة وهو معاين من الأهوال ما يذوب تحته الجبال الرواسي.

والثاني: أنه محمول على التمثيل بأن شبه اليوم في شدة هوله بالزمان الذي يشيب الشبان لكثرة همومه وأهواله وأصله أن الهموم والأحزان إذا تفاقمت على المرء ضعفت قواه وأسرع فيه الشيب لأن كثرة الهموم توجب انعصار الروح إلى داخل القلب وذلك الانعصار يوجب انطفاء الحرارة الغريزية وضعفها وانطفاؤها يوجب بقاء الأجزاء الغدائية غير تامة النضج وذلك يوجب بياض الشعر ومسارعة الشيب بتقدير العزيز الحكيم كما يوجب تغير القلب تغير البشرة فتحصل الصفرة من الوجل والحمرة من الخجل والسواد من بعض الآلام وما على البدن من الشعر تابع للبدن فتغيره يوجب تغيره فثبت أن كثرة الهموم توجب مسارعة الشيب كما قيل:

دهتنا أمور تشيب الوليد ويخذل فيها الصديق الصديق

فلما كان حصول الشيب من لوازم كثرة الهموم جعلوه كناية عن الشدة فجعل اليوم المذكور الولدان شيباً عبارة عن كونه يوماً شديداً غاية الشدة وفي الحديث: «يقول الله»: أي في يوم القيامة «يا آدم» خص آدم عليه السلام بهذا الخطاب لأنه أصل الجميع «فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك فيقول اخرج بعث النار» أي ميز أهلها المبعوث إليها «قال وما بعث النار»؟ أي عدده «قال الله تعالى من كل ألف تسعمائة تسعة وتسعون قال» أي النبي عليه السلام «فذلك» التقاول «حين يشيب الصغير وتضع كل ذات حمل حملها» قال ابن الملك اعلم أن الشيب والوضع ليسا على ظاهرهما إذ ليس في ذلك اليوم حبل ولا صغير بل هما كنايتان عن شدة أهوال يوم القيامة معناه لو تصورت الحوامل والصغار هنالك لوضعن أحمالهن ولشاب الصغار انتهى.

وفي بيانه نظر ستأتي الإشارة إليه في الوجه الثالث «وترى الناس سكارى» أي من الخوف «وما هم بسكارى» أي من الخمر «ولكن عذاب الله شديد».

والثالث: أنه محمول على الفرض والتقدير بأن يكون معناه أن ذلك اليوم بحال لو كان هناك صبي لشاب رأسه من الهيبة والدهشة وهذا الوجه غير موجه وإن ذهب إليه بعض من يعد من أجلة أهل التفسير إذ هو يشعر بأن يوم القيامة لا يكون فيه ولدان حقيقة وقد ثبت أنه يبعث يومئذٍ ولدان كثيرة ماتوا في الصغر وكذا من المقرر أن الحبلى تبعث حبلى ففي ذلك اليوم حبل وصغير نعم إذا دخلوا الجنة صاروا أبناء ثلاث وثلاثين.

والرابع: أنه يجوز ذلك وصفاً لليوم بالطول يعني على الكناية بأنه في طوله بحيث يبلغ الأطفال فيه وأن الشيخوخة والشيب وهو لا ينقضي بعد بل يمتد إلى حيث يكون مقداره خمسين ألف سنة فهو كناية عن غاية الطول لا أنه تقدير حقيقي يعني أن هذا على عادة العرب

في التعبير عن الطول على سبيل التمثيل كما يعبرون عن التأبيد وعدم الانقطاع بقولهم: ما ناحت حمامة، وما لاح كوكب، وما تعاقبت الأيام والشهور وفي الآية إشارة إلى النفس والهوى بُعْد نفوسهم من الله في يوم قيامة الفناء الذي يجعل ولدان أعمالهم السيئة القبيحة الخبيثة الخسيسة شيباً منهدمة متفانية.

﴿**السماء**﴾ مبتدأ خبره قوله ﴿**منفطر به**﴾ أي: منشق بسبب ذلك اليوم لأن الله تعالى مسبب الأسباب فيجوز أن يجعل شدة ذلك اليوم سبباً للانفطار.

ذكر الله من هول ذلك اليوم أمرين الأول قوله تعالى: ﴿**يجعل الولدان شيباً**﴾ والثاني: قوله: ﴿**السماء منفطر به**﴾ لأن السماء على عظمتها وقوتها إذا انشقت بسبب ذلك اليوم فما ظنك بغيرها من الخلائق فالباء للسببية، وهو الظاهر وتذكير الخبر لإجرائه على موصوف مذكر أي شيء منفطر عبر عنها بذلك للتنبيه على أنه تبدلت حقيقتها وزال عنه اسمها ورسمها ولم يبق منها إلا ما يعبر عنه بالشيء، وفي «القاموس»: السماء معروف ويذكر ويجوز أن يكون الباء بمعنى في وإليه ذهب المكي في «قوت القلوب» حيث قال حروف العوامل يقوم بعضها مقام بعض وهذا مثال قوله تعالى: ﴿**السماء منفطر به**﴾ أي فيه يعني في ذلك اليوم وقيل الباء للآلة والاستعانة مثلها في فطرت العود بالقدوم فانفطر به يعني أن السماء تنفطر بشدة ذلك اليوم وهوله كما ينفطر الشيء بما يفطر به قال بعضهم اتخاذ الآلة والاستعانة لا يليق بجناب الله تعالى ولا يناسب ذات السماء أيضاً ﴿**كان وعده مفعولاً**﴾ الضمير لله وإن لم يجر له ذكر للعلم به والمصدر مضاف إلى فاعله أي كان وعده تعالى أي يكون يوم القيامة على ما وصف من الشدائد كائناً متحققاً لأنه لا يخلف الميعاد فلا يجوز لعاقل أن يرتاب فيه أو الضمير لليوم والمصدر مضاف إلى مفعوله والفاعل وهو الله مقدر قال في «الصحاح»: الوعد يستعمل في الخير والشر فإذا أسقطوا الخير والشر قالوا في الخير الوعد والعدة وفي الشر الإيعاد والوعيد.

﴿**إن هذه**﴾ إشارة إلى الآيات المنطوية على القوارع المذكورة وهي من قوله: ﴿**إن لدينا أنكالاً**﴾ إلى هنا. ﴿**تذكرة**﴾ موعظة لمن يريد الخير لنفسه والاستعداد لربه وبالفارسية پندى وعبرتيست.

قيل: القرآن موعظة للمتقين، وطريق للسالكين ونجاة للهالكين، وبيان للمستبصرين وشفاء للمتحيرين وأمان للخائفين وأنس للمريدين ونور لقلوب العارفين وهدى لمن أراد الطريق إلى رب العالمين ﴿**فمن شاء**﴾ من الملكفين. يعني: پس هركه خواهد ازمكلفان ﴿**اتخذ إلى ربه سبيلاً**﴾ بالتقرب إليه بالإيمان والطاعة فإنه المنهاج الموصل إلى مرضاته ومقام قربه.

﴿۞ إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَـٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿**إن ربك يعلم أنك تقوم أدنى من ثلثي الليل**﴾ أي: أقل منهما فإطلاق الأدنى على الأقل مجاز مرسل من قبيل إطلاق الملزوم على اللازم لما أن المسافة بين الشيئين إذا دنت قل ما

بينهما من الأحياز والحدود، وإذا بعدت كثر ذلك روي أنه تعالى افترض قيام الليل في أول هذه السورة فقام النبي عليه السلام وأصحابه حولاً مع مشقة عظيمة من حيث إنه يعسر عليهم تمييز القدر الواجب حتى قام أكثر الصحابة الليل كله خوفاً من الخطأ في إصابة المقدار المفروض وصاروا بحيث انتفخت أقدامهم واصفرت ألوانهم وأمسك الله خاتمة السورة من قوله: ﴿**إن ربك**﴾ الخ اثني عشر شهراً في السماء حتى أنزل الله في آخر السورة التخفيف فنسخ تقدير القيام بالمقادير المذكورة مع بقاء فرضية أصل التهجد حسبما تيسر ثم نسخ نفس الوجوب أيضاً بالصلوات الخمس لما روي أن الزيادة على الصلوات الخمس زيادة. ﴿**ونصفه وثلثه**﴾ بالنصب عطفاً على أدنى والثلث أحد أجزاء الثلاثة والجمع أثلاث أي أنك تقوم أقل من ثلثي الليل وتقوم من نصفه وثلثه ﴿**وطائفة من الذين معك**﴾ مرفوع معطوف على الضمير في تقوم وجاز ذلك للفصل بينهما أي ويقوم معك طائفة من أصحابك ومن تبيينية فلا دلالة فيه على أن قيام الليل لم يكن فرضاً على الجميع وحاصل المعنى يتابعك طائفة في قيام الليل وهم أصحابك وفيه وعد لهم بالإحسان إليهم كما تقول لأحد إذا أردت الوعد له أعلم ما فعلت لي وفي «قوت القلوب» قد قرن الله تعالى قوام الليل برسوله المصطفى عليه السلام، وجمعهم معه في شكر المعاملة وحسن الجزاء.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى انسلاخ رسول القلب عن ليل طبيعته في أكثر الأوقات بالتوجه إلى الله والإعراض عن النفس إلا في أوقات قلائل وذلك لحكمة مقتضية للحجاب فإن الحجاب رحمة كما قيل لولا الحجاب ما عرف الإله وطائفة من الذين مع رسول القلب من القوى الروحانية والأعضاء والجوارح. ﴿**والله يقدر الليل والنهار**﴾ وحده لا يقدر على تقديرهما ومعرفة مقادير ساعاتهما وأوقاتهما أحد أصلاً فإن تقديم الاسم الجليل مبتدأ وبناء يقدر عليه موجب للاختصاص قطعاً والتقدير بالفارسية اندازه كردن يعني وخداي تعالى اندازه ميكند شب وروز را وميداند مقادير ساعات آن.

قال الراغب: التقدير تبيين كمية الشيء وقوله تعالى: ﴿**والله**﴾ الخ إشارة إلى ما أجرى من تكوير الليل على النهار وتكوير النهار على الليل على إدخال هذا في هذا وأن ليس أحد يمكنه معرفة ساعاتهما وتوفية حق العبادة منهما في وقت معلوم والحاصل أن العالم بمقادير ساعات الليل والنهار على حقائقها هو الله وأنتم تعلمون ذلك بالتحري والاجتهاد الذي يقع فيه الخطأ فربما يقع منكم الخطأ في إصابتها فتقومون أقل من المقادير المذكورة ولذا قال: ﴿**علم**﴾ الله ﴿**أن**﴾ أي: أن الشأن ﴿**لن تحصوه**﴾ لن تقدروا على تقدير الأوقات على حقائقها ولن تستطيعوا ضبط الساعات أبداً فالضمير عائد إلى المصدر المفهوم من يقدر قال في «تاج المصادر» الإحصاء دانستن وشمردن بر سبيل استقصا وتوانستن.

قال الراغب: الإحصاء التحصيل بالعدد وروي «استقيموا ولن تحصوا» أي لن تحصوا ذلك لأن الحق واحد والباطل كثير بل الحق بالإضافة إلى الباطل كالنقطة بالإضافة إلى سائر أجزاء الدائرة وكالمرمى من الهدف وإصابة ذلك شديدة واحتج بعضهم بهذه الآية على وقوع تكليف ما لا يطاق فإنه تعالى قال لن تحصوه أي لن تطيقوه ثم إنه كلفهم بتقدير الساعات والقيام فيها حيث قال: ﴿**قم الليل**﴾ الخ ويمكن أن يجاب عنه بأن المراد صعوبته لا أنهم لا يقدرون عليه أصلاً كما يقال لا أطيق أن أنظر إلى فلان إذا استثقل النظر إليه.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني السلوك من ليل الطبيعة إلى نهار الحقيقة بتقدير الله لا بتقدير السالك علم أن لن تقدروا على مدة ذلك السلوك بالوصول إلى الله إذ الوصول مترتب على فضل الله ورحمته لا على سلوككم وسيركم فكم من سالك انقطع في الطريق ورجع القهقرى ولم يصل كما قيل ليس كل من سلك وصل ولا كل من وصل اتصل ولا كل من اتصل انفصل. ﴿**فتاب عليكم**﴾ بالترخيص على ترك القيام المقدر ورفع التبعة عن التائب ثم استعمل لفظ المشبه به في المشبه ثم اشتق منه فتاب أي فرخص والتبعة ما يترتب على الشيء من المضرة. ﴿**فاقرأوا ما تيسر من القرآن**﴾ أي: فصلوا ما تيسر لكم من صلاة الليل غير مقدرة بكونها في ثلث الليل أو نحوه ولو قدر حلب شاة فهذا يكون أربع ركعات وقد يكون ركعتين عبر عن الصلاة بالقراءة كما عبر عنها بسائر أركانها على طريق إطلاق اسم الجزء على الكل مجازاً مرسلاً فتبين أن التهجد كان واجباً على التخيير المذكور فعسر عليهم القيام به فنسخ بهذه الآية، ثم نسخ نفس الوجوب المفهوم منها بالصلوات الخمس على ما سبق وفيه تفضيل صلاة الليل على سائر التطوعات فإن التطوع بما كان فرضاً في وقت، ثم نسخ أفضل من التطوع بما لم يكن فرضاً أصلاً كما قالوا صوم يوم عاشوراء أفضل لكونه فرض قبل فرضية رمضان، وفي الحديث: «ليصل أحدكم من الليل ما تيسر فإذا غلب عليه النوم فليرقد» وقد كان ابن عباس رضي الله عنهما يكره النوم قاعداً وعنه عليه السلام: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم وهو قربة لكم إلى ربكم ومكفرة للسيئات ومنهاة عن الإثم» وهذا الحديث يدل على أن قيام الليل لم يكن فرضاً على المتقدمين من الأنبياء وأممهم بل كان من شعار صلاحهم وعنه عليه السلام: «إن الله ليبغض كل جعظري جواظ سخاب بالأسواق جيفة بالليل حمار بالنهار عالم بأمر الدنيا جاهل بأمر الآخرة» والجعظري الفظ الغليظ والجواظ كشداد الضخم المختار والكثير الكلام والجموع المنوع والمتكبر الجافي والسخاب، من السخب وهو محركة شدة الصوت سخب كفرح فهو سخاب وأقل الاستحباب من قيام الليل سدسه سواء كان متوالياً أو قام جزءاً ثم نام نومة أخرى ثم قام قياماً ثانياً لأنه عليه السلام لم يقم ليلة قط حتى أصبح بل كان ينام فيها ولم ينم ليلة قط بل كان يقوم فيها وبأي ورد أحيى الليل فقد دخل في أهل الليل وله معهم نصيب ومن أحيى أكثر ليلة أو نصفها كتب له إحياء ليلة جميعها ويتصدق عليه بما بقي منها كذا في «قوت القلوب»، وقيل: المراد بالآية قراءة القرآن بعينها فتكون على حقيقتها فالمعنى إن شق عليكم القيام فقد رخص في تركه فاقرؤوا ما تيسر من القرآن من غير توقيت لصلاة فإنه لا يشق وتنالون بقراءته خارج الصلاة ثواب القيام فالأمر للندب، وفي الحديث: «من قرأ في ليلة مائة آية لم يحاجه القرآن» قال الطيبي: في قوله: لم يحاجه القرآن أن قراءته لازمة لكل إنسان واجبة عليه فإذا لم يقرأ يخاصمه الله ويغلبه بالحجة فإسناد المحاجة إلى القرآن مجاز ويفهم من كلامه أن قراءته مقدار مائة آية في كل ليلة واجبة بها يخلص من المحاجة وعنه عليه السلام: «من قرأ بالآيتين من سورة البقرة في ليلة كفتاه» والمراد ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ﴾ [البقرة: ٢٨٥] الخ يعني اغنتاه عن قيام الليل أو حفظتاه من كل شر وسوء، وعنه عليه السلام «أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن قالوا وكيف يقرأ ثلث القرآن قال قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن» ومن ذلك قالوا إن قراءة الإخلاص ثلاث مرات تقوم مقام ختمة وأطول الآي أفضلها لكثرة الحروف وإن اقتصر على قصار الآي عند فتوره أدرك الفضل إن حصل العدد كذا في «قوت القلوب».

وفي «التأويلات النجمية»: في إشارة الآية يعني: اجمعوا واحفظوا في قلوبكم الصافية عن كدورات النفس والهوى ما يظهر عليها لاستعداداتكم من الحقائق والدقائق والعوارف والمعارف ولا تفشوها إلى غير أهلها فينكروا عليكم فيرموكم بالكفر والزندقة والإلحاد والاتحاد فإن حقائقه ودقائقه من المكنونان الإلهية ﴿علم أن﴾ أي: أن شأن ﴿سيكون منكم مرضى﴾ استئناف مبين لحكمة أخرى داعية إلى الترخيص والتخفيف مرضى جمع مريض والمرض الخروج عن الاعتدال الخاص بالإنسان، وفيه إشارة إلى مرضى القلوب بحجب الأنانية والاشتغال بحب الدنيا وشهواتها فإنه لا يظهر عليها من أسرار القرآن وحقائقه شيء.

چنانچه شيخ سنائي كويد
عجب نبو دكراز قرآن نصيبت نيست جز حرفى
كه از خورشيد جز كرمى نيابد چشم نابينا

عروس حضرت قرآن نقاب آنكه براندازد كه دار الملك ايما نرا مجرد يابداز غوغا

﴿وآخرون﴾ عطف على مرضى ﴿يضربون في الأرض﴾ صفة آخرون أي يسافرون فيها للتجارة من ضرب في الأرض سافر فيها ابتغاء الرزق، قال الراغب: الضرب في الأرض الذهاب فيها وهو بالأرجل. ﴿يبتغون﴾ الابتغاء جستن ﴿من فضل الله﴾ وهو الربح وفيه تصريح بما علم التزاماً وبيان أن ما حصلوه من الرزق من فضل الله ومحل يبتغون حال من ضمير يضربون وقد عم ابتغاء الفضل تحصيل العلم فإنه من أفضل المكاسب وفيه أن معلم الخير وهو رسول الله عليه السلام كان حاضراً عندهم وقت نزول الآية فأين يذهبون إلا أن يجعل آخر السورة مدنياً فقد كانوا يهاجرون من مكة إلى المدينة لطلب العلم وأيضاً هذا بالنسبة إلى خصوص الخطاب وأما بالنسبة إلى أهل القرن الثاني فبقاء الحكم يوقعهم في الحرج وفي حديث أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: «حضور مجلس علم أفضل من صلاة ألف ركعة وأفضل من شهود ألف جنازة ومن عيادة ألف مريض قيل ومن قراءة القرآن قال وهل تنفع قراءة القرآن بلا علم» ﴿وآخرون يقاتلون﴾ الأعداء ﴿في سبيل الله﴾ عطف على مرضى أيضاً ويقاتلون صفته وسبيل الله ما يوصل إلى الأجر عند الله كالجهاد، وفيه تنبيه على أنه سيؤذن لهم في القتال مع الأعداء، سوّى الله في هذه الآية بين درجة المجاهدين في سبيل الله ومكتسبين للمال الحلال للنفقة على نفسه وعياله والإحسان إلى ذوي الحاجات حيث جمع بينهما قول على أن التجارة بمنزلة الجهاد وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أيما رجل جلب شيئاً من مدينة من مدائن المسلمين صابراً محتسباً فباعه بسعر يومه كان عند الله من الشهداء. ﴿فاقرأوا ما تيسر منه﴾ أي: وإذا كان الأمر كما ذكر وتعاضدت الدواعي إلى الترخيص فاقرؤوا ما تيسر من القرآن من غير تحمل المشاق، فإن قيل كيف ثقل قيام الليل على الأصحاب رضي الله عنهم وقد خف على كثير من التابعين حتى كانوا يقومون إلى طلوع الفجر منهم الإمام أبو حنيفة وسعيد بن المسيب وفضيل بن عياض وأبو سليمان الداراني ومالك بن دينار وعلي بن بكار وغيرهم حتى قال علي بن بكار الشامي منذ أربعين سنة لم يحزني شيء إلا طلوع الفجر قلت الثقلة لم تكن في قيامه بل في محافظة القدر المفروض كما سبق على أنه لا بعد في أن يثقل عليهم قبل التعذر بذلك ثم كان من أمر بعضهم أنه ختم القرآن في ركعة واحدة كعثمان وتميم الداري رضي الله عنهما ﴿وأقيموا الصلاة﴾ المفروضة ﴿وآتوا الزكاة﴾ الواجبة وقيل هي زكاة الفطر إذ

لم يكن بمكة زكاة غيرها وإنما وجبت بعدها ومن فسرها بالزكاة المفروضة جعل آخر السورة مدنياً وذلك أن تجعلها من باب ما تأخر حكمه عن نزوله ففيه دلالة على أنه سينجز وعده لرسوله ويقيم دينه ويظهره حتى تفرض الزكاة وتؤدى. ﴿**وأقرضوا الله قرضاً حسناً**﴾ وقرض دهيد خدايرا قرض نيكو.

والقرض: ضرب من القطع وسمي ما يدفع إلى الإنسان من المال بشرط رد بدله قرضاً لأنه مقروض مقطوع من ماله أريد به الإنفاقات في سبيل الخيرات غير المفروض فإنها كالفرض الذي لا خلف في أدائه وفيه حث على التطوع كما قال عليه السلام: «إن في المال حقاً سوى الزكاة على أحسن وجه» وهو إخراجها من أطيب الأموال وأكثرها نفعاً للفقراء بحسن النية وصفاء البال إلى أحوج الصلحاء وجه هذا التفسير هو أن قوله: ﴿**وآتوا الزكاة**﴾ أمر بمجرد إعطائها على أي وجه كان، وقوله: ﴿**وأقرضوا الله قرضاً حسناً**﴾ ليس كذلك بل هو أمر بالإعطاء المقيد بكونه حسناً وتسمية الإنفاق لوجه الله إقراضاً استعارة تشبيهاً له بالإقراض من حيث أن ما أنفقه يعود عليه مع زيادة وقال بعضهم: هو قول سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر والنفقة في سبيل الله كما قال عمر رضي الله عنه أو النفقة على الأهل وفي الحديث: «ما أطعم المسلم نفسه وأهل بيته فهو له صدقة» أي يؤجر عليه بحسن نيته ثم ههنا أمر غامض وهو أنه روى الإمام الغزالي رحمه الله عن القاضي الباقلاني أن ادعاء البراءة من الغرض بالكلية كفر لأن التنزه خاصة إلهية لا يتصور الإشراك فيها فلعل ما يقال إن العبد ليبلغ إلى درجة بعمل ما يعمل لا لغرض بل لرضى الله أو لامتثال أمره فقط إنما هو من الغفلة عن غرض خفي هل هو غرض جلي لكنه مراد علي.

يقول الفقير: هذا وارد على أهل الإرادة وأما أهل الفناء عن الإرادة وهم أهل النهاية الأكملون فلا غرض لهم أصلاً وأمرهم عجيب لا يعرفه إلا أمثالهم أو من عرفه الله بشأنهم. ﴿**وما**﴾ شرطية ﴿**تقدموا لأنفسكم من خير**﴾ أي خير كان مما ذكر وما لم يذكر ﴿**تجدوه**﴾ جواب الشرط ولذا جزم ﴿**عند الله هو خيراً وأعظم أجراً**﴾ من الذي تؤخرونه إلى الوصية عند الموت وفي «كشف الأسرار» تجدوا ثوابه خيراً لكم من متاع الدنيا وأعظم أجراً لأن الله يعطي المؤمن أجره بغير حساب قوله ﴿**خيراً**﴾ ثاني مفعولي تجدوا، وهو تأكيد للمفعول الأول لتجدوه وفصل بينه وبين المفعول الثاني وإن لم يقع بين معرفتين فإن أفعل في حكم المعرفة ولذلك يمتنع من حرف التعريف وقوله: ﴿**وأعظم**﴾ عطف على خيراً وأجراً تمييز عن نسبة الفاعل والأجر ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً، وقال بعضهم: المشهور أنّ وجد إذا كان بمعنى صادف يتعدى إلى مفعول واحد وهو ههنا بمعناه لا بمعنى علم فلا بعد أن يكون خيراً حالاً من الضمير وفي الحديث: «اعلموا أن كل امرىء على ما قدم قادم، وعلى ما خلف نادم» وعنه عليه السلام: «إن العبد إذا مات قال الإنسان ما خلف وقالت الملائكة ما قدم» ومر عمر رضي الله عنه ببقيع الغرقد أى مقبرة المدينة لأنها كانت منبت الغرقد وهو بالغين المعجمة شجر فقال السلام عليكم أهل القبور أخبار ما عندنا أن نساءكم قد تزوجن ودوركم قد سكنت وأموالكم قد قسمت فأجابه هاتف يا ابن الخطاب أخبار ما عندنا أن ما قدمناه وجدناه وما أنفقناه فقد ربحناه وما خلفنا فقد خسرنا.

قدم لنفسك قبل موتك صالحاً ... واعمل فليس إلى الخلود سبيل

وروي عن عمر رضي الله عنه أنه اتخذ حيساً، يعني تمراً بلبن فجاءه مسكين فأخذه ودفعه إليه، فقال بعضهم ما يدري هذا المسكين ما هذا فقال عمر لكن رب المسكين يدري ما هو فكأنه قال وما تقدموا الخ.

تونيكى كن بآب اندازاى شاه اكر ما هي نداند داند الله

﴿واستغفروا الله﴾ أي سلوا الله المغفرة لذنوبكم في جميع أوقاتكم وكافة أحوالكم فإن الإنسان قلما يخلو عن تفريط، وكان السلف الصالح يصلون إلى طلوع الفجر ثم يجلسون للاستغفار إلى صلاة الصبح واستحب الاستغفار على الأسماء من القرآن مثل أن يقول أستغفر الله إنه كان تواباً أستغفر الله إن الله غفور رحيم أستغفر الله إنه كان غفاراً رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين واغفر لنا وارحمنا وأنت خير الغافرين ﴿إن الله غفور﴾ يغفر ما دون أن يشرك به ﴿رحيم﴾ يبدل السيئات حسنات، وفي «عين المعاني» غفور يستر على أهل الجهل والتقصير رحيم يخفف عن أهل الجهل والتوفير، ومن عرف أنه الغفور الذي لا يتعاظمه ذنب يغفره أكثر من الاستغفار وهو طلب المغفرة ثم إن كان مع الانكسار فهو صحيح وإن كان مع التوبة فهو كامل وإن كان عرياً عنهما فهو باطل ومن كتب سيد الاستغفار وجرعه لمن صعب عليه الموت انطلق لسانه وسهل عليه الموت وقد جرب مراراً وسيد الاستغفار قوله اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء بذنبي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

تمت سورة المزمل بعونه تعالى يوم الأربعاء الثاني والعشرين من ذي القعدة من سنة ست عشرة ومائة وألف

٧٤ ـ سورة المدثر

مكية وآيها ست وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾.

﴿**يا أيها المدثر**﴾ بتشديدين أصله المتدثر وهو لابس الدثار وهو ما يلبس فوق الشعار الذي يلي الجسد، ومنه قوله عليه السلام: «الأنصار شعار والناس دثار» وفيه إشارة إلى أن الولاية كالشعار من حيث تعلقها بالباطن والنبوة كالدثار من حيث تعلقها بالظاهر ولذلك خوطب عليه السلام في مقام الإنذار بالمدثر.

روي: عن جابر رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «كنت على جبل حراء فنوديت يا محمد إنك رسول الله فنظرت عن يميني وعن يساري ولم أر شيئاً، فنظرت فوقي فإذا به قاعد على عرش بين السماء والأرض، يعني الملك الذي ناداه فرعبت ورجعت إلى خديجة رضي الله عنها فقلت دثروني دثروني وصبوا علي ماء بارداً فنزل جبريل وقال ﴿**يا أيها المدثر**﴾» يعني أنه إنما تدثر بناءً على اقشعرار جلده وارتعاد فرائصه رعباً من الملك النازل من حيث أنه رأى ما لم يره قبل ولم يستأنس به بعد فظن به مساً من الجن فخاف على نفسه لذلك.

وذكر حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: أن التدثر إنما يكون من البرودة التي تحصل عقيب الوحي وذلك أن الملك إذا ورد على النبي عليه السلام بعلم أو حكم يلقى ذلك الروح الإنسان وعند ذلك تشتعل الحرارة الغريزية فيتغير الوجه وتنقل الرطوبات إلى سطح البدن لاستيلاء الحرارة فيكون من ذلك العرق فإذا سرى عنه ذلك سكن المزاج وانقشعت تلك الحرارة وانفتحت تلك المسام وقبل الجسم الهواء من خارج فيتخلل الجسم فيبرد المزاج فتأخذه القشعريرة فتتزاد عليه الثياب ليسخن انتهى. وقرر بعضهم هذا المقام على غير ما ذكر كما قال في «كشف الأسرار» وتفسير «الكاشفي» جابر بن عبد الله رضي الله عنه نقل ميكند از رسول الله ﷺ درزمان فترت وحي برهى ميرفتم ناكاه از آسمان آوازي شنيدم چشم بالاكردم ديدم همان ملك كه درغار حرا بمن آمده بود بركرسى نسته ميان زمين وآسمان ازسطوت وهيأت وعظمت وهيكل أو خوفي برمن طاري شدبخانه بازكشتم وكفتم مرا بپوشانيد جامها برمن پوشيدند ومن در انديشهء آن حال بودم كه حضرت عزت جل شائه وحي فرستادكه ﴿**يا أيها المدثر**﴾.

وقال السهيلي رحمه الله: كان عليه السلام متدثراً بثيابه حين فزع من هول الوحي أول

نزوله قال: دثروني دثروني فقال له ربه: ﴿يا أيها المدثر﴾ ولم يقل يا محمد ولا يا فلان ليستشعر اللين والملاطفة من ربه كما تقدم في المزمل وفائدة أخرى مشاكلة الآية بما بعدها ووجه المشاكلة بين أول الكلام وبين قوله ﴿قم فأنذر﴾ خفي إلا بعد التأمل والمعرفة بقوله عليه السلام: «إني أنا النذير العريان» ومعنى النذير العريان الجاد المشمر وكان النذير من العرب إذا اجتهد جرد ثوبه وأشار به مع الصياح تأكيداً في الإنذار والتحذير، وقد قيل أيضاً إن أصل قولهم النذير العريان أن رجلاً من خثعم وهو كجعفر جبل وأهل خثعميون وابن أنمار أبو قبيلة من معد كما في «القاموس» أخذه العدو فقطعوا يده وجردوا ثيابه فأفلت إلى قومه نذيراً لهم وهو عريان فقيل لكل مجتهد في الإنذار والتخويف النذير العريان فإذا ثبت هذا فقد تشاكل الكلام بعضه ببعض فأمر المتدثر بالثياب مضاف إلى معنى النذير العريان ومقابل ومرتبط به لفظاً ومعنى.

﴿قم﴾ أي: من مضجعك يعني خوابكاه ﴿فأنذر﴾ الناس جميعاً من عذاب الله إن لم يؤمنوا لأنه عليه السلام مرسل إلى الناس كافة فلم تكن ملة من الملل إلا وقد بلغتها دعوته وقرعها إنذاره وأفرد الإنذار بالذكر مع أنه أرسل بشيراً أيضاً لأن التخلية بالمعجمة قبل التحلية بالمهملة وكان الناس عاصين مستحقين للتخويف فكان أول الأمر هو الإنذار.

يقول الفقير أمده الله القدير بالفيض الكثير، خوطبت بقوله: ﴿قم فأنذر﴾ وأنا متوجه مراقب عند الرأس الشريف في الحرم النبوي فحصل لي اضطراب عظيم وحيرة كبرى من سطوة الخطاب الإلهي وغلبني الارتعاد وظننت أني مأمور بالإنذار الظاهري في ذلك المقام لما أن أكثر الناس كانوا يسيئون الأدب في ذلك الحرم حتى أني بكيت مرة بكاء شديداً من غلبة الغيرة فقيل لي أولئك الذين لعنهم الله فأصمهم وأعمى أبصارهم، ثم إني عرفت بإلهام من الله تعالى أني رسول نفسي لا غير مأمور بتزكيتها وإصلاح قواها ومن الله الإعانة على ذلك.

﴿وربك فكبر﴾ وخصص ربك بالتكبير وهو وصفه تعالى بالكبرياء اعتقاداً وقولاً وعظمة عما يقول فيه عبدة الأوثان وسائر الظالمين ويروى أنه لما نزل قال رسول الله عليه السلام: «الله أكبر» فكبرت خديجة أيضاً وفرحت وأيقنت أنه الوحي لأن الشيطان لا يأمر بالتكبير ونحوه ودخل فيه تكبير الصلاة وإن لم يكن في أوائل النبوة صلاة وذلك لأن الصلاة عبارة عن أوضاع وهيئات كلها تعطي التقييد والله منزه عن جميع التعينات فلزم التكبير فيها لأن وجه الله يحاذي وجه العبد حينئذٍ على ما ورد في الخبر الصحيح والفاء لمعنى الشرط كأنه قيل ما كان، أي: أي شيء حدث فلا تدع تكبيره ووصفه بالكبرياء أو للدلالة على أن المقصود الأول من الأمر بالقيام أن يكبر ربه وينزهه عن الشرك فإن أول ما يجب معرفة الصانع ثم تنزيهه عما لا يليق بجنابه فالفاء على هذا تعقيبية لا جزائية.

واعلم أن كبرياءه تعالى ذاتي له قائم بنفسه لا بغيره من المكبرين فهو أكبر من أن يكبره غيره بالتكبير الحادث ولذا قال عليه السلام ليلة المعراج. «لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك» فهو المكبر والمثني لذاته بذاته بتكبير وثناء قديم من الأزل إلى الأبد.

﴿وثيابك فطهر﴾ جميع ثوب من اللباس، أي فطهرها مما ليس بطاهر بحفظها وصيانتها عن النجاسات وغسلها بالماء الطاهر بعد تلطخها فإنه قبيح بالمؤمن الطيب أن يحمل خبيثاً سواء كان في حال الصلاة أو في غيرها وبتقصيرها أيضاً فإن طولها يؤدي إلى جر الذيول على القاذورات فيكون التطهير كناية عن التقصير لأنه من لوازمه ومعنى التقصير أن تكون إلى أنصاف

الساقين إلى الكعب فإنه عليه السلام جعل غاية طول الإزار إلى الكعب وتوعد على ما تحته بالنار.

وحضرت مرتضى رضي الله عنه كفت كوتاه كن جامه را.

فإنه أتقى وأنقى وأبقى وهو أول ما أمر به عليه السلام من رفض العادات المذمومة فإن المشركين ما كانوا يصونون ثيابهم عن النجاسات وفيه انتقال من تطهير الباطن إلى تطهير الظاهر لأن الغالب أن من نقي باطنه أبى إلا اجتناب الخبث وإيثار الطهارة في كل شيء فإن الدين بني على النظافة ولا يدخل الجنة إلا نظيف والله يحب الناسك النظيف وفي الحديث: «غسل الإناء وطهارة الفناء يورثن الغنى» وفي المرفوع: «نظفوا أفواهكم فإنها طرق القرآن» قال الراغب: الطهارة ضربان طهارة جسم وطهارة نفس وقد حمل عليهما عامة الآيات وقوله: ﴿**وثيابك فطهر**﴾ قيل: معناه نفسك نزهها عن المعايب انتهى. أو طهر قلبك كما في «القاموس» أو أخلاقك فحسن قاله الحسن، وفي الخبر: «حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مدخل الأبرار» أو عملك فأصلح كما في «الكواشي» ومنه الحديث: «يحشر المرء في ثوبيه اللذين مات فيهما» أي عملية الخبيث والطيب كما في «عين المعاني» وإنه ليبعث في ثيابه أي أعماله كما في «القاموس» أو أهلك فطهرهم من الخطايا بالوعظ والتأديب والعرب تسمي الأهل ثوباً ولباساً قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

كما في «كشف الأسرار»: وقال ابن عباس لا تلبسها على معصية ولا على غدار البسها وأنت بر طاهر كما في «فتح الرحمن» قال الشاعر:

وإني بحمد الله لا ثوب فاخر لبست ولا من غدرة أتقنع

وذلك أن الغادر والفاجر يسمى دنس الثياب كما أن أهل الصدق والوفاء يسمى طاهر الثياب.

ودر نفحات ازشيخ أبو الحسن شاذلي قدس سره نقل ميكندكه حضرت رسالت را ﷺ درخواب ديدم ومرا كفت أي على طهر ثيابك من الدنس تحفظ بمدد الله في كل نفس يعني پاكيزه كردان جامهاى خود را از چرك تابهره مندكردى بمد وتأييد خداي تعالى درهره نفسي كفتم يا رسول الله ثياب من كدامست فرمودكه برتو حق تعالى پنج خلعت پوشانيد خلعت محبت وخلعت معرفت ووخلعت توحيد وخلعت ايمن وخلعت اسلام هركه خدا يرا دوست دارد بروى آسان شود هرچيز وهركه خدا يرابشنا سد در نظروى خردنمايد هرچيز وهركه خدا يرا به يكانكى بداند بوي شريك نيارد هيچ چيزرا وهركه خداي تعالى را ايمان آرد ايمن كرد داز هرچيز وهركه باسلام متصف بودخدا يراعاصي نشود واكر عاصي شود اعتذار كندو چون اعتذار كند قبول افتد بفضل الله تعالى پس شيخ فرمود ازاينجا دانستم قول خدا يرا وثيابك فطهر.

﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصْبِرْ ۝٧﴾

درتو پوشيد لطف يزداني خلعتي از صفات روحاني

دراش ازلوث خشم وشهوت دور تاپا كيزكى شوى مشهور

﴿**والرجز فاهجر**﴾ قرأ عاصم في رواية حفص الرجز بالضم والباقون بكسر الراء ومعناهم واحد وهو الأوثان وقد سبق معنى الهجر في المزمل أي ارفض عبادة الأوثان ولا تقربها كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥] ويقال الرجز العذاب،

أي: واهجر العذاب بالثبات على هجر ما يؤدي إليه من المآثم سمي ما يؤدي إلى العذاب رجزاً على تسمية المسبب باسم سببه والمراد الدوام على الهجر لأنه كان بريئاً من عبادة الأوثان ونحوها.

﴿ولا تمنن تستكثر﴾ برفع تستكثر لأنه مستقبل في معنى الحال أي ولا تعط مستكثراً أي رائياً لما تعطيه كثيراً أو طالباً للكثير على أنه نهي عن الاستغزار وهو أن يهب شيئاً وهو يطمع أن يتعوض من الموهوب له أكثر مما أعطاه وهو جائز ومنه الحديث المستغزر يثاب من هبته أي يعوض منها والغزارة بالغين المعجمة وتقديم الزاي الكثرة فهو إما للتحريم وهو خاص برسول الله ﷺ لعلو منصبه في الأخلاق الحسنة ومن ذلك حلت الزكاة لفقراء أمته ولم تحل له ولأهله لشرفه أو للتنزيه للكل أي له ولأمته وقال بعضهم: هو من المنة لأن من يمن بما يعطي يستكثره ويعتد به والمنة تهدم الصنيعة خصوصاً إذا من بعمله على الله بأن يعده كثيراً فإن العمل من الله منة عليه كما قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الحجرات: ١٧] ومن شكر طول عمره بالعبادة لم يقض شكر نعمة الإيجاد فضلاً عما لا يحصى من أنواع الجود.

﴿ولربك فاصبر﴾ أي: فاصبر لحكم ربك ولا تتألم من أذية المشركين فإن المأمور بالتبليغ لا يخلو عن أذى الناس ولكن بالصبر يستحيل المر حلواً وبالتمرن يحصل الذوق.

تحمل چو زهرت نما يدنخست ولي شهد كردد چودر طبع رست

وقال بعض أهل المعرفة أي جرد صبرك عن ملاحظة الغير في جميع المراتب في الصبر عن المعصية والصبر على الله والصبر في البلاء كما قال تعالى: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧]. وقال القاشاني: ﴿يا أيها المدثر﴾ أي: المتلبس بدثار البدن المتحجب بصورته قم عما ركنت إليه وتلبست به من أشغال الطبيعة وانتبه من رقدة الغفلة فأنذر نفسك وقواك وجميع من عداك عذاب يوم عظيم وإن كنت تكبر شيئاً وتعظم قدره فخصص ربك بالتعظيم والتكبير لا يعظم في عينك غيره وليصغر في قلبك كل ما سواه بمشاهدة كبريائه، وظاهرك فطهره أولاً قبل تطهير باطنك عن مدانس الأخلاق وقبائح الأفعال ومذام العادات ورجز الهيولى المؤدي إلى العذاب، فاهجر أي جرد باطنك عن اللواحق المادية والهيئات الجسمانية الفاسقة والغواشي الظلمانية والهيولانية ولا تعط المال عند تجردك عنه مستغزراً طالباً للأعواض والثواب الكثير به فإن ذلك احتجاب بالنعمة عن المنعم وقصور همة بل خالصاً لوجه الله افعل ما تفعل صابراً على الفضيلة له لا لشيء آخر غيره

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوۡمَئِذٖ يَوۡمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ غَيۡرُ يَسِيرٖ ﴿١٠﴾ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴿١١﴾ وَجَعَلۡتُ لَهُۥ مَالٗا مَّمۡدُودٗا ﴿١٢﴾ وَبَنِينَ شُهُودٗا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُۥ تَمۡهِيدٗا ﴿١٤﴾﴾.

﴿فإذا نقر في الناقور﴾ الناقور: بمعنى ما ينقر فيه والمراد الصور وهو القرن الذي ينفخ فيه إسرافيل مرة للإصعاق وأخرى للإحياء فاعول من النقر بمعنى التصويت وأصله القرع الذي هو سبب الصوت يعني جعل الشيء بحيث يظهر منه الصوت بنوع قرع والمراد هنا النفخ إذ هو نوع ضرب للهواء الخارج من الحلقوم، أي فإذا نفخ في الصور والفاء للسببية أي سببية ما بعدها لما قبلها دون العكس فهي بمعنى اللام السببية كأنه قيل اصبر على أذاهم فبين أيديهم يوم هائل يلقون فيه عاقبة أذاهم وتلقى عاقبة صبرك عليه والعامل في إذا ما دل عليه قوله تعالى.

﴿فذلك يومئذٍ يوم عسير على الكافرين﴾ فإن معناه عسر الأمر على الكافرين من جهة العذاب وسوء الحساب وذلك إشارة إلى وقت النقر وهو مبتدأ ويومئذٍ بدل منه مبني على الفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو إذ والتقدير إذ نقر فيه والخبر يوم عسير وعلى متعلقة بعسير دل عليه قوله تعالى: ﴿وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا﴾ [الفرقان: ٢٦] كأنه قيل فيوم النقر يوم عسير عليهم. ﴿غير يسير﴾ خبر بعد خبر وتأكيد لعسره عليهم لقطع احتمال يسره بوجه دون وجه مشعر بيسره على المؤمنين ثم المراد به يوم النفخة الثانية التي يحيى الناس عندها إذ هي التي يخص عسرها بالكافرين جميعاً وأما النفخة الأولى فهي مختصة بمن كان حياً عند وقوعها وقد جاء في الأخبار أن في الصور ثقباً بعدد الأرواح كلها وأنها تجمع في تلك الثقب في النفخة الثانية فيخرج عند النفخ من كل ثقبة روح إلى الجسد الذي نزع منه فيعود الجسد حياً بإذن الله تعالى وفي الحديث «كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم قرنه ينظر متى يؤمر أن ينفخ فيه فقيل له كيف نصنع؟ قال: قولوا حسبنا الله ونعم الوكيل». وقال القاشاني ينقر في البدن المبعوث فينقش فيه الهيئات السيئة المردية الموجبة للعذاب أو الحسنة المنجية الموجبة للثواب ولا يخفى عسر ذلك اليوم على المحجوبين على أحد وإن خفي يسره على غيرهم إلا على المحققين من أهل الكشف والعيان.

﴿ذرني ومن خلقت وحيداً﴾ حال إما من الياء أي ذرني وحدي معه فإني أكفيكه في الانتقام منه أو من التاء، أي خلقته وحدي لم يشاركني في خلقه أحد أو من العائد المحذوف، أي ومن خلقته وحيداً فريداً لا مال له ولا ولد نزلت في الوليد بن المغيرة المخزومي وكان يلقب في قومه بالوحيد زعماً منهم أنه لا نظير له في وجاهته ولا في ماله وكان يفتخر بنفسه، ويقول: أنا الوحيد ابن الوحيد ليس لي في العرب نظير ولا لأبي المغيرة نظير أيضاً فسماه الله بالوحيد تهكماً به واستهزاء بلقبه كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩] وصرفاً له عن الغرض الذي يؤمونه من مدحه إلى جهة ذمه بكونه وحيداً من المال والولد أو وحيداً من أبيه ونسبه لأنه كان زنيماً وهو من ألحق بالقوم وليس منهم كما مر أو وحيداً في الشرارة والخباثة والدناءة.

﴿وجعلت له مالاً ممدوداً﴾ أي: مبسوطاً أي كثيراً وهو ما كان له بين مكة والطائف من صنوف الأموال وقال النوري كان له ألف ألف دينار.

﴿وبنين﴾ ودادم اورا پسران ﴿شهوداً﴾ جمع شاهد مثل قاعد وقعود وشهده كسمعه حضره، أي حضوراً معه بمكة يتمتع بمشاهدتهم لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة لكونهم مكفيين لوفور نعمهم وكثرة خدمهم أو حضوراً معه في الأندية والمحافل لوجاهتهم واعتبارهم، وكان له عشرة بنين أسلم منهم ثلاثة خالد وهشام وعمارة قاله المفسرون وأطبق المحدثون على أن الوليد بن الوليد أسلم وعمارة قتل كافراً إما يوم بدر أو في الحبشة على يد النجاشي، قال السهيلي رحمه الله: هم هشام بن الوليد والوليد بن الوليد وخالد بن الوليد الذي يقال له سيف الله وأما غير هؤلاء ممن مات منهم على دين الجاهلية فلم نسمه.

﴿ومهدت له تمهيداً﴾ وبسطت له الرياسة والجاه العريض فأتممت عليه النعمة فإن اجتماع المال والجاه هو الكمال عند أهل الدنيا ولذا كان يلقب ريحانة قريش والريحانة نبت طيب الرائحة والولد والرزق.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى الوليد بن مغيرة النفس الوحيدة في الشر والظلم والجور والجهل وكثرة أموال أعماله السيئة الذميمة وثروة أجناس أخلاقه الذميمة وإلى بني أتباعه الخبيثة الخسيسة وبسطة سلطنته ورياسته ووجاهته عند أرباب النفوس المتمردة عن أوامر الحق ونواهيه المعربدة مع الحق وأهاليه وهم القوى الطبيعية الظلمانية، يعني دعني وإياه فإني أسلط عليه أبا بكر الخفي وعمر الروح وعثمان السر وعلي القلب حتى أنهم بأنوار روحانيتهم يطمسون ظلمات نفسانيته ويغيرون على أعماله ويقتلون بني أتباعه وشيعته ويطوون بساط سلطنته ويسدون باب بسطته.

﴿ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ كَانَ لِآيَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾﴾.

﴿ثم يطمع﴾ يرجو **﴿أن أزيد﴾** على ما أوتيه من المال والولد وثم استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه إما لأنه لا مزيد على ما أوتيه سعة وكثرة، يعني أنه أوتي غاية ما أوتي عادة لأمثاله أو لأنه مناف لما هو عليه من كفران النعم ومعاندة المنعم أي لا يجمع له بعد اليوم بين الكفر والمزيد من النعم.

﴿كلا﴾ ردع وزجر له عن طمعه الفارغ وقطع لرأيه الخائب فيكون متصلاً بما قبله **﴿إنه كان لآياتنا عنيداً﴾** يقال عند خالف الحق ورده عارفاً به فهو عنيد وعاند يعني منكر وستيزه كننده.

والمعاندة: المفارقة والمجانبة والمعارضة بالخلاف كالعناد والعنيد هنا بمعنى المعاند كالجليس والأكيل والعشير بمعنى المجالس والمؤاكل والمعاشر وهو تعليل لما قبلها على وجه الاستئناف التحقيقي فإن معاندة آيات المنعم وهي الآيات القرآنية مع وضوحها وكفران له مع سبوغها مما يوجب حرمانه بالكلية وإنما أوتي ما أوتي استدراجاً، وتقديم لآياتنا على متعلقه وهو عنيداً يدل على التخصيص فتخصيص العناد بها مع كونه تاركاً للعناد في سائر الأشياء يدل على غاية الخسران قيل ما زال بعد نزول هذه الآية في نقصان من ماله حتى هلك وهو فقير.

آنكس كه نصيحت زعزيزان نكند كوش بسيار بخايد سر انكشت ندامت

﴿سأرهقه صعوداً﴾ قال الراغب: رهقه الأمر غشيه بقهر يقال رهقته وأرهقته مثل رأفته وأردفته وتبعته واتبعته ومنه أرهقت الصلاة أي أخرتها حتى غشي وقت الأخرى والصعود العقبة الشاقة ويستعار لكل مشاق وهو مفعول ثان لأرهق، وفي بعض التفاسير صعوداً إما فعول بمعنى فاعل يستوي فيه المذكر والمؤنث مثل عقبة كؤود فيكون من قبيل تسمية المحل باسم الحال أو بمعنى مفعول من صعده وهو الظاهر فيكون تذكيره إما باعتبار كون موصوفه طريقاً أو باتباع مثل كؤود والمعنى سأكلفه كرهاً بدل ما يطمعه من الزيادة ارتقاء عقبه شاقة المصعد على حذف المضاف بحيث تغشاه شدة ومشقة من جميع الجوانب على أن يكون الإرهاق تكليف الشيء العظيم المشقة بحيث تغشى المكلف شدته ومشقته من جميع الجوانب وقال الغزالي رحمه الله حالة تصعد فيها نفسه للنزع وإن لم يتعقبه موت انتهى. وهو مثال لما يلقى من العذاب الصعب الذي لا يطاق ويجوز أن يحمل على حقيقته كما قال عليه السلام: «الصعود جبل من نار يصعد فيه سبعين خريفاً ثم يهوي كذا أبداً».

يعني بر بالاي آن نتوان رفت اورادر زنجير هاي آتشين كشيده ازپيش مى كشند واز عقب كرزهاي آتشين كشيده از پس مى كشند واز عقب كرزهاي آتشين ميزنند تابر آنجا ميروددر هفتا دسال وبازكشتن وزير افتادن أو همچنين است.

قوله: «سبعين خريفاً» أي سبعين عاماً لأن الخريف آخر السنة فيه تتم الثمار وتدرك فصار بذلك كأنه العام كله وهذا كما تسمى العلة الصورية علة تامة، لذلك قال في «القاموس» الخريف كأمير ثلاثة أشهر بين القيظ والشتاء تخترف فيها الثمار أي تجتنى وعنه عليه السلام يكلف أن يصعد عقبة في النار كلما وضع يده عليها ذابت فإذا رفعها عادت وإذا وضع رجله ذابت فإذا رفعها عادت.

﴿إنه فكر وقدر﴾ تعليل للوعيد واستحقاقه له من التفكير بمعنى التفكر والتأمل كما قال في «تاج المصادر» التفكير انديشه كردن. والتقدير اندازه وتهيئه كردن.

أي: فكر ماذا يقول في حق القرآن وشأنه من جهة الطعن وقدر في نفسه ما يقوله وهيأه ﴿فقتل كيف قدر﴾ تعجيب من تقديره وإصابته فيه الغرض الذي كان ينتحيه قريش قاتلهم الله أو ثناء عليه بطريق الاستهزاء به على معنى أن هذا الذي ذكره وهو كون القرآن سحراً في غاية الركاكة والسقوط أو حكاية لما ذكروه من قولهم قتل كيف قدر تهكماً بهم وبإعجابهم بتقديره واستعاظمهم لقوله ومعنى قولهم قتله الله ما أشجعه وأخزاه الله ما أشعره الإشعار بأنه قد بلغ من الشجاعة والشعر مبلغاً حقيقاً بأن يدعو عليه حاسده بذلك وقد سبق في قاتلهم الله في المنافقين مزيد البيان.

روي: أن الوليد مر بالنبي عليه السلام وهو يقرأ حم السجدة وفي بعض التفاسير فواتح سورة حم المؤمن فقال لبني مخزوم والله لقد سمعت من محمد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإنس ولا من كلام الجن إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة أي حسناً وبهجة وقبولاً وإن أعلاه لمثمر وإن أسفله لمغدق أي كثير الماء شبه القرآن بالشجرة الغضة الطرية التي استحكم أصلها بكثرة الماء وأثمرت فروعها في السماء وأثبت له أعلى وأسفل ولأعلاه الإثمار ولأسفله الإغداق على طريق التخييل.

قال الكاشفي: مراورا حلاوتي وعذوبتي هست كه هيچ سخن رانباشد وبروى طر أوتى وتازكي هست كه هيچ حديثي رانبود أعلاي آن نهال مثمر سعادات كليه وأسفل اين شجرهٔ طيبه عروق فضائل وحكم عليه است.

ثم قال الوليد وإنه يعلو ولا يعلى فقالت قريش صبأ والله الوليد أي مال عن دينه وخرج إلى دين غيره والله لتصبأن قريش كلهم أي بمتابعته لكونه رئيس القوم فقال ابن أخيه أبو جهل أنا أكفيكموه فقعد عنده حزيناً وكلمه ما أحماه أي أغضبه.

يعني كفت كه قريش ميكويند توسخنان محمداً عليه السلام پسند ميدهى وآنرا بزرك ميدارى وثنا ميكويى تا از فضلهٔ طعام ايشان بهره بردارى اكرچنين است، تاهمه قريش فراهم شوند وترا كفايتي حاصل كنندتا ازطعام ايشان بي نياز شوى وليد اين سخن از أبو جهل بشنيد درخشم شد كفت الم تعلم قريش أني من أكثرهم ما لا وولد واين أصحاب محمد خود هركز ازطعام سير نشوند واز فقر وفاقه نياسا يندچه صورت بنددكه ايشانرا فضلهٔ طعام بودتابديكرى دهند پس هردوبر خاستتد وبرا انجمن قريش شادند وليد كفت شماكه قريش ايدبدانيدكه حال وكار اين محمد در عرب منتشر كشت وموسم حج نزديكست كه عرب مى آيند وازحال وى پرسند جواب ايشان چه خواهيدداد.

تزعمون أنه مجنون فهل رأيتموه يخنق لأن العرب كانت تعتقد أن الشيطان يخنق المجنون ويتخبطه وتقولون إنه كاهن فهل رأيتموه يتكهن وتزعمون أنه شاعر فهل رأيتموه يتعاطى شعراً قط وتزعمون أنه كذاب فهل جربتم عليه شيئاً من الكذب فقالوا في كل ذلك اللهم لا ثم قالوا فما هو وما تقول في حقه ففكر فقال ما هو إلا ساحر أما رأيتموه يفرق بين الرجل وأهله وولده ومواليه وما الذي يقوله إلا سحر يأثره عن أهل بابل فارتج النادي فرحاً وتفرقوا معجبين بقوله متعجبين منه راضين به.

﴿ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿ثم قتل كيف قدر﴾ تكرير للتعجب للمبالغة في التشنيع وثم للدلالة على أن النكرة الثانية في التعجيب أبلغ من الأولى، أي للتراخي بحسب الرتبة وأن اللائق في شأنه ليس إلا هذا القول دعاء عليه وفيما بعد على أصلها من التراخي الزماني.

﴿ثم نظر﴾ أي في القرآن مرة بعد مرة وتأمل فيه. **﴿ثم عبس﴾** فقلت وجه يعني روى فاهم كشيد وترش كرفت. لأنه لم يجد فيه مطعناً ولم يدر ماذا يقول. **﴿وبسر﴾** إتباع لعبس قال سعدي المفتي لكن عطف الإتباع على المتبوع غير معروف والظاهر أن كلاً منهما له معنى مغاير لمعنى الآخر فعبس بمعنى قطب وجهه وبسر بمعنى قبض ما بين عينيه من السوء واسود وجهه منه ذكره الحلبي والعدة عليه وقال الراغب: البسر الاستعجال بالشيء قبل أوانه نحو أسر الرجل حاجته طلبها في غير أوانها وقوله: **﴿ثم عبس وبسر﴾** أي أظهر العبوس قبل أوانه نحو أبسر الرجل حاجته طلبها في غير أوانها وقوله: **﴿ثم عبس وبسر﴾** أي أظهر العبوس قبل أوانه وفي غير وقته انتهى.

﴿ثم أدبر﴾ عن الحق **﴿واستكبر﴾** عن اتباعه **﴿فقال﴾** عقيب توليه عن الحق **﴿إن﴾** نافية بمعنى ما لذا أورد إلا بعدها **﴿هذا﴾** الذي يقوله محمد عليه السلام، أي القرآن **﴿إلا سحر يؤثر﴾** أي يروي ويتعلم من الغير وليس هو من سحره بنفسه يقال أثرت الحديث آثره أثراً إذا حدثت به عن قوم في آثارهم أي بعد ما ماتوا هذا هو الأصل ثم كان بمعنى الرواية عمن كان وحديث مأثور أي منقول ينقله خلف عن سلف وأدعية مأثورة أي مروية عن الأكابر وفي تعلم السحر لحكمة رخصة واعتقاد حقيته والعمل به كفر كما قيل: «عرفت الشر لا للشر لكني لتوقيه. ومن لم يعرف الشر من الناس يقع فيه» وقد سبق معناه وما يتعلق به في مواضعه.

﴿إن هذا﴾ ما هذا **﴿إلا قول البشر﴾** تأكيد لما قبله ولذا أخلي عن العاطف قاله تمرداً وعناداً لا على سبيل الاعتقاد لما روي قبل إنه أقر بأن القرآن ليس من كلام الإنس والجن وأراد بالبشر يساراً وجبراً وأبا فكيهة أما الأولان فكانا عبدين من بلاد فارس وكانا بمكة وكان النبي عليه السلام يجلس عندهما وأما أبو فكيهة فكان غلاماً رومياً يتردد إلى مكة من طرف مسيلمة الكذاب في اليمامة.

﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿سأصليه سقر﴾ أي: أدخله جهنم لما قال في «الصحاح»: سقر اسم من أسماء النار وقال ابن عباس رضي الله عنهما اسم للطبقة السادسة من جهنم يقال سقرته الشمس إذا آذته

وآلمته وسميت سقر لإيلامها قوله ﴿سأصليه سقر﴾ بدل من سأرهقه صعوداً بدل الاشتمال سواء جعل مثلاً لما يلقى من الشدائد أو اسم جبل من نار لأن سقر تشتمل على كل منهما.

﴿وما أدراك ما سقر﴾ ما الأولى مبتدأ وأدراك خبره وما الثانية خبر لقوله ﴿سقر﴾ لأنها المفيدة لما قصد إفادته من التهويل والتفظيع دون العكس كما سبق في الحاقة والمعنى أي شيء أعلمك ما سقر في وصفها يعني أنه خارج عن دائرة إدراك العقول ففيه تعظيم لشأنه.

﴿لا تبقي ولا تذر﴾ بيان لوصفها وحالها وإنجاز للوعد الضمني الذي يلوح به وما أدراك ما سقر أي لا تبقي شيئاً يلقى فيها إلا أهلكته بالإحراق وإذا هلك لم تذره هالكاً حتى يعاد خلقاً جديداً وتهلكه إهلاكاً ثانياً وهكذا كما قال تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا﴾ [النساء: ٥٦] غيرها أو لا تبقي على شيء أي لا تترحم عليه ولا تدعه من الهلاك بل كل ما يطرح فيها هالك لا محالة لأنها خلقت من غضب الجبار قال في «تهذيب المصادر»: الإبقاء باقي كردن ونيز شفقت بردن.

وقيل: لا تبقي حياً ولا تذر ميتاً كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾﴾ [الأعلى: ١٣]

﴿لواحة للبشر﴾ يقال لاحت النار الشيء إذا أحرقته وسودته ولاحه السفر أو العطش أي غيره وذلك أن الشيء إذا كان فيه دسومة فإذا أحرق اسود والبشر جمع بشرة وهي ظاهر جلد أي إنسان أي مغيرة لأعلى الجلد وظواهره مسودة لها قيل تلفح الجلد لفحة فتدعه أشد سواداً من الليل فإن قلت لا يمكن وصفها بتسويد البشرة مع قوله ﴿لا تبقي ولا تذر﴾ قلت ليس في الآية دلالة على أنها تفنى بالكلية مع أنه يجوز أن يكون الإفناء بعد التسويد وقيل لائحة للناس على أن لواحة اسم فاعل من لاح يلوح أي ظهر وأن البشر بمعنى الناس قيل إنها تلوح للبشر من مسيرة خمسمائة عام فهو كقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [النازعات: ٣٦] فيصل إلى الكافر سمومها وحرورها كما يصل إلى المؤمن ريح الجنة ونسيمها من مسيرة خمسمائة عام.

﴿عليها﴾ أي على سقر ﴿تسعة عشر﴾ أي ملكاً يتولون أمرها ويتسلطون على أهلها وهم مالك وثمانية عشر معه أعينهم كالبرق الخاطف وأنيابهم كالصياصي وأشعارهم تمس أقدامهم يخرج لهب النار من أفواههم ما بين منكبي أحدهم مسيرة سنة نزعت منهم الرأفة والرحمة يأخذ أحدهم سبعين ألفاً في كفه ويرميهم حيث أراد من جهنم قيل هذه التسعة عشر عد الرؤساء والنقباء وأما جملة أشخاصهم فكما قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١] فيجوز أن يكون لكل واحد منهم أعوان لا تعد ولا تحصى ذكر أرباب المعاني والمعرفة في تقدير هذا العدد وتخصيصه وجوهاً:

منها أن سبب فساد النفس الإنسانية في قوتها النظرية والعملية هو القوى الحيوانية والطبيعية فالقوى الحيوانية هي الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والشهوة والغضب ومجموعها اثنتا عشرة وأما القوى الطبيعية فهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغاذية والنامية والمولدة فالمجموع تسع عشر، قال ابن الشيخ: والمراد بالقوى الحيوانية القوى التي تختص بالحيوان من بين المواليد الثلاثة الحيوان والنبات والمعدن وهي قسمان مدركة وفاعلة فالمدركة أي ما لها مدخل في الإدراك بالمشاهدة والحفظ عشر وهي الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة والفاعلة أي ما لها مدخل في الفعل إما باعثة أو محركة وهما اثنتان الشهوة والغضب والقوى الطّبيعية هيَ القوى التي لا تختص بالحيوان بل توجد في النبات أيضاً وهي سبع ثلاث

منها مخدومة وهي الغاذية والنامية والمولدة وأربع منها خوادم وهي الجاذبة والهاضمة والماسكة والدافعة فلما كان منشأ الآفات هو هذه القوى التسع عشرة كان عدد الزبانية هكذا قال سعدي المفتي، وأنت خبير بأن إثبات هذه القوى بناؤه على الأصول الفلسفية وتقي الفاعل المختار فيصان تفسير كلام الله عن أمثاله أي وإن ذكرها الإمام في «التفسير الكبير» وتبعه من بعده، وقال أيضاً والحق أن يحال علمه إلى الله تعالى فالعقول البشرية قاصرة عن إدراك أمثاله انتهى ويرده ما قال الإمام السهيلي في «الأمالي»: إن النكتة التي من أجلها كانوا تسعة عشر عدداً ولم يكونوا أكثر وأقل فلعمري إن في الكتاب والسنة لدليلاً عليها وإشارة إليها ولكنها كالسر المكنون والناس أسرع شيء إلى إنكار ما لم يألفوه وتزييف ما لم يعرفوه ولا يؤمن في نشرها وذكرها سوء التأويل لقصور أكثر الأفهام عن الوعي والتحصيل مع قلة الإنصاف في هذا الجيل انتهى.

ومنها: أن أبواب جهنم سبعة ستة منها للكفار وواحد للفساق ثم إن الكفار يدخلون النار لأمور ثلاثة ترك الاعتقاد وترك الإقرار وترك العمل فيكون لكل باب من تلك الأباب الستة ثلاثة فالمجموع ثمانية عشر وأما باب الفساق فليس هناك إلا ترك العمل فالمجموع تسعة عشر.

ومنها أن الساعات أربع وعشرون خمس منها مشغولة بالصلوات الخمس فيبقى منها تسع عشرة مشغولة بغير العبادة مصروفة إلى ما يؤاخذ به بأنواع العذاب يعني أنه لم يخلق في مقابلة الخمس التي جعلت مواقيت الصلاة زبانية تكريماً لها فلا يلزم الاختصاص بالمصلين من عصاة المؤمنين كما في «حواشي» سعدي المفتي فلا جرم صار عدا الزبانية تسعة عشر ومنها أنه تعالى حفظ جهنم بما حفظ به الأرض من الجبال وهي مائة وتسعون أصلها تسعة عشر.

ومنها أن المدبرات للعالم النجوم السيارة وهي سبعة والبروج الاثنا عشر الموكلة بتدبير العالم السفلي المؤثرة فيه تقمعهم بسياط التأثير وترديهم في مهاويها ومنها ما قال السجاوندي في «عين المعاني» قد تكلموا في حكمة العدد على أنه لا تطلب للأعداد العلل فإن التسعة أكثر الآحاد والعشرة أقل العشرات فقد جمع بين أكثر القليل وأقل الكثير يعني أن التسعة عشر عدد جامع بينهما فلهذا كانت الزبانية على هذا العدد.

ومنها ما قال في «كشف الأسرار» أن قوله بسم الله الرحمن الرحيم تسعة عشر حرفاً وعدد الزبانية تسعة عشر ملكاً فيدفع المؤمن بكل حرف منها واحداً منهم وقد سبقت رحمته غضبه ومنها ما لاح لهذا الفقير قبل الاطلاع على ما في «كشف الأسرار» وهو أن عدد حروف البسملة عشر كما قال المولى الجامي:

نوزده حر فست كه هژده هزار عالم ازو يافته فيض عميم

ولما كانت البسملة آية الرحمة والكفار والفساق لم يقبلوا هذه الآية حيث سلكوا سبيل الكفر والمعاصي خلق الله في مقابلة كل حرف منها ملكاً من الغضب والجلال وجعله آية الغضب كما جعل خازن الجنة آية الرحمة دل على ما قلنا قوله عليه السلام يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنيناً وهو أكبر الحيات بالفارسية اژدر. في فمه أنياب مثل أسنة الرماح وهو طويل كالنخلة السحوق أحمر العينين مثل الدم واسع الفم والجوف يبتلع الإنسان والحيوان وسره أنه كفر بالله وبأسمائه الحسنى التي هي تسعة وتسعون فاستحق أن يسلط عليه تسعة وتسعون تنيناً بعددها في قبره الذي هو حفرة من حفر النيران فلا يلزم أن يسلط عليه ذلك العدد

في النار فالتسع عدد القهر والحصر والانقراض لأنه ينقرض عن أهل النار أمداد الرحمة الرحيمية.

ومنها ما في «التأويلات النجمية»: من أن اختلال النفوس البشرية بحسب العمل والعلم والدخول في جهنم البعد والطرد واللعن والحجاب والاحتجاب مترتب على موجباتها وهي تسعة غير الحواس الخمس الظاهرة والخمس الباطنة وهي الأعضاء والجوراح السبع التي ورد بها الحديث بقوله عليه السلام أمرت أن أسجد عى سبعة أعضاء وآراب والطبيعة البشرية المشتملة على الكل المؤثرة في الكل بحسب الظاهر والباطن ويجوز أن تكون القوة الغضبية والشهوية بدل الطبيعة فصار الكل تسعة عشر.

﴿وَمَا جَعَلْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةً ۙ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيَسْتَيْقِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَيَزْدَادَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِيمَٰنًا ۙ وَلَا يَرْتَابَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۙ وَلِيَقُولَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْكَٰفِرُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ۚ وَمَا هِىَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾﴾.

﴿وما جعلنا أصحاب النار﴾ أي المدبرين لأمرها القائمين بتعذيب أهلها فأصحاب النار هنا غير أصحاب النار في قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ﴾[الحشر: ٢٠] وفي «كشف الأسرار» وما جعلنا خزنة أصحاب النار فحذف المضاف انتهى. وفيه بعد لأنهم خزنة النار لا خزنة أصحابها **﴿إلا ملائكة﴾** ليخالفوا جنس المعذبين من الثقلين فلا يرقوا لهم ولا يميلوا إليهم فإن المجانسة مظنة الرأفة فلذا بعث الرسول من جنسنا ليرحم بنا ولأنهم أقوى الخلق وأقومهم بحق الله وبالغضب له تعالى وأشدهم بأساً وعن النبي عليه السلام لقوة أحدهم مثل قوة الثقلين يسوق أحدهم الأمة وعلى رقبته جبل فيرمى بهم في النار ويرمى بالجبل عليهم ويروى أنه لما نزل قوله تعالى: **﴿عليها تسعة عشر﴾** قال أبو جهل لقريش أيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل منهم فقال أبو الأسود بن أسيد بن كلدة الجمحي وكان شديد البطش والقوة حتى كان من قوته أنه إذا قام على أديم واجتمع جماعة على إزالة رجليه عنه لم يقدروا عليه فكانوا يشدون الأديم حتى يتقطع قطعاً ورجلاه على حالهما أنا أكفيكم سبعة عشر منهم فاكفوني أنتم اثنين فنزلت أي وما جعلناهم رجالاً من جنسكم يطاقون فمن ذا الذي يغلب الملائكة والواحد منهم يأخذ أرواح جميع الخلق وللواحد منهم من القوة ما يقلب الأرض فيجعل عاليها سافلها.

وتمام آدميان طاقت ديداريك فرشته تدارند تا بمقاومت كجا بسر آيند. **﴿وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا﴾** أي: وما جعلنا عددهم إلا العدد الذي تسبب لافتتانهم ووقوعهم في الكفر وهو التسعة عشر فعبر بالأثر عن المؤثر أي بالفتنة عن العدد المخصوص تنبيهاً على التلازم بينهما وحمل الكلام على هذا لأن جعل من دواخل المبتدأ والخبر، فوجب حمل مفعوله الثاني على الأول ولا يصح حمل افتتان الكفار على عدد الزبانية إلا بالتوجيه المذكور فإن عدتهم سبب للفتنة لا فتنة نفسها ثم ليس المراد مجرد جعل عددهم ذلك العدد المعين في نفس الأمر بل جعله في القرآن أيضاً كذلك وهو الحكم بأن عليها تسعة عشر إذ بذلك يتحقق افتتانهم باستقلالهم له واستبعادهم لتولي هذا العدد القليل أمر الجم الغفير واستهزائهم به حسبما

ذكر وعليه يدور ما سيأتي من استيقان أهل الكتاب وازدياد المؤمنين إيماناً ﴿**ليستيقن الذين أوتوا الكتاب**﴾ متعلق بالجعل على المعنى المذكور والسين للطلب أي ليكتسبوا اليقين بنبوته عليه السلام وصدق القرآن لما شاهدوا ما فيه موافقاً لما في كتابهم وفي «عين المعاني» سأل اليهود رسول الله ﷺ عن خزنة النار وعددهم فأجاب عليه السلام: «بأنهم تسعة عشر».

يعني: دوباربا صابع يدين اشارت فرمود ودر كرت دوم ابهام يمنى را امساك فرمود ﴿**ويزداد الذين آمنوا إيماناً**﴾ أي يزداد إيمانهم كيفية بما رأوا من تسليم أهل الكتاب وتصديقهم أنه كذلك أو كمية بانضمام إيمانهم بذلك إلى إيمانهم بسائر ما أنزل ﴿**ولا يرتاب الذين أوتوا الكتاب والمؤمنون**﴾ تأكيد لما قبله من الاستيقان وازدياد الإيمان فإن نفي ضد الشيء بعد إثبات وقوعه أبلغ في الإثبات ونفي لما قد يعتري المستيقن والمؤمن من شبهة ما، فيحصل له يقين جازم بحيث لا شك بعده وإنما لم ينظم المؤمنين في سلك أهل الكتاب في نفي الارتياب حيث لم يقل ولا يرتابوا للتنبيه على تباين النفيين حالاً فإن انتفاء الارتياب من أهل الكتاب مقارن لما ينافيه من الجحود ومن المؤمنين مقارن لما يقتضيه من الإيمان وكم بينهما والتعبير عنهم باسم الفاعل بعد ذكرهم بالموصول والصلة الفعلية المنبئة عن الحدوث للإيذان بثباتهم على الإيمان بعد ازدياده ورسوخهم في ذلك. ﴿**وليقول الذين في قلوبهم مرض**﴾ شك أو نفاق فإن كلاً منهما من الأمراض الباطنة فيكون إخباراً بما سيكون في المدينة بعد الهجرة إذ النفاق إنما حدث بالمدينة وكان أهل مكة إما مؤمناً حقاً وإما مكذباً وإما شاكاً. ﴿**والكافرون**﴾ المصرون على التكذيب فإن قلت: كيف يجوز أن يكون قولهم هذا مقصود الله تعالى؟ قلت: اللام ليست على حقيقتها بل للعاقبة فلا إشكال ﴿**ماذا أراد الله بهذا مثلاً**﴾ تمييز لهذا أو حال منه بمعنى ممثلاً به كقوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: ٧٣] أي أي شيء أراد بهذا العدد المستغرب استغراب المثل فإطلاق المثل على هذا العدد على سبيل الاستعارة حيث شبهوه بالمثل المضروب وهو القول السائر في الغرابة حيث لم يكن عقداً تاماً كعشرين أو ثلاثين والاستفهام لإنكار أنه من عند الله بناء على أنه لو كان من عنده لما جاء ناقصاً وإفراد قولهم هذا بالتعليل مع كونه من باب فتنتهم للإشعار باستقلاله في الشناعة. ﴿**كذلك يضل الله من يشاء**﴾ ذلك إشارة إلى ما قبله من معنى الضلال، أي يضل الله من يشاء إضلاله كأبي جهل وأصحابه المنكرين لخزنة جهنم وعددهم إضلالاً كائناً مثل ما ذكر من الإضلال لا إضلالاً أدنى منه لصرف اختياره إلى جانب الضلال عند مشاهدته لآيات الله الناطقة بالحق وأصله أن الله لا يضل إلا بحسب الضلالة الأزلية لأن الضلال وصرف الاختيار إلى جانبه كل منهما من مقتضى عينه الثابتة. ﴿**ويهدي من يشاء**﴾ هدايته كأصحاب محمد عليه السلام هدايته كائنة مثل ما ذكر من الهداية لا هداية أدنى منها لصرف اختياره عند مشاهدة تلك الآيات إلى جانب الهدى وحقيقته أن الله لا يهدي إلا بموجب الهداية الأزلية إذ الاهتداء وصرف الاختيار إلى جانبه كل منهما من أحواله الأزلية فلا يجوز خلافه في عالم العين في الأبد. ﴿**وما يعلم جنود ربك**﴾ أي جموع خلقه التي من جملتها الملائكة المذكورون والجنود جمع جند بالضم وهو العسكر وكل مجتمع وكل صنف من الخلق على حدة وفي الحديث «إن لله جنوداً منها العسل» ﴿**إلا هو**﴾ لفرط كثرتها وفي حديث موسى عليه السلام أنه سأل ربه عن عدد أهل السماء فقال تعالى اثنا عشر سبطاً عدد كل سبط عدد التراب وفي «الأسرار المحمدية»: ليس في العالم موضع بيت ولا

زاوية إلا وهو معمور بما لا يعلمه إلا الله والدليل على ذلك أمر النبي عليه السلام بالتستر في الخلوة وأن لا يجامع الرجل امرأته عريانين وفيه إشارة إلى أن الله في اختيار عدد الزبانية حكمة وإلا فجنوده خارجة عن دائرة العد والضبط قال القاشاني: وما يعلم عدد الجنود وكميتها وكيفيتها وحقيقتها إلا هو لإحاطة علمه بالماهيات وأحوالها.

وفي «التأويلات النجمية»: إلا هويته الجامعة لجميع جنود التعينات الغير المتناهية بحسب الأسماء الجزئية والجزئيات الأسماء قال بعض العارفين خلقت الملائكة على مراتب فأرواح ليس لهم عقل إلا تعظيم جناب الله وليس لهم وجه مصروف إلى العالم ولا إلى نفوسهم قد هيمهم جلال الله واختطفهم عنهم فهم فيه حيارى سكارى وأرواح مدبرة أجساماً طبيعية أرضية وهي أرواح الأناسي وأرواح الحيوانات من جسم عنصري طبيعي وهذه الأرواح المدبرة لهذه الأجسام مقصورة عليها مسخر بعضها لبعض كما قال تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢] وأرواح أخر مسخرات لمصالحنا وهم على طبقات كثيرة فمنهم الموكل بالوحي ومنهم الموكل بالإلقاء ومنهم الموكل بالأرزاق ومنهم الموكل بقبض الأرواح، ومنهم الموكل بإحياء الموتى ومنهم الموكل بالاستغفار للمؤمنين والدعاء لهم ومنهم الموكل بالغراسات في الجنة جزاء، لأعمال العباد ومنهم غير ذلك وأما مراتبهم وتفاوتهم ففيهم الأكبر والكبير فجبريل أكبر من عزرائيل وميكائيل أكبر من جبريل وإسرافيل أكبر من ميكائيل وقال بعضهم: هذه الجنود ليست معدة للمحاربة بل هي لترتيب المملكة الظاهرة للعالم الأعلى والأسفل، لأنه إذا كان ما في السموات وما في الأرض جنوده فلمن يقاتلون فما بقي إلا أن المراد بهم جنود التسخير إذ العالم كله مسخر بعضه لبعض وجميع الملائكة مسخرون لنا بأسرهم تحت أيدي الاثني عشر ملكاً الذين ولاهم الله على عالم الخلق ومقرهم في الفلك الأقصى كل وال في برج كأبراج سور المدينة جالس على تخت وقد رفع الله الحجاب بين هؤلاء الولاة وبين اللوح المحفوظ فرأوا فيه مسطراً أسماءهم ومراتبهم وما شاء الله أن يجريه على أيديهم في عالم الخلق إلى يوم القيامة فارتقم ذلك كله في نفوسهم وعلموه علماً محفوظاً لا يتبدل ولا يتغير كما علمنا نحن أسماءهم وأحوالهم من مقابلة قلوبنا للوح المحفوظ ثم إن الله جعل لكل واحد من هؤلاء الولاة حاجبين ينفذان أوامرهم إلى نوابهم وجعل بين كل حاجبين سفيراً يمشي بينهما بما يلقي إليه كل واحد منهما وعين الله لهؤلاء الذين جعلهم حجاباً لهؤلاء الولاة في الفلك الثاني منازل يسكنونها وأنزلهم إليها وهي الثماني والعشرون منزلة التي تسمى المنازل لتي ذكرها الله بقوله ﴿وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ﴾ [يس: ٣٩] يعني في سيره ينزل كل يوم منزلة منها إلى أن ينتهي إلى آخرها، ثم يدور دورة أخرى ليعلموا بسيره وسير الشمس والخنس عدد السنين والحساب وكل شيء فصله الحق لنا تفصيلاً فأسكن في هذه المنازل هذه الملائكة وهم حجاب أولئك الولاة الذين في الفلك ثم إن الله أمر هؤلاء أن يجعلوا لهم نواباً ونقباء في السموات السبع في كل سماء نقيباً كالحجاب لهم لينظروا في مصالح العالم العنصري بما يلقيه إليهم هؤلاء الولاة ويأمرونهم به وهو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت: ١٢] فجعل الله أجسام هذه الكواكب النقباء أجساماً نيرة مستديرة ونفخ فيها أرواحها وأنزلها في السماوات السبع في كل سماء واحد منهم وقال لهم قد جعلتكم تستخرجون ما عند هؤلاء الاثني عشر والياً بواسطة الحجاب الثمانية والعشرين، كما يأخذ أولئك الولاة عن اللوح المحفوظ ثم جعل الله لكل نقيب من هؤلاء

السبعة النقباء فلكاً يسبح فيه هو له كالجواد للراكب وهكذا الحجاب لهم أفلاك يسبحون فيها إذ كان لهم التصرف في حوادث العالم والاستشراف عليه ولهم سدنة وأعوان يزيدون على الألف أعطاهم الله مراكب سماها أفلاكاً فهم أيضاً يسبحون فيها وهي تدور بهم على المملكة في كل يوم مرة فلا يفوتهم شي من المملكة أصلاً من ملك السماوات والأرض فتدور الولاة وهؤلاء الحجاب والنقباء والسدنة كلهم في خدمة هؤلاء الولاة والكل مسخرون في حقنا إذ كنا نحن المقصود الأعظم من العالم كله قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الجاثية: ١٣] جميعاً منه وسبب دوران الأفلاك علينا كل يوم دورة إنما هو لينظر هؤلاء الولاة فيم تدعو حاجة الخلق إليه من الأمور فيسدوا خللهم وينفذوا أحكام الله فيهم من كونه مريداً في خلقه لا من كونه آمراً إليه فينفذون الأقدار فيهم في أزمان مختلفة وكما جعل الله زمام هذه الأمور بأيدي هؤلاء الجماعة من الملائكة وأقعد منهم من أقعد في برجه ومسكنه الذي فيه تخت ملكه، وأنزل من أنزل من الحجاب والنقباء إلى منازلهم في سمواتهم كذلك جعل في كل سماء ملائكة مسخرة وجعلهم على طبقات فمنهم أهل العروج بالليل والنهار من الحق إلينا ومنا إلى الحق في كل صباح ومساء ولا يقولون إلا خيراً في حقنا ومنهم المستغفرون لمن في الأرض ومنهم المستغفرون للمؤمنين لغلبة الغيرة الإلهية عليهم كما غلبت الرحمة على المستغفرين لمن في الأرض ومنهم الموكلون بإيصال الشرائع، ومنهم الموكلون بالممات ومنهم الموكلون بالإلهام وهم الموصلون العلوم إلى القلوب، ومنهم الموكلون بالأرحام بتصوير ما يكون لله في الأرحام ومنهم الموكلون بنفخ الأرواح ومنهم الملائكة التسعة عشر الموكلون بالشفاعة لمن دخل النار ومنهم الموكلون بالأرزاق، ومنهم الموكلون بالأمطار ومنهم الصافات والزاجرات والتاليات والمقسمات والمرسلات والناشرات والنازعات والناشطات والسابقات والساحات والملقيات والمدبرات ولذلك قالوا وما منا إلا له مقام معلوم فما من حادث يحدثه الله في العالم إلا وقد وكل الله بإجرائه الملائكة، ولكن بأمر هؤلاء الولاة من الملائكة فلا يزالون تحت سلطانهم إذ هم خصائص الله ثم إن العامة ما تشهد من هؤلاء الملائكة إلا منازلهم التي هي أجرام الكواكب ولا تشهد أعيان الحجاب ولا النقباء وأما أهل الكشف فيشهدونهم في منازلهم عياناً.

ثم اعلم أن الله قد جعل في هذا العالم العنصري خلقاً من جنسهم وولاة عليهم نظير العالم العلوي فمنهم الرسل والخلفاء والسلاطين والملوك وولاة أمور جميع العالم من القضاة وأضرابهم ثم جعل بين أرواح هؤلاء الولاة الذين هم في الأرض والولاة الذين هم في السموات مناسبات ودقائق تمتد إليهم بالعدل مطهرة من الشوائب مقدسة عن العيوب فيقبل هؤلاء الولاة الأرضيون منهم بحسب استعداداتهم فمن كان استعداده حسناً قوياً قبل ذلك الأمر على صورته طاهراً مطهراً فكان والي عدل وإمام فضل، ومن كان استعداده رديئاً قبل ذلك الأمر الطاهر ورده إلى شكله من الرداءة والقبح والجور فكان والي جور ونائب ظلم وبخل فلا يلومن إلا نفسه فهذه أمهات مراتب حكام العالم أصحاب المراتب على سبيل الإجمال وأما الرعية فلا يحصي عددهم إلا الله ولله تعالى في الأرض ملائكة لا يصعدون إلى السماء أبداً وملائكة في السماء لا ينزلون إلى الأرض أبداً كل قد علم صلاته وتسبيحه بإلهام من الله تعالى كذا في كتاب «الجواهر» للإمام الشعراني رحمه الله. **﴿وما هي﴾** أي: سقر وذكر صفتها **﴿إلا ذكرى للبشر﴾**

إلا تذكرة وعظة وإنذار لهم بسوء عاقبة الكفر والضلال وتخصيص الإنس مع أنها تذكرة للجن أيضاً لأنهم هم الأصل في القصد بالتذكرة أو وما عدة الخزنة إلا تذكرة لهم ليتذكروا ويعلموا أن الله قادر على أن يعذب الكثير الغير المحصور من كفار الثقلين وعصاتهم بهذا العدد بل هو لا يحتاج في ذلك إلى أعوان وأنصار أصلاً فإنه لو قلب شعرة واحدة في عين ابن آدم أو سلط الألم على عرق واحد من عرق بدنه لكفاه ذلك بلاء ومحنة وإنما عين العدد وخلق الجنود لحكمة لا لاحتياج ويجوز أن يعود الضمير إلى الآيات الناطقة بأحوال سقر فإنها تذكرة لاشتمالها على الإنذار.

﴿كَلَّا وَٱلْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَآ أَسْفَرَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿**كلا**﴾ ردع لمن أنكر سقر أي، ارتدع عن إنكارها فإنها حق أو إنكار ونفي لأن تكون لهم تذكرة فإن كونها ذكرى للبشر لا ينفي بعضهم لا يتذكرون بل يعرضون عنها بسوء اختيارهم ألا يرى إلى قوله تعالى: ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾﴾ [المدثر: ٤٩] ﴿**والقمر**﴾ مقسم به مجرور بواو القسم يعني وسوكند بماه كه معرفت أوقات وآجال بوى باز بسته است.

وفي «فتح الرحمن»: تخصيص تشريف وتنبيه على النظر في عجائبه وقدرته في حركاته المختلفة التي هي مع كثرتها واختلافها على نظام واحد لا يختل وقال أبو الليث: وخالق القمر يعني الهلال بعد ثالثه. ﴿**والليل**﴾ معطوف على القمر وكذا الصبح يعني وبحرمه شب ﴿**إذ**﴾ بسكون الذال وهو ظرف لما مضى من الزمان ﴿**أدبر**﴾ على وزن أفعل أي انصرف وذهب فإن الإدبار نقيض الإقبال.

﴿**والصبح**﴾ قال في «القاموس» الصبح الفجر أو أول النهار والجمع أصباح وفي «المفردات» الصبح والصباح أول النهار وهو وقت ما احمر الأفق بحاجب الشمس. ﴿**إذا**﴾ ظرف لما يستقبل من الزمان واتفقوا على إذا ههنا نظراً إلى تأخره عن الليل من وجه. ﴿**أسفر**﴾ أي ضاء وانكشف فإن الإسفار بالفارسية روشن شدن.

قال الراغب: السفر كشف الغطاء ويختص ذلك بالأعيان نحو سفر العمامة عن الرأس والخمار عن الوجه والإسفار يختص باللون نحو والصبح إذا أسفر أي أشرق لونه ووجهه وأسفروا بالفجر تؤجروا من قولهم أسفرت أي دخلت فيه نحو أصبحت، وفي «قوت القلوب»: الفجر الثاني هو انشقاق شفق الشمس وهو بريق بياضها الذي تحت الحمرة وهو الشفق الثاني على ضد غروبها لأن شفقها الأول من العشاء هو الحمرة بعد الغروب وبعد الحمرة البياض وهو الشفق الثاني من أول الليل وهو آخر سلطان شعاع الشمس وبعد البياض سواد الليل وغسقه ثم ينقلب ذلك على الضد فيكون بدء طلوعها الشفق الأول وهو البياض وبعده الحمرة وهو شفقها الثاني وهو أول سلطانها من آخر الليل وبعده طلوع قرص الشمس فالفجر هو انفجار شعاع الشمس من الفلك الأسفل إذا ظهرت على وجه أرض الدنيا يستر عينها الجبال والبحار والأقاليم المشرفة العالية ويظهر شعاعها منتشراً إلى وسط الدنيا عرضاً مستطيراً انتهى.

قال الكاشفي: أقسم بالقمر، أي بالقلب المستعد الصافي القابل للإنذار المتعظ به المنتفع بتذكره تعظيماً وبليل ظلمة النفس إذ أدبر أي ذهب بانقشاع ظلمتها عن القلب بإشراق نور الروح عليه وتلالي طوالعه وبصبح طلوع ذلك إذا أسفر فزالت الظلمة بكليتها وتنور القلب انتهى.

فظهر من هذا حسن موقع ذكر القمر والليل والصبح في مقام ذكر سقر ودواهيها لأن سقر إشارة إلى الطبيعة وجهنم النفس.

﴿إِنَّهَا لَإِحْدَى ٱلْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿إنها لإحدى الكبر﴾ جواب للقسم والكبر جمع الكبرى جعت ألف التأنيث كتائه وألحقت بها فكما جمعت فعلة على فعل كركبة وركب جمعت فعلى عليها وإلا ففعلى لا تجمع على فعل، بل على فعالى كحبلى وحبالى، والمعنى: إن سقر لإحدى البلايا أو لإحدى الدواهي الكبر الكثيرة وهي أي سقر واحدة في العظم لا نظيرة لها كقولك إنه أحد الرجال هذا إذا كان منكراً لسقر، وإن كان منكراً لعدة الخزنة فالمعنى إنها من إحدى الحجج أكبر نذيراً من قدرة الله على قهر العصاة من لدن آدم عليه السلام، إلى قيام الساعة من الجن والإنس حيث استعمل على تعذيبهم هذا العدد القليل وإن كان منكر الآيات فالمعنى إنها لإحدى الآيات الكبرى.

﴿نذيراً للبشر﴾ تمييز من نسبة إحدى الكبر إلى اسم أن لأن معناه إنها من معظمات الدواهي التي خلقها الله للتعذيب فيصح أن ينتصب منه التمييز كما تقول هي إحدى النساء عفافاً والنذير مصدر كالنكير والمعنى لإحدى الكبر إنذاراً، أي من جهة الإنذار أول مما دلت عليه الجملة أي معنى قوله ﴿إنها لإحدى الكبر﴾، أي كبرت منذرة وحذف التاء مع أن فعيلاً بمعنى فاعل يفرق فيه بين المذكر والمؤنث لكون ضمير إنها في تأويل العذاب أو لكون النذير بمعنى ذات إنذار على معنى النسب كقولهم: امرأة طاهر أي ذات طهارة.

﴿لمن شاء منكم أن يتقدم أو يتأخر﴾ بدل من للبشر بإعادة الجار وأن يتقدم مفعول شاء ومنكم حال من من أي نذيراً لمن شاء منكم أن يسبق إلى الخير والجنة والطاعة فيهديه الله أو لم يشأ ذلك ويتأخر بالمعصية فيضله وفيه إشارة إلى أن لكسب العبد دخلاً في حصول المرحومية والمحرومية.

وفي «التأويلات النجمية»: أقسم بنور قمر الشريعة الزهراء وبظلمة ليل الطبيعة الظلماء وبصبح الحقيقة البيضاء حين غلبت على غلس الطبيعة أن الجبود مظاهر إحدى هذه المراتب الكلية الكبرى إما أهل الشريعة وإما أهل الحقيقة وإما أهل الطبيعة، وقوله: ﴿نذيراً للبشر﴾ أي: جعلنا الحصر في المراتب الثلاث الكلية ليتنبه الإنسان ويحترز أن يكون من أهل الإنذار لمن شاء منكم أن يتقدم إلى مقام الشريعة أو يتأخر إلى مقام الطبيعة ولما كان مقام الحقيقة أعلى المراتب ولم يصل إليه إلا النذر من الكمل أعرض عن ذكره انتهى.

ويجوز أن يكون أهل الحقيقة داخلاً في أن يتقدم لأنه وأهل الشريعة كل منهما عن المتقدمين وإن كان بينهما فرق في التقدم وتفاوت في السير والمسارعة، والحاصل إلا أن أهل الاستعداد تقدموا باكتساب الفضائل والخيرات والكمالات إلى مقام القلب والروح والسر وأما غيرهم فتأخروا بالميل إلى البدن وشهواته ولذاته فوقعوا في ورطة الطبيعة.

﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾﴾

﴿كل نفس﴾ من نفوس الإنس والجن المكلفين ﴿بما كسبت رهينة﴾ مرهونة عند الله بكسبها محبوسة ثابتة وفي بعض التفاسير بسبب ما كسبت من الأعمال السيئة من رهن الشيء أي دام وثبت وأرهنته أي تركته مقيماً عنده وثابتاً والرهن ما وضع عندك لينوب مناب ما أخذ

منك، والمرتهن هو الذي يأخذ المرهون ونفس المكلف محبوسة ثابتة عند الله بما أوجبه عليه من التكاليف التي هي حق خالص له تعالى فإن أداها المكلف كما وجبت عليه فك رقبته وخلص نفسه وإلا بقيت نفسه مرهونة محبوسة عنده وقال بعضهم الرهينة اسم بمعنى الرهن كالشتيمة بمعنى الشتم على أن تكون التاء للنقل من الوصفية إلى الاسمية، وفي «فتح الرحمن» للمبالغة أو على تأنيث اللفظ على معنى الإنسان ونحوه وليس أي الرهينة صفة وإلا لقيل رهين لأن فعيلاً بمعنى مفعول لا تدخله التاء بل يستوي فيه المذكر والمؤنث إلا أن يحمل على ما هو بمعنى الفاعل فإنه يؤتى في مؤنثه بالتاء كما في عكسه في قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦] قال الراغب: قيل في قوله ﴿**كل نفس بما كسبت رهينة**﴾ أنه فعيل بمعنى فاعل أي ثابتة مقيمة وقيل بمعنى مفعول أي كل نفس مقامة في جزاء ما قدم من عملها ولما كان الرهن يتصور من حبسه استعير ذلك للمحتبس أي شيء كان.

﴿**إلا أصحاب اليمين**﴾ استثناء متصل من كل نفس لكثرتها في المعنى وأصحاب اليمين أهل الأعمال الصالحة من المؤمنين أي فإنهم فاكون رقابهم بما أحسنوا من أعمالهم كما يفك الراهن رهنه بأداء الديْن. قال القاشاني: كل نفس بمكسوبها رهن عند الله لا فكاك لها لاستيلاء هيئات أعمالها وآثار أفعالها عليها ولزومها إياها وعدم انفكاكها عنه إلا أصحاب اليمين من السعداء الذين تجردوا عن الهيئات الجسدانية وخلصوا إلى مقام الفطرة ففكوا رقابهم من الرهن. ﴿**في جنات**﴾ كأنه قيل ما بال أصحاب اليمين فقيل لهم في جنات لا يكتنه كنهها ولا يوصف وصفها كما دل عليه التنكير والمراد أن كلاً منهم ينال جنة منها ﴿**يتساءلون**﴾.

﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿**عن المجرمين**﴾ تفاعل هنا بمعنى فعل أي: يسألون المجرمين عن أحوالهم وقد حذف المسؤول لكونه عين المسؤول عنه ولدلالة ما بعده عليه.

يروى: أن الله يطلع أهل الجنة وهم في الجنة حتى يرون أهل النار وهم في النار فيسألونهم: ﴿**ما سلككم في سقر**﴾ مقدر بقول هو حال مقدرة من فاعل يتساءلون أي قائلين أي شيء أدخلكم فيها وكان سبباً لدخولكم من سلكت الخيط في الإبرة سلكاً أي أدخلته فيها فهو من السلك بمعنى الإدخال لا من السلوك بمعنى الذهاب فإن قلت: لم يسألونهم وهم عالمون بذلك قلت توبيخاً لهم وتحسيراً ولتكون حكاية الله ذلك في كتابه تذكرة للسامعين قرأ أبو عمرو سلكم بإدغام الكاف في الكاف والباقون بالإظهار.

﴿**قالوا**﴾ أي المجرمون مجيبين للسائلين ﴿**لم نك من المصلين**﴾ الصلوات الواجبة فعدم إقرارنا بفرضية الصلاة وعدم أدائها سلكنا فيها أصله نكن حذف النون للتخفيف مع كثرة الاستعمال. ﴿**ولم نك نطعم المسكين**﴾ على معنى استمرار نفي الإطعام، لا على نفي استمرار الإطعام والمراد أيضاً الإطعام الواجب وإلا فما ليس بواجب من الصلاة والإطعام لا يجوز التعذيب على تركه وكانوا يقولون: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس: ٤٧] فكانوا لا يرحمون المساكين بالإطعام ولا يحضون عليه أيضاً كما سبق ففيه ذم للبخل ودلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة.

قال في «التوضيح» الكفار مخاطبون بالإيمان والعقوبات والمعاملات إجماعاً أما العبادات فهم مخاطبون بها في حق المؤاخذة في الآخرة اتفاقاً أيضاً لقوله تعالى: ﴿ما سلككم في سقر﴾ الآيات أما في حق وجوب الأداء فمختلف فيه قال العراقيون من مشايخنا نعم وقال مشايخ ديارنا لا وفي بعض التفاسير وللحنفي أن يقول هذا إنما هو تأسف منهم على تفريطهم في كسب الخير وحرمانهم مما ناله المصلون والمزكون من المؤمنين ولا يلزم من ذلك أن يكونوا مأمورين بالعمل قبل الإيمان.

﴿وكنا نخوض مع الخائضين﴾ أي: نشرع في الباطل مع الشارعين فيه والمراد بالباطل ذم النبي عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم وغيبتهم وقولهم بأنه شاعر أو ساحر أو كاهن وغير ذلك والخوض في الأصل بمعنى الشروع مطلقاً في أي شيء كان ثم غلب في العرف بمعنى الشروع في الباطل والقبيح وما لا ينبغي وفي الحديث أكثر الناس ذنوباً يوم القيامة أكثرهم خوضاً في معصية الله.

﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾ فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾ فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿وكنا نكذب بيوم الدين﴾ أي: بيوم الجزاء أضافوه إلى الجزاء مع أن فيه من الدواهي والأهوال ما لا غاية له لأنه أدهاها وإنهم ملابسوه وقد مضت بقية الدواهي وتأخير جنايتهم هذه مع كونها أعظم من الكل؛ إذ هو تكذيب القيامة وإنكارها كفر والأمور الثلاثة المتقدمة فسق لتفخيمها والترقي من القبيح إلى القبيح كأنهم قالوا وكنا بعد ذلك كله مكذبين بيوم الدين وبيان كون تكذيبهم به مقارناً لسائر جناياتهم المعدودة مستمراً إلى آخر عمرهم حسبما ينطق به قولهم.

﴿حتى أتانا اليقين﴾ أي الموت ومقدماته فإنه أمر متيقن لا شك في إتيانه وبالفارسية بعد بما مرك ومقدمات أو برهمان حال مرديم.

فإن قلت: أيريدون أن كل واحد منهم بمجموع هذه الأربع دخل النار أم دخلها بعضهم بهذه وبعضهم بهذه؟ قلت: يحتمل الأمرين جميعاً كما في «الكشاف» وفيه إشارة إلى أن بقاءهم في سقر الطبيعة إنما كان بسبب هذه الرذائل والذمائم.

﴿فما تنفعهم شفاعة الشافعين﴾ من الأنبياء والملائكة وغيرهم أي لو قدر اجتماعهم على شفاعتهم على سبيل فرض المحال لا تنفعهم تلك الشفاعة فليس المراد أنهم يشفعون لهم ولا تنفعهم شفاعتهم إذ الشفاعة يوم القيامة موقوفة على الإذن وقابلية المحل فلو وقعت من المأذون للقابل قبلت والكافر ليس بقابل لها فلا إذن في الشفاعة له فلا شفاعة ولا نفع في الحقيقة وفيه دليل على صحة الشفاعة ونفعها يومئذٍ لعصاة المؤمنين وإلا لما كان لتخصيصهم بعدم منفعة الشفاعة وجه، قال ابن مسعود رضي الله عنه: تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون وجميع المؤمنين فلا يبقى في النار إلا أربعة ثم تلا قوله ﴿قالوا لم نك من المصلين﴾ إلى قوله ﴿بيوم الدين﴾ وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن محمداً عليه السلام يشفع ثلاث مرات، ثم تشفع الملائكة، ثم الأنبياء ثم الآباء ثم الأبناء، ثم يقول الله بقيت رحمتي ولا يدع في النار إلا من حرمت عليه الجنة ويقول الرجل من أهل النار لواحد من أهل الجنة يا فلان أما تعرفني أنا الذي سقيتك شربة ويقول آخر أنا الذي وهبت لك وضوءاً ويقول آخر أطعمتك لقمة وآخر

كسوتك خرقة وعلى هذا فيشفع له فيدخله الجنة إما قبل دخول النار أو بعده.

﴿فما لهم عن التذكرة معرضين﴾ الفاء لترتيب أنكال إعراضهم عن القرآن بغير سبب على ما قبلها من موجبات الإقبال عليه والاتعاظ به من سوء حال المكذبين ومعرضين حال من الضمير في الجار الواقع خبراً لما الاستفهامية وعن متعلقة به، أي فإذا كان حال المكذبين به على ما ذكر فأي شيء حصل لهم معرضين عن القرآن مع تعاضد موجبات الإقبال عليه وتأكد الدواعي للإيمان به، وفي «كشف الأسرار»: پس چه رسيدست ايشانراكه ازچنين پندى روكردانيده انده يقال الإعراض يكون بالجحود وبترك الاتباع له.

﴿كأنهم حمر مستنفرة﴾ حال من المستكن في معرضين بطريق التداخل وحمر جمع حمار وهو معروف ويكون وحشياً وهو المراد هنا ومستنفرة من نفرت الدواب بمعنى هربت لا من نفر الحاج والمعنى مشبهين بحمر نافرة يعني خران رميدكان.

فاستنفر بمعنى نفر كما أن استعجب بمعنى عجب وقال الزمخشري كأنهم حمر تطلب النفار من نفوسها بسبب أنهم جمعوا هم نفوسهم للنفار وحملوه عليها فأبقى السين على بابها من الطلب قال الراغب: مستنفرة قد قرىء بفتح الفاء وكسرها فإذا كسر الفاء فمعناه نافرة وإذا فتح فمعناه منفرة.

﴿فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِىٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾ كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿فرت من قسورة﴾ أي من أسد لأن الوحشية إذا عاينت الأسد تهرب أشد الهرب، ومثل القسورة الحيدرة لفظاً ومعنى وهي فعولة من القسر وهو القهر والغلبة، لأنه يغلب السبع ويقهرها. قال ابن عباس رضي الله عنهما: القسورة هو الأسد بلسان الحبشة، وقيل: هي جماعة الرماة الذين يتصيدونها.

وقال الكاشفي: كريخنذ از شيريا از صياد ياريسمان دام يا مردم تيرانداز يا آوازهاى مختلف.

شبهوا في إعراضهم عن القرآن واستماع ما فيه من المواعظ، وشرادهم عنه، بحمر جدت في نفارها مما أفزعها. يعني: چنانچه خربيا باني ازايهامى كريزد ايشان از استماع قرآن مى كريزند زيراكه كوش سخن شنوودل پند پذر ندارند كما أشار إليه في «المثنوي»:

ازكجا اين قوم وپيغام ازكجا ازجمادى جان كجا باشد رجا
فهمهاى كج مج كوته نظر صد خيال بد در آرد در نكر
راز جزبار ازدان انباز نيست راز اندركوش منكر راز نيست

وفيه من ذمهم وتهجين حالهم ما لا يخفى يعني أن في تشبيههم بالحمر شهادة عليهم بالبله ولا ترى مثل نفار حمر الوحش واطرادها في العدو إذا خافت من شيء ومن أراد إهانة غليظة لأحد والتشنيع عليه بأشنع شيء شبهه بالحمار.

روي أن واحداً من العلماء كان يعظ الناس في مسجد جامع وحوله جماعة كثيرة فرأى ذلك رجل من البله وكان قد فقد حماره فنادى للواعظ، وقال: إني فقدت حماراً فاسأل هذه الجماعة لعل واحداً منهم رآه، فقال له الواعظ: اقعد مكانك حتى أدلك عليه فقعد الرجل فإذا

واحد من أهل المجلس قام وأخذ في أن يذهب فقال الواعظ للرجل خذ هذا فإنه حمارك والمظاهر أنه قال ذلك القول أخذاً من هذا الكلام فإنه فر من تذكرة الملك العلام.

﴿بل يريد كل امرىء منهم أن يؤتى صحفاً منشرة﴾ عطف على مقدر يقتضيه المقام كأنه قيل لا يكلفون بتلك التذكرة ولا يرضون بها عناداً ومكابرة بل يريد كل واحد منهم أن يؤتى قراطيس تنشر وتقرأ وذلك أنهم، أي أبا جهل بن هشام وعبد الله بن أمية وأصحابهما قالوا لرسول الله ﷺ لن نتبعك حتى تأتي كل واحد منا بكتب من السماء أو يصبح عند رأس كل رجل منا أوراق منشورة يعني مهر بركرفته.

عنوانها من رب العالمين إلى فلان ابن فلان نأمر فيها باتباعك أي بأن يقال اتبع محمداً فإنه رسول من قبلي إليك كما قالوا: ﴿وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ﴾ [الإسراء: ٩٣] وامرىء قال في «القاموس»: المرء مثلثة الميم الإنسان أو الرجل ولا يجمع من لفظه ومع ألف الوصل ثلاث لغات فتح الراء دائماً وإعرابها دائماً وأن مع صلته مفعول يريد وصحفاً مفعول ثان ليؤتى والأول ضمير كل ومنتشرة صفة صحف جمع صحيفة بمعنى الكتاب قال في «تاج المصادر» وصحف منتشرة شدد للكثرة.

﴿كلا﴾ ردع عن اقتراحهم الآيات وإرادتهم ما أرادوه فإنهم إنما اقترحوها تعنتاً وعناداً لا هدى ورشاداً **﴿بل لا يخافون الآخرة﴾** لاستهلاكهم في محبة الدنيا فلعدم خوفهم منها أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف.

﴿كلا﴾ ردع عن إعراضهم عن التذكرة **﴿إنه﴾** الضمير في إنه وفى ذكره للتذكرة لأنها بمعنى الذكر أو القرآن كالموعظة بمعنى الوعظ والصيحة بمعنى الصوت **﴿تذكرة﴾** أي: تذكرة فالتنوين للتعظيم أي تذكرة بليغة كافية وفي «برهان القرآن» أي تذكير للحق وعدل إليها للفاصلة **﴿فمن﴾** پس هركه **﴿شاء﴾** أن يذكره ويتعظ به قبل الحلول في القبر **﴿ذكره﴾** أي جعله نصب عينه وحاز بسببه سعادة الدارين فإنه ممكن من ذلك.

﴿وما يذكرون﴾ بمجرد مشيئتهم للذكر كما هو المفهوم من ظاهر قوله تعالى **﴿فمن شاء ذكره﴾** إذ لا تأثير لمشيئة العبد وإرادته في أفعاله وضمير الجمع إما أن يعود إلى الكفرة لأن الكلام فيهم أو إلى من نظراً إلى عموم المعنى لشموله لكل من المكلفين **﴿إلا أن يشاء الله﴾** استثناء مفرغ من أعم العلل أو من أعم الأحوال أي وما يذكرون لعلة من العلل أو في حال من الأحوال إلا بأن يشاء الله أو حال أن يشاء الله ذكرهم وهذا تصريح بأن أفعال العبد بمشيئة الله لا بإرادة نفسه قال في «عين المعاني» **﴿فمن شاء﴾** الخ تخييير بإعطاء المكنة لتحقيق العبودية وقوله **﴿إلا أن يشاء الله﴾** تخيير إمضاء القدرة لتحقيق الألوهية **﴿هو﴾** أي الله تعالى **﴿أهل التقوى﴾** أي حقيق بأن يتقى عقابه ويؤمن به ويطاع فالتقوى مصدر من المبني للمفعول **﴿وأهل المغفرة﴾** حقيق بأن يغفر لمن آمن به وأطاعه قال بعضهم: التقوى هو التبري من كل شيء سوى الله فمن لزم الآداب في التقوى فهو أهل المغفرة.

تمت سورة المدثر في أوائل ذي الحجة من سنة
ست عشرة ومائة وألف

٧٥ ـ سورة القيامة

تسع وثلاثون أو أربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقۡسِمُ بِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلنَّفۡسِ ٱللَّوَّامَةِ ۝٢﴾.

﴿لا أقسم بيوم القيامة﴾ لا صلة لتوكيد القسم وما كان لتوكيد مدخوله لا يدل على النفي وإن كان في الأصل للنفي قال الشاعر:

تذكرت ليلى فاعترتني صبابة ... وكاد ضمير القلب لا يتقطع

أي: يتقطع والمعنى بالفارسية هراينه سوكند ميخورم بروز رستاخيز أو للنفي لكن لا لنفي نفس الإقسام بل لنفي ما ينبئه عنه من إعظام المقسم به وتفخيمه كأن معنى لا أقسم بكذا لا أعظمه بإقسامي به حق إعظامه فإنه حقيق بأكثر من ذلك وأكثر أو لنفي كلام معهود قبل القسم وروده كأنهم أنكروا البعث فقيل لا أي ليس الأمر كذلك ثم قيل أقسم بيوم القيامة كقولك لا والله إن البعث حق وأياً ما كان ففي الإقسام على تحقق البعث بيوم القيامة من الجزالة ما لا مزيد عليه وأما ما قيل من أن المعنى نفي الإقسام لوضوح الأمر فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به قال المغيرة بن شعبة رحمه الله: يقولون القيامة وإنما قيامة أحدهم موته، وشهد علقمة جنازة فلما دفن قال أما هذا فقد قامت قيامته، ونظمه بعضهم:

خرجت من الدنيا وقامت قيامتي ... غداة أقل الحاملون جنازتي

﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة﴾ قال في «عين المعاني» القسم بالشيء تنبيه على تعظيمه أو ما فيه من لطف الصنع وعظم النعمة وتكرير ذكر القسم تنبيه على أن كلاً من المقسم به مقصود مستقل بالقسم لما أن له نوع فضل يقتضي ذلك واللوم عذل الإنسان بنسبة ما فيه لوم والمراد بالنفس اللوامة هي النفس الواقعة بين الأمارة والمطمئنة فلها وجهان.

وجه يلي النفس الأمارة وهو وجه الإسلام فإذا نظرت إلى الأمارة بهذا الوجه تلومها على ترك المتابعة والإقدام على المخالفة وتلوم أيضاً نفسها على ما فات عنها في الأيام الماضية من الأعمال والطاعات والمراتعة في المراتع الحيوانية الظلمانية.

ووجه يلي النفس المطمئنة وهو وجه الإيمان فإذا نظرت بهذا الوجه إلى المطمئنة وتنورت بنواريتها وانصبغت بصبغتها تلوم أيضاً نفسها على التقصيرات الواقعة منها والمحذورات الكائنة عليها فهي لا تزال لائمة لها قائمة على سوق لومها إلى أن تتحقق بمقام الاطمئنان ولذلك استحقت أن أقسم الله بها على قيام البعث والنشر والحشر قال القاشاني: جمع بين القيامة والنفس اللوامة في القسم بهما تعظيماً لشأنهما وتناسباً بينهما إذ النفس اللوامة

هي المصدقة بها المقرة بوقوعها المهيئة لأسبابها لأنها تلوم نفسها أبداً في التقصير والتقاعد عن الخيرات وإن أحسنت لحرصها على الزيادة في الخير وأعمال البر تيقناً بالجزاء فكيف بها إن أخطأت وفرطت وبدرت من بادرة غفلة ونسياناً انتهى. هذا ودع عنك القيل والقال وجواب القسم محذوف دل عليه قوله تعالى:

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُۥ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّىَ بَنَانَهُۥ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ﴿٥﴾ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴿٦﴾﴾

﴿**أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه**﴾ وهو ليبعثن والمراد بالإنسان الجنس والإسناد إلى الكل بحسب البعض كثير والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه، وأن مخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذي هو اسمها محذوف والعظام جمع عظم وهو قصب الحيوان الذي عليه اللحم بالفارسية استخوان.

ويجيء جمع عظيم أيضاً ككرام وكريم وكبار وكبير ومنه الموالي العظام والمعنى أيحسب الإنسان الذي ينكر البعث أن الشأن والحديث لن نجمع عظامه البالية فإن ذلك حسبان باطل فإنا نجمعها بعد تشتتها ورجوعها رميماً ورفاتاً مختلطاً بالتراب وبعد ما نسفتها الرياح وطيرتها في أقطار الأرض وألقتها في البحار لمجازاته بما عمل في الدنيا وقيل إن عدي بن أبي ربيعة ختن الأخنس بن شريق وهما اللذان كان عليه السلام يقول فيهما اللهم اكفني جاري السوء قال لرسول الله يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون وكيف أمره؟ فأخبره فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك يعني أكذب حسي أو أيجمع الله هذه العظام فيكون الكلام خارجاً على قول المنكر كقوله ﴿مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]، وقيل ذكر العظام وأراد نفسه كلها لأن العظام قالب النفس لا يستوي الخلق إلا باستوائها ودل هذا الإنكار على أنه ناشىء من الشبهة وذلك بالنسبة إلى البعض والله قادر على الإحياء لا شبهة فيه بالنسبة إلى العاقل المتفكر المستدل ﴿**بلى**﴾ إيجاب لما ذكر بعد النفي وهو الجمع أي نجمعها وبالفارسية آرى جمع كنيم.

حال كوننا ﴿**قادرين**﴾ فهو حال مؤكدة من الضمير المستكن في نجمع المقدر بعد بلى ﴿**على أن نسوي بنانه**﴾ أي: نجمع سلامياته ونضم بعضها إلى بعض كما كانت مع صغرها ولطافتها فكيف بكبار العظام وهو جمع سلامى كحبارى وهي العظام الصغار في اليد والرجل وفي الحديث «كل سلامى من الناس عليه صدقة، كل يوم تطلع فيه الشمس. أي على صاحبه؛ صدقة» من أي أنواع الصدقة من قول وفعل ومال، وفي «القاموس» البنان الأصابع أو أطرافها قال الراغب: البنان الأصابع قيل سميت بذلك لأن بها إصلاح الأحوال التي يمكن للإنسان أن يبن بها ما يريد أي يقيم يقال: ابن بالمكان يبن لذلك خص في قوله تعالى: ﴿**بلى قادرين على أن نسوي بنانه**﴾ وقوله: ﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢] خصه لأجل أنها يقاتل بها ويدافع أو المعنى على أن نسوي أصابعه التي هي أطرافه وآخر ما يتم به خلقه فالبنان مفرد اللفظ مجموع المعنى كالتمر وفيه جهتان الصغر وكونه طرفاً فإلى أي جهة نظر ثبت المطلوب بالأولوية ولذا خص بالذكر ثم في العظام إشارة إلى كبار أعماله الحسنة والسيئة وفي البنان إلى صغار أفعاله الحسنة والسيئة فإن الله تعالى يجمع كلاً منها ويجازي عليها.

﴿**بل يريد الإنسان ليفجر أمامه**﴾ الفجر شق الشيء شقاً واسعاً والفجور شق ستر الديانة

وقال بعضهم: الفجور الميل فالكاذب والمكذب والفاسق فاجر أي مائل عن الحق ومنه قول الأعرابي في حق عمر رضي الله عنه:

اغفر له اللهم إن كان فجر، أي كذب، واللام للتأكيد مثل قوله: وأنصح لكم في أنصحكم وأن يفجر مفعول يريد وقد يقال مفعوله محذوف يدل عليه قوله: ﴿**ليفجر أمامه**﴾ والتقدير يريد شهواته ومعاصيه، وقال سعدي المفتي: الظاهر أن يريد ههنا منزلة منزلة اللازم ومصدره مقدر بلام الاستغراق بمعونة المقام يعني مقام تقبيح حال الإنسان أي يوقع جميع إرادته ليفجر وجعل أبو حيان بل لمجرد الإضراب عن الكلام الأول وهو نجمعها قادرين من غير إبطال المضمون والأخذ في بيان ما عليه الإنسان من انهماكه في الفجور من غير عطف وقال غيره عطف على أيحسب إما على أنه استفهام مثله أضرب عن التوبيخ بذلك إلى التوبيخ بهذا أو على أنه إيجاب انتقل إليه من الاستفهام وهذا أبلغ وأولى والمعنى بل يريد الإنسان ليدوم على فجوره فيما بين يديه من الأوقات وفيما يستقبله من الزمان لا يرعوي عنه فالإمام ههنا مستعار للزمان من المكان وقال الراغب يريد الحياة ليتعاطى الفجور فيها وقيل معناه: يذنب ويقول غداً أتوب ثم لا يفعل فيكون ذلك فجوراً لبذله عهداً لا يفي به.

وقال الكاشفي: بلكه خواهد آدمي آنكه دروغ كويد بآنچه اورا درپيش است ازبعث وحساب.

وفيه إشارة إلى أن الإنسان المحجوب يريد ليفجر أمامه بحسب الاعتقاد والنية قبل الإتيان بالفعل وذلك بالعزم المؤاخذ به على ما عرف في محله.

﴿**يسأل**﴾ سؤال استبعاد واستهزاء ﴿**أيان**﴾ أصله، أي آن وهو خبر مقدم لقوله: ﴿**يوم القيامة**﴾ أي متى يكون والجملة استئناف تعليلي كأنه قيل ما يفعل حين يريد أن يفجر ويميل عن الحق فقيل يستهزىء ويقول أيان يوم القيامة أو حال من الإنسان في قوله ﴿**بل يريد الإنسان**﴾ أي ليس إنكاره للبعث لاشتباه الأمر وعدم قيام الدليل على صحة البعث بل يريد أن يستمر على فجوره في حال كونه سائلاً متى تكون القيامة فدل هذا الإنكار على أن الإنسان يميل بطبعه إلى الشهوات والفكرة في البعث تنغصها عليه فلا جرم ينكره ويأبى عن الإقرار به فقوله: ﴿**أيحسب الإنسان**﴾... الخ. دل على الشبهة والجهل وقوله: ﴿**بل يريد**﴾.. الخ على الشهوة والتجاهل فالآيتان بحسب الشخصين وفيه إشارة إلى أن المحجوب يسأل أيان يوم القيامة لاحتجابه بنفسه الظلمانية لا يشاهد القيامة في كل ساعة ولحظة بل في كل لمحة وطرفة لتعاقب التجليين الإفنائي والإبقائي كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [ق: ١٥].

﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ﴿٨﴾ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ﴿٩﴾ يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَزَرَ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾﴾.

﴿**فإذا برق البصر**﴾ أي: تحير واضطرب وجال فزعاً من أهوال يوم القيامة من برق الرجل، إذا نظر إلى البرق فدهش ثم استعمل في كل حيرة وإن لم يكن هناك نظر إلى البرق وهو واحد بروق السحاب ولمعانه.

﴿**وخسف القمر**﴾ أي ذهب ضوؤه فإن خسف يستعمل لازماً ومتعدياً يقال: خسف القمر وخسفه الله أو ذهب نفسه من خسف المكان أي: ذهب في الأرض ولكن هذا المعنى لا

يناسب ما بعد الآية قال بعضهم: أصل الخسف النقصان ويكون في الوصف وفي الذات وفيه رد لمن عبد القمر فإن القمر لو كان إلهاً كما زعمه العابد لدفع عن نفسه الخسوف ولما ذهب ضوؤه.

قال في «فتح الرحمن»: الخسوف والكسوف معناهما واحد وهو ذهاب ضوء أحد النيرين أو بعضه وصلاة الكسوف سنة مؤكدة فإذا كسفت الشمس أو القمر فزعوا للصلاة وهي لكسوف الشمس ركعتان كهيئة النافلة ويصلي بهم إمام الجمعة ويطيل القراءة ولا يجهر ولا يخطب وخسوف القمر ليس له اجتماع ويصلي الناس في منازلهم ركعتين كسائر النوافل.

﴿**وجمع الشمس والقمر**﴾ في ذهاب الضوء كما روي عن النبي عليه السلام، أو جمع بينهما في الطلوع من المغرب أو في الإلقاء في النار ليكون حسرة على من يعبدهما وجاز تكرار القمر لأنه أخبر عنه بغير الخبر الأول، وقال القاشاني: فإذا برق البصر، أي تحير ودهش شاخصاً من فزع الموت وخسف قمر القلب لذهاب نور العقل عنه وجمع شمس الروح وقمر القلب بأن جعلا شيئاً واحداً طالعاً من مغرب البدن لا يعتبر لهما رتبتان كما كان حال الحياة بل اتحدا روحاً واحداً انتهى.

﴿**يقول الإنسان**﴾ المنكر للقيامة وهو عامل في إذا ﴿**يومئذٍ**﴾ أي يوم إذ تقع هذه الأمور قول الآيس من حيث أنه لا يرى شيئاً من علامات ممكنة للفرار كما يقول من أيس من وجدان زيد أين زيد حيث لم يجد علامة أصابته ﴿**أين المفر**﴾ أي الفرار وقال سعدي المفتي: ولعله لا منع من الإبقاء على حقيقته والقول بصدور هذا الكلام بناء على توهمه لتحيره.

﴿**كلا**﴾ ردع عن طلب المفر وتمنيه قال سعدي المفتي: هذا لا يناسب أن يقوله قول الآيس إذ لا طلب حينئذٍ ثم قوله ﴿**كلا**﴾ من قول الله تعالى وجوز أن يكون من قول الإنسان لنفسه وهو بعيد. ﴿**لا وزر**﴾ لا ملجأ يعني بناه كاه نباشد كافر انرا.

مستعار من الجبل فإن الوزر محركة الجبل المنيع ثم يقال لكل ما التجأت إليه وتحصنت به وزر تشبيهاً له وخبر لا محذوف أي لا ملجأ ثمة أو في الوجود ومن بلاغات الزمخشري اتل على كل من وزر كلا لا وزر أي اتل عليه هذه الآية ومعنى وزر الأول بالفارسية كناه كردن.

فإن الوزر بالكسر الإثم، وقال بعضهم:

لعمرك ما في الفتى من وزر   من الموت يدركه والكبر

أي لا ملجأ للفار من الموت والكبر إذ كل منهما من الأمر الإلهي والأمر المحكم القضاء المبرم يدرك الإنسان لا محالة.

﴿**إلى ربك يومئذٍ المستقر**﴾ أي إليه تعالى وحده استقرار العباد أي لا يتوجهون إلا إلى حيث أمرهم الله من مقام حسابه أو إلى حكمه استقرار أمرهم فإن الملك يومئذٍ لله فهو كقوله ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۝٨﴾ [العلق: ٨] ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ۝٤٢﴾ [النجم: ٤٢] وإليه ترجعون أي إلى حيث لا حاكم ولا مالك سواه أو إلى مشيئته موضع قرارهم يدخل من يشاء الجنة ومن يشاء النار، فيكون المستقر اسم مكان وهو مرفوع بالابتداء وإلى ربك خبره ويومئذٍ معمول إلى ربك ولا يجوز أن يكون معمول المستقر لأنه إن كان مصدراً بمعنى الاستقرار فلا يتقدم معموله عليه وإن كان اسم مكان فلا عمل له البتة وكذا الكلام في قوله ﴿**إلى ربك يومئذٍ**﴾ المساق ونحوه.

﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَـٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾ بَلِ ٱلْإِنسَـٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾ لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَـٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾﴾.

﴿**ينبأ الإنسان يومئذٍ**﴾ أي يخبر كل امرىء براً كان أو فاجراً عند وزن الأعمال وحال العرض والمحاسبة والمخبر هو الله أو الملك بأمره أو كتابه ينشره ﴿**بما قدم**﴾ أي عمل من عمل خيراً كان أو شراً فيثاب بالأول ويعاقب بالثاني. ﴿**وأخر**﴾ أي: لم يعمل خيراً كان أو شراً فيعاقب بالأول ويثاب بالثاني أو بما قدم من حسنة أو سيئة وبما أخر من حسنة أو سيئة فعمل بها بعده أو بما قدم من مال تصدق به في حياته وبما أخر فخلفه أو وقفه أو أوصى به أو بأول عمله وآخره.

شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري قدس سره: فرموده كه كناه ازپيش فرستي بجرأت ومال ازپس بكذارى بحسرت كناه رابتوبه نيست كن تاناند ومال را بصدقه پيش فرست تابماند.

كرفرستى زپيش به باشد كه بحرست زپس نكاه كنى

وفي الحديث: «ما منكم من أحد إلا سيكلمه ربه ليس بينه وبينه ترجمان ولا حجاب يحجبه فينظر أيمن منه فلا يرى إلا ما قدم من عمله وينظر أشأم منه فلا يرى إلا ما قدم وينظر بين يديه فلا يرى إلا النار تلقاء وجهه فاتقوا النار ولو بشق تمرة».

﴿**بل الإنسان على نفسه بصيرة**﴾ الإنسان مبتدأ وبصيرة خبره، وعلى نفسه متعلق ببصيرة بتقدير على أعمال نفسه والموصوف محذوف أي بل هو حجة بصيرة وبينة واضحة على أعمال نفسه شاهدة جوارحه وأعضاؤه بما صدر عنه من الأفعال السيئة كما يعرب عنه كلمة على، وما سيأتي من الجملة الحالية ووصفت بالبصارة مجازاً في الإسناد كما وصفت الآيات بالأبصار في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَـٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾ [النمل: ١٣] أو عين بصيرة أو ذو بصيرة أو التاء للمبالغة كما في علامة ونسابة ومعنى بل الترقي أي ينبأ الإنسان بأعماله بل هو لا يحتاج إلى أن يخبره غيره فإنه يومئذٍ عالم بتفاصيل أحواله شاهد على نفسه لأن جوارحه تنطق بذلك، قال القاشاني: بل الإنسان حجة بينة يشهد بعلمه لبقاء هيئة أعماله المكتوبة عليه في نفسه ورسوخها في ذاته وصيرورة صفاته صور أعضائه فلا حاجة إلى أن ينبأ من خارج.

باش ناز صدمهٔ صور سرافيلي شود صورت خوبت نهان وسيرت زشت آشكار

﴿**ولو ألقى معاذيره**﴾ حال من المستكن في بصيرة أو من مرفوع ينبأ أي هو بصيرة على نفسه تشهد عليه جوارحه وتقبل شهادتها ولو جاء بكل معذرة يمكن أن يعتذر بها عن نفسه ويجادل عنها بأن يقول مثلاً لم أفعل أو فعلت لأجل كذا أو لم أعمل أو وجد مانع أو كنت فقيراً ذا عيال أو خفت فلاناً أو طمعت في عطائه إلى غير ذلك من المعاذير الغير النافعة.

چه چندين عذر انكيزى وچندين حيله هاسازى
جوميانى كه ميدانم وميدانم كه ميداني

أو ينبأ بأعماله ولو اعتذر بكل عذر في الذب عنها فإن الذب والدفع لا رواج له يومئذٍ لأنه يوم ظهور الحق بحقيقته والمعاذير اسم جمع للمعذرة كالمناكير اسم جمع للمنكر وقيل: جمع معذار وهو الستر بلغة أهل اليمن أي ولو أرخى ستوره، يعني: أن احتجابه واستتاره عن المخلوقات في حال مباشرة المعصية في الدنيا لا يغني عنه شيئاً لأن عليه من نفسه بصيرة ومن الحفظة شهوداً وفي «الكشاف» لأنه يمنع رؤية المحتجب كما تمنع المعذرة عقوبة المذنب ﴿لا

تحرك به﴾ أي: بالقرآن **﴿لسانك﴾** ما دام جبريل يقرأ ويلقي عليك **﴿لتعجل به﴾** أي بأخذه أي لتأخذه على عجلة مخافة يتفلت.

﴿إن علينا جمعه﴾ في صدرك بحكم الوعد بحيث لا يخفى عليك شيء من معانيه **﴿وقرآنه﴾** بتقدير المضاف أي إثبات قراءته في لسانك بحيث تقرأه متى شئت فالقرآن مصدر بمعنى القراءة كالغفران بمعنى المغفرة مضاف إلى مفعوله والقرآن ضم الحروف والكلمات بعضها إلى بعض في الترتيل وليس يقال ذلك لكل جمع لا يقال قرأت القوم إذا جمعتهم.

﴿فإذا قرأناه﴾ أي أتممنا قراءته عليك بلسان جبريل وإسناد القراءة إلى نون العظمة للمبالغة في إيجاب التأني **﴿فاتبع قرآنه﴾** أي: فاشرع فيه بعد فراغ جبريل منه لا مهلة وقال ابن عباس رضي الله عنهما، فإذا جمعناه وأثبتناه في صدرك فاعمل به وقال الواسطي رحمه الله جمعه في السر وقرآنه في العلانية.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾ كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْآخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾.

﴿ثم إن علينا بيانه﴾ أي: بيان ما أشكل عليك من معانيه وأحكامه سمي ما يشرح المجمل والمبهم من الكلام بياناً لكشفه عن المعنى المقصود إظهاره، وفي ثم دليل على أنه يجوز تأخر البيان عن وقت الخطاب لا عن وقت الحاجة إلى العمل لأنه تكليف بما لا يطاق قال أهل التفسير: كان عليه السلام إذا لقن الوحي نازع جبريل القراءة ولم يصبر إلى أن يتمها مسارعة إلى الحفظ وخوفاً من أن يفلت منه فأمر بأن يستنصت له ملقياً إليه قلبه وسمعه حتى يقضي إليه الوحي كما قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ﴾ [طه: ١١٤] ثم يقضيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه، وعن بعض العارفين أنه قال: فيه إشارة إلى صحة الأخذ عن الله بواسطة كأنه تعالى يقول خذه عن جبريل كأنك ما علمته إلا منه ولا تسابق بما عندك منا من غير واسطة وأكابر المحققين يسمون هذه الجهة التي هي عدم الوسائط بالوجه الخاص والفلاسفة ينكرون هذا الوجه ويقولون لا ارتباط بين الحق والموجودات إلا من جهة الأسباب والوسائط فليس عندهم أن يقول الإنسان أخبرني ربي أي بلا واسطة وهم مخطئون في هذا الحكم فإنه لما كان ارتباط كل ممكن بالحق من حيث الممكن من جهتين جهة الوحدة، وجهة الكثرة وجب أن تكون جهة الوحدة بلا واسطة وهو الوجه الخاص، وجهة الكثرة بواسطة وهو الوجه العام ولما كان نبينا عليه السلام، أكمل الخلق في جهة الوحدة لكون أحكام كثرته وإمكانه مستهلكة بالكلية في وحدة الحق وأحكام وجوبه كان يأخذ عن الله بلا واسطة، أي: من الوجه الخاص وكان ينطبع في قلبه ما يريد الحق أن يخبره به فإذا جاءه الكلام من جهة الوسائط أي من الوجه العام بصور الألفاظ والعبارات التي استدعتها أحوال المخاطبين كان يبادر إليه بالنطق به لعلمه بمعناه بسبب تلقيه إياه من حيث اللاواسطة لينفس عن نفسه ما يجده من الكربة والشدة التي يلقاها مزاجه من التنزل الروحاني فإن الطبيعة تنزعج من ذلك للمباينة الثابتة بين المزاج وبين الروح الملكي فعرف الحق نبينا عليه السلام أن القرآن وإن أخذته عنا من حيث معناه بلا واسطة فإن إنزالنا إياه مرة أخرى من جهة الوسائط يتضمن فوائد زائدة منا مراعاة إفهام المخاطبين به، لأن الخلق المخاطبين بالقرآن حكم ارتباطهم بالحق إنما هو من جهة سلسلة الترتيب والوسائط كما هو الظاهر بالنسبة إلى أكثرهم فلا يفهمون عن الله إلا من تلك الجهة،

ومنها معرفتك اكتساء تلك المعاني العبارة الكاملة وتستجلي في مظاهرها من الحروف والكلمات فتجمع بين كمالاته الباطنة والظاهرة فيتجلى بها روحانيتك وجسمانيتك ثم يتعدى الأمر منك إلى أمتك فيأخذ كل منهم حصته منه علماً وعملاً ففي قوله تعالى: ﴿**لا تحرك به لسانك**﴾ .. الخ. تعليم وتأديب أما التعليم فما أشير إليه من أن باب جهة الوحدة مسدود على أكثر الناس فلا يفهمون عن الله إلا من الجهة المناسبة لحالهم وهي جهة الوسائط والكثرة الإمكانية، وأما التأديب فإنه لما كان الآتي بالوحي من الله جبريل فمتى بودر بذكر ما أتى به كان كالتعجيل له وإظهار الاستغناء عنه وهذا خلل في الأدب بلا شك سيما مع المعلم المرشد ومن هذا التقرير عرف أن قوله تعالى: ﴿**لا تحرك به**﴾ .. الخ واقع في البين بطريق الاستطراد فإنه لما كان من شأنه عليه السلام، الاستعجال عند نزول كل وحي على ما سبق من الوجه ولم ينه عنه إلى أن أوحي إليه هذه السورة من أولها إلى قوله: ﴿**ولو ألقى معاذيره**﴾ وعجل في ذلك كسائر المرات نهى عنه بقوله: ﴿**لا تحرك**﴾ الخ ثم عاد الكلام إلى تكملة ما ابتدىء به من خطاب الناس ونظيره ما لو ألقى المدرس على الطالب مسألة وتشاغل الطالب بشيء لا يليق بمجلس الدرس فقال: ألقِ إلي بالك وتفهم ما أقول ثم كمل المسألة.

يقول الفقير أيده الله القدير: لاح لي في سر المناسبة وجه لطيف أيضاً وهو أن الله تعالى بين قبل قوله: ﴿**لا تحرك به**﴾ .. الخ. جمع العظام ومتفرقات العناصر التي هي أركان ظاهر الوجود ثم انتقل إلى جمع القرآن وأجزائه التي هي أساس باطن الوجود فقال بعد قوله: ﴿**أيحسب الإنسان أن لن نجمع عظامه إن علينا جمعه**﴾ فاجتمع الجمع بالجمع والحمد لله تعالى وقد تحير طائفة من قدماء الروافض خذلهم الله تعالى حيث لم يجدوا المناسبة فزعموا أن هذا القرآن غير وبدل وزيد فيه ونقص.

وفي «التأويلات النجمية»: اعلم أن كل ما استعد لإطلاق الشيئية عليه فله ملك وملكوت لقوله تعالى: ﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، والقرآن أشرف الأشياء وأكملها فله أيضاً ملك وملكوت فأما ملكه فهو الأحكام والشرائع الظاهرة التي تتعلق بمصالح الأمة من العبادات المالية والبدنية والجنايات والوصايات وأمثالها وأما ملكوته فهو الأسرار الإلهية والحقائق اللاهوتية التي تتعلق ببواطن خواص الأمة وأخص الخواص بل بخلاصة أخص الخواص من المكاشفات والمشاهدات السرية والمعاينات الروحية ولكل واحد من الملك والملكوت مدركات يدرك بها لا غير لأن الوجدانيات والذوقيات لا تسعها ألسنة العبارات لأنها منقطع الإشارات فقوله ﴿**لا تحرك**﴾ .. الخ يشير إلى عدم تعبيره بلسان الظاهر عن أسرار الباطن والحقائق الآبية عن تصرف العبارات فيها بالتعبير عنها وأن مظهره الجامع جامع بين ملك القرآن وملكوته وهو عليه السلام، يتبع بظاهره ملكه وبباطنه ملكوته نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المتبعين للقرآن في كل زمان.

﴿**كلا**﴾ عود إلى تكملة ما ابتدىء به الكلام يعني نه چنانست أي آدميان كه كمان برده آيد درامر عقبى ﴿**بل تحبون العاجلة**﴾ أي: الدنيا يعني دنياي شتاب كننده را ﴿**وتذرون الآخرة**﴾ فلا تعملون لها بل تنكرونها.

وفي «التأويلات النجمية»: تحبون نعمة شهوة الدنيا وتذرون نعمة خمول الآخرة والخطاب للأمة.

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾﴾

﴿وجوه يومئذٍ ناضرة﴾ النضرة طراوة البشرة وجمالها وذلك من أثر التنعم والناضر الغض الناعم من كل شيء أي وجوه كثيرة وهي وجوه المؤمنين المخلصين يوم إذ تقوم القيامة بهية متهللة يشاهد عليها نضرة النعيم ورونقه كما قال تعالى في آية أخرى ﴿تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾ [المطففين: ٢٤] على أن وجوه مبتدأ وناضرة خبره ويومئذٍ منصوب بناضرة وصحة وقوع النكرة مبتدأ لأن المقام مقام تفصيل.

﴿إلى ربها ناظرة﴾ قوله ناظرة خبر ثان للمبتدأ وإلى ربها متعلق بها والنظر تقليب البصر والبصيرة لإدراك الشي ورؤيته، والمراد بنظر الوجوه نظر العيون التي فيها بطريق ذكر المحل وإرادة الحال وهذا عند أهل القال وأما عند أهل الحال فلا ينحصر النظر في البصر وإلا جاء القيد والله منزه عن ذلك بل ينقلب الباطن ظاهراً والظاهر بصراً بجميع الأجزاء فيشاهد الحق به كما يشاهد بالبصيرة في الدنيا والآخرة عالم اللطافة ولذا لا حكم للقالب والجسد الظاهر هنا وإنما الحكم للقلب والروح الظاهر صور الأعضاء بهما فاعرف جداً.

بزركى را برسيد ندكه:

راه ازدكام جانب است كفت ازجانب تونيست
چون ازتو دركذشتى از همه جانبها راهست
چون بصديقان بپاكردند وزان ره ساختند
جزيدل رفتن دران ره يك قدم را بارنيست

والمعنى: أن الوجوه تراه تعالى عياناً مستغرقة في مطالعة جماله بحيث تغفل عما سواه وتشاهده تعالى، بلا كيف ولا على جهة وحق لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق.

مثل مؤمن مثل بازاست بازرا چون بكيرند وخواهندكه شايستهء دست شاه كردد مدتي چشم أو بدون وزند بندى برپايش نهند در خانهء تاريك باز دارند از جفتش جدا كنند يك چندى بكر سنكيش مبتلى كنندنا ضعيف ونحيف كردد ووطن خويش فراموش كند وطبع كذا شتكى دست بدارد آنكه بعاقبت چشمش بكشايند شمعي پيشر وى بيفروزند طبلى از بهروي بزنند طعمهء كوشت پيش وى نهند وست شاه مقروي شازند باخود كويد دركل عالم كرا بود اين كرامت كه مراست شمع پيش ديدهء من آواز طبل نواى من كوشت مرغ طعمهء من دست شاه جاي من بر مثال اين حال چون خوانندكه بندهء مؤمن راحلهء خلت پوشانند وشراب محبت نوشانند باوى همين معاملت كنند مدتي در چهار ديوار لحد باز دارند كيرايى از دست وروايى زد قدم بستانند بينايى از ديده بردارند روز كارى برين صفت بكذارند آنكه ناكاه طبل قيامت بزنند بنده از خاك لحد سر برآرد چشم بكشايد نور بهشت بيند دنيا فراموش كند شراب وصل نوش كند بر مائدهء خلد بنشنيد چنانچه آن باز چشم بازكند خودرا بردست شاه بيند بندهء مؤمن چشم بازكند خودرا فقعد صدق بيند سلام ملك شنود ديدار ملك بيتد ميان طوبى وزلفى وحسنى شادان ونازان در جلال وجمال حق نكران اينست كه رب العالمين كفت.

وليس هذا في جميع الأحوال حتى ينافيه نظرها إلى غيره من الأشياء الكثيرة والأولى أن التقديم للاهتمام ورعاية الفاصلة؛ لأن التقييد ببعض الأحوال تقييد بلا دليل ومناف لمقام المدح

المقتضي لعموم الأحوال وغير مناسب لقوله: ﴿**وجوه يومئذٍ ناضرة**﴾ لعمومه في الأحوال ولو سلم فالاختصاص ادعائي فإن النظر إلى غيره في جنب النظر إليه لا يعد نظراً بل هو بمنزلة العدم كما في قوله: زيد الجواد هكذا قالوا ولكن من أهل الجنة من فاز بالتجلي الذاتي الأبدي الذي لا حجاب بعده ولا مستقر للكمل دونه وهو الذي أشار إليه عليه السلام بقوله: «صنف من أهل الجنة لا يستتر الرب عنهم ولا يحتجب» وكان يذكره أيضاً في دعائه ويقوله: «وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم أبداً دائماً سرمداً دون ضراء مضرة ولا فتنة مضلة» فالضراء المضرة حصول الحجاب بعد التجلي والتجلي بصفة تستلزم سدل الحجب والفتنة المضلة كل شبهة توجب خللاً أو نقصاً في العلم والشهود.

آورده اند اورا دهريك ازاوتاد اين كلما تست اللهم إني أسألك النظرة إلى وجهك الكريم هركس ببهشت آرزويى دارد وعاشق جز آروزى ديدن ديدارندارد پير طريقت كفت بهرهٔ عارف دربهشت سه چيزاست سماع وشراب وديدار سماع راكفت.

﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] شراب راكفت ﴿وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] ديدار كفت ﴿**وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ سماع بهرهٔ كوش شراب بره لب ديدار بهرهٔ ديده سماع واجدانرا شراب عاشقا نرا ديدار محبا نرا سماع طرب افزايد شراب زبان كشايد ديدار صفت ربايد سماع مطلوب را نقد كند شراب را زجلوه كند ديدار عارف را فرد كند سماع را هفت اندام رهى كوش چون ساقي اوست شراب همه نوش ديداررا زير هرموى ديدهٔ روشن.

ثم إن جميع أهل السنة حملوا هذه الآية على أنها متضمنة رؤية المؤمنين لله تعالى بلا تكييف ولا تحديد ولا يصح تأويل من قال لا ضرر بها ونحوه، وجعله الزمخشري كناية عن معنى التوقع والرجاء على معنى أنهم لا يتوقعون النعمة والكرامة إلا من ربهم كما كانوا في الدنيا لا يخشون ولا يرجون إلا إياه، وجوابه أنه لا يعدل إلى الكناية بلا ضرورة داعية إليها وهي ههنا مفقودة فالأحاديث الصحيحة تدل على تعين جانب الحقيقة وأما قوله عليه السلام: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه» حيث أن المعتزلة قالوا: إن الرداء حجاب بين المرتدي والناظرين فلا تمكن الرؤية فجوابه أنهم حجبوا عن أن المرتدي لا يحجب عن الحجاب، إذ المراد بالوجه الذات وبرداء الكبرياء هو العبد الكامل المخلوق على الصورة الجامعة للحقائق الإمكانية والإلهية، يعني رداء كبرياء نفس مظهرست ومشاهدهٔ ذات بدون مظهري محالست.

والرداء هو الكبرياء وإضافته للبيان والكبرياء رداؤه الذي يلبسه عقول العلماء بالله للتفهيم فلا رداء هناك حقيقة فالرتبة الحجابية باقية أبداً وهي رتبة المظهر لأنها كالمرآة وأما قوله عليه السلام: «حين سئل هل رأيت ربك ليلة المعراج» فقال: «نور أنى أراه» فمعناه أن النور المجرد لا تمكن رؤيته، يعني إنما تتعذر الرؤية والإدراك باعتبار تجرد الذات عن المظاهر والنسب والإضافات فأما في المظاهر ومن وراء حجابية المراتب فالإدراك ممكن ومن المعتزلة من فسر النظر بالانتظار وجعل قوله إلى اسماً مفرداً بمعنى النعمة مضافاً إلى الرب جمعه آلاء فيكون مفعولاً مقدماً لقوله ﴿**ناظرة**﴾ بمعنى منتظرة والتقدير وجوه يومئذ منتظرة نعمة ربها ورد بأن

الانتظار لا يسند إلى الوجه سواء أريد به المعنى الحقيقي، أو أريد به العين بطريق ذكر المحل وإرادة الحال وتفسير الوجه بالذات وجملة الشخص خلاف الظاهر وبأن الانتظار لا يعدى بإلى إن جعل حرفاً وأخذه بمعنى النعمة في هذا المقام يخالف المعقول لأن الانتظار يعد من الآلام ونعيم الجنة حاضر لأهلها ويخالف المنقول أيضاً وهو أنه عليه السلام قال: «أدنى أهل الجنة منزلة من ينظر إلى جنانه وأزواجه ونعيمه وخدمه وسريره مسيرة ألف سنة» يعني تاهزال ساله راه آنرا ببيند وأكرمهم على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية يعني: بمقدار الزمان ثم قرأ عليه السلام ﴿**وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة**﴾ فقد فسر النظر بنظر العين والرؤية فظهر أن المخالف اتبع رأيه وهواه.

وروي أنه عليه السلام نظر إلى القمر ليلة البدر، فقال: «إنكم سترون ربكم كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته» وهو بفتح التاء وتشديد الميم من الضم، أصله لا تتضامون، أي: لا ينضم بعضكم إلى بعض ولا يقول أرنيه بل كل ينفرد برؤيته وروي بتخفيف الميم من الضيم وهو الظلم فتكون التاء حينئذٍ مضمومة يعني لا ينالكم ظلم بأن يرى بعضكم دون بعض بل تستوون كلكم في رؤيته تعالى وهذا حديث مشهور تلقته الأمة بالقبول، ومعنى التشبيه فيه تشبيه الرؤية بالرؤية في الوضوح لا تشبيه المرئي بالمرئي فثبت أن المؤمنين يرونه بغير كيف ولا كم وضرب من مثال فينسون النعيم إذ رأوه فيا خسران أهل الاعتزال وسئل مالك بن أنس رضي الله عنهما عن قوله تعالى: ﴿**إلى ربها ناظرة**﴾ وقيل له إن قوماً يقولون إلى ثوابه فقال مالك كذبوا فأين هم عن قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾ [المطففين: ١٥] ثم قال الناس ينظرون إلى الله بأعينهم ولو لم ير المؤمنون ربهم يوم القيامة لم يعذب الله الكفار بالحجاب وقال صاحب «العقد الفريد» ومن اعتقد غير هذا فهو مبتدع زنديق وقد يشهد للمطلوب ويرد دعوى أهل البدعة أن الرؤية هي اللذة الكبرى فكيف يكون المؤمنون محرومين منها والدار دار اللذة فينبغي للمؤمن أن تكون همته من نعم الجنة نعمة اللقاء فإن غيرها نعم بهيمية مشتركة.

قال بعض العارفين: دلت الآية على أن القوم ينظرون إلى الله تعالى في حال الصحو والبسط لأن النضرة من أمارات البسط فلا يتداخلهم حياء ولا دهشة وإلا لتنغص عيشهم بل لو عاينوه بوصف الجلال الصرف لهلكوا في أول سطوة من سطواته فهم يرونه في حال الإنس بنوره بل به يرونه وهنالك وجود العارف كله عين يرى حبيبه بجميع وجوده وتلك العيون مستفادة من تجلي الحق فقوم لهم بالنظر من نفسه إلى نفسه ويظهر سر الوحدة بين العاشق والمعشوق والرؤية تقتضي بقاء الرائي، وهو من مقتضيات عالم الصفات واستهلاك العبد في وجود الحق أتم كما هو مقتضى عالم الذات.

قال النصر أبادي قدس سره: من الناس ناس طلبوا الرؤية واشتاقوا إليه تعالى ومنهم العارفون الذين اكتفوا برؤية الله لهم فقالوا رؤيتنا ونظرنا فيه علل ورؤيته ونظره بلا علة فهو أتم بركة وأشمل نفعاً وقال بعضهم: القرب المذكور في قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦] هو الذي منع الخلق عن الإدراك للحق كما أن الهواء لما كان مباشر الحاسة البصر لم يدركه البصر وكذلك الماء إذ غاص الغائص فيه وفتح عينيه يمنعه قربه من حاسة بصره أن يراه والحق أقرب إلى الإنسان من نفسه فكان لا يرى لقربه كما أنه تعالى لا يرى لبعده وعلو ذاته أين التراب من رب الأرباب ولكن إذا أراد العبد أن يراه تنزل من علوه ورفع عبده إلى

رؤيته فرآه به ولذلك قال عليه السلام: «إنكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر» وهما في شأنهما متوسطان في القرب والبعد فغاية القرب حجاب كما أن غاية البعد حجاب والكل يراه في الدنيا لا يعرف أنه هو وفرق بين العارف وغيره ألا ترى أنه إذا كان في قلبك لقاء شخص وأنت لا تعرفه بعينه فلقيك وسلم عليك وأنت لم تعرفه فقد رأيته وما رأيته كالسلطان إذا دار في بلده متنكراً، فإنه يراه كثير من الناس ولا يعرفه ثم إن منهم من يقول لم يتيسر لي رؤية السلطان إلى الآن وأنا أريد أن أنظر إليه مع أنه نظر إليه مراراً، فهو في حال بصره أعمى فما أشد حجابه ثم إنه لو اتفق له النظر إليه فربما لا يتعمق ففرق بين ناظر وناظر بحسب حدة بصره وضعفه ولذا قالوا: إنما تفاوتت الأفراد في حضرة الشهود مع كونهم على بساط الحق الذي لا نقص فيه لأنهم إنما يشهدون في حقائقهم ولو شهدوا عين الذات لتساووا في الفضيلة.

وقال بعض العارفين: الخلق أقرب جار للحق تعالى وذلك من أعظم البشرى فإن للجار حقاً مشروعاً معروفاً يعرفه العلماء بالله فينبغي لكل مسلم أن يحضر هذا الجوار الإلهي عند الموت حين يطلب من الحق ما يستحقه الجار على جاره من حيث ما شرع قال تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿قَٰلَ رَبِّ ٱحْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنبياء: ١١٢] أي الحق الذي شرعته لنا تعاملنا به حتى لا ننكر شيئاً منه مما يقتضيه الكرم الإلهي فهو دعاء افتقار وخضوع وذل.

حكي أن الحجاج أراد قتل شخص فقال له لي إليك حاجة قال ما هي قال أريد أن أمشي معك ثلاث خطوات ففعل الحجاج فقال الشخص حق هذه الصحبة أن تعفو عني فعفا عنه.

﴿ووجوه يومئذٍ﴾ يتعلق بقوله: **﴿باسرة﴾** أي شديدة العبوس مظلمة ليس عليها أثر السرور أصلاً وهي وجوه الكفرة والمنافقين، وقال الراغب: البسر الاستعجال بالشيء قبل أوانه فإن قيل فقوله: **﴿وجوه يومئذٍ باسرة﴾** ليس يفعلون ذلك قبل الموت وقد قلت إن ذلك يقال فيما كان قبل وقته قيل: إن ذلك إشارة إلى حالهم قبل الانتهاء بهم إلى النار فخص لفظ البسر تنبيهاً على أن ذلك مع ما ينالهم من بعد يجري مجرى التكلف ومجرى ما يفعل قبل ومنه ويدل على ذلك قوله تعالى:

﴿تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿تظن﴾ تتوقع أربابها بحسب الأمارات والجملة خبر بعد خبر ورجح أبو حيان والطيبي تفسير الظن بمعنى اليقين ولا ينافيه أن المصدرية كما توهم فإنها إنما لا تقع بعد فعل التحقق الصرف فأما بعد فعل الظن أو ما يؤدي معنى العلم فتجيء المصدرية والمشددة والمخففة نص عليه الرضي. **﴿أن يفعل بها فاقرة﴾** داهية عظيمة تقصم فقار الظهر ومنه سمي الفقير فإن الفقر كسر فقار ظهره فجعله فقيراً، أي مفقوراً وهو كناية عن غاية الشدة وعدم القدرة على التحمل فهي تتوقع ذلك كما تتوقع الوجوه الناضرة أن يفعل بها كل خير بناء على أن قضية المقابلة بين الآيتين تقتضي ذلك قال بعضهم: أصح آنست كه آن بلا حجابست ازرؤيت رب الأرباب.

مصراع كه از فراق بتردر جهان بلايى نيست.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿وجوه يومئذٍ ناضرة إلى ربها ناظرة﴾** لا إلى غيره بسبب الإعراض عن الدنيا في هذا اليوم والإقبال على الله **﴿ووجوه يومئذٍ باسرة﴾**. تظن أن يفعل بها

فاقرة بسبب الإقبال على الدنيا في هذا اليوم والإدبار عن الله جزاء وفاقاً، وقال بعضهم: ﴿وجوه يومئذٍ ناضرة﴾ للتنور بنور القدس والاتصال بعالم النور والسرور والنعيم الدائم ﴿ووجوه يومئذٍ باسرة﴾ كالحة لجهامة هيئاتها وظلمة ما بها من الجحيم والنيران وسماجة ما تراه هنالك من الأهوال وسوء الجيران.

﴿كلا﴾ ردع عن إيثار العاجلة على الآخرة أي ارتدعوا عن ذلك وتنبهوا لما بين أيديكم من الموت الذي ينقطع عنده ما بينكم وبين العاجلة من العلاقة ﴿إذا بلغت التراقي﴾ الضمير للنفس وإن لم يجر لها ذكر لأن الكلام الذي وقعت فيه يدل عليها وتقول العرب أرسلت يريدون جاء المطر ولا تكاد تسمعهم يذكرون السماء أي إذا بلغت النفس الناطقة وهي الروح الإنساني أعالي الصدر وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر عن يمين وشمال فإذا بلغت إليها يكون وقت الغرغرة وبالفارسية چون برسد روح باستخوا نهاي سينه وكردن.

وفي «كشف الأسرار»: وقت كه جان بچنبر كردن رسد.

جمع ترقوة بفتح التاء والواو وسكون الراء وضم القاف قال في «القاموس» الترقوة ولا تضم تاؤه العظم بين ثغرة النحر والعاتق انتهى.

والعاتق موضع الرداء من المنكب، قال بعضهم: لكل أحد ترقوتان ولكن جمع التراقي باعتبار الأفراد وبلوغ النفس التراقي كناية عن عدم الإشفاء يعني بكنارهٔ اورسيدن ونزديك شدن.

والعامل في إذا بلغت معنى قوله ﴿إلى ربك يومئذٍ المساق﴾ أي إذا بلغت النفس الحلقوم رفعت وسيقت إلى الله أي إلى موضع أمر الله أن ترفع إليه.

﴿وقيل من راق﴾ معطوف على بلغت وقف حفص على من وقفة يسيرة من غير تنفس قال بعضهم: لعل وجهه استثقال الراء المشددة التي بعدها قاف غليظة تلفظ في الإدغام واستكراه القطع التام بين المبتدأ والخبر والاستفهام والمستفهم عنه في النفس والفرار من الإظهار دون سكتة لأنه يعد من اللحن عند اتصال النون الساكنة بالراء بين أهل القراءة وقال من حضر صاحبها من يرقيه يعني افسون ميكنند.

وينجيه مما هو فيه من الرقية وهو التعويذ بما به يحصل الشفاء كما يقال بسم الله أرقيك وفعله من باب ضرب والاستفهام على هذا يحتمل أن يكون بمعنى الطلب كأن الذين حول ذلك الإنسان طلبوا له طبيباً يعالجه وراقياً يرقيه ويحتمل أن يكون استفهاماً بمعنى الإنكار كما يقال عند اليأس من الذي يقدر أن يرقي هذا الإنسان المشرف على الموت وهو الظاهر كما قال الراغب: من راق أي من يرقية تنبيهاً على أنه لا راقي يرقيه فيحييه وذلك إشارة إلى نحو ما قال:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع

التميمة: خرزات كان العرب يعلقونها على أولادهم خوفاً من العين وهو باطل لقوله عليه السلام: من علق تميمة فقد أشرك وإياها أراد صاحب البيت المذكور وقيل: هو من كلام ملائكة الموت، يقولون أيكم يرقى بروحه ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب من الرقى، وفعله من باب علم وقوله: ملائكة الرحمة لا يمانعه قوله ﴿فلا صدق ولا صلى﴾ الآيات لأن الضمير فيه لجنس الإنسان فلا يتعين كون المحتضر من أهل النار. قال الكلبي: يحضر العبد عند

الموت سبعة أملاك من ملائكة الرحمة، وسبعة من ملائكة العذاب مع ملك الموت فإذا بلغت نفس العبد التراقي نظر بعضهم إلى بعض أيهم يرقى بروحه إلى السماء فهو قوله: ﴿من راق﴾ وقال ابن عباس رضي الله عنهما إن الملائكة يكرهون القرب من الكافر فيقول ملك الموت من يرقى بروح هذا الكافر.

﴿وظن أنه الفراق﴾ وأيقن المحتضر حين عاين ملائكة الموت ما نزل به هو الفراق من الدنيا المحبوبة ونعيمها التي ضيع العمر النفيس في كسب متاعها الخسيس وعبر عما حصل له من المعرفة حينئذٍ بالظن لأن الإنسان ما دامت روحه متعلقة ببدنه فإنه يطمع في الحياة لشدة حبه لهذه الحياة العاجلة ولا ينقطع رجاؤه عنها فلا يحصل له يقين الموت بل ظنه الغالب على رجاء الحياة قال الإمام هذه الآية تدل على أن الروح جوهر قائم بنفسه باق بعد موت المعدن لأن الله تعالى سمى الموت فراقاً والفراق إنما يكون إذا كانت الروح باقية فإن الفراق والوصال صفة وهي تستدعي وجود الموصوف.

قال المزني: دخلت على الشافعي في مرض موته فقلت: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت من الدنيا راحلاً وللإخوان مفارقاً ولسوء عملي ملاقياً ولكأس المنية شارباً وعلى الله وارداً فلا أدري أروحي تصير إلى الجنة فأهنيها أم إلى النار فأعزيها ثم أنشأ يقول:

ولما قسا قلبي وضاقت مذاهبي جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربي كان عفوك أعظما

وقال بعضهم:

فراق ليس يشبهه فراق قد انقطع الرجاء عن التلاق

وفي الحديث: «إن العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وإن مفاصله ليسلم بعضها على بعض يقول السلام عليك أفارقك وتفارقني إلى يوم القيامة». قال الشيخ سعدي:

كوس رحلت بكوفت دست أجل أي در چشم ودع سر بكنيد
أي كف ودست وساعد وبازو همه توديع يكدكر بكنيد
بر من افتاده مرك دشمن كام آخر أي دوستان كذر بكنيد
روز كارم بشد بناداني من نكردم از شما حذر بكنيد

قال يحيى بن معاذ رحمه الله إذا دخل الميت القبر قام على شفير قبره أربعة أملاك واحد عند رأسه والثاني عند رجليه والثالث عن يمينه والرابع عن يساره فيقول الذي عند رأسه يا ابن آدم أرفضت الآجال أي تفرقت وأنصيت الآمال أي هزلت ويقول الذي عن يمينه ذهبت الأموال وبقيت الأعمال ويقول الذي عن يساره ذهبت الأشغال وبقي الوبال ويقول الذي عند رجليه طوبى لك إن كان كسبك من الحلال وكنت مشتغلاً بخدمة ذي الجلال.

﴿والتفت الساق بالساق﴾ الالتفاف برهم پيچيدن، أي والتفت ساقه بساقه والتوت عليها عند قلق الموت فالساق العضو المخصوص والتفافهما اجتماعهما والتواء إحداهما بالأخرى أو التفت شدة فراق الدنيا بشدة إقبال الآخرة على أن الساق مثل في الشدة وجه المجاز الإنسان إذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه، فقيل للأمر الشديد ساق من حيث أن ظهورها لازم لظهور ذلك الأمر قد سبق في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ [القلم: ٤٢] وعن سعيد بن المسيب هما ساقاه حين تلفان في أكفانه.

﴿إلى ربك يومئذٍ المساق﴾ أي إلى الله وإلى حكمه يساق الإنسان لا إلى غيره أي يساق إلى حيث لا حكم هناك إلا الله.

وقال الكاشفي: بسوى جزاى پرورد كارتو آروز باز كشت باشد همه كس را.

فالمساق مصدر ميمي بمعنى السوق بالفارسية راندن.

والألف واللام عوض عن المضاف إليه أي: سوق الإنسان.

﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾﴾

﴿فلا صدق﴾ الإنسان ما يجب تصديقه من الرسول والقرآن الذي نزل عليه، أي لم يصدق فلا ههنا بمعنى لم وإنما دخلت على الماضي لقوة التكرار يعني حسن دخول لا على الماضي تكراره، كما تقول: لا قام ولا قعد وقلما تقول العرب لا وحدها حتى تتبعها أخرى تقول لا زيد في الدار ولا عمرو أو فلا صدق ماله بمعنى لا زكاة فحينئذٍ يطلب وجه لترجيح الزكاة على الصلاة مع أن دأب القرآن تقديم الصلاة ولعل وجهه ما كان كفار مكة عليه من منع المساكين وعدم الحض على طعامهم في وقت الضرورة القوية وأيضاً على تأخير ولا صلى مراعاة الفواصل كما لا يخفى. ﴿ولا صلى﴾ ما فرض عليه وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة يعني أن الكافر يستحق الذم والعقاب بترك الصلاة كما يستحقها بترك الإيمان وإن لم يجب أداؤها عليه في الدنيا.

﴿ولكن كذب﴾ ما ذكر من الرسول والقرآن والاستدراك لدفع احتمال الشك فإن نفي التصديق لا يستلزم إثبات التكذيب لكون الشك بين التصديق والتكذيب فإذا لا تكرار في الآية. ﴿وتولى﴾ وأعرض عن الطاعة لله ولرسوله. ﴿ثم ذهب إلى أهله﴾ أهل بيته أو إلى أصحابه ﴿يتمطى﴾ يتبختر ويختال في مشيه افتخاراً بذلك، وبالفارسية: پس باز كشت بسوى كسان خودمى خراميد ازروى افتخاركه من چنين وچنين كارى كرده أم يعني تكذيب وتولى.

من المط وهو المد فإن المتبختر يمد خطاه يعني أن التمدد في المشي من لوازم التبختر فجعل كناية عنه فيكون أصله يتمطط بمعنى يتمدد أبدلت الطاء الأخيرة ياء كراهة اجتماع الأمثال كما في تقضي البازي أو من المطا مقصوراً وهو الظهر فإنه يلويه ويحركه في تبختره فألفه مبدلة من واو ويتمطى جملة حالية من فاعل ذهب وفي الحديث إذا مشت أمتي المطيطاء وخدمتهم فارس والروم كأن بأسهم بينهم والمطيطاء كحميراء التبختر ومد اليدين في المشي والبأس شدة الحرب ﴿أولى لك﴾ وأي برتواى إنسان مكذب ﴿فأولى﴾ پس وأي برتو.

﴿ثم أولى لك فأولى﴾ تكرير للتأكيد فهو مستعمل في موضع ويل لك مشتق من الولي وهو القرب والمراد دعاء عليه بأن يليه مكروه وأصله أولاك الله ما تكرهه واللام مزيدة كما في ردف لكم نقل الثلاثي إلى أفعل فعدي إلى مفعولين وفي «القاموس» أولى لك تهديد ووعيد أي قاربه ما يهلكه أو أولى لك الهلاك فيكون اسماً بمعنى أحرى أي الهلاك أولى وأحرى لك من كل شيء فيكون خبر مبتدأ محذوف.

وقال الكاشفي: أولى لك سزاوارست ترامركى سخت فأولى پس سزاوارست ترا عذاب

أليم در قبر ثم أولى لك پس نيك سزا وارست تراهول قيامت فأولى پس بغايت سزاست ترا خلود در دوزخ.

وروي أنه لما نزلت هذه الآية أخذ رسول الله بمجامع ثوب أبي جهل بالبطحاء وهزه مرة أو مرتين ولكزه في صدره وقال له: «أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى» فقال أبو جهل: أتوعدني يا محمد ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً وإني لأعز أهل هذا الوادي فلما كان يوم بدر صرعه الله شر مصرع وقتله أسوء قتلة أقعصه ابنا عفراء وأجهز عليه ابن مسعود رضي الله عنه وأقعصه قتله مكانه وأجهز على الجريح أثبت قتله وأسرعه وتمم عليه وكان رسول الله عليه السلام يقول: «إن لكل أمة فرعوناً وإن فرعون هذه الأمة أبو جهل».

﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿**أيحسب الإنسان أن يترك سدى**﴾ أي: يحيا حال كونه مهملاً فلا يكلف ولا يجزى وقيل أن يترك في قبره فلا يبعث والسدى المهمل يقال أسديت إبلي إسداء أي: أهملتها وتقول أسديت حاجتي وسديتها إذا أهملتها ولم تقضها وتكرير الإنكار لحسبانها يتضمن تكرير إنكاره للحشر ويتضمن الاستدلال على صحة البعث أيضاً وتقريره أن إعطاء القدرة والآلة والفعل بدون التكليف والأمر بالمحاسن والنهي عن المفاسد يقتضي كونه تعالى راضياً بقبائح الأعمال وذلك لا يليق بحكمته إذا لا بد من التكليف في الدنيا والتكليف لا يليق بالكريم الرحيم إلا لأن يميز الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المفسدين في الأرض ولا يجعل المتقين كالفجار ويجازي كل نفس بما تسعى والمجازاة قد لا تكون في الدنيا فلا بد من البعث والقيامة وإنما لم تكن الدنيا دار المجازاة لضيقها وقد قال بعض الكبار: من طلب تعجيل نتائج أعماله وأحواله في هذه الدار فقد أساء الأدب وعامل الموطن بما لا تقتضيه حقيقته.

﴿**ألم يكن نطفة من مني يمنى**﴾ الخ استئناف وارد لإبطال الحسبان المذكور فإن مداره لما كان استبعادهم للإعادة استدل على تحققها ببدء الخلق، وقال ابن الشيخ: هو استدلال على صحة البعث بدليل ثان والاستفهام بمعنى التوبيخ والنطفة بالضم الماء الصافي قل أو كثر والمني ماء الرجل والمرأة أي ما خلق منه حيوان فالحبل لا يكون إلا من الماءين ويمنى بالياء صفة مني وبالتاء صفة نطفة بمعنى يصب ويراق في الرحم ولذا سميت من كالى وهي قرية بمكة لما يمنى فيها من دماء القرابين والمعنى ألم يكن الإنسان ماء قليلاً كائناً من ماء معروف بخسة القدر واستقذار الطبع ولذا نكرهما يمنى ويصب في الرحم نبه سبحانه بهذا على خسة قدر الإنسان أولاً وكمال قدرته ثانياً حيث صير مثل هذا الشي الدني بشراً سوياً وقال بعضهم: فائدة قوله يمنى للإشارة إلى حقارة حاله كأنه قيل: إنه مخلوق من المني الذي يجري على مخرج النجاسة فكيف يليق بمثل هذا أن يتمرد عن طاعة الله فيما أمر به ونهى إلا أنه تعالى عبر عن هذا المعنى على سبيل الرمز كما في قوله تعالى في عيسى ومريم عليهما السلام كانا يأكلان الطعام والمراد منه قضاء الحاجة كناية.

﴿**ثم كان علقة**﴾ أي: ثم كان المني بعد أربعين يوماً قطعة دم جامد غليظ أحمر بقدرة الله تعالى بعد ما كان ماء أبيض كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: ١٤] وهو عطف

على قوله: ﴿ألم يك﴾ لأن إنكار عدم الكون يفيد ثبوت المكون فالتقدير كان الإنسان نطفة ثم كان علقة. ﴿فخلق﴾ أي: فقدر بأن جعلها مضغة مخلقة بعد أربعين أخرى، أي قطعة لحم قابل لتفريق الأعضاء وتمييز بعضها من بعض وجعل المضغة عظاماً تتميز بها الأعضاء بأن صلبها فكسا العظام لحماً يحسن به خلقه وتصويره ويستعد لإفاضة القوى ونفخ الروح. ﴿فسوى﴾ فعدله وكمن نشأته.

قال الكاشفي: پس رلست كردصورت واندام اورا وووح دردميد.

وفي «المفردات» جعل خلقه على ما اقتضته الحكمة الإلهية أي جعله معادلاً لما تقتضيه الحكمة وقال بعضهم: معنى التسوية والتعديل جعل كل عضو من أعضائه الزوج معادلاً لزوجه.

﴿فجعل منه﴾ أي: من الإنسان باعتبار الجنس أو من المني وجعل بمعنى خلق ولذا اكتفى بمفعول واحد وهو قوله: ﴿الزوجين﴾ أي الصنفين﴿الذكر والأنثى﴾ بدل من الزوجين ويجوز أن يكونا منصوبين بإضمار أعني ولا يخفى أن الفاء تفيد التعقيب فلا بد من مغايرة بين المتعاقبين فلعل قوله﴿فخلق فسوى﴾ محمول على مقدار مقدر من الخلق يصلح به للتفرقة بين الزوجين وقوله: ﴿فجعل منه الزوجين﴾ على التفرقة الواقعة.

﴿أليس ذلك﴾ العظيم الشأن الذي أنشأ هذا الإنشاء البديع﴿بقادر على أن يحيي الموتى﴾ وهو أهون من البدء في قياس العقل لوجود المادة وهو عجب الذنب والعناصر الأصلية.

روي أن النبي عليه السلام كان إذا قرأها قال: «سبحانك اللهم بلى» تنزيهاً له تعالى عن عدم القدرة على الإحياء وإثباتاً لوقوعها عليه، وفي رواية بلى والله بلى والله وقال ابن عباس رضي الله عنهما من قرأ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١] إماماً كان أو غيره فليقل «سبحان ربي الأعلى»، ومن قرأ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ [القيامة: ١] فإذا انتهى إلى آخرها فليقل سبحانك اللهم بلى إماماً كان أو غيره وفي الحديث: «من قرأ منكم والتين والزيتون فانتهى إلى آخرها أليس الله بأحكم الحاكمين فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ فانتهى إلى ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ [القيامة: ٤٠] فليقل سبحانك بلى، ومن قرأ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ [المرسلات: ١] فبلغ ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠] فليقل آمنا بالله». وفي الآية إشارة إلى أن الله يحيي موتى أهل الدنيا بالإعراض عنها والإقبال على الآخرة والمولى أيضاً يحيي موتى النفوس بسطوع أنوار القلوب عليها وأيضاً يحيي موتى القلوب تحت ظلمة النفوس الكافرة الظالمة بنور الروح والسر والخفي ومن أسند العجز إلى الله فقد كفر بالله نسأل الله تعالى العصمة وحسن الخاتمة.

تمت سورة القيامة بعون من له الرحمة العامة في الحادي والعشرين من ذي الحجة من سنة ست عشرة ومائة وألف

٧٦ ـ سورة الإنسان

إحدى وثلاثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾.

﴿هل أتى﴾ استفهام تقرير وتقريب فإن هل بمعنى قد والأصل أهل أتى أي قد أتى وبالفارسية آيا آمد يعني بدرستى كه آمد.

تركوا الألف قبل هل لأنها لا تقع إلا في الاستفهام وإنما لزوم أداة الاستفهام ملفوظة أو مقدرة إذا كان بمعنى قد ليستفاد التقرير من همزة الاستفهام والتقريب من قد فإنها موضوعة لتقريب الماضي إلى الحال والدليل على أن الاستفهام غير مراد أن الاستفهام على الله محال فلا بد من حمله على الخبر تقول هل وعظتك ومقصودك أن تحمله على الإقرار بأنك قد وعظته وقد يجيء بمعنى الجحد تقول وهل يقدر أحد على مثل هذا فتحمله على أن يقول لا يقدر أحد غيرك **﴿على الإنسان﴾** قبل زمان قريب والمراد جنس الإنسان لقوله **﴿من نطفة﴾** لأن آدم لم يخلق منها ثم المراد بالجنس بنو آدم أو ما يعمه وبنيه على التغليب أو نسبه حال البعض إلى الكل للملابسة على المجاز. **﴿حين من الدهر﴾** الحين زمان مطلق ووقت مبهم يصلح لجميع الأزمان طال أو قصر وفي «المفردات» الحين وقت بلوغ الشي وحصوله وهو مبهم ويتخصص بالمضاف إليه نحو ولات حين مناص ومن قال حين على أوجه للأجل والمنية وللساعة وللزمان المطلق إنما فسر ذلك بحسب ما وجده قد علق به والدهر الزمان الطويل والمعنى طائفة محدودة كائنة من الزمن الممتد وهي مدة لبثه في بطن أمه تسعة أشهر إلى أن صار شيئاً مذكوراً على ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما **﴿لم يكن﴾** فيه فالجملة صفة أخرى لحين بحذف الضمير **﴿شيئاً مذكوراً﴾** بل كان شيئاً منسياً غير مذكور بالإنسانية أصلاً نطفة في الأصلاب فما بين كونه نطفة وكونه شيئاً مذكوراً بالإنسانية مقدار محدود من الزمان وتقدم عالم الأرواح لا يوجب كونه شيئاً مذكوراً عند الخلق ما لم يتعلق بالبدن ولم يخرج إلى عالم الأجسام.

روي أن الصديق أو عمر رضي الله عنهما كما في «عين المعاني» لما سمع رجلاً يقرأ هذه الآية بكى، وقال ليتها تمت فلا شيء أراد ليت تلك تمت وهي كونه شيئاً غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف، ومعنى الاستفهام التقريري في الآية أن يحمل من ينكر البعث على الإقرار بأنه نعم أتى عليه في زمان قريب من زمان الحال حين من الدهر لم يكن فيه شيئاً مذكوراً فيقال له من أحدثه بعد أن لم يكن؟ كيف يمتنع عليه بعثه وإحياؤه بعد موته؟ وقال القاشاني: أي كان شيئاً

في علم الله بل في نفس الأمر لقدم روحه ولكنه لم يذكر فيما بين الناس لكونه في عالم الغيب وعدم شعور من في عالم الشهادة به.

وفي «التأويلات النجمية»: اعلم أن للإنسان صورة علمية غيبية وصورة عينية شهادية وهو من حيث كلتا الصورتين مذكور عند الله أزلاً وأبداً لا يعزب عن علمه مثقال ذرة لعلمه الأزلي الأبدي بالأشياء قبل إيجاد الأشياء وقبل وجوده خلق الخلق وهم معدومون في كتم العدم وعلمه بنفسه يستلزم علمه بأعيان الأشياء لأن الأشياء مظاهر أسمائه وصفاته وهي عين ذاته فافهم أي ما أتى على الإنسان حين من الأحيان وهو كان منسياً فيه بالنسبة إلى الحق وكيف وهو مخلوق على صورته وصورته حاضرة له مشهودة عنده وهل للاستفهام الإنكاري بخلاف المحجوبين عن علم المعرفة والحكمة الإلهية وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: هل أتى عليك يا إنسان وقت لم يكن الله ذاكراً لك فيه.

﴿إنا خلقنا الإنسان﴾ أي خلقناه يعني جسمه والإظهار لزيادة التقرير **﴿من نطفة﴾** حتى كان علقة في أربعين يوماً ومضغة في ثمانين ومنفوخاً فيه الروح في مائة وعشرين يوماً كما كان أبوهم آدم خلق من طين فألقي بين مكة والطائف فأقام أربعين سنة ثم من حمأ مسنون فأقام أربعين سنة أخرى ثم من صلصال فأقام أربعين سنة أخرى فتم خلقه في مائة وعشرين سنة فنفخ فيه الروح على ما جاء في رواية الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما فما كان سنين في آدم كان أياماً في أولاده وحمل بعضهم الإنسان الأول على آدم والثاني على أولاده على أن يكون الحين هو الزمن الطويل الممتد الذي لا يعرف مقداره والأول وهو حمله في كلا الموضعين على الجنس أظهر لأن المقصود تذكير الإنسان كيفية الخلق بعد أن لم يكن ليتذكر أول أمره من عدم كونه شيئاً مذكوراً أو آخر أمره من كونه شيئاً مذكوراً مخلوقاً من ماء حقير فلا يستبعد البعث كما سبق **﴿أمشاج﴾** أخلاط بالفارسية آميختها.

جمع مشج كسبب أو كتف على لغتيه أو مشيج من مشجت الشيء إذا خلطته وصف النطفة بالجمع مع إفرادها لما إن المراد بها مجموع الماءين يختلطان في الرحم ولكل منهما أوصاف مختلفة من اللون والرقة والغلظ وخواص متباينية فإن ماء الرجل أبيض غليظ فيه قوة العقد وماء المرأة أصفر رقيق فيه قوة الانعقاد فيخلق منهما الولد فأيهما علا صاحبه كان الشبه له وما كان من عصب وعظم وقوة فمن ماء الرجل وما كان من لحم ودم وشعر فمن ماء المرأة على ما روي في المرفوع وفي الخبر ما من مولود إلا وقد ذر على نطفته من تربة حفرته كل واحد منهما مشيج بالآخر.

وقال الحسن رحمه الله: نطفة مشيجة بدم وهو دم الحيض فإذا حبلت ارتفع الحيض وإليه ذهب صاحب «القاموس»، حيث قال ونطفة أمشاج مختلطة بماء المرأة ودمها انتهى فيكون النطفتان ودمها جمعاً وقال الراغب: هو عبارة عما جعل الله بالنطفة من القوى المختلفة المشار إليها بقوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً﴾ [المؤمنون: ١٣، ١٤] الآية انتهى. فيكون معنى أمشاج ألوان وأطوار على ما قال قتادة.

وفي «التأويلات النجمية»: أي من نطفة قوة القابلية الممتشجة المختلطة بنطفة قوة الفاعلية أي خلقناه من نطفة الفيض الأقدس المتعلق بالفاعل ونطفة الفيض المقدس المتعلق

بالقابل فالفيض الأقدس الذاتي بمنزلة ماء الرجل والفيض المقدس الأسمائي بمنزلة ماء المرأة ﴿نبتليه﴾ حال مقدرة من فاعل خلقنا أي مريدين ابتلاءه واختباره بالتكليف فيما سيأتي ليتعلق علمنا بأحواله تفصيلاً في العين بعد تعلقه بها إجمالاً في العلم وليظهر أحوال بعضهم لبعض من القبول والرد والسعادة والشقاوة ﴿فجعلناه سميعاً بصيراً﴾ ليتمكن من استماع الآيات التنزيلية ومشاهدة الآيات التكوينية فهو كالمسبب عن الابتلاء أي عن إرادته فلذلك عطف على الخلق المقيد به بالفاء كأنه قيل إنا خلقناه مريدين تكليفه فأعطيناه ما يصح معه التكليف والابتلاء وهو السمع والبصر وسائر آلات التفهيم والتمييز وطوى ذكر العقل لأن المراد ذكر ما هو من أسبابه والآلة التي بها يستكمل فطريقه الأول لأكثر الخلق من السعداء السمع ثم البصر ثم تفهم العقل وفي اختيار صيغة المبالغة إشارة إلى كمال إحسانه إليه وتمام إنعامه وبصيراً مفعول ثان بعد ثان لجعلناه.

وفي «التأويلات النجمية»: فجعلناه سميعاً جميع المسموعات بصيراً جميع المبصرات كما قال كنت سمعه وبصره فبي يسمع وبي يبصر فلا يفوته شيء من المسموعات ولا من المبصرات فافهم جداً يا مسكين، وقال أبو عثمان المغربي قدس سره: ابتلى الله الخلق بتسعة أمشاج ثلاث فتانات هي سمعه وبصره ولسانه وثلاث كافرات هي نفسه وهواه وعدوه الشيطان وثلاث مؤمنات هي عقله وروحه وقلبه فإذا أيد الله العبد بالمعونة قهر العقل على القلب فملكه واستأسر النفس والهوى فلم يجد إلى الحركة سبيلاً فجانست النفس الروح وجانس الهوى العقل وصارت كلمة الله هي العليا قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣].

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾﴾

﴿إنا هديناه السبيل﴾ مرتب على ما قبله من إعطاء الحواس فإنه استئناف تعليلي لجعله سميعاً بصيراً يعني أن إعطاء الحواس الظاهرة والباطنة والتحلي بها متقدم على الهداية والمعنى أريناه وعرفناه طريق الخير والشر والنجاة والهلاك بإنزال الآيات ونصب الدلائل كما قال: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾﴾ [البلد: ١٠] أي بينا له طريق الخير والشر فإن النجد الطريق الواضح المرتفع فالمراد بالهداية مجرد الدلالة لا الدلالة الموصلة إلى البغية كما في بعض التفاسير ﴿إما شاكراً وإما كفوراً﴾ حالان من مفعول هديناه قال في «الإرشاد» أي مكناه وأقدرناه على سلوك الطريق الموصل إلى البغية في حالتيه جميعاً فأما التفصيل ذي الحال فإنه مجمل من حيث الدلالة على الأحوال لا يعلم أن المراد هدايته في حال كفره أو في حال إيمانه وبالتفصيل تبين أنها تعلقت به في كل واحدة من الحالين فالشاكر الموحد والكفور الجاحد لأن الشكر الإقرار بالنعم ورأس الكفران جحوده ويقال شاكر النعمة وكفورها. قال الراغب: الكفور يقال في كافر النعمة وكافر الدين جميعاً ويجوز أن يكون إما للتقسيم بأن يعتبر ذو الحال من حيث أنه مطلق وهو اللفظ الدال على الماهية من حيث هي ويجعل كل واحد من مدخولي إما قيداً له فيحصل بالتقيد بكل منهما قسم منه أي مقسوماً إليهما بعضهم شاكر بالاهتداء والأخذ فيه وبعضهم كفور بالإعراض عنه وإيراد الكفور لمراعاة الفواصل، أي رؤوس الآي والإشعار بأن الإنسان قلما يخلو من كفران ما وإنما المؤاخذة عليه الكفر المفرط والشكور قليل منهم ولذا لم يقل إما

شكوراً وإما كفوراً وإما شاكراً وإما كافراً، والحاصل أن الشاكر والكفور كنايتان عن المثاب والمعاقب ولما لم يكن مجرد الكفران مستلزماً للمؤاخذة لم يصح أن يجعل كناية عنها بخلاف مجرد الشكر فإنه ملزوم الإثابة بمقتضى وعد الكريم فأدير أمر الإثابة على مطلق الشكر لا على المبالغة فيه كما أدير المؤاخذة على المبالغة في الكفران لا على أصله وكل ذلك بمقتضى سعة رحمة الله وسبقها على غضبه وقرأ أبو السماك بفتح الهمزة في أما وهي قراءة حسنة والمعنى أما كونه شاكراً فبتوفيقنا وأما كونه كفوراً فبسوء اختياره.

وفي «التأويلات النجمية»: إنا خيرناه في الاهتداء إلى سبيل الشكر المتعلق باليد اليمنى الجمالية أو إلى سبيل الكفر المتعلق باليد اليسرى الجلالية فاختار بعضهم سبيل الشكر من مقتضى حقائقهم واستعداداتهم الأزلية واختار بعضهم سبيل الكفر من مقتضى حقائقهم وقابلياتهم الأزلية أيضاً كما قال: هؤلاء أهل الجنة ولا أبالي وهؤلاء أهل النار ولا أبالي أي المدح والذم يتعلق بهم لا بي ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد فقال:

﴿**إنا أعتدنا**﴾ هيأنا في الآخرة فإن الإعتاد إعداد الشي حتى يكون عتيداً حاضراً متى احتيج إليه ﴿**للكافرين**﴾ من أفراد الإنسان الذي هديناه السبيل ﴿**سلاسل**﴾ بها يقادون إلى جهنم وفي «كشف الأسرار»: أعتدنا للكافرين في جهنم سلاسل كل سلسلة سبعون ذراعاً وهو بغير تنوين في قراءة حفص وأما الوقف فبالألف تارة وبدونها أخرى وتسلسل الشيء اضطرب كأنه تصور منه تسلسل وتردد فتردد لفظه تنبيه على تردد معناه ومنه السلسلة وفي «القاموس» السلسلة أي بالفتح إيصال الشيء بالشيء وبالكسر دائرة من حديد ونحوه ﴿**وأغلالا**﴾ بها يقيدون إهانة وتعذيباً لا خوفاً من الفرار جمع غل بالضم وهو ما تطوق به الرقبة للتعذيب وقد سبق في الحاقة مفصلاً ﴿**وسعيراً**﴾ ناراً بها يحرقون يعني وآتشى أفروخته كه دران پيوسته بسوزند.

وإنما يجرون إلى جهنم بالسلاسل لعدم انقيادهم للحق ويحقرون أن يقيدوا بالأغلال لعدم تواضعهم لله ويحرقون بالنار لعدم احتراقهم بنار الخوف من الله تعالى وفيه إشارة إلى أن الله تعالى أعد للمحجوبين عن الحق المشغولين بالخلق سلاسل التعلقات الظاهرة بحب الدنيا وطلبها وأغلال العوائق الباطنة بالرغبة إليها وفيها ونار جهنم البعد والطرد واللعن وتقديم وعيد الكافرين مع تأخرهم في مقام الإجمال للجمع بينهما في الذكر ولأن الإنذار أهم وأنفع وتصدير الكلام وختمه بذكر المؤمنين أحسن على أن في وصفهم تفصيلاً ربما يخل تقديمه بتجاوب أطراف النظم الكريم.

﴿**إن الأبرار**﴾ شروع في بيان حسن حال الشاكرين أثر بيان سوء حال الكافرين وإيرادهم بعنوان البر للإشعار بما استحقوا به ما نالوه من الكرامة السنية والأبرار جمع بر كرب وأرباب أو جمع بار كشاهد وأشهاد وهو من يبر خالقه أي يطيعه يقال بررته أبره كعلمته وضربته وعن الحسن رحمه الله البر من لا يؤذي الذر ولا يضمر الشر كما قيل:

ولا تؤذ نملاً إن أردت كمالكا   فإن لها نفسها تطيب كما لكا

وفي «المفردات» البر خلاف البحر وتصور منه التوسع فاشتق منه البر أي التوسع يفعل الخير وبر العبد ربه توسع في طاعته ويشمل الاعتقاد والأعمال الفرائض والنوافل وقال سهل رحمه الله: الأبرار الذين فيهم خلق من أخلاق العشرة الذين وعد لهم النبي عليه السلام بالجنة قال عليه السلام: «إن لله ثلاثمائة وستين خلقاً من لقبه بخلق منها مع التوحيد دخل الجنة» قال

أبو بكر رضي الله عنه: «هل فيّ منها يا رسول الله قال كلها فيك يا أبا بكر وأحبها إلى الله السخاء» ﴿يشربون﴾ في الجنة والشرب تناول كل مائع ماء كان أو غيره قال يشربون ابتداء كالمطيعين أو انتهاء كالمعذبين من المؤمنين بحكم العدل. ﴿من كأس﴾ هي الزجاجة إذا كانت فيها خمر وتطلق على نفس الخمر أيضاً على طريق ذكر المحل وإرادة الحال وهو المراد هنا عند الأكثر حتى روي عن الضحاك أنه قال كل كأس في القرآن فإنما عنى به الخمر فمن على الأول ابتدائية وعلى الثاني تبعيضية أو بيانية. ﴿كان﴾ بتكوين الله ﴿مزاجها﴾ أي ما تمزج تلك الكأس به يقال مزج الشراب خلطه ومزاج البدن ويمازجه من الصفراء والسوداء والبلغم والدم والكيفيات المناسبة لكل منها. ﴿كافوراً﴾ أي: ماء كافور وهو اسم عين في الجنة في المقام المحمدي وكذا سائر العيون ماؤها في بياض الكافور ورائحته وبرده دون طعمه وإلا فنفس الكافور لا يشرب ونظيره حتى إذا جعله ناراً أي كنار والكافور طيب معروف يطيب به الأكفان والأموات لحسن رائحته واشتقاقه من الكفر وهو الستر لأنه يغطي الأشياء برائحته وفي «القاموس» الكافور طيب معروف يكون من شجر بجبال بحر الهند والصين يظل خلقاً كثيراً وتالفه النمورة وخشبه أبيض هش ويوجد في أجوافه الكافور وهو أنواع ولونها أحمر وإنما تبيض بالتصعد وعين في الجنة انتهى. والجملة صفة كأس.

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦ يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ۝٧﴾.

﴿عيناً﴾ بدل من كافوراً يعني: كافور چشمه ايست.

والعين الجارية ويقال لمنبع الماء تشبيهاً بها في الهيئة وفي سيلان الماء فيها ﴿يشرب بها عباد الله﴾ صفة عين وعباد الله هنا الأبرار من المؤمنين لأن إضافة التكريم إلى اسمه الأعظم مختصة بالمؤمن في الغالب كالإضافة إلى كناية التكلم كقوله: يا عبادي لرعايتهم حق الربوبية فمن لم يراعه فكأنه ليس بعبد له أي يشربون بها الخمر لكونها ممزوجة بها كما تقول شربت الماء بالعسل فيكون كناية عن قوتها في لذتها وعلى هذا فيه إشارة إلى أن المقربين الأقوياء يشربون شراب الكافور صرفاً غير ممزوج والظاهر يشرب منها فالباء بمعنى من فإن حروف العوامل ينوب بعضها مناب بعض ونظيره قوله تعالى: ﴿فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ﴾ [الأعراف: ٥٧] أي أنزلنا من السحاب الماء صرح به الشيخ المكي رحمه الله في «قوت القلوب» ﴿يفجرونها تفجيراً﴾ التفجير والتفجرة آب راندن.

وفي «المفردات» الفجر شق الشيء شقاً واسعاً كفجر الإنسان السكر يقال فجرته فانفجر وفجرته فتفجر والمعنى يجرونها حيث شاؤوا من منازلهم كما يفيده باء التفعيل إذ التشديد للكثرة إجراء سهلاً لا تمنع عليهم بل تجري جرياً بقوة واندفاع لأن الأنهار منقادة لأهل الجنة كالأشجار وغيرها فتفجيراً مصدر مؤكد للفعل المتضمن معنى السهولة والجملة صفة أخرى لعيناً.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالأبرار إلى عباد الله المخلصين المخصوصين بفيض الاسم الأعظم الشامل للأسماء للذين سقاهم ربهم المتجلي لهم باسمه الباسط بكأس المحبة طهور شراب العشق الممزوج بكافور برد اليقين المفجر الجاري في أنهار أرواحهم وأسرارهم وقلوبهم من فرط الرحمة وشمول النعمة. وقال القاشاني: إن الأبرار السعداء الذين برزوا عن حجاب الآثار والأفعال واحتجبوا بحجب الصفات غير واقفين معها بل متوجهين إلى عين

الذات مع البقاء في عالم الصفات وهم المتوسطون في السلوك يشربون من كأس محبة حسن الصفات لا صرفاً بل كان في شرابهم مزج من لذة محبة الذات وهي العين الكافورية المفيدة للذة برد اليقين وبياض النورية وتفريح القلب المخترق بحرارة الشوق وتقويته فإن للكافور خاصية التبريد والتفريح والبياض والكافور عين يشرب بها صرفة عباد الله الذين هم خاصته من أهل الوحدة الذاتية المخصوص محبتهم بعين الذات دون الصفات لا يفرقون بين القهر واللطف والرفق والعنف والنعمة والبلاء والشدة والرخاء بل تستقر محبتهم مع الأضداد وتستمر لذتهم في النعماء والضراء والرحمة والزحمة كما قال أحدهم:

هواي له فرض تعطف أم جفا ومشربه عذب تكدر أم صفا
وكلت إلى المحبوب أمري كله فإن شاء أحياني وإن شاء أتلفا

وأما الأبرار فلما كانوا يحبون المنعم واللطيف والرحيم لم تبق محبتهم عند تجلي القهار والمبتلي والمنتقم بحالها ولا لذتهم بل يكرهون ذلك يفجرونها تفجيراً لأنهم منابعها لا اثنينية ثمة ولا غيرية وإلا لم يكن كافور الظلمة حجاب الأنانية واثنينيته وسواده انتهى.

قال بعضهم: اختلفت أحوالهم في الدنيا فاختلفت مشاربهم في الآخرة فكل يسقي ما يليق بحاله كعيون الحياء وعيون الصبر وعيون الوفاء وغير ذلك ثم إن الكأس إما نفسانية شيطانية وهي ما تكون لأهل الفسق في الدنيا وهي حرام وفي الحديث: «إذا تناول العبد كأس الخمر ناشده الإيمان بالله لا تدخلها علي فإني لا أستقر أنا وهي في وعاء واحد فإن أبى وشربها نفر الإيمان نفرة لا يعود إليه أربعين صباحاً فإن تاب تاب الله عليه، ونقص من عقله شيء لا يعود إليه أبداً» وإما جسمانية رحمانية وهي ما تكون للمؤمنين في دار الآخرة عطاء ومنحة من الله الوهاب وإما روحانية ربانية وهي ما تكون لأهل المحبة والشوق في الدارين وهي ألذ الأقداح قال مولانا جلال الدين قدس سره:

ألا يا ساقيا إني نظمئان ومشتاق ادر كأساً ولا تنكر فإن القوم قد ذاقوا
خذ الدنيا وما فيها فإن العشق يكفينا لنا في العشق جنات وبلدان وأسواق

﴿يوفون بالنذر﴾ استئناف كأنه قيل ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية فقيل يوفون بما أوجبوه على أنفسهم فكيف بما أوجبه الله عليهم من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها فهو مبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات والإيفاء بالشيء هو الإتيان به تاماً وافياً والنذر إيجاب الفعل المباح على نفسه تعظيماً لله بأن يقول لله علي كذا من الصدقة وغيرها وإن شفي مريضي أو رد غائبي فعلي كذا واختلفوا فيما إذا علق ذلك بما ليس من وجوه البر كما إذا قال إن دخل فلان الدار فعلي كذا ففي الناس من جعله كاليمين ومنهم من جعله من باب النذور قيل النذر كالوعد إلا أنه إذا كان من العباد فهو نذر وإذا كان من الله فهو وعد والنذر قربة مشروعة ولا يصح إلا في الطاعة وفي الحديث «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» قال هارون بن معروف جاءني فتى فقال إن أبي حلف علي بالطلاق أن أشرب دواء مع مسكر فذهبت به إلى أبي عبد الله فلم يرخص له وقال: قال عليه السلام: «كل مسكر حرام» وإذا جمع الأطباء على أن شفاء المريض في الخمر لا يشربها إذا كان له دواء آخر وإذا لم يكن يشربها ويتداوى بها في قول ثم إن الاهتمام بما أوجب الله على عبده ينبغي أن يكون أكمل مما أوجبه العبد على نفسه ومن الناس من هو على عكس ذلك فإنه يتهاون بما أوجبه الله عليه فلا

يؤدي الصلاة الواجبة مثلاً وإذا نذر شيئاً في بعض المضايقات يسارع إلى الوفاء وليس إلا من الجهل. وقال القاشاني: أي الأبرار يوفون بالعهد الذي كان بينهم وبين الله صبيحة يوم الأزل بأنهم إذا وجدوا التمكن بالآلات والأسباب أبرزوا ما في مكامن استعداداتهم وغيوب فطرتهم من الحقائق والمعارف والعلوم والفضائل وأخرجوها إلى الفعل بالتزكية والتصفية ﴿**ويخافون يوماً**﴾ أي يوم القيامة ﴿**كان شره**﴾ أي هوله وشدته وعذابه ﴿**مستطيراً**﴾ فاشياً منتشراً في الأقطار غاية الانتشار بالغاً أقصى المبالغ.

يعني يهمه كس بهمه جا رسيده.

من الاستطار الحريق أي النار وكذا الفجر قال في «القاموس» المستطير الساطع المنتشر واستطار الفجر انتشر وهو أبلغ من طار بمنزلة استنفر من نفر وأطلق الشر على أهوال القيامة وشدائدها المنتشرة غاية الانتشار حتى ملأت السماوات والأرض مع أنها عين حكمة وصواب لكونها مضرة بالنسبة إلى من تنزل عليه ولا يلزم من ذلك أن لا يكون خيره مستطيراً أيضاً فإن ليوم القيامة أموراً سارة كما أن له أموراً ضارة وقال سهل رحمه الله: البلايا والشدائد عامة في الآخرة للعامة والملامة خاصة للخالصة، ثم إن يوفون الخ بيان لأعمالهم وإتيانهم لجميع الواجبات وقوله ﴿**ويخافون**﴾.. الخ. بيان لنياتهم حيث اعتقدوا يوم البعث والجزاء فخافوا منه فإن الطاعات إنما تتم بالنيات وبمجموع هذين الأمرين سماهم الله بالأبرار قال بعض العارفين: يشير إلى أرباب السلوك في طريق الحق وطلبه حيث أوجبوا على أنفسهم أنواع الرياضات وأصناف المجاهدات وتركوا الرقاد وأهلكوا بالجوع الأجساد وأحرقوا بالعطش الأكباد وسدوا الأذان من استماع كلام الأغيار وأعموا أبصارهم عن رؤية غير المحبوب الحقيقي وختموا على القلوب عن محبة غير المطلوب الأزلي خوفوا أنفسهم من يوم تجلي صفة القهر والسخط باستيلاء الهيئات المظلمة على القلب وهو نهاية مبالغ الشر فاجتهدوا حتى خلصهم الله مما خافوا وأدخلهم في حرمه الآمن.

﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾﴾

﴿**ويطعمون الطعام على حبه**﴾ أي: كائنين على حب الطعام والحاجة إليه ونحوه ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] أو على حب الإطعام فيطعمون بطيب النفس فالضمير إلى مصدر الفعل كما في قوله تعالى: ﴿ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨] أو كائنين على حب الله أو إطعاماً كائناً على حبه تعالى وهو الأنسب لما سيأتي من قوله لوجه الله فالمصدر مضاف إلى المفعول والفاعل متروك أي على حبهم لله ويجوز أن يضاف إلى الفاعل والمفعول متروك أي على حب الله الإطعام والطعام خلاف الشراب وقد يطلق على الشراب أيضاً لأن طعم الشيء ذوقه مأكولاً أو مشروباً والظاهر الخصوص وإن جاز العموم.

واعلم أن مجامع الطاعات محصورة في أمرين الطاعة لأمر الله وإليه الإشارة بقوله ﴿**يوفون بالنذر**﴾ والشفقة على خلق الله وإليه الإشارة بقوله ﴿**ويطعمون الطعام**﴾ فإن الطعام وهو جعل الغير طاعماً كناية عن الإحسان إلى المحتاجين والمواساة معهم بأي وجه كان وإن

لم يكن ذلك بالطعام بعينه إلا أن الإحسان بالطعام لما كان أشرف أنواع الإحسان عبر عن جنس الإحسان باسم هذا النوع كما في «حواشي» ابن الشيخ وقال بعض أهل المعرفة أي يتجردون عن المنافع المالية ويزكون أنفسهم عن الرذائل خصوصاً عن الشح لكون محبة المال أكثف الحجب فيتصفون بفضيلة الإيثار وسد خلة الغير في حال احتياجهم أو يزكون أنفسهم عن رذيلة الجهل فيطعمون الطعام الروحاني من الحكم والشرائع على حب الله من ذكر من قوله ﴿مسكيناً﴾ فقيراً لا شيء له عاجزاً عن الكسب، وبالفارسية درويش بي مايه.

وقال القاشاني: المسكين الدائم السكون إلى تراب البدن﴿ويتيماً﴾ طفلاً لا أب له ﴿وأسيراً﴾ الأسر الشد بالقيد سمي الأسير بذلك ثم قيل لكل مأخوذ مقيد وإن لم يكن مشدوداً بذلك والمعنى وأسيراً مأخوذاً لا يملك لنفسه نصراً ولا حيلة أي أسير كان فإنه عليه السلام، كان يؤتى بالأسير فيدفعه إلى بعض المسلمين فيقول أحسن إليه لأنه يجب إطعام الأسير الكافر والإحسان إليه في دار الإسلام بما دون الواجبات عند عامة العلماء إلى أن يرى الإمام رأيه فيه من قتل أو منّ أو فداء أو استرقاق فإن القتل في حال لا ينافي وجوب الإطعام في حال أخرى ولا يجب إذا عوقب بوجه أن يعاقب بوجه آخر ولذا لا يحسن فيمن يلزمه القصاص أن يفعل به غير القتل أو المعنى أسيراً مؤمناً فيدخل فيه المملوك عبداً أو أمة وكذا المسجون.

يعني مسبحون از أهل فقركه در حقي از حقوق مسلمين حبس كرده باشند.

وقد سمى رسول الله ﷺ الغريم أسيراً فقال: «غريمك أسيرك» فأحسن إلى أسيرك أي بالإمهال والوضع عنه بعضاً أو كلاً وهو كل الإحسان وفي الحديث: «من أنظر معسراً أو وضع له أظله الله تحت ظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله» أي حماه من حرارة القيامة وقيل الزوجة من الأسراء في يد الأزواج لما قال عليه السلام: «اتقوا الله في النساء فإنهن عوانٍ عندكم» والعاني الأسير وفي «القاموس»: العواني النساء لأنهن يظلمن فلا ينتصرن. وقال القاشاني: الأسير المحبوس في أسر الطبيعة وقيود صفات النفس.

وفي «التأويلات النجمية»: ويطعمون طعام المعارف والحكم الإلهية المحبوبة لهم مسكين السر لقرب انقياده تحت حكم الروح وذلته تحت عزته ويتيم القلب لبعد عهده ومكانه من أبيه الروح وأسير الأعضاء والجوارح المقيدين بقيود أحكام الشريعة وحبال آثار الطريقة انتهى.

﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ جزاين نيست كه ميخو رانيم شمارا أي طعامها براي رضاي خدا.

على إرادة قول هو في موقع الحال من فاعل يطعمون أي قائلين ذلك بلسان الحال أو بلسان المقال إزاحة لتوهم المن المبطل للصدقة وتوقع المكافأة المنقصة للأجر.

هرچه دهی می ده ومنت منه ... وآنچه بمنت دهی آن خود مده
منت ومزدى كه در احسان بود ... وقت جزا موجب نقصان بود

وعن الصديقة رضي الله عنها أنها كانت تبعث بالصدقة إلى أهل بيت ثم تسأل الرسول ما قالوا فإذا ذكر دعاءهم دعت لهم بمثله ليبقى ثواب الصدقة لها خالصاً عند الله والوجه الجارحة عبر به عن الذات لكونه أشرف الأعضاء وقال بعضهم: الوجه مجاز عن الرضى لأن الرضى معلوم في الوجه وكذا السخط﴿لا نريد منكم جزاء﴾ على ذلك بالمال والنفس والفرق بين

الجزاء والأجر أن الأجر ما يعود من ثواب العمل دنيوياً كان أو أخروياً ويقال فيما كان عن عقد وما يجري مجرى العقد ولا يقال إلا في النافع وأما الجزاء فيقال فيما كان عن عقد وغير عقد ويقال في النافع والضار والمجازاة المكافأة وهي مقابلة نعمة بنعمة هي كفؤها **﴿ولا شكوراً﴾** أي شكراً باللسان ومدحاً ودعاء وهو مصدر على وزن الدخول والجملة تقرير وتأكيد لما قبلها. قال القاشاني: لا نريد منكم مكافأة وثناء لعدم الاحتجاب بالأعراض والأعواض.

وفي «التأويلات النجمية»: لا نريد منكم جزاء بالذكر الجميل في الدنيا ولا شكوراً عن عذاب الآخرة إذ كل عمل يعمله العامل لثواب الآخرة لا يكون لوجه الله بل يكون لحظ نفسه كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠] وقال عليه السلام: حكاية عن الله تعالى «أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» والحاصل أن معاملة العبد المخلص إنما هي مع الله فلا حق له على الغير فكيف يريد ذلك وفيه نصح لمن أراد النصيحة فإن الإطعام ونحوه حرام بملاحظة الغير وحظ النفس فيجب أن يكون خالصاً لوجه الله من غير شوب بالرياء وبحظ المنعم.

زعمرو اى پسر چشم اجرت مدار چو درخانۀ زيد باشى بكار

﴿إنا نخاف من ربنا يوماً﴾ أي عذاب يوم وهو مفعول خاف فمن ربنا حال متقدمة منه ولو أخر لكان صفة له أو مفعوله قوله ربنا بواسطة الحرف على ما هو الأصل في تعديته لأنه يقال خاف منه فيكون يوماً بدلاً من محله بدون تقدير بناء على التعدية بنفسه أو بتقدير نخاف آخر **﴿عبوساً﴾** من قبيل إسناد الفعل إلى زمانه والمعنى تعبس فيه الوجوه.

يعني روزى كه رويها دروترش كردد ازشدت أهوال.

كما روي أن الكافر يعبس يومئذٍ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران والعبوس قطوب الوجه من ضيق الصدر أو معنى عبوساً يشبه الأسد العبوس في الشدة والضراوة أي السطوة والإقدام على إيصال الضرر بالعنف والحدة لكل من رآه فهو من المبالغة في التشبيه فإن العبوس الأسد كالعباس **﴿قمطريراً﴾** شديد العبوس فلذلك نفعل بكم ما نفعل رجاء أن يقينا ربنا بذلك شره لا لإرادة مكافأتكم فقوله: **﴿إنا نخاف﴾**.. الخ. من **﴿إنما نطعمكم﴾** الخ في معرض التعليل لإطعامهم يقال وجه قمطرير أي منقبض من شدة العبوس وفي «الكشاف» القمطرير العبوس الذي يجمع بين عينيه.

وازامام حسن بصري رحمه الله پرسيدندكه قمطرير چيست فرمودكه سبحان الله ما أشد اسمه وهو أشد من اسمه يعني چه سخت است اسم روزقيامت وأوسخت تراست از اسم خود **﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم﴾** بسبب خوفهم وتحفظهم منه.

يعني نكاه داشت خداي تعالى ايشانرا از بدى ورنج وهول وعذاب آن روز.

فشر مفعول ثانٍ لوقى المتعدي إلى اثنين وفي الحديث الصحيح قال رجل لم يعمل حسنة قط لأهله: إذا مات فحرقوه ثم أذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين فلما مات الرجل فعلوا ما أمرهم فأمر الله البر فجمع ما فيه وأمر البحر فجمع ما فيه ثم قال: لم فعلت هذا قال من خشيتك يا رب وأنت أعلم فغفر الله له أي بسبب خشيته وقوله «لئن قدر الله» بتخفيف الدال من القدرة أي لئن تعلقت قدرته يوم البعث بعذاب جسمه ظن المسكين أنه بالفناء على الوجه المذكور يلتحق بالمحال وقدرة الله لا

تتعلق بالمحال فلا يلزم منه الكفر فجمع رماده من البر والبحر محمول على جمع أجزائه الأصلية يوم القيامة ويجوز أن يحمل على حال البرزخ فإن السؤال فيه للروح والجسد جميعاً على ما هو المذهب الحق. ﴿ولقاهم نضرة وسروراً﴾ أي أعطاهم بدل عبوس الفجار وحزنهم نضرة في الوجوه يعني تازكي وخوبرويى وسروراً في القلب، يعني شادي وفرح دردل فهما مفعولان ثانيان وفي «تاج المصادر» التلقية چيزى پيش كسى وا آوردن.

وفي «المفردات» لقيته كذا إذا استقبلته به قال تعالى: ﴿ولقاهم نضرة وسروراً﴾.

﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَـٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾.

﴿وجزاهم﴾ أعطى كل واحد منهم بطريق الأجر والعوض ﴿بما صبروا﴾ ما مصدرية أي بسبب صبرهم على مشاق الطاعات ومهاجرة هوى النفس في اجتناب المحرمات وإيثار الأموال وفي الحديث: «الصبر أربعة الصبر على الصدمة الأولى وعلى أداء الفرائض وعلى اجتناب المحارم وعلى المصائب» ﴿جنة﴾ مفعول ثان لجزاهم أي بستاناً يأكلون منه ما شاؤوا ﴿وحريراً﴾ يلبسونه ويتزينون به وبالفارسية وجامهٔ إبريسم بهشت بپوشند.

فالمراد بالجنة ليس دار السعادة المشتملة على جميع العطايا والكرامات وإلا لما احتيج إلى ذكر الحرير بعد ذكر الجنة بل البستان كما ذكرنا فذكرها لا يغني عن ذكر الملبس ثم إن البستان في مقابلة الإطعام والصبر على الجوع والحرير في مقابلة الصبر على العري لأن إيثار الأموال يؤدي إلى الجوع والعري وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما النبي عليه السلام في ناس معه فقالوا لعلي رضي الله عنه لو نذرت على ولديك نذراً يعني اكر نذر كنى براميد عافيت وشفاي فرزندان مكر صواب باشد.

فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما رضي الله عنهما إن برئا مما بهما أن يصوموا ثلاثة أيام تقرباً إلى الله وطلباً لمرضاته وشكراً له فشفيا فصاموا وما معهم شيء يفطرون عليه فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير وهو جمع صاع وهو أربعة أمداد كل مد رطل وثلث قال الداودي معياره الذي لا يختلف أربع حفنات بكفي الرجل الذي ليس بعظيم الكفين ولا صغيرهما إذ ليس كل مكان يوجد فيه صاع النبي عليه السلام فطحنت فاطمة رضي الله عنها، صاعاً يعني فاطمهٔ زهراً ازان جويك صاع بآسيا دست آرد كرد.

وخبزت خمسة أقراص على عددهم جمع قرص بمعنى الخبزة فوضعوا بين أيديهم وقت الإفطار ليفطروا به فوقف عليهم سائل فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة فآثروه يعني حضرت علي رضي الله عنه، نصيب خود بدان مسكين دادر سائر أهل بيت موافقت كردند يعني سخن درويش بسمع على رسيد روى فرا فاطمة كرد وكفت.

فـاطـم ذات الـمـجـد والـيـقـيـن	يـا بـنـت خـيـر الـنـاس أجـمـعـيـن
أمـا تـريـن الـبـائـس الـمـسـكـيـن	قـد قـام بـالـبـاب لـه حـنـيـن
يـشـكـو إلـى الله ويـسـتـكـيـن	يـشـكـو إلـيـنـا جـائـعـاً حـزيـن

فاطمة رضي الله عنها اورا جواب داد وكفت.

أمـرك يـا ابـن عـم سـمـع طـاعـة مـا بـيّ مـن لـؤم ولا ضـراعـه
أرجـو إذا أشـبـعـت ذا مـجـاعـه ألـحـق بـالأخـيـار والـجـمـاعـه
وأدخـل الـخـلـد ولـي شـفـاعـه

آنكه طعام پيش نهاده بودند جمله بدرويش دادند وبركر سنكى صبر كردند.

وباتوا لم يذوقوا إلا الماء وأصبحوا صياماً.

فاطمة رضي الله عنها، صاعي ديكر چوآرد كرد وأذان نان.

فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فقال: السلام عليكم يا أهل بيت محمد يتيم من أولاد المهاجرين استشهد والدي يوم العقبة أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة.

حضرت علي رضي الله عنه چون سخن آن يتيم شنيد روى فرا فاطمة كرد وكفت.

إنـي لأعـطـيـه ولا أبـالـي وأوثـر الله عـلـى عـيـالـي
أمـسـوا جـيـاعـاً وهـمـو أشـبـالـي أصـغـرهـم يـقـتـل فـي الـقـتـال

فآثروه يعني همچنان طعام كه درپيش بود جمله بيتيم دادند وخود كر سنه خفتند ديكر روز آن صاع كه مانده بود فاطمة رضي الله عنها آنرا آرد كرد وتان پخت.

فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم أسير فقال: السلام عليكم أهل بيت النبوة أسير من الأسارى أطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة.

آن طعام باسير دادند وبجز آب نچشيدند وسه روز بران بكذشت.

فلما أصبحوا في اليوم الرابع أخذ علي بيد الحسن والحسين رضي الله عنهم فأقبلوا على النبي ﷺ فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال عليه السلام: «ما أشد ما يسوءني ما أرى بكم» وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق ظهرها ببطها وغارت عيناها فساءه ذلك فنزل جبريل عليه السلام وقال: «خذ يا محمد هنأك الله في أهل بيتك فاقرأه السورة» ولا يلزم من هذا أن يكون المراد من الأبرار أهل البيت فقط لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فيدخل فيه غيرهم بحسب الاشتراك في العمل وقد ضعفت القصة بتضعيف الراوي إلا أنها مشهورة بين العلماء مسفورة في الكتب قال الحكيم الترمذي رحمه الله، هذا حديث مفتعل لا يروج إلا على أحمق جاهل ورواه ابن الجوزي في «الموضوعات» وقال لا شك في وضعه ثم صحة الرواية تقتضي كون الآية مدنية لأن إنكاح رسول الله فاطمة علياً كان بعد وقعة أحد وقد قال الجمهور: إن السورة مكية هكذا قالوا سامحهم الله تعالى قال المولى الفناري في «تفسير الفاتحة» نقلاً عن جمع من العلماء الكبار: إن هل أتى على الإنسان من السور النازلة في المدينة وكذا قال مجاهد وقتادة مدنية إلا آية واحدة وهي ﴿ولا تطع منهم آثماً أو كفوراً﴾ فإنها مكية وكذا قال الحسن وعكرمة والماوردي مدنية إلا قوله: ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ إلى الآخر فإنه مكي ودل على ذلك أن الأسير إنما كان في المدينة بعد آية القتال والأمر بالجهاد فضمت الآيات المكية إلى الآيات المدنية فإن شئت قلت إنها آي السورة مكية وإن شئت قلت إنها مدنية على أن الآيات المدنية في هذه السورة أكثر كمية من الآيات المكية فالظاهر أن تسمى مدنية لا مكية ونحن لا نشك في صحة القصة والله أعلم.

﴿متكئين فيها﴾ أي في الجنة ﴿على الآرائك﴾ بر تختهاى آراسته.

قوله ﴿متكئين﴾ حال من هم في جزاهم والعامل فيها جزى، قيد المجازاة بتلك الحال لأنها أرفه الأحوال فكان غيرها لا يدخل في الجزاء والأرائك هي السرور في الحجال تكون في الجنة من الدر والياقوت موضونة بقضبان الذهب والفضة وألوان الجواهر جمع أريكة كسفينة ولا تكون أريكة حتى تكون في حجلة وهي بالتحريك واحدة حجال العروس وهي بيت مزين بالثياب والستور والظاهر أن على الأرائك متعلق بمتكئين لأن الاتكاء يتعدى بعلى أي مستقرين متمكنين على الأرائك كقوله: متكئين على فرش ولا يبعد أن يتعلق بمقدر ويكون حالاً من ضمير متكئين أي متكئين فيها على الوسائد أو غيرها مستقرين على الأرائك فيكون الاتكاء بمعنى الاعتماد ﴿لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً﴾ أي: حرارة ولا برودة كما يرون في الدنيا لأن الحرارة غالبة على أرض العرب والبرودة على أرض العجم والروم وهو حال ثانية من الضمير أي يمر عليهم هواء معتدل لا حار ولا بارد مؤذ يعني أن قوله ﴿لا يرون﴾ الخ كناية عن هذا المعنى والزمهرير شدة البرد وازمهر اليوم اشتد برده وفي الحديث: «هواء الجنة سجسج لا حر فيه ولا قر أي معتدل لا حر فيه ولا برد فإن القر بالضم البرد وفي الخبر عن النبي عليه السلام أنه قال اشتكت النار إلى ربها فقالت: أكل بعضي بعضاً فنفسني فأذن لها في كل عام بنفسين نفس في الشتاء ونفس في الصيف فأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم وأشد ما تجدون من الحر من حرها وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال فبينما أهل الجنة في الجنة إذ رأوا ضوءاً كضوء الشمس وقد أشرقت الجنان له فيقول أهل الجنة يا رضوان قال ربنا عز وجل لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً فيقول لهم رضوان ليست هذه بشمس ولا قمر ولكن هذه فاطمة وعلي رضي الله عنهما ضحكا ضحكاً أشرقت الجنان من نور ضحكهما وفيهما أنزل الله تعالى ﴿هل أتى على الإنسان حين من الدهر﴾ إلى قوله ﴿وكان سعيكم مشكوراً﴾. قال القاشاني: لا يرون في جنة الذات شمس حرارة الشوق إليها مع الحرمان ولا زمهرير برودة الوقوف مع الأكوان فإن الوقوف مع الكون برد قاسر وثقل عاصر.

وفي «التأويلات النجمية»: لا يرون في جنة الوصال حر شمس المشاهدة المفني للمشاهد بحيث لا يجد لذة الشهود لأن سطوة المشاهدة تفني المشاهد بالكلية فلا يجد لذة الشهود من المحبوب المعبود وإلى هذا المعنى أشار النبي عليه السلام في دعائه اللهم ارزقنا لذة مشاهدتك لا زمهرير برد الحجاب والاستتار.

﴿ودانية عليهم ظلالها﴾ عطف على ما قبلها حال مثلها والظلال جمع ظل بالكسر نقيض الضح وظلالها فاعل دانية من الدنو بمعنى القرب إما بحسب الجانب أو بحسب السمك والضمير إلى الجنة أو أشجارها ومعناه إن ظلال الأشجار في الجنة قربت من الأبرار من جوانبهم حتى صارت الأشجار بمنزلة المظلة عليهم وإن كان لا شمس فيها مؤذية لتظلهم منها ففيه بيان لزيادة نعيمهم وكمال راحتهم فإن الظل في الدنيا للراحة ﴿وذللت قطوفها تذليلاً﴾ أي: سخرت ثمارها لمتناوليها وسهل أخذها للقائم والقاعد والمضطجع تمام التسخير والتسهيل من الذل بالكسر وهو ضد الصعوبة والجملة حال من دانية أي تدنو ظلالها عليهم مذللة لهم قطوفها أو معطوفة على دانية أي دانية عليهم ظلالها ومذللة قطوفها وهو جمع قطف بكسر القاف بمعنى العنقود وقطفت العنب قطعته وسمي العنقود قطفاً لأنه يقطف ويقطع وقت الإدراك.

﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۠ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾﴾

﴿**ويطاف**﴾ يدور من طاف بمعنى دار والطواف والإطافة كلاهما لازم، بالفارسية كرد چيزى بكشتن.

وإنما جاء بالتعدية هنا من الباء في بآنية. ﴿**عليهم**﴾ أي على الأبرار إذا أرادوا الشرب والطائف الدائر هو الخدم كما يجيء. ﴿**بآنية**﴾ أوعية جمع إناء نحو كساء وأكسية والأواني جمع الجمع كما في «المفردات»، وأصل آنية أءنية بهمزتين مثل أفعلة. قال في بعض التفاسير: الباء فيها إن كانت للتعدية فهي قائمة مقام الفاعل لأنها مفعول له معنى وإلا فالظاهر أن يكون القائم مقامه عليهم ﴿**من فضة**﴾ نسب لآنية ﴿**وأكواب**﴾ جمع كوب وهو الكوز العظيم المدور الرأس لا أذن له ولا عروة فيسهل الشرب منه من كل موضع ولا يحتاج عند التناول إلى إدارته وهو مستعمل الآن في بلاد العرب لما وصف طعامهم ولباسهم ومسكنهم وصف شرابهم وقدم عليه وصف الأواني التي يشرب بها وذكره بلفظ المجهول لأن المقصود ما يطاف به لا الطائفون ثم ذكر الطائفين بقوله: ﴿**ويطوف**﴾ الخ ﴿**كانت قواريراً**﴾ جمع قارورة بالفارسية آبكينه.

وفي «القاموس»: القارورة ما قر فيه الشراب ونحوه.

﴿**قوارير من فضة**﴾ أي تكونت وحدثت جامعة بين صفاء الزجاجة وشفيفها ولين الفضة وبياضها يرى ما في داخلها من خارجها فكان تامة وقوراير الأول حال من فاعل كانت على المبالغة في التشبه يعني أن القوراير إنما تتكون من الزجاج لا من الفضة فليس المعنى أنها قوراير زجاجية متخذة من الفضة بل الحكم عليها بأنها قوراير وأنها من فضة من باب التشبيه البليغ لأنها في نفسها ليست زجاجاً ولا فضة لما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء فثبت أن آنية الجنة مباينة في الحقيقة لقارورة الدنيا وفضتها ولأن قارورة الدنيا سريعة الانكسار والهلاك وما في الجنة لا يقبل ذلك وفضة الدنيا كثيفة الجوهر لا لطافة فيها وما في الجنة ليس كذلك وإن شارك كل واحد منهما الآخر في بعض الأوصاف فشبهت بالفضة في بياضها ونقائها وبقائها وبالقارورة في شفافيتها وصفائها فهي حقيقة مغايرة لهما جامعة لأوصافهما وذلك كاف في صحة إطلاق اسم القارورة والفضة عليها وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن أرض الجنة من فضة وأواني كل أرض تتخذ من تربة تلك الأرض ويستفاد من هذا الكلام وجه آخر لكون تلك الأكواب من فضة ومن قوارير وهو أن أصل القوارير في الدنيا الرمل وأصل قوارير الجنة هو فضة الجنة فكما أن الله قادر على أن يقلب الرمل الكثيف زجاجة صافية فكذلك قادر على أن يقلب فضة الجنة قارورة صافية بالغرض من ذكر هذه الآية التنبيه على أن نسبة قارورة الجنة إلى قارورة الدنيا كنسبة الفضة للرمل فكما أنه لا نسبة بين هذين الأصلين فكذا بين القارورتين كذا في «حواشي» ابن الشيخ قال بعضهم: لعل الوجه في اختيار كون كانت تامة مع إمكان جعلها ناقصة وقوارير الأول خبراً بتكوين الله فيكون فيه تفخيم للآنية بكونها أثر قدرة الله تعالى وقوارير الثاني بدل من الأول على سبيل الإيضاح والتبيين، أي قوارير مخلوقة من فضة والجملة صفة لأكواب وقرىء بتنوين قوارير الثاني أيضاً وقرئا بغير تنوين وقرىء الثاني بالرفع على هي قوارير قال ابن الجزري وكلهم وقفوا عليه بالألف إلا حمزة وورشاً، وإنما صرفه من صرفه لأنه وقع في مصحف الإمام

بالألف وإنما كتب في المصحف بالألف لأنه رأس آية فشابه القوافي والفواصل التي تزاد فيها الألف للوقف. ﴿**قدروها تقديراً**﴾ صفة لقوارير ومعنى تقدير الشاربين المطاف عليهم لها أنهم قدروها في أنفسهم وأرادوا أن تكون على مقادير وأشكال معينة موافقة لشهواتهم فجاءت حسبما قدروها فإن منتهى ما يريده الرجل في الآنية التي يشرب منها الصفاء فقد ذكره الله بقوله ﴿**كانت قوارير**﴾ وأيضاً النقاء فقد ذكره الله بقوله: ﴿**من فضة**﴾ وأيضاً الشكل والمقدار فقد ذكره الله بقوله ﴿**قدروها تقديراً**﴾ أو قدروها بأعمالهم الحسنة فجاءت على حسبها وقيل الضمير للطائفين بها المدلول عليهم بقوله: ﴿**ويطاف عليهم**﴾ أي قدروا شرابها على إضمار المضاف على قدر استروائهم وريهم من غير زيادة ولا نقصان وهو ألذ للشارب لكونه على مقدار حاجته فإن طرفي الاعتدال مذمومان كما قال مجاهد: لا فيض فيها ولا غيض أي لا كثرة ولا قلة وقال الضحاك: على قدر أكف الخدم.

﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾.

﴿**ويسقون فيها**﴾ أي في الجنة بسقي الله أو بسقي الطائفين بأمر الله وفيه زيادة تعظيم لهم ليست في قوله ﴿**يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ**﴾ [الإنسان: ٥] بصيغة المعلوم ﴿**كأساً**﴾ خمراً ﴿**كان مزاجها**﴾ ما تمزج به خلط ﴿**زنجبيلاً**﴾ الزنجبيل عرق يسري في الأرض ونباته كالقصب والبردي وعلم منه أن ما كان مزاجها زنجبيلاً غير ما كان مزاجها كافوراً والمعنى زنجبيلاً أي ماء يشبه الزنجبيل في الطعم وكان الشراب الممزوج به أطيب ما يستطيب العرب وألذ ما تستلذ به لأنه يحذو اللسان ويهضم الطعام كما في «عين المعاني» ولما كان في تسمية تلك العين بالزنجبيل توهم أن ليس فيها سلاسة الانحدار في الخلق وسهولة مساغها كما هو مقتضى اللذع والإحراق أزال ذلك الوهم بقوله ﴿**عيناً**﴾ بدل من زنجبيلاً ﴿**فيها تسمى**﴾ عند الملائكة من خازن الجنة وأتباعه ﴿**سلسبيلاً**﴾ لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها فكأن العين سميت بصفاتها قال بعضهم: يطلق عليها ذلك وتوصف به لا أنه علم لها يعني سلسبيل صفة لا اسم وإلا لامتنع من الصرف للعلمية والتأنيث ولم يقرأ به واحد من العشرة ويقال إنما صرف مع أنه اسم عين وهي مؤنث معنوي لرعاية رأس الآية قال في «الكواشي»: لفظ مفرد بوزن فعلليل كدردبيس يقال شراب سلسل وسلسال وسلسبيل سهل الدخول في الحلق لعذوبته وصفائه ولذلك حكم بزيادة الباء أي بعدم التفاوت في المعنى بوجودها وعدمها وإلا فالباء ليست من حروف الزيادة وقيل زيدت الباء على السلسال حتى صارت كلمة خماسية للدلالة على غاية السلاسة والحلاوة وقال ابن المبارك: من طريق الإشارة: معنى السلسبيل سل من الله إليه سبيلاً، قال ابن الشيخ: جعل الله مزاج شراب الأبرار أولاً كافوراً وثانياً زنجبيلاً لأن المقصود الأهم حال الدخول البرودة لهجوم العطش عليهم من حر العرصات وعبور الصراط وبعد استيفاء حظوظهم من أنواع نعيمها ومطعوماتها تميل طباعهم إلى الأشربة التي تهيج الاشتهاء وتعيين على تهنئة ما تناولوه من المطعومات ويلتذ الطبع بشربها فلعل الوجه في تأخير ذكر ما يمزج به الزنجبيل عما يمزج به الكافور ذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالزنجبيل إلى شراب الوحدة الممزوجة بزنجبيل الكثرة

المعقولة من مفهوم التوحيد وبالسلسبيل إلى شراب الوحدة الصافية عن الامتزاج بزنجبيل الكثرة وسميت سلسبيلاً لسلاسة انحدارها وذلك لبساطتها وصرافتها، وقال القاشاني: كان مزاجها زنجبيل لذة الاشتياق فإنهم لا شوق لهم ليكون شرابهم الزنجبيل الصرف الذي هو غاية حرارة الطلب لوصولهم ولكن لهم الاشتياق للسير في الصفات وامتناع حصولهم على جميعها فلا تصفو محبتهم من لذة حرارة الطلب كما صفت لذة محبة المستغرقين في عين جمع الذات فكان شرابهم العين الكافورية الصرفة والزنجبيل عين في الجنة لكون حرارة الشوق عين المحبة الناشئة من منبع الوحدة مع الهجران تسمى سلسبيلاً لسلاستها في الحلق وذوقها قال العشاق المهجورين الطالبين السالكين سبيل الوصال في ذوق وسكر من حرارة عشقهم لا يقاس به ذوق.

﴿**ويطوف عليهم**﴾ أي يدور على الأبرار. ﴿**ولدان**﴾ فإنهم أخف في الخدمة جمع وليد وهو من قرب عهده بالولادة ﴿**مخلدون**﴾ أي دائمون على ما هم عليه من الطراوة والبهاء لا يتغيرون أبداً وبالفارسية وبخدمت مي كردد برايشان غلاماني جون كودكان نوزاد جاويد مانده درحال طفوليت أو مقربون يعني پسران كوشواره دار.

والخلد القرط وفي «التاج» إنه من الخلد وهو الروح كأنهم روحانيون لا جسم لهم. ﴿**إذا رأيتهم**﴾ يا من شأنه الرؤية. ﴿**حسبتهم لؤلؤاً**﴾ جمعه اللآلىء وتلألأ الشيء لمع لمعان اللؤلؤ ﴿**منثوراً**﴾ متفرقاً لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم وتفرقهم في مجلس الخدمة عند اشتغالهم بأنواع الخدمة وطوافهم على المخدومين مسارعين في الخدمة ولو اصطفوا على وتيرة واحدة لشبهوا اللؤلؤ المنظوم واللؤلؤ إذا كان متفرقاً يكون أحسن في المنظر من المنظوم لوقوع شعاع بعضه على بعض بغاية بياضه وبريقه فيكون مخالفاً للمجتمع فيه والظاهر على ما ذهب إليه البعض منثوراً أي متفرقاً في الجنة فهو أحسن من القيد بمجلس الخدمة وشبهت الحور العين باللؤلؤ المكنون أي المخزون لأنهن لا ينتشرن انتشار الولدان بل هن حور مقصورات في الخيام قال في «عين المعاني»: وفيه إشارة إلى أن الاستمتاع بظواهرهم يكون بخلاف الحور المشبهة بالبيض لأنه يجمع بياض اللون إلى لذة الطعم انتهى.

ومنه يعلم أن لا لواطة في الجنة وأن قول من جوزها مردود باطل على ما حققناه مراراً قال بعضهم: منثوراً من سلكه على البساط وعن المأمون أنه ليلة زفت إليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج بالذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ فنظر إليه منثوراً على ذلك البساط فاستحسن المنظر وقال لله در أبي نواس كأنه أبصر هذا حيث يقول:

كأن صغرى وكبرى من فقاقعها حصباء در على أرض من الذهب

وقال بعضهم: منثوراً من صدفه يعني أنهم شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا أنثر من صدفه وهو غير مثقوب لأنه أحسن وأكثر ماء وبالفارسية مرواريد افشانده شده از صدف يعني تروتازه كه هنوز دست كس بدان نرسيده ودر رونق وآب داد شان قصورى پيدا نشده.

قال في «كشف الأسرار»: ولدان مخلدون أي غلمان ينشئهم الله لخدمة المؤمنين انتهى.
فسمي الغلمان ولداناً لأنهم على صورتهم على أن في إطلاقهم عليهم خطاباً بما يتعارفه الناس فلا يلزم ولادتهم في الجنة وقال في «عين المعاني»: قيل إنهم ولدان الكفار يدخلون الجنة خدماً لأهلها بدليل أنهم سموا ولداناً ولا ولادة في الجنة انتهى. وفي «اللباب» اختلفوا في

الولدان فقيل أنشأهم الله لأهل الجنة من غير ولادة لأن الجنة لا ولادة فيها وهم الذين قال الله فيهم ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون أي مخزون مصون لم تمسه الأيدي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام وكل غلام على عمل ما عليه صاحبه وروي أن الحسن رحمه الله، لما تلا هذه الآية قال قالوا يا رسول الله الخادم كاللؤلؤ المكنون فكيف المخدوم فقال فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وروي عن علي رضي الله عنه والحسن البصري رضي الله عنه أن الولدان هنا ولدان المسلمين الذين يموتون صغاراً ولا حسنة لهم ولا سيئة لهم وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة وعن الحسن رحمه الله: لم تكن لهم حسنات يجازون بها ولا سيئات يعاقبون عليها فوضعوا هذا الموضع انتهى كلام «اللباب»، فالله تعالى قادر على أن يجعل أموات الكفار الذين لا يليقون بالخدمة في الدنيا لغاية صغرهم في مرتبة القابلية لها في الآخرة بكمال قدرته وتمام رحمته قال النووي: الصحيح الذي ذهب إليه المحققون أنهم من أهل الجنة وقال الطيبي في «شرح المشكاة» الحق التوقف أي لا الحكم بأنهم من أهل الجنة كما ذهب إليه البعض ولا بأنهم تبع لآبائهم في النار كما ذهب إليه البعض الآخر فالمذاهب إذاً فيهم ثلاثة.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**ويطوف عليهم ولدان مخلدون**﴾ أي تجليات ذاتية مقرطون بقرطة الأسماء والصفات إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً من تشعشع أنوار الذات وتلألؤ أنوار الصفات والأسماء.

﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا ﴿٢٠﴾ عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾

﴿**وإذا رأيت ثم**﴾ وچون بنكرى ونظر كنى دربهشت.

قال في «الإرشاد»: ليس له مفعول ملفوظ ولا مقدر ولا منوي بل معناه أي مآل المعنى أن بصرك أينما وقع في الجنة. ﴿**رأيت نعيماً**﴾ كثيراً لا يوصف وهو ما يتنعم به ﴿**وملكاً كبيراً**﴾ أي واسعاً هنيئاً كما في الحديث أدنى أهل الجنة منزلة ينظر في ملكه مسيرة ألف عام يرى أقصاه كما يرى أدناه والآية من باب الترقي والتعميم يعني أن هناك أموراً أخر أعلى وأعظم من القدر المذكور.

در فصول آمده كه نعيم راحت أشباح است وملك كبير لذات أوراح نعيم ملاحظهٔ دارست وملك كبير مشاهدهٔ ديدار ودار بي ديدار بهيچ كرنيابد الجبار ثم الدار زاهد إن فردوس ميحويند وما ديدار دوست.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني إذا تحققت بمقام التوحيد وحال الوحدة وصلت إلى نعيم الشهود والملك المشهود والكبير في ذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله انتهى.

فيكون المراد بالملك الكبير في الدنيا هو الشهود الحاصل لأهل الجنة المعنوية والملك بالضم بالفارسية بادشاهى ولا سلطنة فوق سلطنة المعرفة والرؤية قال في بعض التفاسير الملك بالضم هو التصرف في المأمورين بالأمر والنهي ومنه الملك وأما الملك بالكسر فهو التصرف في الأعيان المملوكة بحسب المشيئة ومنه المالك والأول جامع للثاني لأن كل ملك مالك ولا عكس.

﴿عاليهم ثياب سندس خضر﴾ عاليهم ظرف على أنه خبر مقدم وثياب مبتدأ مؤخر والجملة حال من ضمير عليهم أي يطوف عليهم ولدان عالياً للمعطوف عليهم ثياب. . الخ. أي فوقهم وعلى ظهورهم ثياب سندس وهو الديباج الرقيق الفاخر الحسن وإضافة الثياب إلى السندس كإضافة الخاتم إلى الفضة وبالفارسية بربهشتيان يعني لباس زبرين ايشان جامهاى ديباى نازك.

ولم يرض الزجاج بكون عاليهم نصباً على الظرف بمعنى فوقهم لأنه لم يعرف في الظروف وخضر جمع أخضر صفة ثياب كقوله **﴿ويلبسون ثياباً خضراً﴾** فالضمير للأبرار المطوف عليهم لأن المقام مقام تعداد نعيمهم وكرامتهم فالمناسب أن تكون الثياب الموصوفة لهم لا للولدان الطائفين وعن الإمام أن المراد فوق خيامهم المضروبة عليهم والمعنى أن حجالهم من الحرير والديباج وهذا من علامات الملك **﴿وإستبرق﴾** بالرفع عطفاً على ثياب بحذف المضاف أي ثياب استبرق وهو معرب استبره.

بمعنى الغليظ سبق بيانه في سورة الرحمن وهو بقطع الهمزة لكونه اسماً للديباج الغليظ الذي له بريق **﴿وحلوا أساور من فضة﴾** عطف على ويطوف عليهم وهو ماض لفظاً ومستقبل معنى وأساور مفعول ثان لحلوا بمعنى ويحلون والتحلية التزيين بالحلي وبالفارسية بأحلى زيور كردن.

وفيه تعظيم لهم بالنسبة إلى أن يقال: وتحلوا وأساور جمع أسورة في جمع سوار وسوار المرأة أصله دستواره وكان الملوك في الزمان الأول يتحلون بها ويسورون من يكرمونه ولا ينافي هذه الآية ما في الكهف والحج من قوله: ﴿مِنۡ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ [الحج: ٢٣، فاطر: ٣٣] لإمكان الجمع بين السوار الذهب والسوار الفضة في أيديهم كما تجمع نساء الدنيا بين أنواع الحلي وما أحسن المعصم إذ يكون فيه سواران من جنسين وزيادة كالذهب والفضة واللؤلؤ وأيضاً لإمكان المعاقبة في الأوقات تارة يلبسون الذهب وأخرى يلبسون الفضة، وأيضاً لإمكان التبعيض بأن يكون البعض ذهباً والبعض فضة فإن حلي أهل الجنة يختلف حسب اختلاف أعمالهم فللمقربين الذهب وللأبرار الفضة وأيضاً يعطي كل أحد ما يرغب فيه ويميل طبعه إليه فإن الطباع مختلفة فرب إنسان يكون استحسانه لبياض الفضة فوق استحسانه صفرة الذهب **﴿وسقاهم﴾** بياشاماندا ايشانرا **﴿ربهم شراباً﴾** هو ما يشرب. **﴿طهوراً﴾** هذا الشراب الطهور نوع آخر يفوق النوعين السالفين كما يرشد إليه إسناد سقيه إلى رب العالمين وصفه بالطهورية لأنه يطهر باطنهم عن الأخلاق الذميمة والأشياء المؤذية كالغش والغل والحسد وينزع ما كان في أجوافهم من قذر وأذى وبه تحصل الصفوة المهيئة لانعكاس نور الجمال الإلهي في قلوبهم وهي الغاية القاصية من منازل الصديقين فلذا ختم بها مقالة ثواب الأبرار فالطهور بمعنى المطهر صيغة اسم الفاعل وقيل مبالغة الطاهر من حيث إنه ليس ينجس كخمر الدنيا وما مسته الأيدي القذرة والأقدام الدنسة ولا يؤول إلى أن يكون نجساً بل يرشح عرقاً من أبدانهم له ريح كريح المسك.

قال الكاشفي: ببايد دانست كه جوى كوثر دربهشت خاصهء حضرت رسالت است وذكر آن درسورهء كوثر خواهد آمد وچهار جوى ديكر ازان متقيانست آب وشير وخمر وعسل وشمهء از صفات اودر سورهء محمد مرقوم رقم بيان شد ودو چشمه ازان أهل خشيت است فيهما عينان تجريان ودو چشمه ازان أهل يمين است فيهما عينان نضاختان واين چهار چشمه درسورة

الرحمن آمد ديكر چشمهٔ رحيق ازان ابرارست وچشمهٔ تسنيم ازان مقربان واين هردود رسورهٔ مطففين مذكورند ودوچشمه ازان أهل بيت است كافور وزنجبيل كه آنرا سلسبيل خوانند وشراب طهور نيز از ايشانست ومحققان آنرا شراب شهود كوبندكه مرآت دل نوشنده را بلوامع أنوار قدم روشن ساخته پذير اي نقوش عكوس ازل وابد كرداند ووقت وحال اورا چنان صافي سازدكه مطلقاً شوائب غيريه در مشارع وحدت نماند ورنك دوكانكى مبدل كر دانيده جام مدامرا يك رنك سازد.

همه جامست ونيست كويى مى يا مدامست ونيست كويى جام

عارفي كفته اكر فردا بزم نشينان دار بقارا براي آنكه سرور شراب طهور خواهند چشانيد امروز باده نوشان خمخانهٔ افضال را بنقدازان نصيبي تام داره اند.

ازسقاهم ربهم بين جملهٔ ابرارمست در جمال لا يزالي هفت وپنج وچارمست

أي جوانمرد شراب آن شرابست كه دست غيب دهدد رجام دل ريزد وعارف اورانوش كند قومي را شراب مست كرد وقومي راديدار.

وأسكر القوم دور كأس وكان سكري من المدير

بزركى را بخواب نمودندكه معروف كرخي رحمه الله كرد عرش طراف مي كردورب العزة فرشتكا نرامى كفت اورا شناسيد كفتندنه كفت معروف كرخي است بمهر ما مست شده تاديدهٔ اوبرمانيايد هشيار نكردد هراكرا امروز شراب محبت نيست فردا اورا شراب طهور نيست.

قال بعضهم: صليت خلف سهل بن عبد الله العتمة فقرأ قوله تعالى: ﴿**وسقاهم ربهم شراباً طهوراً**﴾ فجعل يحرك فمه كأنه يمص فلما فرغ من صلاته قيل له أتقرأ أم تشرب قال: والله لو لم أجد لذته عند قراءته كلذتي عند شربه ما قرأته.

وفي «التأويلات النجمية»: قوله ﴿**عاليهم**﴾ الخ يشير إلى اتصاف أهل الجنة بملابس الصفات الإلهية والأخلاق الربانية من خضر أي من الصفات الذاتية واستبرق أي من الصفات الاسمائية وإلى تحليهم بحلي أساور الأسماء الذاتية والصفاتية الزاهرة الباهرة وسقاهم ربهم بكأس الربوبية والتربية شراب المحبة الذاتية الطاهرة عن شوب كدورة رقبة الأغيار.

﴿إِنَّ هَٰذَا كَانَ لَكُمْ جَزَآءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا ﴿٢٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ تَنزِيلًا ﴿٢٣﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ ءَاثِمًا أَوْ كَفُورًا ﴿٢٤﴾ وَٱذْكُرِ ٱسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٢٥﴾﴾.

﴿**إن هذا**﴾ على إضمار القول أي يقال لهم إن هذا الذي ترونه من فنون الكرامات ويجوز أن يكون خطاباً من الله في الدنيا للأبرار أي إن هذا الذي ذكر من أنواع العطايا ﴿**كان لكم جزاء**﴾ عوضاً بمقابلة أعمالكم الحسنة فإن قيل: كيف يكون جزاء لأعمالهم وهي مخلوقة لله عند أهل السنة وأجيب بأنها لهم كسباً عندهم ولله خلقاً ﴿**وكان سعيكم**﴾ وهست شتافتن شمادركار خيرد ردنيا ﴿**مشكوراً**﴾ مرضياً مقبولاً مقابلاً بالثواب لخلوص نيتكم فيزداد بذلك فرحهم وسرورهم كما أن المعاقب يزداد غمه إذا قيل له هذا جزاء عملك الرديء فالشكر مجاز عن هذا المعنى تشبيهاً له بالشكر من حيث إنه مقابل للعمل كما أن الشكر مقابل للنعم قال بعضهم: أدنى الدرجات أن يكون العبد راضياً عن ربه وإليه الإشارة بقوله ﴿**كان لكم جزاء**﴾

وأعلاها كونه مرضياً له وإليه الإشارة بقوله ﴿كان سعيكم مشكوراً﴾ ولما كان كونه مرضياً أعلى الدرجات ختم به ذكر مراتب الأبرار.

وفي «التأويلات النجمية»: إن هذا كان لكم جزاء لاقتضاء استعداداتكم الفطرية وكان سعيكم مشكوراً غير مضيع بسبب الرياء والسمعة.

﴿إنا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً﴾ أي مفرقاً منجماً لحكم بالغة مقتضية له لا غير كما يعرف عنه تكرير الضمير مع أن فكأنه تعالى يقول إن هؤلاء الكفار يقولون إن ذلك كهانة وسحر فأنا الملك الحق أقول على سبيل التأكيد: إن ذلك وحي حق وتنزيل صدق من عندي فلا تكترث بطعنهم فإنك أنت النبي الصادق المصدق ﴿فاصبر لحكم ربك﴾ بتأخير نصرك على الكافرين فإن له عاقبة حميدة ولا تستعجل في أمر المقابلة والانتقام فإن الأمور مرهونة بأوقاتها وكل آت قريب ﴿ولا تطع منهم﴾ أي من الكفار ﴿آثماً أو كفوراً﴾ أو لأحد الشيئين والتسوية بينهما فإذا قلت في الإثبات جالس الحسن أو ابن سيرين كان المعنى جالس أحدهما فكذا إذا قلت في النهي لا تكلم زيداً أو عمراً كان التقدير لا تكلم أحدهما والأحد عام لكل واحد منهما فهو في المعنى لا تكلم واحداً منهما فمآل المعنى في الآية ولا تطع كل واحد من مرتكب الإثم الداعي لك إليه ومن الغالي في الكفر الداعي إليه فأو للإباحة أي للدلالة على أنهما بيان في استحقاق العصيان أي عصيان المخاطب للداعي إليهما والاستقلال به والتقسيم إلى الآثم والكفور مع أن الداعين بجمعهم الكفر باعتبار ما يدعونه إليه من الإثم والكفر لا باعتبار انقسامهم في أنفسهم إلى الآثم والكفور لأنهم كانوا كفرة والكفر أخبث أنواع الإثم فلا معنى للقسمة بحسب نفس كفرهم وإثمهم وذلك أن ترتب النهي على الوصفين مشعر بعليتهما له فلا بد أن يكون النهي عن الإطاعة في الإثم والكفر لا فيما ليس بإثم ولا كفر فالمراد بالإثم ما عدا الكفر إذ العام إذا قوبل بالخاص يراد به ما عدا ذلك الخاص وخص الكفر بالذكر تنبيهاً على غاية خبثه من بين أنواع الإثم فكل كفور آثم وليس كل آثم كفوراً ولا بعد أن يراد بالآثم من هو تابع وبالكفور من هو متبوع.

وقال الكاشفي: آثماً كناهكارى راكه تراباً ثم خواند چون عتبة بن ربيعة كه كفت ازدعوت خود باز ايست تادختر خودرا بتودهم أو كفورا وناسپاسي راكه ترا بكفر دعوت كندچون وليد بن مغيره كه كفت بدين أباء رجوع كن تاترا توانكر سازم.

وفي نهيه عليه السلام عن الإطاعة فيما يدعونه إليه مع أنه ما كان يطيع أحداً منهم ولا يتصور في حقه ذلك إشارة إلى أن الناس محتاجون إلى مواصلة التنبيه والإرشاد من حيث إن طبيعتهم التي جبلوا عليها ركب فيها الشهوة الداعية إلى السهو والغفلة وأن أحداً لو استغنى عن توفيق الله وإمداده وإرشاده لكان أحق الناس به هو الرسول المعصوم فظهر أنه لا بد لكل مسلم أن يرغب إلى الله ويتضرع إليه أن يحفظه من الفتن والآفات في جميع أموره وقال القاشاني: ولا تطع منهم آثماً أي محتجباً بالصفات والأحوال أو بذاته عن الذات أو بصفات نفسه وهيئاتها عن الصفات أو كفوراً محتجباً بالأفعال والآثار واقفاً معها أو بأفعاله ومكسوباته عن الأفعال فتحجب بموافقتهم انتهى. عصمنا الله وإياكم من موافقة الأعداء مطلقاً.

﴿واذكر اسم ربك بكرة﴾ أول النهار ﴿وأصيلاً﴾ أي: عشياً وهو آخر النهار أي وداوم على ذكره في جميع الأوقات فأريد بقوله: ﴿بكرة وأصيلاً﴾ الدوام لأنه عليه السلام، كان آتياً

بنفس الذكر المأمور به وانتصابهما على الظرفية، أو دم على صلاة الفجر والظهر والعصر فإن الأصيل كما يطلق على ما بعد العصر إلى المغرب فكذا يطلق على ما بعد الزوال فيتناول وقتي الظهر والعصر وقال سعدي المفتي التأويل بالدوام إنما يحتاج إليه لو ثبتت فرضة الصلوات الخمس قبل نزولها والظاهر أنه كذلك فإنها فرضت ليلة المعراج.

يقول الفقير: وفيه أن الصلوات الخمس وإن فرضت ليلة المعراج إلا أن المعراج كان قبل الهجرة بسنة والتأريخ في نزول الآية مجهول أهي نازلة قبل المعراج أم بعده فإن كان الثاني ثبت مطلوبه وإلا فلا. قال القاشاني: واذكر ذلك الذي هو الاسم الأعظم من أسمائه بالقيام بحقوقه وإظهار كمالاته في المبدأ والمنتهى بالصفات الفطرية من وقت طلوع النور الإلهي بإيجادها في الأزل وإيداع كمالاته فيها وغروبه بتعينها واحتجابه بها وإظهارها مع كمالاتها.

﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾﴾

﴿ومن الليل فاسجد له﴾ وفي بعض الليل فصل له ولعله صلاة المغرب والعشاء.

پس معنى چنين باشدكه بربنج نماز مداومت نماي.

وتقديم الظرف للاهتمام لما في صلاة الليل من مزيد كلفة وخلوص وأفضل الأعمال أشقها وأخلصها من الرياء فاستحقت الاهتمام بشأنها وقدم وقتها لذلك ثم الفاء لإفادة معنى الشرط كأنه قال مهما يكن من شيء فاسجد له ففيها وكادة أخرى لأمرها.

وفي «التأويلات النجمية»: واعبد ربك المطلق حق العبودية بالفناء فيه من ليل طبيعتك وغلس بشريتك إذ السجود صورة الفناء الذاتي والركوع صورة الفناء الصفاتي والقيام صورة الفناء الأفعالي فافهم بعض أسرار الصلاة ﴿وسبحه ليلاً طويلاً﴾ أي صل صلاة التهجد لأنه كان واجباً عليه في طائفة طويلة من الليل ثلثه أو نصفه أو ثلثه فقوله ليلاً طويلاً نصب على الظرفية فإن قلت انتصاب ليلاً على الظرفية وطويلاً نعت له ومعناه سبحه في الليل الطويل فمن أين يفهم ما ذكرت من المعنى قلت ظاهر أن توصيف الليل بالطول ليس للاحتراز عن القصير فإن الأمر بالتهجد يتناوله أيضاً فهو لتطويل زمان التسبيح وفي التعبير في التهجد بالتسبيح وتأخير ظرفه دلالة على أنه ليس في مرتبة ما قبله.

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمٗا ثَقِيلٗا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾﴾.

﴿إن هؤلاء﴾ أي كفار مكة عاد إلى شرح أحوال الكفار بعد شرح صدره عليه السلام بما ذكر من قوله: ﴿إنا نحن﴾ الخ ﴿يحبون العاجلة﴾ دوست ميدارند سراي شتا بنده را يعني دنيارا وينهمكون في لذاتها الفانية فهو الحامل لهم على الكفر والإعراض عن الاتباع لا اشتباه الحق عليهم ﴿ويذرون﴾ يتركون ﴿وراءهم﴾ أي: أمامهم لا يستعدون فهو حال من يوماً أو ينبذون وراء ظهورهم فهو ظرف ليذرون فورآء يستعمل في كل من أمام وخلف والظاهر في وجه الاستعمالين أن ورآء اسم للجهة المتوارية أي المستترة المختفية عنك واستتار جهة الخلف عنك ظاهر وما في جهة الإمام قد يكون متوارياً عنك غير مشاهد ومعاين لك فيشبه جهة الخلف في ذلك فيستعار له اسم الوراء. ﴿يوماً ثقيلاً﴾ لا يعبأون به ويوماً مفعول يذرون وثقيلاً صفته ووصفه بالثقل مع أنه من صفات الأعيان الجسمية لا الامتدادات الوهمية لتشبيه شدته وهوله

بثقل الحمل الثقيل ففيه استعارة تخييلية وفي الآية وعيد لأهل الدنيا ونعيمها خصوصاً لأهل الظلم والرشوة.

﴿نحن﴾ لا غيرنا ﴿خلقناهم﴾ من نطفة ﴿وشددنا أسرهم﴾ أي: أحكمنا ربط مفاصلهم بالأعصاب ليتمكنوا بذلك من القيام والقعود والأخذ والدفع والحركة وحق الخالق المنعم أن يشكر ولا يكفر ففيه ترغيب والأسر الربط ومنه أسر الرجل إذا أوثق بالقيد وقدر المضاف وهو المفاصل.

وفي «كشف الأسرار» وآفرينش سان سخت بستيم تا آفرينش واندامان برجاي بود.

فمعناه شددنا خلقهم وقال الراغب: إشارة إلى الحكمة في تركيب الإنسان المأمور بتدبرها وتأملها في قوله ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] وقيل وشددنا مخرج البول والغائط إذا خرج الأذى انقبض أو معناه أنه لا يسترخي قبل الإرادة ﴿وإذا شئنا﴾ تبديلهم ﴿بدلنا أمثالهم﴾ أي: بدلناهم بأمثالهم بعد إهلاكهم والتبديل يتعدى إلى مفعولين غالباً كقوله تعالى: ﴿يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍۗ﴾ [الفرقان: ٧٠] يعني يذهب بها ويأتي بدلها بحسنات ﴿تبديلا﴾ بديعاً لا ريب فيه وهو البعث كما ينبيء عنه كلمة إذا فالمثلة في النشأة الأخرى إنما هي في شدة الأسر وباعتبار الأجزاء الأصلية ولا ينافيها الغيرية بحسب العوارض كاللطافة والكثافة وبالفارسية وچون خواستيم بدل كنيم ايشانرا بامثال ايشان در خلقت يعني ايشانرا بميرانيم ودر نشأت ثانيه بمانند همين صورت وهيأت وز آريم.

أو المعنى: وإذا شئنا بدلنا غيرهم ممن يطيع كقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٨] ففيه ترهيب فالمثلية باعتبار الصورة ولا ينافيها الغيرية باعتبار العمل والطاعة وإذا للدلالة على تحقق القدرة وقوة الداعية وإلا فالمناسب كلمة أن إذ لا تحقق لهذا التبديل. قال القاشاني: نحن خلقناهم بتعيين استعداداتهم وقويناهم بالميثاق الأزلي والاتصال الحقيقي وإذا شئنا بدلنا أمثالهم تبديلاً بأن نسلب أفعالهم بأفعالنا ونمحو صفاتهم بصفاتنا ونفني ذواتهم بذاتنا فيكونوا أبدالاً.

﴿إن هذه تذكرة﴾ إشارة إلى السورة أو الآيات القريبة أي عظة مذكرة لما لا بد منه في تحصيل السعادة الأبدية جعلت عين التذكرة مبالغة وفي «عين المعاني»: تذكرة أي اذكار بما غفلت عنه عقولهم.

وقال الكاشفي: يا معالمهٔ أهل بيت در بذل وإيثار عبر تيست مؤمناً نراتا بمثل آن عمل كنند واز مثل اين جزاها بهره يابند. ﴿فمن﴾ پس هركه ﴿شاء اتخذ إلى ربه سبيلاً﴾ أي فمن شاء أن يتخذ إليه تعالى سبيلاً أي وسيلة توصله إلى ثوابه اتخذه أي تقرب إليه بالعمل بما في تضاعيفها وقال ابن الشيخ فمن شاء النجاة من ثقل ذلك اليوم وشدته اختار سبيلاً مقرباً إلى مرضاة ربه وهو الطاعة.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًۢا ﴿٣١﴾﴾

﴿وما تشاؤون إلا أن يشاء الله﴾ تحقيق للحق والبيان أن مجرد مشيئتهم غير كافية في اتخاذ السبيل كما هو المفهوم من ظاهر الشرطية وإن مع الفعل في حكم المصدر الصريح في قيامه مقام الظرف والمعنى وما تشاؤون اتخاذ السبيل ولا تقدرون على تحصيله في وقت من

الأوقات إلا وقت مشيئته تعالى تحصيله لكم إذ لا دخل لمشيئة العبد إلا في الكسب وإنما التأثير والخلق لمشيئة الله تعالى غاية ما في الباب أن المشيئة ليست من الأفعال الاختيارية للعبد بل هي متوقفة على أن يشاء الله إياها وذلك لا ينافي كون الفعل الذي تعلقت به مشيئة العبد اختيارياً له واقعاً بمشيئته وإن لم تكن مشيئته مستقلة فيه وهو الجبر المتوسط الذي يقول به أهل السنة ويقولون الأمر بين الأمرين أي بين القدر والجبر قال في «عين المعاني» قوله تعالى: ﴿**فمن شاء**﴾. . الخ حجة تكليف العبودية وقوله تعالى: ﴿**وما تشاؤون**﴾. . الخ إظهار قهر الألوهية ﴿**إن الله كان عليماً حكيماً**﴾ بيان لكون مشيئته تعالى مبنية على أساس العلم والحكمة والمعنى أنه تعالى مبالغ في العلم والحكمة فيفعل ما يستأهله كل أحد فلا يشاء لهم إلا ما يستدعيه علمه وتقتضيه حكمته. قال القاشاني: وما تشاؤون إلا بمشيئتي بأن أريد فتريدون فتكون إرادتكم مسبوقة بإرادتي بل عين إرادتي الظاهرة في مظاهرهم إن الله كان عليماً بما أودع فيهم من العلوم حكيماً بكيفيته إيداعها وإبرازها فيهم بإظهار كمالهم ﴿**يدخل من يشاء في رحمته**﴾ بيان لإحكام مشيئته المرتبة على علمه وحكمته أي يدخل في رحمته من يشاء أن يدخله فيها وهو الذي يصرف مشيئته نحو اتخاذ السبيل إليه تعالى حيث يوفقه لما يؤدي إلى دخول الجنة من الإيمان والطاعة ﴿**والظالمين**﴾ وهم الذين صرفوا مشيئتهم إلى خلاف ما ذكر ﴿**أعد لهم عذاباً أليماً**﴾ أي متناهياً في الإيلام قال الزجاج: نصب الظالمين لأن ما قبله منصوب أي يدخل من يشاء في رحمته ويعذب الظالمين ويكون أعد لهم تفسيراً لهذا المضمر وفي الآية إشارة إلى إدخال الله بعض عباده في رحمة معرفته وأما بعض عباده وهم الظالمون الواضعون الضلالة في مقام الهداية والجهالة في مقام المعرفة فإن الله أعد لهم عذاب الحجاب المؤلم للروح والجسم وأيضاً عذاباً بالوقوف على الرب لوقوفهم مع الغير ثم على النار لوقوفهم مع الآثار وختم الله السورة بالعذاب المعد يوم البعث والحشر ففيه حسن الخاتمة لموافقته الفاتحة على ما لا يخفى على أهل النفل والفهم.

تمت سورة الإنسان بعون ذي الإحسان يوم الثلاثاء الرابع من شهر الله المحرم من شهور سنة سبع عشرة ومائة ألف

٧٧ ـ سورة المرسلات

خمسون آية مكية استثني منها ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟﴾ الآية

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١ فَٱلْعَٰصِفَٰتِ عَصْفًا ۝٢ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشْرًا ۝٣ فَٱلْفَٰرِقَٰتِ فَرْقًا ۝٤ فَٱلْمُلْقِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٥ عُذْرًا أَوْ نُذْرًا ۝٦﴾.

﴿والمرسلات عرفاً فالعاصفت عصفاً والناشرات نشراً فالفارقات فرقاً فالملقيات ذكراً﴾، الواو للقسم والمرسلات بمعنى الطوائف المرسلات جمع مرسلة بمعنى طائفة مرسلة باعتبار أن ملائكة كل يوم أو كل عام أو كل حادثة طائفة وعرفاً بمعنى متتابعة من عرف الفرس وهو الشعرات المتتابعة فوق عنقه فهو من باب التشبيه البليغ بأن شبهت الملائكة المرسلون في تتابعهم بشعر عرف الفرس وانتصابه على الحالية أي جاريات بعضها أثر بعض كعرف الفرس أو العرف بمعنى المعروف والإحسان نقيض النكر بمعنى المنكر، أي الشيء القبيح فإنهم إن أرسلوا للرحمة فظاهر وإن أرسلوا لعذاب الكفار فذلك معروف للأنبياء والمؤمنين يعني أن عذاب الأعداء إحسان للأولياء فانتصابه على العلية وعصفت الريح اشتدت وعصفاً مصدر مؤكد وكذا نشراً وفرقاً والفاء للدلالة على اتصال سرعة جريهن في نزولهن وهبوطهن بالإرسال من غير مهلة وهي لعطف الصفة على الصفة إذ الموصوف متحد والنشر بمعنى البسط والعدول إلى الواو في الناشرات لأنها غير المرسلات فالقسم الأول وصفهم الله بوصفين يتعقب أحدهما على الآخر والقسم الثاني وصفهم بثلاثة أصواف كذلك والفرق الفصل والإلقاء هنا بمعنى الإيصال والإنزال لا الطرح وذكراً بمعنى الوحي مفعول الملقيات وترتيب الإلقاء على ما قبله بالفاء ينبغي أن يكون لتأويله بإرادة النشر والفرق وسيأتي تمامه أقسم الله بطوائف من الملائكة أرسلهن بأوامره بنحو التدبير وإيصال الأرزاق بالتصرف في الأمطار والرياح وكتابة أعمال العباد بالليل والنهار وقبض الأرواح فعصفهن في مضيهن يعني سخت رفتند.

عصف الرياح مسارعة في الامتثال بالأمر وبطوائف أخرى نشرن أجنحتهن في الجو عند انحطاطهن بالوحي أو نشرن الشرائع في الأقطار أي فرقن وأشعن أو نشرن النفوس الموتى بالكفر والجهل أي أحيين بما أوحين ففرقن بين الحق والباطل فألقين ذكراً إلى الأنبياء **﴿عذراً﴾** لأهل الحق أي معذرة لهم في الدنيا والآخرة لاتباعهم الحق. **﴿أو نذراً﴾** لأهل الباطل لعدم اتباعهم الحق وعذراً مصدر من عذر إذا محا الإساءة ونذراً اسم مصدر من أنذر إذا خوف لا مصدر لأنه لم يسمع فعل مصدراً من أفعل وانتصابهما على البدلية من ذكراً قال ابن الشيخ: إن كان الذكر المبدل منه بمعنى جميع الوحي يكون عذراً أو نذراً بدل البعض من الكل فإن ما

يتعلق بمغفرة المطيعين وتخويف المعاندين بعض من جملة الوحي وإن أريد بالذكر المبدل منه ما يتعلق بسعادة المؤمن وشقاوة الكافر خاصة يكون بدل الكل من الكل فإن إلقاء ما يتعلق بسعادة المؤمن متحد بالذات مع إلقاء عذره نحو إساءته وكذا إلقاء ما يتعلق بشقاوة الكافر متحد مع إلقاء إنذاره على كفره انتهى. أو انتصابهما على العلية لصفات المذكورة أو للأخيرة وحدها وهو الأولى بمعنى فاللاتي ألقين ذكراً لمحو ذنوب المعتذرين إلى الله بالتوبة والاستغفار ولتخويف المبطلين المصرين وفي «كشف الأسرار» لأجل الإعذار من الله إلى خلقه لئلا يكون لأحد حجة فيقول لم يأتني رسول ولأجل إنذارهم من عذاب الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ﴿عذراً أو نذراً﴾ قال: يقول الله يا ابن آدم إنما أمرضكم لأذكركم وأمحص به ذنوبكم وأكفر به خطاياكم وربكم أعلم أن ذلك المرض يشتد عليكم وأنا في ذلك معتذر إليكم قال بعضهم: المعنى «ورب المرسلات».. الخ. وفي «الإرشاد»: لعل تقديم نشر الشرائع ونشر النفوس والفرق على الإلقاء أي مع أن الظاهر أن الفرق بين الحق الباطل يكون مع النشر لا بعده وأن إلقاء الذكر إلى الأنبياء متقدم على نشر الشرائع في الأرض وإحياء النفوس الموتى والفرق بين الحق والباطل فلا يظهر التعقيب بينهما للإيذان بكونها غاية للإلقاء حقيقة بالاعتناء بها أو للإشعار بأن كلاً من الأوصاف المذكورة مستقل بالدلالة على استحقاق الطوائف الموصوفة بها للتفخيم والإجلال بالإقسام بهن ولو جيء بها على ترتيب الوقوع لربما فهم أن مجموع الإلقاء والنشر والفرق هو الموجب لما ذكر من الاستحقاق هذا وقد قيل في هذا المقام غير ذلك لكن الحمل على الملائكة أوجه وأسد لما ذكرنا في المدثر أن المحققين على أنه من الملائكة المرسلات والناشرات والملقيات وغير ذلك.

«قال في كشف الأسرار»: در روز كار خلافت عمر رضي الله عنه مردى نيامداز أهل عراق نام أو صبيع وازعمر ذاريات ومرسلات پرسيد صبيغ عادت داشت كه پيوسته ازين معضلات آيات پرسيدى يعني تاكه مردم در وفرومانند عمر اورا دره زد وكفت لو وجدتك محلوقاً لضربت الذي فيه عيناك يعني اكر من تراسر سترده يا فتم من ترا كردن زدم عمر رضي الله عنه اين سخن را ازبهر آن كفت كه از رسول خدا عليه السلام، شنيده بود در صفت خوارج كه سيماهم التحليق كفت در امت من قومي خوارج پيدا آيند نشان ايشان آنست كه ميان سر سترده دارند پس عمر نامه نبشت باموسى الأشعري وكان أميراً على العراق كه يكسال اين صبيغ را مهجور داريد بوي منشينيد وسخن مكوييد پس از يكسال صبيغ توبه كرد وعذر خواست وعمر رضي الله عنه توبه وعذروي قبول كرد شافعي رحمه الله كفت حكمي في أهل الكلام كحكم عمر في صبيغ قال في «القاموس» صبيغ كأمير ابن عسيل كان يعنت الناس بالغوامض والسؤالات ففاه عمر إلى البصرة انتهى.

﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ ۝٧ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتْ ۝٩ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ۝١٠ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتْ ۝١١ لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ ۝١٢ لِيَوْمِ ٱلْفَصْلِ ۝١٣ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤﴾.

﴿إنما توعدون لواقع﴾ جواب للقسم أي إن الذي توعدونه من مجيء القيامة كائن لا محالة فإنما هذه ليست هي الحصرية بل ما فيها موصولة وإن كتبت متصلة في خط المصحف والموعود هو مجيء القيامة لأن المذكور عقيب هذه الآية علامات يوم القيامة وقال الكلبي: المراد أن كل ما توعدون به من الخير والشر لواقع نظراً إلى عموم لفظ الموصول.

وفي «التأويلات النجمية»: إنما توعدون من يوم قيامة الفناء الكلي في الله لواقع حاصل بالنسبة إلى أهل المعرفة والشهود وأرباب الذوق والوجود وأما بالنسبة إلى أهل الحجاب والاحتجاب فسيقع إن كانوا مستعدين لرفع الحجاب وكشف النقاب وإلى هذا الوقوع المحقق أشار بقوله: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨] أي في الحال وبقول: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾ [الرحمن: ٢٦] أي فإن في عين البقاء إذ المقيد مستهلك في إطلاق المطلق استهلاك نور الكواكب في نور الشمس واستهلاك اعتبارات النصفية والثلثية والربعية في الاثنين والثلاثة والأربعة ثم أخبر عن ظهور آثار يوم القيامة وحصول دلائلها لأهل الشقاوة بقوله:

﴿**فإذا النجوم طمست**﴾ محيت ومحقت ذواتها فإن الطمس محو الأثر الدال على الشيء وهو الموافق لقوله ﴿**وإذا الكواكب انتثرت**﴾ أو ذهب بنورها والأول أولى لأنه لا حاجة فيه إلى الإضمار والنجوم مرتفعة بفعل يفسره ما بعده أو بالابتداء وطمست خبره والأول أولى لأن إذا فيها معنى الشرط والشرط بالفعل أولى ومحل الجملة على الإعرابين الجر بإذا وجواب إذا محذوف والتقدير فإذا طمست النجوم وقع ما توعدون أو بعثتم أو جوزيتم على أعمالكم وحذف لدلالة قوله ﴿**إنما توعدون**﴾ لواقع عليه وفيه إشارة إلى محق نجوم الحواس العشر الظاهرة والباطنة عن إدراك الحقائق عند طلوع الشمس الحقيقة.

﴿**وإذا السماء فرجت**﴾ صدعت من خوف الرحمن وشققت ووقعت فيها الفروج التي نفاها بقوله ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦] وفتحت فكانت أبواباً بالفرج الشق وكل مشقوق فرج وبالفارسية وآنكاه كه آسمان شكافته كردد.

وفيه إشارة إلى صدع سماء الأرواح وشقها عند سطوات التجليات الجلالية.

﴿**وإذا الجبال نسفت**﴾ جعلت كالحب الذي ينسف بالمنسف وهو ما ينفض به الحب ويذري ونحوه وبست الجبال بساً فالنسف والبس بالفارسية پراكنده كردن وداميدن.

وفيه إشارة إلى تلاشي جبال الخيالات والأوهام الفاسدة الكاسدة عند بوادي المشاهدات وهوادي المعاينات.

﴿**وإذا الرسل أقتت**﴾ أي: عين لهم الوقت الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم وذلك عند مجيئه وحضوره إذ لا يتعين لهم قبل حصوله فإن علم ذلك إلى الله تعالى يعني أن تبيين وقت حضورهم لهم من جملة علامات القيامة من حيث أن ذلك التعيين والتبيين لم يكن حاصلاً في الدنيا لعدم حصول الوقت فيقال لهم عند حصوله احضروا للشهادة فقد جاء وقتها أو المعنى وإذا الرسل بلغوا الميقات الذي كانوا ينتظرونه وهو يوم القيامة فإن التوقيت كما يجيء بمعنى تحديد الشيء وتعيين وقته، فكذا يجيء بمعنى جعل الشيء منتهياً إلى وقته المحدود وعلى المعنى الأول لا يقع على الذوات بدون إضمار فإن الموقت هو الأحداث لا الجثث فلا يقل زيد موقت إلا أن يراد موقت حضوره وكذا توقيت الرسل إنما هو بالنسبة إلى حضورهم لا بالنسبة إلى ذواتهم لأن الذوات قارة لا يعتبر فها تعيين بخلاف الزمانيات المتجددة هكذا قالوا. وقال سعدي المفتي: وفي وقوعه على المعنى الثاني على الجثث بدون إضمار بحث ظاهر وإن ذهب إليه صاحب «الكشف» ونحوه وقرأ أبو عمرو وقتت على الأصل لأن من الوقت والباقون أبدلوا الواو همزة لأن الضمة من جنس الواو فالجمع بينهما يجري مجرى الجمع بين المثلين فيكون ثقيلاً ولهذا السبب تستثقل الكسرة على الياء ولم تبدل في نحو ﴿وَلَا

﴿تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧] لأن ضمة الواو ليست بلازمة فيه، وفي «"كشف الأسرار"» الألف والواو لغتان والعرب تبدل الألف من الواو تقول وسادة وإسادة وكتاب مورخ ومؤرخ وقوس موتر ومؤتر وفي الآية إشارة إلى رسل القلب والسر وتعيين وقت شهادتهم على أمة الأعضاء والجوارح.

﴿لأي يوم أجلت﴾ مقدر بقول هو جواب لإذا في قوله ﴿وإذا الرسل أقتت﴾ أي يقال لأي يوم أخرت الأمور المتعلقة بالرسل أي بجمعهم وإحضارهم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ﴾ [المائدة: ١٠٩] والمراد تعظيم ذلك اليوم والتعجيب من هوله. قال القاشاني: وإذا الرسل أي ملائكة الثواب والعقاب عينت وبلغت ميقاتها الذي عين لها إما لإيصال البشرى والروح والراحة وإما لإيصال العذاب والكرب والذلة ليوم عظيم أخرت عن معاجلة الثواب والعقاب في وقت الأعمال ورسل البشر وهم الأنبياء عينت وبلغت ميقاتها الذي عين لهم فيه الفرق بين المطيع والعاصي والسعيد والشقي فإن الرسل يعرفون كلاً بسيماهم.

﴿ليوم الفصل﴾ بيان ليوم التأجيل وهو اليوم الذي يفصل في بين الخلائق ويقضي بالحقوق ويحكم بين المحسن والمسيء ويميز بين أرباب شهود الوحدة الذاتية وبين أصحاب شهود الكثرة الاسمائية والصفاتية وقال بعضهم: يفصل فيه بين الحبيب وحبيبه إلا من كان معاملته لله في الله وبين الرسل وأمه وأبيه وأخيه إلا أن يكونوا متفقين على الحق والعدل.

﴿وما أدراك ما يوم الفصل﴾ ما مبتدأ أدراك خبره أي، أي شيء جعلك دارياً وعالماً ما هو وما كنهه إذ لم تر مثله وكذا لم ير أحد قبلك شدته حتى تسمع منه.

قال الكاشفي: وچه چيزداناكرد تراكه چيست روز فصل چه كنه اورانتوان دانست.

فوضع موضع الضمير ليوم الفصل لزيادة تفظيع وتهويل على أن ما خبر ويوم الفصل مبتدأ لا بالعكس كما اختاره سيبويه لأن محط الفائدة بيان كون يوم الفصل أمراً بديعاً هائلاً لا يقادر قدره ولا يكتنه كنهه كما يفيده خبرية ما لا بيان كون أمر بديع من الأمور يوم الفصل كما يفيده عكسه.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ نُهْلِكِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٧﴾ كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾ أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿ويل﴾ وأي ﴿يومئذٍ﴾ أي في ذلك اليوم الهائل. ﴿للمكذبين﴾ بيوم يفصل فيه الرحمن بين الخلائق أي الويل والهلاك ثابت فيه لهم والويل في الأصل مصدر منصوب ساد مسد فعل لا من لفظه فأصله أهلكه الله إهلاكاً أو هلك هو هلاكاً عدل به إلى الرفع للدلالة على ثبات الهلاك ودوامه المدعو عليه ويومئذٍ ظرفه أو صفته ووضع الويل موضع الإهلاك أو الهلاك فجاز وقوعه مبتدأ مع كونه نكرة فإنه لما كان مصدراً ساداً مسد فعله المتخصص بصدوره عن فاعل معين كانت النكرة المذكورة متخصصة بذلك الفاعل فساغ الابتداء بها لذلك كما قالوا في سلام عليك وقال بعضهم: الويل واد في جهنم لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره أي ذابت وقال الجنيد قدس سره: الويل يومئذٍ لمن كان يدعي في الدنيا الدعاوى الباطلة.

﴿ألم نهلك الأولين﴾ كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم ممن هلكوا قبل بعثة سيد المرسلين عليه السلام وذلك لتكذيبهم بيوم الفصل وهو استئناف إنكار لعدم الإهلاك إثباتاً وتقريراً له لأن

نفي النفي يثبت الإثبات ويحقق الإهلاك فكأنه قيل لم يكن عدم الإهلاك بل قد أهلكناهم.

﴿ثم نتبعهم الآخرين﴾ وهم الذين كانوا بعد بعثته عليه السلام وهو بالرفع على ثم نحن نتبعهم الآخرين من نظرائهم السالكين لمسلكهم في الكفر والتكذيب أي نجعلهم تابعين للأولين في الإهلاك فليس الكلام معطوفاً على ما قبله لأن العطف يوجب أن يكون المعنى أهلكنا الأولين ثم أتبعناهم الآخرين في الإهلاك وليس كذلك لأن إهلاك الآخرين لم يقع بعد فلذلك رفع نتبع على أن يكون مقطوعاً عما قبله ويستأنف به الكلام على وجه الإخبار عما سيقع في المستقبل بإضمار المبتدأ وفيه وعيد لكفار مكة.

﴿كذلك﴾ أي فعلاً مثل ذلك الفعل الذي أخبر به فمحل الكاف النصب على أنه نعت لمصدر محذوف ﴿نفعل بالمجرمين﴾ بكل من أجرم أي سنتنا جارية على ذلك وفيه تحذير من عاقبة الجرم وسوء أثره.

﴿ويل﴾ مكروهي بزرك ﴿يومئذٍ﴾ يوم إذ أهلكناهم ﴿للمكذبين﴾ بآيات الله وأنبيائه وليس فيه تكرير لما أن الويل الأول لعذاب الآخرة وهذا لعذاب الدنيا وفي «برهان القرآن» كررها في هذه السورة عشر مرات لأن كل واحدة منها ذكرت عقيب آية غير الأولى فلا يكون تكراراً مستهجناً ولو لم يكرر كان متوعداً على بعض دون بعض وقيل إن من عادة العرب التكرار و«الإطناب» كما إن عادتهم الاقتصار والإيجاز ولأن بسط الكلام في الترغيب والترهيب دعا إلى إدراك البغية من الإيجاز وقد يجد كل أحد في نفسه من تأثير التكرار ما لا خفاء به.

﴿ألم نخلقكم﴾ أي ألم نحدثكم واتفق القراء على إدغام القاف في الكاف في هذا الحرف وذكر النقاش أنه في قراءة ابن كثير ونافع برواية قالون وعاصم في رواية حفص بالإظهار قاله في «الإيضاح». ﴿من ماء مهين﴾ بهوان الحدوث والإمكان والابتذال أي من نطفة قذرة مهينة يعني خوار وبي مقدار.

والميم أصلية ومهانته قلته وخسته وكل شيء ابتذلته فلم تصنه فقد امتهنته أي خلقناكم منه ولذا عطف عليه قوله.

﴿فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَآءً وَأَمْوَٰتًا ﴿٢٦﴾﴾.

﴿فجعلناه﴾ أي الماء وبالفارسية پس نكاه داشتيم آن آب را ﴿في قرار مكين﴾ وهو الرحم بكسر الحاء المهملة أي وعاء الولد في بطن الأم يعني در قرار كاه استواركه رحم است.

فالقرار موضع الاستقرار والمكين الحصين أي جعلنا ذلك الماء في مقر حصين يتمكن فيه الماء محفوظاً سالماً من التعرض له فمكين من المكانة بمعنى التمكن لا منها بمعنى المنزلة والمرتبة من الكون يقال رجل مكين في مكة أي متمكن فيها ومكين عند الأمير أي ذو منزلة ومرتبة عنده فيكون فعيلاً لا مفيلاً.

﴿إلى قدر معلوم﴾ أي: مقدار معلوم من الوقت الذي قدره الله للولادة تسعة أشهر أو أقل منها أو أكثر وهو في موضع الحال من الضمير المنصوب في فجعلناه أي مؤخراً إلى مقدار معلوم من الزمان.

﴿فقدرنا﴾ أي فقدرناه والمراد تقدير خلقه وجوارحه وأعضائه وألوانه ومدة حمله وحياته

ويدل على كون قدر المخفف لغة بمعنى قدر المشدد قراءة نافع والكسائي بالتشديد ﴿فنعم القادرون﴾ أي نحن بمعنى المقدرون وإلى هذا المعنى ذهب ابن مسعود رضي الله عنه ويجوز أن يكون فقدرنا من القدرة بمعنى فقدرنا على ذلك أي على خلقه وتصويره كيف شئنا وأردنا من مثل تلك المادة الحقيرة على أن المراد بالقدرة ما يقارن وجود المقدور بالفعل ويعضده قوله ﴿فنعم القادرون﴾ حيث خلقناه بقدرتنا وجعلناه على أحسن الصور والهيئات. ﴿ويل﴾ بزركتربلاي ﴿يومئذٍ للمكذبين﴾ أي بقدرتنا على ذلك أو على الإعادة قال أبو الليث: أي الشدة من العذاب لمن يرى الخلق الأول فأنكر الخلق الثاني.

﴿ألم نجعل الأرض كفاتاً﴾ عرفهم أولاً نعمه الأنفسية لأنها كالأصل ثم أتبعها النعم الآفاقية والكفت باهم آوردن.

والكفات اسم ما يكفت أي يضم ويجمع من كفت الشيء إذا ضمه وجمعه كالضمام لما يضم والجماع لم يجمع نحو التقوى جماع كل خير والخمر جماع كل إثم وكفاتاً مفعول ثان لنجعل لأنه بمعنى ألم نصيرها كفتاً تكفت وتضم ﴿أحياء﴾ كثيرة على ظهرها فهو منصوب بفعل مضمر يدل عليه كفاتاً وهو تكفت وإلا فالأسماء الجامدة وكذا أسماء الزمان والمكان والآلة وإن كانت مشتقة لا تعمل وفي اسم المصدر خلاف وأما المصدر وجمع اسم الفاعل فهما من الأسماء العاملة فمن جعل الكفات مصدراً أو جمع اسم الفاعل وهو كافت كصيام جمع صائم جعله عاملاً ومن جعله اسماً لمن يكفت أو جمعاً للكفت بمعنى الوعاء منعه من العمل غير الزمخشري فإنه جعل كفاتاً وهو اسم عاملاً وقد طعن فيه ﴿وأمواتاً﴾ غير محصورة في بطنها ولهذا كانوا يسمون الأرض أمّاً تشبيهاً لها بالأم في ضمها للناس إلى نفسها أحياء وأمواتاً كالأم التي تضم أولادها إليها وتضبطهم ولما كانوا ينضمون إليها جعلت كأنه تضمهم وأيضاً كما أن الأرض كفات الأحياء بمعنى أنهم يسكنون فيها كذلك إنها كفات لهم بمعنى أنها تكفت ما ينفصل من الأحياء من الأمور المستقذرة وتنكيرهما في معنى التعريف الاستغراقي لا الإفراد والنوعية ويجوز أن يقال الأرض وإن كانت كفاتاً لجميع أحياء الإنس وأمواتهم لكن الأحياء والأموات غير منحصرة فيها لأن بعض الحيوان يكفته الهواء والبعض الآخر يكفته الماء فلا تكون كفاتاً للجميع بل للبعض فيصح التنكير، ونقل عن القفال أنه قال: دلت الآية على وجوب قطع يد النباش من حيث أنه تعالى جعل الأرض كفات الميت فتكون حرزاً والسارق من الحرز يجب عليه القطع.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّآءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾ انطَلِقُوٓا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوٓا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِى ثَلَٰثِ شُعَبٍ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِى مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرْمِى بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿وجعلنا فيها رواسي﴾ أي: جبالاً ثوابت يعلى وبيافريديم درزمين كوههاي استوار وپاي برجا.

فمفعول جعلنا مقدر ورواسي صفة له من رسا الشيء يرسو أي ثبت والجبال ثوابت على ظهر الأرض لا تزول. ﴿شامخات﴾ صفة بعد صفة والشامخ العالي المرتفع أي طوالاً شواهق يعني بلد وسر فراز ومنه شمخ بأنفه عبارة عن الكبر وفي «عين المعاني» رواسي أي: ثوابت

الأصول رواسخ العروق شامخات أي مرتفعات الفروع ووصف جمع المذكر بجمع المؤنث في غير العقلاء مطرد كأشهر معلومات ونحوه والتنكير للتفخيم أو للإشعار بأن ما يرى على ظهر الأرض من الجبال بعض منها وأن في عداد الجبال ما لم يعرف ولم ير فإن السماء فيها جبال أيضاً بدلالة قوله تعالى: ﴿مِن جِبَالٍ فِيهَا مِنۢ بَرَدٍ﴾ [النور: ٤٣] **﴿وأسقيناكم﴾** وبياشامانيديم شمارا **﴿ماء فراتاً﴾** أي: عذباً جداً بأن خلقنا فيها أنهاراً ومنابع أي جعلناه سقياً لكم ومكناكم من شربه وكذا من سقيه دوابكم ومزارعكم وسمي نهر الكوفة فراتًا للذته، وقال أبو الليث ماء عذباً من السماء ومن الأرض يقال الفرات للواحد والجمع وتاؤه أصل والتنكير للتفخيم أو لإفادة التبعيض لأن في السماء ماء فراتاً أيضاً بل هي معدنه ومصبه.

﴿ويل﴾ واد في جهنم **﴿يومئذٍ﴾** دران روز خطرناك **﴿للمكذبين﴾** بأمثال هذه النعم العظيمة. **﴿انطلقوا﴾** أي: يقال يومئذٍ للمكذبين بطريق التوبيخ والتقريع انطلقوا واذهبوا والقائلون خزنة النار وزبانية جهنم **﴿إلى ما كنتم به تكذبون﴾** في الدنيا من العذاب وبه متعلق بتكذبون قدم لرعاية نظم الآية.

﴿انطلقوا﴾ خصوصاً **﴿إلى ظل﴾** أي: أي ظل دخان نار جهنم كقوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الواقعة: ٤٣] أي: دخان غليظ أسود **﴿ذي ثلاث شعب﴾** جمع شعبة يعني خداوندسه شاخ يتشعب لعظمه ثلاث شعب كما هو شأن الدخان العظيم تراه يتفرق ذوائب فقوله ذي ثلاث شعب كناية عن كون ذلك الدخان عظيماً بناء على أن التشعب من لوازمه وقيل يخرج لسان من النار فيحيط بالكفار كسرادق وهو ما يمد فوق صحن البيت ويتشعب من دخانها ثلاث شعب فتظلهم حتى يفرغ من حسابهم والمؤمنون في ظل العرش قال القاضي أخذاً من «التفسير الكبير» خصوصية الثلاث إما لأن حجاب النفس عن أنوار القدس الحس والخيال والوهم أو لأن المؤدي إلى هذا العذاب هو القوة الوهمية الشيطانية الحالة في الدماغ المشوشة للنفس عن إدراك الحقائق والقوة الغضبية السبعية التي عن يمين القلب الدافعة للنفس عن القيام على حق الاعتدال والقوة الشهوية البهيمية التي عن يساره المانعة للنفس عن الاتصاف بالأوصاف الإلهية ولذلك قيل تقف شعبة فوق الكافر وشعبة عن يمينه وشعبة عن يساره فجميع ما يصدر عن الإنسان من العقائد الفاسدة والأعمال الباطلة لا ينشأ إلا من هذه القوى الثلاث الواهمة والغضبية والشهوية فهذه الثلاث لما كانت منبع جميع الآفات الصادرة عن الإنسان تشعبت شعب العذاب على حسبها.

دپس هركه خواهدكه فردا ازين دخان كه ظل من يحموم اشارت بدانست ايمن كرد امروز بنور عقل متمسك شده ازتيركى صفت شيطاني وسبعي وبهيمي بايد كذشت.

زتاريكئ خشم وشهوت حذركن   كه ازدود آن چشم دل تيره فردد
غضب چون در آمد رود عقل بيرون   هوى چون شود چيره جان خيره كردد

ويحتمل أن تكون الخصوصية لتضييعهم القوى الثلاث التي هي السمع والبصر والفؤاد كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [السجدة: ٩] فشكرها ودعايتها مبدأ السعادات وعدم محافظتها وإتلافها منشأ الشقاوات.

يقول الفقير: عندي وجه آخر وهو أن الإيمان عبارة عن التصديق والإقرار والعمل فجعلت كل شعبة من الثلاث بمقابلة واحدة من هذه الأركان دل على هذه قوله تعالى: ﴿ٱنطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [المرسلات: ٢٩] فأورد التكذيب الذي هو صفة القلب فإن القلب

لكونه مدار الأعضاء والقوى إذا فسد فسد اللسان وسائر الأركان فالتكذيب ظلمة باطنة للقلب ضوعفت بظلمة ترك الإقرار والعمل فلما تضاعفت الظلمات الباطنة في الدنيا تضاعفت الظلمات الظاهرة في الآخرة لأن لكل عمل وصفة صورة شخصية جسدانية يوم القيامة.

﴿**لا ظليل**﴾ أخذ من الظل للتأكيد كنوم نائم أي لا يظل من الحر وتوصيف الظل بأنه لا يظل من حر ذلك اليوم وهو حر النار للدلالة على أن تسمية ما يغشاهم من العذاب بالظل استهزاء بهم، فإن شأن الظل أن يدفع عمن يستظل به مقاساة شدة الحر وأنه ينفعه ببرده ونسيمه والذي أمروا بالانطلاق إليه يضاعف عليهم ما هم فيه من الحر والعذاب فضلاً عن أن يستريحوا ببرده أورد لما أوهمه لفظ الظل من الاسترواح كما مر في الواقعة. ﴿**ولا يغني من اللهب**﴾ أي: غير مغن لهم من حر اللهب كما يغني ظل الدنيا من الحر فقوله ﴿**لا ظليل**﴾ في موضع الجر على أنه صفة لظل ولفظ غير مانع للصفتية أي ظل غير ظليل وغير مغن ومفعول يغني محذوف هو شيئاً ومن لبيانه ويغني من أغنى عني وجهه أي أبعده لأن الغنى عن الشيء يباعده كما أن المحتاج إليه يقربه فصح أن يعبر بإغناء شيء عن شي عن إبعاده عنه فكان المعنى إن هذا الظل لا يظلكم من حر الشمس ولا يدفع عنكم لهب النار واللهب ما يعلو على النار إذا اضطرمت من أحمر وأصفر وأخضر.

وفي «التأويلات النجمية»: ظل الروح وظل القلب ظل ظليل ممدود نفعه وأثره وروحه لا ظل النفس والهوى. وقال بعضهم: ظل شجرة النفس الخبيثة المنقطعة عن نور الوحدة بظلمة ذاتها ليس بظليل كظل شجرة طوبى فلا يفيد الروح والراحة بخلاف ظل شجرة النفس الطيبة المنورة بنور الوحدة الغير المنشعبة إلى الشعب المختلفة المتضادة كالشيطانية والسبعية والبهيمية.

﴿**إنها**﴾ أي: الشعب لأنها هي المذكورة لا النار ﴿**ترمي بشرر**﴾ مى افكنددر آنروز شرار هاراكه هر شراره ﴿**كالقصر**﴾ ما نندكوشكى عظيم.

أي: كل شررة كقصر من القصور في عظمها كما دل على هذا التفسير قوله ﴿**كأنه جمالة صفر**﴾ فالشرر جمع شررة وهي ما تطاير من النار في الجهات متفرقاً كالنجوم، كما قال في «القاموس»: الشرار والشرر ككتاب وجبل ما يتطاير من النار واحدتهما بهاء انتهى. وكالقصر في موضع الصفة للشرر والقصر مفرد وهو البناء العالي ووصفه به الجمع باعتبار كل واحد من آحاده والقصر أيضاً الحطب الجزل ولذا قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الآية: هي الخشب العظام المقطعة وكنا نعمد إلى الخشب فنقطعها ثلاثة أذرع وفوق ذلك ودونه ندخرها للشتاء فكنا نسميها القصر أي لكونها مقصورة مقطوعة من الممدودة الطويلة تأمل في أن ناراً دخانها وشررها هكذا فما بالك بحال أهلها.

﴿ كَأَنَّهُ جِمَٰلَتٌ صُفْرٌ ﴿٣٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾ هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ ﴾.

﴿**كأنه**﴾ أي الشرر وفي «فتح الرحمن» كأنه أي: النار ثم رد الضمير إلى لفظ النار دون معناها فقال كأنه ﴿**جمالة صفر**﴾ جمع جمل كحجارة في جمع حجر والتاء لتأنيث الجمع أو اسم جمع كالحجارة والجمل ذكر الإبل والناقة أنثاه وإذا لم يكن في جماعة الإبل أنثى يقال

جمالة بالكسر والصفر جمع أصفر والصفرة لون من الألوان التي بين السواد والبياض وهي إلى البياض أقرب ولذلك قد يعبر بها عن السواد، والمعنى كأن كل شررة جمل أصفر أو كجمل أسود لأن سواد الإبل يضرب إلى الصفرة كما قيل لبعض الظباء آدم لأن بياضها تعلوه كدرة ولأن صفر الإبل يشوب رؤوس أشعارها سواد، وفي الحديث: «شرار جهنم أسود كالقير» فالأول: وهو التشبيه بالقصر تشبيه في العظم، والثاني: وهو التشبيه بالجمل في اللون والكثرة والتتابع والاختلاط والحركة وفي «المفردات». قوله تعالى: ﴿**كأنه جمالة صفر**﴾ قيل: جمع أصفر وقيل: بل أراد به الصفر المخرج من المعادن ومنه قيل للنحاس صفر.

وفي «التأويلات النجمية»: كل صفة من الأوصاف البهيمية والسبعية والشيطانية بحسب الغلظة والشدة كالقصور المرتفعة والبروج المشيدة أو كأنه جمالة صفر عظيمة الهيكل طويلة الأشر من شدة قوة النار في ذلك الشرر وهي القوة الغضبية.

﴿**ويل**﴾ مشقت بسيار ﴿**يومئذٍ للمكذبين**﴾ بأهوال يوم القيامة وأحوال العصاة فيه.

وقال الكاشفي: مرد روع زنانراست كه مشقت دوزخ وشرارهاى آنراباور ندارند.

﴿**هذا يوم لا ينطقون**﴾ إشارة إلى وقت دخولهم النار ويوم مرفوع على أنه خبر هذا أي هذا يوم لا ينطقون فيه بشيء لما أن السؤال والجواب والحساب قد انقضت قبل ذلك وأيضاً يوم القيامة يوم طويل له مواطن ومواقيت ينطقون في وقت دون وقت فعبر عن كل وقت بيوم أو لا ينطقون بشيء ينفعهم فإن ذلك كلا نطق. قال القاشاني: لا ينطقون لفقدان آلات النطق وعدم الأذن فيه بالختم على الأفواه، وقال بعضهم: لا ينطقون من شدة تحيرهم وقوة دهشتهم وقال أبو عثمان رحمه الله: أسكتهم هيبة الربوبية وحياء الذنوب كما قال الشيخ سعدي رحمه الله:

سر ار جيب غفلت بر آور كنون   كه فردا نماند بخجلت نكن

﴿**ولا يؤذن لهم**﴾ ودستورى ندهد مرايشانرا در اعتذار ﴿**فيعتذرون**﴾ عطف على يؤذن منتظم في سلك النفي أي لا يكون لهم إذن واعتذار متعقب له من غير أن يجعل الاعتذار مسبباً عن الإذن كما لو نصب والنصب يوهم أن لهم عذراً وقد منعوا من ذكره وهو خلاف الواقع إذ لو كان لهم عذر لم يمنعوا وأي عذر لمن أعرض عن منعمه وكفر بأياديه ونعمه.

﴿**ويل**﴾ كرب واندوه ﴿**يومئذٍ للمكذبين**﴾ بهذه الأخبار بما جاء من الحق الواقع ألبتة.

﴿**هذا**﴾ اليوم الذي شاهدتم أهوالهم وأحواله ﴿**يوم الفصل**﴾ بين الحق والباطل وقال البقلي: هذا يوم مفارقة النفس والشيطان عن جوار قلب العارف وانفصال كل شيء عن كل محب غير محبوبه حيث استغرق في جوده وشهوده ووجوده ﴿**جمعناكم**﴾ يا أمة محمد ﴿**والأولين**﴾ من الأمم وهذا تقرير وبيان للفصل إذ الفصل بين المحق والمبطل والرسل لا يتحقق إلا بجمع الكل فلا بد من إحضارهم لا سيما عند من لا يجوز القضاء على الغائب.

﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿**فإن كان لكم كيد**﴾ حيلة تدفعون بها عنكم العذاب والظاهر أن هذا الخطاب من الله للكفار. ﴿**فكيدون**﴾ أصله فكيدوني حذف ياء المتكلم اكتفاء بالكسرة والنون للوقاية وهو أمر من كاد يكيد كيداً وهو المكر والاحتيال والخديعة والمعنى واحتالوا لأنفسكم وتخلصوا من

عذابي إن قدرتم فإن جميع من كنتم تقلدونهم وتقتدون بهم حاضرون يعني حيله باخداى پيش نرود وبمكر ودستان عذاب ازخود دفع نتوانيد كرد.

بمكر وحيله عذاب خداي رد نشود نياز بايد واخلاص ونالۀ سحري
توان خريد بيك آه ملك هردوجهان ازان معامله غافل مشوكه حيف خوري

وهذا أمر إهانة وخطاب تعجيز تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وتخجيل لهم بأنهم كانوا في الدنيا يدفعون الحقوق عن أنفسهم ويبطلون حقوق الناس بضروب الحيل والمكائد والتلبيسات فخاطبهم الله حين علموا أن الحيل منقطعة والتلبيسات غير ممكنة بقوله ﴿فإن كان لكم كيد فكيدون﴾ لما ذكر من التقريع والتخجيل ولإظهار عجزهم عن الكيد فإن مثل هذا الكلام لا يتكلم به إلا من تيقن بعجز مخاطبه عما هو بصدده وفي بعض التفاسير أي: فإن وجد كيد نافع لكم على أن لكم متعلق بكان أو نافعاً لكم على أنه حال من كيد.

﴿ويل﴾ غم وغصة ﴿يومئذٍ﴾ دران روز هولناك ﴿للمكذبين﴾ حيث ظهر أن لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب. ﴿إن المتقين﴾ من الكفر والتكذيب لأنهم في مقابلة المكذبين ففيه رد على المعتزلة ﴿في ظلال﴾ جمع ظل كشعاب وشعب أو ظلة كقباب وقبة أي: في ظلال ظليلة على الحقيقة كما يدل عليه الإطلاق يعني لا كظل المكذبين، وبالفارسية: درسايهاي درختان بهشت باشند.

قال بعضهم: الظاهر أنه إخبار عن كونهم تحت أشجار مثمرة لهم في جنانهم.

يقول الفقير: الأظهر أن كونهم في ظلال كناية عن راحتهم العظمى لأن الظل للراحة وكذا قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا﴾ [النساء: ٥٧] ونحوه وإنما ذكر الله الظل تشويقاً للقلوب لأن من البلاد ما هي حارة قليلة المياه والأشجار والظلال ﴿وعيون﴾ عذبة دافعة عنهم العطش وبالفارسية ويركنار چشمهای آب.

﴿وفواكه﴾ أي ألوان الفاكهة يعني ودرميان ميوها ﴿مما يشتهون﴾ ويتمنون يعني از آنچه آرزو كنند.

فيتناولونها لا عن جوع وامتلاء بل عن شهوة وتلذذ والحاصل أنهم مستقرون في فنون الترفه وأنواع التنعم خلاف ما عليه مخالفوهم.

﴿كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون﴾ مقدر بقول هو حال من ضمير المتقين في الخبر، أي مقولاً لهم كلوا من نعم الجنة وثمراتها واشربوا من مائها وشرابها أكلاً وشرباً هنيئاً سائغاً رافهاً بلا داء ولا تخمة بسبب ما كنتم تعملونه في الدنيا من الأعمال الصالحة خصوصاً الصيام كما مضى في الحاقة، وهذا أمر إكرام إظهاراً للرضى عنهم والمحبة لهم تمسك القائلون بإيجاب العمل للثواب بالباء السببية والجواب أن السببية إنما هي بفضل الله ووعده الذي لا يخلف لا بالذات بحيث يمتنع عدمه أو يوجب النقص أو الظلم.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾ كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟ لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿إنا كذلك﴾ الجزاء العظيم ﴿نجزي المحسنين﴾ أي: في عقائدهم وأعمالهم لا جزاء

أدنى منه. ﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾ حيث نال أعداؤهم هذا الثواب الجزيل وهم بقوا في العذاب المخلد الوبيل.

وقال الكاشفي: جهل وقبح وذم مراهل تكذيب راست كه بنعيم بهشت نمى كروند.

وفي «التأويلات النجمية»: إن المتقين بالله عما سواه أي المتقين بنور الوحدة عن ظلمة الكثرة وبنور المعرفة عن ظلمية النكرة في ظلال الأوصاف الإلهية والأخلاق الربانية وعيون من مياه العلوم والحكم وفواكه مما يشتهون من التجليات الروحانية والتنزلات النورانية، كلوا من أطعمة المواهب الهنية واشربوا من أشربة المشارب التوحيدية هنيئاً بما كنتم تعملون من الأعمال الصالحة والأفعال الحسنة إنا كذلك نجزي المحسنين المشاهدين لجمالنا المطلق ويل يومئذٍ للمكذبين بإحسان الجزاء وجزاء الإحسان.

﴿كلوا﴾ أي: مكذبان از نعيم فانىء دنيا ﴿وتمتعوا﴾ تمتعاً ﴿قليلاً﴾ أو زماناً قليلاً يعني عيشوا مدة قليلة إلى منتهى آجالكم لأن زمان الدنيا قليل كمتاعها وبالفارسية وبرخوردار شويد زماني اندك. ﴿إنكم مجرمون﴾ كافرون مستحقون للعذاب، وبالفارسية: بدرستى كه شما مشركانيد وعاقبت شمارا عذاب دائمست.

قوله: ﴿كلوا﴾ الخ مقدر بقول هو حال من المكذبين، قال في «الكواشي»: لا أحب الوقف على المكذبين إن نصبت كلوا حالاً منه والمعنى الويل ثابت لهم مقولاً لهم ذلك تذكيراً لهم بحالهم في الدنيا بما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع الفاني عن قريب على النعيم الخالد فلا يرد كيف يقال لم ذلك ولا تمتع لهم فيها يعني أن هذا القول لهم في الآخرة لا يكون لطلب الأكل والتمتع منهم بنعيم الدنيا حقيقة لعدم إمكانه، بل إنما يقال لهم للتذكير المذكور فيكون الأمر أمر توبيخ وتحسير وتحزين وعلل ذلك بإجرامهم دلالة على أن كل مجرم مآله هذا أي ليس له إلا الأكل والتمتع أياماً قلائل ثم البقاء في الهلاك الأبدي.

﴿ويل﴾ وأي ﴿يومئذٍ﴾ دران روز جزا ﴿للمكذبين﴾ حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالمتمتع القليل.

وفي «التأويلات النجمية»: إنكم مجرمون أي كاسبون الهيئات الردية والملكات الغير المرضية ويل يومئذٍ للمكذبين بأن الأوصاف الحميدة أفضل من الأخلاق الذميمة.

﴿وإذا قيل لهم﴾ أي للمكذبين ﴿اركعوا﴾ أي: أطيعوا الله واخشعوا وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه وارفضوا هذا الاستكبار والنخوة لأن الركوع والانحناء لأحد تواضع له وتعظيم والسجود أعظم منه في التواضع والتعظيم ومن ذلك قالوا إن السجود لغير الله كفر إن كان للعبادة وخطر عظيم إن كان للتعظيم وفي «حواشي» ابن الشيخ: الركوع في اللغة حقيقة في مطلق الانحناء الحسي وركوع الصلاة من جملة أفراده وتفسيره بالإطاعة والخضوع مجاز لغوي تشبيهاً له بالانحناء الحسي. ﴿لا يركعون﴾ لا يخشعون ولا يقبلون ذلك ويصرون على ما هم عليه من الاستكبار وقيل: إذا أمروا بالصلاة أو بالركوع لا يفعلون إذ روي أنه نزل حين أمر رسول الله عليه السلام، ثقيفاً بالصلاة فقالوا: إنا لا نخر ولا نجبي أي لا نقوم قيام الراكع فإنها سبة علينا أي أن هيئة التجبية هيئة تظهر وترفع فيها السبة، وهي الاست أي الدبر وهو عار وعيب علينا فقال عليه السلام: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»، وفي بعض التفاسير كانوا في الجاهلية يسجدون للأصنام ولا يركعون لها فصار الركوع من أعلام صلاة

المسلمين لله تعالى وفيه دلالة على أن الكفار مخاطبون بالفروع في حق المؤاخذة في الآخرة كما سبق مراراً.

قال الكاشفي: مراد آنست كه مسلمان نشوند چه ركن أعظم إسلام بعد از شهادتين نمازاست.

وفيه ذم عظيم لتارك الصلاة حيث لا يجيب داعي الله أي المؤذن فإنه يدعو في الأوقات الخمسة المؤمنين إلى بيت الله وإقامة الصلاة وقس عليه سائر الداعين.

وفي «التأويلات النجمية»: وإذا قيل لهم اركعوا أي افنوا عن اللذات الحيوانية وابقوا باللذات الروحانية إذ هي مناجاة الروح والسر مع الله ولا ألذ منها.

﴿ويل يومئذٍ للمكذبين﴾ نفرين آن روز بردروغ زنا نراست كه ركوع وسجود را تكذيب كنند وبشرف إسلام نمى رسند. **﴿فبأي حديث﴾** أي خبر يخبر بالحق وينطق بما كان وما يكون على الصدق **﴿بعده﴾** أي: بعد القرآن الناطق بأحاديث الدارين وأخبار النشأتين على نمط بديع معجز مؤسس على حجج قاطعة وبراهين ساطعة **﴿يؤمنون﴾** إذا لم يؤمنوا به أي القرآن الجامع لجميع الأحاديث فقوله **﴿فبأي﴾** الخ جواب شرط محذوف وكلمة بعد بمنزلة، ثم في إفادة التراخي الرتبي أي: فإذا لم يؤمنوا به وهو موصوف بما ذكر فبأي كتاب يؤمنون ختم السورة بالتعجيب من الكفار لأن الاستفهام للتعجيب وبين أنهم في أقصى درجات التمرد والعناد حيث لم ينقادوا لمثل هذا البرهان الباهر، والدليل القاطع على حقية الدين القويم من حيث كونه في أرفع درجات الفصاحة والبلاغة وفي أقصى طبقات الإعجاز.

در خبر آمده كه بعد ازخواندن اين آيت بايد كفت آمنا به استدل بعض المعتزلة على أن القرآن ليس بقديم بقوله تعالى: حديث إذ الحديث ضد القديم لأن الحدوث والقدم لا يجتمعان في شيء واحد ورد بأن الحديث هنا بمعنى الخبر لا بمعنى الحادث ولو سلم فالعبارة لا تدل على أن القرآن محدث لاحتمال أن يكون المراد فبأي حديث بعد القديم يؤمنون ولو سلم فإنما يدل على حدوث الألفاظ الدالة على المعاني ولا خلاف فيه وإنما الخلاف في قدم المعنى القائم بذاته تعالى روي أن المرسلات نزلت في غار قرب مسجد الخيف بمنى يسمى غار والمرسلات.

يقول الفقير قد زرته وقرأت فيه السورة المذكورة وفي الصخرة العالية من الغار داخله أثر رأس النبي عليه السلام يتبرك به الآن والحمد لله على إفضاله وكثرة نواله وزيارة حرمه وحرم مصطفاه مظهر نور جماله وكماله.

تمت سورة المرسلات بعون خالق البريات في عصر يوم عاشوراء المحرم
من سنة سبع عشرة ومائة وألف

٧٨ ـ سورة النبأ

أربعون أو إحدى وأربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾.

﴿عم﴾ أصله عن ما أدغمت النون في الميم لاشتراكهما في الغنة، فصار عما ثم حذفت الألف كما في لم وبم وفيم وإلى م وعلى م، فإنها في الأصل لما وبما وفيما وإلى ما وعلى ما إما فرقاً بين الاستفهامية وغيرها أو قصداً للخفة لكثرة استعمالها، وقد جاءت في العشر غير محذوفة كما ذكره أبو البقاء، وما فيها من الإبهام للإيذان بفخامة شأن المسؤول عنه وهوله وخروجه عن حدود الأجناس المعهودة كأنه خفي جنسه فيسأل عنه فالاستفهام ليس على حقيقته بل لمجرد التفخيم فإن المسؤول عنه ليس بمجهول بالنسبة إلى الله تعالى إذ لا يخفى عليه خافية، والمعنى عن أي شيء عظيم. ﴿يتساءلون﴾ أي: أهل مكة وكانوا يتساءلون عن البعث والحشر الجسماني، ويتحدثون فيما بينهم ويخوضون فيه إنكاراً واستهزاء لكن لا على طريقة التساؤل عن حقيقته ومسماه بل عن وقوعه الذي هو حال من أحواله ووصف من أوصافه فإن ما وإن وضعت لطلب حقائق الأشياء ومسميات أسمائها كما في قولك: ما الملك؟ وما الروح؟ لكنها قد يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد؟ فيقال عالم أو طبيب.

﴿عن النبأ العظيم﴾ النبأ الخبر الذي له شأن وخطر وهو جواب وبيان لشأن المسؤول عنه كأنه قيل عن أي شيء يتساءلون هل أخبركم به، ثم قيل بطريق الجواب عن النبأ العظيم الخارج عن دائرة علوم الخلق يتساءلون على منهاج قوله تعالى: ﴿لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] والفائدة في أن يذكر السؤال ثم أن يذكر الجواب معه أن هذا الأسلوب أقرب إلى التفهيم والإيضاح فعن متعلقة، بما يدل عليه المذكور من مضمر حقه أن يقدر بعدها مسارعة إلى البيان ومراعاة لترتيب السؤال فإن الجار فيه مقدم على متعلقه وقيل عن النبأ العظيم استفهام آخر بمعنى أعن النبأ العظيم أم عن غيره إلا أنه حذف منه حرف الاستفهام لدلالة المذكور عليه ونظيره قوله تعالى: ﴿أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٤] أي: أفهم الخالدون.

﴿الذي هم فيه مختلفون﴾ وصف للنبأ بعد وصفه بالعظيم تأكيداً لخطره أثر تأكيد وإشعاراً بمدار التساؤل عنه وفيه متعلق بمختلفون قدم عليه اهتماماً به ورعاية للفواصل وجعل الصلة جملة اسمية للدلالة على الثبات، أي هم راسخون في الاختلاف فيه فمن جازم باستحالته يقول: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ۝٣٧﴾ [المؤمنون: ٣٧] ومن مقر يزعم أن آلهته تشفع له كما قالوا: ﴿هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨] ومن شاك يقول: ما ندري ما

الساعة إن نظن إلا ظناً ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ﴾ [الجاثية: ٣٢] وفيه إشارة إلى القيامة الكبرى وهي البقاء بعد الفناء أو بعث القلب بعد موت النفس فالروح وقواه تقربها والنفس وصفاتها تنكرها لأنها جاهلة فضلاً عن كونها ذائقة ومن لم يذق لم يعرف قال الكمال الخجندي:

زاهد نعجب كركند از عشق نوپرهيز   كين لذت اين باده چه اندكه نخوردست

فطوبى للذائقين ويا حسرة للمحرومين.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾

﴿**كلا سيعلمون**﴾ ردع كما يستفاد من كلا ووعيد كما يستفاد من سيعلمون أي: ليس أمر البعث مما ينكر أو يشك فيه بحيث يتساءل عنه سيعلمون أن ما يتساءلون عنه حق لا دافع له واقع لا ريب فيه مقطوع لا شك فيه ﴿**ثم كلا سيعلمون**﴾ تكرير للردع والوعيد للمبالغة في التأكيد والتشديد وثم للدلالة على أن الوعيد الثاني أبلغ وأشد يعني أن ثم موضوعة للتراخي الزماني وقد تستعمل مجازاً في التراخي الرتبي أي لتباعد ما بين المعطوفين في الشدة والفظاعة، وذلك لتشبيه التباعد الرتبي بالتراخي الزماني في الاشتمال على مطلق التباعد بين الأمرين، والمعنى المجازي، هو المراد هنا لأن المقام مقام التشديد والتهديد وذلك إنما يكون آكد بالحمل عليه وبعضهم حملها على معناها الحقيقي فقال سيعلمون حقيته عند النزع ثم في يوم القيامة ولا شك أن القيامة متراخية بحسب الزمان عن وقت النزع أو سيعلمون حقية البعث حين أن يبعثوا من قبورهم ثم حقية الجزاء بحسب العمل هذا وقد حمل اختلافهم فيه على مخالفتهم للنبي عليه السلام بأن يعتبر في الاختلاف محض صدور الفعل عن المتعدد لا على المخالفة بعضهم لبعض من الجانبين لأن الكل وإن استحق الردع والوعيد لكن استحقاق كل جانب لهما ليس لمخالفته للجانب الآخر إذ لا حقية في شيء منهما حتى يستحق من يخالفه المؤاخذة بل لمخالفته له عليه السلام فكلا ردع لهم عن التساؤل والاختلاف بالمعنيين المذكورين وسيعلمون وعيد لهم بطريق الاستئناف وتعليل للردع والسين للتقريب والتأكيد وليس مفعوله ما ينبىء عنه المقام من وقوع ما يتساءلون عنه ووقوع ما يختلفون فيه بل هو عبارة عما يلاقونه من فنون الدواهي والعقوبات، والتعبير عن لقائها بالعلم لوقوعه في معرض التساؤل والاختلاف والمعنى: ليرتدعوا عما هم عليه فإنهم سيعلمون عما قليل حقيقة الحال إذا حل بهم العذاب والنكال.

﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَـٰدًا ﴿٦﴾ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَـٰكُمْ أَزْوَٰجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾﴾.

﴿**ألم نجعل الأرض مهاداً**﴾ الخ استئناف مسوق لتحقيق النبأ والمتساءل عنه بتعداد بعض الشواهد الناطقة بحقيته أثر ما نبه عليها بما ذكر من الردع والوعيد ومن هنا اتضح أن المتساءل عنه هو البعث لا القرآن أو نبوة النبي عليه السلام كما قيل، والهمزة للتقرير والمهاد البساط والفراش وفي بعض الآيات ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]، قال ابن الشيخ: المهاد مصدر ماهدت بمعنى مهدت كسافرت بمعنى سفرت أطلق على الأرض الممهودة أي ألم نجعل الأرض بساطاً ممهوداً تتقلبون عليها كما يتقلب الرجل على بساطه وبالفارسية آيا نساخته ايم زمين را فراشي كسترده تاقراركاه شمابود وجاي تقلب.

ومهاداً مفعول ثانٍ لجعل إن كان الجعل بمعنى التصيير وحال مقدرة إن كان بمعنى الخلق وجوز أن يكون جمع مهد ككعاب وكعب وجمعه لاختلاف أماكن الأرض من القرى والبلاد وغيرها أو للتصرف فيها بأن جعل بعضها مزارع وبعضها مساكن إلى غير ذلك وقرىء مهداً على تشبيهها بمهد الصبي وهو ما يمهد له فينوم عليه تسمية للمعهود بالمصدر.

﴿**والجبال أوتاداً**﴾ المراد بجعلها أوتاداً لها إرساؤها بها لتسكن ولا تميد بأهلها إذ كانت تميد على الماء كما يرسى البيت بالأوتاد فهو من باب التشبيه البليغ جمع وتد وهو ما يوتد ويحكم به المتزلزل المتحرك من اللوح وغيره بالفارسية ميخ.

فإن قيل أليست إرادة الله وقدرته كافيتين في التثبيت؟ أجيب: بأنه نعم إلا أنه مسبب الأسباب وذلك من كمال القدرة قال بعضهم: الأوتاد على الحقيقة سادات الأولياء وخواص الأصفياء فإنهم جبال ثاتبة وبهم تثبت أرض الوجود وسئل أبو سعيد الخراز قدس سره عن الأوتاد والأبدال أيهم أفضل؟ فقال: الأوتاد قيل كيف فقال لأن الأبدال يتقلبون من حال إلى حال ويبدل بهم من مقام إلى مقام والأوتاد بلغ بهم النهاية وثبت أركانهم فهم الذين بهم قوام الخلق قال ابن عطاء الأوتاد هم أهل الاستقامة والصدق لا تغيرهم الأحوال وهم في مقام التمكين انتهى.

والأوتاد أربعة: واحد يحفظ الشرق يقال له عبد الحي، وواحد يحفظ الغرب يقال له عبد العليم، وواحد يحفظ الشمال يقال له عبد المريد وواحد يحفظ الجنوب يقال له عبد القادر والأبدال سبعة يحفظون أقاليم الكرة علواً وسفلاً.

وجه تسميه آنست كه چون يكى ازايشان مرديكي ازچهل تن يعني نجبا بدل اوشد وتتميم چهل تن بيكى از سيصد تن است يعني نقبا وتكميل سيصدتن بيكي از صلحاء وإبدال مقيم نشوند نيكجا مكر خسته باشند ومعالجه كنند وبخورند وبپوشند ونكاح كنند پيش ازانكه ابدال شوند وقطب الأبدال نظير كوكب سهيل كما أن قطب الإرشاد نظير الجدي وقطب أبدال درزمان نبي عليه السلام عصام الدين قزني بودعم أويس وچون أو متوفى شد ابن عطا أحمد بود ازدهى كه ميان مكه ويمن است وبلال الحبشي رضي الله عنه درزمان نبي عليه السلام ازبدلاي سبعه بودى.

وكان الشافعي رضي الله عنه من الأوتاد الأربعة.

﴿**وخلقناكم**﴾ عطف على المضارع المنفي بلم داخل في حكمه فإنه في قوة إنا جعلنا أو على ما يقتضيه الإنكار التقريري فإنه في قوة أن يقال قد جعلنا. ﴿**أزواجاً**﴾ أي: حال كونكم أصنافاً ذكراً وأنثى ليسكن كل من الصنفين إلى الآخر وينتظم أمر المعاشرة والمعاش ويتسنى التناسل والزوج يقال لكل واحد من القرينين المزدوجين حيواناً أو غيره كالخف والنعل ولا يقال للاثنين زوج بل زوجان ولذا كان الصواب أن يقال قرضته بالمقراضين وقصصته بالمقصين لأنهما اثنان لا بالمقراض وبالمقص كذا قال الحريري: في «درة الغواص» وقال صاحب «القاموس»: يقال للاثنين هما زوجان وهما زوج انتهى.

ولعله من قبيل الاكتفاء بأحد الشقين عن الآخر وزوجة للمرأة لغة رديئة لقوله تعالى: ﴿يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة: ٣٥] ويقال لكل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً زوج ولذا قال بعضهم: في الآية ﴿**وخلقناكم**﴾ حال كونكم معروضين لأوصاف متقابلة كل واحد

منها مزدوج بما يقابله كالفقر والغنى والصحة والمرض والعلم والجهل والقوة والضعف والذكورة والأنوثة والطول والقصر إلى غير ذلك وبه يصح الابتلاء فإن الفاضل يشتغل بالشكر، والمفضول بالصبر ويعرف قدر النعمة عند الترقي من الصبر إلى الشكر وكل ذلك دليل على كمال القدرة ونهاية الحكمة.

﴿وجعلنا﴾ صيرنا ﴿نومكم﴾ وهو استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه ولذا قل في أهل الرياضة لقلة الرطوبة. ﴿سباتاً﴾ موتاً أي: كالموت والمسبوت الميت من السبت وهو القطع لأنه مقطوع عن الحركة، ومنه سمي يوم السبت لأن الله تعالى ابتدأ بخلق السماوات والأرض يوم الأحد فخلقها في ستة أيام فقطع عمله يوم السبت، فسمي بذلك، وأيضاً هو يوم ينقطع فيه بنو إسرائيل عن العمل والنوم أحد التوفيين كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] أي ويتوفى التي لم تمت في منامها وذلك لما بينهما من المشاركة التامة في انقطاع أحكام الحياة فالتنوين للنوعية أي وجعلنا نومكم نوعاً من الموت وهو الموت الذي ينقطع ولا يدوم إذ لا ينقطع ضوء الروح إلا عن ظاهر البدن وبهذا الاعتبار قيل له أخو الموت والنوم بمقدار الحاجة نعمة جليلة وقيل سباتاً أي قطعاً عن الإحساس والحركة لإراحة القوى الحيوانية وإزاحة كلالها والأول هو اللائق بالمقام كما ستعرفه.

﴿وجعلنا الليل﴾ الذي يقع فيه النوم ﴿لباساً﴾ يقال لبس الثوب استتر به وجعل اللباس لكل ما يغطي الإنسان عن قبيح فجعل الزوج لزوجها لباساً من حيث أنها تمنعه وتصده عن تعاطي قبيح وكذا البعل وأيضاً من حيث الاشتمال قال تعالى: ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧] وجعل التقوى لباساً على طريق التمثيل والتشبيه وكذا جعل الخوف والجوع لباساً على التمثيل والتشبيه تصويراً له وذلك بحسب ما يقولون تدرع فلان الفقر ولبس الجوع، والمعنى لباساً يستركم بظلامه كما يستركم اللباس ولعل المراد به ما يستتر به عند النوم من اللحاف ونحوه فإن شبه الليل به أكمل واعتباره في تحقيق المقصد أدخل صاحب «فتوحات» آورده شب لباس أصحاب ليل است كه ايشانرا از نظر اغيار بپوشاند تادر خلوت خود لذت مكالمه يا محاضره يا مشاهده هريك فراخور استعداد خود برخوردارى يا بند حضرت شيخ الإسلام قدس سره فرمودكه شب پردهٔ روندكان راهست روز بازار بيدار إن سحركاه.

الليل للعاشقين ستر يا ليت أوقاته تدوم

چون دردل شب خيال أويار منست من بندهٔ شب كه روز بازار منست

فهو تعالى جعل الليل محلاً للنوم الذي جعل موتاً كما جعل النهار محلاً لليقظة المعبر عنها بالحياة في قوله تعالى: ﴿وجعلنا النهار معاشاً﴾ أي: وقت عيش أي حياة تبعثون فيه من نومكم الذي هو أخو الموت كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِبَاسًا وَٱلنَّوْمَ سُبَاتًا وَجَعَلَ ٱلنَّهَارَ نُشُورًا ﴿٤٧﴾﴾ [الفرقان: ٤٧] ولم يقل وجعل يقظتكم حياة لتتم المطابقة بينه وبين قوله: ﴿وجعلنا نومكم سباتاً﴾ بل عبر عن اليقظة بالنهار لكونه مستلزماً لها غالباً ولمراعاة مطابقة وجعلنا الليل ومنه يعلم قوله: ﴿وجعلنا الليل﴾ ليس مستطرداً في البين لذكر النوم في القرينة الأولى فمعاش مصدر من عاش يعيش عيشاً ومعاشاً ومعيشة وعيشة وعلى هذا لا بد من تقدير المضاف ولذا قدروا لفظ الوقت، ويحتمل أن يكون اسم زمان على صيغة مفعل فلا

حاجة حينئذٍ إلى تقدير المضاف وتفسيره بوقت معاش إبراز لمعنى صيغة اسم الزمان وتفصيل لمفهومها.

وفي «التأويلات النجمية»: ألم نجعل أرض البشرية مهد استراحتكم وانتشاركم في أنواع المنافع البشرية وجبال نفوسكم القاسية قوائم أرض البشرية وخلقناكم أزواجاً زوج الروح وزوج النفس أو ذكر القلب وأنثى النفس وجعلنا نومكم غفلتكم راحة واستراحة باستيفاء اللذات واستقصاء الشهوات وجعلنا ليل طبيعتكم ستراً لنهار روحانيتكم وجعلنا نهار روحانيتكم معاشاً تعيشون فيه بالطاعات والعبادات وهذه صورة البعث ﴿**وبنينا فوقكم**﴾ وبنا كرده ايم برسر شمارا ﴿**سبعاً شداداً**﴾ جمع شديد، أي سبع سموات قوية الخلق محكمة البناء لا يؤثر فيها مر الدهور وكر العصور وقال أبو الليث: غلاظاً غلظ كل سماء مسيرة خمسمائة عام والتعبيري عن خلقها بالبناء مبني على تنزيلها منزلة القباب المضروبة على الخلق وفيه إشارة إلى طبقات القلب السبع الأولى طبقة الصدور وهي معدن جوهر الإسلام والثانية طبقة القلب وهي محل جوهر الإيمان والثالثة الشغاف وهي معدن العشق والمحبة والشفقة والرابعة الفؤاد وهو معدن المكاشفة والمشاهدة والرؤية والخامسة حبة القلب وهي مخصوصة بمحبة الله تعالى لا تعلق بها محبة الكونين وعشق العالمين. والسادسة السويداء وهي معدن العلم اللدني وبيت الحكمة والسابعة بيت المعزة وهي قلب الأكملين وفي هذا البيت أسرار إلهية لا تخرج من الباطن إلى الظاهر أصلاً ولا يظهر منها أثر قطعاً.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾﴾.

﴿**وجعلنا**﴾ أنشأنا وأبدعنا ﴿**سراجاً**﴾ هو الشمس والتعبير عنها بالسراج من روادف التعبير عن خلق السماوات بالبناء قال الراغب: السراج الزاهر بفتيلة ودهن ويعبر به عن كل شيء مضيء ويقال للسراج مصباح. ﴿**وهاجاً**﴾ وقاداً متلألئاً من وهجت النار إذا أضاءت أو بالغاً في الحرارة من الوهج وهو الحر وهو ما قال بعض المفسرين: سراجاً وهاجاً أي مضيئاً جامعاً بين النور والحرارة يعني چراغى افروخته وتابان.

يقال: إن الشمس والقمر خلقا في بدء أمرهما من نور العرش ويرجعان في القيامة إلى نور العرش وذلك فيما روي عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ألا أحدثكم بما سمعت من رسول الله ﷺ يقول في الشمس والقمر وبدء خلقهما ومصير أمرهما؟ قال: قلنا: بلى يرحمك الله فقال إن رسول لله عليه السلام سئل عن ذلك فقال إن الله تعالى لما أبرز خلقه أحكاماً ولم يبق من خلقه غير آدم خلق شمسين من نور عرشه، فأما ما كان في سابق علمه أن يدعها شمساً فإنه خلقها مثل الدنيا ما بين مشارقها ومغاربها، وما كان في سابق علمه أن يطمسها ويحولها قمراً فإنه خلقها دون الشمس في العظم ولكن إنما يرى صغرهما لشدة ارتفاعهما في السماء وبعدهما من الأرض فلو ترك الله الشمس والقمر كما كان خلقهما في بدء أمرهما لم يعرف الليل من النهار ولا النهار من الليل ولا يدري الأجير متى يعمل ومتى يأخذ أجره ولا يدري الصائم متى يصوم ومتى يفطر ولا تدري المرأة متى تعتد ولا يدري المسلمون متى وقت صلاتهم ومتى وقت حجهم فكان الرب تعالى أنظر لعباده وأرحم بهم فأرسل جبريل

«فأمر جناحه على وجه القمر فطمس منه الضوء وبقي فيه النور» فذلك قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ فَمَحَوْنَآ ءَايَةَ ٱلَّيْلِ وَجَعَلْنَآ ءَايَةَ ٱلنَّهَارِ مُبْصِرَةً﴾ [الإسراء: ١٢] فالسواد الذي ترونه في القمر شبه الخطوط فيه فهو أثر المحو قال فإذا قامت القيامة وقضى الله بين الناس وميز بين أهل الجنة والنار ولم يدخلوهما بعد يدعو الرب تعالى بالشمس والقمر ويجاء بهما أسودين مكورين قد وقفا في زلازل وبلابل ترعد فرائضهما من هول ذلك اليوم ومخافة الرحمن فإذا كانا حيال العرش خرا لله ساجدين فيقولان إلهنا قد علمت طاعتنا لك ودأبنا في عبادتك وسرعتنا للمضي في أمرك أيام الدنيا فلا تعذبنا بعبادة المشركين إيانا فقد علمت أنا لم ندعهم إلى عبادتنا ولم نذهل عن عبادتك فيقول الرب: صدقتما إني قد قضيت على نفسي أن أبدىء وأعيد وإني معيدكما إلى ما أبدأتكما منه فارجعا إلى ما خلقتكما منه فيقولان ربنا مم خلقتنا فيقول خلقتكما من نور عرشي فارجعا إليه قال فتلمع من كل واحد منهما برقة تكاد تخطف الأبصار نوراً فيختلطان بنور العرش فذلك قوله تعالى: ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾ [البروج: ١٣] كذا في «كشف الأسرار» وقال الشيخ رضي الله عنه في «الفتح المكي» وأما الكواكب كلها فهي في جهنم مظلمة الأجرام عظيمة الخلق وكذلك الشمس والقمر والطلوع والغروب لهما في جهنم دائماً انتهى.

يقول الفقير: لعل التوفيق بين هذا وبين الخبر السابق أن كلاً من الشمس والقمر حامل لشيئين النورية والحرارة فما كان فيهما من قبيل النور فيتصل بالعرش من غير جرم لأن الجرم لا يخلو من الغلظة والظلمة والكثافة وما كان من قبيل النار والحرارة فيتصل بالنار مع جرمهما فكل منهما يرجع إلى أصله فإن قلت: كان الظاهر أن يتصل نورهما بنور النبي عليه السلام لأنهما مخلوقان من نوره قلت: إن العرش والكرسي خلقا من نوره وخلق القمران من نور العرش فهما في الحقيقة مخلوقان من نور النبي عليه السلام ومتصل نورهما بنوره والكل نوره والحمد لله تعالى.

شمسۀ نه مسند وهفت اختران ختم رسل خواجۀ پيغمبران

﴿**وأنزلنا**﴾ النون للعظمة وللإشارة إلى جمعية الذات والأسماء والصفات ﴿**من المعصرات**﴾ هي السحائب إذا أعصرت أي شارفت أن تعصرها الرياح فتمطر ولم تعصرها بعد فالإنزال من المستعد لا من الواقع وإلا يلزم تحصيل الحاصل وهمزة أعصر للحينونة والمعصرات اسم فاعل يقال أحصد الزرع إذا حان له أن يحصد وأعصرت الجارية أي حان لها أن تعصر الطبيعة رحمها فتحيض وفي «المفردات»: المعصر المرأة التي حاضت ودخلت في عصر شبابها انتهى. ولو لم تكن للحينونة لكان ينبغي أن يقرأ المعصرات بفتح الصاد على أنه اسم مفعول لأن الرياح تعصرها ويجوز أن يكون المراد من المعصرات الرياح التي حان لها أن تعصر السحاب فتمطر فهي أيضاً اسم فاعل والهمزة للحينونة كذلك فإن قيل لم لم تجعل الهمزة للتعدية قلنا لأن الرياح عاصرة لا معصرة ﴿**ماء ثجاجاً**﴾ أي منصباً بكثرة والمراد تتابع القطر حتى يكثر الماء فيعظم النفع به يقال ثج الماء أي سال بكثرة وانصب وثجه غيره أي أساله وصبه فهو لازم ومتعد ومن الثاني قوله عليه السلام: «أفضل الحج العج والثج» أي: رفع الصوت بالتلبية وصب دماء الهدي وفسره الزجاج بالصباب كأنه يثج نفسه مبالغة فيكون متعدياً ولا منافاة بين هذا وبين قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ [لقمان: ١٠] فإن ابتداء المطر إن كان من السماء يكون الإنزال منها إلى سحاب ومنه إلى الأرض وإلا فإنزاله منها باعتبار تكونه

بأسباب سماوية من جملتها حرارة الشمس، فإنها تثير وتصعد الأجزاء المائية من أعماق الأرض الرطبة أو من البحار والأنهار إلى جو الهواء فتنعقد سحاباً فتمطر فالإنزال من المعصرات حقيقة ومن السماء مجاز باعتبار السببية والله مسبب الأسباب.

﴿لنخرج به﴾ أي: بذلك الماء أي: بسبب وصوله إلى الأرض واختلاطه بها وبما فيها وهذه اللام لام المصلحة لا لام الغرض كما تقول المعتزلة. ﴿حباً﴾ كثيراً يقتات به أي: يكون قوتاً للإنسان وهو ما يقوم به بدنه كالحنطة والشعير ونحوهما، وفي «عين المعاني»: الحب اسم جنس يعني به الجمع قال الراغب: الحب والحبة. يعني: بالفتح يقال في الحنطة والشعير ونحوهما من المطعومات والحب والحبة يعني بالكسر يقال في بزور الرياحين وحبة القلب تشبيهاً بالحبة في الهيئة. ﴿ونباتاً﴾ كثيراً يعتلف به أي: يكون علفاً للحيوان كالتبن والحشيش كما قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ وَٱرْعَوْا۟ أَنْعَـٰمَكُمْ﴾ [طه: ٥٤] وتقديم الحب مع تأخره عن النبات في الإخراج لأصالته وشرفه لأن غالبه غذاء الناس ويقال لنخرج به لؤلؤاً وعشباً قال عكرمة: ما أنزل الله قطرة إلا أنبت بها عشبة في الأرض أو لؤلؤة في البحر انتهى. وهو مخالف للمشهور من أن اللؤلؤ لا يتكون من كل مطر بل من المطر النازل في نيسان إلا أن يعمم اللؤلؤ إلى الدر وغيره. ﴿وجنات﴾ ليتفكه بها الإنسان والجنة في الأصل هي السترة من مصدر جنه إذا ستره تطلق على النخل والشجر المتكاثف المظلل بالتفاف أغصانه وعلى الأرض ذات الشجر قال الفراء: الجنة ما فيه النخيل والفردوس ما فيه الكرم والمراد هنا هو الأشجار لا الأرض ﴿ألفافاً﴾ أي: ملتفة تداخل بعضها في بعض وهذا من محسنات الجنان كما ترى في بساتين الدنيا وبالفارسية درهم بيچيده يعني بسيار ونيكديكر نزديك.

قالوا: لا واحد له كالأوزاع والأخياف الأوزاع بمعنى الجماعات المتفرقة كالأخياف فإنه أيضاً بمعنى الجماعات المتفرقة المختلطة ومنه الأخياف للإخوة من آباء شتى وأمهم واحدة أو الواحد لف ككن وأكنان أو لفيف كشريف وأشراف وهو جمع لف جمع لفاء كخضر وخضراء فيكون ألفافاً جمع الجمع أو جمع ملتفة بحذف الزوائد قال ابن الشيخ قدم ذا الحب لأنه هو الأصل في الغذاء وثنى بالنبات لاحتياج سائر الحيوانات إليه وأخرت الجنات لانعدام الحاجة الضرورية إلى الفواكه.

واعلم أن فيما ذكر من أفعاله تعالى دلالة على صحة البعث وحقيته من وجوه ثلاثة: الأول باعتبار قدرته تعالى فإن من قدر على إنشاء هذه الأفعال البديعة من غير مثال يحتذيه وقانون ينتحيه كان على الإعادة أقدر وأقوى، والثاني باعتبار علمه وحكمته فإن من أبدع هذه المصنوعات على نمط رائق مستتبع لغايات جليلة ومنافع جميلة عائدة إلى الخلق يستحيل أن يفنيها بالكلية ولا يجعل لها عاقبة باقية والثالث باعتبار نفس الفعل فإن اليقظة بعد النوم أنموذج للبعث بعد الموت يشاهدونها كل يوم وكذا إخراج الحب والنبات من الأرض الميتة يعاينونه كل حين كأنه قيل ألم نفعل هذه الأفعال الآفاقية والأنفسية الدالة بفنون الدلالات على حقية البعث الموجبة للإيمان به فما لكم تخوضون فيه إنكاراً وتتساءلون عنه استهزاء.

وفي «التأويلات النجمية»: وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجاً أي من سماوات الأرواح بتحريك نفحات الألطاف مياه العلوم الذاتية والحكم الربانية صباً صباً لتخرج به حباً ونباتاً أي أنزلنا من سحائب سماوات أرواحكم على أرض قلوبكم ماء العلوم والحكم لنخرج به حب

المحبة الذاتية ونبات الشوق والاشتياق والود والانزعاج والعشق وأمثالها وجنات ألفافاً جنة المحبة وجنة المودة وجنة العشق ملتف بعضها ببعض.

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾

﴿إن يوم الفصل﴾ أي فصل الله بين الخلائق وبين السعداء والأشقياء باعتبار تفاوت الهيئات والصور والأخلاق والأعمال وتناسبها ﴿كان﴾ في علمه وتقديره الأزلي وإلا فثبوت الميقاتية ليوم الفصل غير مقيد بالزمان الماضي لأنه أمر مقرر قبل حدوث الزمان أيضاً. ﴿ميقاتاً﴾ وميعاداً لبعث الأولين والآخرين وما يترتب عليه من الجزاء ثواباً وعقاباً لا يكاد يتخطاه بالتقدم والتأخر فالميقات وهو الوقت الموقت أي المعين أخص من مطلق الوقت فهو هنا زمان مقيد بكونه وقت ظهور ما وعد الله من البعث والجزاء.

﴿يوم ينفخ في الصور﴾ بدل من يوم الفصل أو عطف بيان له مفيد لزيادة تفخيمه وتهويله ولا ضير في تأخر الفصل عن النفخ فإنه زمان ممتد يقع في مبدئه النفخة وفي بقيته الفصل ومباديه وآثاره والنفخ نفخ الريح في الشيء ومنه نفخ الروح في النشأة الأولى كما قال: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى﴾ [الحجر: ٢٩] ويقال انتفخ بطنه ومنه استعير انتفخ النهار إذا ارتفع ورجل منفوخ أي سمين والصور القرن النوراني والنافخ فيه إسرافيل عليه السلام، والمعنى يوم ينفخ في الصور نفخة ثانية للبعث حتى تتصل الأرواح بالأجساد وترجع بها إلى الحياة. ﴿فتأتون﴾ خطاب عام والفاء فصيحة تفصح عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإيذاناً بغاية سرعة الإتيان كما في قوله تعالى: ﴿ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ فَٱنفَلَقَ﴾ [الشعراء: ٦٣]، أي: فتبعثون من قبوركم فتأتون إلى الموقف عقيب ذلك من غير لبث أصلاً ﴿أفواجاً﴾ جمع فوج وهو جماعة من الناس في «المفردات» الجماعة المارة المسرعة أي حال كونكم أمما كل أمة مع إمامها كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُوا۟ كُلَّ أُنَاسٍۭ بِإِمَـٰمِهِمْ﴾ [الإسراء: ٧١] أو زمراً وجماعات مختلفة الأحوال متباينة الأوضاع حسب اختلاف أعمالهم وتباينها عن معاذ رضي الله عنه أنه سأل عنها رسول الله ﷺ فقال عليه السلام: «يا معاذ سألت عن أمر عظيم من الأمور ثم أرسل عينيه وقال تحشر عشرة أصناف من أمتي بعضهم على صورة القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكسون أرجلهم فوق وجوههم يسحبون عليها» يعني نكونساران كه ايشانرا بروى بدوزخ ميكشند.

«وبعضهم عمي، وبعضهم صم بكم وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهي مدلاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يتقذرهم أهل الجمع وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم وبعضهم مصلبون» على جوذع من نار يعني بردارهاي آتشين آويخته.

«وبعضهم أشد نتناً من الجيف، وبعضهم ملبسون جباباً سابغة من قطران لازقة بجلودهم فأما الذين على صورة القردة فالقتات من الناس» وهو بالضم جمع قات بالتشديد بمعنى النمّام يعني سخن چين.

حكي أن رجلاً باع عبداً وقال للمشتري ما فيه عيب إلا النميمة فقال رضيت فاشتراه فمكث الغلام أياماً، ثم قال لزوجة مولاه: إن زوجك لا يحبك وهو يريد أن يتسرىٰ عليك فخذي الموسى واحلقي من قفاه حين ينام شعرات حتى أسحر عليه فيحبك، ثم قال للزوج: إن امرأتك أخذت خليلاً وتريد أن تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم، فجاءت المرأة بالموسى

فظن أنها تقتله فقام فقتلها فجاء أهل المرأة فقتلوا الزوج فوقع القتال بين القبيلتين وطال الأمر، وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت، أي: الحرام لأنه يسحت الدين والمروءة أي يستأصل وأما المنكسون على وجوههم فأكلة الربا والتنكيس تعكيس هيئة القيام على الرجل بأن يجعل الرجل أعلى والرأس أسفل وبالفارسية نكو نسار كردن.

وأما العمى: فالذين يجورون في الحكم وأما البكم فالمعجبون بأعمالهم وأما الذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم وأما الذين قطعت أيديهم وأرجلهم فهم الذين يؤذون جيرانهم وأما المصلبون على جذوع من النار فالسعاة بين الناس إلى السلطان يعني غمازان وسعايت كتند كان بسلاطين وملوك.

وأما الذين هم أشد نتناً من الجيف فالذين يتبعون الشهوات والذات ويمنعون حق الله في أموالهم، وأما الذين يلبسون الجباب: فأهل الكبر والفخر والخيلاء جمع جبة وهو ثوب معروف وفي الحديث نشر على ترتيب اللف وبيان المناسبة بين معاصيهم وبين الصور التي يحشرون عليها يطلب من علم التعبير ثم إنه فصل هيئات أهل المعاصي مع الأسباب المؤدية إليها لأنه أهم إذ التخلية قبل التحلية واكتفى بالإشارة الإجمالية إلى هيئات الصالحين بقوله «من أمتي» بمن التبعيضية والحاصل أنه كما أن الأشقياء يحشرون على صور أعمالهم القبيحة كذلك السعداء يحشرون على صور أعمالهم الحسنة حتى يكون وجوه بعضهم كالقمر ليلة البدر أو كالشمس على ما جاء في صحيح الروايات وقال بعضهم المراد أمة الدعوة فتعم أصناف الكفرة والمؤمنين لا أمة الإجابة وإلا فالخوف على المؤمنين أيضاً في نهاية المرتبة.

يقول الفقير: الظاهر الثاني وهو أن المراد من الأمة الأشقياء من أهل الإجابة دل عليه إرساله عليه السلام عينيه حين البيان وكذا بيان أصناف الأعمال من غير إدخال الكفر فيها إذ صور الكفرة أقبح مما ذكر في الحديث على ما ذكر في الأخبار الصحيحة ثم الحديث ذكره الثعلبي ونحوه في التفاسير وقبله أهل الطرفين ولا عبرة بما ذهب إليه ابن حجر من أنه ظاهر الوضع فإنه من الجهل بحقيقة الأمر؛ إذ يوم القيامة يوم ظهور الصفات كما دل عليه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ [الطارق: ٩] ولا شك أن لكل صفة صورة مناسبة لها حسنة أو قبيحة ولم ينكره أحد من العقلاء على أنا وإن سلمنا أن لفظ الحديث موضوع فمعناه صحيح مؤيد بالأخبار الصحيحة فيا أيها المؤمن لا تكن قاسي القلب كالحجر وكن ممن يتفجر من قلبه أنهار الفيوض وينابيع الحكم واجتهد أن لا تكون ممن قيل فيه حفظت شيئاً وغابت عنك أشياء فمن عباد الله المخلصين من يأخذ من الله بلا واسطة الكتاب وإسناده فإنه مرتبة باقية إلى يوم القيامة قل من وضع قدمه عليها فلذا كثر الإنكار وأكب الناس على الرسوم والظواهر من غير إطلاع على الحقائق والبواطن نسأل الله تعالى أن يجعلنا من أهل معرفته.

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وفتحت السماء﴾ عطف على ينفخ بمعنى تفتح وصيغة الماضي للدلالة على التحقق أي شقت وصدعت من هيبة الله بعد أن كانت لا فطور فيها وبالفارسية وشكافته شود آسمان دران روز. **﴿فكانت﴾** پس باشد ازبسبارى شكاف. **﴿أبواباً﴾** ذات أبواب كثيرة لنزول الملائكة نزولاً

غير معتاد وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥] وهو الغمام الذي ذكر في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١] أي: أمره وبأسه في ظلل من الغمام والملائكة وقيل المراد من الفتح الكشف بإزالتها من مكانها كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾﴾ [التكوير: ١١] ومن الأبواب الطرق والمسالك أي تكشط فتصير مكانها طرقاً لا يسدها شيء. ﴿وسيرت الجبال﴾ المسير هو الله تعالى كما قال: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً﴾ [الكهف: ٤٧] أي: وسيرت الجبال في الجو بتسيير الله وتسخيره على هيئاتها بعد قلعها عن مقرها وبالفارسية وارانده شود كوهها درهوا.

وذلك عند حشر الخلائق بعد النفخة الثانية ليشاهدوها ثم يفرقها في الهواء وذلك قوله تعالى: ﴿فكانت سراباً﴾ السراب ما تراه نصف النهار كأنه ماء. قال الراغب: هو اللامع في المفازة كالماء وذلك لانسرابه فى مرأى العين أي ذهابه وجريانه وكأن السراب فيما لا حقيقة له كالشراب فيما له حقيقة أي فصارت بتسييرها مثل السراب، أي شيئاً كلا شيء لتفرق أجزائها وانبثاث جواهرها كقوله تعالى: ﴿وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ [الواقعة: ٥ ـ ٦] أي غباراً منتشراً وهي وإن اندكت وانصدعت عند النفخة الأولى لكن تسييرها كالسحاب وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية قيل: أول أحوال الجبال الاندكاك والانكسار كما قال تعالى: ﴿وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٤] وحالتها الثانية أن تصير كالعهن المنفوش وحالتها الثالثة أن تصير كالهباء وذلك بأن تنقطع وتتبدد بعد أن كانت كالعهن كما قال: ﴿فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾﴾ [الواقعة: ٦] وحالتها الرابعة أن تنسف وتقلع من أصولها لأنها مع الأحوال المتقدمة غارة في مواضعها والأرض تحتها غير بارزة فتنسف عنها بإرسال الرياح عليها وهو المراد من قوله: ﴿فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا﴾ [طه: ١٠٥] وحالتها الخامسة أن الرياح ترفعها عن وجه الأرض فتطيرها في الهواء كأنها غبار وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ﴾ [النمل: ٨٨] أي: تراها في رأي العين ساكنة في أماكنها والحال أنها تمر مر السحاب التي تسيرها الرياح سيراً حثيثاً وذلك أن الأجرام إذا تحركت نحواً من الأنحاء لا تكاد تتبين حركتها وإن كانت في غاية السرعة لا سيما من بعيد والحالة السادسة أن تصير سراباً.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى إزالة أنانية النفوس وتعيناتها فإنها عند القيامة الكبرى التي هي عبارة عن الفناء في الله تصير سراباً حتى إذا جئتها لم تجدها شيئاً ولكن العوام المحجوبون إذا رأوا أهل الفناء يأكلون مما يأكلون منه ويشربون مما يشربون منه يظنون أن نفوسهم باقية لبقاء نفوسهم لكنهم يظنون بهم الظن السوء إذ بينهم وبينهم بون بعيد قطعاً وفارق عظيم جداً لأنهم أزالت رياح العناية والتوفيق جبال نفوسهم عن مقار أرض البشرية وجعلها الله متلاشية وفتحت سماء أرواحهم فكانت أبواباً كباب السر والخفي والأخفى فدخلوا من هذه الأبواب إلى مقام أو أدنى فكانوا مع الحق حيث كان الحق معهم، ثم نزلوا من هذه الأبواب العالية الحقيقية الناظرة إلى عالم الولاية فدخلوا في أبواب العقل والقلب والمتخيلة والمفكرة والحافظة والذاكرة فكانوا في مقام قاب قوسين مع الخلق حيث كان الخلق معهم فلم يحتجبوا بالخلق عن الحق الذي هو جانب الولاية ولا بالحق عن الخلق الذي هو جانب النبوة فكانوا في الظاهر مصداق قوله تعالى: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأحقاف: ٩] فأين المحبوبون عن مقامهم وأنى لهم إدراك شأنهم وحقيقة أمرهم.

﴿إن جهنم كانت مرصاداً﴾ أي أنها كانت في حكم الله وقضائه موضع رصد يرصد فيه ويرقب خزنة النار الكفار ليعذبوهم فيها فالمرصاد اسم للمكان الذي يرصد فيه كالمنهاج اسم للمكان الذي ينهج فيه أي يسلك. قال الراغب: المرصاد موضع الرصد كالمرصد لكن يقال للمكان الذي اختص بالترصد والترقب، وقوله: ﴿إن جهنم كانت مرصاداً﴾ تنبيه على أن عليها مجاز الناس انتهى. كأنه عمم المرصاد حيث أن الصراط محبس للأعداء وممر للأولياء والأول أولى لأن الترصد في مثل ذلك المكان الهائل إنما هو للتعذيب وهو للكفار والأشقياء.

﴿للطاغين﴾ متعلق بمضمر هو إما نعت لمرصاداً أي كائناً للطاغين، وقوله تعالى: ﴿مآباً﴾ بدل منه أي مرجعاً يرجعون إليه لا محالة وإما حال من مآباً قدمت عليه لكونه نكرة ولو تأخرت لكانت صفة له قالوا: الطاغي من طغى في دينه بالكفر وفي دنياه بالظلم وهو في اللغة من جاوز الحد في العصيان والمراد هنا المشركون لما دل عليه ما بعده من الآيات وعذابهم لا يتناهى لكون اعتقادهم باطلاً وكذا إذا لم يعتقدوا شيئاً أصلاً وإن كان الاعتقاد صحيحاً كالمؤمن العاصي فعذابه متناهٍ.

﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحۡقَابٗا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرۡدٗا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمٗا وَغَسَّاقٗا ﴿٢٥﴾﴾.

﴿لابثين فيها﴾ حال مقدرة من المستكن في للطاغين أي مقدرين اللبث فيها واللبث أن يستقر في المكان ولا يكاد ينفك عنه يقال لبث بالمكان أقام به ملازماً له. ﴿أحقاباً﴾ ظرف للبثهم وهو جمع حقب وهو ثمانون سنة أو أكثر والدهر والسنة أو السنون كما في «القاموس»، وأصل الحقب من الترادف والتتابع يقال أحقب إذا أردف ومنه الحقيبة وهي الرفادة في مؤخر القتب وكل ما شد في مؤخر رحل أو قتب فقد احتقب والمحقب المردف وفي «تاج المصادر» الأحقاب در حقيبه نهادن.

ومنه الحديث: «فأحقبها على ناقة» أي أردفها على حقيبة الرحل والأرداف أزپى فراشدن وازپى كسى در نشتن ودر نشاندن فمعنى أحقاباً دهوراً متتابعة كلما مضى حقب تبعة حقب آخر إلى غير نهاية فإن الحقب لا يكاد يستعمل إلا لإيراد تتابع الأزمنة وتواليها كا قال أبو الليث إنما ذكر أحقاباً لأن ذلك كان أبعد شيء عندهم فذكر وتكلم بما يذهب إليه أوهامهم ويعرفونها وهو كناية عن التأبيد أي يمكثون فيها أبداً انتهى. دل عليه أن عمر رضي الله عنه سأل رجلاً من هجر عن الأحقاب فقال: ثمانون سنة كل يوم منها ألف سنة انتهى. فإنهم إنما يريدون بمثله التأبيد، وكذا ما قال مجاهد: إن الأحقاب ثلاثة وأربعون حقباً كل حقب سبعون خريفاً كل خريف سبعمائة سنة كل سنة ثلاثمائة وستون يوماً واليوم ألف سنة من أيام الدنيا كما روى ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم، وكذا لو أريد بالحقب الواحد سبعون ألف سنة اليوم منها ألف سنة كما روي عن الحسن البصري رحمه الله.

وقال الراغب: والصحيح أن الحقبة مدة من الزمان مبهمة أي لا ثمانون عاماً، وكذا قال في «القاموس»: الحقبة بالكسر من الدهر مدة لا وقت لها انتهى. والحاصل أن الأحقاب يدل على التناهي فهو وإن كان جمع قلة لكنه بمنزلة جمع كثرة وهو الحقوب أو بمنزلة الأحقاب المعرف بلام الاستغراق ولو كان فيه ما يدل على خروجهم منها فدلالته من قبيل المفهوم فلا يعارض المنطوق الدال على خلود الكفار كقوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم

بِخَرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴿٣٧﴾﴾ [المائدة: ٣٧] لأن المنطوق راجح على المفهوم فلا يعارضه وقال أبو حيان المدة منسوخة بقوله فلن نزيدكم إلا عذاباً انتهى. وسيأتي وجوه آخر.

﴿لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً﴾ جملة مبتدأة ومعنى لا يذوقون لا يحسون وإلا فأصل الذوق وجود الطعم.

وقال الكاشفي: يعني نمى نمايند إلا أن يكون ذلك باعتبار الشراب والذوق في التعارف وإن كان للقليل فهو صالح للكثير لوجود الذوق في الكثير أيضاً والمراد بالبرد ما يروحهم وينفس عنهم حر النار وإلا فهم يذوقون في جهنم برد الزمهرير أي: برداً ينتفعون به ويميلون إليه فتنكيره للنوعية قال قتادة كنى بالبرد عن الروح لما بالعرب من الحر حتى قالوا برد الله عيشك أي طيبه اعتباراً بما يجد الإنسان من اللذة في الحر من البرد وقال الراغب أصل البرد خلاف الحرارة وبرد كذا إذا ثبت ثبوت البرد واختصاص الثبوت بالبرد كاختصاص الحركة بالحر وبرد الإنسان مات وبرده قتله ومنه السيوف البوارد وذلك لما يعرض للميت من عدم الحرارة بفقدان الروح أو لما عرض له من السكون وقولهم للنوم برد إما لما يعرض له من البرد في ظهر جلده لأن النوم يبرد صاحبه ألا ترى أن العطشان إذا نام سكن عطشه أو لما يعرض له من السكون وقد علم أن النوم من جنس الموت وقوله تعالى: **﴿لا يذوقون فيها برداً﴾** أي نوماً حتى يستريحوا وبالفارسية تا آسايش يابدن وبرودت كسب كنند انتهى. بزيادة والمراد بالشراب ما يسكن عطشهم وإلا بمعنى لكن والحميم الماء الحار الذي انتهى حره.

وآن آبيست كه چون نزديك روى آرند كوشت روى دران ريزد وچون بخورد امعا واحشا پاره پاره شود.

والغساق: ما يغسق، أي يسيل من جلود أهل النار ويقطر من صديدهم وقيحهم، أخبر الله تعالى عن الطاغين بأنهم لا يذوقون في جهنم شيئاً ما من برد وروح ينفس عنهم حر النار ولا من شراب يسكن عطشهم ولكن يذوقون فيها حميماً وغساقاً، فالاستثناء منقطع وقال الزجاج: لا يذوقون فيها برد ريح ولا برد ظل ولا برد نوم فجعل البرد برد كل شيء له راحة فيكون قوله **﴿ولا شراباً﴾** بمعنى ولا ماء بارداً تخصيصاً بعد التعميم لكماله في الترويح فيكون مجموع البرد والشراب بمعنى المروح فيكون قوله **﴿إلا حميماً وغساقاً﴾** مستثنى منقطعاً من البرد والشراب؛ وإن فسر الغساق بالزمهرير فاستثناؤه من البرد فقط دون الشراب لأن الزمهرير ليس بماء يشرب كما أن استثناء حميماً من الشراب والتأخير لتوافق رؤوس الآي ويؤيد الأول قوله عليه السلام: «لو أن دلواً من غساق يهراق في الدنيا لأنتن أهل الدنيا» وإن فسر بما يسيل من صديدهم فالاستثناء من الشراب وعن ابن مسعود رضي الله عنه «الغساق لون من ألوان العذاب وهو البرد الشديد حتى أن أهل النار إذا ألقوا فيه سألوا الله أن يعذبهم في النار ألف سنة لما رأوه أهون عليهم من عذاب الزمهرير يوماً واحداً» وقال شهر بن حوشب الغساق واد في النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعباً في كل شعب ثلاثمائة وثلاثون بيتاً في كل بيت أربع زوايا في كل زاوية شجاع كأعظم ما خلق الله من الخلق في رأس كل شجاع سم والشجاع الحية هذا وقد جوز بعضهم أن يكون لا يذوقون حالاً من المنوي في لابثين لا كلاماً مستأنفاً، أي: **﴿لابثين﴾** فيها أحقاباً غير ذائقين فيها شيئاً سواهما ثم يبدلون بعد الأحقاب غير الحميم والغساق من جنس آخر من العذاب فيكون حالاً متداخلة ويكون قوله **﴿أحقاباً﴾** ظرف لابثين المقيد بمضمون لا

يذوقون وانتهاءه هذا المقيد لا يستلزم انتهاء مطلق اللبث فهو توقيت للعذاب لا للمكث في النار، عن ابن مسعود رضي الله عنه لو علم أهل النار أنهم يلبثون في النار عدد حصى الدنيا لفرحوا ولو علم أهل الجنة أنهم يلبثون في الجنة عدد حصى الدنيا لحزنوا وأيضاً يجوز أن يكون أحقاباً ظرفاً منصوباً بلا يذوقون على قول من يرى تقديم معمول ما بعد لا عليها لا ظرفاً لقوله لابثين فحينئذٍ لا يكون فيه دلالة على تناهي اللبث والخروج حيث لم يكن أحقاباً ظرف اللبث وأيضاً يجوز أن يكون أحقاباً ليس بظرف أصلاً بل هو حال من الضمير المستكن في لابثين بمعنى حقبين أي نكدين محرومين من الخير والبركة في السكون والحركة على أن يكون جمع حقب بفتح الحاء وكسر القاف من حقب الرجل إذا حرم الرزق وحقب العام إذا قل خيره ومطره وقوله ﴿**لا يذوقون فيها برداً**﴾ تفسير لنكدهم ولا يتوهم حينئذٍ تناهي مدة لبثهم فيها حتى يحتاج إلى التوجيه هذا ما قالوه في هذا المقام، وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه قال سيأتي على جهنم يوم تصفق أبوابها، أي يضرب بعضها بعضاً وقد أسندت هذه الرواية إلى ابن مسعود رضي الله عنه كما في «العرائس» ويروى عنه أنه قال ليأتين على جهنم زمان تخفق أبوابها ليس فيها أحد وذلك بعدما يلبثون فيها أحقاباً وفي «العرائس» أيضاً، وقال الشعبي: جهنم أسرع الدارين عمراناً وأسرعهما خراباً، وفي الحديث الصحيح: «ينبت الجرجير في قعر جهنم» أي لانطفاء النار وارتفاع العذاب بمقتضى قوله: «سبقت رحمتي غضبي» كما في «شرح الفصوص» لداود القيصري. والجرجير، بالكسر بقلة معروفة كما في «القاموس»، وقال المولى الجامي رحمه الله في «شرح الفصوص» أيضاً: اعلم أن لأهل النار الخالدين فيها كما يظهر في كلام الشيخ رضي الله عنه وتابعيه حالات ثلاثاً الأولى أنهم إذا دخلوها تسلط العذاب على ظواهرهم وبواطنهم وملكهم الجزع والاضطراب فطلبوا أن يخفف عنهم العذاب أو أن يقضي عليهم أو أن يرجعوا إلى الدنيا فلم يجابوا إلى طلباتهم والثانية أنهم إذا لم يجابوا إلى طلباتهم وطنوا أنفسهم على العذاب فعند ذلك رفع الله العذاب عن بواطنهم وخبت نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة والثالثة أنهم بعد مضي الأحقاب ألفوا العذاب وتعودوا به ولم يتعذبوا بشدته بعد طول مدته ولم يتألموا به وإن عظم إلى أن آل أمرهم إلى أن يتلذذوا به ويستعذبوه حتى لو هب عليهم نسيم من الجنة استكرهوه وتعذبوا به كالجعل وتأذيه برائحة الورد عافانا الله وجميع المسلمين من ذلك.

والجعل: بضم الجيم وفتح العين دويبة تكون بالروث والجمع جعلان بالكسر.

وقال المولى رمضان والمولى صالح الدين في «شرح العقائد»: قال بعض الإسلاميين: كل ما أخبر الله في القرآن من خلود أهل الدارين حق لكن إذا ذبح كبش الموت بين الجنة والنار ونودي أهلهما بالخلود فيهما أيس أهل النار من الخلاص فاعتادوا بالعذاب فلم يتألموا به حتى آل أمرهم إلى أن يتلذذوا به ولو هب عليهم نسيم الجنة استكرهوا وتعذبوا به كالجعل يستطيب الروث ويتألم من الورد فيصدق حينئذٍ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ﴾ [الزمر: ٥٣] على عمومه لارتفاع العذاب عنهم ويصدق أيضاً قوله تعالى: ﴿لَا يُخَفَّفُ عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابُ﴾ [البقرة: ١٦٢] لأن المراد العذاب المقدر لهم وقال بعض الأكامل فكما إذا استقر أهل دار الجمال فيها يظهر عليهم أثر الجمال ويتذوقون به دائماً أبداً ويختفي جلال الجمال وأثره بحيث يحسونه ولا يرونه ولا يتألمون به قطعاً سرمداً فكذلك إذا استقر أهل دار الجلال فيها بعد مرور الأحقاب

يظهر على بواطنهم أثر جمال الجلال ويتذوقون به أبداً ويختفي عنهم أثر نار الجلال بحيث لا يحسونه ولا يرونه ولا يتألمون به سرمداً لكن ليس ذلك إلا بعد انقطاع حراق النار بواطنهم وظواهرهم بمرور الأحقاب وكل منهم تحرقه النار ألف سنة من سني الآخرة لشرك يوم واحد من أيام الدنيا والظاهر عليهم بعد مرور الأحقاب هو الحال الذي يدوم عليهم أبداً وهو الحال الذي كانوا عليه في الأزل وما بينهما ابتلاءات رحمانية والابتلاء حادث. قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥] عصمنا الله وإياكم من دار البوار انتهى. فهذه كلمات القوم في هذه الآية ولا حرج في نقلها ونحن لا نشك في خلود الكفار وعذابهم أبداً فإن كان لهم العذاب عذاباً بعد مرور الأحقاب فقد بدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون، كما أن المعتزلي يقطع في الدنيا بوجوب العذاب لغير التائب ثم قد يبدو له في الآخرة ما لم يكن يحتسبه من العفو، وسئل الشيخ الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام بعد موته في منام رآه السائل ما تقول فيما كنت تنكر من وصول ما يهدى من قراءة القرآن للموتى؟ فقال هيهات وجدت الأمر خلاف ما كنت أظن قالوا: خلود أهل النار من الكفار لا معارض له فبقي على عمومه وخلود أهل الكبائر له معارض فيحمل على المكث الطويل فأهل الظاهر والباطن متفقون على خلود الكفار سواء كانوا فرعون وهامان ونمروداً وغيرهم وإنما اختلفوا في ارتفاع العذاب عن ظواهرهم بعد مرور الأحقاب وكل تأول بمبلغ علمه والنص أحق أن يتبع قال حجة الإسلام: الكفرة ثلاث فرق منهم من بلغه اسم نبينا عليه السلام وصفته ودعوته كالمجاورين في دار الإسلام فهم الخالدون لا عذر لهم ومنهم من بلغه الاسم دون الصفة وسمع أن كذاباً مسلماً اسمه محمد ادعى النبوة ومنهم من لم يبلغه اسمه ولا رسمه وكل من هاتين الفرقتين معذور في الكفر ونقل مثله عن الأشعري، كذا في «شرح العقائد» لمصلح الدين وقال المولى داود القيصري في «شرح الفصوص» الوعيد هو العذاب الذي يتعلق بالاسم المنتقم وتظهر أحكامه في خمس طوائف لا غير لأن أهل النار إما مشرك أو كافر أو منافق أو عاص من المؤمنين وهو ينقسم إلى الموحد العارف الغير العامل والمحجوب وعند تسلط سلطان المنتقم عليهم يتعذبون بنيران الجحيم وأنواع العذاب غير مخلدة على أهله لانقطاعه بشفاعة الشافعين وآخر من يشفع وهو أرحم الراحمين.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾

﴿جزاء وفاقاً﴾ أي: جوزوا بذلك جزاء وفاقاً لأعمالهم وأخلاقهم كأنه نفس الوفاق مبالغة أو ذا وفاق لها على حذف المضاف أو وافقها وفاقاً فيكون وفاقاً مصدراً مؤكداً لفعله كجزاء والجملة صفة لجزاء وجه الموافقة بينهما أنهم أتوا بمعصية عظيمة وهي الكفر فعوقبوا عقاباً عظيماً وهو التعذيب بالنار فكما أنه لا ذنب أعظم من الشرك فكذا لا جزاء أقوى من التعذيب بالنار وجزاء سيئة سيئة مثلها فتوافقا وقيل كان وفاقاً حيث لم يزد على قدر الاستحقاق ولم ينقص عنه قال سعدي المفتي: اعلم أن الكفار لما كان من نيتهم الاستمرار على الكفر كما سيشير إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾﴾ [النبأ: ٢٧] إذ معناه أنهم كانوا مستمرين على الكفر مع عدم توقع الحساب فوافقه عدم تناهي العذاب واللبث فيها أحقاباً بعد أحقاب ولما كانوا مبدلين التصديق الذي يروح النفس ويثلج به الصدر بالتكذيب الذي هو ضده

جوزوا بالحميم والغساق بدل ما يجعل للمؤمنين مما يروحهم من برد الجنة وشرابها وللمناسبة بين الماء والعلم يعبر الماء في الرؤيا بالعلم وقال بعض أهل الحقائق إن جهنم الطبيعة الحيوانية يرصد فيها القوى البشرية وهي خزنة جهنم طبيعية أرباب النفوس الأمارة والهوى المتبع للظالمين على نفوسهم بالأهوية والبدع والإباحة والزندقة والاتحاد والحلول والفضول مآباً لابثين فيها أحقاباً إلى وقت الانسلاخ عن حكم البشرية والتلبس بملابس الشريعة وخلع الطريقة والحقيقة لا يذوقون فيها برد اليقين برفع الحجاب عن وجه بشريتهم ولا شراب المحبة لانهماكهم في محبة الدنيا بسبب جهنم الطبيعة إلا حميماً وغساقاً يسيل من صديد طبيعتهم وقال القاشاني: إلا حميماً من أثر الجهل المركب وغساقاً من ظلمة هيئات محبة الجواهر الفاسقة والميل إليها جزاء موافقاً لما ارتكبوه من الأعمال وقدموه من العقائد والأخلاق وذلك العذاب لفساد العمل والعلم فلم يعملوا صالحاً رجاء الجزاء ولم يعلموا علماً صالحاً فيصدقوا بالآيات.

﴿**إنهم كانوا لا يرجون حساباً**﴾ تعليل لاستحقاقهم الجزاء المذكور وبيان لفساد قوتهم العلمية أي كانوا ينكرون الآخرة ولا يخافون أن يحاسبوا بأعمالهم فلذا كانوا يقدمون على جميع المنكرات ولا يرغبون في شيء من الطاعات وفسر الرجاء بالخوف لأن الحساب من أصعب الأمور على الإنسان والشيء الصعب لا يقال فيه إنه يرجى بل يقال إنه يخاف ويخشى.

﴿وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾.

﴿**وكذبوا**﴾ بيان لفساد قوتهم النظرية ﴿**بآياتنا**﴾ الناطقة بذلك وفي بعض التفاسير بآياتنا القولية والفعلية الظاهرة على ألسنة الرسل وأيديهم ﴿**كذاباً**﴾ أي: تكذيباً مفرطاً ولذلك كانوا مصرين على الكفر وفنون المعاصي فعوقبوا بأهول العقاب جزاء وفاقاً وفعال من باب فعل شائع فيما بين الفصحاء مطرد مثل كلم كلاماً قال صاحب «الكشاف»: وسمعني بعضهم أفسر آية فقال لقد فسرتها فساراً ما سمع بمثله قال بعضهم وأبدل من أحد حرفي تضعيف بعض الأسماء ياء لئلا يلتبس بهذا المصدر المشدد مثل الدينار فإن أصله الدنار ومثل السينات في قول عمر بن عبد العزيز لكاتبه في بسم الله طول الباء وأظهر السينات ودور الميم فإن أصله السنات جمع السن لا جمع السين لأنه ليس في البسملة إلا سين واحدة ويجوز أن يقال عبر عن السن بالسين مبالغة كأنه قيل اجعل سنه كسينه في الإظهار كما ذهب إليه الشريف.

﴿**وكل شيء**﴾ أي: وأحصينا كل شيء من الأشياء التي من جملتها أعمالهم فانتصابه بمضمر يفسره قوله: ﴿**أحصيناه**﴾ أي: حفظناه وضبطناه وذلك أي: انتصابه بالإضمار على شريطة التفسير هو الراجح لتقدم جملة فعله ولا يضره كون هذه الجملة معترضة كما سيجيء أو لأن المقصود المهم هنا الإخبار عن الإحصاء لا الإخبار عن كل شيء ﴿**كتاباً**﴾ مصدر مؤكد لأحصيناه من غير لفظه لما أن الإحصاء والكتابة من واد واحد أي يتشاركان في معنى الضبط فكأنه قال وكل شيء أحصيناه إحصاء مساوياً في القوة والثبات بالعلم المقيد بالكتابة أو كتبناه كتاباً وأثبتناه إثباتاً ويجوز أن يكون من الاحتباك حذف فعل الثاني بقرينة الأول ومصدر الأول بقرينة الثاني أي أحصيناه إحصاء وكتبناه كتاباً أو هو أي: كتاباً حال بمعنى مكتوباً في اللوح وفي صحف الحفظة والجملة اعتراض لتوكيد كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات بأنهما

محفوظان للمجازاة. قال القاشاني: وكل شيء من صور أعمالهم وهيئات عقائدهم ضبطناه ضبطاً بالكتابة عليهم في صحائف نفوسهم وصحائف النفوس السماوية.

﴿فذوقوا﴾ پس بچشيد عذاب دوزخ ﴿فلن نزيدكم إلا عذاباً﴾ فوق عذابكم والفاء في فذوقوا جزائية دالة على أن الأمر بالذوق مسبب عن كفرهم بالحساب وتكذيبهم بالآيات ومعلل به فيكون وكل شيء الخ جملة معترضة بين السبب ومسببه تؤكد كل واحد من الطرفين لأنه كما يدل على كون معاصيهم مضبوطة مكتوبة يدل على أن ما يتفرع عليها من العذاب كائن لا محالة مقدر على حسب استحقاقهم به وفي الالتفات المنبىء عن التشديد في التهديد وإيراد لن المفيدة لكون ترك الزيادة من قبيل ما لا يدخل تحت الصحة من الدلالة على تبالغ الغضب ما لا يخفى وقد روي عن النبي عليه السلام أن هذه الآية أشد ما في القرآن على أهل النار أي لأن فيها الإياس من الخروج فكلما استغاثوا من نوع من العذاب أغيثوا بأشد منه فتكون كل مرتبة منه متناهية في الشدة وإن كانت مراتبه غير متناهية بحسب العدد والمدة وهذا لا يخالف قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ١٧٤] لأن المراد بالمنفي التكلم باللطف والإكرام لا بالقهر والجلال فإن قيل هذه الزيادة إن كانت غير مستحقة كانت ظلماً وإن كانت مستحقة كان تركها في أول الأمر إحساناً والكريم لا يليق به الرجوع في إحسانه فالجواب أنها مستحقة ودوامها زيادة لثقل العذاب وأيضاً ترك المستحق في بعض الأوقات لا يوجب الإبراء والإسقاط حتى يكون إيقاعه بعده رجوعاً في «الإحسان»، وأيضاً كانوا يزيدون كفرهم وتكذيبهم وأذيتهم للرسول عليه السلام وأصحابه رضي الله عنهم فيزيد الله عذابهم لزيادة الاستحقاق فلا ظلم فإن قيل: قوله ﴿فذوقوا﴾ الخ تكرار لأنه ذكر سابقاً ﴿أنهم لا يذوقون﴾ الخ قلنا إنه تكرار لزيادة المبالغة في تقرير الدعوى وهو كون العقاب جزاء وفاقاً.

﴿إن للمتقين مفازاً﴾ شروع في بيان محاسن أحوال المؤمنين أثر بيان سوء أحوال الكفرة على ما هو العادة القرآنية ووجه تقديم بيان حالهم غني عن البيان أي إن للذين يتقون الكفر وسائر القبائح من أعمال الكفرة فوزاً وظفراً بمباغيهم دل على هذا المعنى تفسيره بما بعده بقوله: ﴿حدائق﴾ .. الخ أو موضع فوز فالمفاز على الأول مصدر ميمي وعلى الثاني اسم مكان فإن قيل: الخلاص من الهلاك أهم من الظفر باللذات فلم أهمل الأهم وذكر غير الأهم قلنا لأن الخلاص من الهلاك لا يستلزم الفوز بالنعيم، لكونه حاصلاً لأصحاب الأعراف مع أنهم غير فائزين بالنعيم بخلاف الفوز بالنعيم فإنه يستلزم الخلاص من هلاك فكان ذكره أولى.

﴿حدائق وأعناباً﴾ أي: بساتين فيها أنواع الأشجار المثمرة وكروماً وهو تخصيص بعد التعميم لفضلها، قوله: ﴿حدائق﴾ بدل من مفازاً بدل الاشتمال إن كان مصدراً ميمياً لأن الفوز يدل عليه دلالة التزامية أو البعض إن جعل مكاناً جمع حديقة وهي الروضة ذات الأشجار ويقال: الحديقة كل بستان عليه حائط، أي جدار وفيه من النخل والثمار، وفي «المفردات»: الحديقة قطعة من الأرض ذات ماء سميت تشبيهاً بحدقة العين في الهيئة وحصول الماء فيها والأعناب جمع عنب بالفارسية أنكور.

قال بعضهم: ذكر نفسها ولم يذكر شجرها وهو الكرم لأن زيادة الشرف فيها لا في شجرها.

﴿وكواعب﴾ جمع كاعب، يقال: كعبت المرأة كعوباً ظهر ثديها وارتفع ارتفاع الكعب،

أي: نساء عذارى فلكت ثديهن، أي: استدارت وصارت كالكعب في النتوء. يقال: فلك ثدي الجارية تفليكاً، أي استدار كفلكة المغزل، ويقال لهن: النواهد جمع ناهد وناهدة وهي المرأة كعب ثديها وبدا للارتفاع. ﴿أتراباً﴾ لدات، أي مستويات في السن ولدة الرجل تربه وقرينه في السن والميلاد والهاء عوض عن الواو الذاهبة من أوله لأنه من الولادة، قال الراغب: أي: لدات ينشأن معاً تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر ولوقوعهن على الأرض معاً.

در تفسير زاهدى آورده كه شانزده ساله باشند ومردان سي وسه ساله ودر اكثر تفاسير هست كه اهل بهشت اززنان ومردن سي وسه ساله خواهند بود.

والظاهر ما في «تفسير الزاهدي» وهو كونهن بنات ست عشرة لكونها نصف سن الرجال وأيضاً دل عليه الوصف بالكعوب وهو ارتفاع ثديهن والمراد أنهن بالغات تمام كمال النساء في الحسن واللطافة والصلاح للمصاحبة والمعاشرة بحيث لا يكون في سن الصغر حتى تضعف الشهوة لهن ولا في سن الكبر حتى تنكسر الشهوة عنهن بل رواء الشباب أي ماؤه جار فيهن لم يشبن ولم يتغير عن حد الحسن حسنهن وإنما ذكرن لأن بهن نظام الدنيا ولطافة الآخرة من جهة التنعم الجسماني.

﴿وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾ رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وكأساً دهاقاً﴾ أي: مملوءة بالخمر فدهاقاً بمعنى مدهقة وصفت به الكأس للمبالغة في امتلائها يقال أدهق الحوض ودهقه ملأه ﴿لا يسمعون﴾ أي: المتقون ﴿فيها﴾ أي في الحدائق ﴿لغواً ولا كذاباً﴾ أي لا ينطقون بلغو وهو ما يلغى ويطرح لعدم الفائدة فيه ولا يكذب بعضهم بعضاً حتى يسمعوا شيئاً من ذلك بخلاف حال أهل الدنيا في مجالسهم لا سيما عند شربهم. قال بعض أهل المعرفة: لا يسمعون فيها كلاماً إلا من الحق فإن من تحقق بالحق لا يسمعه الحق إلا منه ولا يشهده سواه في الدنيا والآخرة.

﴿جزاء من ربك﴾ مصدر مؤكد منصوب بمعنى إن للمتقين مفازاً فإنه في قوة أن يقال جازى المتقين بمفاز جزاء عظيماً كائناً من ربك على أن التنوين للتعظيم. ﴿عطاء﴾ أي تفضلاً وإحساناً منه تعالى إذ لا يجب عليه شيء وذلك أن الله تعالى جعل الشيء الواحد جزاء وعطاء وهو غير ظاهر لأن كونه جزاءً يستدعي ثبوت الاستحقاق وكونه عطاء يستدعي عدم الاستحقاق فالجمع بينهما جمع بين المتنافيين لكن ذلك الاستحقاق إنما يثبت بحكم الوعد لا من حيث أن الطاعة توجب الثواب على الله فذلك الثواب بالنظر إلى وعده تعالى إياه بمقابلة الطاعة يكون جزاء وبالنظر إلى أنه لا يجب على الله لأحد شيء يكون تفضلاً وعطاء، وهذا بمقابلة قوله: ﴿جزاء وفاقاً﴾ لأن جزاء المؤمنين من قبيل الفضل لتضاعفه وجزاء الكافرين من قبيل العدل وهو بدل من جزاء بدل الكل من الكل لأن العطاء والجزاء متحدان ذاتاً وإن تغايراً في المفهوم، وفي جعله بدلاً من جزاء نكتة لطيفة وهي أن بيان كونه عطاء تفضلاً منه هو المقصود وبيان كونه جزاء وسيلة إليه فإن حق البدل أن يكون مقصوداً بالنسبة وذكر المبدل منه وسيلة إليه ﴿حساباً﴾ صفة لعطاء بمعنى كافياً على أنه مصدر أقيم مقام الوصف أي محسباً وقيل على

حسب أعمالهم بأن يجازي كل عمل بما وعد له من الإضعاف من عشرة وسبعمائة وغير حساب فما وعده الله من المضاعفة داخل في الحسب أي المقدار لأن الحسب بفتح السين وسكونها بمعنى القدر والتقدير على هذا عطاء بحساب فحذف الجار ونصب الاسم قال بعض أهل المعرفة: إذا كان الجزاء من الله لا يكون له نهاية لأنه لا يكون على حد الأعواض بل يكون فوق الحد لأنه ممن لا حد له ولا نهاية فعطاؤه لا حد له ولا نهاية وقال بعضهم: العطاء من الله موضع الفضل لا موضع الجزاء فالجزاء على الأعمال والفضل موهبة من الله يختص به الخواص من أهل وداده.

وفي «التأويلات النجمية»: إن للمتقين الذين يتقون عن نفوسهم المظلمة المدلهمة بالله وصفاته وأسمائه مفازاً أي فوز ذات الله وصفاته حدائق روضات القلوب المنزهة الأرضية وأعناباً أشجار المعاني والحقائق المثمرة عنب خمر المحبة الذاتية الخامرة عين العقل عن شهود الغير والغيرية وكواعب أتراباً أبكاراً اللطائف والمعارف وكأساً دهاقا مملوءة من شراب المحبة وخمر المعرفة لا يسمعون فيها لغواً من الهواجس النفسانية ولا كذاباً من الوساوس الشيطانية جزاء من ربك عطاء حساباً أي فضلاً تاماً كافياً من غير عمل.

وقال القاشاني: إن للمتقين المقابلين للطاغين المتعدين في أفعالهم حد العدالة مما عينه الشرع والعقل وهم المتنزلون عن الرذائل وهيئات السوء من الأفعال مفازاً فوزاً ونجاة من النار التي هي مآب الطاغين حدائق من جنان الأخلاق وأعناباً من ثمرات الأفعال وهيئاتها وكواعب من صور آثار الأسماء في جنة الأفعال أتراباً متساوية في الترتيب وكأساً من لذة محبة الآثار مترعة ممزوجة بالزنجبيل والكافور لأن أهل جنة الآثار والأفعال لا مطمح لهم إلى ما وراءها فهم محجوبون بالآثار عن المؤثر وبالعطاء عن المعطي عطاء حساباً كافياً يكفيهم بحسب هممهم ومطامح أبصارهم؛ لأنهم لقصور استعداداتهم لا يشتاقون إلى ما وراء ذلك فلا شيء ألذ لهم بحسب أذواقهم مما هم فيه.

﴿**رب السموات والأرض وما بينهما**﴾ بدل من ربك والمراد رب كل شي وخالقه ومالكه ﴿**الرحمن**﴾ مفيض الخير والجود على كل موجود بحسب حكمته وبقدر استعداد المرحوم وهو بالجر صفة للرب وقيل صفة للأول وأياً ما كان ففي ذكر ربوبيته تعالى للكل ورحمته الواسعة إشعار بمدار الجزاء المذكور قال القاشاني: أي ربهم المعطي إياهم ذلك العطاء هو الرحمن لأن عطاياهم من النعم الظاهرة الجليلة دون الباطنة الدقيقة فمشربهم من اسم الرحمن دون غيره.

وفي «التأويلات النجمية»: رب سماوات الأرواح وأرض النفوس وما بينهما من السر والقلب وأقواهما الروحانية هو الرحمن أي الموصوف بجميع الأسماء والصفات الجمالية والجلالية لوقوعه بين الله الجامع وبين الرحيم فله وجه إلى الألوهية المشتملة على القهر وله أيضاً وجه إلى الرحيم الجمالي المحض ﴿**لا يملكون منه خطاباً**﴾ استئناف مقرر لما أفادته الربوبية العامة من غاية العظمة والكبرياء واستقلاله تعالى بما ذكر من الجزاء والعطاء من غير أن يكون لأحد قدرة عليه وضمير لا يملكون لأهل السماوات والأرض ومن في منه صلة للتأكيد على طريقة قولهم بعت منك أي بعتك، يعني: أنه صلة خطاباً قدم عليه فانقلب بياناً والمعنى لا يملكون أن يخاطبوه تعالى من تلقاء أنفسهم كما ينبيء عنه لفظ الملك إذ المملوك لا يستحق على مالكه شيئاً خطاباً ما في شيء ما لتفرده بالعظمة والكبرياء وتوحده في ملكه بالأمر والنهي

والخطاب والمراد نفي قدرتهم على أن يخاطبوه تعالى بشيء من نقص العذاب وزيادة الثواب من غير إذنه على أبلغ وجه وآكده، كأنه قيل لا يملكون أن يخاطبوه بما سبق من الثواب والعقاب وبه يحصل الارتباط بين هذه الآية وبين ما قبلها من وعيد الكفار ووعد المؤمنين ويظهر منه أن نفي أن يملكوا خطابه لا ينافي الشفاعة بإذنه قال القاشاني: لأنهم أي: أهل الأفعال لم يصلوا إلى مقام الصفات فلاحظ لهم من المكالمة.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾

﴿**يوم يقوم الروح والملائكة صفاً**﴾ أخر الملائكة هنا تعميماً بعد التخصيص وأخر الروح في القدر تخصيصاً بعد التعميم فالظاهر أن الروح من جنس الملائكة لكنه أعظم منهم خلقاً ورتبة وشرفاً إذ هو بمقابلة الروح الإنساني كما أن الملائكة بمقابلة القوى الروحانية ولا شك أن الروح أعظم من قواه التابعة له كالسلطان مع أمرائه وجنده ورعاياه؛ وتفسير الروح بجبريل ضعيف وإن كان هو مشتهراً بكونه روح القدس والروح الأمين؛ إذ كونه روحاً ليس بالنسبة إلى ذاته وإلا فالملائكة كلهم روحانيون وإن كانوا أجساماً لطيفة غير الأرواح المهمية وإنما هو بالنسبة إلى كونه نافخ الروح وحامل الوحي الذي هو كالروح في الإحياء، وقد اتفقوا على أن إسرافيل أعظم من جبريل ومن غيره فلو كان أحد يقوم صفاً واحداً لكان هو إسرافيل دون جبرائيل والله أعلم بمراده من الروح وإن اختلفت الروايات فيه هذا ما لاح لي في هذا المقام بعون الملك العلام وصفاً حال أي: مصطفين لكثرتهم وقيامهم بما أمر الله في أمر العباد وقيل هما صفان الروح صف والملائكة صف وقيل صفوف وهو الأوفق لقوله تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ [الفجر: ٢٢] ويوم ظرف لقوله تعالى ﴿**لا يتكلمون**﴾ وقوله تعالى ﴿**إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً**﴾ بدل من ضمير لا يتكلمون العائد إلى أهل السماوات والأرض الذين من جملتهم الروح والملائكة وهو أرجح لكون الكلام غير موجب والمستثنى منه مذكور في مثله يختار البدل على الاستثناء وذكر قيامهم واصطفافهم لتحقيق عظمة سلطانه تعالى وكبرياء ربوبيته وتهويل يوم البعث الذي عليه مدار الكلام من مطلع السورة إلى مقطعها والجملة استئناف مقرر لمضمون قوله تعالى: ﴿**لا يتكلمون...**﴾ الخ. ومؤكد له على معنى أن أهل السماوات والأرض إذا لم يقدروا يومئذٍ على أن يتكلموا بشيء من جنس الكلام إلا من أذن الله له منهم في التكلم وقال ذلك المأذون له قولاً صواباً أي حقاً صادقاً أو واقعاً في محله من غير خطأ في قوله فكيف يملكون خطاب رب العزة مع كونه أخص من مطلق الكلام وأعز منه مراماً وقيل: ﴿**إلا من أذن**﴾ ... الخ منصوب على أصل الاستثناء والمعنى لا يتكلمون إلا في حق شخص أذن له الرحمن وقال ذلك الشخص صواباً، أي حقاً هو التوحيد وكلمة الشهادة دون غيره من أهل الشرك فإنهم لم يقولوا في الدنيا صواباً بل تفوهوا بكلمة الكفر والشرك وإظهار الرحمن في موقع الإضمار للإيذان بأن مناط الإذن هو الرحمة البالغة لأن أحداً لا يستحقه عليه تعالى، وفي «عرائس البقلي»: من كان كلامه في الدنيا من حيث الأحوال والأحوال من حيث الوجد والوجد من حيث الكشف والكشف من حيث المشاهدة والمشاهدة من حيث المعاينة فهو

مأذون في الدنيا والآخرة يتكلم مع الحق على بساط الحرمة والهيبة ينقذ الله به الخلائق من ورطة الهلاك.

قال ابن عطاء: الخالص ما كان لله والصواب ما كان على وجه السنة، وقال بعضهم: إنما تظهر الهيبة على العموم لأهل الجمع في ذلك اليوم وأما الخواص وأصحاب الحضور فهم أبداً بمشهد العز بنعت الهيبة وفيه إشارة إلا أن الأسرار والقلوب وقواهم الكائنين بين سماوات الأرواح وبين أرض النفوس لا يملكون أن يخاطبوا الحق في شفاعة النفس الأمارة والهوى المتبع ببسب لحمة النسب الواقع بينهم إذ الكل أولاد الروح والقالب كما لم يملك نوح عليه السلام أن يخاطب الحق في حق ابنه كنعان بمعنى أنه لم يقدر على إنجائه إذ جاء الخطاب بقوله: ﴿فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ﴾ [هود: ٤٦].

﴿ذلك﴾ إشارة إلى يوم قيامهم على الوجه المذكور ومحله الرفع على الابتداء خبره ما بعده أي ذلك اليوم العظيم الذي يقوم فيه الروح والملائكة مصطفين غير قادرين هم ولا غيرهم على التكلم من الهيبة والجلال ﴿اليوم الحق﴾ أي الثابت المتحقق لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه وذلك لأنه متحقق علماً فلا بد أن يكون متحققاً وقوعاً كالصباح بعد مضي الليل وفيه إشارة إلى أنه واقع ثابت في جميع الأوقات والأحايين ولكن لا يبصرون به لاشتغالهم بالنفس الملهية وهواها الشاغل ﴿فمن شاء اتخذ إلى ربه مآباً﴾ الفاء فصيحة تفصح عن شرط محذوف ومفعول المشيئة محذوف لوقوعها شرطاً وكون مفعولها مضمون الجزاء وانتفاء الغرابة في تعلقه بها حسب القاعدة المستمرة وإلى ربه متعلق بما أقدم عليه اهتماماً به ورعاية للفواصل كأنه قيل وإذا كان الأمر كما ذكر من تحقق اليوم المذكور لا محالة فمن شاء أن يتخذ مرجعاً إلى ثواب ربه الذي ذكر شأنه العظيم فعل ذلك بالإيمان والطاعة وقال قتادة مآباً أي سبيلاً وتعلق الجار به لما فيه من معنى الاقتضاء والإيصال.

وفي «التأويلات النجمية»: مآباً أي: مرجعاً ورجوعاً من الدنيا إلى الآخرة ومن الآخرة إلى رب الدنيا والآخرة لأنهما حرامان على أهل الله.

﴿إنا أنذرناكم﴾ أي بما ذكر في السورة من الآيات الناطقة بالبعث وبما بعده من الدواعي أو بها وبسائر القوارع الواردة في القرآن والخطاب لمشركي العرب وكفار قريش لأنهم كانوا ينكرون البعث وفي بعض التفاسير الظاهر عموم الخطاب كعموم من لأن في إنذار كل طائفة فائدة لهم. ﴿عذاباً قريباً﴾ هو عذاب الآخرة وقربه لتحقق إتيانه حتماً ولأنه قريب بالنسبة إليه تعالى وممكن وإن رأوه بعيداً وغير ممكن فيرونه قريباً لقوله تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦] وقال بعض أهل المعرفة العذاب القريب هو عذاب الالتفات إلى النفس والدنيا والهوى. وقال القاشاني: هو عذاب الهيئات الفاسقة من الأعمال الفاسدة دون ما هو أبعد منه من عذاب القهر والسخط وهو ما قدمت أيديهم.

﴿يوم ينظر المرء ما قدمت يداه﴾ تثنية أصلها يدان سقطت نونها بالإضافة ويوم بدل من عذاباً أو ظرف لمضمر هو صفة له أي عذاباً كائناً يوم المرء أي يشاهد ما قدمه من خير أو شر يعني: بازيابدكردار هاي خودرا ازخير وشر.

على أن ما موصولة منصوبة بينظر لأنه يتعدى بنفسه وبإلى والعائد محذوف أي قدمته أو ينظر أي شيء قدمت يداه على أنها استفهامية منصوبة بقدمت متعلقة بينظر فالمرء عام للمؤمن

والكافر لأن كل أحد يرى عمله في ذلك اليوم مثبتاً في صحيفته خيراً كان أو شراً فيرجو المؤمن ثواب الله على صالح عمله ويخاف العقاب على سيئه وأما الكافر فكما قال الله تعالى **﴿ويقول الكافر يا ليتني﴾** أي: يا قوم فالمنادى محذوف ويجوز أن يكون بالمحض التحسر ولمجرد التنبيه من غير قصد إلى تعيين المنبه وبالفارسية أي كاشكي من. **﴿كنت تراباً﴾** في الدنيا فلم أخلق ولم أكلف وهو في محل الرفع على أنه خبر ليت أو ليتني كنت تراباً في هذا اليوم فلم أبعث كقوله: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ﴾ [الحاقة: ٢٥] إلى أن قال ﴿يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ٢٧﴾ [الحاقة: ٢٧] وقيل يحشر الله الحيوان فيقتص للجماء من القرناء نطحتها أي قصاص المقابلة لا قصاص التكليف ثم يرده تراباً فيود الكافر حاله كما قال عليه السلام: «لتؤدن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة حتى يقاد للشاة الجلحاء من القرناء» وهذا صريح في حشر البهائم وإعادتها لقصاص المقابلة لا للجزاء ثواباً وعقاباً، وقيل الكافر إبليس يرى آدم وولده وثوابهم فيتمنى أن يكون الشيء الذي احتقره حين قال خلقتني من نار وخلقته من طين يعني إبليس آدم را عيب مي كردكه ازخاك آفريده شده وخود رامي ستودكه من از آتش مخلوقم چون دران روز كرامت آدم وثواب فرزندان مؤمن أو مشاهده نمايد وعذاب وشذدت خودرا بينذ آروز بردكه كاشكى من ازخاك بودمي ونسبت بآدم داشتمي أي درويش اين دبدبه وطنطنه كه خاكيا نراست هيچ طبقة از طبقات مخلوقاً ترا نيست.

خاك راخوار وتيره ديد إبليس	كرد انكارش آن حسود خسيس
ماند غافل زنور باطن او	نشدا كه زسر كامل أو
بهر كنجى كه هست دردل خاك	اين صدا داده اند در أفلاك
كه بجز خاك نيست مظهر كل	خاك شو خاك تابرويد كل

وأما مؤمنو الجن فلهم ثواب وعقاب فلا يعودون تراباً وهو الأصح فيكون مؤمنوهم مع مؤمني الإنس في الجنة أو في الأعراف ونعيمهم ما يناسب مقامهم ويكون كفارهم مع كفار الإنس في النار وعذابهم بما يلائم شأنهم وقيل هو تراب سجدة المؤمن تنطفىء به عنه النار وتراب قدمه عند قيامه في الصلاة فيتمنى الكافر أن يكون تراب قدمه.

وفي «التأويلات النجمية»: يوم ينظر المرء ما قدمت يد قلبه ويد نفسه من الإحسان والإساءة ويقول كافر النفس الساتر للحق يا ليتني كنت تراب أقدام الروح والسر والقلب متذللة بين يديهم مؤتمرة لأوامرهم ونواهيهم وفي «كشف الأسرار» از عظمت آن روز است كه بيست وچهار ساعت شبانروز دنيارا بر مثال بيست وچهار خزانه حشر كنند ودر عرصات قيامت حاضر كردانديكان يكان خزانه ميكشايند وبربنده عرض ميد هند از ان خزانه بكشايند بربها وجمال ونور وضيا وآن آن ساعتست كه بنده ررخيرات وحسنات وطاعات بود بنده چون حسن ونور بهاي آن بيند چندان شادي وطرب واهتزاز بر وغالب شودكه اكر انرا بر جملهء دوزخيان قسمت كننداز دهشت آن شادي الم ودرد آتش فراموش كنند خزانهء ديكر بكشايند تاريك ومظلم پرنتن ووحشت وآن آن ساعتست كه بنده در معصيت بوده وحق ازره ظلمت ووحشت آن كردار درآيد چندان فزع وهول ورنج وغم اورا فرو كيردكه اكر بركل اهل بهشت قسمت كتند نعيم بهشت بر ايشان منغص شود خزانة ديكر بكشايند حالي كه درونه طاعت بودكه سبب شادي است نه معصيت كه موجب اندوهست وآن ساعتي است كه بنده در وخفته باشد يا غافل يا

بمباحات دنيا مشغول بوده بنده بران حسرت خورد وعين عظيم برورراه يابد همچنين خزائن يك يك ميكشايند وبر وعرضه ميكنند از ان ساعت كه در طاعت كرده شاد ميكردد وازان ساعت كه درو معصيت كرده رنجور ميشود وبر ساعتي كه مهمل كذاشته حسرت وغبن ميخورد وچون كار مؤمن مقصر دران روز اين باشد پس قياس كن كه حال كافر چكونه باشد در حسرت وندامت وآه وزاري.

روى أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ عم يتساءلون سقاه الله برد الشراب يوم القيامة» وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال النبي عليه السلام: «تعلموا سورة عم يتساءلون عن النبأ العظيم، وتعلموا ق والقرآن المجيد، والنجم إذا هوى والسماء ذات البروج، والسماء والطارق، فإنكم لو تعلمون ما فيهن لعطلتم ما أنتم عليه وتعلمتموهن وتقربوا إلى الله بهن إن الله يغفر بهن كل ذنب إلا الشرك بالله»، وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، قال: قلت يا رسول الله لقد أسرع إليك الشيب، قال: «شيبتني هود والواقعة والمرسلات وعم يتساءلون وإذا الشمس كورت»، الكل في «كشف الأسرار»، وفيه إشارة إلى أن من تعلم هذه السور ينبغي له أن يتعلم معانيها أيضاً إذ لا يحصل المقصود إلا به وتصريح بأن هم الآخرة ومطالعة الوعيد واستحضاره يشيب الإنسان ولذا ذم الحبر السمين والقارىء السمين إذ لم يكن سميناً إلا بالذهول عما قرأه ولو استحضره وهم به لشاب من همه وذاب من غمه لأن الشحم مع الهم لا ينعقد. قال الشافعي رحمه الله: ما أفلح سمين قط إلا أن يكون محمد بن الحسن فقيل له ولم قال لأنه لا يخلو العاقل من إحدى حالتين إما أن يهم لآخرته ومعاده أو لدنياه ومعاشه والشحم مع الهم لا ينعقد فإذا خلا من المعنيين صار في حد البهائم بعقد الشحم.

تمت سورة النبأ بالعون الإلهي في الثاني والعشرين من شهر الله المحرم من شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف

٧٩ ـ سورة النازعات

خمس أو ست وأربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ٥﴾.

﴿والنازعات غرقاً﴾ الواو للقسم والقسم يدل على عظم شأن المقسم به ولله تعالى أن يقسم بما شاء من مخلوقاته تنبيهاً على ذلك العظم، والنازعات جمع نازعة بمعنى طائفة من الملائكة نازعة فأنثت صفة الملائكة باعتبار كونهم طائفة ثم جمعت تلك الصفة فقيل نازعات بمعنى طوائف من الملائكة نازعات وقس عليه الناشطات نحوه وإلا فكان الظاهر أن يقال والنازعين والناشطين والنزع جذب الشيء من مقره بشدة والغرق مصدر بحذف الزوائد بمعنى الإغراق وهو بالفارسية غرقه كردن وكمان بزور كشيدن.

والغرق: الرسوب في الماء وفي البلاء فهو مفعول مطلق للنازعات لأنه نوع من النزع فيكون شرطه موجوداً وهو اتفاق المصدر مع عامله والإغراق في النزع التوغل فيه والبلوغ إلى أقصى درجاته يقال: أغرق النازع في القوس إذا بلغ غاية المد حتى انتهى إلى النصل، أقسم الله بطوائف الملائكة التي تنزع أرواح الكفار من أجسادهم إغراقاً في النزع، يعني جان كافران بسختي نزع ميكنند.

وأيضاً ينتزعونها منهم معكوساً من الأنامل والأظفار، ومن تحت كل شعرة كما تنزع الأشجار المتفرقة العروق في أطراف الأرض وكما ينزع السفود الكثير الشعب من الصوف المبلول وكما يسلخ جلد الحيوان وهو حي، وكما يضرب الإنسان ألف ضربة بالسيف بل أشد والملائكة وهم ملك الموت وأعوانه من ملائكة العذاب يطعنونهم بحربة مسمومة بسم جهنم والميت يظن أن بطنه قد مليء شوكاً، وكأن نفسه تخرج من ثقب إبرة وكأن السماء انطبقت على الأرض وهو بينهما فإذا نزعت نفس الكافر وهي ترعد أشبه شيء بالزئبق على قدر النحلة وعلى صورة عمله تأخذها الزبانية ويعذبونها في القبر وفي سجين وهو العذاب الروحاني ثم إذا قامت القيامة انضم الجسماني إلى الروحاني فقوله: **﴿والنازعات غرقاً﴾** إشارة إلى كيفية قبض أرواح الكفار بشهادة مدلول اللفظ.

﴿والناشطات نشطاً﴾ قسم آخر معنى بطريق العطف والنشط جذب الشيء من مقره برفق ولين ونصب نشطاً على المصدرية، أقسم الله بطوائف الملائكة التي تنشط أرواح المؤمنين أي تخرجها من أبدانهم برفق ولين كما تنشط الدلو من البئر يقال نشط الدلو من البئر إذا أخرجها

وكما تنشط الشعرة من السمن وكما تنسل القطرة من السقاء وهم ملك الموت وأعوانه من ملائكة الرحمة ونفس المؤمن وإن كانت تجذب من أطراف البنان ورؤوس الأصابع أيضاً لكن لا يحس بالألم كما يحس به الكافر وأيضاً نفس المؤمن ليس لها شدة تعلق بالبدل كنفس الكافر لكونها منجذبة إلى عالم القدس وإنما يشتد الأمر على أهل التعلق دون أهل التجرد خصوصاً إذا كان ممن مات بالاختيار قبل الموت وأيضاً حين يجذبونها يدعونها أحياناً حتى تستريح وليس كذلك أرواح الكفار في قبضها لكن ربما يتعرض الشيطان للمؤمن الضعيف اليقين والقاصر في العمل إذا بلغ الروح التراقي فيأتيه في صورة أبيه وأمه وأخيه أو صديقه فيأمره باليهودية أو النصرانية أو نحو ذلك نسأل الله السلامة.

حكي أن إبليس عليه اللعنة تمثل للنبي عليه السلام يوماً وبيده قارورة ماء فقال أبيعه بإيمان الناس حالة النزع فبكى النبي عليه السلام حتى بكت أهل بيته فأوحى الله تعالى إليه «أني احفظ عبادي في تلك الحالة» من كيده، والميت يرى الملائكة حينئذٍ على صورة أعماله حسنة أو قبيحة فإذا أخذوا نفس المؤمن يلفونها في حرير الجنة وهي على قدر النحلة وعلى صورة عمله ما فقد شيء من عقله وعلمه المكتسب في الدنيا دل عليه قوله تعالى: حكاية عن حبيب النجار الشهيد في أنطاكية قال: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ۝٢٧﴾ [يس: ٢٦، ٢٧] فيعرجون بها إلى الهواء ويهيئون له أسباب التنعيم في قبره وفي عليين وهو النعيم الروحاني ثم إذا قام الناس من قبورهم ازداد النعيم بانضمام الجسماني إلى الروحاني فقوله: **﴿والناشطات نشطاً﴾** إشارة إلى كيفية قبض أرواح المؤمنين بشهادة اللفظ ومدلوله أيضاً فإن قيل قد ثبت أن النبي عليه السلام أخذ روحه الطيب ببعض شدة حتى قال: «واكرباه» وقال: «لا إله إلا الله إن للموت سكرات اللهم أعني على سكرات الموت» أي غمراته وكان يدخل يده الشريفة في قدح فيه ماء ثم يمسح وجهه المنور بالماء ولما رأته فاطمة رضي الله عنها يغشاه الكرب قالت: «واكرب أبتاه»، فقال لها: عليه السلام: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم» فإذا كان أمر النبي عليه السلام حين انتقاله هكذا فما وجه ما ذكر من الرفق واللين؟ أجيب بأن مزاجه الشريف كان أعدل الأمزجة فأحس بالألم أكثر من غيره إذا الخفيف على الأخف ثقيل، وأيضاً يحتمل أن يبتليه الله بذلك ليدعو الله في أن يجعل الموت لأمته سهلاً يسيراً، وأيضاً قد روي أنه طلب من الله أن يحمل عليه بعض صعوبة الموت تخفيفاً عن أمته فإنه بالمؤمنين رؤوف رحيم وأيضاً فيه تسلية أمته إذا وقع لأحد منهم شيء من ذلك الكرب عند الموت وأيضاً لكي يحصل لمن شاهد من أهله ومن غيرهم من المسلمين الثواب لما يلحقهم عليه من المشقة كما قيل بمثل ذلك في حكمة ما يشاهد من حال الأطفال عند الموت من الكرب الشديد، وأيضاً راحة الكمل في الشدة لأنها من باب الترقي في العلوم والدرجات وأقل الأمر للناقصين كفارة الذنوب فأهل الحقيقة لا شدة عليهم في الحقيقة لاستغراقهم في بحر الشهود وإنما الشدة لظواهرهم والحاصل كما أن النار لا ترفع عن الدنيا والدنيا قائم فكذا الشدة لا ترفع عن الظواهر في هذا الموطن.

﴿والسابحات سبحاً﴾ قسم آخر معنى أيضاً بطريق العطف والسبح المر السريع في الماء أو في الهواء وسبحاً نصب على المصدرية، أقسم الله بطوائف الملائكة التي تسبح في مضيها، أي تسرع فينزلون من السماء إلى الأرض مسرعين مشبهين في سرعة نزولهم بمن يسبح في

الماء وهذا من قبيل التعميم بعد التخصيص لأن نزول الأولين إنما هو لقبض الأرواح مطلقاً ونزول هؤلاء لعامة الأمور والأحوال.

﴿**فالسابقات سبقاً**﴾ عطف على السابحات بالفاء للدلالة على ترتب السبق على السبح بغير مهلة فالموصوف واحد ونصب سبقاً على المصدرية، أي التي تسبق سبقاً إلى ما أمروا به ووكلوا عليه أي يصلون بسرعة والسبق كناية عن الإسراع فيما أمروا به لأن السبق وهو التقدم في السير من لوازم الإسراع فالسبق هنا لا يستلزم وجود المسبوق إذ لا مسبوق.

﴿**فالمدبرات أمراً**﴾ عطف على السابقات بالفاء للدلالة على ترتب التدبير على السبق بغير تراخ والتدبير التفكر في دبر الأمور وأمراً مفعول للمدبرات. قال الراغب: يعني الملائكة الموكلين بتدبير الأمور انتهى. أي التي تدبر أمراً من الأمور الدنيوية والأخروية للعباد كما رسم لهم من غير تفريط وتقصير والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثن لدلالة ما بعده عليه من ذكر القيامة وجه البعث أن الموت يستدعيه للأجر والجزاء لئلا يستمر الظلم والجور في الوجود، وما ربك بظلام للعبيد فكأن الله تعالى يقول إن الملائكة ينزلون لقبض الأرواح عند منتهى الآجال ثم ينجر الأمر إلى البعث لما ذكر فكان من شأن من يقر بالموت أن يقر بالبعث فلذا جمع بين القسم بالنازعات وبين البعث الذي هو الجواب وفي عنوان هذه السورة وجوه كثيرة صفحنا عن ذكرها واخترنا سوق «الكشاف» فإنه هو الذي يقتضيه جزالة التنزيل.

وقال القاشاني: أقسم بالنفوس المشتاقة التي غلب عليها النزوع إلى جناب الحق غريقة في بحار الشوق والمحبة والتي تنشط من مقر النفس وأسر الطبيعة أي تخرج من قيود صفاتها وعلائق البدن من قولهم ثور ناشط إذا خرج من بلد إلى بلد أو من قولهم نشط من عقاله والتي تسبح في بحار الصفات فتسبق إلى عين الذات ومقام الفناء في الوحدة فتدبر بالرجوع إلى الكثرة أمر الدعوة إلى الحق والهداية وأمر النظام في مقام التفصيل بعد الجمع انتهى.

ثم إن النفوس الشريفة لا يبعد أن يظهر منها آثار في هذا العالم سواء كانت مفارقة عن الأبدان أو لا فتكون مدبرات ألا ترى أن الإنسان قد يرى في المنام أن بعض الأموات يرشده إلى مطلوبه ويرى أستاذه فيسأله عن مسألة فيحلها له سئل زرارة بعد أن توفي رضي الله عنه في المنام: أي الأعمال أفضل عندكم؟ فقال: الرضى وقصر الأمل. وعن بعضهم رأيت ورقاء بن بشر رحمه الله، في المنام فقلت: ما فعل الله بك قال نجوت بعد كل جهد قلت فأي الأعمال وجدتموها أفضل قال البكاء من خشية الله وقال بعضهم: هلكت جارية في الطاعون فرآها أبوها في المنام فقال لها يا بنية أخبريني عن الآخرة قالت: يا أبت قدمنا على أمر عظيم نعلم ولا نعمل وتعملون ولا تعلمون والله لتسبيحة أو تسبيحتان أو ركعة أو ركعتان في صحيفة عملي أحب إليّ من الدنيا وما فيها، ونظائره كثيرة لا تحصى وقد يدخل بعض الأحياء من جدار ونحوه على بعض من له حاجة فيقضيها وذلك على خرق العادة فإذا كان التدبير بيد الروح وهو في هذا الموطن فكذا إذا انتقل منه إلى البرزخ بل هو بعد مفارقته البدن أشد تأثيراً وتدبيراً لأن الجسد حجاب في الجملة ألا ترى أن الشمس أشد إحراقاً إذا لم يحجبها غمام أو نحوه.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾

﴿**يوم ترجف الراجفة**﴾ منصوب بالجواب المضمر وهو لتبعثن والمراد بالراجفة الواقعة

التي ترجف عندها الأجرام الساكنة كالأرض والجبال أي: تتحرك حركة شديدة وتتزلزل زلزلة عظيمة من هول ذلك اليوم وهي النفخة الأولى أسند إليها الرجف مجازاً على طريق إسناد الفعل إلى سببه فإن حدوث تلك النفخة سبب لاضطراب الأجرام الساكنة من الرجفان وهي شدة الاضطراب ومنه الرجفة للزلزلة لما فيه من شدة الاضطراب وكثرة الانقلاب وفيه إشعار بأن تغير السفلي مقدم على تغير العلوي وإن لم يكن مقطوعاً.

﴿تتبعها الرادفة﴾ أي: الواقعة التي تردف الأولى أي: تجيء بعدها وهي النفخة الثانية لأنها تجيء بعد الأولى يقال ردفه كسمعه ونصره تبعه كأردفه وأردفته معه أركبته معه كما في «القاموس»، وهي حال مقدرة من الراجفة مصححة لوقوع اليوم ظرفاً للبعث، أي: لتبعثن يوم النفخة الأولى حال كون النفخة الثانية تابعة لها لا قبل ذلك، فإنه عبارة عن الزمان الممتد الذي تقع فيه النفختان وبينهما أربعون سنة كما قال في «الكشاف»: لتبعثن في الوقت الواسع الذي تقع فيه النفختان وهم يبعثون في بعض ذلك الوقت الواسع وهو وقت النفخة الأخرى انتهى. قال في «الإرشاد»: واعتبار امتداده مع أن البعث لا يكون إلا عند النفخة الثانية لتهويل اليوم ببيان كونه موقعاً لداهيتين عظيمتين لا يبقى عند وقوع الأولى حي إلا مات ولا عند وقوع الثانية ميت إلا بعث وقام.

﴿قلوب﴾ مبتدأ وتنكيره يقوم مقام الوصف المخصص سواء حمل على التنويع وإن لم يذكر النوع المقابل فإن المعنى منسحب عليه أو على التكثير كما في«شر أهر ذا ناب»، فإن التفخيم كما يكون بالكيفية يكون بالكمية أيضاً كأنه قيل قلوب كثيرة أو عاصية كما قال في «التأويلات النجمية»: قلوب النفس المتمردة الشاردة النافرة عن الحق.

﴿يومئذٍ﴾ يوم إذ تقع النفختان وهو متعلق بقوله: ﴿واجفة﴾ أي شديدة الاضطراب من سوء أعمالهم وقبح أفعالهم فإن الوجيف عبارة عن شدة اضطراب القلب وقلقه من الخوف والوجل وعلم منه أن الواجفة ليست جميع القلوب بل قلوب الكفار فإن أهل الإيمان لا يخافون.

﴿أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ۝٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ۝١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا نَّخِرَةً ۝١١ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ۝١٢ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ۝١٣ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ ۝١٤ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ۝١٥﴾.

﴿أبصارها﴾ أي: أبصار أصحابها كما دل عليه قوله ﴿يقولون﴾ وإلا فالقلوب لا أبصار لها وإنما أضاف الأبصار إلى القلوب لأنها محل الخوف وهو من صفاتها ﴿خاشعة﴾ ذليلة من الخوف بسبب الإعراض عن الله والإقبال على ما سواه يترقبون أي شيء ينزل عليهم من الأمور العظام وأسند الخشوع إليها مجازاً لأن أثره يظهر فيها.

﴿يقولون﴾ استئناف بياني أي هم يقولون الآن يعني: أن منكري البعث ومكذبي الآيات الناطقة به إذا قيل لهم إنكم تبعثون يقولون منكرين له متعجبين منه. ﴿أئنا﴾ أياماً ﴿لمردودون﴾ معادون بعد موتنا ﴿في الحافرة﴾ أي في الحالة الأولى يعنون الحياة من قولهم رجع فلان في حافرته أي طريقته التي جاء فيها فحفرها أي أثر فيها بمشبه وتسميتها حافرة مع أنها محفورة وإنما الحافر هو الماشي في تلك الطريقة كقوله تعالى: ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [القارعة: ٧] أي منسوبة إلى الحفر والرضى أو على تشبيه القابل بالفاعل أي: في تعلق الحفر بكل منهما فأطلق اسم

الثاني على الأول للمشابهة كما يقال صام نهاره تشبيهاً لزمان الفعل بفاعله وقال مجاهد والخليل بن أحمد: الحافرة هي الأرض التي يحفر فيها القبور ولذا قال في «التأويلات النجمية» أي: حافرة أجسادنا وقبور صدورنا.

﴿أئذا﴾ العامل في إذا مضمر يدل عليه مردودون أي: ﴿أئذا كنا﴾ يا چون كرديم ما ﴿عظاماً نخرة﴾ بالية نرد ونبعث مع كونها أبعد شيء من الحياة فهو تأكيد لإنكار الرد ونفيه بنسبته إلى حالة منافية له ظنوا أن من فساد البدن وتفرق أجزائه يلزم فساد ما هو الإنسان حقيقة وليس كذلك، ولو سلم أن الإنسان هو هذا الهيكل المخصوص فلا نسلم امتاع إعادة المعدوم فإن الله قادر على كل الممكنات فيقدر على جمع الأجزاء العنصرية وإعادة الحياة إليها لأنها متميزة في علمه وإن كانت غير متميزة في علم الخلق كالماء مع اللبن فإنهما وإن امتزجا لكن أحدهما متميز عن الآخر في علم الله، وإن كان عقل الإنسان قاصراً عن إدراكه، والنخر البلى يقال نخر العظم والخشب بكسر العين إذا بلي واسترخى وصار بحيث لو مس لتفتت ونخرة أبلغ من ناخرة لكونها من صيغ المبالغة أو صفة مشبهة دالة على الثبوت ولذا اختارها الأكثر والناخرة أشبه برؤوس الآي ولذا اختارها البعض وقيل: النخرة غير الناخرة إذا النخرة بمعنى البالية، وأما الناخرة فهي العظام الفارغة المجوفة التي يحصل فيها صوت من هبوب الريح من نخير النائم والمجنون لا من النخر بمعنى البلى قال الراغب: النخير صوت من الأنف وسمي خرق الأنف الذي يخرج منه النخير منخران فالمنخران ثقبتا الأنف.

﴿قالوا﴾ اختيار الماضي هنا للإيذان بأن صدور هذا الكفر منهم ليس بطريق الاستمرار مثل كفرهم السابق المعبر عنه بالمضارع، أي: قالوا بطريق الاستهزاء بالحشر. ﴿تلك﴾ الردة والرجعة في الحافرة وفيه إشعار بغاية بعدها من الوقوع في اعتقادهم. ﴿إذاً﴾ آنكاء ونران تقدير. ﴿كرة﴾ الكر الرجوع والكرة المرة من الرجوع والجمع كرات ﴿خاسرة﴾ أي: ذات خسران على إرادة النسبة من اسم الفاعل أو خاسرة أصحابها على الإسناد المجازي أي: على طريق إسناد الفعل إلى ما يقارنه في الوجود كقولك تجارة رابحة والربح فعل أصحاب التجارة وهي عقد المبادلة والربح والتجارة متقارنان في الوجود وإلا فهم الخاسرون والكرة مخسور فيها، أي: إن صحت تلك الكرة فنحن إذاً خاسرون لتكذيبنا بها وهذا المعنى أفاده كلمة إذا فإنها حرف جواب وجزم عند الجمهور وإنما حمل قولهم هذا على الاستهزاء لأنهم أبرزوا ما قطعوا بانتفائه واستحالته في صورة المشكوك المحتمل الوقوع.

﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ جواب من الله عن كلامهم بالإنكار وتعليل لمقدر أي: لا تحسبوا تلك الكرة صعبة على الله فإنها سهلة هينة في قدرته فإنما هي صيحة واحدة أي حاصلة بصيحة واحدة لا تكرر يسمعونها وهم في بطون الأرض، وهي النفخة الثانية كنفخ واحد في صور الناس لإقامة القافلة عبر عن الكرة بالزجرة تنبيهاً على كمال اتصالها بها كأنها عينها يقال زجر البعير إذا صاح عليه. ﴿فإذا هم﴾ پس آنكاه ايشان وسائر خلايق ﴿بالساهرة﴾ أي: فاجأوا الحصول بها وهو بيان لحضورهم الموقف عقيب الكرة التي عبر عنها بالزجرة وإذا المفاجأة تفيد حدوث ما أنكروه بسرعة على فجأة والساهرة الأرض البيضاء المستوية سميت بذلك لأن السراب يجري فيها من قولهم عين ساهرة جارية الماء وفي ضدها نائمة يعني أن بياض الأرض عبارة عن خلوها عن الماء والكلأ شبه جريان السراب فيها بجريان الماء عليها فقيل لها ساهرة

وقيل لأن سالكها لا ينام خوف الهلكة يقال سهر كفرح لم ينم ليلاً، أو هي جهنم لأن أهلها لا ينامون فيها أو كأنه مقلوب الصاد سيناً من صهرته الشمس أحرقته وقال الراغب: حقيقتها الأرض التي يكثر الوطىء بها كأنها سهرت من ذلك، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن الساهرة أرض من فضة لم يعص الله عليها قط خلقها حينئذٍ، وقال الثوري: الساهرة أرض الشام، وقال وهب بن منبه: [جبل بيت المقدس وكفته اند ساهره نام زمين است نزديك بيت المقدس در حوالىٔ جبل اريحاكه محشر آنجا خواهد بود خداي آنراكشاده كرداند چندانكه خواهد].

وفي الحديث: «بيت المقدس أرض المحشر والمنشر» وقال المولى الفناري في «تفسير الفاتحة»: إن الناس إذا قاموا من قبورهم وأراد الله أن يبدل الأرض غير الأرض تمد الأرض بإذن الله ويكون المحشر فيكون الخلق عليه عندما يبدل الله الأرض كيف يشاء إما بالصورة وإما بأرض أخرى ما هم عليها تسمى بالساهرة فيمدها سبحانه مد الأديم ويزيد في سعتها أضعاف ما كانت من أحد وعشرين جزءاً إلى تسعة وتسعين جزءاً حتى لا نرى عوجاً وإلا أمتاً.

وقال في «التأويلات النجمية»: فإذا هم بالساهرة أي بظهر أرض الحياة كما كانوا قبله ببطن أرض الممات.

﴿**هل أتاك حديث موسى**﴾ كلام مستأنف وارد لتسلية رسول الله ﷺ عن تكذيب قومه بأنه يصيبهم مثل ما أصاب من كان أقوى منهم وأعظم، يعني: فرعون، ومعنى هل أتاك أن اعتبر هذا أو ما أتاه من حديثه ترغيب له في استماع حديثه وحمل له على طلب الأخبار كأنه قيل: هل أتاك حديث موسى قبل هذا أم أنا أخبرك به؟ كما قال الحسن رحمه الله: إعلام من الله لرسوله حديث موسى كقول الرجل لصاحبه هل بلغك ما لقي أهل البلد وهو يعلم أنه لم يبلغه وإنما قال ليخبره به انتهى. وإن اعتبر إتيانه قبل هذا وهو المتبادر من الإيجاز في الاقتصاص استفهام تقرير له أي: حمل له على الإقرار بأمر يعرفه قبل ذلك أي: أليس قد أتاك حديثه وبالفارسية آي چنين نيست كه آمد بتو خبر موسى كليم عليه السلام، تسلى دهى دل خودرا بر تكذيب قوم وخبز فرستادى ازو عدهٔ مؤمنان ووعيد كافران.

يعني: قد جاءك وبلغك حديثه عن قريب كأنه لم يعلم بحديث موسى وأنه لم يأته بعد وإلا لما كان يتحزن على إصرار الكفار على إنكار البعث وعلى استهزائهم به بل يتسلى بذلك فهل بمعنى قد المقربة للحكم إلى الحال وهمزة الاستفهام قبلها محذوفة وهي للتقرير وزيد ليس لأنه أظهر دلالة على ذلك لا لأنه مقدر في النظم.

﴿إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

﴿**إذ ناداه ربه**﴾ ظرف للحديث والمناداة والنداء بالفارسية خواندن.

وفي «القاموس»: النداء الصوت أي هل أتاك حديثه الواقع حين ناداه ربه إذ المراد خبره الحادث فلا بد له من زمان يحدث فيه لا ظرف للإتيان لاختلاف وقتي الإتيان والنداء لأن الإتيان لم يقع في وقت النداء أو مفعول لأذكر المقدر وعليه وضع السجاوندي علامة الوقف اللازم على موسى وقال لأنه لو وصل صار إذ ظرفاً لإتيان الحديث، وهو محال لعله لم يلتفت

إلى عمل حديث لكونه هنا اسماً بمعنى الخبر مع وجود فعل قوي في العمل قبله وبالجملة لا يخلو عن إيهام فالوجه الوقف كذا في بعض التفاسير. ﴿**بالواد المقدس**﴾ المبارك المطهر بتطهير الله عما لا يليق حين مكالمته مع كليمه أو سمي مقدساً لوقوعه في حدود الأرض المقدسة المطهرة عن الشرك ونحوه وأصل الوادي الموضع الذي يسيل فيه الماء ومنه سمي المنفرج بين الجبلين وادياً والجمع أودية ويستعار للطريقة كالمذهب والأسلوب فيقال فلان في واد غير واديك. ﴿**طوى**﴾ بضم الطاء والتنوين تأويلاً له بالمكان أو بغير تنوين تأويلاً له بالبقعة قال الفراء: الصرف أحب إلي إذ لم أجد في المعدول نظيراً أي لم أجد اسماً من الوادي عدل عن جهته غير طوى وهو اسم للوادي الذي بين المدينة ومصر فيكون عطف بيان له.

قال القاشاني: الوادي المقدس هو عالم الروح المجرد لتقدسه عن التعلق بالمواد واسمه طوى لانطواء الموجودات كلها من الأجسام والنفوس تحته وفي طيه وقهره وهو عالم الصفات ومقام المكالمة من تجلياتها فلذلك ناداه بهذا الوادي ونهاية هذا العالم هو الأفق الأعلى الذي رأى رسول الله ﷺ عنده جبريل على صورته.

﴿**اذهب إلى فرعون**﴾ على إرادة القول أي فقال له اذهب إلى فرعون ﴿**إنه طغى**﴾ تعليل للأمر أو لوجوب الامتثال به والطغيان مجاوزة الحد أي طغى على الخالق بأن كفر به وطغى على الخلق بأن تكبر عليهم واستعبدهم فكما أن كمال العبودية لا يكون إلا بالصدق مع الحق وحسن الخلق مع الخلق فكذا كمال الطغيان يكون بسوء المعاملة معهما. وقال القاشاني: أي: ظهر بأنانيته وذلك أن فرعون كان ذا نفس قوية حكيماً عالماً سلك وادي الأفعال وقطع بوادي الصفات واحتجب بأنانيته وانتحل صفات الربوبية ونسبها إلى نفسه وذلك تفرعنه وجبروته وطغيانه فكان ممن قال فيه عليه السلام: شر الناس من قامت القيامه عليه فهو حي لقيامة بنفسه وهواها في مقام توحيد الصفات وذلك من أقوى.

الحجب ﴿**فقل**﴾ بعد ما أتيته ﴿**هل لك**﴾ رغبة وتوجه ﴿**إلى أن تزكى**﴾ بحذف إحدى التاءين من تتزكى أي: تتطهر من دنس الكفر والطغيان ووسخ الكدورات البشرية والقاذورات الطبيعية، فقوله: ﴿**لك**﴾ خبر مبتدأ محذوف و﴿**إلى أن**﴾ متعلق بذلك المبتدأ المضمر وقد يقال قوله هل لك مجاز عن أجذبك وأدعوك والقرينة هي القريبة وهي المجاورة.

﴿**وأهديك إلى ربك**﴾ وأرشدك إلى معرفته فتعرفه أشار إلى أن في النظم مضافاً مضمراً وتقديم التزكية لتقدم التخلية على التحلية. ﴿**فتخشى**﴾ إذ الخشية لا تكون إلا بعد معرفته، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] أي: العلماء بالله قيل: إنه تعالى قال في آخره ولن يفعل فقال موسى: فكيف أمضي إليه وقد علمت أنه لن يفعل فأوحى إليه إن امض لما تؤمر فإن في السماء اثني عشر ألف ملك يطلبون علم القدر فلم يدركوه وجعل الخشية غاية للهداية لأنها ملاك الأمر لأن من خشي الله أتى منه كل خير ومن أمن اجترأ على كل شر كما قال عليه السلام: «من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل» يقال أدلج القوم إذا ساروا من أول الليل، وإن ساروا من آخر الليل فقد ادلجوا بالتشديد، ثم إنه تعالى أمر موسى عليه السلام، بأن يخاطبه بالاستفهام الذي معناه العرض ليستدعيه بالتلطف في القول ويستنزله بالمداراة من عتوه وهذا ضرب تفصيل لقوله تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤] لعله يتذكر أو يخشى أما كونه ليناً فلأنه في صورة العرض لا في صورة الأمر صريحاً وليس فيه أيضاً ذكر نحو الشرك

والجهل والكفر إن من متعلقات التزكي وأما اشتماله على بعض التفصيل فظاهر.

﴿فأراه﴾ پس بنمود اورا موسى ﴿الآية الكبرى﴾ الفاء فصيحة تفصح عن جمل قد طويت تعويلاً على تفصيلها في السور الأخرى فإنه جرى بينه وبين فرعون ما جرى من المحاورات إلى أن قال: ﴿إِن كُنتَ جِئْتَ بِـَٔايَةٍ فَأْتِ بِهَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١٠٦﴾﴾ [الأعراف: ١٠٦] أي: فذهب إليه موسى بأمر الله فدعاه إلى التوحيد والطاعة وطلب هو منه المعجزة الدالة على صدقه في دعوته والإراءة إما من التبصير أو التعريف فإن اللعين حين أبصرها عرفها وادعاء سحريتها إنما كان إراءة منه وإظهاراً للتجلد ونسبتها إليه بالنظر إلى الظاهر كما أن نسبتها إلى نون العظمة في قوله ولقد أريناه آياتنا بالنظر إلى الحقيقة والمراد بالآية الكبرى قلب العصا حية والصغرى غيرها من معجزاته الباقية وذلك أن القلب المذكور كان المقدم على الكل في الإراءة، فينبغي أن يكون هو المراد على ما تقتضيه الفاء التعقيبية.

﴿فكذب﴾ فرعون بموسى وسمى معجزته سحراً عقيب رؤية الآية من غير رؤية وتأمل وطلب شاهد من عقل وناصح من فكر وقلب لغاية استكباره وتمرده. ﴿وعصى﴾ الله بالتمرد بعد ما علم صحة الأمر ووجوب الطاعة أشد عصيان وأقبحه حيث اجترأ على إنكار وجود رب العالمين رأساً فدل العطف على أن الذي ترتب على إراءة الآية الكبرى هو التكذيب الذي يكون عصياناً لله وهو التكذيب باللسان مع حصول الجزم بأن من كذبه ممن يجب تصديقه فأما تكذيب من لا يجب تصديقه فلا يكون عصياناً، ويجوز أن يراد وعصى موسى فيما أمر به إلا أن الأول أدخل في ذمه وتقبيح حاله وكان اللعين وقومه مأمورين بعبادته تعالى وترك دعوى الربوبية لا بإرسال بني إسرائيل من الأسر والقسر فقط.

قال بعض أهل المعرفة أراه آية صرفاً ولو أراه أنوار الصفات في الآيات لم يكفر ولم يدع الربوبية إذ هناك موضع المحبة والعشق والإذعان لأن رؤية الصفات تقتضي التواضع ورؤية الذات تقتضي العربدة فكان هو محجوباً برؤية الآيات عن رؤية الصفات فلما لم يكن معه حظ شهود نور الصفة لم ينل عند رؤيتها حظ المحبة فلم يأت منه الانقياد والإذعان لذلك قال تعالى: ﴿فكذب وعصى﴾.

﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿ثم أدبر﴾ أي تولى عن الطاعة وكلمه ثم على هذا معناها التراخي الزماني إذ السعي في إبطال أمره يقتضي مهلة أو انصرف عن المجلس. قال الراغب: أدبر أي أعرض وولى دبره ﴿يسعى﴾ يجتهد في معارضة الآية تمرداً وعناداً لا اعتقاداً بأنها يمكن معارضتها فهو تعلل بالباطل دفعاً للمجلس وهو حال من فاعل أدبر بمعنى مسرعاً مجتهداً وفي «الكشاف»: لما رأى الثعبان أدبر مرعوباً يسرع في مشيته، قال الحسن رحمه الله: كان رجلاً طياشاً. ﴿فحشر﴾ أي فجمع السحرة لقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَـٰشِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الشعراء: ٥٣] وقوله تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُۥ﴾ [طه: ٦٠] أي: ما يكاد به من السحرة وآلاتهم، ويجوز أن يراد جميع الناس ﴿فنادى﴾ بنفسه في المقام الذي اجتمعوا فيه معه أو بواسطة المنادي. ﴿فقال﴾ لقيامه مقام الحكومة والسلطنة ﴿أنا ربكم الأعلى﴾ لا رب فوقي أي لي من كل من يلي أمركم

على أن تكون صيغة التفضيل بالنسبة إلى من كان تحت ولايته من الملوك والأمراء.

وقال الكاشفي: [يعني أصنام كه بر صورت منند همهء ايشان خدايا نند ومن ازهمه برترم].

ولما ادعى العلوية قيل لموسى عليه السلام في مقابلة هذا الكلام ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [طه: ٦٨] لأن الغلبة على سحره غلبة عليه والحاصل أنه لم يرد بهذا القول إنه خالق السماوات والأرض والجبال والنبات والحيوان فإن العلم بفساد ذلك ضروري ومن شك فيه كان مجنوناً ولو كان مجنوناً لما جاز من الله بعثة الرسول إليه بل الرجل كان دهرياً منكراً للصانع والحشر والنشر وكان يقول ليس للعالم إله حتى يكون له عليكم أمر ونهي أو يبعث إليكم رسولاً بل المربي لكم والمحسن إليكم أنا لا غيري قال بعضهم: كان ينبغي له عند ظهور ذله وعجزه بانقلاب العصا حية أن لا يقول ذلك القول فكأنه صار في ذلك الوقت كالمعتوه الذي لا يدري ما يقول [إمام قشيري رحمه الله]: [در لطائف آورده كه إبليس اين سخن شنيده كفت مراطاقت اين سخن نيست من دعوىء خيريت كفتم برآدم اين همه بلا بمن رسيد اوكه چنين لاف ميزند تاكار أو بكجا رسد].

قال بعض العارفين: لم يدع أحد من الخلائق من الكمال ما ادعاه الإنسان فإنه ادعى الربوبية وقال ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤] وإبليس تبرأ منها، وقال إني أخاف الله فلم يدع مرتبة ليست له قط أي أنه على جناح واحد وهو الجلال فقط وكذا الملك فإنه على الجمال المحض بخلاف الإنسان فإنه مخلوق باليدين.

شيخ ركن الدين علاء الدولة سمناني قدس سره فرموده كه وقتى مرا حال كرم بود بزيارت حسين منصور حلاج رفتم چون مراقبه كردم روح اورا در مقام عالي يا فتم ازعليين مناجات كردم كه خدايا ابن چه حالتست كه فرعون أنا ربكم ومنصور، أنا الحق كفت هردويك دعوى كردند روح حسين در عليين است وجان فرعون درسجين بسر من ندا رسيدكه فرعون بخود بيني در افتاده همه خودرا ديد وماراكم كرد وحسين ما راديد وخود راكم كرد پس درميان فرق بسياراست وفي «المثنوي»:

كفت فرعوني أنا الحق كشت پست	كفت منصوري أنا الحق وبرست
إن أنارا لعنت الله در عقب	واين أنارا رحمت الله أي محب
زانكه أو سنك سيه بود اين عقيق	آن عدوى نور بود واين عشيق
اين أنا هو بود در سراي فضول	نه زراي اتحاد واز حلول

قال في «أسئلة الحكم»: فإن قلت: ما الحكمة في أن إبليس قد لعن ولم يدع الربوبية وفرعون وأمثاله قد ادعوا الربوبية ولم يلعنوا تعييناً وتخصيصاً كما لعن إبليس؟ قيل: لأن نية إبليس شر من نية هؤلاء وقيل لأنه أول من سن الخلاف والشقاق قولاً وفعلاً ونية والخلق بعده ادعوا الربوبية وسنوا البغي والخلاف بوسوسته وإبليس واجه بمخالفته حضرة الرب تعالى وهم واجهوا الأنبياء والوسائط وتضرعوا تارة واعترفوا بالذنوب عند المخلوق أخرى وإبليس لم يعترف ولم يتضرع وهو أول من سن الكفر فوزر الكفار بعده راجع إليه إلى يوم القيامة ومظهر الضلالة والغواية ذاته بغير واسطة **﴿فأخذه الله﴾** بسبب ما ذكر **﴿نكال الآخرة والأولى﴾** النكال بمعنى التنكيل كالسلام بمعنى التسليم وهو التعذيب أي: الذي ينكل من رآه أو سمعه ويمنعه

من تعاطي ما يفضي إليه ومحله النصب على أنه مصدر مؤكد كوعد الله وصبغة الله كأنه قال: نكل الله به نكال الآخرة والأولى وهو الإحراق في الآخرة والإغراق في الدنيا وأخذ مستعمل في معنى مجازي يعم الأخذ في الدنيا والآخرة وإلا يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لأن الاستعمال في الأخذ الدنيوي حقيقة وفي الأخروي مجاز لتحقق وقوعه وإضافة النكال إلى الدارين باعتبار وقوع نفس الأخذ فيهما لا باعتبار أن ما فيه من معنى المنع يكون فيهما فإن ذلك لا يتصور في الآخرة بل في الدنيا فإن العقوبة الأخروية تنكل من سمعها وتمنعه من تعاطي ما يؤدي إليها لا محالة.

وفي «التأويلات القاشانية»: نازع الحق بشدة ظهور أنانيته في رداء الكبرياء فقهر وقذف في النار ملعوناً كما قال تعالى: العظمة إزاري والكبرياء ردائي فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار ويروى قصمته وذلك القهر هو معنى قوله ﴿**فأخذه الله**﴾ .. الخ وقال البقلي: لما لم يكن صادقاً في دعواه، افتضح في الدنيا والآخرة وهكذا كل ما يدعي ما ليس له من المقامات قال بشر: أنطق الله لسانه بالعريض من الدعاوي وإخلاءه عن حقائقها وقال السري: العبد إذا تزيى بزي السيد صار نكالاً ألا ترى كيف ذكر الله في قصة فرعون لما ادعى الربوبية ﴿**فأخذه الله**﴾ .. الخ كذبه كل شيء حتى نفسه وفي «الوسيط» عن رسول الله ﷺ قال موسى: «يا رب أمهلت فرعون أربعمائة سنة ويقول: ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ ويكذب بآياتك ويجحد برسلك فأوحى الله إليه كان حسن الخلق سهل الحجاب فأردت أن أكافئه» أي: مكافأة دنيوية وكذا حسنات كل كافر وأما المؤمن فأكثر ثوابه في الآخرة ودلت الآية على أن فرعون مات كافراً، وفي «الفتوحات المكية»: فرعون ونمرود مؤبدان في النار انتهى. وغير هذا من أقوال الشيخ رحمه الله، محمول على المباحثة فصن لسانك عن الإطالة فإنها من أشد ضلالة.

يقول الفقير: صدر من فرعون كلمتان الأولى قوله ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ والثانية قوله ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨] وبينهما على ما قيل أربعون سنة فالظاهر أن الربوبية محمولة على الألوهية فتفسير قوله ﴿**أنا ربكم الأعلى**﴾ بقولهم أعلى من كل من يلي أمركم ليس فيه كثير جدوى إذ لا يقتضي ادعاء الرياسة دعوى الألوهية كسائر الدهرية والمعطلة فإنهم لم يتعرضوا للألوهية وإن كانوا رؤساء تأمل هذا المقام.

﴿**إن في ذلك**﴾ أي فيما ذكر من قصة فرعون وما فعل به ﴿**لعبرة**﴾ اعتباراً عظيماً وعظة ﴿**لمن يخشى**﴾ أي: لمن من شأنه أن يخشى وهو من شأنه المعرفة يعني أن العارف بالله وبشؤونه يخشى منه فلا يتمرد على الله ولا على أنبيائه خوفاً من نزول العذاب والعاقل من وعظ بغيره.

چو بركشته بختى در افتديه بند ازونيك بختان بكيرند پند
توپيش ازعقوبت در عفو كوب كه سودى تدارد فغان زير چوب
بر آراز كريبان عفلت سرت كه فردا نماند خجل در برت

يعني: درسينه ات.

﴿**أأنتم أشد خلقاً**﴾ خطاب لأهل مكة المنكرين للبعث بناء على صعوبته في زعمهم بطريق التوبيخ والتبكيت بعدما بين كمال سهولته بالنسبة لقدرة الله تعالى بقوله تعالى: ﴿**فإنما هي زجرة واحدة**﴾ فالشدة هنا بمعنى الصعوبة لا بمعنى الصلابة لأنها لا تلائم المقام أي

أخلقكم بعد موتكم أشق وأصعب في تقديركم وزعمكم وإلا فكلا الأمرين بالنسبة إلى قدرة الله واحد ﴿أم السماء﴾ أم خلق السماء بلا مادة على عظمها وقوة تأليفها وانطوائها على البدائع التي تحار العقول في ملاحظة أدناها، وهو استفهام تقرير ليقروا بأن خلق السماء أصعب فيلزمهم بأن يقول لهم أيها السفهاء من قدر على الأصعب الأعسر كيف لا يقدر على إعادتكم وحشركم وهي أسهل وأيسر فخلقكم على وجه الإعادة أولى أن يكون مقدور الله فكيف تنكرون ذلك، قوله: ﴿أأنتم﴾ مبتدأ و﴿أشد﴾ خبره و﴿خلقاً﴾ تمييز والسماء عطف على أنتم وحذف خبره لدلالة خبر أنتم عليه أي أم السماء أشد خلقاً ﴿بناها﴾ الله تعالى وهو استئناف وتفصيل لكيفية خلقها المستفاد من قوله أم السماء فيتم الكلام حينئذٍ عند قوله ﴿السماء﴾ ويبتدأ من قوله ﴿بناها﴾ وأم متصلة واستعمل البناء في موضع السقف فإن السماء سقف مرفوع والبناء إنما يستعمل في أسافل البناء لا في الأعالي للإشارة إلى أنه وإن كان سقفاً لكنه في البعد عن الاختلال والانحلال كالبناء فإن البناء أبعد عن تطرق الاختلال إليه بالنسبة إلى السقف.

﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿رفع سمكها فسواها﴾ بيان للبناء، أي جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سمت العلو مديداً رفيعاً مسيرة خمسمائة عام فإن امتداد الشيء إن أخذ من أسفله إلى أعلاه سمي سمكاً، وإذا أخذ من أعلاه إلى أسفله سمي عمقاً وقال بعضهم: السمك الارتفاع الذي بين سطح السماء الأسفل الذي يلينا وسطحها الأعلى الذي يلي ما فوقها فيكون المراد ثخنها وغلظها وهو أيضاً تلك المسيرة.

﴿وأغطش ليلها﴾ الغطش الظلمة. قال الراغب: وأصله من الأغطش وهو الذي في عينه شبه عمش يقال أغطشه الله إذا جعله مظلماً وأغطش الليل إذا صار مظلماً فهو متعد ولازم والأول هو المراد هنا أي جعله مظلماً ذاهب النور فإن قيل: الليل اسم لزمان الظلمة الحاصلة بسبب غروب الشمس فقوله ﴿وأغطش ليلها﴾ يرجع معناه إلى أنه جعل المظلم مظلماً وهو بعيد والجواب معناه أن الظلمة الحاصلة في ذلك الزمان إنما حصلت بتدبير الله وتقديره فلا إشكال ﴿وأخرج ضحاها﴾ أي: أبرز نهارها عبر عنه بالضحى وهو ضوء الشمس ووقت الضحى وهو الوقت الذي تشرق فيه الشمس ويقوم سلطانها لأنه أشرف أوقاتها وأطيبها على تسمية المحل باسم أشرف ما حل فيه فكان أحق بالذكر في مقام الامتنان وهو السر في تأخير ذكره عن ذكر الليل، وفي التعبير عن إحداثه بالإخراج فإن إضافة النور بعد الظلمة أتم في الإنعام وأكمل في الإحسان وإضافة الليل والضحى إلى السماء لدوران حدوثها على حركتها والإضافة يكفيها أدنى ملابسة المضاف إليه ويجوز أن تكون إضافة الضحى إليها بواسطة الشمس، أي أبرز ضوء شمسها بتقدير المضاف والتعبير عنه بالضحى لأنه وقت قيام سلطانها وكمال إشراقها.

[إمام زاهد فرموده كه روز وشب دنيا بآسمان پيدا كردد بسبب آفرينش آفتاب وماه دور].

قال بعض العارفين: الليل ذكر والنهار أنثى فلما تغشاها الليل حملت فولدت فظهرت الكائنات عن غشيان الزمان فالمولدات أولاد الزمان واستخراج النهار من الليل كاستخراج حواء

من آدم. قال تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [يس: ٣٧]، وقال: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [آل عمران: ٢٧] كعيسى في مريم وحواء في آدم فإذا خاطب أبناء النهار قال يولج الليل وإذا خاطب أبناء الليل. قال: يولج النهار.

وقال بعض أهل الحقائق: إن توارد الليل والنهار إشارة إلى توارد السيئة والحسنة فكما أن الدنيا لا تبقى على ليل وحده ولا على نهار وحده بل هما يتعاقبان فيها فكذا المؤمن لا يخلو من نور الإيمان والعمل الصالح ومن ظلمة العمل الفاسد والفكر الكاسد، ولذا قال عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «يا علي إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة فإذا كان يوم القيامة يلقى الله الليل في جهنم والنهار في الجنة فلا يكون في الجنة ليل كما لا يكون في النار نهار»، يعني: إن النهار في الجنة هو نور إيمان المؤمن ونور عمله الصالح بحسب مرتبته والليل في النار هو ظلمة كفر الكافر وظلمة عمله السيىء فكما أن الكفر لا يكون إيماناً فكذا الليل لا يكون نهاراً والنار لا تكون نوراً، فيبقى كل من أهل النور والنار على صفته الغالبة عليه وأما القلب وحاله بحسب التجلي فهو على عكس حال القالب فإن نهاره المعنوي لا يتعاقب عليه ليل وإن كان يطرأ عليه استتار في بعض الأوقات.

﴿**والأرض بعد ذلك دحاها**﴾ أي: قبل ذلك كقوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ ٱلذِّكْرِ﴾ [الأنبياء: ١٠٥] أي: قبل القرآن بسطها ومهدها لسكنى أهلها وتقلبهم في أقطارها. وقال بعضهم: بعد على معناه الأصلي من التأخر فإن الله خلق الأرض قبل خلق السماء من غير يدحوها ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سماوات ثم دحا الأرض بعد ذلك.

وقال في «الإرشاد» انتصاب الأرض بمضمر يفسره دحاها وذلك إشارة إلى ما ذكر من بناء السماوات ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها وبعدية الدحو عنها، محمولة على البعدية في الذكر، كما هو المعهود في ألسنة العرب والعجم لا في الوجود فإن اتفاق الأكثر على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وتقديم الأرض لا يفيد القصر وتعيين البعدية في الوجود لما عرفت من أن انتصابه بمضمر مقدم قد حذف على شريطة التفسير لا بما ذكر بعده ليفيد ذلك وفائدة تأخيره في الذكر إما التنبيه على أنه قاصر في الدلالة على القدرة القاهرة بالنسبة إلى أحوال السماء وإما الإشعار بأنه أدخل في الإلزام لما أن المنافع المنوطة بما في الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصل أحواله أكمل وقد مر ما يتعلق بهذا المقام في سورة حم السجدة.

﴿**أخرج منها ماءها**﴾ بأن فجر منها عيوناً وأجرى أنهاراً ﴿**ومرعاها**﴾ أي: رعيها بالكسر بمعنى الكلأ وهو في الأصل موضع الرعي بالفتح نسب الماء والمرعى إلى الأرض من حيث أنهما منها يظهران، وتجريد الجملة عن العاطف لأنها بيان وتفسير لدحاها أو تكملة له فإن السكنى لا تتأتى بمجرد البسط والتمهيد بل لا بد من تسوية أمر المعاش من المأكل والمشرب حتماً.

﴿**والجبال**﴾ منصوب بمضمر يفسر قوله ﴿**أرساها**﴾ أي: أثبتها وأثبت بها الأرض أن تميد بها وهذا تحقيق للحق وتنبيه على أن الرسو المنسوب إليها في مواضع كثيرة من التنزيل بالتعبير عنها بالرواسي ليس من مقتضيات ذواتها بل هو بإرسائه تعالى ولولاه لما ثبتت في نفسها فضلاً عن إثباتها للأرض.

﴿**متاعاً لكم ولأنعامكم**﴾ مفعول له بمعنى تمتيعاً والأنعام جمع نعم بفتحتين وهي المال الراعية بمعنى المواشي، وفي «الصحاح»: وأكثر ما يقع هذا الاسم على الإبل والمراد هنا ما يكون عاماً للإبل والبقر والغنم من الضأن والمعز أي: فعل ذلك تمتيعاً ومنفعة لكم ولأنعامكم، لأن فائدة ما ذكر من البسط والتمهيد، وإخراج الماء والمرعى واصلة إليهم وإلى إنعامهم، فإن المراد بالمرعى ما يعم ما يأكله الإنسان وغيره بناء على استعارة الرعي لتناول المأكول على الإطلاق كاستعارة المرسن من للأنف، ولهذا قيل: دل الله تعالى بذكر الماء والمرعى على عامة ما يرتفق به ويتمتع مما يخرج من الأرض حتى الملح فإنه من الماء قال العتبي هذا أي: قوله ﴿**أخرج منها ماءها ومرعاها**﴾ من جوامع الكلم حيث ذكر شيئين دالين على جميع ما أخرج من الأرض قوتاً ومتاعاً للأنام من العشب والشجر والحب والثمر والملح والنار لأن النار من الشجر الأخضر والملح من الماء ونكتة الاستعارة توبيخ المخاطبين المنكرين للبعث وإلحاقهم بالبهائم في التمتع بالدنيا والذهول عن الآخرة.

﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿**فإذا جاءت الطامة الكبرى**﴾ قال في «الصحاح»: كل شيء كثر حتى علا وغلب فقد طم من باب رد، والكبرى تأنيث الأكبر من كبر بالضم بمعنى عظم لا من كبر بالكسر بمعنى أسن، وهذا شروع في بيان أحوال معادهم أثر بيان أحوال معاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها عما قليل كما ينبيء عنه لفظ المتاع والمعنى: فإذا جاء وقت طلوع وقوع الداهية العظمى التي تطم على سائر الطامات والدواهي أي تعلوها وتغلبها فوصفها بالكبرى يكون للتأكيد ولو فسر بما تعلو على الخلائق وتغلبهم كان مخصصاً والمراد القيامة أو النفخة الثانية فإنه يشاهد يوم القيامة من الآيات الهائلة الخارجة عن العادة ما ينسى معه كل هائل وعند النفخة الثانية تحشر الخلائق إلى موقف القيامة خصت النازعات بالطامة وعبس بالصاخة لأن الطم إن كان بمعنى النفخة الأولى للإهلاك فهو قبل الصبح، أي: الصوت الشديد الذي يحيى له الناس حين يصيخون له كما ينتبه النائم بالصوت الشديد فهو بمعنى النفخة الثانية فجعل السابق للسورة السابقة واللاحق اللاحقة وإن كان بمعنى النفخة الثانية فحسن الموقع في كلا الموضعين لأن العلم ورد بعد قوله تتبعها الرادفة والصخ بعد ما بين عدم إصاخة النبي عليه السلام لابن أم مكتوم.

﴿**يوم يتذكر الإنسان ما سعى**﴾ منصوب بأعني تذكيراً للطامة الكبرى وما موصولة وسعى بمعنى علم أي يتذكر فيه كل أحد كائناً من كان ما عمله من خير أو شر بأن يشاهده مدوناً في صحيفة أعماله وقد كان نسيه من فرط الغفلة وطول الأمد كقوله تعالى: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ﴾ [المجادلة: ٦] ﴿**وبرزت الجحيم**﴾ عطفت على جاءت أي أظهرت إظهاراً بينا لا يخفى على أحد بعد أن كانوا يسمعون بها والمراد مطلق النار المعبر عنها بجهنم لا الدركة المخصوصة من الدركات السبع ﴿**لمن يرى**﴾ كائناً من كان على ما يفيده من فإنه من ألفاظ العموم يروى أنه يكشف عنها فتتلظى فيراها كل ذي بصر مؤمن وكافر، وقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ [الشعراء: ٩١] لا ينافي أن يراها المؤمنون أيضاً حين يمرون عليها مجاوزين الصراط، وقيل

للكافر لأن المؤمن يقول أين النار، التي توعدنا بها فيقال: مررتموها وهي خامدة.

﴿فأما من طغى﴾ الخ جواب فإذا جاءت على طريقة قوله: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ﴾ [النازعات: ٣٧]. . إلخ. يقال: إن جئتني فإن قدرت أحسنت إليك ويقال: إذا كانت الدعوة فأما من كان جاهلاً فهناك مقامه وأما من كان عالماً فههنا مقامه أي: فأما من عتا وتمرد عن الطاعة وجاوز الحد في العصيان كالنضر وأبيه الحارث المشهورين بالغلو في الكفر والطغيان. ﴿وآثر﴾ اختار ﴿الحياة الدنيا﴾ الفانية التي على جناح الفوات فانهمك فيما متع به فيها ولم يستعد للحياة الآخرة الأبدية بالإيمان والطاعة ﴿فإن الجحيم﴾ التي ذكر شأنها ﴿هي﴾ لا غيرها وهو ضمير فصل أو مبتدأ ﴿المأوى﴾ أي: مأواه فلا يخرج من النار كما يخرج المؤمن العاصي فالكلام في حق الكافر لكن فيه موعظة وعبرة موقظة واللام سادة مسد الإضافة للعلم بأن صاحب المأوى هو الطاغي كما في قولك غض الطرف فإنه لا يغض الرجل طرف غيره، وذلك لأن الخبر إذا كان جملة لا بد فيها من ضمير يربطها بالمبتدأ فسدت اللام مسد العائد لعدم الالتباس فلا احتياج في مثل هذا المقام إلى الرابطة.

﴿وأما من خاف مقام ربه﴾ أي: مقامه بين يدي مالك أمره يوم الطامة الكبرى يوم يتذكر الإنسان ما سعى وذلك لعلمه بالمبدأ والمعاد، فإن الخوف من القيام بين يديه للحساب لا بد أن يكون مسبوقاً بالعلم به تعالى، وفي بعض التفاسير: المقام إما مصدر ميمي بمعنى القيام أو اسم مكان بمعنى موضع القيام، أي: المكان الذي عينه الله لأن يقوم العباد فيه للحساب والجزاء وقيل: المقام مقحم للتأكيد جعل الخوف مقابلاً للطغيان مع أن الظاهر مقابلته للانقياد والإطاعة بناء على أن الخوف أول أسباب الإطاعة ثم الرجاء ثم المحبة فالأول للعوام والثاني للخواص والثالث لأخص الخواص. ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ عن الميل إليه بحكم الجبلة البشرية ولم يعتد بمتاع الحياة الدنيا وزهرتها ولم يغتر بزخارفها وزينتها علماً منه بوخامة عاقبتها، والهوى ميلان النفس إلى ما تشتهيه وتستلذه من غير داعية الشرع وفي الحديث: «أخوف ما أتخوف على أمتي الهوى وطول الأمل أما الهوى فيصد عن الحق وأما طول الأمل فينسي الآخرة» قال بعض الكبار: الهوى عبارة عن الشهوات السبع المذكورة في قوله تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ [آل عمران: ١٤] وقد أدرجها الله في أمرين: كما قال: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾ [محمد: ٣٦] ثم أدرجها في أمر واحد وهو الهوى في الآية، فالهوى جامع لأنواع الشهوات فمن تخلص من الهوى فقد تخلص من جميع القيود والبرازخ. قال سهل رحمه الله: لا يسلم من الهوى إلا الأنبياء وبعض الصديقين ليس كلهم وإنما يسلم من الهوى من ألزم نفسه الأدب وقال بعضهم: حقيقة الإنسان هي نفسه لا شيء زائد عليها، وقال تعالى: ﴿ونهى النفس عن الهوى﴾ فمن الناهي لها تأمل انتهى.

يقول الفقير: إن الإنسان برزخ بين الحقيقة الإلهية والحقيقة الكونية وكذا بين الحقيقة الملكية والحقيقة الحيوانية فهو من حيث الحقيقة الأولى ينهى النفس من حيث الحقيقة الثانية كما أن النبي عليه السلام، يخاطب نفسه بقوله عليه السلام: «السلام عليك أيها النبي» من جانب ملكيته إلى جانب بشريته أو من مقام جمعه إلى مقام فرقه.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِيَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾.

﴿فإن الجنة هي المأوى﴾ له لا غيرها فنهي النفس عن الهوى معناه نهيها عن جميع الهوى عن أن اللام للاستغراق وإلا فلا معنى للحصر لأن المؤمن الفاسق قد يدخل النار أولاً ثم يدخل الجنة فلا يصح في حقه الحصر اللهم إلا أن يقال معنى الحصر أن الجنة هي المقام الذي لا يخرج عنه من دخل فيه، وفي بعض التفاسير: المراد بالجنة مطلق دار الثواب فلا يخالف قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦] فإن له جنتين بفضل الله في دار الثواب جنة النعيم بالنعم الجسمانية وجنة التلذذ باللذات الروحانية.

ودر فصول آورده كه اين آيت درشان كسى است كه قصد معصيتي كند وبران قادر باشد خلاف نفس نموده از خداي بترسد واز عمل آن دست باز دارد.

كر نفسي نفس بفرمان تست ... شبهه مياوركه بهشت آن تست

نفس كشد هر نفسي سوى پست ... هركه خلافش نفسي زدبرست

قال محمد بن الحسن رحمه الله: كنت نائماً ذات ليلة إذا أنا بالباب يدق ويقرع فقلت: انظروا من ذلك فقال: رسول الخليفة هارون يدعوك فخفت على روحي وقمت ومضيت إليه فلما دخلت عليه قال دعوتك في مسألة أن أم محمد يعني زبيدة قلت لها: إني أمام العدل وإمام العدل في الجنة فقالت: إنك ظالم عاص قد شهدت لنفسك بالجنة فكذبت بذلك على الله وحرمت عليك فقلت له يا أمير المؤمنين إذا وقعت في معصية فهل تخاف الله في تلك الحال أو بعدها؟ فقال: إي والله أخاف خوفاً شديداً فقلت له أنا أشهد أن لك جنتين لا جنة واحدة قال الله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦] فلاطفني وأمرني بالانصراف فلما رجعت إلى داري رأيت البدر متبادرة إلي.

[عبد الملك بن مروان خليفهء روز كار بود وأبو حازم إمام وزاهد وقت بوادزوى پرسيدكه يا أبا حازم فردا حال وكار ماچون خواهد بود كفت اكر قرآن مي خواني قرآن ترا جواب ميدهد كفت كچا ميكويد كفت **﴿فأما من طغى﴾** إلى قوله **﴿فإن الجنة هي المأوى﴾** بدانكه دردنيا هر نفسي را آتش شهوتست ودر عقبي آتش عقوبت هركه امروز بآتش شهوت سوخته كردد فردا بآتش عقوبت رسد وهركه أمر وزبآب رياضت ومجاهده آتش شهوت بنشاند وهمچنين در دنيا دردل هر مؤمن بهشتي است كه آنرا بهشت عرفان كويند ودر عقبي بهشتي است كه آنرا رضوان كويند هركه أمروز دردنيا بهشت عرفان بطاعت آراسته دار فردا به بهشت رضوان برسد].

وقال القاشاني: فأما من طغى أي تعدى طور الفطرة الإنسانية وتجاوز حد العدالة والشريعة إلى الرتبة البهيمية أو السبعية وأفرط في تعديه وآثر الحياة الحسية على الحقيقية بمحبة اللذات السفلية فإن الجحيم مرجعه ومأوه وأما من خاف مقام ربه بالترقي إلى مقام القلب ومشاهدة قيوميته تعالى نفسه ونهى النفس خوف عقابه وقهره عن هواها فإن الجنة مآواه على حسب درجاته وقال بعضهم: أشار بالآية إلى حال المبتدىء فإنه وقت قصده إلى الله لا ويجوز له الرخصة والرفاهية خوفاً من الحجاب فإذا بلغ إلى مقام التصفية والمعرفة لم يحتج إلى نهي النفس عن الهوى فإن نفسه وجسمه وشيطانه صارت روحانية والمشتهى هناك مشتهى واحد هو

مشتهى الروح فالمبتدىء يمنع النفس في الاشتهاء فلذا صار من أهل النهى والمنتهى مع الرب في ذلك ومن كان مع الرب فقد تحولت شهوته لذة حقيقية مقبولة.

﴿يسألونك﴾ مي پرسند ترا أي يا محمد ﴿عن الساعة﴾ أي القيامة ﴿أيان مرساها﴾ إرساؤها أي إقامتها يريدون متى يقيمها الله ويثبتها ويكونها فأيان ظرف بمعنى متى وأصله أي آن ووقت والمرسى مصدر بمعنى الإرساء وهو الإثبات وهو مبتدأ وأيان خبره بتقدير المضاف إذ لا يخبر بالزمان عن الحدث والتقدير متى وقت إرسائها كان المشركون يسمعون أخبار القيامة ولو صافها الهائلة مثل إنها طامة كبرى وصاخة وقارعة فيقولون على سبيل الاستهزاء أيان مرساها.

﴿فيم أنت من ذكراها﴾ رد وإنكار لسؤال المشركين عنها وأصل فيم فيما كما أن أصل عم عما وقد سبق، والذكرى بمعنى الذكر كالبشرى بمعنى البشارة أي: في أي شيء أنت من أن تذكر لهم وقتها وتعلمهم به حتى يسألونك بيانها كقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا﴾ [الأعراف: ١٨٧]، أي: ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء لأن ذلك فرع علمك به وأنى لك ذلك وهو مما استأثر بعلمه علام الغيوب فقوله ﴿من ذكراها﴾ فيه مضاف وصلته محذوفة وهي لهم والاستفهام للإنكار وأنت مبتدأ وفيم خبره قدم عليه ومن ذكراها متعلق بما تعلق به الخبر.

﴿إلى ربك منتهاها﴾ أي: انتهاء علمها ليس لأحد منه شيء ما كائناً من كان فلأي شيء يسألونك عنها.

عائشة رضي الله عنها فرموده كه حضرت رسول عليه السلام ميخواست كه وقت آن ازخدا بيرسد حق تعالى فرمود توازد انستن قيامت برچه چيزى يعني علم آن حق تونيست زنهار تانپر سي به پروورد كارتست منتهاي علم قيامت يعني كس راخبر ندهد چه اطلاع بران خاصهٔ حضرت پرورد كارست.

قال القاشاني: أي في أي شيء أنت من علمها وذكرها وإنما إلى ربك ينتهي علمها فإن من عرف القيامة هو الذي انمحى علمه أولاً بعلمه تعالى ثم فنيت ذاته في ذاته فكيف يعلمها ولا علم له ولا ذات فأين أنت وغيرك من علمها بل لا يعلمها إلا الله وحده.

﴿إنما أنت منذر من يخشاها﴾ أي وظيفتك الامتثال بما أمرت به من بيان اقترابها وتفصيل ما فيها من فنون الأهوال لا تعيين وقتها الذي لم يفوض إليك، فما لهم يسألونك عما ليس من وظائفك بيانه أي ما أنت إلا منذر لا يعلم فهو من قصر الموصوف على الصفة أو ما أنت منذر إلا من يخشاها فهو من قصر الصفة على الموصوف وتخصيص من يخشى مع أنه مبعوث إلى من يخشى ومن لا يخشى لأنهم هم المنتفعون به، أي لا يؤثر الإنذار إلا فيهم كقوله: فذكر بالقرآن ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] والجمهور على أن قوله ﴿منذر من يخشاها﴾ من إضافة الصفة إلى معمولها للتخفيف على الأصل لأن الأصل في الأسماء الإضافة والعمل فيها إنما هو بالشبه ومن قرأها بالتنوين اعتبر أن الأصل فيها الأعمال والإضافة فيها إنما هي للتخفيف.

﴿كأنهم﴾ أي: المنكرين وبالفارسية كوييا كفار مكة. ﴿يوم يرونها﴾ روزي كه بپنند قيامت راكه از آمدن آن همي برسند. ﴿لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها﴾ الضحى اسم لما بين إشراق الشمس إلى استواء النهار ثم هي عشي إلى الغداة كما في «كشف الأسرار»: والجملة حال من الموصول، فإنه على تقدير الإضافة وعدمها، مفعول لمنذر كأنه قيل: تنذرهم مشبهين

يوم يرونها أي: في الاعتقاد بمن لم يلبث بعد الإنذار بها إلا تلك المدة اليسيرة أي عشية يوم واحد أوضحاه أي: آخر يوم أو أوله لا يوماً كاملاً على أن التنوين عوض عن المضاف إليه فلما ترك اليوم أضيف ضحاه إلى عشيته والضحى والعشية لما كانا من يوم واحد تحققت بينهما ملابسة مصححة لإضافة أحدهما إلى الآخر فلذلك أضيف الضحى إلى العشية فإن قيل: لم لم يقل إلا عشية أو ضحى، وما فائدة الإضافة قلنا لو قيل لم يلبثوا إلا عشية أو ضحى احتمل أن يكون العشية من يوم والضحى من يوم آخر فيتوهم استمرار اللبث من ذلك الزمان من اليوم الأول إلى الزمان الآخر من اليوم الآخر وأما إذا قيل إلا عشية أو ضحاها لم يحتمل ذلك البتة قال في «الإرشاد» واعتبار كون اللبث في الدنيا أو في القبور لا يقتضيه المقام وإنما الذي يقتضيه اعتبار كونه بعد الإنذار أو بعد الوعيد تحقيقاً للإنذار ورداً لاستبطائهم وفي الآية إشارة إلى ساعة الفناء في الله فإنها أمر وجداني لا يعرفها إلا من وقع فيها وهم باقون بنفوسهم الغليظة الشديدة فكيف يفهمونها بذكرها بلسان العبارة كما قيل: من لم يذق لم يعرف كأنهم يوم يرونها لم يلبثوا إلا عشية أو ضحاها لاتصال آخر الفاء بأول البقاء كما قال العارف الطيار العطار قدس سره:

كر بقا خواهى فناي خود كزين أو لين چيزى كه مي زايد بقاست

وفي الحديث: «من قرأ سورة النازعات كان ممن حبسه الله في القبر والقيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة» وهو عبارة عن استقصار مدة اللبث فيما يلقى من البشرى والكرامة في البرزخ والموقف كذا في «حواشي» ابن الشيخ رحمه الله.

تمت سورة النازعات بعون خالق البريات في يوم الاثنين
ثاني صفر الخير من شهور ستة سبع
عشرة ومائة وألف

٨٠ ـ سورة عبس

إحدى أو اثنتان وأربعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾﴾.

﴿عبس﴾ من الباب الثاني والعبس والعبوس [ترش روى شدن يعني ترش كرد روى خودرا] محمد عليه السلام **﴿وتولى﴾** اعرض يعني [روى بكردانيد].

﴿أن جاءه الأعمى﴾ الضمير لمحمد عليه السلام وهو علة لتولي على رأي البصريين لقربه منه أي تولى لأن جاءه الأعمى والعمى افتقاد البصر ويقال: في افتقاد البصيرة أيضاً ولام الأعمى للعهد فيراد أعمى معروف وهو ابن أم مكتوم المؤذن الثاني لرسول الله ﷺ في الأذان ولذلك قال عليه السلام: «إن بلالاً يؤذن بليل فكلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم»، وكان من المهاجرين الأولين استخلفه عليه السلام على المدينة مرتين حين خرج غازياً، وقيل ثلاث مرات مات بالمدينة وقتل شهيداً بالقادسية وهي قرية فوق الكوفة قال أنس رضي الله عنه: رأيته يوم القادسية وعليه درع وله راية سوداء ويقال ليوم فتح عمر رضي الله عنه يوم القادسية فإنه ظفر على العجم هناك وأخذ منهم غنائم كثيرة واختلفوا في اسم ابن أم مكتوم فقيل هو عبد الله بن شريح بن مالك بن ربيعة الفهري من بني عامر بن لؤي، وقيل هو عمرو بن قيس بن زائدة بن الأصم من بني عامر بن هلال وهو ابن خال خديجة رضي الله عنها وأم مكتوم اسم أم أبيه كما في «الكشاف» وقال السعدي هو وهم فقد نص ابن عبد البر وغيره أنها أمه واسمها عاتكة بنت عامر بن مخزوم.

روي أن ابن أم مكتوم أتى رسول الله ﷺ وذلك في مكة وعنده صناديد قريش عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل بن هشام، والعباس بن عبد المطلب، وأمية بن خلف، والوليد بن المغيرة يدعوهم إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامهم غيرهم لأن عادة الناس أنه إذا مال أكابرهم إلى أمر إليه غيرهم كما قيل الناس على دين ملوكهم فقال له: يا رسول الله علمني مما علمك الله أنتفع به وكرر ذلك وهو لا يعلم تشاغله عليه السلام، بالقوم إذ السمع لا يكفي في العلم بالتشاغل بل لا بد من الإبصار على أنه يجوز أنهم كانوا يخفضون أصواتهم عند المكالمة أو جاء الأعمى في منقطع من الكلام فكره رسول الله قطعه لكلامه واشتغاله به عنهم وعبس وأعرض عنه فرجع ابن أم مكتوم محزوناً خائفاً أن يكون عبوسه وإعراضه عنه إنما هو لشيء أنكره الله منه فنزلت.

[أمام زاهد فرموده كه سيد عالم ﷺ از عقب أو رفت واورا بازكر دانيده ورداي مبارك خود بكسترانيد وبران نشانيد].

فكان رسول الله يكرمه ويقول إذا رآه: «مرحباً بمن عاتبني فيه ربي» أي لامني مع بقاء المحبة ويقول له: هل لك من حاجة ويقال إن رسول الله عليه السلام، لم يغتم في عمره كغمه حين أنزلت عليه سورة عبس لأن فيها عتباً شديداً على مثله لأنه الحبيب الرشيد، ومع ذلك فلم يجعل ذلك الخطاب بينه وبينه فيكون أيسر للعتاب بل كشف بذلك للمؤمنين ونبه على فعله عباده المتقين، ولذلك روي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بلغه أن بعض المنافقين يؤم قومه فلا يقرأ فيهم إلا سورة عبس فأرسل إليه فضرب عنقه لما استدل بذلك على كفره ووضع مرتبته عنده وعند قومه قال ابن زيد: لو جاز له أن يكتم شيئاً من الوحي لكان هذا، وكذا نحو قوله: ﴿لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبۡتَغِي مَرۡضَاتَ أَزۡوَٰجِكَۚ﴾ [التحريم: ١] ونحو قوله: ﴿أَمۡسِكۡ عَلَيۡكَ زَوۡجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخۡفِي فِي نَفۡسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبۡدِيهِ وَتَخۡشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخۡشَىٰهُۖ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وكان ما فعله عليه السلام من باب ترك الأولى فلا يعد ذنباً، لأن اجتهاده عليه السلام كان في طلب الأولى والتعرض لعنوان عماه مع أن ذكر الإنسان بهذا الوصف يقتضي تحقير شأنه وهو ينافي تعظيمه المفهوم من العتاب على العبوس في وجهه إما لتمهيد عذره في الإقدام على قطع كلامه عليه السلام للقوم والإيذان باستحقاقه الرفق والرأفة لا الغلظة، وإما لزيادة الإنكار فإن أصل الإنكار حصل من دلالة المقام كأنه قيل تولى لكونه أعمى وهو لا يليق بخلقه العظيم كما أن الالتفات في قوله تعالى:

﴿وما يدريك﴾ لذلك فإن المشافهة أدخل في تشديد العتاب، كمن يشكو إلى الناس جانياً جنى عليه ثم يقبل على الجاني إذا حمى في الشكاية مواجهاً له بالتوبيخ أي: وأي شيء يجعلك دارياً وعالماً بحاله ويطلعك على باطن أمره حتى تعرض عنه أي: لا يدريك شيء، فتم الكلام عنده فيوقف عليه وليس ما بعده مفعوله بل هو ابتداء كلام وقال الإمام السهيلي رحمه الله: انظر كيف نزلت الآية بلفظ الإخبار عن الغائب فقال: ﴿عبس وتولى﴾ ولم يقل عبست وتوليت وهذا شبيه حال الغائب المعرض ثم أقبل عليه بمواجهة الخطاب فقال وما يدريك علماً منه تعالى أنه لم يقصد بالإعراض عنه إلا الرغبة في الخير ودخول ذلك المشرك في الإسلام وهو الوليد أو أمية وكان مثله يسلم بإسلامه بشر كثير فكلم نبيه عليه السلام حين ابتدار الكلام بما يشبه كلام المعرض عنه العاتب له ثم واجهه بالخطاب تأنيساً له عليه السلام، بعد الإيحاش فإنه قيل: إن ابن أم مكتوم كان قد أسلم وتعلم ما كان يحتاج إليه من أمور الدين، وأما أولئك الكفار فما كانوا قد أسلموا وكان إسلامهم سبباً لإسلام جمع عظيم فكلامه في البين سبب لقطع ذلك الخير العظيم لغرض قليل وذلك محرم والأهم مقدم على المهم فثبت بهذا أن فعل ابن أم مكتوم كان ذنباً ومعصية وما فعله النبي عليه السلام كان واجباً فكيف عاتبه الله على ذلك قيل: إن الأمر وإن كان كما ذكر إلا أن ظاهر ما فعله الرسول عليه السلام يوهم تقديم الأغنياء على الفقراء وقلة المبالاة بانكسار قلوب الفقراء وهو لا يليق بمنصب النبوة لأنه ترك الأفضل كما أشير إليه سابقاً فلذا عاتبه الله تعالى. ﴿لعله﴾ أي: الأعمى ﴿يزكى﴾ بتشديدين أصله يتزكى، أي: يتطهر بما يقتبس منك من أوضار الأوزار بالكلية وكلمة لعل مع تحقق التزكي وارد على سنن الكبرياء، فإن لعل في كلام العظماء يراد به القطع والتحقيق أو على اعتبار معنى الترجي

بالنسبة إليه عليه السلام، للتنبيه على أن الإعراض عنه عند كونه مرجو التزكي مما لا يجوز فكيف إذا كان مقطوعاً بالتزكي كما في قولك لعلك ستندم على ما فعلت.

﴿أو يذكر﴾ بتشديدين أيضاً أصله يتذكر والتذكر هو الاتعاظ يعني باخود پند كيرد ﴿فتنفعه الذكرى﴾ أي فتنفعه موعظتك إن لم يبلغ درجة التزكي التام، وفي «الكشاف»: المعنى إنك لا تدري ما هو مترقب منه من تزكي أو تذكر ولو دريت لما فرط ذلك منك انتهى. أشار إلى أن قوله ﴿يزكى﴾ من باب التخلية عن الآثام وقوله ﴿أو يذكر﴾ من باب التحلية ببعض الطاعات ولذا دخلت كلمة الترديد فقوله ﴿أو يذكر﴾ عطف على يزكى داخل معه في حكم الترجي وقوله ﴿فتنفعه الذكرى﴾ بالنصب على جواب لعل تشبيهاً له بليت وفيه إشارة إلى أن من تصدى لتزكيتهم من الكفرة لا يرجى منهم التزكي والتذكر أصلاً وإشعار بأن اللائق بالمعلم أن يقصد بتعليمه تزكية متعلمة ولا ينظر إلى شبحه وصورته كما ينظر العوام وبالمتعلم أن يريد بتعلمه تزكية نفسه عن أرجاس الضلال وتطهير قلبه من أدناس الجهالة لا أحكام الدنيا الدنية.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾﴾

﴿أما﴾ للتفضيل ﴿من استغنى﴾ عن الإيمان وعما عندك من العلوم والمعارف التي ينطوي عليها القرآن ﴿فأنت له تصدى﴾ بحذف إحدى التاءين تخفيفاً أي تتصدى وتتعرض بالإقبال عليه والاهتمام بإرشاده واستصلاحه دون الأعمى وفيه مزيد تنفير له عليه السلام عن مصاحبتهم، فإن الإقبال على المدبر ليس من شيم الكرام والتصدي للشيء التعرض والتقيد به والاهتمام بشأنه وضده التشاغل عنه، وفي «المفردات»: التصدي أن يقابل الشيء مقابلة الصدى أي الصوت الراجع من الجبل وفي «كشف الأسرار» التصدي التعرض للشيء على حرص كتعرض الصديان للماء أي العطشان وعن بعضهم أصل تصدى تصدد من الصدد وهو ما استقبلك وجاء قبالتك فأبدل أحد الأمثال حرف علة.

﴿وما عليك أن لا يزكى﴾ أي: وليس عليك بأس ووزر ووبال في أن لا يتزكى ذلك المستغني بالإسلام حتى تهتم بأمره وتعرض عمن أسلم إن عليك إلا البلاغ وكيف تحرص على الإسلام من ليس له قابلية وقد خلق على حب الدنيا والعمى عن الآخرة وفيه استهانة لمن أعرض عنه فما نافية وكلمة في المقدرة متعلقة باسم ما وهو محذوف والجملة حال من ضمير تصدى مقررة لجهة الإنكار.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخْشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾﴾.

﴿وأما من جاءك يسعى﴾ أي: حال كونه مسرعاً طالباً لما عندك من أحكام الرشد وخصال الخير ﴿وهو﴾ والحال أنه ﴿يخشى﴾ الله تعالى أو يخشى الكفار إذا هم إتيانك قال سعدي المفتي: الظاهر أن النظم من الاحتباك، ذكر الغنى أولاً للدلالة على الفقر ثانياً والمجيء والخشية ثانياً للدلالة على ضدهما أولاً ﴿فأنت عنه تلهى﴾ بحذف إحدى التاءين تخفيفاً أي تتلهى وتتشاغل من لهي عن الشيء بكسر الهاء يلهى لهياً أعرض عنه لا من لهوت بالشيء بالفتح ألهو لهواً إذا لعبت به لأن الفعل مسند إلى ضمير النبي ولا يليق بشأنه الرفيع أن ينسب إليه التفعل من اللهو بخلاف الاشتغال عن الشيء لمصلحة وفي بعض التفاسير ولو أخذ من

اللهو وجعل التشاغل بأهل التغافل من جنس اللهو واللعب لكونه عبثاً لا يترتب عليه نفع لم يخل عن وجه انتهى وفيه أنه يلزم منه أن يكون الاشتغال بالدعوة عبثاً ولا يقول به المؤمن وذلك لأنه لا يجوز للنبي عليه السلام التشاغل بأهل التغافل إلا بطريق التبليغ والإرشاد فكيف لا يترتب عليه نفع، وفي تقديم ضميره عليه السلام وهو أنت على الفعلين تنبيه على أن مناط الإنكار خصوصيته عليه السلام، أي مثلك خصوصاً لا ينبغي أن يتصدى للمستغني ويتلهى عن الفقير الطالب للخير وفي تقديم له وعنه للتعريض باهتمامه عليه السلام بمضمونهما تنبيه حيث أفادت القصة أن العبرة بالأرواح والأحوال لا بالأشباح والأموال والعزيز من أعزه الله بالإيمان والطاعة وإن كان بين الناس ذليلاً، والذليل من أذله الله بالكفر والمعصية وإن كان بين الناس عزيزاً روي أنه عليه السلام ما عبس بعد ذلك في وجه فقير قط ولا تصدى لغني وكان الفقراء في مجلسه عليه السلام أمراء يعني كان يحترمهم كل الاحترام، وفيه تأديب للصغير بالكبير فحملة الشرع والعلم والحكام مخاطبون في تقريب الضعيف من أهل الخير وتقديمه على الشريف العاري عن الخير بمثل ما خوطب به النبي عليه السلام في هذه السورة، قال بعضهم: بين الله درجة الفقر وتعظيم أهله وخسة الدنيا وتحقير أهلها فصح الاشتغال بصحبة الفقراء لأن فيم نعت الصدق والتجرد فالصحبة معهم مفيدة بخلاف الاشتغال بصحبة الأغنياء إذ ليس فيهم ذلك فالصحبة معهم ضائعة وفي الحديث: «من تحامل على فقير لغني فقد هدم ثلث دينه» يقال: تحاملت على الشيء إذا تكلفت الشيء على مشقة وتحامل فلان على فلان إذا لم يعدل.

وقال بعض الأكابر: إنما كان ﷺ يتواضع لأكابر قريش لأن الأعزاء من الخلائق مظهر لعزة الإلهية فكان تقديمهم على الفقراء من أهل الصفة ليوفي صفة الكبرياء حقها إذا لم يشهد لها مشاركاً ولكن فوق هذا المقام ما هو أعلى منه وهو ما أمره الله به آخراً بعدما صدر سورة عبس في قوله: ﴿وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ﴾ [الكهف: ٢٨] الآية فأمره بأن لا يشهده في شيء دون شيء للإطلاق الذي هو الحق عليه كما قال: «جعت فلم تطعمني وظمئت فلم تسقني» الحديث كما في «الجواهر» للشعراني.

﴿**كلا**﴾ انزجر من التصدي للمستغني والإعراض عن إرشاد المسترشد قال الحسن: لما تلا جبرائيل هذه الآيات على النبي عليه السلام عاد وجهه كأنما استف فيه الرماد. أي تغير كأنما ذر عليه الرماد ينتظر ما يحكم الله عليه فلما قال كلا سرى عنه والتسرية [اندوه رابردن].

أي: لا تفعل مثل ذلك فإنه غير لائق بك. ﴿**إنها**﴾ أي: القرآن والتأنيث باعتبار الخبر وهو قوله ﴿**تذكرة**﴾ أي: موعظة يجب أن يتعظ بها ويعمل بموجبها.

﴿**فمن**﴾ [پس هركه] ﴿**شاء ذكره**﴾ أي: القرآن أي حفظه ولم ينسه أو اتعظ به ومن رغب عنه كما فعله المستغني فلا حاجة إلى الاهتمام بأمره ﴿**في صحف**﴾ جمع صحيفة وكل مكتوب عند العرب صحيفة وهو متعلق بمضمر هو صفة لتذكرة وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف جيء به للترغيب فيها والحث على حفظها أي: كائنة في صحف منتسخة من اللوح أو خبر ثان لأن فالجملة معترضة بين الخبرين والسجاوندي على إنه خبر محذوف أي وهي في صحف حتى وضع علامة الوقف اللازم على ذكره هرباً من إيهام تعلقة به وهو غير جائز لأن ذكر من شاء لا يكون في صحف. ﴿**مكرمة**﴾ عند الله لكونها صحف القرآن المكرم.

﴿**مرفوعة**﴾ أي: في السماء السابعة أو مرفوعة المقدار والذكر فإنها في المشهور

موضوعة في بيت العزة في السماء الدنيا. ﴿مطهرة﴾ منزهة عن مساس أيدي الشياطين.

﴿بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ۝١٧ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ۝١٨ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ۝١٩ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١﴾.

﴿بأيدي سفرة﴾ كتبة من الملائكة ينتسخون الكتب من اللوح على أنه جمع سافر من السفر وهو الكتب إذ في الكتابة معنى السفر أي: الكشف والتوضيح والكاتب سافر لأنه يبين الشيء ويوضحه وسمي السفر بفتحتين سفراً لأنه يسفر ويكشف عن أخلاق المرء قالوا هذه اللفظة مختصة بالملائكة لا تكاد تطلق على غيرهم وإن جاز الإطلاق بحسب اللغة والباء متعلقة بمطهرة فقال القفال: في وجه لما لم يسمها إلا الملائكة المطهرون أضيف التطهير إليها لطهارة من يمسها وقال القرطبي: إن المراد في قوله تعالى: ﴿لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ۝٧٩﴾ [الواقعة: ٧٩] هؤلاء السفرة الكرام البررة والظاهر أن تكون في محل الجر على أنها صفة لصحف أي في صحف كائنة بأيدي سفرة أو مكتوبة بأيدي سفرة ومن هذا وقف بعضهم على مطهرة وقفاً لازما هرباً من توهم تعلق الباء به.

﴿كرام﴾ عند الله بالقرب والشرف فهو من الكرامة جمع كريم أو متعطفين على المؤمنين يستغفرون لهم فهو من الكرم ضد اللؤم، وقال ابن عطاء رحمه الله: يريد أنهم يتكرمون أن يكونوا مع ابن آدم إذا خلا مع زوجته للجماع وعند قضاء الحاجة يشير إلى أنهم هم الملائكة الموصوفون بقوله كراماً كاتبين وفيه تأمل. ﴿بررة﴾ أتقياء لتقدسها عن المواد ونزاهة جواهرها عن التعلقات أو مطيعين الله من قولهم فلان يبر خالقه أي يطيعه أو صادقين من بر في يمينه جمع بار مثل فجرة جمع فاجر.

﴿قتل الإنسان﴾ دعاء عليه بأشنع الدعوات فإن القتل غاية شدائد الدنيا وأفظعها ومن فسر القتل باللعن أراد به الإهلاك الروحاني فإنه أشد العقوبات وهو بالفارسية [لعنت كرده باد انسان] يعني كافر.

وفي «عين المعاني»: عذب ﴿ما أكفره﴾ ما أشد كفره بالله مع كثرة إحسانه إليه وبالفارسية [چه كافر ترين خلقست].

تعجب من إفراطه في الكفران أي: على صورته فإن حقيقة التعجب إنما تتصور من الجاهل بسبب ما خفي من سبب الشيء والذي أحاطه علمه بجميع المعلومات لا يتصور منه ذلك فهو في الحقيقة تعجيب من الله لخلقه وبيان لاستحقاقه للدعاء عليه، أي اعجبوا من كفره بالله ونعمه مع معرفته بكثرة إحسانه إليه وادعوا عليه بالقتل واللعن ونحو ذلك لاستحقاقه لذلك، قال بعضهم: لعن الله الكافر وعظم كفره حيث لم يعرف صانعه ولم يعرف نفسه التي لو عرفها عرف صانعها. وقال ابن الشيخ: هذا الدعاء وارد على أسلوب كلام العرب فهو ليس من قبيل دعاء من يعجز عن انتقام من يسوءه وكذا هذا التعجب ليس على حقيقته لأنه تعالى منزه عن العجز والجهل بل المقصود بإيراد ما هو في صورة الدعاء لدلالة على سخطه العظيم والتنبيه على أنه استحق أهول العقوبات وأشنعها وبإيراد صيغة التعجب الذم البليغ له من حيث ارتكابه أقبح القبائح ولا شك أن السخط يجوز من الله وكذا الذم، ويجوز أن يكون ما أكفره استفهاماً بمعنى التقريع والتوبيخ أي: أي شيء حمله على الكفر والمراد من الإنسان إما من

استغنى عن القرآن المذكور نعوته وإما الجنس باعتبار انتظامه له ولأمثاله من أفراده لا باعتبار جمع أفراده.

﴿من أي شيء خلقه﴾ أي من أي شيء حقير مهين خلقه يعني [نمى انديشدكه خداي تعالى ازچه جيز بيافريد اورا].

ثم بينه بقوله: ﴿من نطفة﴾ قذرة ﴿خلقه﴾ فمن كان أصله مثل هذا الشيء الحقير كيف يليق به التكبر والتجبر والكفران بحق المنعم الذي كسا ذلك الحقير بمثل هذه الصورة البهية وقف السجاوندي على قوله ﴿من نطفة﴾ حتى وضع عليه علامة الوقف المطلق بتقدير ﴿خلقه﴾ آخر بدلالة ما قبله وجعل قوله خلقه فقدره جملة أخرى استئنافية لبيان كيفية الخلق وإتمامه من إنعامه ومن جعله متعلقاً بما بعده على ما هو الظاهر لم يقف عليه. ﴿فقدره﴾ فهيأه لما يصلح له ويليق به من الأعضاء والأشكال، أي: أحدثه بمقدار معلوم من الأعضاء والأشكال والكمية والكيفية فجعله مستعداً لأن ينتهي فيها إلى القدر اللائق بمصلحته فلا يلزم عطف الشيء على نفسه، وذلك أن خلق الشيء أيضاً تقديره وإحداثه بمقدار معلوم من الكمية والكيفية وبالفارسية [پس اندازهٔ أو بديد كرد ازا عضا وأشكال وهيئات در بطن ما دره]، أو فقدره أطوار إلى أن تم خلقه فالتقدير المتفرع على الخلق مأخوذ من القدر بمعنى الطور أي أوجده على التقدير الأولى ثم جعله ذا أطوار من علقة ومضغة إلى آخر أطواره ذكراً أو أنثى شقياً أو سعيداً. قال بعضهم: وعلى الوجهين فالفاء للتفصيل فإن التقدير يتضمنه عى المعنيين.

﴿ثم السبيل يسره﴾ منصوب بمضمر يفسره الظاهر أي سهل مخرجه من البطن بأن فتح فم الرحم وكان غير مفتوح قبل الولادة وألهمه أن ينتكس بأن ينقلب ويصير رجله من فوق ورأسه من تحت ولولا ذلك لا يمكنها أن تلد أو يسر له سبيل الخير والشر في الدين ومكنه من السلوك فيهما وذلك بالإقدار والتعريف له بما هو نافع وضار والعقل وبعثة الأنبياء وإنزال الكتب ونحو ذلك وتعريف السبيل باللام دون الإضافة بأن يقال سبيله للإشعار بعمومه لأنه عام للإنس والجن على المعنى الثاني وللحيوانات أيضاً على المعنى الأول قال ابن عطاء رحمه الله: يسر على من قدر له التوفيق طلب رشده واتباع نجاته وقال أبو بكر بن طاهر رحمه الله: يسر على كل أحد ما خلقه له وقدره عليه.

﴿ثم أماته﴾ أي قبض روحه عند تمام أجله المقدر المسمى ﴿فأقبره﴾ أي جعله في قبر يواري فيه تكرمة له ولم يدعه مطروحاً على وجه الأرض جزراً أي قطعاً للسباع والطير كسائر الحيوان، قال في «كشف الأسرار»: لم يجعله مما يطرح للسباع أو يلقى للنواويس والقبر مما أكرم به المسلمون انتهى. يقال قبر الميت إذا دفنه بيده والقابر هو الدافن والقبر هو مقر الميت وأقبره إذ أمر بدفنه أو مكن منه فالمقبر هو الله لأنه الآمر بالدفن في القبور قال في «المفرات» أقبرته جعلت له مكاناً يقبر فيه نحو أسقيته جعلت له ماء يستقى منه وقيل معناه ألهم كيف يدفن انتهى. وفي «المثنوي»:

كندن كورى كه كمتر پيشه بود كي زمكر وحيله والديشه بود
جمله حرفتها يقين ازوحى بود اول أوليك عقل آنرا فزود

وعد الإماتة من النعم بالنسبة إلى المؤمن فإن بالموت يتخلص من سجن الدنيا وأيضاً إن شأن الموت أن يكون تحفة ووصلة إلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم وإنما كان مفتاح كل بلاء

ومحنة في حق الكافر من سوء اعتقاده وسيئات أعماله وفي بعض التفاسير ذكر الإماتة إما لأنها مقدمة الاقبار وإما للتخويف والتذكير بأن الحياة الدنيوية فانية آخرها الموت وعن الشافعي رحمه الله:

فلا تمشين في منكب الأرض فاخراً فعما قليل يحتويك ترابها

وإما الحث على الاستعداد وإما رعاية المقابلة بينه وبين أنشره تنبيهاً على كمال قدرته وتمام حكمته.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾ فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾﴾.

﴿ثم إذا شاء أنشره﴾ أي إذا شاء إنشاره وإحياءه وبعثه نشره وأحياه وبعثه وفي تعليق الإنشاء بمشيئته له إيذان بأن وقته غير متعين في نفسه بل هو تابع لها بخلاف وقت الموت فإنا نجزم بأن أحداً من أبناء الزمان لا يتجاوز مائة وخمسين سنة مثلاً وليس لأحد مثل هذا الجزم في النشور هكذا قالوا، وفيه أن الموت أيضاً له سن معلوم وأجل محدود فكيف يتعين في نفسه ويجزم بوقوعه في سن كذا بحيث لا يكون موكولاً إلى مجرد مشيئته تعالى ولعل تقييد الإنشار بالمشيئة لا ينافي تقييد الموت بها أيضاً إذ لا يجري عليه تعالى زمان وأنه من مقدمات القيامة ولذا قال عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته» أي لاتصال زمان الموت بزمان القيامة فهو قيامة صغرى مجهولة كالقيامة الكبرى، وفيه إشارة إلى أن الميت إن كان من أهل السعادة فإنشاره من قبور أهل السعادة وإن كان مدفوناً في قبور أهل الشقاوة وإن كان من أهل الشقاوة فإنشاره من قبور أهل الشقاوة وإن كان مدفوناً في قبور أهل السعادة، ولذا قال «صاحب المشارق»: في خطبة كتابه: ثم إذا شاء منها أنشره أي: من مكة فإن من دفن بمكة ولم يكن لائقاً بها تنقله الملائكة إلى موضع آخر وفي الحديث: «من مات من أمتي يعمل عمل قوم لوط نقله الله إليهم حتى يحشر معهم»، وفي حديث آخر: «من مات وهو يعمل عمل قوم لوط سار به قبره حتى يصير معهم ويحشر يوم القيامة معهم» كما في «الدرر المنتثرة» للإمام السيوطي رحمه الله.

وحكي أن شخصاً كان يقال له: ابن هيلان من المبالغين في التشيع بحيث يفضي إلى ما يستقبح في حق الصحابة مع الإسراف على نفسه بينما هو يهدم حائطاً إذ سقط فهلك فدفن بالبقيع فلم يوجد ثاني يوم الدفن في القبر الذي دفن به ولا التراب الذي ردم به القبر بحيث يستدل بذلك لنبشه وإنما وجدوا اللبن على حاله حسبما شاهده الجم الغفير حتى كان ممن وقف عليه القاضي جمال الدين وصار الناس يجيئون لرؤيته إرسالاً إلى أن اشتهر أمره وعد ذلك من الآيات التي يعتبر بها من شرح الله صدره نسأل الله السلامة وحكي أيضاً: أن محمد بن إبراهيم المؤذن حكي عنه أنه حمل ميتاً في أيام الحاج ولم يوجد من يساعده عليه غير شخص قال فحملناه ووضعناه في اللحد ثم ذهب الرجل وجئت أنا باللبن لأجل اللحد فلم أجد الميت في اللحد فذهبت وتركت القبر على حاله ونقل أن بعض الصلحاء ممن لم يمت بالمدينة رؤي في النوم وهو يقول للرائي سلم على أولادي وقل لهم: إني قد حملت ودفنت بالبقيع عند قبر العباس فإذا أرادوا زيارتي فليقفوا هناك ويسلموا ويدعوا كذا في «المقاصد الحسنة للسخاوي»

وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان ما كان له أن يكفر لأن الله خلقه من نطفة الوجود المطلق وهيأه لمظهرية ذاته وصفاته وأسمائه ثم سهل عليه سبيل الظهور بمظاهر الأسماء الجمالية والجلالية ثم أماته عن أنانيته فأقبره في قبر الفناء عن رؤية الفناء ثم إذا شاء أنشره بصورة البقاء بعد الفناء فعلى العبد أن يعرف قدر النعمة ولا يظهر بالعجب والغرور بأن يدعى لنفسه ما كان لله من الكمالات كالعلم والقدرة والإرادة ونحوها.

﴿**كلا**﴾ ردع للإنسان عما هو عليه وجعله السجاوندي بمعنى حقاً ولذا لم يقف عليه بل على أمره فإنه إذا كان بمعنى حقاً يكون تابعاً لما بعده. ﴿**لما يقض ما أمره**﴾ قال في بعض التفاسير: ما في لما صلة دخلت للتأكيد كقوله: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ**﴾ [آل عمران: ١٥٩] فلما بمعنى لم وليس فيه معنى التوقع وفي ما أمره موصولة وعائده يجوز أن يكون محذوفاً والتقدير ما أمره به فحذف الجار أولاً فبقي ما أمره هو ثم حذف الهاء العائد ثانياً ويجوز أن يكون باقياً على أن المحذوف من الهاءين هو العائد إلى الإنسان والباقي هو العائد إلى الموصول فاعرف وقس عليه أمثاله، أي: لم يقض الإنسان ما أمره الله به من الإيمان والطاعة ولم يؤد ولم يعرف ولم يعمل به وعدم القضاء محمول على عموم النفي إما على أن المحكوم عليه هو المستغني أو هو الجنس لكن لا على الإطلاق بل على أن مصداق الحكم بعدم القضاء بعض إفراده وقد أسند إلى الكل فلا شياع في اللوم بحكم المجانسة وإما على أن مصداقه الكل من حيث هو كل بطريق رفع الإيجاب الكلي دون السلب الكلي فالمعنى لما يقض جميع أفراد ما أمره بل أخل به، بعضها بالكفر والعصيان مع أن مقتضى ما فصل من فنون النعماء الشاملة للكل أن لا يتخلف عنه أحداً أصلاً.

[وكفته اند مراد همه آدميانند از آدم تاباين غايت وهركز هيچ آدمى از عهدهء حقوق اداي اوامر إلهي كما ينبغي بيرون نيايد ونتوان آمد].

بنده همان به كه زتقصير خويش عذر بدر كاه خداي آورد
ورنه سزاوار خداوند يش كس نتواندكه بجاي آورد

وفي «التأويلات النجمية»: كلا لما يقض ما أمره من الإتيان بمواجب حقوقنا من الظهور بحقائق أسمائنا والقيام بفضائل صفاتنا.

﴿**فلينظر الإنسان إلى طعامه**﴾ شروع في تعداد النعم المتعلقة ببقائه بعد تفصيل النعم المتعلقة بحدوثه أي فلينظر الإنسان إلى طعامه الذي عليه يدور أمر معاشه كيف دبرناه وقال ابن عباس رضي الله عنهما: فلينظر الإنسان إلى طعامه ليعلم خسة قدره وفناء عمره، وفي الحديث: «إن مطعم ابن آدم جعله الله مثلاً للدنيا وإن قزحه وملحه فانظر إلى ماذا يصير» يقال قزح القدر جعل التابل فيها وهو كصاحب وهاجر إبزار الطعام وملحها جعل الملح فيها.

﴿**أنا صببنا**﴾ أنزلنا إنزالاً وافياً من السحاب. ﴿**الماء**﴾ أي: الغيث وهو المطر المحتاج إليه بدل اشتمال من طعامه لأن الماء سبب لحدوث الطعام فالثاني مشتمل على الأول إذ لا يلزم فيه أن يكون المبدل منه مشتملاً على البدل فحينئذٍ العائد محذوف والتقدير صببنا له ﴿**صباً**﴾ عجيباً.

﴿**ثم شققنا الأرض**﴾ بالنبات ولما كان الشق بعد الصب أورد كلمة ثم الشق بالفارسية [شكافتن] ﴿**شقاً**﴾ بديعاً لائقاً بما يشقها من النبات صغراً وكبراً وشكلاً وهيئة.

﴿فأنبتنا فيها﴾ أي: في الأرض المشقوقة بالنبات والفاء للتعقيب ﴿حباً﴾ فإن انشقاق الأرض بالنبات لا يزال يتزايد ويتسع إلى أن يتكامل النمو وينعقد الحب، والحب كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما وهو جنس الحبة كالتمر والتمرة فيشمل القليل والكثير قدمه لأنه الأصل في الغذاء.

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿وعنباً﴾ عطف على حباً وليس من لوازم العطف أن يقيد المعطوف بجميع ما قيد به المعطوف عليه فلا ضير في خلو إنبات العنب عن شق الأرض وكذا في أمثاله، كذا قال في «الإرشاد»، ولعل شق الأرض فيه باعتبار أصله أول خروجه منها فإن المراد هنا شجرة العنب وإنما ذكره والزيتون باسم الثمرة لشهرتهما بها ووقوع كل منهما بعد ما يؤكل نفسه فاعرف، وأفرد العنب بالذكر من بين الثمار لأنه فاكهة من وجه يتلذذ به وطعام من وجه يتغذى به وهو من أصلح الأغذية. ﴿وقضباً﴾ أي: رطبة وهي نبات يقال له الفصفصة وبالفارسية [اسپست ومعربه الاسفست].

سميت بمصدر قضبه أي قطعه مبالغة كأنها لتكرر قطعها وتكثره إذا تقضب مرة بعد أخرى في السنة نفس القطع وعن ابن عباس رضي الله عنهما: إنه الرطب التي تقضب من النخل ورجحه بعضهم لمناسبته بالعنب.

وقال بعضهم: هو مثل النعناع والطرخون والكراث وغيرها التي قطع ساقها من أصلها يعني للأكل وبعضهم هو القت الرطب أفرده بالذكر تنبيهاً على اختلاف النباتات وإن منها ما إذا قطع عاد ومنها ما لا يعود والقت حب الغاسول وهو الاشنان وقيل: هو حب يابس أسود يدفن فيلين قشره ويطحن ويخبز يقتاته أعراب طي وبعضهم هو كل ما يؤكل رطباً كالبطيخ والخيار والباذنجان والدباء.

﴿وزيتوناً﴾ هو ما يعصر منه الزيت والمراد شجرته وتعمر ثلاثة آلاف سنة خصه بالذكر لكثرة فوائده خصوصاً لأهالي بلاد العرب فإنهم ينتفعون به أكلاً وإدهاناً واستضاءة وتطهراً فإنه يجعل في الصابون وكان عليه السلام يتطيب به في الأوقات. ﴿ونخلاً﴾ هو شجر التمر جمع نخلة والرطب والتمر من أنفع الغذاء وفي العجوة خاصية دفع السم والسحر وشجرته من فضلة طينة آدم عليه السلام، كما سبق مفصلاً.

﴿وحدائق غلباً﴾ جمع حديقة وهي الروضة ذات الشجر أو البستان من النخل والشجر أو كل ما أحاط به البناء والقطعة من النخل كما في «القاموس»، وهي هنا من قبيل التعميم بعد التخصيص والغلب جمع أغلب كحمر جمع أحمر أو حمراء مستعار من وصف الرقاب يقال الرجل أغلب وأسد أغلب أي غليظ العنق فالمعنى وحدائق عظاماً وصف به الحدائق لتكاثفها وكثرة أشجارها أو لأنها ذات أشجار غلاظ فعلى الأول الاستعارة معنوية وعلى الثاني مجاز مرسل، فإن أريد من غلظ العنق والرقبة مطلق الغلظ بطريق إطلاق المقيد وإرادة المطلق كاطلاق المرسن على الأنف وأجرى على الحدائق وصفاً لها بحال متعلقها وهو الأشجار سمي استعارة بناء على اللغة وفي «كشف الأسرار» الغلب من الشجر التي لا تمثر كالشمار والأرز

والعرعر والدرداء.

﴿وفاكهة﴾ كثيرة غير ما ذكر والعنب والرمان والرطب من الفواكه عند الإمامين لا عند الأعظم وإن العطف يقتضي المغايرة والظاهر أن مراد الأعظم أن نحو العنب والرطب لكونه مما يؤكل غذاء يحقق القصور في معنى التفكه به أي التنعم بعد الطعام وقبله فلا يتناوله اسم الفاكهة على الإطلاق، حتى لو حلف لا يأكل فاكهة لا يحنث بأكله لكونه غذاء من وجه وإن كان فاكهة من وجه آخر وعطف الفاكهة عليه لا ينافي كونه فاكهة من وجه لأن المراد بالفاكهة المعطوفة ما هو فاكهة من كل وجه ولا يخفى إن الفاكهة من كل وجه مغايرة لما هو فاكهة من وجه دون وجه فيصح عطفها عليه أو عطفه عليها كما في مواضع من القرآن. ﴿وأباً﴾ أي: مرعى من أبه إذا أمه أي قصده لأنه يؤم ويقصد جزه للدواب أو من أب لكذا إذا تهيأ له لأنه متهيىء للرعي وأب إلى وطنه إذا نزع إليه نزوعاً تهيأ لقصده وكذا أب لسيفه إذ تهيأ لسله وأبان ذلك فعلان منه وهو الزمان المتهيىء لفعله ومجيئه أو الأب الفاكهة اليابسة تؤب للشتاء أي تعد وتهيأ وهو الملائم لما قبله وفي الحديث «خلقتم من سبع ورزقتم من سبع فاسجدوا لله على سبع» أراد بقوله: «خلقتم من سبع» يعني: ﴿مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ﴾ [الحج: ٦٧] الخ وهي التارات السبع وبقوله «رزقتم من سبع» قوله ﴿حباً وعنباً﴾ إلى ﴿أباً﴾ لعل الحدائق خارجة عن الحساب لأنها منابت تلك المرزوقات وبقوله «فاسجدوا» على سبع الأعضاء السبعة وهي الوجه واليدان والركبتان والرجلان.

﴿متاعاً لكم ولأنعامكم﴾ مفعول به أي: فعل ذلك تمتيعاً لكم ولمواشيكم فإن بعض النعم المعدودة طعام لهم وبعضها علف لدوابهم وللالتفات لتكميل الامتنان وفي الآية إشارة إلى حب المحبة الذاتية وخمير المحبة الصافية المتخذة من عنب الصفات وخمر المحبة الأفعالية المتخذة من رطب وزيتون المعرفة ونخل التوحيد العالي من أن يصل إليه كل مدع كذاب وفاكهة الوجدانيات والذوقيات وحدائق الشوق والاشتياق والود والتجريد ونحوها وأب مراعي الشهوات الحيوانية فبعض هذه النعم الشريفة مخصوص بالخواص كالأرواح والأسرار والقلوب وبعضها بالعوام كالنفوس البشرية والقوى الطبيعية العنصرية.

﴿فإذا جاءت الصاخة﴾ شروع في بيان أحوال معادهم أثر بيان مبدأ خلقهم ومعاشهم والفاء للدلالة على ترتب ما بعدها على ما قبلها من فناء النعم عن قريب كما يشعر لفظ المتاع بسرعة زوالها وقرب اضمحلالها وجواب إذا محذوف يدل عليه ﴿يوم يفر﴾ الخ أي اشتغل كل أحد بنفسه والصاخة هي الداهية العظيمة التي يصخ لها الخلائق أي يصيخون لها من صخ لحديثه إذا أصاخ واستمع وصفت بها النفخة الثانية لأن الناس يصخون لها في قبورهم فأسند الاستماع إلى المسموع مجازاً وقيل هي الصيحة التي تصم الآذان لشدة وقعها وقيل هي مأخوذة من صخه بالحجر أي صكه فتكون الصاخة حقيقة في النفخة.

﴿يوم يفر المرء﴾ روزي كه بكريزد مرد ﴿من أخيه﴾ ازبرادر خودبار وجود موانست ومهرباني.

﴿وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿وأمه﴾ واز مادر خود باكثرت حقوق كه او راست ﴿وأبيه﴾ واز پدر خود باجود شفقت وعاطفت كهل از وديده.

﴿وصاحبته﴾ واز زن خودبا آنكه مونس روزكار او بوده. ﴿وبنيه﴾ وازفر زندان خود باخيال استظهار بديشان، أي: يعرض الإنسان عنهم ولا يصاحبهم ولا يسأل عن حالهم كما في الدنيا لاشتغاله بحال نفسه ولعلمه أنهم لا يغنون عنه شيئاً فقوله ﴿يوم﴾ منصوب بأغنى تفسيراً للصاخة تأخير الأحب للمبالغة لأن الأبوين أقرب من الأخ وتعلق القلب بالصاحبة والأولاد أشد من تعلقه بالأبوين وهذه الآية تشمل النساء كما تشمل الرجال ولكنها خرجت مخرج كلام العرب حيث تدرج النساء في الرجال في الكلام كثيراً.

قال عبد الله بن طاهر الأبهري قدس سره: يفر منهم إذا ظهر له عجزهم وقلة حيلتهم إلى من يملك كشف تلك الكروب والهموم عنه ولو ظهر له ذلك في الدنيا لما اعتمد على سوى ربه الذي لا يعجزه شيء وتمكن من فسحة التوكل واستراح في ظل التفويض وفي الآية إشارة إلى فرار مرء القلب عن أخيه السر وأمه النفس وأبيه الروح وصاحبته القوى البشرية وبنيه الأعمال والأحوال لأن في ذلك اليوم لا يتخلص أحد بعمله بل بفضله وطوله كما قال عليه السلام: «لن يدخل أحدكم الجنة بعمله، قالوا ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بغفرانه». ﴿لكل امرىء منهم يومئذٍ شأن يغنيه﴾ استئناف وارد لبيان سبب الفرار والشأن لا يقال إلا فيما يعظم من الأحوال والأمور أي لكل واحد من المذكورين شغل شاغل وخطب هائل يكفيه في الاهتمام به قال ابن الشيخ أي الهم الذي حصل له قد ملأ صدره فلم يبق فيه متسع فصار بذلك شبيهاً بالغني في أنه ملك شيئاً كثيراً ودرباب مشغولىء قيامت فرد الدين عطار راقدس سره حكايتي منظوم است.

كـشـتـئ آورد در دريـا شـكـسـت	تـخـتـهٔ زان جـمـلـه بـر بـالا نـشـسـت
كـربـه ومـوشـى دران تـخـتـه بـمـانـد	كـارشـان بـايـكـدكـر بـچـنـه بـمـانـد
نـه ذكـر بـه مـوش را روى كـريـز	نـه بـمـوش آن كـربـه راچـنـكـال تـيـز
هـردوشـان ازهـول دريـاي عـجـب	در تـحـيـر بـازمـانـد خـشـك لـب
درقـيـامـت نـيـز ايـن غـوغـا بـود	يـعـنـي آنـجـانـي تـوونـى مـا بـود

وفي الخبر: «أن عائشة رضي الله عنهما، قالت يا رسول الله كيف يحشر الناس قال حفاة عراة: قالت وكيف تحشر النساء قال حفاة عراة قالت عائشة: واسوأتاه النساء مع الرجال حفاة عراة فقرأ رسول الله عليه السلام هذه الآية ﴿لكل امرىء﴾» الخ. وأما الفرار حذراً من مطالبتهم بالتبعات بأن يقول الإنسان واسيتني بمالك والأبوان قصرت في برنا والصاحبة أطعمتني الحرام وفعلت وصنعت والبنون ما علمتنا وما أرشدتنا أو بغضاً لهم كما يروى عن ابن عباس رضي الله عنهما أن يفر قابيل من أخيه هابيل ويفر النبي من أمه وإبراهيم من أبيه ونوح من ابنه ولوط من امرأته فليس من قبيل الفرار المذكور وكذا ما يروى أن الرجل يفر من أصحابه وأقربائه لئلا يروه على ما هو عليه من سوء الحال، قال بعض المشايخ: من كان اليوم مشغولاً بنفسه فهو غداً مشغول بنفسه ومن كان اليوم مشغولاً بربه فهو غداً مشغول بربه وقال يحيى بن معاذ: إذا شغلتك نفسك في دنياك وعقباك عن ربك أما في الدنيا ففي طلب مرادها واتباع شهواتها وأما في الآخرة فكما أخبر الله عنه بقوله: ﴿لكل امرىء منهم﴾ الخ فمتى تفرغ إلى معرفة ربك

وطاعته وقال بعضهم: العارف مع الخلق ولكنه يفارقهم بقلبه كما قيل:

ولقد جعلتك في الفؤاد محدثي وابحت جسمي من أراد جلوسي

﴿وجوه يومئذٍ مسفرة﴾ بيان لمآل أمر المذكورين وانقسامهم إلى السعداء والأشقياء بعد ذكر وقوعهم في داهية دهياء فوجوه مبتدأ وإن كانت نكرة لكونها في حيز التنوين ومسفرة خبره ويومئذٍ أي: يوم إذ يفر المرء متعلق به أي مضيئة متهللة بنورية ذواتهم وصفاتها من أسفر الصبح إذا أضاء فهو من لوازم الأفعال، قال في «المفردات»: الأسفار يختص باللون ومسفرة أي مشرق لونها وعن ابن عباس رضي الله عنهما إن ذلك من قيام الليل، وفي الحديث: «من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار» وعن الضحاك من آثار الوضوء وقيل من طول ما اغبرت في سبيل الله.

﴿ضاحكة مستبشرة﴾ بما تشاهد من النعيم المقيم والبهجة الدائمة.

قال الكاشفي: [ضاحكة خندان مستبشرة شادمنان وفرحناك بسبب نجات ازنيران ووصول بورضهء جنان].

وفي بعض التفاسير: ضاحكة مسرورة فرحة لما علم من الفوز والسعادة أو لفراغه من الحساب بالوجه اليسير مستبشرة أي ذات بشارة بالخير كأنه بيان لقوله ﴿ضاحكة﴾ انتهى. وفي «عين المعاني» ضاحكة من مسرة العين مستبشرة من مسرة القلب وقيل: من الكفار شماتة وبأنفسهم فرحاً وقال ابن طاهر رحمه الله كشف عنها ستور الغفلة فضحكت بالدنو من الحق واستبشرت بمشاهدته وقال ابن عطاء رحمه الله: أسفرت تلك الوجوه بنظرها إلى مولاها وأضحكها رضي الله عنها، وقال سهل رحمه الله: منورة بنور التوحيد واتباع السنة.

وفي «التأويلات النجمية»: وجوه أرباب الأرواح والأسرار والقلوب العارفين بالمعارف الإلهية والحقائق اللاهوتية مضيئة بأنوار العلوم والحكم ضاحكة مستبشرة بنعم المكاشفات ومنح المشاهدات.

يقول الفقير: ﴿وجوه يومئذٍ مسفرة﴾ لابيضاضها في الدنيا بالتزكية والتصفية وزوال كدورتها ضاحكة لأنها بكت في الله أيام دنياها حتى صارت عمياء عن رؤية ما سوى الله تعالى مطلقاً كما وقع لشعيب ويعقوب عليهما السلام مستبشرة لأمنها بدل خوفها في الدنيا ولذا قال: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤] بأن تقول لهم الملائكة لا تخافوا وأبشروا بالجنة والرؤية والضحك انبساط الوجه وتكشر الأسنان من سرور النفس ولظهور الأسنان عنده سميت مقدمات الأسنان ضواحك ويستعمل في السرور المجرد كما في الآية. قال الراغب: واستبشر أي وجد ما يبشره من الفرح وبشرته أخبرته بسار بسط بشرة وجهه وذلك أن النفس إذا سرت انتشر الدم انتشار الماء في الشجرة.

﴿ووجوه يومئذٍ عليها غبرة﴾ أي: غبار وكدورة وفي الخبر يلجم الكافر العرق ثم تقع الغبرة على وجوههم وقيل هي غبرة الفراق والذل.

﴿ترهقها﴾ أي تعلوها وتغشاها ﴿قترة﴾ أي سواد وظلمة كالدخان ولا ترى أوحش من اجتماع الغبرة والسواد في الوجه كما إذا أغبر وجه الزنجي. قال الراغب: القتر هو الدخان الساطع من الشواء والعود ونحوهما وقترة نحو غبرة وذلك شبه دخان يغشى الوجه من الكذب قال السري قدس سره: ظاهر عليها حزن البعاد لأنها صارت محجوبة من الباب مطرودة وقال

سهل قدس سره: غلب عليها إعراض الله عنها ومقته إياها فهي تزداد في كل وقت ظلمة وقترة.

﴿أولئك هم الكفرة الفجرة﴾ أي: أولئك الموصوفون بسواد الوجه وغبرته هم الجامعون بين الكفر والفجور فلذا جمع الله إلى سواد وجوههم الغبرة وفي الحديث: «إن البهائم إذا صارت تراباً يوم القيامة حول ذلك التراب في وجوه الكفار» وفي «عين المعاني» أولئك هم الكفرة في حقوق الله الفجرة في حقوق العباد انتهى. وفيه إشارة إلى أن الفجور الغير المقارن بالكفر ليس في درجة المقارن في المذمومية والسببية للحقارة والخذلان إذ أصل الفجور الكذب والميل عن الحق ويستعمل في الذنب الكبير وكثيراً ما يقع ذلك من المؤمن العاصي لكن ينبغي أن يخاف منه ويحذر عنه لأن كبائر الذنب تجر إلى الكفر كما أن صغائره تجر إلى الكبائر.

[يكى از جملهٔ بزركان دين كفته كه اين زر وسيم وأنواع أموال نه عين دنيا ست كه اين ظروف وأوعيهٔ دنياست همچنين حركات وسكنات وطاعات بنده نه عين دين است كه آن ظروف وأوعيهٔ دين است دين جمله سوز ودر داست ودنيا همه حسرت وباد سرد است قارون آن همه زر وسيم وأنواع أموال كه داشت مكروه نبود بازاز وچون حقوق حق تعالى طلب كردند امتناع نمود وحقوق حق نكزارد وكشش أو بجانب زر وسيم وأموال دنيا مكروه بود أي بساكساكه دانكى درخواب نديد وفردا فرعون أهل دنيا خواهد بودكه دل أو آلودهٔ حرص دنياست وأي بساكساكه أموال دنيا در ملك أو نهادند وفردا دل خويش باز سپاردكه داغي ازين دنيا بروى ظاهر نبودسر انجام مرد دينداد دنيا كذار اينست كه در آخر سوره كفت **﴿وجوه يومئذٍ مسفرة﴾** ضاحكة مستبشرة وعاقبت كار دنيا كار دين كذار اينست كه كفت **﴿وجوه يومئذٍ عليها غبرة﴾** الخ] وقال بعضهم وجوه أصحاب النفوس المتمردة وأرباب الهوى عليها غبرة الأنانية وغبار الأنية يغطيها سواد الاثنينية وظلمة الثنوية هم الذين ستروا وجود الحق بغبرة وجودهم وشقوا وقطعوا نفوسهم المظلمة عن متابعة الأرواح المنورة عصمنا الله وإياكم من ذلك.

تمت سورة عبس بفضل الله تعالى يوم الاثنين ثامن صفر الخير من شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف

٨١ ــ سورة التكوير

تسع أو ثمان وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ۝٤﴾.

﴿إذا الشمس كورت﴾ ارتفاع الشمس على أنه فاعل لفعل مضمر يفسره المذكور لا فاعله لأن الفاعل لا يتقدم وعند البعض على الابتداء لأن التقدير خلاف الأصل والأول أولى لأن إذا فيها معنى الشرط والشرط مختص بالفعل وعلى الوجهين الجملة في محل الجر بإضافة إذا إليها، ومعنى كورت لفت من كورت العمامة إذا لففتها بضم بعض أجزائها لبعض على جهة الاستدارة على أن المراد بذلك إما رفعها وإزالتها عن مقرها فإن الثوب إذا أريد رفعه عن مكانه وستره بجعله في صندوق أو غيره يلف لفاً ويطوي نحو قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] فكان بين السماء والرفع علاقة اللزوم فتكويرها كناية عن رفعها قال سعدي المفتي: ولا مانع من إرادة المعنى الحقيقي أيضاً وكون الشمس كرة مصمتة على تسليم صحته لا يمنع من تلك الإرادة لجواز أن يحدث الله فيها قابلية التكوير بأن يصيرها منبسطة ثم يكورها إن الله على كل شيء قدير انتهى.

وأما لف ضوئها المنبسط في الآفاق المنتشر في الأقطار بأن يكون إسناد كورت إلى ضمير الشمس مجازياً أو بتقدير المضاف على أنه عبارة عن إزالتها والذهاب بها بحكم استلزام زوال اللازم لزوال الملزوم، فاللف على هذا مجاز عن الإعدام إذ لا مساغ لإرادة المعنى الحقيقي لأن الضوء لكونه من الأعراض لا يتصور فيه اللف، وقال بعضهم: إن الله قادر على أن يطمس نورها مع بقائها، فقول «الكشاف» لأنها ما دامت باقية كان ضياؤها منبسطاً غير ملفوف فيه نظر انتهى. وجوابه ما أشير إليه من حكم الاستلزام وقيل معنى كورت ألقيت من فلكها على وجه الأرض كما وصفت النجوم بالانكدار من طعنه فكوره إذا ألقاه على الأرض وفي الحديث: «إن الشمس والقمر نوران مكوران في النار يوم القيامة» أي: مرميان فيها ولما ذكر هذا الحديث عند الحسن البصري رحمه الله، قال: وما ذنبهما؟ وقال الإمام: سؤال الحسن ساقط لأن الشمس والقمر جمادان فالقاؤهما في النار لا يكون سبباً لمضرتهما ولعل ذلك يكون سبباً لازدياد الحر في جهنم وكذا قال الطيبي: تكويرهما فيها ليعذب بهما أهل النار

لا سيما عباد الأنوار لا ليعذبهما في النار فإنهما بمعزل عن التكليف بل سبيلهما في النار سبيل النار نفسها وسبيل الملائكة الموكلين بها انتهى. وكذا قال في تفسير الفاتحة للفناري إن السماء إذا طويت واحدة بعد واحدة يرمي بكواكبها في النار.

يقول الفقير: قول الحسن أدق فإن النور لا يلحق بالنار إلا أن يكون فيه مرتبة النارية أيضاً فالشمس يلحق نورها بنور العرش ونارها بنار جهنم وقد سبق في سورة النبأ فارجع، فإن قيل: كيف يمكن تكويرهما في النار وقد ثبت بالهندسة أن قرص الشمس في العظم يساوي كرة الأرض مائة وستين مرة، وربع الأرض وثمنها؟ أجيب بأن الله تعالى قادر على أن يدخلها في قشرة جوزة على ذلك العظم.

يقول الفقير: قد ثبت أن الله تعالى يمد الأرض يوم القيامة فتكون أضعاف ما كانت عليه على أن وسعة الدارين تابعة لكثرة أهلهما ووسعتهم لأنه ثبت أن ضرس الكافر مثل جبل أحد وجسمه مسيرة ثلاثة أيام فإذا كان جسد كل كافر على هذا الغلظ وأعظم فاعتبر منه وسعة جهنم فقرص الشمس في النار كجوزة في وسط بيت واسع ولا يعرف حد الدارين إلا الله تعالى.

﴿**وإذا النجوم**﴾ جمع نجم وهو الكوكب الطالع وبه شبه طلوع النبات والرأي فقيل نجم النبت والرأي نجماً ونجوماً فالنجم اسم مرة ومصدر أخرى﴿**انكدرت**﴾ أي: تناثرت وتساقطت بالسرعة كما قال: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الانفطار: ٢] والأصل في الانكدار الانصباب فإن السماء تمطر يومئذٍ نجومها فلا يبقى في السماء نجم إلا وقع على وجه الأرض وذلك أن النجوم على ما روى ابن عباس رضي الله عنهما، في قناديل معلقة بين السماء والأرض بسلاسل من نور وتلك السلاسل بأيدي ملائكة من نور فإذا مات من في السماوات ومن في الأرض تساقطت تلك الكواكب من أيديهم؛ لأنه مات من يمسكها، وفيه إشارة إلى طي ضوء شمس الروح الذي هو الحياة وقبضه عن البدن وإزالته وتناثر نجوم الحواس العشر الظاهرة والباطنة وأيضاً إلى تكوير الوجود الإضافي المنعكس من الوجود المطلق الحقيقي عند ظهور الحقيقة وإلى اضمحلال نجوم الهويات وهياكل الماهيات بحيث لا يبقى لها أثر لأنها نسب عدمية واعتبارات محضة.

﴿**وإذا الجبال سيرت**﴾ رفعت عن وجه الأرض وأبعدت عن أماكنها بالرجفة الحاصلة لا في الجو كالسحاب فإن ذلك بعد النفخة الثانية والسير المضي في الأرض والتسيير ضربان باختيار وإرادة من السائر نحو: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ﴾ [يونس: ٢٢] وبقهر وتسخير كتسيير الجبال وفيه إشارة إلى جبال الأعضاء والجوارح الراسيات سيرت عن أرض تعيناتها وأيضاً إلى جبال الأنواع والأجناس الواقعة في عالم التعينات.

﴿**وإذا العشار**﴾ جمع عشراء كنفاس ونفساء وليس فعلاء يجمع على فعال غير عشراء ونفساء كما في «القاموس» والعشراء: هي الناقة التي أتى على حملها عشرة أشهر وهو اسمها إلى أن تضع لتمام السنة وهي أنفس أموال العرب ومعظم أسباب معاشهم.

﴿**عطلت**﴾ العطل فقدان الزينة والشغل ويقال لمن يجعل العالم بزعمه فارغاً عن صانع اتقنه وزينه ورتبه معطل وعطل الدار عن ساكنيها والإبل عن راعيها والمعنى وإذا العشار تركت مسيبة مهملة غير منظور إليها مع كونها محبوبة مرغوبة عند أهلها لاشتغال أهلها بأنفسهم وذلك عند مجيء مقدمات قيام الساعة فإن الناس حينئذٍ يتركون الأموال والأملاك ويشتغلون بأنفسهم

كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [الشعراء: ٨٨] وقال الإمام أبو الليث وغيره: هذا على وجه المثل لأن في القيامة لا تكون ناقة عشراء يعني أن هول القيامة بحال لو كان للرجل ناقة عشراء لعطلها واشتغل بنفسه لعلهم جعلوا يوم القيامة ما بعد النفخة الثانية أو مبادي الساعة من القيامة لكن يمكن وجود العشراء في المبادي فلا يكون تمثلاً وفيه إشارة إلى النفوس الحاملات أحمال الأعمال والأحوال وأيضاً إلى تعطيل عشار الأرجل المنتفع بها في السير عن الاستعمال في المشي وترك الانتفاع بها.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ﴿٦﴾﴾

﴿وإذا الوحوش﴾ قال في «القاموس»: الوحش حيوان البر كالوحيش والجمع وحوش ووحشان والواحد وحشي قال ابن الشيخ: هو اسم لما لا يستأنس بالإنسان من حيوان البر والمكان الذي لا إنس فيه وحش وخلاف الوحشي الأهلي **﴿حشرت﴾** أي: جمعت من كل جانب واختلط بعضها ببعض وبالناس مع نفرة بعضها عن البعض وعن الناس أيضاً وتفرقها في الصحارى والقفار وذلك الجمع من هول ذلك اليوم وقيل بعثت للقصاص إظهاراً للعدل قال قتادة: يحشر كل شيء حتى الذباب للقصاص فإذا قضى بينها ردت تراباً فلا يبقى منها إلا ما فيه سرور لبني آدم وإعجاب بصوته أو صورته كالطاووس والبلبل ونحوهما فإذا بعثت الحيوانات للقصاص تحقيقاً لمقتضى العدل فكيف يجوز مع هذا إن لا يحشر المكلفون من الإنس والجن وفيه إشارة إلى القوى البشرية الطبيعية النافرة عن جناب الحق وباب القدس بأن أهلكت وأفنيت وجمعت إلى ما منه بدت.

﴿وإذا البحار سجرت﴾ أي: أحميت أو ملئت بتفجير بعضها إلى بعض حتى تعود بحراً واحداً مختلطاً عذبها بملحها وبالعكس فتعم الأرض كلها من سجر التنور إذا ملأه بالحطب ليحميه وجه الإحماء أن جهنم في قعور البحار إلا أنها الآن مطبقة لا يصل أثر حرارتها إلى ما فوقها من البحار ليتيسر انتفاع أهل الأرض بها فإذا انتهت مدة الدنيا يرفع الحجاب فيصل تأثير تلك النيران إلى البحار فتسخن فتصير حميماً لأهل النار أو تبعت عليها ريح الدبور فتنفخها وتضربها فتصير ناراً على ما قاله ابن عباس رضي الله عنهما في وجه الإحماء.

[در فتوحات مذكور است كه هركاه كه عبد الله بن عمر رضي الله عنهما دريارا بديدي كفتي] يا بحر متى تعود ناراً ووجه الامتلاء أن الجبال تندك وتفرق أجزاؤهما وتصير كالتراب الهائل الغير المتماسك فلا جرم تنصب أجزاؤها في أسافلها فتمتلىء المواضع الغائرة من الأرض فيصير وجه الأرض مستوياً مع البحار فتصير البحار بحراً واحداً مسجوراً أي ممتلئاً وقال بعضهم: ملئت بإرسال عذبها على مالحها ثم أسيلت حتى بلغت الثور فابتلعها فلما بلغت إلى جوفه نفدت وعن الحسن رحمه الله يذهب ماؤها حتى لا يبقى فيها قطرة.

قال الراغب: وإنما يكون كذلك لتسجير النار فيها أي: إضرامها والتشديد في مثل هذه الأفعال قد يكون لتكثير الفعل وتكريره والتخفيف يحتمل القليل والكثير وخصت هذه السورة بسجرت موافقة لقوله: **﴿سعرت﴾** لأن معنى سجرت عند أكثر المفسرين أوقدت فصارت ناراً فيقع التوعد بتسعير النار وتسجير البحار وخصت سورة الانفطار بفجرت موافقة لقوله: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ﴾ [الانفطار: ٢] لأن في كل من تساقط الكواكب وسيلان المياه على وجه الأرض وبعثرة

القبور أي قلب ترابها مزايلة الشيء عن مكانه فلا في كل واحد قرينه وفيه إشارة إلى بحار المعرفة الذاتية والحكم الصفاتية والعلوم الاسمائية فإنها إذا اتحدت بالتجلي الوحداني تصير بحراً واحداً وهو بحر الذات المشتمل على جميع المراتب وإلى البحار الحاصلة من اعتبارات الوجود وشؤونه الكلية ظاهراً أو باطناً غيباً وشهادة دنيا وآخرة فإنها قد جمعت واتحدت فصار بحر الوجود بحراً واحداً زخاراً لا ساحل له ولا قعر وإلى بحار العناصر بأنه فجر بعضها إلى بعض واتصل كل جزء بأصله فصارت بحراً واحداً.

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ۝٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ۝٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ۝١٠﴾.

﴿وإذا النفوس﴾ الظاهر نفوس الإنسان ويحتمل أن تعم الجن أيضاً كما في بعض التفاسير.

﴿زوجت﴾ التزويج جعل أحد زوجاً لآخر وهو يقتضي المقارنة، أي قرنت بأجسادها بأن ردت إليها أو قرنت كل نفس بشكلها وبمن كان في طبقتها في الخير والشر فيضم الصالح إلى الصالح والفاجر إلى الفاجر أو قرنت بكتابها أو بعملها فالنفوس المتمردة زوجت بأعمالها السيئة والمطمئنة بأعمالها الحسنة أو نفوس المؤمنين بالحور ونفوس الكفرة بالشياطين وفيه إشارة إلى أن الأرواح الفائضة على هياكل الأشباح من عالم الأمر قرنت ببواعثها وموجباتها التي هي الأسماء والصفات الإلهية وأسبابها اللاهوتية.

﴿وإذا الموؤودة﴾ أي المدفونة حية يقال وأد بنته يئدها وإذا وهي موؤودة إذا دفنها في القبر وهي حية وكانت العرب تئد البنات مخافة الإملاق أو الاسترقاق أو لحوق العار بهم من أجلهن وكانوا يقولون: إن الملائكة بنات الله فألحقوا البنات به فهو أحق بهن قال في: «الكشاف» كان الرجل إذا ولدت له بنت فأراد أن يستحييها ألبسها جبة من صوف أو شعر ترعى له الإبل والغنم في البادية وإن أراد قتلها تركها حتى كانت سداسة أي بلغت ست سنين فيقول لأمها طيبيها وزينيها حتى أذهب بها إلى أحمائها وقد حفر لها بئراً في الصحراء فيبلغ بها البئر فيقول لها انظري فيها ثم يدفعها من خلفها ويهيل عليها التراب حتى يستوي البئر بالأرض وقيل كانت الحامل إذا قربت حفرت حفرة فتمخضت على رأس الحفرة فإذا ولدت بنتا رمت بها في الحفرة وإن ولد ابنا حبسته.

﴿سئلت﴾ أي سألها الله بنفسه إظهاراً للعدالة أو بأمره للملك ﴿بأي ذنب﴾ من الذنوب الموجبة للقتل عقلاً ونقلاً. ﴿قتلت﴾ قتلها أبوها حية فعلاً أو رضى وتوحية السؤال إليها لتسليتها وإظهار كمال الغيظ والسخط لوائدها وإسقاطه عن درجة الخطاب والمبالغة في تبكيته كما في قوله تعالى: ﴿ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ﴾ [المائدة: ١١٦] ولذا لم يسأل الوائد عن موجب قتله لها، وجه التبكيت أن المجني عليه إذا سئل بمحضر من الجاني ونسب إليه الجناية دون الجاني كان ذلك بعثاً للجاني على التفكر في حال نفسه وحال المجني عليه فيعثر على براءة ساحة صاحبه وعلى أنه هو المستحق لكل نكال فيفحم وهذا نوع من الاستدراج واقع على طريق التعريض وهو أبلغ فلذلك اختير على التصريح وإنما قيل قتلت على الغيبة لما إن الكلام أخبار عنها لا حكاية لما خوطبت به حين سئلت ليقال قتلت على الخطاب وعلى قراءة سألت أي الله أو قاتلها لا حكاية لكلامها حين سئلت ليقال قتلت على الحكاية عن نفسها وعن

ابن عباس رضي الله عنهما أنه سئل عن أطفال المشركين فقال لا يعذبون واحتج بهذه الآية فإنه ثبت بها أن التعذيب لا يستحق إلا بالذنب، وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أن الوائدة والموؤودة في النار أي: إذا كانت الموؤودة بالغة وفيه إشارة إلى أن الأعمال المشوبة بالرياء المخلوطة بالسمعة والهوى، سئلت بأي سبب أبطلت نوريتها وروحانيتها وأيضاً سئلت موؤودة النفس الناطقة التي أثقلتها وآئدة النفس الحيوانية في قبر البدن وأهلكتها بأي ذنب قتلت أي طلب إظهار الذنب الذي به استولت النفس الحيوانية على الناطقة من الغضب أو الشهوة أو غيرهما فمنعتها عن خواصها وأفعالها وأهلكتها فأظهر فكنى عن طلب إظهاره بالسؤال ولهذا قال عليه السلام الوائدة والموؤودة في النار لأن النفس الناطقة في النار مقارنة للنفس الحيوانية كذا قال القاشاني.

﴿وإذا الصحف نشرت﴾ أي: صحف الأعمال فإنها تطوى عند الموت وتنشر عند الحساب أي: تفتح فيعطاها الإنسان منشورة بأيمانهم وشمائلهم فيقف على ما فيها وتحصى عليه جميع أعماله فيقول: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩] وفي الحديث «يحشر الناس عراة حفاة» فقالت أم سلمة رضي الله عنها: فكيف بالنساء فقال: «شغل النساء يا أم سلمة قالت وما شغلهم قال: «نشر الصحف فيها مثاقيل الذرة ومثاقيل الخردل» وقيل: نشرت أي: فرقت بين أصحابها وعن مرثد بن وادعة إذا كان يوم القيامة تطايرت الصحف من تحت العرش فتقع صحيفة المؤمن في يده في جنة عالية وتقع صحيفة الكافر في يده في سموم وحميم أي: مكتوب فيها ذلك وهي صحف غير صحف الأعمال وفيه إشارة إلى صحائف القوى والنفوس التي فيها هيئات الأعمال تطوى عند الموت وتكوير شمس الروح وتنشر عند البعث والعود إلى البدن.

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ ﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾﴾

﴿وإذا السماء كشطت﴾ قلعت وأزيلت بحيث ظهر ما وراءها وهو الجنة والعرش كما يكشط الإهاب عن الذبيحة والغطاء عن الشيء المستور به. قال الراغب: هو من كشط الناقة أي: تنحية الجلد عنها منه استعير انكشط روعه أي زال وفيه إشارة إلى كشط سماء الأرواح عن أرض الأشباح وإلى طي ظهور الأسماء والصفات إلى البطون والخفاء.

﴿وإذا الجحيم سعرت﴾ أي: أوقدت للكافرين إيقاداً شديداً لتحرقهم إحراقاً أبدياً سعرها غضب الله وخطايا بني آدم فإسعار النار زيادة التهابها لا حدوثها ابتداء وبه يندفع احتجاج من قال النار غير مخلوقة الآن لأنها تدل على أن تسعرها معلق بيوم القيامة وذلك لأن فيه الزيادة والاشتداد وفيه إشارة إلى جحيم الخسران والخذلان فإنها أوقدت باحطاب الأعمال السيئة وأحجار الأحوال القبيحة خصوصاً نار الغضب والشهوة التي كانوا عليها في هذه النشأة.

﴿وإذا الجنة أزلفت﴾ الإزلاف التقريب بالفارسية [نزديك كردن].

أي قربت من المتقين ليدخلوها كقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الشعراء: ٩٠] غير بعيد وعن الحسن رحمه الله أنهم يقربون منها لا أنها تزول عن موضعها فالمراد من التقريب التعكيس للمبالغة كما في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [الأحقاف: ٢٠] حيث تعرض النار عليهم تحقيراً وتحسيراً فقلب مبالغة ويحتمل أن يكون المراد التقريب المعنوي وهو

جعل أهلها مستحقين لدخولها مكرمين فيها وفيه إشارة إلى تقريب نعيم آثار الرضى واللطف من المتقين وكذا جنة الوصول والوصال لمحبي الجمال والكمال كما قيل: هذه اثنتا عشر خصلة ست منها في الدنيا أي فيما بين النفختين وهن من أول السورة إلى قوله ﴿وإذا البحار سجرت﴾ على أن المراد بحشر الوحوش جمعها من كل ناحية لا بعثها للقصاص وست في الآخرة أي بعد النفخة الثانية وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: ست آيات قبل القيامة بينما الناس في أسواقهم إذ ذهب ضوء الشمس، فبينما هم كذلك إذ تناثرت النجوم، فبينما هم كذلك إذ وقعت الجبال على وجه الأرض فتحركت واضطربت وفزعت الجن إلى الإنس والإنس إلى الجن واختلطت الدواب والطير والوحوش وماج بعضهم في بعض فحينئذٍ تقول الجن للإنس نحن نأتيكم بالخبر فينطلقون إلى البحر فإذا هو نار تتأجج، أي: تتهلب، قال فبينما هم كذلك إذ صدعت الأرض صدعة واحدة إلى الأرض السابعة السفلى وإلى السماء السابعة العليا فبينما هم كذلك إذ جاءتهم الريح فأماتتهم كذا في المعالم.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾﴾.

﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ أي: علمت كل نفس من النفوس ما أحضرته على حذف الراجع إلى الموصول فنفس في معنى العموم كما صرح به في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عمران: ٣٠] وقوله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُواْ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ﴾ [يونس: ٣٠] وقولهم: إن النكرة في سياق الإثبات لا تعم بل هي للأفراد النوعية غير مطرد ويجوز أن يكون التنوين للأفراد الشخصية إشعاراً بأنه إذا علمت حينئذٍ نفس من النفوس ما أحضرت وجب على كل نفس إصلاح عملها مخافة أن تكون هي التي علمت ما أحضرت فكيف وكل نفس تعلمه على طريقة، قولك لمن تنصحه لعلك ستندم على ما فعلت وربما ندم الإنسان على ما فعل فإنك لا تقصد بذلك أن ندمه مرجو الوجود لا متيقن به أو نادر الوقوع بل تريد أن العاقل يجب عليه أن يجتنب أمراً يرجى فيه الندم أو قلما يقع فيه فكيف به إذا كان قطعي الوجود كثير الوقوع، والمراد بما أحضرت أعمالها من الخير والشر وبحضورها إما حضور صحائفها كما يعرب عنه نشرها وإما حضور أنفسها لأن الأعمال الظاهرة في هذه النشأة بصور عرضية تبرز في النشأة الآخرة بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح على كيفيات مخصوصة وهيئات معينة وإسناد حضورها إلى النفس مع أنها تحضر بأمر الله لما أنه عملتها في الدنيا كأنها أحضرتها في الموقف، ومعنى علمها بها حينئذٍ أنها تشاهدها على ما هي عليه في الحقيقة فإن كانت صالحة تشاهدها على صور أحسن مما كانت تشاهدها عليه في الدنيا لأن الطاعات لا تخلو فيها عن نوع مشقة وقد ورد حفت الجنة بالمكاره وإن كانت سيئة تشاهدها على ما هي عليه ههنا لأنها كانت مزينة لها موافقة لهواها كما ورد وحفت النار بالشهوات وقال بعضهم: العلم بالأعمال كناية عن المجازاة عليها من حيث إن العلم لازم للمجازاة وقوله علمت إلخ جواب إذا على أن المراد بها زمان واحد متسع محيط بما ذكر من أول السورة إلى هنا من الاثني عشر شيئاً مبدأ النفخة الأولى ومنتهاه فصل القضاء بين الخلائق لكن لا بمعنى أنها تعلم ما تعلم في كل جزء من أجزاء ذلك الوقت المديد أو عند وقوع داهية من تلك الدواهي بل عند

نشر الصحف إلا أنه لما كان بعض تلك الدواهي من مباديه وبعضها من روادفه نسب علمها بذلك إلى زمان وقوع كلها تهويلاً للخطب وتفظيعاً للحال، وعن عمر وابن عباس رضي الله عنهم أنهما قرأ السورة فلما بلغا إلى قوله: ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ قالا: لهذه أجريت القصة، وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن قارئاً قرأها عنده فلما بلغ ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ قال وانقطاع ظهراه أي: قاله خوفاً من القيامة ومجازاة الأعمال.

[در آنروز هر نفسي بيندكه باهر خيري كرامتي وعطاييست وباهر شرى ملامتي وجزايي برنيكى حسرت خوردكه چرا زياده نكردم وبريدى اندوه كشدكه چرا مباشر شدم وآن حسرت واندوه هيچ فائده نداود].

تــوامـروز فـرصـت غـنـيـمـت شـمـار كـه فـردا نـدامـت نـيـايـد بـكـار
بـكـوش أي تـوانـاكـه فـرمـان بـرى كـه در نـاتـوانـي بـسـى غـم خـورى

وفي الحديث: «العبد المؤمن بين مخافتين عمر قد مضى لا يدري ما الله صانع فيه، وأجل قد بقي لا يدري ما الله قاضٍ فيه» فليتزود العبد لنفسه من نفسه ومن دنياه لآخرته ومن الشبيبة قبل الكبر ومن الحياة قبل الممات فوالله ما بعد الموت من مستعتب وما بعد الدنيا إلا الجنة والنار وقال الواسطي قدس سره في الآية علمت كل نفس وأيقنت إن ما علمت واجتهدت لا يصلح لذلك المشهد، وإن من أكرم بخلع الفضل نجا ومن قرن بجزاء أعماله هلك وخاب وفي برهان القرآن هنا ﴿علمت نفس ما أحضرت﴾ وفي الانفطار ﴿مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾ [الانفطار: ٥] لأن ما في هذه السورة متصل بقوله ﴿وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ [الانفطار: ٤] والقبور كانت في الدنيا فتتذكر ما قدمت في الدنيا وما أخرت للعقبى فكل خاتمة لائقة بمكانها وهذه السورة من أولها إلى آخرها شرط وجزاء وقسم وجواب.

﴿فلا أقسم﴾ لا صلة أورد لكلام سابق أي: ليس الأمر كما تزعمون أيها الكفرة من أن القرآن سحر أو شعر أو أساطير ثم ابتدأ فقال أقسم: ﴿بالخنس﴾ جمع خانس وهو المتأخر من خنس الرجل عن القوم خنوساً من باب دخل إذا تأخر وأصل الخنوس الرجوع إلى خلف والخناس الشيطان لأنه يضع خرطومه على قلب العبد فإذا ذكر الله خنس وإذا غفل عاد إلى الوسوسة والمعنى أقسم بالكواكب الرواجع وهي ما عدا النيرين من الدراري الخمسة وهي المريخ بالكسر ويسمى بهرام أيضاً وزحل ويسمى كيوان أيضاً وعطارد ويسمى الكاتب أيضاً والزهرة وتسمى أناهيد أيضاً والمشتري ويسمى روايس وبرجيس أيضاً وما من نجم يقطع المجرة غير الخمسة فلذا أخضها ونظمها بعضهم والنيرين فقال:

هـفـت كـوكـب كـه هـسـت كـبـتـي را كـاه ازايـشـان مـدار وكـاه خـلـل
قـمـر سـت وعـطـارد وزهـره شـمـس ومـريـخ ومـشـتـري وزحـل

وهي الكواكب السبعة السيارة كل منها يجري في فلك فالقمر في الأول وما يليه في الثاني وهكذا على الترتيب.

﴿الجواري الكنس﴾ الجواري جمع جارية بمعنى سائر والكنس جمع كانس وهو الداخل في الكناس المستتر به وصفت الخنس بهما لأنها تجري في أفلاكها أو بأنفسها على ما عليه أهل الظواهر مع الشمس والقمر وترجع حتى تخفي تحت ضوء الشمس فخنوسها رجوعها بينا ترى النجم في آخر البرج إذ كر راجعاً إلى أوله فرجوعه من آخر البرج إلى أوله هو الخنوس

وكنوسها اختفاؤها تحت ضوئها وأما القمران فلا يكنسان بهذا المعنى، قال في عين المعاني: لخنوسها في مجراها واستتارها في كناسها أي موضع استتارها فيه كما تكنس الظباء انتهى. من كنس الوحش من باب جلس إذا دخل كناسه وهو بيته الذي يتخذه من أغصان الشجر وقيل جميع الكواكب تخنس بالنهار فتغيب عن العيون وتكنس بالليل أي: تطلع في أماكنها كالوحش في كنسها.

وفي «التأويلات النجمة»: يشير إلى الحواس الخمس الباطنة السيارة مع شمس الروح وقمر القلب الرواجع إلى بروجها بالاختفاء بحسب شعاع شمس الروح وقمر القلب لغلبة أشعتهما عليهن والدراري الخمسة الزهرة وعطارد والمشتري وبهرام وزحل مظاهر الحواس الخمس والشمس مظهر الروح والقمر مظهر القلب.

﴿والليل﴾ عطف على الخنس ﴿إذا عسعس﴾ أي: أدبر ظلامه لأن اقبال الصبح يكون بإدبار الليل كما قال في «الوسيط»: لما كان طلوع الصبح متصلاً بإدبار الليل كان المناسب أن يفسر عسعس بأدبر ليكون التعاقب في الذكر على حسب التعاقب في الوجود انتهى. أو أقبل فإنه من الأضداد كذلك عسعس وذلك في مبدأ الليل وهذا المعنى أنسب لمراعاة المقابلة مع قرينه.

﴿والصبح﴾ عطف عليه أيضاً. ﴿إذا تنفس﴾ [آنكاه دم زند يعني طلوع كند وتنفس أو مبدأ طلوعست].

والعامل في إذا معنى القسم وإذا وما بعدها في موضع الحال أقسم الله بالليل مدبراً وبالصبح مضيئاً، يقال تنفس الصبح إذا تبلج أي أضاء وأشرق جعل تنفس الصبح عبارة عن طلوعه وانبساطه تحت ضوئه بحيث زال معه عسعسة الليل وهي الغبرة الحاصلة في آخره والنفس في الأصل ريح مخصوص يروح القلب ويفرج عنه بهبوبه عليه، وفي الحديث: «لا تسبوا الريح فإنها من نفس الرحمن» أي: مما يفرج الكرب شبه ما يقبل بإقبال الصبح من الروح والنسيم بذلك الريح المخصوص المسمى بالنفس فأطلق اسم النفس عليه استعارة فجعل الصبح متنفساً بذلك ثم كنى بتنفسه بذلك عن إقبال الصبح وطلوعه وإضاءة غبرته؛ لأن المتنفس بالمعنى المذكور لازم له فهو كناية متفرعة على الاستعارة. قال القاشاني: والليل أي ليل ظلمة الجسد الميت إذا أدبر بابتداء ذهاب ظلمته بنور الحياة عند تعلق الروح به وطلوع نور شمسه عليه والصبح أي أثر نور طلوع تلك الشمس إذا انتشر في البدن بإفادة الحياة.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى ليل الطبيعة المتشعشعة عن ظلام غيب البشرية باتباع أحكام الشريعة ومخالفات آثار الطبيعة وإلى صبح نهار الروحانية إذا كشف وأظهر آداب الطريقة ورسوم الحقيقة وهو أعظم الأقسام وأفضل الإيمان.

﴿إنه﴾ الضمير للقرآن وإن لم يجر له ذكر للعلم به أي: القرآن الكريم الناطق بما ذكر من الدواهي الهائلة وهو جواب القسم وجه القسم بهذه الأشياء أن فيها ظهور كمال الحكمة وجلال القدرة.

يقول الفقير: سر الإقسام بها أن القرآن نور من الله فلا يرد إلا على القلب النوراني الذي هو بمنزلة القمر وعلى الروح الذي هو بمنزلة القمر وعلى الروح الذي هو بمنزلة الشمس على القوى الروحانية التي هي بمنزلة سائر السيارات المضيئة، وهذه الأنوار لا تظهر في الوجود

الإنساني إلا بزوال آثار الطبيعة والنفس وظهور آثار القلب والروح فإذا أشرقت أنوار الروح وقواه في ليل الوجود أضاء جميع ما في الوجود وزال الظلام. ﴿لقول رسول كريم﴾ هو جبريل عليه السلام، قاله من جهة الله.

قال السهيلي: ولا يجوز أنه أراد به أنه قول النبي عليه السلام، وإن كان النبي عليه السلام رسولاً كريماً لأن الآية نزلت في معرض الرد والتكذيب لمقالة لكفار الذين قالوا إن محمداً عليه السلام يقوله وهو قوله فقال الله تعالى: ﴿إنه لقول رسول كريم﴾ فأضافه إلى جبريل الذي هو أمين وحيه وهو في الحقيقة قول الله لكنه أضيف إلى جبريل لأنه جاء به من عند الله فإسناده إليه باعتبار السببية الظاهرة في الإنزال والإيصال ويدل على أن المراد بالرسول هو جبريل ما بعده من ذكر قوته ونحوها وصفه برسول لأنه رسول عن الله إلى الأنبياء وبكريم أي على ربه عزيز عظيم عنده وكذا عند الناس لأنه يجيء بأفضل العطايا وهو المعرفة والهداية ويتعطف على المؤمنين ويقهر الأعداء.

﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿ذي قوة﴾ شديدة كقوله تعالى: ﴿شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ﴾ [النجم: ٥] أي ذي قدرة على ما يكلف به لا عجز له ولا ضعف روي أنه عليه السلام، قال لجبريل: «ذكر الله قوتك فأخبرني بشيء من آثارها قال: رفعت قريات قوم لوط الأربع من الماء الأسود بقوادم جناحي حتى سمع أهل السماء نباح الكلب وأصوات الديكة ثم قلبتها» ومن قوته أنه صاح صيحة بثمود فأصبحوا جاثمين وأنه يهبط من السماء إلى الأرض ويصعد في أسرع من الطرف وأنه رأى أن شيطاناً يقال له الأبيض صاحب الأنبياء قصد أن يتعرض للنبي فدفعه دفعة رفيقة وقع بها من مكة إلى أقصى الهند وكذا رآه يكلم عيسى عليه السلام على بعض الأرض المقدسة فنفخه نفخة واحدة ألقاه إلى أقصى جبل الهند، وقيل المراد القوة في أداء طاعة الله وترك الإخلال بها من أول الخلق إلى آخر زمان التكليف وفيه إشارة إلى صفة الروح فإنه ذو سلطنة على جميع الحقائق الكائنة في المملكة الإنسانية. ﴿عند ذي العرش﴾ أي: الله تعالى وفي ايراد ذي العرش إخبار بغاية كبريائه في القلوب وعند ظرف لما بعده في قوله: ﴿مكين﴾ ذي مكانة رفيعة عند عندية إكرام وتشريف لا عندية مكان فإنه تعالى متعال عن أمثالها ونحوه أنا عند المنكسرة قلوبهم فإن المراد به القرب والإكرام ومن مكانته عند الله ومرتبته أنه تعالى جعله تالي نفسه في قوله: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوۡلَىٰهُ وَجِبۡرِيلُ﴾ [التحريم: ٤] فله عظم منزلة عندية فأين منزلة من يلازم السلطان عند سرير الملك من مرتبة من يلازمه عند الوضوء ونحوه.

﴿مطاع﴾ فيما بين الملائكة المقربين يصدرون عن أمره ويرجعون إلى رأيه لعلمهم بمنزلته عند الله قال في «فتح الرحمن» ومن طاعتهم أنهم فتحوا أبواب السماء ليلة المعراج بقوله لرسول الله ﷺ وطاعة جبريل فريضة على أهل السماوات كما أن طاعة محمد عليه السلام فريضة على أهل الأرض وفيه إشارة إلى أن الروح مطاع فيما بين القوى بالنسبة إلى السر والقلب. ﴿ثم أمين﴾ على الوحي قد عصمه الله من الخيانة والزلل وثم بفتح الثاء ظرف مكان لما قبله أي مطاع هناك أي: في السماوات وقيل لما بعده أي مؤتمن عند الله على وحيه ورسالاته إلى الأنبياء فيكون إشارة إلى عند الله وقرىء ثم بضم الثاء تعظيماً لوصف الأمانة

وتفصيلاً لها على سائر الأوصاف فيكون للتراخي الرتبي على طريق الترقي من صفاته الفاضلة إلى ما هو أفضل وأعظم وهو الأمانة.

قال الكاشفي: [واكر رسول كريم محمد باشد عليه السلام پس أو صاحب قوت طاعت ونزديك خداي خداوند قدر ومكانتست ومطاع].

يعني مستجاب الدعوة ولذا قال له عمه أبو طالب ما أطوعك ربك يا محمد فقال له وأنت يا عم لو أطعته أطاعك وأمين يعني [برا أسرار غيب].

وفيه إشارة إلى أن الروح أمين في إفاضة الفيض الروحي على كل أحد بحسب استعداده الفطري.

﴿**وما صاحبكم**﴾ يا أهل مكة وهو رسول الله ﷺ عطف على جواب القسم ولذا قال في «فتح الرحمن»: وهذا أيضاً جواب القسم ﴿**بمجنون**﴾ كما تقولون والتعرض لعنوان المصاحبة للتلويح بإحاطتهم بتفاصيل أحواله عليه السلام خبراً، وعلمهم بنزاهته عما نسبوه إليه بالكلية فإنه كان بين أظهرهم في مدد متطاولة وقد جربوا عقله فوجدوه أكمل الخلائق فيه ولقبوه بالأمين الصادق، وقد استدل به على فضل جبرائيل على رسول الله حيث وصف جبريل بست خصال كل واحدة منها تدل على كمال الشرف ونباهة الشأن واقتصر في ذكر رسول الله على نفي الجنون عنه وبين الذكرين تفاوت عظيم وهذا الاستدلال ضعيف إذ المقصود رد قول الكفرة في حقه عليه السلام، ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾ [الحجر: ٦] لا تعداد فضائلهما والموازنة بينهما على أن توصيف جبريل بهذه الصفات بياناً لشرف سيد المرسلين بالنسبة إليه من حيث أن جبريل مع هذه الصفات هو الذي يؤيده ويبلغ الرسالة إليه، فأي رتبة أعلى من مرتبته بعدما ثبت أن السفير بينه وبين ذي العرش مثل هذا الملك المقرب، وقال سعدي المفتي: الكلام مسوق لحقية المنزل دلالة على صدق ما ذكر فيه من أهوال القيامة على ما يدل عليه الفاء السببية في قوله ﴿**فلا أقسم**﴾ ولا شك أن ذلك يقتضي وصف الآتي به فلذلك بولغ فيه دون وصف من أنزل عليه فلذلك اقتصر فيه على نفي ما بهتوه وفيه إشارة إلى أن الروح ليس بمجنون أي بمستور عن حقائق القرآن ودقائقه وأحكامه وشرائعه ووعده ووعيده بل هو مكشوف له بجميع أسراره.

﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾﴾

﴿**ولقد رآه**﴾ وبالله لقد رأى رسول الله جبريل، وفي «عين المعاني»: أبصره لا جنياً ﴿**بالأفق المبين**﴾ أفق السماء ناحيتها والمبين من أبان اللازم بمعنى الظاهر بالفارسية روشن.

أي: بمطلع الشمس الأعلى من ناحية المشرق فالمراد بالأفق هنا حيث تطلع الشمس استدلالاً بوصفه بالمبين فإن نفس الأفق لا مدخل له في تبين الأشياء وظهورها وإنما يكون له مدخل في ذلك من حيث كونه مطلعاً لكوكب نير يبين الأشياء والكوكب المبين هو الشمس وإسناد الإبانة إلى مطلعها مجاز باعتبار سببيته لها في الجملة فإن البيان في الحقيقة لضياء الطالع منه ثم خص من بين المطالع ما هو أعلى المطالع وأرفعها وهو المطلع الذي إذا طلعت الشمس منه تكون في غاية الارتفاع والنهار في غاية الطول والامتداد وذلك عند ما تكون الشمس عند رأس السرطان قبيل تحولها إلى برج الأسد، وتوجه النهار إلى الانتقاص وإنما فعل ذلك حملاً

للمبين على الكمال فإنه كلما كان الكوكب أرفع وأعلى وكلما كان النهار أطول كان البيان والإظهار أتم وأكمل روي أن رسول الله ﷺ «سأل جبريل أن يتراآى له في صورته التي خلقه الله عليها فقال: ما أقدر على ذلك وما ذاك إلي فأذن له فأتاه عليها وذلك في جبل حراء في أوائل البعثة فرآه رسول الله قد ملأ الآفاق بكلكله رجلاه في الأرض ورأسه في السماء جناح له بالمشرق وجناح له بالمغرب وله ستمائة جناح من الزبرجد الأخضر فغشي عليه فتحول جبريل في صورة بني آدم وضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه فقيل لرسول الله ما رأيناك منذ بعثت أحسن منك اليوم فقال عليه السلام، جاءني جبريل في صورته فعلق بي هذا من حسنه» قالوا: ما رآه أحد من الأنبياء غيره عليه السلام في صورته التي جبل عليها فهو من خصائصه عليه السلام.

واعلم أن وقوع الغشيان إنما هو من كمال العلم والاطلاع ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿لَوِ ٱطَّلَعۡتَ عَلَيۡهِمۡ لَوَلَّيۡتَ مِنۡهُمۡ فِرَارٗا وَلَمُلِئۡتَ مِنۡهُمۡ رُعۡبٗا﴾ [الكهف: ١٨] فإن توليه وامتلاءه من الرعب ليس عن رؤية أجسامهم فقط لأنهم أناس مثله وإنما هو لما أطلعه الله عليه حين رؤيتهم من العلم كما غشي على جبريل ليلة الإسراء حين رأى الرفرف ولم يغش على رسول الله، وقال عليه السلام: فعلمت فضل جبريل في العلم فكأنه عليه السلام أشار إلى فضل نفسه أيضاً لما غشي عليه برؤية جبريل على صورته الأصلية وإنما لم يغش عليه حين رأى الرفرف كما غشي على جبريل لأنه إذ ذاك في نهاية التمكين وفرق بين البداية والنهاية والله أعلم. قال القاشاني: ولقد رآه بالأفق المبين أي نهاية طور القلب الذي يلي الروح وهو مكان إلقاء النافث القدسي على أن المراد بالرسول روح القدس النافث في روع الإنسان.

وقال في «التأويلات النجمية»: أي: رأى جبريل الروح حضرة ربه عند أفق البقاء بعد الفناء.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٖ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٖ رَّجِيمٖ ﴿٢٥﴾ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿**وما هو**﴾ أي: رسول الله ﴿**على الغيب**﴾ أي: على ما يخبره من الوحي إليه وغيره من الغيوب ﴿**بضنين**﴾ أي: ببخيل أي: لا يبخل بالوحي فيزوى بعضه غير مبلغه ولا يكتمه كما يكتم الكاهن ما عنده حتى يأخذ عليه حلواناً، أي أجرة أو يسأل تعليمه فلا يعلمه وفيه إشارة إلى أن إمساك العلم عن أهله بخل من ضن بالشيء يضن بالفتح ضناً بالكسر وضنانة بالفتح أي بخل فهو ضنين به أي: بخيل ويضن بالكسر لغة والفتح أفصح ذكره البيهقي في «تهذيب المصادر»: في باب ضرب حيث قال الضن: والضنانة بخيلي كردن.

والغابر يضن والفتح أفصح فيكون من باب علم كما صرح به بعضهم بقوله: هو من ضننت بالشيء بكسر النون وهو قراءة نافع وعاصم وحمزة وابن عامر، قال في «النشر» كذلك هو في جميع المصاحف أي: المصاحف التي يتداولها الناس وإلا فهو في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بالظاء وقرىء بظنين على أنه فعيل بمعنى المفعول أي: بمتهم أي: هو ثقة في جميع ما يخبره لا يتوهم فيه إنه ينطق عن الهوى من الظنة وهي التهمة واتهمت فلاناً بكذا توهمت فيه ذلك، اختار أبو عبيدة هذه القراءة لأن الكفار لم يبخلوه وإنما اتهموه فنفي التهمة أولى من نفي البخل ولأن البخل يتعدى بالباء لا بعلى.

وفي «الكشاف»: هو في مصحف عبد الله بالظاء، وفي مصحف أُبي؛ بالضاد وكان

رسول الله عليه السلام يقرأ بهما ولا بد للقارىء من معرفة مخرجي الضاد والظاء، فإن مخرج الضاد من أصله حافة اللسان وما يليها من الأضراس من يمين اللسان أو يساره، ومخرج الظاء من طرف اللسان وأصول الثنايا العليا فإن قيل: فإن وضع المصلي أحد الحرفين مكان الآخر قلنا: قال في «المحيط البرهاني»: إذا أتى بالظاء مكان الضاد أو على العكس فالقياس أن تفسد صلاته وهو قول عامة المشايخ وقال مشايخنا بعدم الفساد للضرورة في حق العامة خصوصاً العجم فإن أكثرهم لا يفرقون بين الحرفين وإن فرقوا ففرقا غير صواب، وفي «الخلاصة»: لو قرأ بالظاء مكان الضاد أو بالضاد مكان الظاء تفسد صلاته عند أبي حنيفة ومحمد وأما عند عامة المشايخ كأبي مطيع البلخي ومحمد بن سلمة لا تفسد صلاته.

﴿وما هو بقول شيطان رجيم﴾ أي: قول بعض المسترقة للسمع دل عليه توصيفه بالرجيم لأنه بمعنى المرمى بالشهب وهو نفي لقولهم: إنه كهانة وسحر كما قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ [الشعراء: ٢١٠] وفيه إشارة إلى أنه ليس محمد القلب عند الإخبار عن المواهب الغيبية والإلهامات السرية بمتهم بالكذب والافتراء وما هو بقول بعض القوى البشرية.

﴿فأين تذهبون﴾ استضلال لهم فيما يسلكونه في أمر القرآن والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها من ظهور إنه وحي مبين وليس مما يقولون في شيء كما تقول لمن ترك الجادة بعد ظهورها هذا الطريق الواضح فأين تذهب؟ شبهت حالهم بحال من يترك الجادة وهو معظم الطريق ويتعسف إلى غير المسلك فإنه يقال له: أين تذهب استضلالاً له وإنكاراً على تعسفه فقيل لمن يقول في حق القرآن ما لا ينبغي من وضوح كونه وحياً حقاً أي: طريق تسلكون آمن من هذه الطريقة التي ظهرت حقيتها ووضحت استقامتها وأين ظرف مكان مبهم منصوب بتذهبون قال أبو البقاء التقدير إلى أين فحذف حرف الجر ويجوز أن لا يصار إلى الحذف بل إلى طريق التضمين فكأنه قيل أين تؤمون وقال الجنيد قدس سره: أين تذهبون عنا وإن من شيء إلا عندنا.

وفي «التأويلات النجمية»: فأين تذهبون من طريق الحق إلى طريق الباطل وتتركون الاقتداء بالروح وتختارون اتباع النفوس.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾

﴿إن هو﴾ إن نافية والضمير إلى القرآن أي ما هو ﴿إلا ذكر للعالمين﴾ موعظة وتذكير لهم والمراد الإنس والجن بدلالة العقل فإنهم المحتاجون إلى الوعظ والتذكير.

﴿لمن شاء منكم﴾ أيها المكلفون بالإيمان والطاعة وهو بدل من العالمين بإعادة الجار بدل البعض من الكل ولا تخالف بين الأصل المتبوع والفرع التابع لأن الأول باعتبار الذات والثاني باعتبار التبع. ﴿أن يستقيم﴾ مفعول شاء أي: لمن شاء منكم الاستقامة بتحري الحق وملازمة الصواب وإبداله من العالمين مع أنه ذكر شامل لجميع المكلفين لأنهم هم المنتفعون بالتذكير دون غيرهم فكأنه مختص بهم ولم يوعظ به غيرهم.

﴿وما تشاؤون﴾ أي الاستقامة مشيئة مستتبعة لها في وقت من الأوقات يا من يشاؤها وذلك أن الخطاب في قوله ﴿لمن شاء منكم﴾ يدل على أن منهم من يشاء الاستقامة ومن لا يشاؤها فالخطاب هنا لمن يشاؤها منهم يروى أن أبا جهل لما سمع قوله تعالى: ﴿لمن شاء

منكم أن يستقيم﴾ قال الأمر إلينا إن شئنا استقمنا وإن شئنا لم نستقم وهو رأس القدرية فنزل قوله تعالى: ﴿وما تشاؤون﴾. . الخ ﴿إلا أن يشاء الله﴾ من إقامة المصدر موقع الزمان أي: إلا وقت أن يشاء الله تلك المشيئة المستتبعة للاستقامة فإن مشيئتكم لا تستتبعها بدون مشيئة الله لها لأن المشيئة الاختيارية مشيئة حادثة فلا بد لها من محدث فيتوقف حدوثها على أن يشاء محدثها إيجادها فظهر أن فعل الاستقامة موقوف على إرادة الاستقامة وهذه الإرادة موقوفة الحصول على أن يريد الله أن يعطيه تلك الإرادة والموقوف على الموقوف على الشيء موقوف على ذلك الشيء فأفعال العباد ثبوتاً ونفياً موقوفة الحصول على مشيئة الله كما عليه أهل السنة ﴿رب العالمين﴾ مالك الخلق ومربيهم أجمعين بالأرزاق الجسمانية والروحانية وفي الحديث القدسي يا ابن آدم تريد وأريد فتتعب فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد قال وهب بن منبه قرأت في كتب كثيرة مما أنزل الله على الأنبياء أنه من جعل إلى نفسه شيئاً من المشيئة فقد كفر قال أبو بكر الواسطي قدس سره: أعجزك في جميع صفاتك فلا تشاء إلا في مشيئته ولا عمل إلا بقوته ولا تطيع إلا بفضله ولا تعصي إلا بخذلانه فماذا يبقى لك وبماذا تفتخر من أعمالك وليس منها شيء إليك إلا بتوفيقه وبالفارسية [حق تعالى ترا درهمه وصفها عاجز ساخته است نخواهى مكر بمشيت أو ونكنى مكر بقوت أو وفرما نبرى مكر بفضل أو وعاصي نشوى مكر بخذلان أو پس توجه داري وبكدام فعل مى نازي وحا آكه ترا هيچ نيست].

زسرتا پاهمه در پچيم پيچ چه پاچه سرهمه هيچيم درهيچ

وفي الحديث: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ [الشمس: ١]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾﴾ [الانفطار: ١]، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾﴾ [الانشقاق: ١]» فإن فيها بيان أهواله الهائلة على التفصيل.

تمت سورة التكوير بعون الملك القدير في وسط صفر الخير
من شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف

٨٢ ــ سورة الانفطار

تسع عشرة آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾﴾.

﴿إذا السماء انفطرت﴾ أي: انشقت لنزول الملائكة كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ وَنُزِّلَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ تَنزِيلًا ﴿٢٥﴾﴾ [الفرقان: ٢٥] أو لهيبة الربو في «فتح الرحمن» تشققها على غير نظام مقصود إنما هو انشقاق لنزول بنيتها وإعرابه كإعراب ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾﴾ [الشمس: ١].

وفي «التأويلات النجمية»: يعني سماء الأرواح والقلوب والأسرار ارتفعت تعيناتها وزالت تشخصاتها. وقال القاشاني: أي: إذا انفطرت سماء الروح الحيواني بانفراجها عن الروح الإنساني وزوالها بالموت.

﴿وإذا الكواكب انتثرت﴾ أي تساقطت من مواضعها سوداء متفرقة كما تتساقط اللآلىء إذا انقطع السلك وهذان من أشراط الساعة متعلقان بالعلويات فإن السماء في هذا العالم كالسقف والأرض كالبناء من أراد تخريب دار فإنه يبدأ أولاً بتخريب السقف وذلك هو وقوله ﴿إذا السماء انفطرت﴾ ثم يلزم من تخريب السماء انتثار الكواكب وفيه إشارة إلى انتثار كواكب الحواس العشر الظاهرة والباطنة وذهابها بالموت الطبيعي فإنه إذا انقطع ضوء الروح عن ظاهر البدن وباطنه تعطل الحواس مطلقاً وكذا بالموت الإرادي.

﴿وإذا البحار فجرت﴾ فتح بعضها إلى بعض بزوال المانع وحصول تزلزل الأرض وتصدعها واستوائها وصارت البحار وهي سبعة بحر الروم وبحر الصقالبة وبحر جرجان وبحر القلزم وبحر فارس وبحر الصين وبحر الهند بحراً واحداً فيصب ذلك البحر في جوف الحوت الذي عليه الأرضون السبع كما في «كشف الأسرار»، وروي أن الأرض تنشف من الماء بعد امتلاء البحار فتصير مستوية وهو معنى التسجير عند الحسن البصري ودخل في البحار البحر المحيط لأنه أصل الكل إذ منه يتفرع الباقي وكذا الأنهار العذبة فإنها بحار أيضاً لتوسعها وفيه إشارة إلى بحار الأرواح والأسرار والقلوب حيث فجرت بعضها في بعض بالتجلي الأحدي وصارت بحراً واحداً وإلى بحار الأجسام العنصرية حيث فجرت بعضها في بعض بزوال البرازخ الحاجزة عن ذهاب كل إلى أصله وهي الأرواح الحيوانية المانعة عن خراب البدن ورجوع أجزائه إلى أصلها.

﴿وإذا القبور بعثرت﴾ قلب ترابها وأخرج موتاها ولا يخالف ما سيجيء في العاديات فإن البعثرة تجيء بمعنى الاستخراج أيضاً أي: كالقلب وفي «تاج المصادر» البعثرة شورانيدن وآشكارا كردن.

ولذا قال بعضهم بالفارسية: [وآنكاه كه كورها زيروزبر كرده شود يعني خاكهارا بشورانند تامدفونات وى ازاموات وكنجها ظاهر كردد ومردكان زنده شوند].

ونظيره بحثر لفظاً ومعنى يقال بعثرت المتاع وبحثرته أي جعلت أسفله أعلاه وجعل أسفل القبور أعلاها إنما هو بإخراج موتاها، وقيل لسورة براءة المبعثرة لأنها بعثرت أسرار المنافقين، وهما أي: بعثر وبحثر مركبان من البعث والبحث مع راء ضمت إليهما.

وقال الراغب: من رأى تركيب الرباعي والخماسي نحو هلل وبسمل إذا قال لا إله إلا الله وبسم الله يقول إن بعثرم ركب من بعث وأثير أي: قلب ترابها وأثير ما فيها وهذا لا يبعد في هذا الحرف فإن البعثرة تتضمن معنى بعث وأثير وهذان من أشراط الساعة متعلقان بالسفليات فإنه تعالى بعد تخريب السماء والكواكب يخرب كل ما على وجه الأرض بنفوذ بعض البحار في بعض ثم يخرب نفس الأرض التي هي كالبناء بأن يقلبها ظهراً لبطن وبطناً لظهر، وفيه إشارة إلى خراب قبور التعينات وصيرورة المتعين مطلقاً عن التعينات لأن التعينات قبور الحقائق المطلقة وإلى قبور الأبدان فإنها تخرج ما فيها من الأرواح والقوى بالموت.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ۝٥ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾

﴿علمت نفس﴾ أي: كل نفس برة كانت أو فاجرة كما سبق في السورة السابقة وفي «فتح الرحمن»: نفس هنا اسم الجنس وأفرادها ليبين لذهن السامع حقارتها وقلتها وضعفها عن منفعة ذاتها إلا من رحم الله تعالى. **﴿ما قدمت﴾** في حياتها من علم خير أو شر فإن ما من ألفاظ العموم **﴿وأخرت﴾** من سنة حسنة أو سيئة يعمل بها بعده قال عليه السلام: أيما داع دعا إلى الهدى فاتبع فله مثل أجر من اتبعه إلا أنه لا ينقص من أجورهم شيء وأيما داع دعا إلى الضلالة فاتبع فله مثل أوزار من اتبعه إلا أنه لا ينقص من أوزارهم شيء أو ما قدم من معصية وما أخر من طاعة.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿علمت نفس ما قدمت﴾** أخرجت من القوة إلى الفعل بطريق الأعمال الحسنة أو السيئة وما أخرت أبقت في القوة بحسب النية قوله **﴿علمت﴾** الخ جواب إذا أي إذا وقعت هذه الأشياء وخربت الدنيا علمت كل نفس الخ لكن لا على أنها تعلمه عند البعث بل عند نشر الصحف لما عرفت في السورة السابقة من أن المراد بها زمان واحد مبدأه النفخة الأولى ومنتهاه الفصل بين الخلائق لا أزمنة متعددة حسب تعدد كلمة إذا وإنما كررت لتهويل ما في حيزها من الدواهي فالمراد العلم التفصيلي الذي يحصل عند قراءة الكتب والمحاسبة وأما العلم الإجمالي فيحصل في أول زمان البعث والحشر لأن المطيع يرى آثار السعادة والعاصي يرى آثار الشقاوة في أول الأمر، قال ابن الشيخ في «حواشيه»: العلم بجميع ذلك كناية عن المجازاة عليه والمقصود من الكلام الزجر عن المعصية والترغيب في الطاعة.

﴿يا أيها الإنسان﴾ يعم جميع العصاة ولا خصوص له بالكفار لوقوعه بين المجمل ومفصله أي بين **﴿علمت نفس﴾** الخ وبين **﴿إن الأبرار﴾** الخ وأما قوله ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩] فمن قبيل بنو فلان قتلوا زيداً إذا كان القاتل واحداً منهم قال الأمام السهيلي رحمه الله: قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ [الانفطار: ٦] يريد أمية بن خلف ولكن اللفظ عام يصلح له ولغيره وقيل: نزلت في الوليد بن المغيرة أو الأسود بن كلدة الجمحي قصد النبي عليه السلام في بطحاء مكة فلم يتمكن منه فلم يعاقبه الله على ذلك، وفي «زهرة الرياض»: ضرب على يافوخ

رسول الله عليه السلام، فأخذه رسول الله وضربه على الأرض فقال له: «يا محمد الأمان الأمان مني الجفاء ومنك الكرم فإني لا أوذيك أبداً فتركه رسول الله عليه السلام». ﴿**ما غرك بربك الكريم**﴾ ما استفهامية في موضع الابتداء وغرك خبره والاستفهام بمعنى الاستهجان والتوبيخ والمعنى أي: شيء خدعك وجرأك على عصيانه وأمنك من عقابه وقد علمت ما بين يديك من الدواهي وما سيكون حينئذٍ من مشاهدة أعمالك كلها يقال غره بفلان إذا جرأه عليه وأمنه المحذور من جهته مع أنه غير مأمون والتعرض لعنوان كرمه تعالى للإيذان بأنه ليس مما يصلح أن يكون مدار الاغترار حسبما يغويه الشيطان ويقول له: افعل ما شئت فإن ربك كريم قد تفضل عليك في الدنيا وسيفعل مثله في الآخرة فإن قياس عقيم وتمنية باطلة بل هو مما يوجب المبالغة في الإقبال على الإيمان والطاعة والاجتناب عن الكفر والعصيان كأنه قيل ما حملك على عصيان ربك الموصوف بالصفات الزاجرة عن الداعية، ولهذا قال رسول الله ﷺ لما قرأها «غره جهله»، وقال الحسن البصري رحمه الله غره والله شيطانه فظهر أن كرم الكريم لا يقتضي الاغترار به بل هو يقتضي الخوف والحذر من مخالفته وعصيانه من حيث إن إهمال الظالم ينافي كونه كريماً بالنسبة إلى المظلوم وكذا التسوية بين الموالي والمعادي فإذا كان محض الكرم لا يقتضي الاغترار به فكيف إذا انضم إليه صفة القهر ولله الأسماء المتقابلة، ،ولذا قال: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحجر: ٤٩، ٥٠]. قال القاشاني: كان كونه كريماً يسوغ الغرور ويسهله لكن له من النعم الكثيرة والمنن العظيمة والقدرة الكاملة ما يمنع من ذلك أكثر من تجويز الكرم إياه وقيل للفضيل بن عياض رحمه الله: إن أقامك الله يوم القيامة وقال مالك ما غرك بربك الكريم ماذا تقول؟ قال: أقول غرتني ستورك المرخاة ونظمه ابن السماك فقال:

يا كاسب الذنب أما تستحي ... والله في الخلوة ثانيكا
غرك من ربك إمهاله ... وستره طول مساويكا

قال صاحب «الكشاف»: قول الفضيل، على سبيل الاعتراف بالخطأ في الاغترار بالستر، وليس باعتذار كما يظنه الطماع ويظن به قصاص الحشوية ويرونه من أئمتهم إنما قال بربك الكريم دون صفاته من الجبار والقهار والمنتقم وغير ذلك ليلقن عبده الجواب حتى يقول غرني كرم الكريم.

يقول الفقير: الحق أن هذا الباب مما يقبل الاختلاف بالنسبة إلى أحوال الناس فليس من يفهم الإشارة كمن لا يفهما وكم من فرق بين ذنب وذنب وظن وظن ولذا قال أهل الإشارة: إيراد الاسم الكريم من بين الأسماء كأنه من جهة التلقين.

خود تو دادي مژدهٔ لا تقسطوا ... من چرا ترسم زعصيان وعتو
چون توهر شكسته راسازي درست ... پس خطاها بر آميد عفوتست

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: غرني برك سالفاً وآنفاً.

يقول مولاي أما تستحي ... مما أرى من سوء أفعالك
فقلت يا مولاي رفقاً فقد ... أفسدني كثرة أفضالك

وعن علي رضي الله عنه أنه صوت بغلام له مراراً فلم يجبه وهو بالباب فقال: لِمَ لم تجبني؟ فقال: لثقتي بحلمك وأمني من عقوبتك فأعتقه إحساناً لقوله، وقال بعض أهل

الإشارة: عجبت من هذا الخطاب الذي فيه تهديد المخالف ومواساة الموافق كيف يخاطب المخالف بخطاب فيه مواساة الموافق ففيه من الرموز ما لا يعرفه إلا أهل الإشارة.

قال بعضهم: رأيت في سوق البصرة جنازة يحملها أربعة وليس معهم مشيع فقلت: لا إله إلا الله سوق البصرة وجنازة رجل مسلم لا يشيعها أحد إني لأشيعها فتبعتها وصليت عليها ولما دفنوه سألتهم عنه قالوا: ما نعرفه وإنما اكترتنا تلك المرأة وأشاروا إلى امرأة واقفة قريباً من القبر ثم انصرفوا فرفعت المرأة يدها إلى السماء تدعو ثم ضحكت وانصرفت فتعلقت بها وقلت: لا بد أن تخبريني بقضيتك فقالت إن هذا الميت ابني ولم يترك شيئاً من المعاصي إلا فعله فمرض ثلاثة أيام فقال لي: يا أمي إذا مت لم تخبري الجيران بموتي فإنهم يفرحون بموتي ولا يحضرون جنازتي ولكن اكتبي على خاتمي لا إله إلا الله محمد رسول الله وضعيه في أصبعي وضعي رجلك على خدي إذا مت وقولي: هذا جزاء من عصى الله فإذا دفنتني فارفعي يديك إلى الله وقولي اللهم إني رضيت عنه فارض عنه فلما مات فعلت جميع ما أوصاني به فلما رفعت يدي إلى السماء ودعوت سمعت صوته بلسان فصيح: انصرفي يا أمي فقد قدمت على رب كريم رحيم فرضي عني فلذلك ضحكت سروراً بحاله أورده الإمام القشيري في «شرح الأسماء».

وفي الحديث الصحيح: «إن الله يدني المؤمن فيضع عليه كنفه وستره فيقول: أتعرف ذنب كذا؟ فيقول: نعم أي رب حتى قرره بذنوبه ورأى في نفسه أنه هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفر لك اليوم».

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾.

﴿**الذي خلقك**﴾ صفة ثانية مقررة للربوبية مبينة للكرم لأن الخلق إعطاء الوجود وهو خير من العدم منبهة على أن من قدر على الخلق وما يليه بدءاً قدر عليه إعادة أي: خلقك بعد أن لم تكن شيئاً ﴿**فسواك**﴾ أي: جعل أعضاءك سوية سليمة معدة لمنفعها أي بحيث يترتب على كل عضو منها منفعته التي خلق ذلك العضو لأجلها كالبطش لليد والمشي للرجل والتكلم للسان والأبصار للبصر والسمع للأذن إلى غير ذلك. ﴿**فعدلك**﴾ عدل بعض تلك الأعضاء ببعض بحيث اعتدلت ولم تتفاوت مثل أن تكون إحدى اليدين أو الرجلين أو الأذنين أطول من الأخرى أو تكون إحدى العينين أوسع من الأخرى أو بعض الأعضاء أبيض وبعضها أسود أو بعض الشعر فاحما وبعضه أشقر قال علماء التشريح: إنه تعالى ركب جانبي هذه الجثة على التساوي حتى إنه لا تفاوت بين نصفيه لا في العظام ولا في أشكالها ولا في الأوردة والشرايين والأعصاب النافذة فيها والخارجة منها فكل ما في أحد الجانبين مساوٍ لما في الجانب الآخر ويقال عدله عن الطرق أي صرفه فيكون المعنى فصرفك عن الخلقة المكروهة التي هي لسائر الحيوانات وخلقك خلقه حسنة مفارقة لسائر الخلق كما قال تعالى: ﴿فِىٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٍ﴾ [التين: ٤] وقرىء فعدلك بالتشديد أي صيرك معتدلاً متناسب الخلق من غير تفاوت فيه فهو بالمعنى الأول من المخفف وقال الجنيد قدس سره: تسوية الخلقة بالمعرفة وتعديلها بالإيمان وقال ذو النون قدس سره أوجدك فسخر لك المكونات أجمع ولم يسخرك لشيء منها.

وفي «التأويلات النجمية»: يا أيها الإنسان المخلوق على صورته كأنك غرك كمال المظهرية وتمام المضاهاة خلقك في أحسن صورة فسواك في أحسن تقويم فجعل بنيتك

الصورية وبنيتك المعنوية سليمة مسواة ومعتدلة ومستعدة لقبول جميع الكمالات الإلهية والكيانية كما قال عليه السلام أوتيت جوامع الكلم أي الكلم الإلهية والكلم الكيانية.

﴿في أي صورة ما شاء ركبك﴾ الجار متعلق بركبك وما مزيدة لتعميم النكرة وشاء صفة لصورة والعائد محذوف وإنما لم يعطف الجملة على ما قبلها لأنها بيان لعدلك والمعنى ركبك في أي صورة شاءها واقتضتها مشيئته وحكمته من الصور العجيبة الحسنة أو من الصور المختلفة في الحسن والقبح والطول والقصر والذكورة والأنوثة والشبه بعض الأوقات وخلاف الشبه كما في الحديث إن النطفة إذا استقرت في الرحم أحضرها الله كل نسب بينها وبين آدم وصورها في أي شبيه شاء وقال الواسطي رحمه الله صور المطيعين والعاصين فمن صوره على صورة الولاية ليس كمن صوره على صورة العداوة أي صور بعضهم على الصورة الجمالية اللطفية وبعضهم على الصورة الجلالية القهرية.

قال حضرة شيخي وسندي قدس سره في «كتاب اللائحات البرقيات»: له لاح ببالي أن تلك الصورة التركيبية تتناول الصورة العلمية والصورة الروحية والصورة المثالية والصورة الجسمية وغير ذلك من الصور المركبة في الأطوار لكن المقصود بالذات إنما هو هذه الأربع والتركيب في الصورة العلمية والروحية عقلي ومعنوي وفي الصورة المثالية والجسمية حسي وروحي والمراد من التركيب في الصورة العلمية ظهور الذات وفي الصورة الروحية ظهور الصفات وفي الصورة المثالية ظهور الأفعال وفي الصورة الجسمية ظهور الآثار وهذه الظهورات من تلك التركيبات بمنزلة النتائج من القياسات وبمنزلة المجموع من الاجتماعات وإجراؤها إنما هي أحكام الوجوب وأحكام الإمكان والمراد من أحكام الوجوب هو الأسماء الإلهية الفاعلة المؤثرة والمراد من أحكام الإمكان هو الحقائق الكونية القابلة المتأثرة والتركيب من هذه أجزاء في أي صورة كان إنما هو لظهور محل يكون مظهر الظهور آثارها وخواصها مجتمعة وعند هذا الظهور الاجتماعي في ذلك المحل الجامع كالنشأة الإنسانية المخاطبة ههنا إن كانت الغلبة لأجزاء أحكام الوجوب تكون تلك النشأة علوية مائلة إلى جانب العلو والحق وهي تكون باقية على فطرة الأصلية الإلهية قابلة مستعدة للفيض والتجلي والوصول إلى عالم القدس وإن كانت الأجزاء أحكام الإمكان تكون تلك النشأة سفلية مائلة إلى جانب السفل والخلق وخارجة عن الفطرة الأصلية الأزلية غير قابلة ومستعدة للفيض والتجلي والوصول إلى عالم القدس، بل تبقى في عالم الدنس مدنسة بدنس الجهالة والغفلة والنسيان لا خبر لها عن نفسها وربها وتكون أعمى وأصم وأبكم لا تعرف يمينها من شمالها ولا ترى شمالها من يمينها أولئك كالأنعام بل هم أضل انتهى. كلامه روح الله روحه.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿كلا﴾ كلمة ردع فالوقف عنها أي: ارتدعوا عن الاغترار بكرم الله وجعله ذريعة إلى الكفر والمعاصي مع كونه موجباً للشكر والطاعة وقيل توكيد لتحقيق ما بعده بمعنى حقاً فالوقف على ركبك كما رجحه السجاوندي حيث وضع علامة الوقف المطلق على ركبك ﴿بل تكذبون بالدين﴾ قال في «الإرشاد». عطف على جملة ينساق إليها الكلام كأن قيل بعد الردع بطريق الاعتراض وأنتم لا ترتدعون عن ذلك بل تجترئون على أعظم من ذلك حيث تكذبون بدين الإسلام اللذين هما من جملة أحكامه فلا تصدقون سؤالاً ولا جواباً ولا عقاباً.

﴿وإن عليكم لحافظين﴾ حال من فاعل تكذبون وجمع الحافظين باعتبار كثرة المخاطبين أو باعتبار أن لكل واحد منهم جمعاً من الملائكة كما قال اثنان بالنهار أي تكذبون بالجزاء والحال أن عليكم أيها المكلفون من قبلنا الملائكة حافظين لأعمالهم وبالفارسية نكهبانان.

﴿كراماً﴾ جمع كريم أي: لدينا يجبرهم في طاعتنا أو بأداء الأمانة إذ الكريم لا يكون خواناً، وفي «فتح الرحمن»: وصفهم بالكرم الذي هو نفي المذام وقيل كرام يسارعون إلى كتب الحسنات ويتوقفون في كتب السيئات رجاء أن يستغفر ويتوب فيكتبون الذنب والتوبة منه معاً وفي «زهرة الرياض»: سماهم كراماً لأنهم إذا كتبوا حسنة يصعدون إلى السماء ويعرضونها على الله ويشهدون ويقولون إن عبدك فلاناً عمل حسنة وأما في السيئة فيسكتون ويقولون إلهي أنت ستار العيوب وهم يقرؤون كل يوم كتابك ويمدحوننا فإنا لا نهتك أستارهم وأما معنى التعطف كما في سورة عبس فلا يلائم هذا المقام كما في بعض التفاسير ﴿كاتبين﴾ للأعمال.

﴿يعلمون﴾ لحضورهم وعدم افتراقهم عنكم ﴿ما تفعلون﴾ من الأفعال قليلاً وكثيراً ويضبطون نفيراً وقطميراً لتجاوزا بذلك.

وفي الحديث: «أكرموا الكرام الكاتبين الذين لا يفارقونكم إلا عند إحدى الحالتين الجنابة والغائط». قال في «عين المعاني»: قوله يعلمون يدل على أن السهو والخطأ وما لا تبعة فيه لا يكتب وكذا ما استغفر منه حيث لم يقل يكتبون انتهى. وقوله ما تفعلون وإن كان عاماً لأفعال القلوب والجوارح لكنه عام مخصوص بأفعال الجوارح لأن ما كان من المغيبات لا يعلمه إلا الله، وفي «كشف الأسرار»: علمهم على وجهين فما كان من ظاهر قول أو حركة جوارح علموه بظاهره وكتبوه على جهته وما كان من باطن ضمير يقال إنهم يجدون لصالحه رائحة طيبة ولطالحة رائحة خبيثة فيكتبونه مجملاً عملاً صالحاً وآخر سيئاً انتهى. وقد مر بيان هذا المقام في سورتي الزخرف وق فارجع وخص الفعل بالذكر لأنه أكثر من القول ولأن القول قد يراد به الفعل فاندرج فيه وعن الفضيل أنه كان إذا قرأ هذه الآية قال: ما أشدها من آية على الغافلين ففيها إنذار وتهويل وتشديد للعصاة وتبشير ولطف للمطيعين وفي تعظيم الكاتبين بالثناء عليهم تفخيم لأمر الجزاء وإنه عند الله من جلائل الأمور حيث يستعمل فيه هؤلاء الكرام فالتعظيم إنما هو في وصفهم بالكرم لا بالكتب والحفظ، وطعن بعض المنكرين في حضور الكاتبين أما أولاً فبأنه لو كانت الحفظة وصحفهم وأقلامهم معنا ونحن لا نراهم لجاز أن يكون بحضرتنا جبال وأشخاص لا نراها وذلك دخول في الجهالات وجوابه أن الملائكة من قبيل الأجسام اللطيفة فحضورهم لا يستلزم الرؤية ألا ترى أن الله أمد المؤمنين في بدر بالملائكة وكانوا لا يرونهم إلا من شاء الله رؤيته وكذا الجن من هذا القبيل ولذا قال تعالى: ﴿يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧] فكما إن الهواء لا يرى للطافته فكذا غيره من أهل اللطافة وأما ثانياً بأن هذه الكتابة والضبط إن كان لا لفائدة فهو عبث والله تعالى متعال عن ذلك وإن كان لفائدة فلا بد أن تكون للعبد لأن الله متعال عن النفع والضرر وعن تطرق النسيان وغاية ذلك أن يكون حجة على الناس وتشديداً عليهم بإقامتها لكن هذا ضعيف لأن من علم أن الله لا يجور ولا يظلم لا يحتاج في حقه إلى إثبات هذه الحجة ومن لم يعلم ذلك لاتنفعه لاحتمال أن يحمل على الظلم وجوابه أن الله يجري أموره على عباده على ما يتعارفونه في الدنيا بينهم ليكون أبلغ في تقرير المعنى عندهم من إخراج كتاب وإحضار شهود عدل في إلزام الحجة عند الحاكم والعبد إذا علم أن الله رقيب عليه والملائكة يحفظون أعماله ويكتبونها في الصحيفة

وتعرض على رؤوس الأشهاد يوم القيامة كان ذلك أزجر له عن المعاصي وأمنع من السوء، وأما ثالثاً فبأن أفعال القلوب غير مرئية فلا يكتبونها مع أنها محاسب بها لقوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآية وجوابه ما مر من أن الآية من العام المخصوص وقد قال الامام الغزالي رحمه الله: كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الملائكة الحفظة فإن شعورهم يقارن شعورك حتى إذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك في المذكور بالكلية غاب عن شعور لحفظة أيضاً وما دام القلب يلتفت إلى الذكر فهو معرض عن الله وفهم من هذا المقال إن قياس إطلاع الملائكة على الوقائع على إطلاع الناس غير مستقيم فإن شؤونهم علماً وعملاً غير شؤون الناس على أن من أصلح من الناس سريرته قد يكشف الضمائر ويطلع على الغيوب باطلاع الله تعالى فما ظنك بالملائكة الذين هم ألطف جسماً وأخف روحاً.

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾.

﴿إن الأبرار﴾ الذين بروا وصدقوا في إيمانهم بأداء الفرائض واجتناب المعاصي وبالفارسية [وبدرستى كه نيكو كاران وفرمان برداران].

جمع بر بالفتح وهو بمعنى الصادق والمطيع والمحسن وأحسن الحسنات لا إله إلا الله ثم بر الوالدين وبر التلامذة للأساتذة وبر أهل الإرادة للشيوخ كما قال في «فتح الرحمن»: هو الذي قد اطرد بره عموماً فبرر به في طاعته إياه وبر الناس في جلب ما استطاع من الخير لهم وغير ذلك.

وفي الحديث: «بروا آباءهم كما بروا أبناءهم». ﴿لفي نعيم﴾ وهو نعيم الجنة وثوابها والتنوين للتخفيم.

﴿وإن الفجار﴾ [وبدرستى كه دروغ كويان ومنكران حشر].

جمع فاجر والفجور شق ستر الديانة. ﴿لفي جحيم﴾ أي النار وعذابها والتنوين للتهويل والجملتان بيان لما يكتبون لأجله وهو أن الغاية إما النعيم وإما الجحيم وفيه إشارة إلى نعيم الذكر والطاعة والمعرفة والشهود والحضور والوصال وإلى جحيم الغفلة والمعصية والجهل والاحتجاب والغيبوبة والفراق، قال الخواص رحمه الله: طاب النعيم إذا كان منه وطاب الجحيم إذا كان به وفي «المثنوي»:

هر كجا باشد شه مارا بساط   هست صحرا كربود سم الخياط
هر كجا كه يوسفي باشد چوماه   جنت است أو أرچه باشد قعرچاه

﴿يصلونها﴾ إما صفة لجحيم أو استئناف مبني على سؤال نشأ عن تهويلها كأنه قيل ما حالهم فيها فقيل يقاسون حرها كما قال الخليل: صلى الكافر النار قاسي حرها وباشره ببدنه ولم يصف النعيم بما يلائمه لأن ما سبق من الكلام كان في المكذبين الفجرة لأن المقام مقام التخويف وذكر تبشير الأبرار لأنه ينكشف به حال الفجار الأشرار لأن الأشياء تعرف بأضدادها ﴿يوم الدين﴾ يوم الجزاء الذي كانوا يكذبون به.

﴿وما هم﴾ ونيست فجار ﴿عنها﴾ أي: عن الجحيم ﴿بغائبين﴾ طرفة عين يعني دروجاويد باشند وبيرون نيايند كقوله تعالى: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾ [المائدة: ٣٧] فالمراد دوام

نفي الغيبة لا نفي دوام الغيبة وقيل وما كانوا غائبين عنها قبل ذلك بالكلية بل كانوا يجدون سمومها في قبورهم حسبما قال النبي عليه السلام: «القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النيران».

﴿وما أدراك﴾ الخطاب لكل من يتأتى منه الدراية وما مبتدأ وإدراك خبره. ﴿ما﴾ خبر قوله: ﴿يوم الدين﴾ وما لطلب الوصف وإن كان وضعه لطلب الحقيقة وشرح الاسم والمعنى أي شيء جعلك دارياً وعالماً ما يوم الدين أي أي شيء عجيب هو في الهول والفظاعة؟ أي: ما أدراك إلى هذا الآن أحد كنه أمره فإنه خارج عن دائره دراية الخلق على أي صورة بصورونه فهو فوقها وأضعافها.

﴿ثم ما أدراك ما يوم الدين﴾ تكرير بثم المفيدة للترقي في الرتبة للتأكيد وزيادة التخويف والمجموع تعجيب للمخاطبين وتفخيم لشأن اليوم وإظهار يوم الدين في موقع الإضمار تأكيد لهوله وفخامته.

﴿يوم لا تملك نفس لنفس شيئاً﴾ بيان إجمال لشأن يوم الدين أثر إبهامه وبيان خروجه عن دائرة علوم الخلق بطريق إنجاز الوعد فإن نفي إدرائهم مشعر بالوعد الكريم بالإدراء. قال ابن عباس رضي الله عنهما كل ما في القرآن من قوله تعالى: ﴿وما أدراك﴾ فقد أدراه وكل ما فيه من قوله ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ [الأحزاب: ٦٣، الشورى: ١٧] فقد طوي عنه، ويوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف حركته الفتح لإضافته إلى غير متمكن كأنه قيل هو يوم لا تملك فيه نفس من النفوس لنفس من النفوس شيئاً من الأشياء أو منصوب بإضمار أذكر كأنه قيل بعد تفخيم أمر يوم الدين وتشويقه عليه السلام إلى معرفته اذكر ﴿يوم لا تملك﴾ .. الخ فإنه يدريك ما هو ودخل في نفس كل نفس ملكية وبشرية وجنية وفي شيء كل ماكان من قبيل جلب المنفعة أو دفع المضرة ﴿والأمر﴾ كله ﴿يومئذٍ﴾ أي: يوم إذ لا تملك نفس لنفس شيئاً ﴿لله﴾ وحده والأمر واحد الأوأمر فإن الأمر والحكم والقضاء من شأن الملك المطاع والخلق كلهم مقهورون تحت سطوات الربوبية وحكمها ويجوز أن يكون واحد الأمور، فإن أمور أهل المحشر كلها بيده تعالى لا يتصرف فيها غيره أخبر تعالى بضعف الناس يومئذٍ وأنه لا ينفعهم الأموال والأولاد والأعوان والشفعاء كما في الدنيا بل ينفعهم الإيمان والبر والطاعة وأنه لا يقدر أحد أن يتكلم إلا بإذن الله وأمره إذا الأمر له في الدنيا والآخرة في الحقيقة، وإن كان يظهر سلطانه في الآخرة بالنسبة إلى المحجوب لأن المحجوب يرى أن الله ملكه في الدنيا وجعل له شيئاً من الأمور والأوامر فإذا كان يوم لقيامة يظهر له أن لأمر والملك لله تعالى لا يزاحمه فيه أحد ولا يشاركه ولو صورة وفيه تهديد لأرباب الدعاوى وأصحاب المخالفة وتنبيه على عظيم بطشه تعالى وسطوته.

وفي الحديث: «من قرأ إذا السماء انفطرت أعطاه الله من الأجر بعدد كل قبر حسنة وبعدد كل قطرة ماء حسنة وأصلح الله شأنه يوم القيامة».

تمت سورة الانفطار بعون مالك الأقطار في الثاني والعشرين
من صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة وألف

٨٣ ـ سورة المطففين

ست وثلاثون آية مختلف في كونها مكية أو مدنية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾.

﴿ويل﴾ شدة الشر أو الهلاك أو العذاب الأليم، وقال ابن كيسان: هو كلمة كل مكروب واقع في البلية، فقولك: ويل لك عبارة عن استحقاق المخاطب لنزول البلاء والمحنة عليه، الموجب له أن يقول واويلاه ونحوه وقيل: أصله وي لفلان أي الحزن فقرن بلام الإضافة تخفيفاً وبالفارسية وأي.

وهو مبتدأ وإن كان نكرة لوقوعه في موقع الدعاء على ما سبق بيانه في المرسلات ﴿للمطففين﴾ الباخسين حقوق الناس في المكيال والميزان، وبالفارسية: مركاهند كانرا دركيل ووزن.

فإن التطفيف البخس في الكيل والوزن والنقص والخيانة فيهما بأن لا يعطي المشتري حقه تاماً كاملاً، وذلك لأن ما يبخس شيء طفيف حقير على وجه الخفية من جهة دناءة الكيال والوزان وخساستهما إذ الكثير يظهر فيمنع منه ولذا سمي مطففاً. قال الراغب: يقال طفف الكيل قلل نصيب المكيل له في إيفائه واستيفائه، وقال سعدي المفتي: والظاهر أن بناء التفعيل للتكثير لأن البخس لما كان من عادتهم كانوا يكثرون التطفيف ويجوز أن يكون للتعدية انتهى. روي أن رسول الله ﷺ قدم المدينة وكان أهلها من أبخس الناس كيلاً فنزلت فخرج فقرأها عليهم وقال: «خمس بخمس ما نقض قوم العهد إلا سلط الله عليهم عدوهم، وما حكموا بغير ما أنزل الله إلا فشا فيهم الفقر، وما ظهرت فيهم الفاحشة إلا فشا فيهم الموت، ولا طففوا الكيل إلا منعوا النبات وأخذوا بالسنين ولا منعوا الزكاة إلا حبس عنهم القطر» فعملوا بموجبها وأحسنوا الكيل فهم أوفى الناس كيلاً إلى اليوم وعن علي رضي الله عنه أنه مر برجل يزن الزعفران وقد أرجح فقال أقم الوزن بالقسط، ثم أرجح بعد ذلك ما شئت كأنه أمره أولاً بالتسوية ليعتادها ويفصل الواجب من النفل. وعن ابن عباس رضي الله عنهما إنكم معشر الأعاجم وليتم أمرين بهما هلك من كان قبلكم المكيال والميزان وخص الأعاجم لأنهم كانوا يجمعون الكيل والوزن جميعاً وكانا مفرقين في الحرمين كان أهل مكة يزنون وأهل المدينة يكيلون، وعن عكرمة قال: أشهد أن كل كيال ووزان في النار فقيل لو أن ابنك كيال أو وزان. فقال: أشهد أنه في النار، وعن الفضيل بخس الميزان سواد الوجه يوم القيامة، وعن مالك بن

دينار أنه دخل على جار له احتضر فقال يا مالك جبلان من نار بين يدي أكلف الصعود عليهما فسألت أهله فقالوا كان له مكيالان يكيل بأحدهما ويكتال بالآخر فدعوت بهما فضربت أحدهما بالآخر حتى كسرتهما ثم سألت الرجل فقال: ما يزداد الأمر على إلا عظماً ودر فصول سبعين [آورده كه هركه دركيل ووزن خيانت كند فردا اورا بقعر دوزخ در آورده ميان دوكوه ازآتش بنشانند وكويند كلهما وزنهما آبرا ميسنجد وميسوزد].

توكم دهى وبيش ستاني بكيل ووزن روزى بودكه ازكم وبيشت خبر كنند

﴿**الذين**﴾ الخ صفة كاشفة للمطففين شارحة لكيفية تطفيفهم الذي استحقوا به الذم والدعاء بالويل ﴿**إذا اكتالوا على الناس**﴾ أي: من الناس مكيلهم بحكم الشراء ونحوه والاكتيال الأخذ بالكيل كالاتزان الأخذ بالميزان. ﴿**يستوفون**﴾ الاستيفاء عبارة عن الأخذ الوافي أي: يأخذونه وافياً وافراً وتبديل كلمة من بعلى لتضمين الاكتيال معنى الاستيلاء أو للإشارة إلى أنه اكتيال مضربهم لكن لا على اعتبار الضرر في حيز الشرط الذي تتضمنه كلمة إذا لإخلاله بالمعنى، بل في نفس الأمر بموجب الجوار فإن المراد بالاستيفاء ليس أخذ الحق وافياً من غير نقص بل مجرد الأخذ الوافي الوافر حسبما أرادوا بأي وجه يتيسر من وجوه الحيل وكانوا يفعلونه بكبس الكيل وتحريك المكيال والاحتيال في ملئه فيسرقون من أفواه المكاييل وألسنة الموازين.

﴿**وإذا كالوهم أو وزنوهم**﴾ [الكيل بيمودن به پيمانه تا مقدار مكيل معلوم كردد].

والوزن والزنة سنجيدن تا مقدار موزون معلوم شود.

أي: وإذا كالوا للناس أو وزنوا لهم المبيع ونحوه بالفارسية [وچون مى پيمايند براي ناس ويامى سنجند حقوق ايشانرا].

فحذف الجار وأوصل الفعل كما قال في «تاج المصادر»: وزنت فلاناً درهماً، ووزنت لفلان بمعنى، والأصل اللام ثم حذفت فوصل الفعل ومنه الآية انتهى. فلفظ هم منصوب المحل على المفعولية لا مرفوعة على التأكيد للواو لأن واو الجمع إذا اتصل به ضمير المفعول لا يكتب بعده الألف كما في نصروك ومنه الآية إذ لم يكتب الألف في المصحف وإذا وقع في الطرف بأن يكون الضمير مرفوعاً واقعاً للتأكيد فحينئذٍ يكتب بعده الألف لأن المؤكد ليس كالجزء مما قبله بخلاف المفعول وأما نحو شاربوا الماء فالأكثر على حذف الألف لقلة الاتصال واو الجمع بالاسم هذا فإن قلت خط المصحف خارج عن القياس قلت الأصل في أمثاله إثباته في المصحف فلا يعدل عنه. ﴿**يخسرون**﴾ أي: ينقصون حقوقهم مع أن وضع الكيل والوزن إنما هو للتسوية والتعديل يقال خسر الميزان وأخسره يعني كم كردومى كاست.

ولعل ذكر الكيل والوزن في صورة الإخسار والاقتصار على الاكتيال في صورة الاستيفاء بأن لم يقل إذا اكتالوا على الناس أو اتزنوا لما أنهم لم يكونوا متمكنين من الاحتيال عند الاتزان تمكينهم منه عند الكيل والوزن. كما قال في «الكشاف» كأن المطففين كانوا لا يأخذون ما يكال ويوزن إلا بالمكاييل دون الوازين لتمكنهم بالاكتيال من الاستيفاء والسرقة لأنهم يزعزعون ويحتالون في الملىء وإذا أعطوا كالوا أو وزنوا لتمكنهم من البخس في النوعين جميعاً انتهى ويؤيده الاقتصار على التطفيف في الكيل في الحديث المذكور سابقاً وعدم التعرض للمكيل والموزون في الصورتين لأن مساق الكلام لبيان سوء معاملتهم في الأخذ والإعطاء لا في

خصوصية المأخوذ والمعطي قال أبو عثمان رحمه الله: حقيقة هذه الآية عندي هو من يحسن العبادة على رؤية الناس ويسيء إذا خلا.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى المقصرين في الطاعة والعبادة الطالبين كمال الرأفة والرحمة الذين يستوفون من الله مكيال أرزاقهم بالتمام ويكيلونه مكيال الطاعة والعبادة بالنقص والخسران ذلك هو الخسران المبين.

وقال القاشاني: يشير إلى التطفيف في الميزان الحقيقي الذي هو العدل والموزونات به هي الأخلاق والأعمال والمطففون هم الذين إذا اعتبروا كمالات أنفسهم متفضلين على الناس يستوفون أي يكثرونها ويزيدون على حقوقهم في إظهار الفضائل العلمية والعملية أكثر مما لهم عجباً وتكبراً وإذا اعتبروا كمالاً للناس بالنسبة إلى كمالاتهم اخسروا واستحقروها ولم يراعوا العدالة في الحالين لرعونة أنفسهم ومحبة التفضل على الناس كقوله يحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى حال النفس القاصرة في التوحيد الحقيقي فإنها إذا أعطته الروح تخسره لنقصانها وقصورها فيه علي أنه لا يدخل في الميزان إذ لا مقابل له فمن أدخله في الميزان فقد نقص شأنه وشأن نفسه أيضا وأما التوحيد الرسمي فهي تستوفيه من الروح لأنه حقها ولا نصيب سواه.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾

﴿**ألا يظن**﴾ آيانمى پندارند ﴿**أولئك**﴾ المطففون الموصوفون بذلك الوصف الشنيع الهائل فقوله: ﴿**ألا**﴾ ليست هي التي للتنبيه لأن ما بعد حرف التنبيه مثبت وهنا منفي لأن ألا التنبيهة إذا حذفت لا يختل المعنى نحو ﴿لَعَمۡرُكَ إِنَّهُمۡ لَفِي سَكۡرَتِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الحجر: ٧٢] وإذا حذفت ألا هذه اختل المعنى بل الهمزة الاستفهامية الإنكارية داخلة على لا النافية وجوز أن تكون للعرض والتحضيض على الظن.

﴿**أنهم مبعوثون ليوم عظيم**﴾ لا يقادر قدر عظمه وعظم ما فيه من الأهوال ومحاسبون فيه على مقدار الذرة والخردلة فإن من يظن ذلك وإن كان ظناً ضعيفاً في حد الشك والوهم لا يتجاسر على أمثال هاتيك القبائح فكيف بمن يتيقنه فذكر الظن للمبالغة في المنع عن التطفيف وإلا فالمؤمن لا يكفي له الظن في أمر البعث والمحاسبة بل لا بد من الاعتقاد الجازم.

﴿**يوم يقوم الناس**﴾ منصوب بإضمار أعني. ﴿**لرب العالمين**﴾ بتقدير المضاف أي لمجرد أمره وحكمه بذلك لا لشيء آخر أو لمحاسبة رب العالمين فيظهر هناك تطفيفهم ومجازاتهم أو يقومون من قبورهم لرد رب العالمين أرواحهم إلى أجسادهم، روي «أنهم يقومون بين يدي الله تعالى أربعين عاماً وفي رواية ثلاثمائة سنة من سني الدنيا وعرق أحدهم إلى أنصاف أذنيه لا يأتيهم خبر ولا يؤمر فيهم بأمر».

وآن مقام هيبت باشدكه كس رازهرهٔ سخن نباشد

ثم يخاطبون يفني از مقام هيبت بمقام محاسبه آرند

وأما في حق المؤمن فيكون المكث كقدر انصرافهم من صلاة مكتوبة، وفي تخصيص رب العالمين من بين سائر الصفات إشعار بالمالكية والتربية فلا يمتنع عليه الظالم القوي لكونه مملوكاً مسخراً في قبضة قدرته ولا يترك حتى المظلوم الضعيف لأن مقتضى التربية أن لا يضيع

لأحد شيئاً من الحقوق وفي هذه التشديدات إشارة إلى أن التطفيف وإن كان يتعلق بشيء حقير لكنه ذنب كبير قيل كل من نقص حق الله من زكاة وصلاة وصوم فهو داخل تحت هذا الوعيد وعن ابن عمر رضي الله عنهما إنه قرأ هذه السورة فلما بلغ إلى قوله ﴿يوم يقوم الناس لرب العالمين﴾، بكى نحيبا أي: يرفع الصوت وامتنع من قراءة ما بعد من غلبة البكاء وملاحظة الحساب والجزاء وقال أعرابي لعبد لملك بن مروان: إنك قد سمعت ما قال تعالى في المطففين وأراد بذلك إن المطفف قد توجه عليه الوعيد العظيم في أخذ القليل فما ظنك بنفسك وأنت تأخذ أموال المسلمين بلا كيل ووزن.

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾.

﴿كلا﴾ ردع عما كانوا عليه من التطفيف والغفلة عن البعث والحساب فيحسن الوقف عليه وإن كان بمعنى حقاً فلا لكونه حينئذٍ متصلاً بما بعده. ﴿إن كتاب الفجار لفي سجين﴾ تعليل للردع والكتاب مصدر بمعنى المكتوب كاللباس بمعنى الملبوس أو على حاله بمعنى الكتابة واللام للتأكيد وسجين علم الكتاب جامع هو ديوان الشر دون أعمال الشياطين وأعمال الكفرة والفسقة من الثقلين منقول من وصف كحاتم، وهو منصرف لأنه ليس فيه إلا سبب واحد وهو التعريف وأصله فعيل من السجن مبالغة الساجن أو لأنه مطروح كما قيل تحت الأرض السابعة في مكان مظلم وحش وهو مسكن إبليس وذريته إذلالاً لهم وتحقيراً لشأنهم وتشهده الشياطين المدحورون كما إن كتاب الأبرار يشهده المقربون فالسجين مبالغة المسجون، والمعنى إن كتاب الفجار الذين من جملتهم المطففون أي: ما يكتب من أعمالهم أو كتابة أعمالهم لفي ذلك الكتاب المدون فيه قبائح أعمال المذكورين.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: كتاب استعدادهم الفطري مكتوب في ديوان سجين طبيعتهم المجبولة على الفسق والفجور بقلم اليد اليسرى على ورق صفحة جبينهم كما قال عليه السلام: «السعيد من سعد في بطن أمه والشقي من شقى في بطن أمه».

﴿وما أدراك ما سجين﴾ تهويل لأمره أي: هو بحيث لا يبلغه دراية أحد.

﴿كتاب مرقوم﴾ قال الراغب: الرقم الخط الغليظ وقيل: هو تعجم الكتاب، وقوله: ﴿كتاب مرقوم﴾ حمل على الوجهين انتهى. أي هو مسطور بين الكتابة بحيث كل من نظر إليه يطلع على ما فيه بلا دقة نظر وإمعان توجه أو معلم يعلم من رآه أنه لا خير فيه لأهاليه أي ذلك الكتاب مشتمل على علامة دالة على شقاوة صاحبه وكونه من أصحاب النار وكونه علامة الشر يستفاد من المقام لأنه مقام التهويل وقال القفال قوله ﴿كتاب مرقوم﴾ ليس تفسيراً لسجين بل هو خبر لأن والمعنى إن كتاب الفجار لفي سجين وإنه كتاب مرقوم وقوله ﴿وما أدراك ما سجين﴾ وقع معترضاً بين الخبرين.

وقال القاشاني: إن كتاب الفجار أي: ما كتب من أعمال المرتكبين للرذائل الذين فجروا بخروجهم عن حد العدالة المتفق عليها الشرع والعقل لفي سجين في مرتبة من الوجود مسجون أهلها في حبوس ضيقة مظلمة يزحفون على بطوهم كالسلاحف والحيات والعقارب الأخساء في أسفل مراتب الطبيعة ودركاتها وهو ديوان أعمال أهل الشر ولذلك فسر بقوله ﴿كتاب مرقوم﴾ أي: ذلك المحل المكتوب فيه أعمالهم كتاب مرقوم برقوم هيئات رذائلهم وشرورهم.

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾﴾

﴿ويل﴾ عظيم ﴿يومئذٍ﴾ أي: يوم يقوم الناس لرب العالمين فهو متصل به وما بينهما اعتراض وقال بعضهم: أي: يوم إذ أعطي ذلك الكتاب. ﴿للمكذبين﴾ وقال الكاشفي: ويل كلمه ايست جامع همه بديها يعني عذاب وعقاب وشدت ومحنت دران روزمر مكذبان راست.

﴿الذين يكذبون بيوم الدين﴾ صفة ذامة للمكذبين كقولك فعل ذلك فلان الفاسق الخبيث لأن تكذيبهم بيوم الدين علم من قوله ﴿ألا يظن أولئك﴾ .. الخ. قال بعض أهل الإشارة: المكذبون بالحق وآياته هم أرباب النفوس الذين أقبلوا على الدنيا وأعرضوا عن الحق ودينه الذي هو دين الإسلام وكل يجازي بحسب دينه فمن لا دين له فجزاؤه سوء الجزاء والويل العظيم ومن له دين فجزاؤه حسن الجزاء ورؤية الوجه الكريم فعليك بالتصديق.

﴿وما يكذب به إلا كل معتد﴾ متجاوز عن حدود النظر والاعتبار غالٍ في التقليد حتى استقصر قدرة الله على الإعادة مع مشاهدته للبدء كالوليد بن المغيرة والنضر بن الحارث ونحوهما ﴿أثيم﴾ كثير الإثم أي منهمك في الشهوات الناقصة الفانية بحيث شغلته عما وراءها من اللذات التامة الباقية وحملته على إنكارها فالاعتداء دل على إهمال القوة النظرية التي كمالها أن يعرف الإنسان وحدة الصانع واتصافه بصفات الكمال مثل العلم والإرادة والقدرة ونحوها والإثم دل على إهمال القوة العملية التي كمالها أن يعرف الإنسان الخير لأجل العمل به ﴿إذا تتلى عليه آياتنا﴾ الناطقة بذلك ﴿قال﴾ من فرط جهله وإعراضه عن الحق الذي لا محيد عنه ﴿أساطير الأولين﴾ أي: هي حكايات الأولين وأخبارهم الباطلة قال في «فتح الرحمن»: هي الحكايات التي سطرت قديماً وهي جمع أسطورة بالضم وإسطارة بالكسر وهي الحديث الذي لا نظام له.

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿كلا﴾ ردع للمعتدي عن ذلك القول الباطل وتكذيب له فيه ويجوز أن يكون ردعاً عن مجموع التكذيب والقول. ﴿بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون﴾ قرأ حفص عن عاصم بل بإظهار اللام مع سكتة عليها خفيفة بدون القطع ويبتدىء ران وقرأ الباقون بإدغام اللام في الراء ومنهم حمزة والكسائي وخلف وأبو بكر عن عاصم يميلون فتحة الراء. قال بعض المفسرين: هرب حفص من اجتماع ثقلتي الراء المفخمة والإدغام انتهى. ويرد عليه قل رب فإنه لا سكتة فيه بل هو بإدغام أحد المتقاربين في الآخر فالوجه أنه إنما سكت حفص على لام بل ران وكذا على نون من راق خوف اشتباهه بتثنية البر ومبالغة مارق حيث يصير بران ومراق وما موصوله والعائد محذوف ومحلها الرفع على الفاعلية والمعنى ليس في آياتنا ما يصح أن يقال في شأنها مثل هذه المقالات الباطلة، بل ركب قلوبهم وغلب عليها ما كانوا يكسبونه من الكفر والمعاصي حتى صارت كالصدأ في المرآة فحال ذلك بينهم وبين معرفة الحق كما قال عليه السلام: إن العبد كلما أذنب ذنباً حصل في قلبه نكتة سوداء حتى يسود قلبه ولذلك قالوا ما قالوا، والرين صدأ يعلو الشيء الجلي والطبع والدنس وران ذنبه على قلبه ريناً وريوناً غلب وكل ما غلبك رانك وبك وعليك كما في «القاموس» وران فيه النوم رسخ فيه.

وفي «التعريفات»: الران هو الحجاب الحائل بين القلب وعالم القدس باستيلاء الهيئات النفسانية ورسوخ الظلمانية الجسمانية فيه بحيث يتحجب عن أنوار الربوبية بالكلية والغين بالمعجمة دون الرين وهو الصدأ فإن الصدأ حجاب رقيق يزول بالتصفية ونور التجلي لبقاء الإيمان معه والرين هو الحجاب الكثيف الحائل بين القلب والإيمان ولهذا قالوا: الغين هو الاحتجاب عن الشهود مع صحة الاعتقاد والطبع يطبع على القلب والإقفال أن يقفل عليه قيل الإقفال أشد من الطبع كما أن الطبع أشد من الرين.

قال القاشاني في الآية: أي: صار صدأ عليها بالرسوخ فيه وكدر جوهرها وغيرها عن طباعها والرين حد من تراكم الذنب ورسوخه تحقق عنده الحجاب وانغلق باب المغفرة نعوذ بالله منه.

قال أبو سليمان الداراني قدس سره: الران والقسوة هما زماماً الغفلة فمن تيقظ وتذكر أمن من القسوة والرين ودواؤهما إدمان الصيام فإن وجد بعد ذلك قسوة فليترك الإدام وقال بعض الكبار القلب مرآة مصقولة كلها وجه فلا تصدأ أبداً وإن أطلق عليها الصدأ في نحو حديث: إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد «وإن جلاءها ذكر الموت وتلاوة القرآن» فليس المراد بذلك الصدأ أنه طخاء طلع على وجه القلب ولكنه لما تعلق واشتغل بعلم الأسباب عن العلم بالمسبب كان تعلقه بغير الله صدأ على وجه القلب مانعاً من تجلي الحق إليه إذا لحضرة الآلهية متجلية على الدوام لا يتصور في حقها حجاب عنا فلما لم يقبلها هذا القلب من جهة الخطاب الشرعي المحمود وقبل غيرها عبر عن قبول الغير بالصدأ والكن والقفل وغير ذلك وقد نبه الله على ذلك، في قوله: ﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ﴾ [فصلت: ٥] فهي في أكنة مما يدعوها الرسول إليه خاصة لا أنها في كن مطبقاً فلما تعلقت بغير ما تدعى إليه عميت عن إدراك ما دعيت إليه فلم تبصر شيئاً فالقلوب أبداً لم تزل مفطورة على الجلاء مصقولة صافية. قال المولى الجامي:

مسكين فقيه ميكند انكار حسن دوست   با او بكوكه ديدۀ جانرا جلى كند

﴿كلا﴾ ردع وزجر عن الكسب الرائن أي: الموقع في الرين ﴿إنهم﴾ أي: المكذبين ﴿عن ربهم﴾ وهو وقوله ﴿يومئذٍ﴾ أي: يوم إذ يقوم الناس لرب العالمين متعلقان بقوله ﴿لمحجوبون﴾ فلا يرونه لأنهم بأكسابهم القبيحة صارت مرآة قلوبهم ذات صدأ وسرت ظلمة الصدأ منها إلى قوالبهم فلم يبق محل النور التجلي بخلاف المؤمنين فإنهم يرونه تعالى لأنهم بأكسابهم الحسنة صارت مرائي قلوبهم مصقولة صافية وسرى نور الصقالة والصفوة منها إلى قوالبهم فصاروا مستعدين لانعكاس نور التجلي في قلوبهم وقوالبهم، وصاروا وجوهاً من جميع الجهات كوجود الوجه الباقي بل أبصاراً بالكلية، سئل مالك بن أنس رحمه الله عن هذه الآية فقال: لما حجب أعداؤه فلم يروه لا بدَّ أن يتجلى لأوليائه حتى يروه، يعني احتج الإمام مالك بهذه الآية على مسألة الرؤية من جهة دليل الخطاب وإلا فلو حجب الكل لم يبق للتخصيص فائدة وكذلك.

[آنكاه دمريان دوست ودشمن فرق نماند كويى ببهشت ميهمانيست].

بي ديدن ميزبان چه باشد   چون دشمن ودوست راچه باشد

[پس فرق دران مياه چه باشد].

وعن الشافعي رحمه الله: لما حجب قوماً بالسخط دل على أن قوماً يرونه بالرضى. وقال الشيخ الإسلام عبد الله الأنصاري رحمه الله: لمحجوبون عن رؤية الرضى فإن الشقي يراه غضبان حين يتجلى في المحشر قبل دخول الناس الجنة، وقال حسين بن الفضل رحمه الله: كما حجبهم في الدنيا عن توحيده حجبهم في الآخرة عن رؤيته فالموحد غير محجوب عن ربه وقال سهل رحمه الله: حجبهم عن ربهم قسوة قلوبهم في العاجل وما سبق لهم من الشقاوة في الأزل فلم يصلحوا لبساط القرب والمشاهدة فأبعدوا وحجبوا، والحجاب هو الغاية في البعد والطرد وقال ابن عطاء رحمه الله: الحجاب حجابان حجاب بعد وحجاب إبعاد فحجاب البعد لا تقريب فيه أبداً وحجاب الإبعاد يؤدب ثم يقرب كآدم عليه السلام، وقال القاشاني: ﴿**إنهم عن ربهم يومئذٍ لمحجوبون**﴾ لامتناع قبول قلوبهم للنور وامتناع عودها إلى الصفاء الأول الفطري كالماء الكبريتي مثلاً إذ لو روق أو صعد لما رجع إلى الطبيعة المائية المبردة لاستحالة جوهره بخلاف الماء المسخن استحالت كيفيته دون طبيعته ولهذا استحقوا الخلود في العذاب، وفي «المفردات» الحجب المنع عن الوصول والآية إشارة إلى منع السور عنهم بالإشارة إلى قوله ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ﴾ [الحديد: ١٣] أي: بحجاب يمنع من وصول لذة الجنة إلى أهل النار وأذية أهل النار إلى أهل الجنة وقال صاحب «الكشاف»: كونهم محجوبين عنه تمثيل للاستحقاق بهم وإهانتهم لأنه لا يؤذن على الملوك إلا للوجهاء المكرمين لديهم ولا يحجب عنهم إلا الأدنياء المهانون عندهم قال.

إذا اعتروا باب ذي مهابة رجبوا.

والناس ما بين مرجوب ومحجوب انتهى. أي: ما بين معظم ومهان وإنما جعله تمثيلاً لا كناية إذ لا يمكن إرادة المعنى الحقيقي على زعمه من حيث إنه معتزلي قال بعض المفسرين: جعل الآية تمثيلاً عدول عن الظاهر وهو مكشوف فإن ظاهر قولهم هو محجوب عن الأمير يفيد أنه ممنوع عن رؤيته وهو أكبر سبب الإهانة، وما نقل عن ابن عباس رضي الله عنه، لمحجوبون عن رحمته، وعن ابن كيسان عن كرامته فالمراد به بيان حاصل المعنى فإن المحجوب عن الرؤية ممنوع عن معظم الرحمة والكرامة فالآية من جملة أدلة الرؤية فالحمد لله تعالى على بذل نواله وعطائه وعلى شهود جماله ولقائه.

﴿ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا الْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾﴾

﴿**ثم إنهم**﴾ مع كونهم محجوبين عن رؤية الله ﴿**لصالوا الجحيم**﴾ أي: داخلوا النار ومباشروا حرها من غير حائل أصله صالون حذفت نونه بالإضافة وثم لتراخي الرتبة فإن صلي الجحيم أشد من الحجاب والإهانة والحرمان من الرحمة والكرامة فإن الحجاب وإن كان من قبيل العذاب الروحاني وهو أشد من العذاب الجسماني لكن مجرد النجاة من النار أهون من العذاب لأن في العذاب الحسي حصول العذابين كما لا يخفى.

﴿**ثم يقال**﴾ لهم توبيخاً وتقريعاً من جهة الزبانية وإنما طوى ذكرهم لأن المقصود ذكر القول لا القائل مع أن فيه تعميماً لاحتمال القائل وبه يشتد الخوف ﴿**هذا**﴾ العذاب وهو مبتدأ خبره قوله ﴿**الذي كنتم**﴾ في الدنيا ﴿**به**﴾ متعلق بقوله ﴿**تكذبون**﴾ فذوقوه وتقديمه لرعاية

الفاصلة لا للحصر فإنهم كانوا يكذبون أحكاماً كثيرة.

﴿كلا﴾ ردع عما كانوا عليه بعد ردع وزجر بعد زجر ﴿إن كتاب الأبرار﴾ أي الأعمال المكتوبة لهم على أن الكتاب مصدر مضاف إلى مقدر. ﴿لفي عليين﴾ لفي ديوان جامع لجميع أعمال الأبرار، فعليون: علم لديوان الخير الذي دون فيه كل ما عملته الملائكة وصلحاء الثقلين منقول من جمع على فعيل من العلو للمبالغة فيه سمي بذلك إما لأنه سبب الارتفاع إلى أعالي الدرجات في الجنة وإما لأنه مرفوع في السماء السابعة حيث يسكن الكروبيون تكريماً له وتعظيماً، وروي أ«ن الملائكة لتصعد بعمل العبد فيستقلونه فإذا انتهوا إلى ما شاء الله من سلطانه أوحى إليهم أنكم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على ما في قلبه وإنه أخلص عمله فاجعلوه في عليين فقد غفرت له، وإنها تصعد بعمل العبد فيزكونه فإذا انتهوا به إلى ما شاء الله أوحى إليهم أنتم الحفظة على عبدي وأنا الرقيب على قلبه وإنه لم يخلص في عمله فاجعلوه في سجين» وفيه إشارة إلى أن الحفظة لا يطلعون على الإخلاص والرياء إلا باطلاع الله تعالى.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿وما أدراك ما عليون﴾ أي هو خارج عن دائرة دراية الخلق ﴿كتاب مرقوم﴾ أي: هو مسطور بين الكتابة يقرأ بلا تكلف أو معلم بعلامة تدل على سعادة صاحبه وفوزه بنعيم دائم وملك لا يبلى ولما كان عليون علماً منقولاً من الجمع حكم عليه بالمفرد وهو كتاب مرقوم وأعرب بإعراب الجمع حيث جرأ ولا بفي ورفع بالخبرية لما الاستفهامية لكونه في صورة الجمع وقيل اسم مفرد على لفظ الجمع كعشرين وأمثاله فليس له وحد ﴿يشهده﴾ الملائكة ﴿المقربون﴾ عند الله قربة الكرامة أي: يحضرونه ويحفظونه من الضياع، وفي «فتح الرحمن»: هم سبعة أملاك من مقربي السماء من كل سماء ملك مقرب فيحضره ويشيعه حتى يصعد به إلى ما يشاء الله ويكون هذا في كل يوم أو يشهدون بما فيه يوم القيامة على رؤوس الإشهاد وبه تبين سر ترك الظاهر بأن يقال طوبى يومئذٍ للمصدقين بمقابلة ويل يومئذٍ للمكذبين لأن الأخبار بحضور الملائكة تعظيماً وإجلالاً يفيد ذلك مع زيادة فختم كل واحد بما يصلح سواه مكانه.

وقال القاشاني: ما كتب من صور أعمال السعداء وهيئات نفوسهم النورانية وملكاتهم الفاضلة في عليين وهو مقابل لسجين في علوه وارتفاع درجته وكونه ديوان أعمال أهل الخير كما قال: كتاب مرقوم أي: محل شريف رقم بصور أعمالهم من جرم سماوي أو عنصر إنساني يحضر ذلك المحل أهل الله الخاصة من أهل التوحيد الذاتي.

﴿إن الأبرار﴾ أي: السعداء الأتقياء عن درن صفات النفوس. ﴿لفي نعيم﴾ ثم وصف كيفية ذلك النعيم بأمور ثلاثة أولها قوله ﴿على الأرائك﴾ أي على الأسرة في الحجال يعني برتختهاى آراسته.

ولا يكاد تطلق الأريكة على السرير عندهم إلا عند كونه في الحجلة وهو بالتحريك بيت العروس يزين بالثياب والأسرة والستور. ﴿ينظرون﴾ أي: ما شاؤوا أمد أعينهم إليه من رغائب مناظر الجنة وإلى ما أولاهم الله من النعمة والكرامة يعني [مى نكرند بچيز هاكه ازان شادمان وفرحناك ميكردند از صور حسنه ومنتزهات بهيه].

وكذا إلى أعدائهم يعذبون في النار وما تحجب الحجال أبصارهم عن الإدراك للطافتها وشفوفها أي: رقتها فحذف المفعول للتعميم وقوله: ﴿على الأرائك﴾ ويجوز أن يكون خبراً بعد خبر وأن يكون حالاً من المنوي في الخبر أو في الفاعل في ينظرون، والتقديم لرعاية فواصل الآي وأما ينظرون فيجوز أن يكون مستأنفاً وأن يكون حالاً إما من المنوي في الخبر أوفي الظرف أي ناظرين. قال ابن عطاء رحمه الله: على أرائك المعرفة ينظرون إلى المعروف وعلى أرائك القربة ينظرون إلى الرؤوف وفيه إشارة إلى أن أرباب المقامات العالية ينظرون إلى جميع مراتب الوجود لا يحجبهم شيء عن المطالعة بخلاف الأغيار فإنهم محجوبون عن مطالعة أحوال أهل الملكوت ورمز إلى أن لكل من أهل الدرجات روضة مخصوصة من الأسماء والصفات فمنها ينظرون فمنهم عال وأعلى وليس الإشراف على الكل إلا لأشرف الأشراف وهو قطب الأقطاب.

﴿تعرف في وجوههم نضرة النعيم﴾ وهو ثاني الأوصاف أي ببهجة التنعم وماءه ورونقه أي إذا رأيتهم عرفت إنهم أهل النعمة بسبب ما يرى في وجوههم من القرائن الدالة على ذلك كالضحك والاستبشار كما يرى في وجوه الأغنياء وأهل الترفه فمن هذا اختير تعرف على ترى مع أن المعرفة تتعلق بالخفيات غالباً والرؤية بالجليات غالباً والخطاب لكل أحد ممن له حظ من الخطاب للإيذان بأن مالهم من آثار النعمة وأحكام البهجة بحيث لا يختص برؤية رائي. قال جعفر رضي الله عنه: يعني لذة النظر تتلألأ مثل الشمس في وجوههم إذا رجعوا من زيارة الله إلى أوطانهم. وقال بعضهم: تعرف في وجوههم رضي محبوبهم عنهم.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ كَانُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا۟ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿يسقون من رحيق﴾ وهو ثالث الأوصاف وسقي يتعدى إلى مفعولين والأول هنا الواو القائم مقام الفاعل والثاني من رحيق لأن من تبعيضية كأنه قيل بعض رحيق أو مقدر معلوم أي شراباً كائناً من رحيق مبتدأ منه فمن ابتدائية والرحيق صافي الخمر وخالها والمعنى يسقون في الجنة من شراب خالصها لا غش فيه ولا ما يكرهه الطبع ولا شيء يفسده وأيضاً صاف عن كدورة الخمار وتغيير النكهة وإيراث الصداع.

﴿مختوم ختامه﴾ أي: ما يختم ويطبع به. ﴿مسك﴾ وهو طيب معروف أي مختوم أوانيه وأكوابه بالمسك مكان الطين قال في «كشف أسرار» ما ختم به مسك رطب ينطبع فيه الخاتم أمر الله بالختم عليه إكراماً لأصحابه فختم ومنع أن يمسه ماس أو تتناوله يداً إلى أن يفك ختمه الأبرار والأظهر أنه تمثيل لكمال نفاسته إذا الشيء النفيس يختم لا سيما إذا كان ما يختم به المسك مكان الطين، وقيل ختام الشيء خاتمته وآخره فمعنى ختامه مسك أن الشارب إذا رفع فاء من آخر شربه وجد رائحة كرائحة المسك أو وجد رائحة المسك لكونه ممزوجاً به كالأشربة الممسكة في الدنيا فإنه يوجد فيها رائحة المسك عند خاتمة الشرب لا في أول زمان الملابسة بالشرب وعن أبي الدرداء رضي الله عنه، إن الرحيق شراب أبيض مثل الفضة يختمون به آخر شربهم ولو أن رجلاً من أهل الدنيا أدخل فيه يده ثم أخرجها لم يبق ذو روح إلا وجد طيب

ريحه. ﴿وفي ذلك﴾ الرحيق خاصة دون غيره من النعيم المكدر السريع الفناء أو فيما ذكر من أحوالهم لا في أحوال غيرهم من أهل الشمال. ﴿فليتنافس المتنافسون﴾ فليرغب الراغبون بالمبادرة إلى طاعة الله، يعني عمل بجاي آرندكه سب استحقاق شرب آن كردند.

والأمر للتحضيض والترغيب ظاهراً وللوجوب باطناً بوجوب الإيمان والطاعة وأصل التنافس التغالب في الشيء النفيس أي: المرغوب كأن كل واحد من الشخصين يريد أن يستأثر به وأصله من النفس لعزتها وقال البغوي: أصله من الشيء النفيس الذي يحرص عليه نفوس الناس ويريده كل أحد لنفسه وينفس به على غيره أي: يبخل وفي «المفردات» المنافسة مجاهدة النفس للتشبه بالأفاضل واللحوق بهم من غير إدخال ضرر على غيره قال ذو النون المصري رحمه الله: علامة التنافس تعلق القلب به وطيران الضمير إليه والحركة عند ذكره والتباعد من الناس والأنس بالوحدة والبكاء على ما سلف وحلاوة سماع الذكر والتدبر في كلام الرحمن وتلقي النعم بالفرح والشكر والتعرض للمناجاة.

﴿ومزاجه من تسنيم﴾ عطف على ختامه صفة أخرى لرحيق مثله وما بينهما اعتراض مقرر لنفاسته أي: ما يمزج به ذلك الرحيق من ماء تسنيم وهو علم العين بعينها تجري من جنة عدن سميت بالتسنيم الذي هو مصدر سنمه إذا رفعه إما لأنها أرفع شراب في الجنة قدراً فيكون من علو المكانة وأما لأنها تأتيهم من فوق فيكون من علو المكان روي أنها تجري في الهواء متسنمة فتنصب في أوانيهم فإذا امتلأت أمسك الماء حتى لا يقع منه قطرة على الأرض فلا يحتاجون إلى الاستقاء.

﴿عيناً﴾ نصب على المدح والاختصاص أي: بتقدير أعني ﴿يشرب بها المقربون﴾ من جناب الله قربا معنوياً روحانياً أي يشربون ماءها صرفاً وتمزج لسائر أهل الجنة وهم أصحاب اليمين فالباء مزيدة أو بمعنى من وفيه إشارة إلى أن التسنيم في الجنة الروحانية هو معرفة الله ومحبته ولذة النظر إلى وجهه الكريم والرحيق هو الابتهاج تارة بالنظر إلى الله وأخرى بالنظر إلى مخلوقاته فالمقربون أفضل من الأبرار [بمحبت غيرنيا ميخته اندشراب ايشان صرفست وآنهاكه محبت ايشان آميخته باشد شراب ايشان ممزوج باشد].

ما شراب عيش ميخواهيم بي دردىء غم صاف نوشان ديكر ودردى فروشان ديكرند

وقال بعضهم:

تسبيح رهى وصف جمال توبست وزهر دوجهان ورا وصال توبست

اندردل هركسى ذكر مقصوديست مقصود دل رهى خيال توبست

ودر بحر الحقائق [آورده كه رحيق اشارتست بشراب خالص ازكدورات خمار كونين وأواني مختومهء ري قلوب أوليا وأصفياكه ختام أو مسك مبحت است] لا يشرب من تلك الأواني إلا الطالبون الصادقون في طريق السلوك إلى الله على نفسه فليبك من ضاع عمره. وليس له منها نصيب ولا سهم، [وتسنيم أعلاي مراتب محبت ذاتيه كه غير ممزوج بأشد بصفات وأفعال ومقربان أهل فنا في الله وبقا بالله] إنه كما قال العارف في خمر المحبة الصرفة الخالصة من المزج:

عليك بها صرفاً فإن شئت مزجها فعدلك عن ظلم الحبيب هو الظلم

العدل بمعنى العدول والظلم بالفتح هو ماء الأسنان وبريقها وبالضم هو الجور أي: فإن

شئت مزجها فامزجها بزلال فم الحبيب وبريقه إن لم تقدر على شربها صرفاً ولا تعدل فإن العدول عن ظلم الحبيب ورشحة زلاله هو الظلم.

[وتاكسي بر بساط قرب در مجلس أنس ورياض قدس ازدست ساقىٔ رضا جرعهٔ ازين شراب ناب نچشد بويى ازسراين سخنان بمشام جان وى نرسد].

سر مايهٔ ذوق دوجهان مستى عشقست آنهاكه ازبن مي نچشيد ندچه دانند

﴿إن الذين أجرموا﴾ كانوا ذوي جرم وذنب ولا ذنب أكبر من الكفر وأذى المؤمنين لإيمانهم فالمراد بهم رؤساء قريش وأكابر المجرمين المشركين كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل وأمثالهم. ﴿كانوا﴾ في الدنيا ﴿من الذين آمنوا﴾ إيماناً صادقاً ﴿يضحكون﴾ أي: يستهزئون بفقرائهم كعمار وصهيب وبلال وخباب وغيرهم وتقديم الجار والمجرور لمراعاة الفواصل.

﴿وإذا مروا﴾ أي فقراء المؤمنين ﴿بهم﴾ أي بالمشركين وهم في أنديتهم وهو الأظهر وإن جاز العكس أيضاً يقال مرمراً ومروراً جاز وذهب كاستمر ومره وبه جاز عليه كما في «القاموس» قال في «تاج المصادر» المر بكذشتن بكسى.

ويعدى بالباء وعلى ﴿يتغامزون﴾ أي يغمز بعضهم بعضاً ويشيرون بأعينهم ويعيبونهم ويقولون انظروا إلى هؤلاء يتعبون أنفسهم ويتركون اللذات ويتحملون المشقات لما يرجونه في الآخرة من المثوبات وأمر البعث والجزاء لا يقين به وإنه بعيد كل البعد والتغامز تفاعل من الغمز وهو الإشارة بالجفن والحاجب ويكون بمعنى العيب أيضاً وفي «التاج» التغامز يكديكررا بچشم اشارت كردن.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿وإذا انقلبوا﴾ من مجالسهم ﴿إلى أهلهم﴾ إلى أهل بيتهم وأصحابهم الجهلة الضالة التابعة لهم والانقلاب الانصراف والتحول والرجوع. ﴿انقلبوا﴾ حال كونهم ﴿فكهين﴾ متلذذين بذكرهم بالسوء والسخرية منهم وفيه إشارة إلى أنهم كانوا لا يفعلون ذلك بمرأى من المارين ويكتفون حينئذٍ بالتغامز. ﴿وإذا رأوهم﴾ أي المجرمون المؤمنين أينما كانوا ﴿قالوا﴾ مشيرين إلى المؤمنين بالتحقير ﴿إن هؤلاء لضالون﴾ أي نسبوا المسلمين ممن رأوهم ومن غيرهم إلى الضلال بطريق التأكيد وقالوا: تركوا دين آبائهم القديم ودخلوا في الدين الحادث أو قالوا: تركوا التنعم الحاضر بسبب طلب ثواب لا يدري هل له وجود أو لا؟ وهذا كما أن بعض غفلة العلماء ينسبون الفقراء السالكين إلى الضلال والجنون خصوصاً إذا كان أهل السلوك من أهل المدرسة فإنهم يضللونه أكثر من تضليل غيره.

منعم كنى زعشق وى اي زاهد زمان معذور دارمت كه تواور انديدهٔ

﴿وما أرسلوا﴾ أي المجرمون ﴿عليهم﴾ أي: على المسلمين ﴿حافظين﴾ حال من واو قالوا أي قالوا ذلك والحال أنهم ما أرسلوا من جهة الله موكلين بهم يحفظون عليهم أمورهم ويهيمنون على أعمالهم ويشهدون برشدهم وضلالهم وإنما أمروا بإصلاح أنفسهم وأي نفع لهم

في تتبع أحوال غيرهم وهذا تهكم بهم وإشعار بأن ما اجترؤوا عليه من القول من وظائف من أرسل من جهته تعالى وقد جوز أن يكون ذلك من جملة قول المجرمين كأنهم قالوا إن هؤلاء لضالون وما أرسلوا علينا حافظين إنكاراً لصدهم عن الشرك ودعائهم إلى الإسلام وإنما قيل نقلاً له بالمعنى.

﴿فاليوم الذين آمنوا﴾ أي: المعهودون من الفقراء ﴿من الكفار﴾ المعهودين وهو الأظهر وإن أمكن التعميم من الجانبين ﴿يضحكون﴾ حين يرونهم أذلاء مغلولين وغشيهم فنون الهوان والصغار بعد العز والكبر ورهقهم ألوان العذاب بعد التنعم الترفه قال في بعض التفاسير: لعل الفاء جواب شرط مقدر كأنه قيل إذا عرفتم ما ذكر فاعلموا أن اليوم أي: يوم القيامة فاللام للعهد والذين مبتدأ ومن الكفار متعلق بقوله ﴿يضحكون﴾ وحرام للوهم أن يتوهم كونه بياناً للموصول نظراً إلى ظاهر الاتصال من غير تفكر في المعنى ويضحكون خبر المبتدأ وهو ناصب اليوم لصحة المعنى.

﴿على الأرائك﴾ برتختهاى آراسته بادرو ياقوت ﴿ينظرون﴾ أي يضحكون منهم حال كونهم ناظرين إليهم وإلى ما فيهم من سوء الحال فهو حال من فاعل يضحكون ﴿هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون﴾ كلام مستأنف من قبل الله أو من قبل الملائكة والاستفهام للتقرير وثوب بمعنى يثوب عبر عنه بالماضي لتحققه والتثويب والإثابة المجازاة استعمل في المكافاة بالشر. قال الراغب: الإثابة تستعمل في المحبوب نحو ﴿فَأَثَبَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّتٍ﴾ [المائدة: ٨٥] وقد قيل ذلك في المكروه نحو ﴿فَأَثَبَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ﴾ [آل عمران: ١٥٣] على الاستعارة والتثويب في القرآن لم يجىء إلا في المكروه نحو هل ثوب الخ. انتهى وفي «تاج المصادر» التثويب پاداش دادن وفي «تهذيب المصادر» التثويب ثواب دادن وفي «القاموس» التثويب التعويض انتهى. وهو الموافق لما في «التاج» والمراد بما كانوا يفعلون استهزآؤهم بالمؤمنين وضحكهم منهم وهو صريح في أن ضحك المؤمنين منهم في الآخرة إنما هو جزاء لضحك الكافرين منهم في الدنيا وفيه تسلية للمؤمنين بأنه سينقلب الحال ويكون الكفار مضحوكاً منهم وتعظيم لهم فإن إهانة الأعداء تعظيم للأولياء والله ينتقم لأوليائه من أعدائهم فإنه يغضب لأوليائه كما يغضب الليث الجري لجروه ومن الله العصمة وعلم منه أن الضحك والاستهزاء والسخرية والغمز من الكبائر فالخائض يها من المجرمين الملحقين بالمشركين نسأل الله السلامة.

تمت سورة المطففين بعون المعين في السادس والعشرين من صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة وألف

٨٤ ـ سورة الانشقاق

خمس وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ۝٣ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ۝٤ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٥﴾.

﴿إذا السماء انشقت﴾ إعرابه كإعراب إذا السماء انفطرت أي: انفتحت بغمام أبيض يخرج منها كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلسَّمَآءُ بِٱلْغَمَٰمِ﴾ [الفرقان: ٢٥] والباء للآلة كما في قولك انشقت الأرض بالنبات وفي ذلك الغمام الملائكة ينزلون وفي أيديهم صحائف الأعمال أو فيه ملائكة العذاب وكان ذلك أشد وأفظع من حيث إنه جاءه العذاب من موضع الخير فيكون انشقاق السماء لنزول الملائكة بالأوامر الإلهية، وقيل للسقوط والانتقاض، وقيل لهول القيامة وكيف لا تنشق وهي في قبضة قهره أقل من خردلة ولا منع من جميع هذه الأقوال فإنها تنشق لهيبة الله فتنزل الملائكة ثم يؤول أمرها إلى الفساد والاختلال وعن علي رضي الله عنه تنشق من المجرة وهي بفتح الميم باب الماء أي: البياض المستطيل في وسط السماء سميت بذلك لأنها كأثر المجر ويقال لها بالفارسية [راه حاجيان وكهكشان].

تنشق السماء من ذلك الموضع كأنه مفصل ملتئم فتصدع منه.

﴿وأذنت لربها﴾ واستمعت أي: انقادت وأذعنت لتأثير قدرته تعالى حين تعلقت قدرته وإرادته بانشقاقها انقياد المأمور المطواع إذا ورد عليه أمر الآمر المطاع فهو استعارة تمثيلية متفرعة على المجاز المرسل يعني إذا أطلق الأذن وهو الاستماع في حق من له حاسة السمع والاستماع بها يراد بها الإجابة والانقياد مجازاً وإذا أطلق في حق نحو السماء مما ليس في شأنه الاستماع والقبول يكون استعارة تمثيلية، فقوله: ﴿أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١] يدل على نفوذ القدرة في الإيجاد والإبداع من غير ممانعة أصلاً وقوله ﴿وأذنت لربها﴾ يدل على نفوذ القدرة في التفريق والإعدام من غير ممانعة أصلاً والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إليها للإشعار بعلة الحكم وهذا الانقياد عند أرباب الحقائق محمول على أن لها حياة وإدراكاً كسائر الحيوانات إذ ما من شيء إلا وله نصيب من تجلي الاسم الحي وقد سبق مراراً ﴿وحقت﴾ من قولهم هو محقوق بكذا وحقيق به أي: جعلت حقيقة بالاستماع والانقياد إذ هي مربوبة ومصنوعة له تعالى أي شأنها ذلك بالنسبة إلى القدرة القاهرة الربانية التي يتأتى بها كل مقدور ولا يتخلف عنها أمر من الأمور وبالفارسية وخود آنرا چنين سزد.

فحق الجملة أن تكون اعتراضاً مقررة لما قبلها لا معطوفة عليه.

﴿وإذا الأرض مدت﴾ أي: بسطت بإزالة جبالها وآكامها عن مقارها وتسويتها بحيث صارت كالصحيفة الملساء أو زيدت سعة وبسطة من أحد وعشرين جزءاً إلى تسعة وتسعين جزءاً لوقوف الخلائق عليها للحساب وإلا لم تسعهم من مده بمعنى أمده أي: زاده، وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة مد الله الأرض مد الأديم حتى لا يكون لبشر من الناس إلا موضع قدميه» يعني لكثرة الخلائق فيها قوله ﴿مد الأديم﴾ لأن الأديم إذا مد زال كل انثناء فيه واستوى وفي بعض الروايات مد الأديم العكاظي، قال في «القاموس»: هو كغراب سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقدم هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوماً تجتمع قبائل العرب فيتعاكظون أي يتفاخرون ويتناشدون ومنه الأديم العكاظي انتهى.

﴿وألقت ما فيها﴾ أي رمت ما في جوفها من الموتى والكنوز إلى ظاهرها كقوله تعالى: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝﴾ [الزلزلة: ٢] وهو من الإسناد المجازي وإلا فالإلقاء والإخراج لله تعالى حقيقة فإن قلت: إخراج الكنوز يكون وقت خروج الدجال لا يوم القيامة قلت: يوم القيامة وقت متسع يجوز اعتباره من وقت خروجه ولو مجاز مجازاً لأنه الانه من أشراطه الكبرى فيكون إخراج الكنوز عند قرب الساعة وإخراج الموتى عند البعث. ﴿وتخلت﴾ وخلت عما فيها غاية الخلو حتى لم يبق فيها شيء منه كأنها تكلفت في ذلك أقصى جهدها كما يقال تكرم الكريم وترحم الرحيم إذا بلغا جهدهما في الكرم والرحمة وتكلفا فوق ما في طبعهما.

﴿وأذنت لربها﴾ وانقادت له في الإلقاء والتخلي ﴿وحقت﴾ أي: وهي حقيقة بذلك أي: شأنها ذلك بالنسبة إلى القدرة الربانية ذكره مرتين لأن الأول متصل بالسماء والثاني بالأرض وإذا اتصل كل واحد بغير ما اتصل به الآخر لم يكن تكراراً وجواب إذا محذوف أي: إذا وقعت هذه الأمور كان من الأهوال ما تقصر عن بيانه العبارة وفي «تفسير الكاشفي» جواب [إذا آنست كه به بيند إنسان ثواب وعقاب را].

وفيه إشارة إلى انشقاق سماء الروح الحيوانية بانفراجها عن الروح الإنساني وزوالها وبسط أرض البدن بنزع الروح عنها وإلقاء ما فيها من الروح والقوى وتخليها عن كل ما فيها من الآثار والإعراض بالحياة والمزاج والتركيب والشكل بتبعية خلوها عن الروح.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى انشقاق سماء الروح عن ظلمة غيم النفس الأمارة وانقيادها لفيض ربها بتهيئة الاستعداد بما يتصرف فيها من غير إباء وامتناع وإلى بسط أرض النفوس البشرية لأربابها وتخليها عن أحكام البشرية.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ۝ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ۝﴾.

﴿يا أيها الإنسان﴾ جنس الإنسان الشامل للمؤمن والكافر والعاصي فالخطاب عام لكل مكلف على سبيل البدل يقال هذا أبلغ من العموم لأنه يقوم مقام التنصيص في النداء على مخاطبة كل واحد بعينه كأنه قيل يا فلان ويا فلان إلى غير ذلك. ﴿إنك كادح إلى ربك كدحاً﴾ الكدح: جهد النفس في العمل والكد فيه بحيث يؤثر فيها والجهد بالفتح بمعنى المشقة والتعب والكد: السعي الشديد في العمل وطلب الكسب من كدح جلده إذا خدشه والمعنى إنك جاهد ومجد أي ساع باجتهاد ومشقة إلى لقاء ربك أي: إلى وقت لقائه وهو الموت وما بعده من

الأحوال الممثلة باللقاء مبالغ في ذلك وفي الخبر: «أنهم قالوا يا رسول الله فيم نكدح وقد جفت الأقلام ومضت المقادير؟ فقال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له» ﴿فملاقيه﴾ فملاق له أي لجزاء عملك من خير وشر عقيب ذلك لا محالة من غير صارف يلويك عنه ولا مفر لك منه ويقال إنك عامل لربك عملاً فملاق عملك يوم القيامة يعني إن جدك وسعيك إلى مباشرة الأعمال في الدنيا هو في الحقيقة سعي إلى لقاء جزائها في العقبى فملاق ذلك الجزاء لا محالة، فعليك أن تباشر في الدنيا بما ينجيك في العقبى واحذر عما يهلكك فيها ويوقعك في الخجالة والافتضاح من سوء المعاملة وفي الحديث، النادم ينتظر الرحمة والمعجب ينتظر المقت وكل عامل سيقدم إلى ما أسلف. وقال القاشاني: إنك ساع بالموت أي تسير مع أنفاسك سريعاً كما قيل أنفاسك خطاك فملاقيه ضرورة فالضمير للرب.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى الإنسان المخلوق على صورة ربه وكدحه واجتهاده في التحقق بالأسماء الإلهية والصفات اللاهوتية فهو ملاقٍ ما يكدح ويجتهد حسب استعداده الفطري.

﴿فأما من﴾ وهو المؤمن السعيد ومن موصولة وهو تفصيل لما أجمل فيما قبله ﴿أوتي﴾ أي يؤتى والماضي لتحققه ﴿كتابه﴾ المكتوب فيه أعماله التي كدح في كسبها ﴿بيمينه﴾ لكون كدحه بالسعي فيما يكتبه كاتب اليمين والحكمة في الكتاب أن المكلف إذا أعلم أن أعماله تكتب عليه وتعرض على رؤوس الإشهاد كان أزجر عن المعاصي وأن العبد إذا وثق بلطف سيده واعتمد على عفوه وستره لم يحتشم احتشامه من خدمه المطلعين عليه ﴿فسوف﴾ پس زود بودكه ﴿يحاسب﴾ يوم القيامة بعد مدة مقدرة على ما تقتضيه الحكمة. ﴿حساباً يسيراً﴾ سهلاً لا مناقشة فيه ولا اعتراض بما يسوؤه ويشق عليه كما يناقش أصحابا الشمال والحساب بمعنى المحاسبة وهو بالفارسية باكسى شمار كردن.

والمراد عد أعمال العباد وإظهارها للمجازاة، وعن الصديقة رضي الله عنها هو أي الحساب اليسير أن يعرف ذنوبه ثم يتجاوز عنه يعني أن يعرض عليه أعماله ويعرف أن الطاعة منها هذه والمعصية هذه ثم يثاب على الطاعة ويتجاوز عن المعصية فهذا هو الحساب اليسير لأنه لا شدة على صاحبه ولا مناقشة ولا يقال له لم فعلت هذا ولا يطالب بالعذر ولا بالحجة عليه فإنه متى طولب بذلك لم يجد عذراً ولا حجة فيفتضح.

برادر زكار بدان شرم دار ... كه در روى نيكان شوى شرمسار
بجاي كه دهشت خورد انبيا ... تو عذر كنه راچه داري بيا

ولذا قال عليه السلام: «عرض الجيش» أعني عرض الأعمال لأنها زي أهل الموقف والله الملك فيعرفون بسيماهم كما يعرف الأجناد هنا بزيهم، قالوا: إن عصاة المؤمنين داخلة في هذا القسم فقوله ﴿فسوف يحاسب حساباً يسيراً﴾ من وصف الكل بوصف البعض أي: فالعصاة وإن لم يكن لهم حساب يسير بالنسبة إلى المطيعين لكن حسابهم كالعرض بالنسبة إلى مناقشة أصحاب الشمال فأصحاب اليمين شاملة لهم وقد يقال: كتاب عصاة المؤمنين يعطى عند خروجهم عن النار وقيل يجوز أن يعطوا من الشمال لا من وراء ظهورهم وفيه أن الإعطاء من الشمال ومن وراء الظهر أمر واحد وقيل لم تتعرض الآية للعصاة الذين يدخلهم الله النار وهو الظاهر وقوله عليه السلام في بعض صلاته: «اللهم حاسبني حساباً يسيراً» وإن دل على أن للأنبياء كتاباً

لكن الظاهر إرشاد الأمة وتعليمهم وإلا فهم معصومون داخلون الجنة بلا حساب ولا كتاب.

﴿وينقلب﴾ أي: يرجع وينصرف من مقام الحساب اليسير. ﴿إلى أهله﴾ أي عشيرة المؤمنين أو فريق المؤمنين هم رفقاؤه في طريق السعادة والكرامة ﴿مسروراً﴾ مبتهجاً بحاله وكونه من أهل النجاة قائلاً هاؤم اقرأوا كتابيه فهذا الانقلاب يكون في المحشر قبل دخول الجنة لا كما قال في «عين المعاني» من أنه يدل على أن أهله يدخلون الجنة قبله وفيه إشارة إلى كتاب الاستعداد الفطري المكتوب في ديوان الأزل بقلم كتبة الأسماء الجمالية فإن من أوتيه لا تناقشه الأسماء الجلالية وينقلب إلى أهله مسروراً بفيض تجلي جماله ولطفه.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾﴾

﴿وأما من أوتي كتابه﴾ تكرير كتابه بدون الاكتفاء بالإضمار لتغاير الكتابين وتخالفهما بالاشتمال والحكم في المآل أي: يؤتى كتاب عمله ﴿وراء ظهره﴾ أي: بشماله من وراء ظهره وجانبه، ظرف لأوتي مستعمل في المكان. وقال الكلبي: يغل يمينه ثم تلوي يده اليسرى من ورائه فيعطي كتابه بشماله وهي خلف ظهره فلا مخالفة بين هذا وبين ما في الحاقة حيث لم يذكر فيها الظهر بل اكتفى بالشمال قال الإمام: ويحتمل أن يكون بعضهم يعطي كتابه بشماله وبعضهم من وراء ظهره وفي «تفسير» الفاتحة للفناري رحمه الله: وأما من أوتي كتابه بشماله وهو المنافق فإن الكافر لا كتاب له أي لأن كفره يكفيه في المؤاخذة فلا حاجة إلى الكتاب من حيث إنهم ليسوا بمكلفين بالفروع وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فهم الذين أوتوا الكتاب فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فإذا كان يوم القيامة قيل له: خذه من راء ظهرك أي من الموضع الذي نبذته فيه في حياتك الدنيا فهو كتابه المنزل عليه لا كتاب الأعمال فإنه حين نبذه وراء ظهره ظن أن لن يحور، وقال أبو الليث في «البستان»: اختلف الناس في الكفار هل يكون عليهم حفظة أولا قال بعضهم: لايكون عليهم حفظة لأن أمرهم ظاهر وعملهم واحد وقال الله تعالى يعرف المجرمون بسيماهم ولا نأخذ بهذا القول بل يكون للكفار حفظة والآية نزلت بذكر الحفظة في شأن الكفار ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ٩ ـ ١٢] وقال في آية أخرى ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة: ٢٥] ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾﴾ [الانشقاق: ١٠] فأخبر أن الكفار يكون لهم كتاب وحفظة فإن قيل: فالذي يكتب عن يمينه إذا أي: شيء يكتب ولم يكن لهم حسنة يقال له الذي عن شماله يكتب بإذن صاحبه ويكون شاهداً على ذلك وإن لم يكتب ﴿فسوف يدعو﴾ پس زود باشدكه بخواند.

أي: بعد مدة منتهية عذاب شديد لا يطاق عليه ﴿ثبوراً﴾ أي: يتمنى لنفسه الثبور وهو الهلاك ويدعوه يا ثبوراه تعال فهذا أوانك وأنى له ذلك يعني لما كان إيتاء الكتاب من غير يمينه علامة كونه من أهل النار كان كلامه واثبوراه قال الفراء: تقول العرب فلان يدعو لهفه إذا قال والهفاء قيل: الثبور مشتق من المثابرة على الشيء وهو المواظبة عليه وسمي هلاك الآخرة ثبوراً لأنه لازم لا يزول. كما قال تعالى: ﴿لَّا تَدْعُواْ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُواْ ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾﴾ [الفرقان: ١٤] قال في «كشف الأسرار»: پيربو على سياه وقتى در بازار ميرفت سائلي ميكفت بحق روز بزرك كه مراچيزى بدهيد پيراز هوش برفت چون بهوش باز آمداورا كفتنداي شيخ ترا

اين ساعت چه روى نمود كفت هيبت وعظمت آن روز بزرك آنكه كفت واحزناه على قلة الحزن واحسرتاه على قلة التحسر يعني وا اندوهاي آزبى آند وهي واحسرتا آزبى حسرتي.

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا ﴿١٥﴾ فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿**ويصلى سعيراً**﴾ أي: يدخلها ويقاسي حرها وعذابها من غير حائل وهذا يدل على أن دعاءهم بالثبور قبل الصلي وبه صرح الإمام وأما قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾﴾ [الفرقان: ١٣] فيدل على أنه بعده ولا منافاة في الجمع فإنهم يدعونه أولاً وآخراً بل دائماً على أن الواو لمطلق الجمع لا للترتيب وفيه إشارة إلى صاحب كتاب الاستعداد الفطري المكتوب في ديوان الأزل بقلم كتبة الأسماء الجلالية فإنه يتمنى أن يكون في الدنيا فانياً في الحق وهالكاً عن أنيته ويصلى نار الرياضة والمجاهدة وراء ظهره من الجزاء الوفاق لأنه خالف أمر ربه في قوله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] أي من غير مدخلها بمحافظة ظواهر الأعمال من غير رعاية حقوق بواطنها بتقوى الأحوال فسبب الوصول إلى حضرة الربوبية والدخل فيها هو التقوى وهو اسم جامع لكل بر من أعمال الظاهر وأحوال الباطن والقيام باتباع الموافقات واجتناب المخالفات.

وقال القاشاني: وأما من أوتي كتابه وراء ظهره أي جهته التي تلي الظلمة من الروح الحيواني والجسد فإن وجه الإنسان جهته التي إلى الحق وخلفه جهته التي إلى البدن الظلماني بأن رد إلى الظلمات في صور الحيوانات فسوف يدعو ثبوراً لكونه في ورطة هلاك الروح وعذاب الأبد ويصلي سعير نار الآثار في مهاوي الطبيعة.

﴿**إنه**﴾ أي: لأن فالجملة استئناف لبيان علة ما قبلها. ﴿**كان**﴾ في الدنيا ﴿**في أهله**﴾ فيما بين أهله وعشيرته أو معهم على أنهم جميعاً كانوا مسرورين كما يقال جاءني فلان في جماعة أي معهم ﴿**مسروراً**﴾ مترفاً بطراً مستبشراً يعني شادان ونازان بمال فإني وجاه ناپايدار ومحجوب از منعم بنعم.

كديدن الفجار الذين لا يخطر ببالهم أمور الآخرة ولا يتفكرون في العواقب كسنة الصلحاء والمتقين كما قال تعالى حكاية: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦] والحاصل أنه كان الكافر في الدنيا فارغاً عن هم الآخرة وكان له مزمار في قلبه فجوزي بالغم الباقي بخلاف المؤمن فإنه كان له نائحة في قلبه فجوزي بالسرور الدائم وفيه إشارة أيضاً إلى الروح العلوي الذي يؤتى كتابه بيمينه وإلى النفس السفلية التي تؤتي كتابها من وراء ظهرها وأهلها القوى الروحانية النورانية والقوى الجسمانية الظلمانية.

﴿**إنه ظن**﴾ تيقن كما في «تفسير الفاتحة» للفناري وقال في «فتح الرحمن» الظن هنا على بابه بمعنى الحسبان لا الظن الذي بمعنى اليقين وهو تعليل لسروره في الدنيا أي: إن هذا الكافر ظن في الدنيا. ﴿**أن**﴾ أي: الأمر والشأن فهي مخففة من الثقيلة سادة مع ما في حيزها مسد مفعول الظن أو أحدهما على الخلاف المعروف. ﴿**لن يحور**﴾ لن يرجع إلى الله تكذيباً للمعاد والحور الرجوع والمحار المرجع والمصير، وعن ابن عباس رضي الله عنهما ما كنت أدري ما معنى يحور حتى سمعت أعرابية تقول لبنيّة لها حوري حوري أي ارجعي وحر إلى أهلك أي:

ارجع ومنه الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور أي الرجوع عن حالة جميلة والحواري القصار لرجعه الثواب إلى البياض.

﴿بلى﴾ إيجاب لما بعد لن أي: بلى ليحورن البتة وليس الأمر كما يظن. ﴿إن ربه﴾ الذي خلقه ﴿كان به﴾ وبأعماله الموجبة للجزاء والجار متعلق بقوله ﴿بصيراً﴾ بحيث لا تخفى منها خافية فلا بد من رجعه وحسابه وجزائه عليها حتماً إذ لا يجوز في حكمته أن يهمله فلا يعاقبه على سوء أعماله وهذا زجر لجميع المكلفين عن المعاصي كلها. وقال الواسطي رحمه الله: كان بصيراً به إذ خلقه لماذا خلقه ولأي شيء أوجده وما قدر عليه من السعادة أو الشقاوة وما كتب له وعليه من له ورزقه. ﴿فلا﴾ كلمة لا صلة للتوكيد كما مر مراراً ﴿أقسم بالشفق﴾ هي الحمرة التي تشاهد في أفق المغرب بعد الغروب وبغيبوبتها يخرج وقت المغرب ويدخل وقت العشاء عند عامة العلماء أو لبياض الذي يليها ولا يدخل وقت العشاء إلا بزواله.

[وجمعي برآنندكه آن بياض أصلاً غائب نمى شود بلكه مترددداست از أفقي بأفقي].

وقد سبق تحقيق المقام في المزمل وهي إحدى روايتين عن أبي حنيفة رضي الله عنه، ويروى أنه رجع عن هذا القول ومن ثمة كان يفتي بالأول الذي هو قول الإمامين وغيرهما سمي به يعني على كل من المعنيين لرقته لكن مناسبته لمعنى البياض أكثر وهو من الشفقة التي هي عبارة عن رقة القلب ولا شك أن الشمس أعني ضوءها يأخذ في الرقة والضعف عن غيبة الشمس إلى أن يستولى سواد الليل على الآفاق كلها وعن عكرمة ومجاهد. الشفق: هو النهار بناء على أن الشفق هو أثر الشمس وهو كوكب نهاري وأثره هو النهار فعلى هذا يقع القسم بالليل والنهار اللذين أحدهما معاش والآخر سكن وبهما قوام أمور العالم، وفي «المفردات»: الشفق اختلاط ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس.

قال القاشاني: فلا أقسم بالشفق أي النورية الباقية من الفطرة الإنسانية بعد غروبها واحتجابها في أفق البدن الممزوجة بظلمة النفس عظمها بالإقسام بها لإمكان كسب الكمال والترقي في الدرجات بها.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن الله تعالى أقسم الشفق لكونه مظهر الوحدة الحقيقية الذاتية والكثرة النسبية الاسمائية وذلك لأن الشفق حقيقة برزخية بين سواد ليل الوحدة وبياض نهار الكثرة والبرزخ بين الشيئين لا بد له من قوة كل واحد منهما فيكون جامعاً لحكم الوحدة والكثرة فحق له أن يقسم به وإنما جعل الليل مظهر الوحدة لاستهلاك الأشياء المحسوسة فيه استهلاك التعينات في حقيقة الوحدة ويدل عليه قوله: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا﴾ [النبأ: ١٠] لاستتار الأشياء بظلمته ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١] مظهر الكثرة لظهور الأشياء فيه ولاشتمال المعاش على الأمور الكثيرة.

﴿والليل وما وسق﴾ قال الراغب: الوسق جمع المتفرق أي: وأقسم بالليل وما جمعه وما ضمه وستره بظلمته فما موصولة يقال وسقه فاتسق واستوسق يعني أن كلاً منهما مطاوع لوسق أي: جمعه فاجتمع وما عبارة عما يجتمع بالليل ويأوي إلى مكانه من الدواب والحشرات والهوام والسباع وذلك أنه إذا أقبل الليل أقبل كل شيء إلى مأواه مما كان منتشراً بالنهار وقيل: يجوز أن يكون المراد بما جمعه الليل العباد المتهجدين بالليل لأنه تعالى قد مدح المستغفرين بالأسحار فيجوز أن يقسم بهم.

قال القاشاني: أي ليل ظلمة البدن وما جمعه من القوى والآلات والاستعدادات التي يمكن بها اكتساب العلوم والفضائل والترقي في المقامات ونيل المواهب والكمالات.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى القسم بليل النفس المطمئنة المستترة بغلسية النفس الأمارة بعد الوصول إلى المقام المأمول وإنما صارت مطمئنة من الرجوع إلى حكم النفس الأمارة وبقي لها التلوين في التمكين من أوصاف الكمل من الذرية المحمديين ولهذا أمرت بالرجوع إلى ربها بقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٧ - ٢٨] وليس المقصود الذاتي من الرجوع نفس الرجوع بل المقصود الكلي هو الاتصال بالمرجوع إليه قوله **﴿وما وسق﴾** أي: وما جمع من القوى الروحانية المستخلصة من يد تصرف النفس الأمارة.

﴿والقمر إذا اتسق﴾ أي اجتمع وتم بدر الليلة أربع عشرة وفي «فتح الرحمن»: امتلأ في الليالي البيض يقال أمور فلان متسقة أي: مجتمعة على الصلاح كما يقال منتظمة قال في «القاموس»: وسقه يسقه جمعه وحمله ومنه **﴿والليل وما وسق﴾** واتسق انتظم انتهى. أقسم الله بهذه الأشياء لأن في كل منها تحولاً من حال فناسبت المقسم عليها يعني أن الله تعالى أقسم بتغيرات واقعة في الأفلاك والعناصر على تغير أحوال الخلق فإن الشفق حالة مخالفة لما قبلها وهو ضوء النهار ولما بعدها وهو ظلمة الليل وكذا قوله والليل وما وسق فإنه يدل على حدوث ظلمة بعد نور وعلى تغير أحوال الحيوانات من اليقظة إلى النوم وكذا قوله والقمر إذا اتسق فإنه يدل على حصول كمال القمر بعد أن كان ناقصاً. قال القاشاني: أي قمر القلب الصافي عن خسوف النفس إذا اجتمع وتم نوره وصار كاملاً.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى القسم بقمر قلب العارف المحقق عند استدارته ودريته.

﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍۭ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿لتركبن طبقاً﴾ مفعول تركبن **﴿عن طبق﴾** أي: لتلاقن حالاً بعد حال يعني برسيد ومتلاشى شويد حالي را بعد از حالي كه كل واحدة منها مطابقة لأختها في الشدة والفظاعة يقال ما هذا بطبق هذا أي: لا يطابقه. قال الراغب: المطابقة من الأسماء المتضايفة وهو أن يجعل الشيء فوق آخر بقدره ومنه طابقت النعل بالنعل لم يستعمل الطباق في الشيء الذي يكون فوق الآخر تارة وفيما يوافق غيره أخرى وقيل الطبق جمع طبقة وهي المرتبة وهو الأوفق للركوب المنبىء عن الاعتلاء والمعنى لتركبن أحوالاً بعد أحوال هي طبقات في الشدة بعضها أرفع من بعض وهي الموت وما بعده من مواطن القيامة ودواهيها إلى حين المستقر في إحدى الدارين وقرىء لتركبن بالإفراد على خطاب الإنسان باعتبار اللفظ لا باعتبار شموله لإفراده كالقراءة الأولى ومحل عن طبق النصب على أنه صفة لطبقاً، أي طبقاً مجاوز الطبق أو حال من الضمير في لتركبن طبقاً أي: مجاوزين لطبق أو مجاوزاً على حسب القراءة فعن على معناه المشهور وهو المجاوزة وتفسيره بكلمة بعد بيان لحاصل المعنى. وقال ابن الشيخ: عن هنا بمعنى بعد لأن الإنسان إذا صار إلى شيء مجاوزاً عن شيء آخر فقد صار إلى الثاني بعد الأول

فصح أنه يستعمل فيه بعد وعن معاً وأيضاً لفظ عن يفيد البعد والمجاوزة فكان مشابهاً للفظ بعد فصح استعمال أحدهما بمعنى الآخر.

وفي «التأويلات النجمية»: يخاطب القلب الإنساني المتوجه إلى الله بأنواع الرياضات وأصناف المجاهدات والتقلبات في الأحوال المطابقة كل واحدة منها الأخرى في الشدة والمشقة من الجوع والسهر والصمت والعزلة وأمثال ذلك.

﴿**فما لهم لا يؤمنون**﴾ أي إذا كان حالهم يوم القيامة ما ذكر فأي شيء لهم حال كونهم غير مؤمنين أي: أي شيء يمنعهم من الإيمان مع تعاضد موجباته وفيه إشارة إلى النفس والهوى والقوى البشرية الطبيعية وعدم إيمانهم بالقلب وامتثالهم أمره باتباع أحكام الشريعة وآداب الطريقة وآثار الحقيقة.

﴿**وإذا قرىء عليهم القرآن لا يسجدون**﴾ جملة شرطية محلها النصب على الحالية نسقاً على ما قبلها أي: أي مانع لهم حال عدم سجودهم وخضوعهم واستكانتهم عند قراءة النبي عليه السلام أو واحد من أصحابه وأمته القرآن فإنهم من أهل اللسان فيجب عليهم أن يجزموا بإعجاز القرآن عند سماعه وبكونه كلاماً إلهياً ويعلموا بذلك صدق محمد في دعوى النبوة فيطيعوه في جميع الأوامر والنواهي، ويجوز أن يراد به نفس السجود عند تلاوة آية السجدة على أن يكون المراد بالقرآن آية السجدة بخصوصها لا مطلق القرآن كما روي أنه عليه السلام قرأ ذات يوم واسجد واقترب فسجد هو ومن معه المؤمنين وقريش تصفق فوق رؤوسهم وتصفر استهزاء، وبه احتج أبو حنيفة على وجوب السجدة فإن الذم على ترك الشيء يدل على وجوب ذلك وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله عليه السلام سجد فيها وكذا الخلفاء وهي الثالثة عشرة من أربع عشرة سجدة تجب عندها السجدة عند أئمتنا على التالي والسامع سواء قصده أم لا وعن ابن عباس رضي الله عنهما، ليس في مفصل سجدة وكذا قال الحسن هي غير واجبة ثم إن الأئمة الثلاثة يسجدون عند قوله ﴿**لا يسجدون**﴾ والإمام مالك عند آخر السورة.

وفي «التأويلات النجمية»: وإذا قرىء على النفس والهوى والقوى البشرية الطبيعية المواعظ الإلهية القرآنية المنزلة على رسول القلب لا يخضعون ولا ينقادون لاستماعها وامتثال أوامرها وائتمار أحكامها.

﴿**بل الذين كفروا يكذبون**﴾ بالقرآن الناطق بما ذكر من أحوال القيامة وأهوالها مع تحقق موجبات تصديقه ولذلك لا يخضعون عند تلاوته وهذا من وضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والإشعار بما هو العلة في عدم خضوعهم للقرآن وفي البروج في تكذيب لأنه راعي في السورتين فواصل الآي مع صحة اللفظ وجودة المعنى، وفي بعض التفاسير الظاهر إن المراد التكذيب بالقلب بمعنى عدم التصديق وهو إضراب ترق فإن عدم الإيمان يكون بالشك أيضاً والتكذيب من شدة الكفر وقوة الإنكار الحاملة على الإضراب.

﴿**والله أعلم بما يوعون**﴾ بما يضمرونه في قلوبهم ويجمعونه في صدورهم من الكفر والحسد والبغي والبغضاء فيجازيهم على ذلك في الدنيا والآخرة فما موصولة يقال أوعيت الشيء أي جعلته في وعاء أي: ظرف ثم استعير هو والوعي لمعنى الحفظ أو بما يجمعونه في صحفهم من أعمال السوء ويدخرونه لأنفسهم من أنواع العذاب علماً فعلياً تفصيلياً. قال القاشاني: بما يوعونه في وعاء أنفسهم وبواطنهم من الاعتقادات الفاسدة والهيئات الفاسقة وقال

نجم الدين: من إغراقهم في بحر الشهوات الدنيوية وإحراقهم بنيرن العذاب الأخروية.

﴿فبشرهم﴾ أي: الذين كفروا **﴿بعذاب أليم﴾** مؤلم غاية الإيلام لأن علمه تعالى بذلك على الوجه المذكور موجب لتعذيبهم حتماً وهو استهزاء بهم وتهكم كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾ [البقرة: ١٥] لأن البشارة هي الإخبار بالخبر السار وقد استعملت في الخبر المؤلم.

قال الكاشفي: يعني خبركن ايشانرا بعذاب دردناك وفيه رمز إلى تبشير المؤمنين بالثواب المريح راحة جسمانية وروحانية لأن التخصيص ليس بضائع ولذلك قال تعالى:

﴿إلا الذين﴾ استثناء منقطع من الضمير المنصوب في فبشرهم الراجع إلى الذين كفروا والمستثنى وهم المؤمنون خارج عنهم أي: لكن الذين **﴿آمنوا﴾** إيماناً صادقاً وأيضاً الإيمان العلمي بتصفية قلوبهم عن كدر صفات النفس **﴿وعملوا الصالحات﴾** من الطاعات المأمور بها وأيضاً باكتساب الفضائل **﴿لهم﴾** في الآخرة **﴿أجر غير ممنون﴾** أي: غير مقطوع بل متصل دائم من منه منا بمعنى قطعه قطعاً أو ممنون به عليهم فإن المنة تكدر النعمة من من عليه منة والأول هو الظاهر ولعل المراد من الثاني تحقيق الأجر وأن المأجور استحق الأجر بعمله إطاعة لربه وإن كان ذلك الاستحقاق من فضل الله كما أن إعطاء القدرة على العمل والهداية إليه من فضله أيضاً.

حسن بصري قدس سره: [كفت كساني را يافتم كه ايشان بدنيا جوانمرد وسخى بودند همه دنيا بدادندى ومنت ننهادند وبوقت خويش چنان بخيل بودندكه يك نفس از روز كار خويش نه به پدردادندى ونه بفرزند].

قال القاشاني: لهم أجر من ثواب الآثار والصفات في جنة النفس والقلب غير مقطوع لبراءته من الكون والفساد وتجرده عن المواد.

وفي «التأويلات النجمية»: إلا الذين آمنوا من الروح والسر والقلب وقواهم الروحانية وعملوا الصالحات من الأعراض عن الدنيا والإقبال على الله لهم أجر غير ممنون بمنة نفسهم واجتهادهم واكتسابهم بل بفضل الله ورحمته.

قال بعض العلماء النكتة في ترتيب السور الثلاث أن في انفطرت التعريف بالحفظة الكاتبين وفي المطففين التعريف بمستقر تلك الكتب وفي هذه السورة أي: الانشقاق إيتاؤها يوم القيامة عند العرض والله تعالى أعلم.

تمت سورة الانشقاق بعون الملك الخلاق في سلخ صفر الخير من سنة سبع عشرة ومائة ألف

٨٥ ــ سورة البروج

ثنتان وعشرون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (١) وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ (٢) وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ (٣)﴾.

﴿والسماء﴾ كل جرم علوي فهو سماء فدخل فيه العرش **﴿ذات البروج﴾** جمع برج بمعنى القصر بالفارسية كوشك.

والمراد البروج الاثنا عشر التي في الفلك الأعلى فالمراد بالسماء فلك الأفلاك قال سعدي المفتي: لكن المعهود في لسان الشرع إطلاق العرش عليه دون السماء ويجوز أن يراد الفلك الأقرب إلينا فالآية كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ﴾ [الملك: ٥] انتهى. وجوابه ما أشرنا إليه في عنوان السماء ثم أنها شبهت بروج السماء بالقصور التي تنزل فيها الأكابر والأشراف لأنها منازل السيارات ومقر الثوابت قال الإمام السهيلي رحمه الله: أسماء البروج الحمل وبه يبدأ لأن استدارة الأفلاك كان مبدأها من برج الحمل فيما ذكروا وفي شهر هذا البرج نيسان حيث تم العشرون منه كان مولد النبي عليه السلام، وكان مولده عند طلوع الغفر وهو بفتح الغين المعجمة وسكون الفاء منزل للقمر ثلاثة أنجم صغار والغفر يطلع في ظاهر الشهر أول الليل لأن وقته النطح وهو الشرطان بالمعجمة وبفتحتين وهما نجمان من الحمل هما قرناه وإلى جنب الجنوبي منهما وفي «القاموس»: وإلى جانب الشمالي منهما كوكب صغير ومنهم من يعده معهما فيقول هذا المنزل ثلاثة كواكب ويسميها الأشراط وإلى الحمل أيضاً يضاف البطين وهو كزبير منزل للقمر ثلاثة كواكب صغار كأنها أثافي وهو بطن الحمل وبعد الحمل الثور ثم الجوزاء ويقال لها النسر والجبار والتوأمان.

قال في «القاموس»: التوأم منزل للجوزاء انتهى. وهامة الجوزاء الهقعة وهي ثلاثة كواكب فوق منكبي الجوزاء كالأثافي إذا طلعت مع الفجر اشتد حر الصيف ثم السرطان المهملة ثم الأسد ثم السنبلة ثم الميزان ثم العقرب وبين الزبانيين من العقرب وهما قرناها وكوكبان نيران في قرني العقرب كما في «القاموس» وبين وركي الأسد ورجليه وهما السماك ككتاب يطلع الغفر الذي به مولد الأنبياء عليهم السلام وفيه قالوا:

خير المنازل في الأبد بين الزباني والأسد

لأنه يليه من الأسد ذنبه ولا ضرر فيه ومن العقرب زبانياها ولا ضرر فيهما وإنما تضر بذنبها إذا شالته أي رفعته وهو الشولة في المنازل أي: ما تشول العقرب من ذنبها وكوكبان نيران ينزلهما القمر يقال لهما حمة العقرب ثم القوس ثم الجدي ثم الدلو ثم رشاء الدلو وهو

منزل للقمر وهو الحوت يحسب في البروج وفي المنازل وجعل الله الشهور على عدد هذه البروج فقال تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ [التوبة: ٣٦]. قال في «كشف الأسرار»: وأين برجها برچهار فصل است يك فصل از ان وقت بهار است سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در حمل وثور وجوزا باشد وفصل دوم روزكار صيف است تابستان كرم سه ماه وآفتاب اندرن سه ماه در سرطان وأسد وسنبله باشد وفصل سوم روزكار خريف است سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه در ميزان وعقرب وقوس باشد وفصل چهارم روزكار زمستانست سه ماه وآفتاب اندرين سه ماه درجدي ودلو وحوت باشد وهر فصلي راطبعي ديكرست وكردش أو ديكر.

يقول الفقير أيده الله القدير: الفصل الربيعي عبارة عن ثلاثة أشهر يعبر عن أولها بأذار، وعن الثاني بنيسان، وعن الثالث بأيار، فإذا مضت سبع عشرة ليلة من الشهر الأول استوى الليل والنهار بأن يكون كل منهما اثنتي عشرة ساعة ثم يأخذ النهار من الليل كل يوم شعيرة حتى إذا مضت سبعة عشر يوماً من حزيران وهو أول فصل الصيف وبعده تموز ثم اغسطس يكون النهار خمس عشرة ساعة والليل تسع ساعات ويكون اليوم أطول الأيام كما أن الليلة تكون أقصر الليالي ثم يأخذ الليل من النهار على عكس ما سبق، فينتقص من النهار كل يوم شعيرة حتى إذا مضت سبعة عشر يوماً من أيلول وهو أول فصل الخريف وبعده تشرين الأول الذي هو أوسط الخريف ثم تشرين الثاني الذي هو آخره استوى الليل والنهار أيضاً ثم يتزايد الليل كل يوم شعيرة حتى إذا كان سبعة عشر يوماً من كانون الأول وهو أول فصل الشتاء وبعده كانون الثاني، ثم شباط ينتهي طول الليل بأن يكون خمس عشرة ساعة، وقصر النهار بأن يكون تسع ساعات فهذا الحساب يعود ويدور أبداً إلى ساعة القيام فالله تعالى يولج الليل في النهار أي يدخله فيه بأن ينقص من ساعات الليل ويزيد في ساعات النهار وذلك إذا مضى من كانون الأول سبعة عشر يوماً إلى أن يمضي من حزيران هذا العدد وذلك ستة أشهر وهي كانون الأول وكانون الثاني وشباط وآذار ونيسان وأيار.

﴿وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ﴾ [الحج: ٦١، فاطر: ١٣] أي: يدخله فيه بأن ينقص من ساعات النهار ويزيد في ساعات الليل وذلك ستة أشهر أيضاً وهي حزيران وتموز واغسطس وأيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني وهذا كله بتقدير العزيز العليم وأداراته الأجرام العلوية على نهج مستقيم ويقال: المراد بالبروج هي النجوم التي هي منزل القمر وهي ثمانية وعشرون نجماً ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاها ولا يتقصر عنها وإذا صار القمر إلى آخر منازله دق واستقوس ويستتر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوماً وإن كان تسعة وعشرين فليلة واحدة وإطلاق البروج على هذه النجوم مبنى على تشبهها بالقصور من حيث إن القمر ينزل فيها ولظهورها أيضاً بالنسبة إلى بعض الناس كالعرب لأن البرج ينبىء عن الظهور مع الاشتمال على المحاسن يقال تبرجت المرأة أي تشبهت بالبرج في إظهار المحاسن، وأما البروج الاثنا عشر فليس لها ظهور حيث لا تدرك حساً والبروج الاثنا عشر منقسمة إلى هذه المنازل الثمانية والعشرين والشمس تسير في تمام هذه البروج الاثني عشر في كل سنة والقمر في كل شهر وقد تعلقت بها منافع ومصالح للعباد فاقسم الله تعالى بها إظهاراً لقدرها وشرفها وفيه إشارة إلى الروح الإنساني ذات المقامات في الترقي والدرجات.

﴿واليوم الموعود﴾ أي: يوم القيامة اقسم الله تعالى به تنبيهاً على قدره وعظمه أيضاً من

حيث كونه يوم الفصل والجزاء ويوماً تفرد الله بالملك والحكم فيه وفيه إشارة إلى آخر درجات الروح من كشف التوحيد الذاتي وهي القيامة الكبرى ﴿وشاهد ومشهود﴾ أي: ومن يشهد في ذلك اليوم من الأولين والآخرين والإنس والجن والملائكة والأنبياء وما يحضر فيه من العجائب فالشاهد بمعنى الحاضر من الشهود بمعنى الحضور لا بمعنى الشاهد الذي نثبت به الدعاوى والحقوق وتنكيرهما للإبهام في الوصف أي: وشاهد ومشهود لا يكتنه وصفهما ويقال: المشهود يوم الجمعة والشاهد من يحضره من المسلمين للصلاة ولذكر الله ما طلعت شمس ولا غربت على يوم أفضل من يوم الجمعة فيه ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يدعو الله فيها خيراً إلا استجاب له ولا يستعيذه من سوء إلا إعاذة منه وفي الحديث: «أكثروا علي من الصلاة يوم الجمعة فإنه يوم مشهود تشهده الملائكة» ويقال المشهود يوم عرفة والشاهد من يحضره من الحاج وحسن القسم به تعظيماً لأمر الحج وعددهم هفتصد هزار كما في «كشف الأسرار» ويقال: الشاهد كل يوم والمشهود أهله فيكون المشهود بمعنى المشهود عليه والشاهد من الشهادة كما قال الحسن البصري رحمه الله: ما من يوم إلا وينادي إني يوم جديد وإني على ما يفعل فيَّ شهيد فاغتمني فلو غابت شمس لم تدركني إلى يوم القيامة.

دريغاكه بكذشت عمر عزيز بخواهد كذشت اين دمى چند نيز
كذشت آنچه درنا صوابي كذشت در اين نيزهم درنيابي كذشت

ويقال الشاهد: هو الحق من حيث الجمعية والمشهود هو أيضاً من حيث التفرقة وإن شئت قلت من حيث الإجمال ومن حيث التفصيل لا يراه بالحقيقة أحد إلا هو ويقال: الشاهد نفس الروح والمشهود نفس الطبع وقال الحسين رحمه الله: في هذه الآية علامة أنه ما انفصل الكون عن المكون ولا قارنه.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾﴾

﴿قتل أصحاب الأخدود﴾ جواب القسم بحذف اللام المؤكدة على أنه خبر لادعاء بمعنى لقد قتل أي: أهلك بغضب الله ولعنته والأظهر أن الجملة دعائية دالة على الجواب لا خبرية والقتل كناية عن اللعن من حيث أن القتل لكونه أغلظ العقوبات لا يقع إلا عن سخط عظيم يوجب الإبعاد عن الخير والرحمة الذي هو معنى اللعن فكان القتل من لوازم اللعن كأنه قيل أقسم بهذه الأشياء أن كفار مكة ملعونون ما لعن أصحاب الأخدود وجه الأظهرية إن السورة وردت لتثبيت المؤمنين على ما هم عليه من الإيمان وتصبيرهم على أذية الكفرة وتذكيرهم بما جرى على من تقدمهم من التعذيب على الإيمان وصبرهم على ذلك حتى يأنسوا بهم ويصبروا على ما كانوا يلقون من قومهم ويعلموا أن هؤلاء عند الله بمنزلة أولئك المعذبين ملعونون مثلهم أحقاء بأن يقال فيهم ما قد قيل فيهم فظهر من هذا التقرير إنه ليس دعاء على أصحاب الأخدود من قبل المقسم وهو الله تعالى لأنه ليس بعاجز وقد سبق تحقيقه في سورة عبس ونحوها والأخدود الخد في الأرض وهو شق مستطيل كالنهر غامض أي عميق القرار وأصل ذلك من خدي الإنسان وهما ما اكتفا الأنف على اليمين والشمال، وفي «عين المعاني»: ومنه الخد المجاري الدموع عليه وأصحاب الأخدود كانوا ثلاثة وهم: أنطيانوس الرومي بالشام، وبخت نصر بفارس ويوسف ذو نواس بنجران وهو بتقديم النون وتأخير الجيم موضع باليمن فتح سنة

عشر سمي بنجران بن زيدان بن سبأ شق كل واحد منهم شقاً عظيماً في الأرض كان طوله أربعين ذراعاً وعرضه اثني عشر ذراعاً وهو الأخدود وملأوه ناراً وألقوا فيه من لم يرتد عن دينه من المؤمنين قالوا: والقرآن إنما نزل في الذين بنجران، يعني: أن أصحاب الأخدود هم ذو نواس الحميري اليهودي وجنوده وذلك أن عبداً صالحاً يقال له عبد الله بن الثامر وقع إلى نجران وكان علي دين عيسى عليه السلام فدعاهم فأجابوه فسارا إليهم ذو نواس بجنود من حمير فخيرهم بين النار واليهودية فأبوا فحفر الخنادق وأضرم فيها النيران فجعل يلقي فيها كل من اتبع ابن الثامر حتى أحرق نحواً من اثني عشر ألفاً وعشرين ألفاً أو سبعين ألفاً وذو نواس اسمه زرعة بن حسان ملك حمير وما حولها وكان أيضاً يسمى يوسف وكانت له غدائر من شعر أي: ذوائب تنوس أي تضطرب فسمي ذا نواس.

روي أنه انفلت من أهل نجران رجل اسمه دوس ذو ثعلبان ووجد انجيلاً محترقاً بعضه فأتى به ملك الحبشة وكان نصرانياً فقال: إن أهل دينك أوقدت لهم ناراً فأحرقوا بها وأحرقت كتبهم وهذا بعضها فأراه الذي جاء به ففزع لذلك فكتب إلى صاحب الروم يستمده بنجارين يعملون له السفن فبعث إليه صاحب الروم من عمل له السفن فركبوا فيها فخرجوا إلى ساحل اليمن فخرج إليهم أهل اليمن فلقوهم بتهامة واقتتلوا فلم ير ملك حمير له بهم طاقة وتخوف أن يأخذوه فضرب فرسه حتى وقع في البحر فمات فيه أو ألقى نفسه في البحر فاستولى الحبشة على حمير وما حولها وتملكوا وبقي الملك لهم إلى وقت الإسلام.

وقال في «كشف الأسرار» أصحاب الأخدود ايشان بت پرستان بوده انداز أصحاب ذو نواس يمني ودر زمان أو ساحري بو دكاهن ومشعبذكه مدارملك بدو بودى چون بسن شيخوخه رسيد بعرض ملك رسانيدكه من پير شده ام وضعف كلى بقو أي من راه يافته.

ديـده ازهـر شـعـاع تـيـره شـود كـوش وقـت سـمـاع خـيـره شـود
نـه زبـانـرا مـجـال كـويـايـى نـه تـن خـسـتـه را تـوانـا پـى

صلاح در آنست كه جوان عاقل تيزفهم بمن سپارتا آنچه دانسته أم بوي آموزم وبعد ازمن خلفي باشدكه أمور ملك بوي منتظم تواند بود.

كما جاء في حديث المشارق: كان ملك فيمن كان قبلكم وكان له ساحر فلما كبر بكسر الباء أي شاخ وطعن في السن قال للملك: إني كبرت فابعث إلي غلاماً أعلمه السحر فبعث إليه غلاماً يعلمه فكان في طريقه إذا سلك أي: الغلام راهب فقعد إليه أي: متوجهاً إلى الراهب وسمع كلامه فأعجبه أي: أعجب كلام الراهب ذلك الغلام فكان إذا أتى الساحر مر بالراهب وقعد إليه فإذا أتى الساحر ضربه أي: ضرب الساحر الغلام لمكثه فشكا ذلك إلى الراهب فقال أي: الراهب للغلام: إذا خشيت الساحر فقيل أهلي أي منعوني وإذا خشيت أهلك فقل حبسني الساحر، فبينما هو كذلك إذ أتى على دابة عظيمة حبسني قد حبست الناس أي على أسد أوحية يقال لها بالفارسية اژدر.

فقال: أي: الغلام اليوم أعلم الساحر أفضل أم الراهب أفضل؟ فأخذ حجراً وقال اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يمضي الناس فرماها فقتلها ومضى الناس فأتى الراهب فأخبره فقال الراهب: أي بنى أنت اليوم أفضل مني قد بلغ من أمرك ما أرى وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل علي وكان الغلام يبرىء الأكمه وهو الذي

ولد أعمى والأبرص ويداوي الناس بسائر الأدواء فسمع جليس للملك كان قد عمي فأتاه بهدايا كثيرة فقال ما ههنالك أجمع إن أنت شفيتني قال إني لا أشفي أحداً إنما يشفي الله فإن آمنت بالله دعوت الله فشفاك فآمن بالله فشفاه الله فأتى الملك فجلس إليه كما كان يجلس فقال الملك من رد عليك بصرك؟ قال: ربي فقال: أو لك رب غيري قال ربي وربك الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فجيىء بالغلام فقال له الملك: أي بنى قد بلغ من سحرك ما تبرىء به الأكمة والأبرص وتفعل وتفعل يعني تداوي مرضاً كذا وتداوي كذا فقال: أي: الغلام إني لا أشفي أحداً إنما يشفى الله فأخذه فلم يزل يعذبه حتى دله على الراهب فجيء بالراهب فقيل: ارجع عن دينك فأبى فدعا بالمنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بجليس الملك فقيل له ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار في مفرق رأسه فشقه به حتى وقع شقاه ثم جيء بالغلام فقيل ارجع عن دينك فأبى فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال لهم: اذهبوا به إلى جبل كذا وكذا فاصعدوا به الجبل فإذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا فاطرحوه فذهبوا به فصعدوا به الجبل فقال أي الغلام اللهم اكفنيهم بما شئت يعني ادفع عني شرهم بأي سبب شئت فرجف بهم الجبل فسقطوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك: ما فعل أصحابك، قال: كفانيهم الله فدفعه إلى نفر من أصحابه فقال اذهبوا به فاحملوه في قرقور أي سفينة صغيرة فتوسطوا به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فاقذفوه فذهبوا به فقال: اللهم اكفنيهم بما شئت فانكفأت بهم السفينة أي مالت وانقلبت فغرقوا وجاء يمشي إلى الملك فقال له الملك ما فعل أصحابك؟ قال كفانيهم الله فقال للملك: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به قال: وما هو؟ قال: تجمع الناس في صعيد واحد أي: أرض بارزة وتصلبني على جذع ثم خذ سهماً من كنانتي وهي التي يجعل فيها السهام ثم ضع السهم في كبد القوس وهو مقبضها عند الرمي ثم قل بسم الله رب الغلام ففعل كما قال الغلام ثم رماه فوقع السهم في صدغه وهو ما بين العين والأذن فوضع يده على صدغه في موضع السهم فمات فقال الناس: آمنا برب الغلام آمنا برب الغلام فأتي الملك فقيل له: يعني أتى الملك آت فقال: أرأيت ما كنت تحذر والله قد نزل بك حذرك أي والله قد نزل بك ما كنت تحذر منه وتخاف قد آمن الناس فأمر بالأخدود أي: بحفر شق مستطيل في أفواه السكك أي: في أبواب الطرق فخدت أي قت وأضرم النيران أي: أوقدها وأشعلها وقال: من لم يرجع عن دينه فأقحموه فيها أي: فاطرحوه فيها كرهاً ففعلوا حتى جاءت امرأة ومعها صبي رضيع لها فتقاعست أي: تأخرت أن تقع فيها فقال لها الغلام: يا أماه اصبري فإنك على الحق وفي بعض الروايات كان للمرأة ثلاثة أولاد أحدهم رضيع فقال لها الملك ارجعي عن دينك وإلا ألقيتك وأولادك في النار فأبت فأخذ ابنها الأكبر فألقاه في النار ثم قال لها: ارجعي عن دينك فأبت فألقى ابنها الأوسط ثم قال: ارجعي عن دينك فأبت فأخذوا الصبي ليلقوه فيها فهمت بالرجوع فقال الصبي يا أماه لا ترجعي عن الإسلام فإنك على الحق ولا بأس عليك.

وفي «كشف الأسرار» فإن بين يديك ناراً لا تطفأ فألقي الصبي في النار وأمه على أثره وكان هو ممن تكلم في المهد وهو رضيع وقد سبق عددهم في سورة يوسف وكانت هذه القصة قبل مولده عليه السلام بتسعين سنة وفيما ذكر من الحديث إثبات كرامات الأولياء وجواز الكذب عند خوف الهلاك سواء كان الهالك هو الكاذب أو غيره وروي أن خربة اختفرت في

زمن عمر بن الخطاب فوجد الغلام الذي قتله الملك وأصبعه على صدغه كما وضعها حين قتل.

وفي بعض التفاسير: فوجدوا عبد الله بن الثامر واضعاً إصبعه على صدغه في رأسه إذا أميطت يده عنها سال دمه وإذا تركت على حالها انقطع وفي يده خاتم من حديد فيه ربي الله فكتبوا إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فكتب بأن يواروه ويعيدوا التراب عليه وفي بعض التفاسير فكتب إليهم عمر رضي الله عنه إن ذلك الغلام صاحب الأخدود فاتركوه على حاله حتى يبعثه الله يوم القيامة على حاله. وعن علي رضي الله عنه أن بعض الملوك المجوس وقع على أخته وهو سكران فلما صحا ندم وطلب المخرج فأمرته أن يخطب الناس فيقول: أن قد أحل نكاح الأخوات ثم يخطبهم بعد ذلك، ويقول: إن الله حرمه فخطب فلم يقبلوا منه فقالت له: ابسط فيهم السوط وفعل فلم يقبلوا فأمرته بالأخاديد وإيقاد النار وطرح من أبى فيها فهم الذين أرادهم تعالى بقوله ﴿**قتل أصحاب الأخدود**﴾.

﴿**النار**﴾ بدل اشتمال من الأخدود لأن الأخدود مشتمل على النار وهو بها يكون مهيباً مشتد الهول والتقدير النار فيه أو أقيم أل مقام الضمير على اختلاف مذهبي أهل البصرة والكوفة. ﴿**ذات الوقود**﴾ خداوند آتش باهيمه يعني افروخته بهيزم.

وهو بفتح الواو ما يوقد به وفيه وصف لها بغاية العظم وارتفاع اللهب وكثرة ما يوجبه من الحطب وأبدان الناس ما يدل عليه التعريف الاستغراقي ولو لم يحمل على هذا المعنى لم يظهر فائدة التوصيف إذ من المعلوم أن النار لا تخلو من حطب.

﴿إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٨﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾.

﴿**إذ هم عليها قعود**﴾ ظرف لقتل والضمير لأصحاب الأخدود وقعود جمع قاعد أي لعنوا حين أحرقوا بالنار قاعدين حولها في مكان مشرف عليها من حافات الأخدود، ولفظ على مشعر بذلك تقول مررت عليه تريد مستعلياً بمكان يقرب منه وفي بعض التفاسير، على سرر وكراسي قعود عند النار ولو قعدوا على نفس النار لاحترقوا فالقاتلون كانوا جالسين في مكان مشرف أو نحوه ويعرضون المؤمنين على النار فمن كان يترك دينه تركوه ومن كان يصر ألقوه في النار وأحرقوه وكان عليه السلام، إذا ذكر أصحاب الأخدود تعوذ بالله من جهد البلاء وهو الحالة التي يختار عليها الموت أو كثرة العيال والفقر كما في «القاموس» والجهد بالفتح المشقة وجهد عيشه كفرح نكد واشتد.

﴿**وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود**﴾ جمع شاهد أي: يشهد بعضهم لبعض عند الملك بأن أحداً لم يقصر فيما أمر به وفوض إليه من التعذيب بالإحراق من غير ترحم وإشفاق أو أنهم شهود يشهدون بما فعلوا بالمؤمنين يوم القيامة يعني تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون هذا هو الذي يستدعيه النظم الكريم وتنطق به الروايات المشهورة وقد ذهب بعضهم إلى أن الجبابرة لما ألقوا المؤمنين في النار وهم قعود حولها علقت بهم النار وفي رواية ارتفعت فوقهم أربعين ذراعاً فوقعت عليهم فأحرقتهم ونجى الله المؤمنين سالمين. ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ﴾ [فاطر: ٤٣] وقبض الله أرواحهم قبل أن تمسهم النار كما فعل ذلك بآسية امرأة فرعون على ما سبق وعلى ذلك حملوا قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾

[البروج: ١٠] أي: لهم عذاب جهنم في الآخرة ولهم عذاب الحريق في الدنيا وفيه إشارة إلى النفوس المتمردة الشاردة النافرة عن جناب الحق المستحقة لأخاديد النيران والخذلان والخسران الموقدة بأحطاب أخلاقهم الرديئة المؤصدة بأحجار أوصافهم الخبيثة النفسية الهوائية إذ هم عليها قعود بارتكاب الشهوات وانكبابهم على اللذات والنفس والهوى وقواهم الطبيعية يشهد بعضهم على بعض بما يفعلون بمؤمني الروح والسر والقلب من المخالفة والمجادلة والمخاصمة.

﴿**وما نقموا منهم**﴾ أي وما أنكروا من المؤمنين وما عابوا يقال: نقم الأمر إذا عابه وكرهه وفي «المفردات» نقمت الشيء إذا أنكرته إما باللسان وإما بالعقوبة ﴿**إلا أن يؤمنوا بالله العزيز الحميد**﴾ قال: بلفظ المضارع مع أن الإيمان وجد منهم في الماضي لإرادة الاستمرار والدوام عليه فإنهم ما عذبوهم لإيمانهم في الماضي بل لدوامهم عليه في الآتي ولو كفروا في المستقبل لم يعذبوا على ما مضى فكأنه قيل: إلا أن يستمروا على إيمانهم وأما قوله تعالى: حكاية ﴿وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنۡ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ [الأعراف: ١٢٦] فلأن مجرد إيمان السحرة بموسى عليه السلام، كان منكراً وأجب الانتقام عندهم والاستثناء مفرغ مفصح عن براءتهم مما يعاب وينكر بالكلية على منهاج قوله:

ولا عيب فيهم غير أن ضيوفهم ... تلام بنسيان الأحبة والوطن

في أن ما أنكروه ليس منكراً في الواقع وغير حقيق بالإنكار كما أن ما جعله الشاعر عيباً ليس عيباً ولا ينبغي أن يعد عيباً ولا يضر ذلك كون الاستثناء في قول الشاعر مبنياً على الادعاء بخلاف ما في نظم القرآن فإنهم أنكروا الإيمان حقيقة ووصفه تعالى بكونه عزيزاً غالباً يخشى عقابه حميداً منعماً يرجى ثوابه وتأكيد ذلك بقوله.

﴿**الذي له ملك السموات والأرض**﴾ للإشعار بمناط إيمانهم والملك بالفارسية پادشاهى.

وأخر هذه الصفة لأن الملك التام لا يحصل إلا عند حصول الكمال في القدرة التي دل عليها العزيز وفي العلم الذي دل عليه الحميد لأن من لا يكون تام العلم لا يمكنه أن يفعل الأفعال الحميدة، وفي «كشف الأسرار»: وإنما وصف ذاته بهذه الصفات ليعلم أنه لم يمهل الكفار لأجل أنه غير قادر ولكنه أراد أن يبلغ بهؤلاء المؤمنين مبلغاً من الثواب لم يكونوا يبلغونه إلا بمثل ذلك الصبر وأن يعاقب أولئك الكافرين عقاباً لم يكونوا يستوجبونه إلا بمثل ذلك الفعل وكان قد جرى بذلك قضاؤه على الفريقين جميعاً في سابق تدبيره وعلمه وفيه تشنيع على الكفار بغاية جهلهم حيث عدوا ما هو منقبة هي سبب المدح منقصة هي سبب القدح. ﴿**والله على كل شيء شهيد**﴾ [وخدا برهمه چيزها از أفعال وأقوال مؤمن وكافر كواهست وبآن دانا].

وهو وعد لهم ووعيد شديد لمعذبهم فإن علمه تعالى بجميع الأشياء التي من جملتها أعمال الفريقين يستدعي توفير جزاء كل منهما حتماً قال الإمام القشيري: الشهيد العليم ومنه قوله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ﴾ [آل عمران: ١٨] أي علم والشهيد: الحاضر وحضوره بمعنى علمه ورؤيته وقدرته والشهيد مبالغة من الشاهد وإذا علم العبد أن الله تعالى شهيد يعلم أفعاله ويرى أحواله سهل عليه ما يقاسيه لأجله.

حكي: أن رجلاً كان يضرب بالسياط وهو يصبر ولا يصيح فقال له بعض الحاضرين: أما يؤلمك الضرب؟ فقال: نعم قال: فلم لا تصيح؟ قال في الحاضرين لي محبوب يرقبني

فأخاف أن يذهب ماء وجهي عنده إن صحت فمن ادعى محبة الحق ولم يصبر على قرص نملة أو بعوضة أو أدنى أذية كيف يكون صادقاً في دعواه، ولذا قالوا: دلت القصة على أن المكره على الكفر بنوع من العذاب الأولى أن يصبر على ما خوف منه وإن كان إظهار الكفر كالرخصة في ذلك.

حكي: أن مسيلمة الكذاب أخذ رجلين من أصحاب النبي عليه السلام، فقال لأحدهما: تشهد أني رسول الله فقال: نعم فتركه، وقال للآخر مثله فقال: لا بل أنت كذاب فقتله فقال النبي عليه السلام: «أما الذي تركه فأخذ بالرخصة فلا تبعة عليه وأما الذي صبر فأخذ بالفضل فهنيئاً له».

وفي «التأويلات النجمية»: والله على كل شيء من سماوات الأرواح وأرض الأشباح والأجساد شهيد أي: حاضر لمظهرية الكل وظهوره فيها ذاتاً وصفات وأسماء لاستلزام الذات جميع التوابع الوجودية.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُواْ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُواْ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾﴾.

﴿إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات﴾ الفتن الإحراق والفتنة بالفارسية آزنون.

أي محنوهم في دينهم وآذوهم وعذبوهم بأي عذاب كان ليرجعوا عنه كأصحاب الأخدود ونحوهم كما روي أن قريشاً كانوا يعذبون بلالاً ونحوه فالموصول للجنس وإنما لم يدفع البلاء قبل الابتلاء لأن أهل الولاء لا يخلو عن البلاء.

وهيهات هيهات الصفاء لعاشق وجنة عدن بالمكاره حفت

﴿ثم﴾ أي: بعد ما فعلوا ما فعلوا من الفتنة **﴿لم يتوبوا﴾** أي: عن كفرهم وفتنتهم فإن ما ذكر من الفتنة في الدين لا يتصور من دين الكافر قطعاً وفي إيراد ثم إشعار بكمال حلمه وكرمه حيث لا يعجل في القهر ويقبل التوبة وإن طالت مدة الحوبة قال الإمام: وذلك يدل على أن توبة القاتل عمداً مقبولة **﴿فلهم﴾** في الآخرة بسبب كفرهم **﴿عذاب جهنم﴾** يعذبون به أبداً **﴿ولهم﴾** بسبب فتنتهم للمؤمنين **﴿عذاب الحريق﴾** أو عذاب عظيم زائد في الإحراق على عذاب سائر أهل جهنم فظهرت المغايرة بين المعطوفين وإن كان كل منهما حاصلاً في الآخرة ويحتمل أن يكون المراد بعذاب جهنم بردها وزمهريرها وبعذاب الحريق حرها فيرددون بين برد وحر على أن يكون الحر لإحراقهم المؤمنين في الدنيا والبرد لغيره كما قالوا الجزاء من جنس العمل والحريق اسم بمعنى الاحتراق كالحرقة وقول الكاشفي في تفسيره: عذاب الحريق عذاب آتش سوزان.

يشير إلى أن الحريق بمعنى النار المحرقة، كما قال في «المفردات» الحريق النار وكذا الحرق بالتحريك النار أو لهبها كما في «القاموس» وحرق الشيء إيقاع حرارة في الشيء من غير لهب كحرق الثوب بالدق والإحراق إيقاع نار ذات لهب في شيء ومنه استعير أحرقني بلومه إذا بالغ في أذيته بلوم يقول الفقير: الظاهر أن الحريق هنا بمعنى المحرق كالأليم بمعنى المؤلم فيكون إضافة العذاب للحريق من قبيل إضافة الموصوف إلى صفته ويستفاد زيادة الإحراق من المقابلة فإن العطف من باب الترقي بحسب العذاب المترتب على الترقي من حيث العمل.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ على الإطلاق من المفتونين وغيرهم ﴿لهم﴾ بسبب ما ذكر من الإيمان والعمل الصالح الذي من جملته الصبر على أذى الكفار وإحراقهم وإيراد الفاء أولاً وتركها ثانياً يدل على جواز الأمرين. ﴿جنات﴾ يجازون بها بمقابلة النار ونحوها ﴿تجري من تحتها الأنهار﴾ يجازون بذلك بمقابلة الاحتراق والحرارة ونحو ذلك، قال في «الإرشاد»: إن أريد بالجنات الأشجار فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها الأرض المشتملة عليها فالتحتية باعتبار جريها الظاهر فإن أشجارها ساترة لساحتها كما يعرب عنه اسم الجنة. ﴿ذلك﴾ المذكور العظيم الشان وهو حصول الجنان. ﴿الفوز الكبير﴾ الذي تصغر عنده الدنيا وما فيها من فنون الرغائب بحذافيرها فالحصر إضافي، قال في «برهان القرآن» ذلك مبتدأ والفوز خبره والكبير صفته وليس له في القرآن نظير والفوز النجاة من الشر والظفر بالخير فإن أشير بذلك إلى الجنات نفسها فهو مصدر أطلق على المفعول مبالغة وإلا فهو مصدر عى حاله قال الإمام: إنما قال ذلك الفوز ولم يقل تلك لدقيقة لطيفة وهي أن قوله ذلك إشارة إلى إخبار الله بحصول هذه الجنات ولو قال تلك لكانت الإشارة إلى نفس الجنات وإخبار الله عن ذلك يدل على كونه راضياً والفوز الكبير وهو رضى الله لا حصول الجنة يقول الفقير: وعندي أن حصول الجنات هو الفوز الكبير وحصول رضي الله هو الفوز الأكبر كما قال تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [التوبة: ٧٢] وإنما لم يقل تلك لأن نفس الجنات من حيث هي ليست بفوز وإنما الفوز حصولها ودخولها.

﴿إن بطش ربك لشديد﴾ استئناف خوطب به النبي عليه السلام إيذاناً بأن لكفار قومه نصيباً موفوراً من مضمونه كما ينبىء عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام والبطش تناول الشيء بصولة والأخذ بعنف يقال يد باطشة وحيث وصف بالشدة فقد تضاعف وتفاقم وهو بطشه بالجبابرة والظلمة وأخذه إياهم بالعذاب والانتقام وإن كان بعد إمهال فإنه عن حكمة لا عن عجز.

﴿إنه هو﴾ وحده ﴿يبدىء ويعيد﴾ أي يبدىء الخلق ويخرجهم من العدم إلى الوجود ثم يميتهم ويعيدهم إحياء للمجازاة على الخير والشر من غير دخل لأحد في شيء منهما ففيه مزيد تقدير لشدة بطش أو هو يبدىء البطش بالكفرة في الدنيا ويعيده في الآخرة يعني آشكاره كند بطش خودرا بركافران دردنيا وبازكرداندهم آنرا بديشان در آخرت واين نشانهء عدلست.

أي: يبدىء البطش أو العذاب في الآخرة ثم يعيده فيها كقوله تعالى: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا﴾ [النساء: ٥٦] غيرها قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن أهل جهنم تأكلهم النار حتى يصيروا فيها فحماً ثم يعيدهم خلقاً جديداً فهو المراد من الآية وقال حذيفة بن اليمان رضي الله عنه: أسر إلي رسول الله ﷺ حديثاً في النار فقال يا حذيفة: «إن في جهنم لسباعاً من نار وكلاباً من نار وسيوفاً من نار وكلاليب من نار وإنه يبعث ملائكة يعلقون أهل النار بتلك الكلاليب بأحناكهم ويقطعونهم بتلك السيوف عضواً عضواً ويلقونها إلى تلك السباع والكلاب كلما قطعوا عضواً عاد آخر مكانه غضاً طرياً» أو يبدىء من التراب ويعيده فيه أو من النطفة ويعيده في الآخرة يقال بدأ الله الخلق وأبدأهم فهو بادئهم ومبدئهم بمعنى واحد والمبدىء المظهر ابتداء والمعيد المنشىء بعد ما عدم فالإعادة ابتداء ثان قال الإمام الغزالي رحمه الله: المبدىء المعيد معناه الموجد لكن الإيجاد إذا لم يكن مسبوقاً بمثله يسمى إبداء وإن كان

مسبوقاً بمثله يسمى إعادة والله تعالى بدأ خلق الإنسان ثم هو الذي يعيدهم أي: يحشرهم فالأشياء كلها منه بدت وإليه تعود وبه بدت وبه تعود وفي «المفردات»: والله هو المبدىء والمعيد أي: هو السبب في المبدأ والنهاية. وقال بعضهم: الإبداء هو الإظهار على وجه التطوير المهيىء للإعادة وهي الرجوع على مدرج تطوير الإبداء فهو سبحانه بدأ الخلق على حكم ما يعيدهم عليه فسمي بذلك المبدىء المعيد وإنما قيل فيهما إنهما اسم واحد لأن معنى الأول يتم بالثاني وكذا كل اسم لا يتم معناه فيما يرجع إلى كمال أسماء الله إلا باسم يتم به معناه.

قال الإمام القشيري رحمه الله: إن الله تعالى يبدىء فضله وإحسانه لعبيده ثم يعيده ويكرره فإن الكريم من يرب صنائعه وخاصية الاسم المبدىء أن يقرأ على بطن الحامل سحراً تسعاً وعشرين مرة فإن ما فيه بطنها يثبت ولا يزلق وخاصية الاسم المعيد بذكر مراراً لتذكار المحفوظ إذا نسى لا سيما إذا أضيف له الاسم المبدىء.

﴿**وهو الغفور**﴾ لمن تاب عن الكفر وآمن كذا لمن تاب عن غيره من المعاصي ولمن لم يتب أيضاً إن شاء ﴿**الودود**﴾ المحب لمن أطاع أو تاب كما قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] واين نشانهء فضل است بعدل بكذا رد ونابود سازد وبفضل بنوازد وبرافرازد.

فضل اود لنواز غمخولا ران عدل أو سينه سوز جباران

عمر بن الخطاب رضي الله عنه در تخانه مقبول وسيئات أو مغفور كه وهو الغفور الودود وعبد الله بن أبي در مسجد مخذول وحسنات أو مردودكه إن بطش ربك لشديد.

فالودود فعول بمعنى الفاعل ههنا وهو الذي يقتضيه المقام وقال سهل رحمه الله: الودود المحب إلى عباده بإسباغ النعم عليهم ودوام العافية فيكون بمعنى المفعول لأنه يحبه عباده الصالحون ومحبة العبد لله طاعته له وموافقته لأمره أو تعظيمه له وهيبته في قلبه وأجمع أهل الحقيقة إن كل محبة تكون عن ملاحظة عوض فهي معلولة بل المحبة الصحيحة هي المحبة الصافية عن كل طمع وفي الأثر إن الله تعالى يقول إن أود الأوداء إلي من عبدني لغير نوال لكن ليعطي الربوبية حقها. قال بعض الكبار: العشق التفاف الروحين والحب صفاء ذلك الالتفاف وخلوصه والود ثباته وتمكنه من القلب والهوى أول وقوع الحب في القلب.

وفي «التأويلات النجمية»: الودود لمن يتوجه إليه بالمحبة على سنة من تقرب إلى شبراً تقربت إليه ذراعاً فمن تقرب إليه بالمحبة تقرب إليه بالود لأن الود أثبت في أرض القلب من المحبة لاشتقاقه من الوتد انتهى.

قال في «القاموس» الود الوتد وقال الإمام الغزالي رحمه الله: الودود هو الذي يحب الخير لجميع الخلق فيحسن إليهم ويثني عليهم وهو قريب من معنى الرحيم لكن الرحمة إضافة إلى المرحوم والمرحوم هو المحتاج والمضطر وأفعال الرحيم تستدعي مرحوماً ضعيفاً وأفعال الودود لا تستدعى ذلك بل الأنعام على سبيل الابتداء من نتائج الود كما أن معنى رحمته تعالى إرادته الخير للمرحوم وكفايته له وهو منزه عن رقة الرحمة فكذلك وده إرادته للكرامة والنعمة وهو منزه عن ميل المودة والودود من عباد الله من يريد لخلق الله كل ما يريده لنفسه وأعلى من ذلك من يؤثرهم على نفسه كمن قال منهم أريد أن أكون جسراً علي النار يعبر على الخلق ولا يتأذون بها وكمال ذلك أن لا يمنعه من الإيثار والإحسان الحقد والغضب وما يناله من الأذى كما قال عليه السلام حين كسرت رباعيته ودمي وجهه وضرب: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا

يعلمون» فلم يمنعه سوء صنيعهم عن إراده الخير لهم وكما أمر عليه السلام علياً رضي الله عنه حيث قال: «إن أردت أن تسبق المقربين فصله من قطعك، وأعطِ من حرمك، واعفُ عمن ظلمك» وخاصية الاسم الودود ثبوت الوداد لا سيما بين الزوجين فمن قرأه ألف مر على طعام وأكله مع زوجته غلبتها محبته ولم يمكنها سوى طاعته، وقد روي أنه اسم الله الأعظم في دعاء التاجر الذي قال فيه يا ودود يا ذا العرش المجيد يا مبدىء يا معيد أسألك بنور وجهك الذي ملأ أركان عرشك وبقدرتك التي قرت بها على جميع خلقك وبرحمتك التي وسعت كل شيء لا إله إلا أنت يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني يا مغيث أغثني الحديث قد ذكره غير واحد من الأئمة.

يقول الفقير: كنت أذكر في السحر الأعلى يا ودود وذلك بلسان القلب فصدر مني بلا اختيار أن أقول: يا رب اجعلني محيطاً فعرفت إن للاسم المذكور تأثيراً عظيماً في الإحاطة وذلك أن الودود بمعنى المحبوب ولا شك إن جميع الأسماء الهية يود الاسم الأعظم ويميل إليه فالاسم الأعظم ودود بمعنى المفعول وغيره ودود بمعنى الفاعل فمن ذكره كان ودوداً بمعنى المودود فيحبه جميع المظاهر فيحصل له الإحاطة بأسرار جميع الأسماء ويصل إليه جميع التوجهات.

﴿ذو العرش﴾ خالقه وقيل المراد بالعرش الملك مجازاً أي: ذو السلطنة القاهرة على المخلوقات السفلية والمخترعات العلوية وإن لم يكن على السرير ويقال ثل عرش فلان إذا ذهب سلطانه.

﴿المجيد﴾ هو الشريف ذاته الجميل أفعاله الجزيل عطاؤه نواله فكان شرف الذات إذا قارنه حسن الفعال سمي مجيداً وهو الماجد أيضاً ولكن أحدهما دل على المبالغة وكأنه يجمع من اسم الجليل واسم الوهاب والكريم.

قال في «القاموس»: المجيد الرفيع العال والكريم والشريف الفعال ومجده عظمه وأثنى عليه والعطاء كثره والتمجيد ذكر الصفات الحسنة وقرىء بالكسر صفة للعرش ومجد العرش علوه في الجهة وعظم مقداره وحسن صورته وتركيبه فإنه أحسن الأجسام تركيباً وصورة وفي الحديث: «ما الكرسي في جنب العرش إلا كحلقة ملقاة في الأرض فلاة» فإذا كان الكرسي كذلك مع سعته فما ظنك بسائر الأجرام العلوية والسفلية قال سهل رحمه الله أظهر الله العرش إظهاراً للقدرة لا مكاناً للذات ولا احتياجاً إليه قال بعضهم: ومن العجب أن الله لو ملأ العرش مع تلك السعة من حبوب الذرة وخلق طيراً أكل حبة واحدة منها في ألف سنة لنفدت الحبوب ولا تنقطع مدة الآخرة ومع هذا لا يخاف بنو آدم من عذاب تلك المدة ويضيعون أعمارهم في شيء حقير سريع الزوال وفيه إشارة إلى قلب العارف المستوى للرحمن كما جاء في الحديث: «قلب العارف عرش الله» ومجده هو أنه ما وسع ذلك الواسع المجيد غيره وخاصية هذا الاسم تحصيل الجلالة والمجد والطهارة ظاهراً وباطناً حتى في عالم الأبدان والصور فلقد قالوا إذا صام الأبرص أياماً وقرأه كل ليلة عند الافطار كثيراً فإنه يبرأ بإذن الله تعالى إما بلا سبب أو بسبب يفتح الله له به.

﴿فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿فعال لما يريد﴾ بحيث لا يتخلف عن إرادته مراد من أفعاله تعالى وأفعال غيره فيكون دليلاً لأهل الحق على أنه لا يتخلف شيء عن إرادته وهو خبر مبتدأ محذوف وإنما قال فعال مبالغ فاعل لأن ما يريد ويفعل في غاية الكثرة من الإحياء والإماتة والإعزاز والإذلال والإغناء والإقتار والشفاء والإمراض والتقريب والتبعيد والعمارة والتخريب والوصل والفرق والكشف والحجاب إلى غير ذلك من شؤونه.

وفي «التأويلات النجمية»: فعال لما يريد بالمؤمن والكافر وأرباب الأرواح والأسرار والقلوب وأصحاب النفوس وأهل الهوى إن أراد أن يجعل أرباب الأرواح من أرباب النفوس فهو قادر على ذلك وهو عادل في ذلك وإن أراد عكس ذلك فهو كذلك وهو مفضل في ذلك يحجب من يريد بجلاله كالمنكرين ويتجلى لمن يريد بجماله كالمقربين ويعامل لمن يريد بإفاضة كماله كالعارفين قال القفال: يدخل أولياءه الجنة لا يمنعه مانع ويدخل أعداءه النار لا ينصرهم ناصر ويمهل بعض العصاة على ما يشاء إلى أن يجازيهم ويعاجل بعضهم بالعقوبة إذا شاء فهو يفعل ما يريد.

روي أن أناساً دخلوا على أبي بكر الصديق رضي الله عنه يعودونه فقالوا ألا نأتيك بطبيب قال: قد رآني قالوا: فما قال لك؟ قال: إني فعال لما أريد.

﴿هل أتاك﴾ آيا آمد بتو. أي: قد أتاك لأن الاستفهام للتقرير. ﴿حديث الجنود﴾ أي: خبر الجموع الكافرة التي تجندت على الأنبياء في الماضي وخبرهم ما صدر عنهم من التمادي في الكفر والضلال وما حصل بها من العذاب والنكال.

﴿فرعون وثمود﴾ بدل من الجنود يعني مع أنه غير مطابق ظاهراً للمبدل منه في الجمعية لأن المراد بفرعون هو وقومه وقد يجعل من حذف المضاف بمعنى جنود فرعون أي هل أتاك حديثهم وعرفت ما فعلوا من التكذيب وما فعل بهم من التعذيب فذكر قومك بشؤون الله وأنذرهم أن يصيبهم مثل ما أصاب أمثالهم وقد كانوا سمعوا قصة فرعون وجنوده قوم موسى عليه السلام: ورأوا آثار هلاك ثمود قوم صالح عليه السلام، لأنها كانت في ممرهم وفي بلادهم وأخر ثمود مع تقدمه على فرعون زماناً لرعاية الفواصل. قال القاشاني: هل أتاك حديث المحجوبين إما بالأنانية كفرعون ومن يدين بدينه أو بالآثار والأغيار كثمود ومن يتصل بهم.

﴿بل الذين كفروا﴾ من قومك ﴿في تكذيب﴾ إضراب عن مماثلتهم لهم وبيان لكونهم أشد منهم في الكفر والطغيان وتنكير تكذيب للتعظيم كأنه قيل ليسوا مثلهم في ذلك بل هم أشد منهم في استحقاق العذاب واستيجاب العقاب، فإنهم مستقرون في تكذيب شديد للقرآن الناطق بذلك لكن لا أنهم يكذبون بوقوع الحادثة بل يكذبون كون ما نطق به قرآناً من عند الله مع وضوح أمره وظهور حاله بالبينات الباهرة.

وفي «التأويلات النجمية»: في تكذيب لاشتمال خلقهم وجبلتهم على صفة الكذب والتكذيب ومن جبل على صفة لا يقدر على مفارقتها إلا القليل من الكمل كما قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا﴾ [النور: ٤٠] أي في الاستعداد فما له من نور.

خوى بد در طبيعتي كه نشست نرهد جز بوقت مرك ازدست

وفيه إشارة إلى تكذيب المنكرين لأهل الحق ووقوفهم مع حالهم واحتجابهم عن حال من فوقهم.

﴿والله من ورائهم﴾ من خلفهم **﴿محيط﴾** بهم بالقدرة وهو تمثيل لعدم نجاتهم من بأس الله بعدم فوت المحاط المحيط إذا سد عليه مسلكه بحيث لا يجد هرباً منه.

وفي «التأويلات النجمية»: محيط والمحيط لا يفوته المحاط ولا يفوت المحيط شيء لإحاطة الله سبحانه عند العارفين بالكافرين بل الموجودات كلها عبارة عن تجليه بصور الموجودات فهو سبحانه بأحدية جميع أسمائه سار في الموجودات كلها ذاتاً وحياة علماً وقدرة إلى غير ذلك من الصفات والمراد بإحاطته تعالى هذه السراية ولا يعزب عنه ذرة في السماوات والأرض وكل ما يعزب عنه يلتحق بالعدم وقالوا: هذه الإحاطة ليست كإحاطة الظرف بالمظروف ولا كإحاطة الكل بأجزائه ولا كإحاطة الكلي بجزئياته بلى كإحاطة الملزوم بلازمه فإن التعينات اللاحقة لذاته المطلقة إنما هي لوازم له بواسطة أو بغير واسطة وبشرط أو بغير شرط ولا تقدح كثرة اللوازم في وحدة الملزوم ولا تنافيها والله أعلم بالحقائق.

﴿بل هو قرآن مجيد﴾ أي ليس الأمر كما قالوا بل هذا الذي كذبوا به قرآن شريف عالي الطبقة فيما بين الكتب الإلهية في النظم والمعنى متضمن للمكارم الدنيوية والأخروية.

﴿في لوح محفوظ﴾ أي: من التحريف ووصول الشياطين إليه واللوح كل صحيفة عريضة خشباً أو عظماً كما في «القاموس»: قال الراغب: اللوح واحد ألواح السفينة وما يكتب فيه من الخشب ونحوه والمراد به هنا ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله خلق لوحاً محفوظاً من درة بيضاء دفتاه ياقوتة حمراء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين المشرق والمغرب ينظر الله فيه كل يوم ثلاثمائة وستين مرة يحيي ويميت ويعز ويذل ويفعل ما يشاء وفي صدر اللوح لا إله إلا الله وحده ودينه الإسلام ومحمد عبده ورسوله فمن آمن به وصدق وعده واتبع رسله أدخله الجنة.

وفي «التأويلات النجمية»: بل المتلو المقروء على الكفار والمنافقين قرآن عظيم مجيد شريف مثبوت في لوح القلب المحمدي وفي ألواح قلوب ورثته الأولياء العارفين المحبين العاشقين محفوظ من تحريف أيدي النفس الكافرة والهوى الماكر وسائر القوى البشرية السارية في أقطار الوجود الإنساني وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [يوسف: ١٢] أي: في صدور الحفاظ وقلوب المؤمنين.

تمت سورة البروج بعون الله الذي إليه الرجوع والعروج وقت عصر الأحد السادس من شهر مولد النبي عليه السلام من سنة سبع عشرة ومائة وألف

٨٦ ـ سورة الطارق

سبع عشرة أو ست عشرة آية مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ ۝٤﴾.

﴿والسماء والطارق﴾ الطارق في الأصل اسم فاعل من طرق طرقاً وطروقاً إذا جاء ليلاً. قال الماوردي: وأصل الطرق الدق ومنه سميت المطرقة لأنه يطرق بها الحديد وسمي الطريق طريقاً لأنه يضرب بالرجل وسمي قاصد بالليل طارقاً لاحتياجه إلى طرق الباب غالباً حيث أن الأبواب مغلقة في الليل ثم اتسع في كل ما ظهر الليل كائناً ما كان ثم اتسع في التوسع حتى أطلق على الصور الخيالية البادية بالليل والمراد هنا الكوكب البادي بالليل. قال الراغب: عبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره بالليل قالت هند بنت عتبة يوم أحد.

نحن بنات طارق نمشي على النمارق

أي: أبونا كالنجم شرفاً وعلواً وقال الشاعر:

يا راقد الليل مسروراً بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا

لا تفرحن بليل طاب أوله فرب آخر ليل أجج النار

قال سهل رحمه الله وما طرق على قلب محمد من زوائد البيان والانعام.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى سماء القلب وطروق كواكب الواردات القلبية والإلهامات الغيبية العظيمة الشأن القوية البرهان ولفخامة أمره وشهامة قدره عقبه بقوله.

﴿وما أدراك ما الطارق﴾ أي: أي شيء أعلمك بالطارق فإنه لا يناله إدراك الخلق إلا بالتلقي من الخلاق العليم كأنه قيل ما هو فقيل هو. **﴿النجم الثاقب﴾** النجم الكوكب الطالع والثقب بالفارسية سوراخ كردن والثقوب والثقابة افروخته شدن آتش.

يقال: ثقبه ثقباً جعل فيه منفذاً ومسلكاً ونفذ فيه وثقبت النار تثقب ثقوباً اتقدت واشتعلت وثقب النجم أضاء وشهاب ثاقب، أي مضيء وعبر عن الطارق أولاً بوصف عام ثم فسره بما يخصه تفخيماً لشأنه والمعنى النجم المضيء في الغاية يعني ستارهٔ رخشنده وفروزان چون شعلهٔ آتش.

لأنه يثقب بنوره وإضاءته ما يقع عليه من الظلام أو الأفلاك وينفذ فيها والمراد الجنس وهو قول الحسن رحمه الله لأن لكل كوكب ضوءاً ثاقباً لا محالة أي في نفسه وإن حصل التفاوت بالنسبة أقسم الله بالسماء وبكواكبها لدلالتهما على قدرته وحكمته أو المعهود بالثقب فهو من باب ركب السلطان وهو زحل الذي في السماء السابعة لأنه يثقب بنوره سمك سبع

سموات أو كوكب الصبح الثريا لأن العرب تسميه النجم أو الشهاب چنانچه آورده اندكه شي حضرت رسول الله ﷺ نشسته بود باعم خود أبو طالب ناكاه ستاره بدرخشيد وشعلهء آتش عظيم از وظاهر شد أبو طالب بترسيد وكفت اين چه چيزست حضرت پيغمبر عليه السلام، فرمود كه اين ستاره ايست كه ديورا از آسمان مي راند ونشانه ايست از قدرتهاى الهي في الحال جبريل نازل شد بدين آيت كه والسماء والطارق.

وفيه إشارة إلى كوكب اسم الجمال الثاقب الطارق وكوكب اسم الجلال وقال القاشاني: أي: الروح الإنساني والعقل الذي يظهر في ظلمة النفس وهو النجم الذي يثقب ظلمتها وينفذ فيها ويبصر بنوره ويهتدى به كما قال: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦]

﴿إن كل نفس لما عليها حافظ﴾ جواب للقسم وما بينهما اعتراض جيء به لتأكيد فخامة المقسم به المستتبع لتأكيد مضمون الجملة المقسم عليها وإن نافية ولما بمعنى إلا قال الزجاج: استعملت لما في موضع إلا في موضعين أحدهما بعد إن النافية والآخر في باب القسم تقول سألتك لما فعلت بمعنى إلا فعلت وعدي الحفظ بعلى لتضمنه معنى الهيمنة والمعنى ما كل نفس من النفوس الطيبة والخبيثة أنسية أو جنية إلا عليها حافظ مهيمن رقيب وهو الله تعالى كما قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا﴾ [الأحزاب: ٥٢].

[آورده اندكه درمكه زنى بود فاجره وكفت من طارس يماني را بر كردانم ازراه طاعت ودر معصيت كشم وطاوس مردى نيكو ورى بود وخوش خلق وخوش طبع إن زن برطاوس آمد وباوي سخن در كرفت بر سبيل مزاح طاوس بدانست كه مقصودوي چيست كفت آرى صبركن تابفلان چايكاه آييم چون بدان جايكاه رسيدند طاوس كفت اكرترا مقصودي است اينجا تواند بود آن زن كفت سبحان الله اين چه جاي آن كارست انجمنكاه خلق ومجمع نظار كيان طوس كفت أليس الله يرانا في كل مكان أي زن از ديدار مردم شرم داري واز ديدار الله كه بما مي نكرد خود شرم ندارى يستخفون من الناس ولا يستخفون من الله أين سخن درزن كرفت وتوبه كرد واز جملهء اوليا كشت].

وحكي أن ابن عمر رضي الله عنهما مر بغلام يرعى غنماً فقال له بعني شاة فقال إنها ليست لي فقال له ابن عمر: قل أكلها الذئب فقال الغلام: فأين الله فاشتراه ابن عمر واشترى الغنم وأعتقه ووهب له الغنم وبقي ابن عمر مدة طويلة يقول: قال ذلك العبد فأين الله، فصاحب المراقبة يدع من المعاصي حياء منه تعالى وهيبة له أكثر مما يدعه من يترك المعاصي بخوف عقوبته وقيل: المراد بالحافظ هو من يحفظ عملها ويحصي عليها ما تكسب من خير وشر كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ١٠﴾ [الانفطار: ١٠].

[وآنكه كه بر مصطفى ﷺ عرضه ميكنند چنانكه در خبرست كه رسول الله عليه اسلام، فرمود تعرض على أعمالكم فما كان من حسنة حمدت الله عليه وما كان من سيئة استغفرت الله لكم].

وروي عن النبي ﷺ: «وكل بالمؤمن مائة وستون ملكاً يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد إلى نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين» وقرىء لما أن مخففة على أن مخففة وما مزيدة واللام فاصلة بين المخففة والنافية أي إن الشأن كل نفس لعليها حافظ رقيب وفي الآية تخويف للنفوس من الأمور الضارة وترغيب في الشؤون النافعة وفي بعض التفاسير يحتمل أن يكون المراد من النفس أعم من نفس النفس المكلف من الإنسان والجن

ومن نفس المكلف لعموم الحفظ من بعض الوجوه ومن الكل فيشمل النفوس الحيوانية مطلقاً بل كل شيء سوى الله بناء على أن المراد من النفس الذات فإن نفس كل شيء ذاته وذاته نفسه ومن الحافظ هو الله؛ لأن الحافظ لكل شيء عالم بأحواله موصل إليه منافعه ودافع عنه مضاره والحفيظ من العباد من يحفظ جوارحه وقلبه ويحفظ دينه عن سطوة الغضب وحلاوة الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان فإنه على شفا جرف هار وقد اكتنفته هذه الملكات المفضية إلى البوار ومن خواص الاسم الحفيظ أن من علقه عليه لو نام بين السباع ما ضرته.

قال القاشاني: الحافظ هو الله إن أريد بالنفس الجملة وإن أريد بها النفس المصطلح عليها من القوة الحيوانية فحافظها الروح الإنساني.

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝٦ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧﴾

﴿فلينظر الإنسان﴾ ليتفكر الإنسان المركب من الجهل والنسيان المنكر للنشور والحشر والميزان **﴿مم﴾** أي: من أي شيء فأصله مما حذفت الألف تخفيفاً كما مر في عم. **﴿خلق﴾** حتى يتضح أن من قدر على إنشائه من مواد لم تشم رائحة الحياة قط فهو قادر على إعادته بل أقدر على قياس العقل فيعمل ليوم الإعادة والجزاء ما ينفعه يومئذٍ ويجد به ولا يملي حافظه ما يرديه.

﴿خلق من ماء دافق﴾ استئناف وقع جواباً عن استفهام مقدر كأنه قيل ممن خلق فقيل خلق من ماء ذي دفق وهو صب فيه دفع وسيلان بسرعة وبالفارسية ريزانيدن آب.

وبابه نصر وإنما أول بالنسبة لأن الصب لا يتصور من النطفة لظهور أنها مصبوبة لإصابة فتوصيفه بأنه دافق لمجرد نسبة مبدأ الاشتقاق إلى ذات الموصوف به مع قطع النظر عن صدوره منه. وقال بعضهم: أي مدفوق ومصبوب في الرحم نحو سر كاتم أي: مكتوم وعيشة راضية أي: مرضية فهو فاعل بمعنى المفعول والمراد به الممتزج من الماءين في الرحم كما ينبىء عنه ما بعده في الآية وللنظر إلى امتزاجهما عبر عنهما بصيغة الإفراد ووصف الماء الممتزج بالدافق من قبيل توصيف المجموع بوصف بعض أجزائه.

﴿يخرج﴾ ذلك الماء الدافق **﴿من بين الصلب والترائب﴾** الصلب الشديد وباعتباره سمي الظهر صلباً أي: من بين ظهر الرجل وترائب المرأة وهي ضلوع صدرها وعظام نحرها حيث تكون القلادة وكل عظم من ذلك تربية وعن علي وابن عباس رضي الله عنهما بين الثديين، وفي «القاموس»: الترائب عظام الصدر أو ما ولي الترقوتين منه أو ما بين الثديين والترقوتين أو أربع أضلاع من يمنة الصدر وأربع من يسرته أو اليدان والرجلان والعينان أو موضع القلادة انتهى. ومن ذلك يتحمل الوالد مصالح معيشة الولد وتشتد رقة الوالدة ومحبتها للولد وإيراد بين إشارة إلى ما يقال إن النطفة تتكون من جميع أجزاء البدن ولذلك يشبه الولد والديه غالباً فيجتمع ماء الرجل في صلبه ثم يجري منه ويجتمع ماء المرأة في ترائبها ثم يجري منها، وفي «قوت القلوب»: أصل المني هو الدم يتصاعد في خرزات الصلب وهناك مسكنة فتنضجه الحرارة فيستحيل أبيضاً فإذا امتلأت منه خرزات الصلب وهو الفقار طلب الخروج من مسلكه وهو عرقان متصلان إلى الفرج منهما ينزل المني وفي «أسئلة الحكم» بين طريق البول وطريق المني جلد رقيق يكاد لا يتشخص كيلا يختلط المني بماء البول فيفسد حرارة جوهره.

وفي «التأويلات النجمية»: خلق الإنسان من ماء رطوبة النفس الرحماني الذي أشار إليه عليه السلام بقوله: «إني أجد نفس الرحمن من قبل اليمن»، دافق هذا الماء من فم فوارة

المحبة المشار إليها بقوله تعالى: «كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق»، الخارج من بين الصلب أي: رجل القوة الفاعلية الإلهية المسماة باليد اليمنى في قوله ثم مسح يده اليمنى على جانب الظهر الأيمن فاستخرج منه ذرية بيضاء كالفضة البيضاء والترائب وترائب امرأة القابلية المسماة باليد اليسرى في قوله ثم مسح يده اليسرى على جانب الظهر الأيسر فاستخرج منه ذراري حماء سوداء فهو الإنسان المخلوق على صورة ربه وخالقه من ماء الفيض والقبول المخمر بيدي الفاعلية والقابلية المشار إليها بقوله: «خمرت طينة آدم بيدي أربعين صباحاً».

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ ﴿٨﴾ يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ ﴿١٠﴾ وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾﴾.

﴿إنه﴾ الضمير للخالق فإن قوله خلق يدل عليه أي إن ذلك الذي خلق الإنسان ابتداء مما ذكر **﴿على رجعه﴾** أي إعادته بعد موته **﴿لقادر﴾** أي: لبين القدرة بحيث لا يرى له عجز أصلاً وتقديم الجار والمجرور على عامله وهو لقادر للاهتمام به من حيث إن الكلام فيه بخصوصه فهو لا ينافي قادريته على غيره قال بعضهم: خلقه لإظهار قدرته ثم رزقه لإظهار الكرم ثم يميته لإظهار الجبروت ثم يحييه لإظهار الثواب والعقاب.

﴿يوم تبلى السرائر﴾ ظرف لرجعه ولا يضر الفصل بالأجنبي للتوسع في الظروف والسرائر جمع سريرة بمعنى السر وهي التي تكتم وتخفى أي: يتعرف ويتصفح ما أسر في القلوب من العقائد والنيات وغيرها وما أخفى من الأعمال ويميز بين ما طاب منها وما خبث وبالفارسية [روزى كه آشكارا كرده شود نهانها يعني ظاهر كند مخفيات ضمائر وأعمال تاطيب آن از خبيث متميز كردد].

كر پرده زروى كار ما بر دارند آن كيست كه وسواي دو عالم نشود

والإبلاء هو الابتلاء والاختبار وإطلاق الإبلاء على الكشف والتمييز من قبيل إطلاق اسم السبب على المسبب لأن الاختبار يكون للتعريف والتمييز وابتلاء الله عباده بالأمر والنهي يكون لكشف ما علم منهم في الأزل، وقال بعضهم: المراد بالسرائر الفرائض كالصوم والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة فإنها سر بين العبد وبين ربه ولو شاء العبد أن يقول فعلت ذلك ولم يفعله أمكنه وإنما تظهر صحة تلك السرائر يوم القيامة قال ابن عمر رضي الله عنهما: يبدي الله يوم القيامة كل سر فيكون زيناً في وجوه وشيناً في وجوه يعني من أدى الأمانات كان وجهه مشرقاً ومن ضيعها كان وجهه أغبر.

﴿فما له﴾ أي للإنسان وما نافية **﴿من قوة﴾** في نفسه يمتنع بها من العذاب الذي حل به **﴿ولا ناصر﴾** من خارج ينتصر به إذ كل نفس يومئذٍ رهينة بما كسبت مشغولة بجزاء ما جرت عليه خيراً كان أو شراً فالمراد بالقوة المنفية هي القوة الثابتة له في نفسه لا القوة مطلقاً وإلا لم يبق للعطف فائدة لأن القوة المستفادة من الغير قوة أيضاً وقد نفيت أولاً والقوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف وفي «التعريفات»: هي تمكن الحيوان من الأفعال الشاقة ونصر المظلوم أعانه ونصره منه نجاه وخلصه وفيه إشارة إلى القوة بحسب نية الباطن وعمل الظاهر بالنية الخالصة المجردة عن العمل قد تنصر الناوي أيضاً لكن إذا قارنت العمل كانت أقوى.

﴿والسماء ذات الرجع﴾ ذات مؤنث ذو بمعنى الصاحب والرجع المطر سمي رجعاً لما

أن العرب كانوا يزعمون أن السحاب يحمل الماء من بحار الأرض ثم يرجعه إلى الأرض أو أرادوا بذلك التفاؤل ليرجع ولذلك سموه باليؤوب فيكون الرجع مصدراً من اللازم بمعنى الرجوع لا من المتعدي قاله بعض العلماء، أو لأن الله يرجعه وقتاً فوقتاً بعد إيجاده وإحداثه وقال الراغب: سمي المطر رجعاً لرد الهواء ما تناوله من الماء، وفي «كشف الأسرار» لأنه يرجع كل عام ويتكرر وقال عبد القاهر الجرجاني في «كتاب إعجاز القرآن»: إنما قال للسماء ذات الرجع لأن شمسها وقمرها يغيب ويطلع وبعض نجومها يرجع.

﴿**والأرض ذات الصدع**﴾ هو ما تتصدع عنه الأرض من النبات إذ المحاكي للنشور هو تشقق الأرض وظهور النبات منها لإظهار العيون فالمراد بالصدع نبات الأرض سمي به لأنه صادع للأرض والأرض تتصدع به والصدع في اللغة الشق وفي «المفردات»: شق في الأجسام الصلبة كالزجاج والحديد ونحوهما وفي الآية إشارة إلى أن السماء ذات الرجع كالأب والأرض ذات الصدع كالأم وما ينبت من الأرض كالولد أقسم الله بالسماء أولاً مجردة عن التوصيف وثانياً مقيدة بكونها ذات الرجع وكذا بالأرض ذات الصدع إيماء إلى المنة عليهم بكثرة المنافع ودلالة على العلم التام والقدرة الكاملة فيهما وفيه إشارة إلى سماء الروح ذات الرجع في النشأة الثانية وأرض البدن ذات الصدع بالانشقاق عن الروح وقت زهوقه أو الشق بعد اتصاله.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا ﴿١٧﴾﴾.

﴿**إنه**﴾ أي: القرآن الذي من جملته ما تلي من الآيات الناطقة بمبدأ حال الإنسان ومعاده ﴿**لقول**﴾ لكلام إذ القول كثيراً ما يكون بمعنى المقول ﴿**فصل**﴾ أي: فاصل بين الحق والباطل مبالغ في ذلك كأنه نفس الفصل كما قيل له فرقان بمعنى الفارق.

﴿**وما هو بالهزل**﴾ الهزل اللعب، وفي «فتح الرحمن»: ما استعمل في غير ما وضع له من غير مناسبة والجد ضده وهو أن يقصد به المتكلم حقيقة كلامه أي ليس في شيء من القرآن شائبة هزل بل كله جد محض لا هزل فيه فمن حقه أن يهتدي به الغواة وتخضع له رقاب العتاة وبالفارسية ونيست أو بازى وباطل وفسوس وسخريه.

ويظهر من الآية أن من يؤم القرآن بهزل أو بتفكه بمزاح يكفر، وفي «هدية المهدين» إذا أنكر رجل آية من القرآن أو سخر بها أو عابها فقد كفر ومن قرأ القرآن على ضرب الدف أو القصب فقد كفر ولو قال: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ﴾ [الانشراح: ١] را كريبان كرفته‌ء.

أو قال پوست از ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾ [الإخلاص: ١] بردى.

أو قال اين كوته تراز ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ﴾ [الكوثر: ١].

أو قيل: لم لم تقرأ القرآن فقال سير شدم از قرآن.

فهذا كله وأمثاله كفر ينبغي للمؤمن يحترز منه ويجتنب عنه.

﴿**إنهم**﴾ أي: أهل مكة ومعاندي قريش ﴿**يكيدون**﴾ في إبطال أمره وإطفاء نوره يعني [مكر ميكنند درشان رسول وحق قرآن] ﴿**كيداً**﴾ حسبما في قدرتهم ﴿**وأكيد كيداً**﴾ أي: أقابلهم بكيد متين لا يمكن رده حيث استدرجهم من حيث لا يعلمون وكيد المحدث العاجز الضعيف لا يقاوم كيد القديم القادر القوي فتسمية الاستدراج والانتقام في الدنيا بالسيف وفي الآخرة بالنار كيداً من باب المشاكلة لوقوعه في مقابلة كسبهم جزاء له وإلا فالكيد وهو المكر

والاحتيال لا يجوز إسناده إليه تعالى مراداً به معناه الحقيقي وتسمية جزاء الشيء باسم ذلك الشيء على سبيل المشاكلة شائع كثير.

﴿فمهل الكافرين﴾ أي: لا تشتغل بالانتقام منهم ولا تدع عليهم بالهلاك ولا تستعجل به يعني [مهلت ده كافر انرا وتعجيل مكن در طلب هلاك ايشان] ﴿أمهلهم﴾ بدل من مهل وهما أي: التمهيل والإمهال لغتان كما قال تعالى: ﴿وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا﴾ [المزمل: ١١].

روي عن همام مولى عثمان رضي الله عنه أنه قال: لما كتبوا المصحف شكوا في ثلاث آيات فكتبوا في كتف شاة وأرسلوني إلى أبي بن كعب وزيد بن ثابت رضي الله عنهما فدخلت عليهما فناولتها أبياً فقرأها فإذا هي فيها لا تبديل للخلق فكتب لا تبديل لخلق الله وكان فيها لم يتسن فكتب لم يتسنه وكان فيها فأمهل الكافرين فمحا الألف وكتب فمهل الكافرين ونظر فيها زيد بن ثابت فانطلقت بها إليهم فأثبتوها في المصحف، وفيه إشارة إلى أن الله تعالى حافظ للقرآن من التحريف والتبديل لأنه أثبته في صدور الحفاظ وإلى أن المشكلات يرجع فيها إلى أهل الحل ﴿رويداً﴾ يقال أرود يرود إذا رفق وتأنى ومنه بنى رويد كما في «المفردات» وفي «الإرشاد» هو في الأصل تصغير رود بالضم وهو المهل أو أرواد مصدر أورد بالترخيم وهو إما مصدر مؤكد لمعنى العامل أو نعت لمصدره المحذوف أي: أمهلهم إمهالاً رويداً أي: قريباً أو قليلاً يسيراً فإن كل آت قريب كما قالوا [كرچه قيامت دير آيد ولى مي آيد].

وفيه تسلية لرسول الله ﷺ بما فيه من الرمز إلى قرب وقت الانتقام من الأعداء وفي «كشف الأسرار» وما كان بين نزول هذه الآية وبين وقعة بدر إلا زمان يسير.

حكي أنه دخل ابن السماك على هارون الرشيد فطلب هارون منه العظة وقد جلس في حصير فقال: يا أمير المؤمنين لتواضعك في شرفك أفضل من شرفك قال الرشيد: ما سمعت شيئاً أحسن من هذا فقال: بلى يا أمير المؤمنين من أعطي مالاً وجمالاً وسلطاناً وشرفاً فتواضع في شرفه وعف في جماله وواسى من فضل ماله وعدل في سلطانه كتب في ديوان المخلصين فدعا الرشيد بالقرطاس فكتبها ثم قال: زدني فقال: يا أمير المؤمنين لقد أمهل حتى كأنه أهمل ولقد ستر حتى كأنه غفر ثم قال يا أمير المؤمنين هب كأن الدنيا كلها في يديك والأخرى مثلها ضمت إليك هب كان الشرق والغرب يجبى إليك فإذا جاء ملك الموت فماذا في يديك؟ قال: زدني فقال: لم يبق من لدن آدم إلى يومنا هذا أحد إلا وقد ذاق الموت قال زدني فقال إنهما موضعان إما جنة وإما نار قال حسبي ثم غشي عليه قال ابن السماك دعوه حتى يموت فلما أفاق أمر له بجائزة فقيل له إنه قال كذا فسأله الرشيد عن ذلك فقال: يا أمير المؤمنين أي شيء أحسن من أن يقال إن أمير المؤمنين مات من خشية الله فاستحسن كلامه واحترمه.

قال الحافظ: بمهلتي كه سپهرت دهد زراه مرو. تراكه كفت كه اين زال ترك دستان كرد.

فطوبى لمن قصر أمله وطال عمره وحسن عمله والله نسأل أن لا يجعلنا من المغترين.

تمت سورة الطارق بإعانة خالق النجوم البوارق يوم الأحد الرابع عشر من شهر ربيع الأول من سنة سبع عشرة ومائة

٨٧ ـ سورة الأعلى

تسع عشرة آية مكية عند الجمهور

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١ ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ۝٢ وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ ۝٣﴾.

﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ التسبيح التنزيه واسم الله لا يصح أن يطلق عليه بالنظر إلى ذاته أو باعتبار صفة من صفاته السلبية كالقدوس أو الثبوتية كالعليم أو باعتبار فعل من أفعاله كالخالق ولكنها توقيفية عند بعض العلماء وقد سبق، والأعلى: صفة للرب ويجوز أن يكون صفة للاسم والأول أظهر ومعنى علوه تعالى أن يعلو عن أن يحيط به وصف الواصفين بل علم العارفين ومعنى أعلويته إن له الزيادة المطلقة في العلو.

قال بعضهم: ليس علوه علو جهة ولا كبره كبر جثة سبحانه عن ذلك بل علو استحقاق لنعوت الجلال والكبرياء فمن عرف علوه وكبرياءه تواضع وتذلل بين يديه عباده الصالحين والمعنى نزه اسمه عن الإلحاد فيه بالتأويلات الزائغة نحو أن يجعل الأعلى من العلو في المكان لا من العلو في الكمال وأن يؤخذ الاستواء بمعنى الاستقرار لا بمعنى الاستيلاء وكذا نزهه عن إطلاقه على غيره بوجه يشعر بتشاركهما فيه كان يسمى الصنم والوثن بالرب والإله ومنه تسمية العرب مسيلمة الكذاب برحمان اليمامة وكذا نزهه عن ذكره لا على وجه الإعظام والإجلال ويدخل فيه أن يذكر اسمه عند التثاؤب وحال الغائط وكذا بالغفلة وعدم الوقوف على معناه وحقيقته ومنه إكثار القسم بذكر اسمه من غير مبالاة.

وقال جرير في الآية: ارفع صوتك بذكره أي: بذكر اسمه فإن ذكر المدلول إنما هو بذكر الاسم الدال عليه فظهر من هذا التقرير أن الاسم غير مقحم وقال بعضهم: الاسم والمسمى هنا واحد أي نزه ذاته عما دخل في الوهم والخيال وفي الحديث لما نزلت ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ۝٧٤﴾ [الواقعة: ٧٤] قال عليه السلام: «اجعلوها في ركوعكم» فلما نزل **﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾** قال: «اجعلوها في سجودكم» وكانوا يقولون في الركوع اللهم لك ركعت وفي السجود اللهم لك سجدت وفي الحديث دلالة على أن لفظ الاسم مقحم. قاله سعدي المفتي: وعلى أن الامتثال بالأمر يحصل بأن يقول سبحان ربي العظيم والأعلى بدون قراءة النظم ولذا قرأ علي وابن عمر رضي الله عنهم «سبحان ربي الأعلى الذي» الخ فإن قوله **﴿سبح﴾** أمر بالتسبيح فلا بد وأن يذكر ذلك التسبيح وما هو إلا قول سبحان ربي الأعلى ومثله سبحان ربك رب العزة فإن معناه نزه ربك رب العزة فيحصل الامتثال بأن يقول سبحان ربنا رب العزة على

معنى تنزه ربنا رب العزة وقس على ذلك سائر المواقع المأمور بها وسر اختصاص سبحان ربي العظيم بالركوع والأعلى بالسجود أن الأول إشارة إلى مرتبة الحيوان والثاني إشارة إلى مرتبة النبات والجماد فلا بد من الترقي في التنزيه، وكان عليه السلام وجيوشه «إذا علوا الثنايا كبروا وإذا هبطوا سبحوا» فوضعت الصلاة على ذلك، قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره: في «شرح الحديث» اعلم أن الرفعة والارتفاع استعلاء وإنه من التكبر فإن كان الاستعلاء ظاهراً فهو صورة من صور التكبر وإن كان باطناً فهو معنى التكبر ولما كان الكبرياء لله وحده وكان في الصعود على الثنايا ضرب من الاستعلاء موجود وشبيه به أيضاً لذلك سن التكبير فيه أي: أن الله أكبر وأعلى من أن يشارك في كبريائه وإن ظهرنا بصورة حال يوهم الاشتراك، وأما الأمر بالتسبيح في الهبوط فهو من أجل سر لمعية المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ [الحديد: ٤] فإذا آمنا أنه معنا أينما كنا فحال كوننا في هبوط يكون معنا وهو يتنزه عن التحت والهبوط لأنه سبحانه فوق التحت كما أنه فوق الفوق ونسبة الجهات إليه على السواء لنزاهته عن التقيد بالجهات وإحاطته بها فلهذا شرع التكبير في الصعود والتسبيح في الهبوط على الوجه المنبه عليه انتهى. وأول من قال سبحان ربي الأعلى ميكائيل عليه السلام، وذلك أنه خطر بباله عظمة الرب تعالى فقال يا رب أعطني قوة حتى انظر إلى عظمتك وسلطانك فأعطاه قوة أهل السماوات فطار خمسة آلاف سنة حتى احترق جناحه من نور العرش ثم سأل القوة فأعطاه قوة ضعف ذلك وجعل يطير ويرتفع عشرة آلاف سنة حتى احترق جناحه وصار في آخره كالفرخ ورأى الحجاب والعرش على حاله فخر ساجداً وقال: سبحان ربي الأعلى ثم سأل ربه أن يعيده إلى مكانه وإلى حالته الأولى ذكره أبو الليث في «تفسيره» وقال النبي عليه السلام: «يا جبرائيل أخبرني عن ثواب من قال سبحان ربي الأعلى في صلاته أو في غير صلاته فقال يا محمد ما من مؤمن ولا مؤمنة يقولها في سجوده أو في غير سجوده إلا كانت له في ميزانه أثقل من العرش والكرسي وجبال الدنيا ويقول الله صدق عبدي أنا الأعلى وفوق كل شيء وليس فوقي شيء اشهدوا يا ملائكتي أني قد غفرت لعبدي وأدخلته جنتي فإذا مات زاره ميكائيل كل يوم فإذا كان يوم القيامة حمله على جناحه فيوقفه بين يدي الله فيقول: يا رب شفعني فيه فيقول قد شفعتك فيه اذهب به إلى الجنة» ذكره ابن الشيخ في «حواشيه» وفي الحديث: «سبحان الله والحمد لله يملآن ما بين السموات والأرض» أي: لاشتمال هاتين الكلمتين على كمال الثناء والتعريف بالصفات الذاتية والفعلية الظاهرة الآثار في السماوات والأرض وما بينهما. وقال القاشاني: اسمه الأعلى والأعظم هو الذات مع جميع الصفات أي: نزه ذاتك بالتجرد عما سوى الحق وقطع النظر عن الغير ليظهر عليها الكمالات الحقانية بأسرها وهو تسبيحه الخاص به في مقام الفناء لأن الاستعداد التام القابل لجميع الصفات الإلهية لم يكن الإله فذاته هو الاسم الأعلى عند بلوغ كماله ولكل شيء تسبيح خاص يسبح به اسماً خالصاً من أسماء ربه ﴿**الذي خلق فسوى**﴾ صفة أخرى للرب على الوجه الأول ومنصوب على المدح على الثاني لئلا يلزم الفصل بين الموصوف والصفة غيره أي: خلق كل شيء فسوى خلقه بأن جعل له ما به يتأتى كماله ويتسنى معاشه. وقال القاشاني: انشأ ظاهرك فعدل بنيتك على وجه قبلت بمزاجه الخاص الروح الأتم المستعد لجميع الكمالات.

وفي «التأويلات النجمية» خلق كل شي بحسب الوجود فسوى تسوية بها يصل الفيض الإلهي المعد له بحسب استعداده الفطري. وقال بعضهم: خلق الخلق فسوى بينهم في الخلقة وميز بينهم باختصاص بعضهم بالهداية.

﴿والذي قدر﴾ معطوف على الموصول الأول أي: قدر أجناس الأشياء وأنواعها وأفرادها ومقاديرها وصفاتها وأفعالها وآجالها كما قال عليه السلام: «إن الله قدر مقادير الخلق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة» أي: جعل أجناس الأشياء وكذا أشخاص كل نوع بمقدار معلوم وكذا جعل مقدار كل شخص في جثته وأوضاعه وسائر صفاته كالحسن والقبح والسعادة والشقاوة والهداية والضلالة والألوان والأشكال والطعوم والروائح والأرزاق والآجال وغير ذلك بمقدار معلوم كما قال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢١﴾﴾ [الحجر: ٢١] ﴿فهدى﴾ فوجه كل واحد منها إلى ما يصدر عنه وينبغي له طبعاً أو اختياراً ويسره لما خلق له بخلق الميول والإلهامات ونصب الدلائل وإنزال الآيات ولو تتبعت أحوال النباتات والحيوانات لرأيت في كل منها ما يحار فيه العقول.

يحكى أن الأفعى إذا بلغت ألف سنة عميت وقد ألهمها الله أن تمسح عينيها بورق الرازيانج الغض فيرد إليها بصرها فربما كانت عند عروض العمى لها في برية بينها وبن الريف مسافة طويلة فتطويها على طولها وعلى عماها حتى تهجم في بعض البساتين على شجرة الرازيانج لا تخطئها فتحك عينيها بورقها وترجع باصرة بإذن الله تعالى.

ويحكى أن التمساح لا يكون له دبر وإنما يخرج فضلات ما يأكله من فيه حيث قيض الله له طائراً قدر الله غذاءه من ذلك فإذا رآه التمساح يفتح فمه فيدخله الطائر فيأكل ما فيه وقد خلق الله له من فوق منقاره ومن تحته قرنين لئلا يطبق عليه التمساح فمه والتمساح خلق كالسلحفاة ضخم يكون بنيل مصر وبنهر مهران في السند كما في «القاموس»: ويختطف البهائم والآدميين وربما بلغ طوله عشرين ذراعاً وهو يبيض في البر فما وقع من ذلك فى الماء صار تمساحاً وما بقي صار سقنقوراً وهي دابة بمصر شكلها كالوزغة على عظم خلقته وهو أنفس ما يهدي لملوك الهند فإنهم يذبحونه بسكين من الذهب ويحشونه من ملح مصر ويحملونه كذلك إلى أرضهم فإذا وضعوا مثقالاً من ذلك على بيض أو لحم وأكل نفع ذلك نفعاً بليغاً والسقنقور والضب والسلحفاة للذكر منها ذكران وللأنثى فرجان ومن عجائب هداياته تعالى أن القطا وهو طائر يترك فراخه ثم يطلب الماء من مسيرة عشرة أيام وأكثر فيرده فيما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ثم يرجع فلا يخطىء لا ذهاباً ولا إياباً والجمل والحمار إذا سلكا طريقاً في الليلة الظلماء ففي المرة الثانية لا يخطئان والدبة إذا ولدت ولدها رفعته في الهواء يومين خوفاً من النمل لأنها تضعه قطعة لحم غير متميزة الجوارح ثم يتميز أولاً فأولاً وإذا جمع العقرب والفأرة في إناء زجاج قرضت الفأرة إبرة العقرب فتسلم منها.

وحكي أن ابن عرس تبع فأرة فصعدت شجرة ولم يزل يتبعها حتى انتهت إلى رأس الغصن ولم يبق مهرب فنزلت على ورقة وعضت طرفها وعلقت نفسها فعند ذلك صاح ابن عرس فجاءته زوجته فلما انتهت إلى تحت الشجرة، قطع ابن عرس الورقة التي عضتها الفأرة فسقطت فاصطادها ابن عرس الذي كان تحت الشجرة والفأرة تدخل ذنبها في قارورة الدهن ثم تلحسه والثعلب إذا اجتمع في جلده البق الكثير والبعوض يأخذ بفيه قطعة جلد من الحيوان

فينغمس في الماء فإذا اجتمعت في الفرو ألقاه في الماء وخرج سالماً، والعنكبوت تبني بيتها على وجه عجيب غير مقدور والبشر لا يقدر على بناء البيت المسدس إلا بالالبركار والمسطر والنحل تبني تلك البيوت من غير آلة والنمل تسعى لإعداد الذخيرة لنفسها فإذا أحست بنداوة المكان تشق الحبة نصفين لئلا تنبت وإذا وصلت النداوة إليها تخرجها إلى الشمس لتجف قال بعضهم: رأيت غواصاً وهو طائر غاص وطلع بسمكة فغلبه الغراب عليها فأخذها منه فغاص مرة أخرى فطلع فأخذها منه الغراب وفي الثالثة كذلك فلما اشتغل الغراب بالسمكة وثب الغواص فأخذ برجل الغراب وغاص به تحت الماء حتى مات الغراب وخرج هو من الماء وفي الحديث لا تشوبوا اللبن بالماء فإن رجلاً كان فيمن كان قبلكم يبيع اللبن ويشوبه بالماء فاشترى قرداً وركب البحر حتى إذا لجج فيه ألهم الله القرد فأتى صرة الدنانير فأخذها وصعد الدقل وهو سهم السفينة ففتح الصرة وصاحبها ينظر إليه فأخذ ديناراً ورمى به في البحر وديناراً في السفينة حتى قسمها نصفين فألقى ثمن الماء في الماء وفي عجائب المخلوقات إن شخصاً قتل شخصاً بأصفهان وألقاه في بئر وللمقتول كلب يرى ذلك فكان يأتي كل يوم إلى رأس البئر وينحي التراب عنها وإذا رأى القاتل نبح عليه فلما تكرر منه ذلك حفروا الموضع فوجدوا القتيل ثم أخذوا الرجل فأقر فقتل به ومن عجيب شجرة النخل أن يعرض لها العشق وهي أن تميل إلى نخلة أخرى فيخف حملها وتهزل وعلاجها أن يشد بينها وبين معشوقها الذي مالت إليه بحبل أو يعلق عليها سعفة منه أو يجعل فيها من طلعه وأمثال هذا لا تحيط بها العبارة والتحرير كثرة.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ ۝٤ فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ ۝٥﴾

﴿**والذي أخرج المرعى**﴾ أي أنبت بكمال قدرته ما ترعاه الدواب غضاً طريقاً من بين أخضر وأصفر وأحمر وأبيض وقال ابن عباس رضي الله عنه، المرعى الكلأ الأخضر وفي «الصحاح» الرعى بالكسر الكلأ وبالفتح المصدر والمرعي الرعي والمصدر ﴿**فجعله**﴾ بعد ذلك ﴿**غثاء**﴾ أي: درينا وهو كأمير يبيس كل حطام حمض أو شجر أو بقل قال الجوهري الغثاء بالضم والمد ما يحمله السيل من القماش والقمش جمع الشيء من ههنا وههنا وذلك الشيء قماش ما على وجه الأرض من فتات الأشياء حتى يقال لرذالة الناس قماش وبالفارسية [خشك وپژمرده] ﴿**أحوى**﴾ أسود من الحوة بمعنى السواد وذلك أن الكلأ إذا جف ويبس أسود سواء كان جفافه واسوداده بتأثير حرارة الشمس أو برودة الهواء الفاء التعقيبية إشارة إلى قصر مدة الحضرة ورمز إلى قصر مدة العمر وسرعة زال الدنيا ونعيمها يعني [محققان از مضمون اين آيت فهم كرده اندكه چرا كاه متمتعان دنيا اكرچه در أول تازه وسيراب وسبز وخرم نمايد إما اندك وقتى را بسبب هبوب رياح خزان حوادث تيره وبي طراوت خواهد بود].

اكرچه خرم وتازه است كلبن دنيا — ولى بنكبت باد خزان نمى ارزد

بكرده خورى وقرص قمر زجاي مرو — كه خوان چرخ نيك تاي نان نمى ارزد

وفيه إشارة إلى زينة الحياة الدنيا ومنافعها ومآكلها ومشاربها فإنها مرعى النفس الحيوانية ومرتع بهائم القوى جعلها الله سريعة الفناء وشيكة الزوال كالهشيم والحطام البالي المسود فينبغي أن لا يلتفت إليها ولا يشغل بها فإنها مانعة عن التسبيح الخاص وهو تنزيه الذات وتجريدها عن العلائق وبها يحصل الاحتجاب عن الكمال المقدر في حق كل أحد.

﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾﴾.

﴿سنقرئك فلا تنسى﴾ بيان لهدايته تعالى الخاصة برسول الله ﷺ أثر بيان هدايته العامة لكافة مخلوقاته وهي هدايته عليه السلام، لتلقي الوحي وحفظ القرآن الذي هو هدى للعالمين وتوفيقه عليه السلام لهداية الناس أجمعين. قال الراغب في «المفردات»: إخبار وضمان من الله تعالى أن يجعله بحيث لا ينسى ما يسمعه من الحق انتهى. والسين إما للتأكيد وإما لأن المراد إقراء ما أوحي إليه حينئذٍ وما سيوحى إليه بعد ذلك فهو وعد كريم باستمرار الوحي في ضمن الوعد بالإقراء يقال قرأ القرآن فهو قارىء وأقرأه غيره فهو مقرىء أي علمه إياه فهو معلم، وفي «تاج المصادر» الإقراء [قرآن كوش فرا داشتن وخواننده كردن].

ومنه سنقرئك انتهى والمعنى سنقرئك ما نوحي إليك الآن وفيما بعد على لسانه جبرائيل فلا تنسى أصلاً من قوة الحفظ والإتقان، وفي «كشف الأسرار»: سنجمع حفظ القرآن في قلبك وقراءته في لسانك حتى لا تنسى كقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾﴾ [القيامة: ١٧].

﴿إلا ما شاء الله﴾ استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أي لا تنسى شيئاً من الأشياء مما تقرأه إلا ما شاء الله أن تنساه أبداً بأن نسخت تلاوته فإن النسخ نوع من الإنساء وطريق من طرقه فكأنه بالنسخ محي من الصحف والصدور فالمراد بالنسيان هو النسيان الكلي الدائم بحيث لا يعقبه التذكر بعده ويجوز بأن يراد به النسيان المتعارف الذي يعقبه الذكر بعده وهو النسيان في الجملة على القلة والندرة أي فلا تنسى إلا ما شاء الله نسيانه ثم لا يبقى المنسي منسياً دائماً بل يعقبه الذكر كما هو المفهوم من المقام ويؤيد هذا المعنى ما روي أنه عليه السلام، أسقط آية في قراءته في الصلاة فحسب أبي رضي الله عنه أنها نسخت فسأله فقال عليه السلام نسيتها.

وروي أن بعض الصحابة رضي الله عنهم كان يقرأ القرآن في الليل فقال عليه السلام: «لقد أذكرني آية أنسيتها» ومن هذا كان عليه السلام يقول في دعائه: «اللهم ارحمني بالقرآن العظيم واجعله لي إماماً ونوراً وهدى رحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله حجة لي يا رب العالمين» وكان عليه السلام يقول: «إنما أنا بشر أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني» وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ [الكهف: ٢٤] ودل الكل على جواز طريان النسيان عليه وإن لم يكن سهوه ونسيانه من قبيل سهو الأمة ونسيانهم فإنه أهل الحضور الدائم روي عن جعفر الصادق رضي الله عنه أنه عليه السلام كان يقرأ من الكتاب وإن كان لا يكتب وفيه معجزة له عليه السلام، فإنه كان أمياً وقد جعله الله قارئاً ثم إنه كان يقرأ من الحفظ ومن الصحيفة أيضاً من غير تعلم الخط وكان منبع الكمالات كلها حتى إنه علم الكتاب الخط وقوانينه وأصحاب الحرف دقائق حرفتهم.

﴿إنه يعلم الجهر وما يخفى﴾ تعليل لما قبله وما موصولة وكل من الجهر والإخفاء شامل لما كان من قبيل القول والعمل والإخفاء لما في الضمائر من النيات أي: يعلم ما ظهر وما بطن من الأمور التي من جملتها ما أوحي إليك فينسي ما يشاء إنساءه ويبقي محفوظاً ما يشاء إبقاءه لما نيط بكل منهما من مصالح دينكم ﴿ونيسرك لليسرى﴾ عطف على نقرئك واليسرى فعلى من اليسر وهو السهولة ويسرت كذا سهلت وهيأت وضمن نيسرك معنى التوفيق ولذا عدي

بدون اللام وإلا فالعبارة المعتادة أن يقال جعل الفعل الفلاني ميسراً لفلان لا أن يقال جعل فلان ميسراً للفعل الفلاني كما في الآية فإنه قيل ونيسرك لليسرى لا ونيسر اليسرى لك، وقال بنون العظمة لتكون عظمة المعطي دليلاً على عظمة العطاء، وفي «الإرشاد» تعليق التيسير به عليه السلام، مع أن الشائع تعليقه بالأمور المسخرة للفاعل كما في قوله تعالى: ﴿وَيَسِّرْ لِيٓ أَمْرِي ﴿٢٦﴾﴾ [طه: ٢٦] للإيذان بقوة تمكينه عليه السلام من اليسرى والتصرف فيها بحيث صار ذلك ملكة راسخة له كأنه عليه السلام جبل عليها كما في قوله عليه السلام: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» والمعنى ونوفقك توفيقاً مستمراً توفيقاً للطريقة اليسرى أي: التي هي أيسر وأسهل في كل باب من أبواب الدين علماً وتعليماً واهتداء وهداية فيندرج فيه تيسير طريق تلقي الوحي والإحاطة بما فيه من أحكام الشريعة السمحة والنواميس الإلهية مما يتعلق بتكميل نفسه عليه السلام، وتكميل غيره كما يفصح عنه الفاء في قوله تعالى: ﴿**فذكر إن نفعت الذكرى**﴾ أي فذكر الناس حسبما يسرناك له بما يوحى إليك واهدهم إلى ما في تضاعيفه من الأحكام الشرعية كما كنت تفعله إن نفع التذكير والعظة والنصيحة وتقييد التذكير بنفع الذكرى لما أن رسول الله عليه السلام طالما كان يذكرهم ويستفرغ فيه جهده حرصاً على إيمانهم وكان لا يزيد ذلك بعضهم إلا كفراً وعناداً فأمر عليه السلام بأن يخص التذكير بمدار النفع في الجملة بأن يكون من يذكره كلاً أو بعضاً ممن يرجى منه التذكر ولا يتعب نفسه في تذكير من لا يزيده التذكير إلا عتواً ونفوراً من المطبوع على قلوبهم كما في قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥] فحرف الشك راجع إلى النبي عليه السلام لا إلى الله، وفي «كشف الأسرار»: أن تجيء في العربية مثبتة لا لشرط فتكون بدل قد كقوله: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الذاريات: ٥٥] تنفع المؤمنين وقد علم عليه السلام إن الذكرى تنفع لا محالة إما في ترك الكفر أو ترك المعصية أو في الاستكثار من الطاعة فهو حث على ذلك وتنبيه على أنها تنفع إلا أن يكون مطبوعاً على قلبه غير مستعد للقبول فالنفع مشروط بشرط الاستعداد.

زميـن شـوره سـنبـل بـر نـيـارد در وتـخـم عـمـل ضـابـع مـكـردان

والحاصل: أن التذكير خاص بالمنتفع وذلك في النهاية وأما في البداية فعام وما على الرسول إلا البلاغ.

من آنچه شرط بلاغست باتوميكويم توخواه ازسختم پندكير وخواه ملال

قال القاشاني: أجمل في قوله إن نفعت الذي ثم فصل بقوله:

﴿**سيذكر من يخشى**﴾ أي: سيتذكر بتذكيرك يعني زود باشدكه پندپذيرد.

من شأنه أن يخشى الله حق خشيته أو من يخشى الله في الجملة فيزداد ذلك بالتذكير فيتفكر في أمر ما تذكر به فيقف على حقيقته فيؤمن به وفي «التفسير الكبير» الناس في أمر المعاد على ثلاثة أقسام منهم من قطع بصحته ومنهم من جوز وجوده ولكنه غير قاطع فيه لا بالنفي ولا بالإثبات ومنهم من أصر على إنكاره والقسمان الأولان ينتفعون بالتذكير بخلاف الثالث.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾﴾

﴿ويتجنبها﴾ أي: يتبعد من الذكرى ولا يسمعها سماع القبول ﴿الأشقى﴾ أي: الزائد في الشقاوة من الكفرة لتوغله في عداوة النبي عليه السلام، مثل الوليد بن المغيرة وأبي جهل ونحوهما أو الأشقى هو الكافر مطلقاً لأنه أشقى من الفاسق وروي أن من يخشى هو عثمان بن عفان رضي الله عنه والأشقى رجل من المنافقين وذلك أن المنافق كانت له نخلة مائلة في دار رجل من الأنصار فسقط تمرها في داره فذكر ذلك لرسول الله ﷺ فأرسل إلى المنافق ولم يكن يعلم بنفاقه فسأله أن يعطي النخلة للأنصاري على أن يعطيه نخلة في الجنة فقال أبيع عاجلاً بآجل لا أفعل فأعطاه عثمان رضي الله عنه حائط نخل له فنزلت الآية كما في «التكملة» ونظيره أن رجلاً قضى للنبي عليه السلام حاجة فقال ائتني بالمدينة فأتاه فقال أيما أحب إليك ثمانون من الضأن أو أدعو الله أن يجعلك معي في الجنة قال: بل ثمانون من الضأن قال: أعطوه إياها ثم قال: إن صاحبة موسى عليه السلام كانت أعقل منك وذلك أن عجوزاً دلته على عظام يوسف عليه السلام فقال لها موسى: أيما أحب إليك أسأل الله أن تكون معي في الجنة أو مائة من الغنم قالت الجنة.

هركه بيندمر عطارا صد عوض زود در بازد عطار ازين غرض
آروزى كل بود كل خواره را كلشكر نكوارد آن بيچاره را

﴿الذي يصلى النار الكبرى﴾ أي: يدخل الطبقة السفلى من طبقات النار.

[وآتش آن از آتش دركات ديكر تيز تروسوزنده تراست وآن جاي آل فرعون ومنافقان ومنكران مائدهٔ عيسى عليه السلام باشد ونار صغرى رر طبقهٔ علياكه چاي كنهكاران امت محمد مصطفاست عليه السلام].

فالكبرى: اسم تفضيل لأنه تأنيث الأكبر والمفضل هو ما في أسفل دركات جهنم من النار التي هي نصيب الكفار كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] والمفضل عليه ما في الدركات التي فوقها فإن لجهنم نيراناً ودركات متفاضلة كما أن في الدنيا ذنوباً ومعاصي متفاضلة فكما أن الكفار أشقى العصاة كذلك يصلون أعظم النيران، وقيل: الكبرى نار جهنم والصغرى نار الدنيا، يعني أن المفضل نار الآخرة والمفضل عليه نار الدنيا لقوله عليه السلام: «ناركم هذه جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم وقد غمست في ماء البحر مرتين ليدنى منها وينتفع بها ولولا ذلك ما دنوتم منها» ويقال إنها تتعوذ بالله من جهنم وأن ترد إليها.

يقول الفقير: الظاهر أن المراد بالنار الكبرى هو العذاب الأكبر في قوله تعالى: ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾ [الغاشية: ٢٤] وهو عذاب الآخرة وأما العذاب الأصغر فهو عذاب الدنيا وعذاب البرزخ فإنه يصغر بالنسبة إلى عذاب الآخرة قال بعض الحكماء: علامة الشقاوة أشياء كثيرة الأكل والشرب والنوم والإصرار على الذنب وقساوة القلب وكثرة الذنب ونسيان الرب والوقوف بين يدي الملك الجبار فهذا هو الأشقى الذي يدخل النار الكبرى.

وفي «التأويلات النجمية»: النار ناران: نار حجاب الدنيا بالاشتغال بالشهوات والذات وهي الصغرى ونار حجاب الآخرة وهو الابتلاء بالخذلان والخسران والطرد والهجران كما قال تعالى: ﴿وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾﴾ [الإسراء: ٧٢] لفوات الاستعداد. وقال القاشاني: النار الكبرى هي نار الحجاب عن الرب بالشرك والوقوف مع الغير ونار القهر في مقام الصفات ونار الغضب والسخط في مقام الأفعال ونار جهنم الآثار في المواقف

الأربعة من موقف الملك والملكوت والجبروت وحضرة اللاهوت أبد الآبدين فما أكبر ناره.

﴿ثم لا يموت فيها﴾ حتى يستريح ﴿ولا يحيى﴾ حياة تنفعه كما يقال لمن ابتلي بالبلاء الشديد لا هو حي ولا هو ميت وثم للتراخي من مراتب الشدة لأن التردد بين الموت والحياة أفظع من نفس الصلي وقال ابن عطاء لا يموت فيستريح من غم القطعية ولا يحيى فيصل إلى روح الوصلة.

وفي «التأويلات النجمية»: لا يموت نفسه بالكلية ليستريح من عقوبات الحجاب والاحتجاب ولا يحيى قلبه بحياة الإيمان لكونه في دار الجزاء لا في دار التكليف. وقال القاشاني: لا يموت لامتناع انعدامه ولا يحيى بالحقيقة لهلاكه الروحاني أي يتعذب دائماً سرمداً في حالة يتمنى عندها الموت وكلما احترق وهلك أعيد إلى الحياة وعذب فلا يكون ميتاً مطلقاً ولا حياً مطلقاً.

يقول الفقير: لا يموت لأن الموت يذبح فلا موت ولا يحيى لأن المعموم كالميت فيبقى في العذاب الروحاني كما يبقى في العذاب الجسماني قال بعض الكبار لا حياة إلا عن موت ولا موت إلا عن رؤية حي فمن مات غير هذا الموت فلا يحيى ومن حي غير هذه الحياة فهي حياة حيوانية لا حياة إنسانية.

﴿قد أفلح﴾ أي: نجا من المكروه وظفر بما يرجوه ﴿من تزكى﴾ أي: تطهر من الكفر والمعاصي بتذكره واتعاظه بالذكرى أو تكثر من التقوى والخشية من الزكاء وهو النماء وكلمة قد لما أن عند الإخبار بسوء حال المتجنب عن الذكرى في الآخرة يتوقع السامع الإخبار بحسن حال المتذكر فيها وينتظره.

﴿وذكر اسم ربه﴾ بقلبه ولسانه ﴿فصلى﴾ أقام الصلوات الخمس كقوله: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكۡرِيٓ﴾ [طه: ١٤] أي كبر تكبيرة الافتتاح فصلى فالمراد بالذكر تكبيرة الافتتاح لكن لا يختص الذكر عند الحنفية بأن يقول الله أكبر لعموم الذكر ودل العطف بالفاء التعقيبية على عدم دخول الكبير في الأركان لأن العطف يقتضي المغايرة بين المعطوفين، قال الإمام: مراتب أعمال المكلف ثلاث فأولاها إزالة العقائد الفاسدة عن القلب وهي المرادة بالتزكي والثانية استحضار معرفة الله بذاته وصفاته وأسمائه، وهي المرادة بالذكر لأن الذكر بالقلب ليس إلا المعرفة والثالثة الاشتغال بالخدمة والطاعة، وهي المرادة بالصلاة فإنها عبارة عن التواضع والخشوع فمن استنار قلبه بمعرفة جلال الله لا بد وأن يظهر في جوارحه وأعضائه أثر الخضوع والخشوع. قال بعضهم خلق الله وجهاً يصلح للسجدة وعيناً تصلح للعبرة وبدناً يصلح للخدمة وقلباً يصلح للمعرفة وسراً يصلح للمحبة فاذكروا نعمة الله عليكم حيث زين ألسنتكم بالشهادة وقلوبكم بالمعرفة وأبدانكم بالعبادة.

روي عن رسول الله ﷺ عن الله تعالى قال الله سبحانه: «إن لي مع المصلين ثلاث شرائط إحداها تنزل الرحمة من عنان السماء إلى مفرق رأسه ما دام في صلاته، والثانية: حفته الملائكة بأجنحتها، والثالثة: أناجي معه كلما قال يا رب أقول لبيك، ثم قال عليه السلام: لو علم المصلي من يناجي ما التفت».

وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أن المراد بالتزكي إخراج صدقة الفطر قبل المضي إلى المصلى، وبالذكر أن يكبر في الطريق حين خروجه إلى المصلى وبالصلاة أن يصلي صلاة العيد

بعد ذلك مع الإمام وهذه السورة وإن كانت مكية بالإجماع ولم يكن بمكة عيد ولا صدقة فطر إلا أنه لما كان في علمه أن ذلك سيكون أثنى الله على من فعل ذلك فإنه تعالى قد يخبر عما سيكون وفي الآية إشارة إلى تطهير النفس عن المخالفات الشرعية وتطهير القلب عن المحبة الدنيوية بل عن ملاحظة الغير والتوجه إلى الله تعالى بقدر الاستعداد إذ لا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾.

﴿بل تؤثرون الحياة الدنيا﴾ إضراب عن مقدر ينساق إليه الكلام كأنه قيل أثر بيان ما يؤدي إلى الفلاح لا تفعلون ذلك، بل تختارون اللذات العاجلة الفانية فتسعون لتحصيلها والخطاب إما للكفرة فالمراد بإيثار الحياة الدنيا هو الرضى والاطمئنان بها والإعراض عن الآخرة بالكلية كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا۟ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّوا۟ بِهَا﴾ [يونس: ٧] الآية أو للكل فالمراد بإيثارها ما هو أعم مما ذكر وما لا يخلو عنه الناس غالباً من ترجيح جانب الدنيا على الآخرة في السعي وترتيب المبادىء والالتفات على الأول لتشديد التوبيخ، وعلى الثاني كذلك في حق الكفرة ولتشديد العتاب في حق المسلمين، وفي «فتح الرحمن»: فالكافر يؤثرها إيثار كفر يرى أن لا آخرة والمؤمن يؤثرها إيثار معصية وغلبة نفس إلا من عصم الله، وفي «عين المعاني»: خطاب للأمة إذ كل يميل إلى الدنيا إما رغبة فيها أو إدخاراً لثواب الآخرة.

وفي «كشف الأسرار»: مصطفى عليه السلام أول قلم فتوى.

در حق دنيا اين راندكه حلالها حساب وحرامها عذاب آنكه برو لعنت كردكه.

الدنيا ملعونة ملعون ما فيها إلا ذكر الله.

اكردينت همى بايد زد ننا دار پى بكسل
ورت دنيا همي بايد بده دين وببر دنيا
ورازد وزخ همي ترسى بمالي پس مشوغره
كه اينجا صورتش ما لست وآنجاشكلش اژدرها
چه مانى بهر مردارى چوزاغان اندرين پستى
قفص بشكن چوطا وسان يكى برپر بزين بالا

﴿والآخرة خير وأبقى﴾ حال من فاعل تؤثرون مؤكدة للتوبيخ والعتاب أي تؤثرونها على الآخرة والحال أن الآخرة خير في نفسها لما أن نعيمها مع كونه في غاية ما يكون من اللذة خالص عن شائبة الغائلة أبدى لا انصرام له وعدم التعرض لبيان تكدر نعيم الدنيا بالمنغصات وانقطاعه عما قليل لغاية ظهوره وفيه إشارة إلى أن ظواهر الأشياء بالنسبة إلى حقائقها كالقشر بالنسبة إلى اللب واللب خير من القشر وأبقى لأن لب الحب يحفظ زماناً طويلاً وقشره إذا سلخ من اللب يطرح في النار أو يرمى بالمزابل فيفنى بعد اليومين أو أكثر فأرباب القشر يؤثرون الأمور الظاهرة الخسيسة الدنية الفانية على الأمور الباطنة المعنوية الشريفة العزيزة الباقية لكونهم محجوبين عن الآخرة وأرباب اللب يختارون الآخرة بل الله الآخر كما قال: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] ويقال: ﴿قد أفلح من تزكى﴾ أي: من تاب من الذنوب وذكر اسم ربه يعني إذا

سمع الأذان خرج إلى الصلاة ثم ذم تارك الجماعة لأجل اشتغاله بالدنيا فقال: ﴿**بل تؤثرون الحياة الدنيا**﴾ يعني تختارون عمل الدنيا على عمل الآخرة وعمل الآخرة خير وأبقى من عمل الدنيا والاشتغال بها وبزينتها ﴿**إن هذا**﴾ إشارة إلى ما ذكر من قوله تعالى: ﴿**قد أفلح من تزكى**﴾ ﴿**لفي الصحف الأولى**﴾ جمع صحيفة وهي الكتاب قال الراغب الصحيفة المبسوط من كل شيء كصحيفة الوجه والصحيفة التي كان يكتب فيها والمصحف ما جعل جامعاً للصحف المكتوبة والمعنى الثابت فيها يعني أن تطهير النفس عما لا ينبغي وتكميل الروح بالمعارف وتكميل الجوارح بالطاعة والزجر عن الالتفات إلى الدنيا والترغيب في الآخرة وفي ثواب الله في دار كرامته لا يجوز أن يختلف باختلاف الشرائع. ﴿**صحف**﴾ جدك ﴿**إبراهيم**﴾ الخليل عليه السلام ﴿**و**﴾ صحف أخيك ﴿**موسى**﴾ الكليم عليه السلام بدل من الصحف الأولى.

روي أن جميع ما أنزل الله من كتاب مائة وأربعة كتب أنزل على آدم عليه السلام عشر صحف حروف التهجي صحيفة منها وعلى شيت عليه السلام خمسين صحيفة وعلى إدريس عليه السلام ثلاثين صحيفة وعلى إبراهيم عليه السلام عشر صحائف والتوراة والإنجيل والزبور والفرقان فصحف موسى هي الألواح التي كتبت فيها التوراة كذا قال الإمام وفي «التيسير»: صحف شيت وهي ستون وصحف إبراهيم وهي ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة وهي عشر والتوراة والإنجيل والزبور والقرآن وكان في صحف إبراهيم ينبغي للعاقل ما لم يكن مغلوباً على عقله أن يكون حافظاً للسانه عارفاً بزمانه مقبلاً على شأنه وأيضاً الخروج عما سوى الله بنعت التجريد كما قال: ﴿إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ٧٨] والإقبال على الله لقوله: ﴿وَجَّهۡتُ وَجۡهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [الأنعام: ٧٩] ونقل من صحف موسى يقول الله: يا ابن آدم اعمل لنفسك قبل نزول الموت بك ولا تغرنك المطية فإن على آثارها السفر ولا تلهينك الحياة وطول الأمل عن التوبة فإنك تندم على تأخيرها حين لا ينفعك الندم يا ابن آدم إذا لم تخرج حقي من مالي الذي رزقتك إياه ومنعت منه الفقراء حقوقهم سلطت عليك جباراً يأخذه منك ولا أثيبك عليه وفي صحف موسى أيضاً سرعة الشوق إلى جماله والندم على الوقوف في المقامات عند تعريف الصفات لقوله: ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٧٣]، وفي «التيسير»: دل الكلام على قول الإمام الأعظم رحمه الله: إن قراءة القرآن بالفارسية في الصلاة صحيحة وهو قرآن بأي لسان قرىء لأنه جعل هذا المذكور مذكوراً في تلك الصحف ولذلك قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ۝١٩٦﴾ [الشعراء: ١٩٦] ولا شك أنه لم يكن فيها بهذا النظم وبهذه اللغة وكان قرآناً لأن العبرة بالمعنى، والألفاظ ظروف وقوالب لها انتهى. وفيه تأييد لمن جوز نقل الحديث بالمعنى وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: «كان رسول الله ﷺ يقرأ في الركعتين اللتين يوتر بعدهما بـ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ [الأعلى: ١]، و﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١﴾ [الكافرون: ١]، وفي الوتر بـ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]، وقل ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١]، و﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١]»، وبه عمل الشافعي ومالك رحمهما الله، وما عند أبي حنيفة وأحمد والمستحب في الثالثة الإخلاص فقط.

تمت سورة الأعلى يوم الاثنين الخامس عشر من شهر المولد
في سنة سبع عشرة ومائة وألف

٨٨ ـ سورة الغاشية

ست وعشرون آية مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ ۝٣ تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ ۝٤ تُسۡقَىٰ مِنۡ عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ ۝٥﴾.

﴿هل أتاك حديث الغاشية﴾ قال قطرب من أئمة النحو أي قد جاءك يا محمد حديث الغاشية قال المولى أبو السعود رحمه الله في: «الإرشاد» وليس بذاك بل هو استفهام أريد به التعجيب مما في حيزه والتشويق إلى استماعه والإشعار بأنه من الأحاديث البديعة التي حقها أن يتناقلها الرواة ويتنافس في تلقيها الوعاة من كل حاضر وباد، والغاشية الداهية الشديدة التي تغشى الناس بشدائدها وتكتنفهم بأهوالها وهي القيامة كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَغۡشَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ﴾ [العنكبوت: ٥٥] وقال: ﴿يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا﴾ [الإنسان: ٧] يقال غشيه يغشاه أي: غطاه وكل ما أحاط بالشيء من جميع جهاته فهو غاش له **﴿وجوه يومئذٍ خاشعة﴾** استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ عن الاستفهام التشويقي كأنه قيل من جهته عليه السلام ما أتاني حديثها ما هو فقيل وجوه يومئذٍ وهو ظرف لما بعده من الأخبار الثلاثة أي: يوم إذ غشيت تلك الداهية الناس فإن الخشوع والخضوع والتطامن والتواضع كلها بمعنى ويكنى بالجميع عما يعترى بالإنسان من الذل والخزي والهوان، فوجوه مبتدأ ولا بأس بتنكيرها لأنها في موقع التنويع وخاشعة خبره قال الشيخ: لعل وجه الابتداء بالنكرة كون تقدير الكلام أصحاب وجوه بالإضافة إلى أن الخشوع والذل لما كان ظهر في الوجه حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه وإنما قلنا إن الذل يظهر في الوجه لأنه ضد التكبر الذي محله الرأس والدماغ والمراد بأصحاب الوجوه هم الكفار بدلالة ما بعده من الأوصاف **﴿عاملة ناصبة﴾** خبران آخران لوجوه إذ المراد بها أصحابها كما أشير إليه آنفاً والنصب: التعب والناصبة: التعبة يقال نصب نصباً من باب علم إذا تعب في العمل والمعنى تعمل أعمالاً شاقة تتعب فيها لأنها تكبرت عن العمل لله في الدنيا فأعملها الله في أعمال شاقة وهي جر السلاسل والأغلال الثقيلة كما قال: ﴿فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا﴾ [الحاقة: ٣٢] والخوض في النار خوض الإبل في الوحل أي: الطين الرقيق والصعود في تلال النار والهبوط في وهادها، وقال بعضهم: خشوع الظاهر ونصب الأبدان لا يقربان إلى الله تعالى بل يقطعان عنه وإنما يقرب منه سعادة الأزل وخشوع السر من هيبة الله وهو الذي يمنع صاحبه من جميع المخالفات فالرهابنة والفلاسفة وأضرابهم من أهل الكفر والبدع والضلال إنما يضربون حديداً بارداً ويتعبون أنفسهم في طريق الهوى والسعي فيه.

﴿تصلى﴾ تدخل ﴿ناراً﴾ وتذوق ألمها ﴿حامية﴾ أي: متناهية في الحر وقد أوقدت ثلاثة آلاف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة وهو خبر آخر لوجوه قال في «القاموس»: حمى الشمس والنار حمياً وحمياً وحموا اشتد حرهما، وقال السجاوندي: حامية أي: دائمة الحمي وإلا فالنار لا تكون إلا حامية.

﴿تسقى﴾ بعد مدة طويلة من استغاثتهم من غاية العطش ونهاية الاحتراق أي: سقاها الله أو الملائكة بأمره. ﴿من عين﴾ أي چشمهء آب كه ﴿آنية﴾ أي: متناهية بالغة في الأنى أي الحر غايتها لتسخينها بتلك النار منذ خلقت لو وقعت منها قطرة على جبال الدنيا لذابت فإذا أدنيت من وجوههم تناثرت لحوم وجوههم وإذا شربوا قطعت أمعاءهم كما قال تعالى: ﴿وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ﴾ [الرحمن: ٤٤] يقال إني الحميم انتهى. حره فهو آن وبلغ هذا أناه وأناه غايته وفيه إشارة إلى نار الطبيعة وعين الجهل المركب الذي هو مشرب أهلها والاعتقاد الفاسد المؤذي.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾﴾

﴿ليس لهم طعام إلا من ضريع﴾ بيان لطعام الكفار في النار أثر بيان شرابهم وأورد ضمير العقلاء إشارة إلى أن المراد من الوجوه أصحابها وإنما أسند إليها ما ذكر من الأحوال لكونها مظهراً يظهر فيه ما في الباطن مع أنها يكنى بها كثيراً عن الذوات والضريع يبيس الشبرق كزبرج وهو شوك ترعاه الإبل ما دام رطباً وإذا يبس تحامته وهو سم قاتل قال في «فتح الرحمن»: سموا ذلك الشوك ضريعاً لأنه مضعف للبدن ومهزل يقال ضرع الرجل ضراعة ضعف وذل وعن ابن عباس رضي الله عنهما يرفعه الضريع: شيء في النار يشبه الشوك أمر من الصبر وأنتن من الجيفة وأشد حراً من النار وهذا طعام بعض أهل النار والزقوم والغسلين لآخرين بحسب جرائمهم وبه يندفع التعارض بين هذه الآية وبين آية الحاقة وهي قوله تعالى: ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾﴾ [الحاقة: ٣٦] قال سعدي المفتي: ويمكن في قدرة الله أن يجعل الغسلين إذا انفصل عن أبدان أهل النار على هيئة الضريع فيكون طعامهم الغسلين الذي هو الضريع انتهى.

يقول الفقير: ويمكن عندي أن يجعل كل من الضريع والغسلين والزقوم بالنسبة إلى شخص واحد بحسب الأعمال المختلفة لكل عمل أثراً مخصوصاً وجزاء متعيناً فيصح الحصر وتحقيقه أن الضريع إشارة إلى الشبه والعلوم الغير المنتفع بها المؤذية كالمغالطات والخلافيات والسفسطة وما يجري مجراها على ما قاله القاشاني، والغسلين: إشارة إلى الشهوات الطبيعية ولذا يسيل من أبدانهم فإن لكل شهوة رشحاً وعرقاً وكل إناء يترشح بما فيه، والزقوم إشارة إلى خوضهم في الأنبياء والأولياء وطعنهم في دينهم وضحكهم منهم وكانوا يتلذذون بذلك على ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المطففين: ٣١] أي: متلذذين بما فعلوا من التغامز والسخرية ونحو ذلك على أن الزقمة هو الطاعون ووجه آخر وهو أنه يمكن الترتيب بالنسبة إلى شخص واحد بأن يكون الزقوم نزلاً له والضريع أكلاً له بعد ذلك والغسلين شراباً له كالحميم والعلم عند الله.

﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾.

﴿لا يسمن﴾[فربه نمى كند آن ضريع] ﴿ولا يغني من جوع﴾[ودفع نمى كند كرسنكى را].

أي ليس من شأنه الإسمان والإشباع كما هو شأن طعام الدنيا وإنما هو شيء يضطرون إلى أكله من غير أن يكن له دفع لضرورتهم لكن لا على أن لهم استعداداً للشبع والسمن إلا أنه لا يفيدهم شيئاً منهما بل على أنه لا استعداد من جهتهم ولا إفادة من جهة طعامهم وتحقيق ذلك جوعهم وعطشهم ليسا من قبيل ما هو المعهود منهما في هذه النشأة من حالة عارضة للإنسان عند استدعاء الطبيعة لبدل ما يتحلل من البدن مشوقة له إلى المطعوم والمشروب بحيث يتلذذ بهما عند الأكل والشرب ويستغنى بهما عن غيرهما عند استقرارهما في المعدة ويستفيد منهما قوة وسمنا عند انهضامهما بل جوعهم عبارة عن اضطرارهم عند اضطرام النار في أحشائهم إلى إدخال شيء كثيف يملأها ويخرج ما فيها من اللهب وأما أن يكون لهم شوق إلى مطعوم ما أو التذاذ به عند الأكل والاستغناء به عن الغير أو استفادة قوة فهيهات، وكذا عطشهم عبارة عن اضطرارهم عند أكل الضريع والتهابه في بطونهم إلى شيء مائع بارد يطفئه من غير أن يكون لهم التذاذ بشر به أو استفادة قوة به في الجملة وهو المعنى بما روي أنه تعالى يسلط عليهم الجوع بحيث يضطرهم إلى أكل الضريع فإذا أكلوه يسلط عليهم العطش فيضطرهم إلى شرب الحميم فيشوى وجوههم ويقطع أمعاءهم وتنكير الجوع للتحقير أي: لا يغني من جوع ما، وتأخير نفي الإغناء عنه لمراعاة الفواصل والتوسل به إلى التصريح بنفي كلا الأمرين إذ لو قدم لما احتيج إلى ذكر نفي الإسمان ضرورة استلزام نفي الإغناء عن الجوع إياه بخلاف العكس ولذلك كرر لتأكيد النفي.

﴿**وجوه يومئذٍ ناعمة**﴾ أي: ذات بهجة وحسن وضياء مثل القمر ليلة البدر وبالفارسية [تازه باشد أثر نعمت در ويپدا].

فناعمة من نعم الشيء بالضم نعومة أي: صار ناعماً ليناً ويجوز أن يكون بمعنى متنعمة أي بالنعم الجسمانية والروحانية وهي وجوه المؤمنين فيكون المراد بها حقيقة النعمة وإنما لم تعطف على ما قبلها إيذاناً بكمال تباين مضمون الجملتين وتقديم حكاية أهل النار لأنه أدخل في تهويل الغاشية وتفخيم حديثها وفيه إشارة إلى نعيم اللقاء الذي هو ثمرة اللطافة والتورية التي هي نتيجة التجرد كما قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ ـ ٢٣] فإن بالنظر إلى الرب يحصل نضرة أي نضرة.

﴿**لسعيها راضية**﴾ أي: لعملها الذي عملته في الدنيا حيث شاهدت ثمرته ورأت عاقبته الحميدة فاللام متعلقة براضية والتقدير راضية سعيها فلما تقدم المعمول على العامل الضعيف جيء باللام لتقوية العمل ويجوز أن تكون لام التعليل أي: لأجل سعيها في طاعة الله راضية جزاءها وثوابها ودخل في السعي الرياضات والمجاهدات والخلوات.

﴿**في جنة عالية**﴾ أي كائنة أو متمكنة في جنة مرتفعة المحل فإن الجنات فوق السماوات العلى كما أن النيران تحت الأرضين السبع وأيضاً هي درجات بعضها أعلى من بعض والدرجة مثل ما بين السماء والأرض فتكون من العلو في المكان وفي الحديث: «إن المتحابين في الله في غرف ينظر إليهم أهل الجنة كما ينظر أهل الدنيا إلى كواكب السماء» ويجوز أن يكون معنى عالية علية المقدار فتكون من العلو في القدر والشرف لتكامل ما فيهما من النعيم وفيه إشارة إلى المقامات العالية المعنوية لأنها مقامات أهل الوجاهة والشرف المعنوي فلا يصل إليها أهل التمني والدعوى.

﴿لا تسمع﴾ أنت يا مخاطب فالخطاب عام لكل من يصلح له أو الوجوه فيكون التاء للتأنيث لا للخطاب ﴿فيها﴾ أي: في تلك الجنة العالية ﴿لاغية﴾ لغواً من الكلام وهو ما لا يعتد به فهي مصدر كالعافية أو كلمة ذات لغو على أنها للنسبة أو نفساً تلغو على أنها اسم فاعل صفة لموصوف محذوف هو نفس وذلك فإن كلام أهل الجنة كله أذكار وحكم؛ إذ لا يدخلها المؤمن إلا من مرتبة القلب والروح فإن النفس والطبيعة تطرحان في النار وشأن القلب والروح هو الذكر كما أن شأن النفس والطبيعة هو اللغو فكما لا لغو في الجنة الصورية فكذا لا لغو في الجنة المعنوية في الدنيا لاستغراق أهلها في الذكر وسماع خطاب الحق ولذا لا تسمع في مجالستهم إلا المعارف الربانية والحكم الرحمانية وفي الحديث: «إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون قالوا فما بال الطعام؟ قال: رشح كرشح المسك يلهمون التسبيح والتحميد كما يلهمون النفس» وأما الدنيا ومجالس أهلها فلا تخلو من اللغو ولذلك قال عليه السلام: «من جلس مجلساً فكثر فيه لغطه» وهو الكلام الرديء القبيح والضجة والأصوات المختلفة لا يفهم معناها «فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان في مجلسه ذلك» أي: ما لم يتعلق بحق آدمي كالغيبة.

﴿فيها عين جارية﴾ التنوين للتكثير أي عيون كثيرة تجري مياهها على الدوام حيث شاء صاحبها وهي أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل من شرب منها لا يظمأ بعدها أبداً ويذهب من قلبه الغل والغش والحسد والعداوة والبغضاء وفيه إشارة إلى عيون الذوق والكشف والوجدان والتوحيد فإن بها يحصل الشفاء والصحة والبقاء لأهل القلوب وأصحاب الأرواح.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾ أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾﴾.

﴿فيها سرر﴾ يجلسون عليها جمع سرير وهو معروف يعني [در آنجا تختها برهر تختي هفصد يستر برهر پسترى حورى چون ماء أنور] ﴿مرفوعة﴾ رفيعة السمك أي عالية في الهواء على قوائم طوال فإن السمك هو الامتداد الآخذ من أسفل الشيء إلى أعلاه فالمراد برفعة سمكها شدة علوها في الهواء فيرى المؤمن إذا جلس عليها جميع ما أعطاه ربه في الجنة من النعيم الكبير والملك العظيم، قال عليه السلام: «ارتفاعها كما بين السماء والأرض مسيرة خمسمائة عام» قيل إذا جاء ولي الله ليجلس عليها تطامنت له فإذا استوى عليها ارتفعت ويجوز أن يكون المعنى رفيعة المقدار من حيث اشتمالها على جميع جهات الحسن والكمال في ذواتها وصفاتها.

[أصل آن زر مكلل بزبرجد وجواهر].

وقال الخراز قدس سره: هي سرائر رفعت عن النظر إلى الأعراض والأكوان وفيه إشارة إلى مراتب الأسماء الإلهية التي بلغوها بالإنصاف والتخلق بها في السلوك فإنها رفيع قدرها عن مراتب الجسمانيات.

﴿وأكواب﴾ يشربون منها جمع كوب بالضم وهو إناء لا عروة له ولا خرطوم يعني [بي دسته] ولو له مدور الرأس ليمسك من أي طرف أريد بخلاف الإبريق وهو مستعمل في بعض

بلاد العرب الآن ولذا وقع به التشويق. ﴿**موضوعة**﴾ أي: بين أيديهم حاضرة لديهم لا يحتاجون إلى أن يدعوا بها وهو لا ينافي أن يكون بعض الأقداح في أيدي الغلمان كما سبق في ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١] الخ وفيه إشارة إلى ظروف خمور المحبة وثباتها على حالها مع ما فيها.

﴿**ونمارق**﴾ وسائد يستندون إليها للاستراحة جمع نمرقة بفتح النون وضمها والراء مضمومة فيهما بمعنى الوسادة. ﴿**مصفوفة**﴾ بعضها إلى جنب بعض كما يشاهد في بيوت الأكابر أينما أراد أن يجلس المؤمن جلس على واحدة واستند إلى أخرى وعلى رأسه وصائف كأنهن الياقوت والمرجان وفيه إشارة إلى التجريد والتفريد والجمع والتوحيد أينما يريدون يجلسون ويستندون إليها.

﴿**وزرابي**﴾ أي: بسط فاخرة جمع زربي. قال الراغبي: هو ضرب من الثياب محبر منسوب إلى موضع على طريق التشبيه والاستعارة ﴿**مبثوثة**﴾ أي: مبسوطة على السرر زينة وتمتعا وفيه إشارة إلى انبساط أرواحهم وانشراح صدورهم وانفتاح قلوبهم في بساط القدس والإنس وإلى مقامات تجليات الأفعال التي تحت مقامات الصفات كالتوكل تحت الرضى مبثوثة أي: مبسوطة تحتهم وأصل البث إثارة الشيء وتفريقه كبث الريح التراب.

﴿**أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت**﴾ الهمزة للإنكار والتوبيخ والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام والإبل بكسرتين وتسكن الباء واحد يقع على الجمع وليس بجمع ولا اسم جمع والجمع آبال كما في «القاموس»، وقال بعضهم اسم جمع لا واحد لها من لفظها وإنما واحدها بعير وناقة وجمل وكلمة كيف منصوبة بما بعدها معلقة لفعل النظر والجملة في حيز الجر على أنها بدل اشتمال من الإبل أي: أينكرون ما ذكر من البعث وأحكامه ويستبعدون وقوعه عن قدرة الله فلا ينظرون نظر اعتبار إلى الإبل التي هي نصب عينهم يستعملونها كل حين إنها كيف خلقت خلقاً بديعاً معدولاً به عن سنن خلقة سائر أنواع الحيوانات في عظم جثتها وشدة قوتها وعجيب هيئتها اللائقة يتأتى ما يصدر عنها من الأفاعيل الشاقة كالنهوض من الأرض بالأوقار الثقيلة وجر الأثقال الفادحة إلى الأقطار النازحة وفي صبرها على الجوع والعطش حتى إن ظمئها ليبلغ العشر فصاعداً واكتفاءها باليسير ورعيها لكل ما تيسر من شوك وشجر وغير ذلك مما لا يكاد يرعاه سائر البهائم وفي انقيادها مع ذلك للإنسان في الحركة والسكون والبروك والنهوض حيث يستعملها في ذلك كيفما يشاء ويقتادها بقطارها كل صغير وكبير وتبول من خلفها؛ لأن قائدها أمامها فلا يترشش عليه بولها وعنقها سلم إليها وتتأثر من المودة والغرام وتسكر منهما إلى حيث تنقطع عن الأكل والشرب زماناً ممتداً وتتأثر من الأصوات الحسنة والحداء وتصير من كمال التأثر إلى حيث تهلك نفسها من سرعة الجري ويجري الدمع عينيها عشقاً وغراماً [پير رومى فرموده است].

برخوان أفلا ينظر تاقدرت ما بيني ... يكره بشتر بنكر تاصنع خدا بيني
درخار خورى قانع دربار برى راضي ... اين وصف اكرجويى در أهل صفا بيني

ولم يذكر الفيل مع أنه أعظم خلقة من الإبل؛ لأنه لم يكن بأرض العرب فلم تعرفه ولا يحمل عليه عادة ولا يحلب دره ولا يؤمن ضره.

[بخلاف شتركه هرچه مطلوبست از حيوان مثل نسل وحمل وشير ولحم وركوب هم از وحاصل است].

وقال بعض العلماء ذكر الله الجنة وما اتخذ فيها من المنازل الرفيعة والسرر العالية التي سمكها كذا وكذا ذراعاً قالوا فكيف يقعد أحدنا عليها وقامته قصيرة وهو لا يكاد يرقى سطحاً بغير سلم وتعجب المشركون منه وأيضاً.

[كفتند بطريق سخريت كه اكراين واقعست پس بلال وخباب أمثال ايشانرا كار افتاد زيرا بسى زحمت بايد تابر بالاي آن تخت بلند روند وبسى فرصت بايدتا ازان فرود آيند ابن آيت آمدكه ﴿أفلا ينظرون﴾ الخ يعني شتريا آن همه بلندى وبزركى برشته مسخر كودكى ميشود تا برد برآيد وفرود آيدپس چرا ارتخت بهشت متعجب مشوندكه درفرمان بهشتى باشد].

﴿وإلى السماء﴾ التي يشاهدونها كل لحظة بالليل والنهار. ﴿كيف رفعت﴾ رفعاً سحيق المدى بلا عماد ولا مساك بحيث لا يناله الفهم والإدراك.

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وإلى الجبال﴾ التي ينزلون في أقطارها وينفعون بمياهها وأشجارها ﴿كيف نصبت﴾ نصباً رصيناً فهي راسخة لا تميل ولا تميد وقال أبو الليث: كيف نصبت على الأرض أوتاداً لها وفيه إشارة إلى عالم المثال؟ لأنه متوسط بين سماء الروحانيات وأرض الجسمانيات كالجبال في الخارج. ﴿وإلى الأرض كيف سطحت﴾ أي: وإلى الأرض التي يضربون فيها ويتقلبون عليها كيف سطحت سطحاً وبسطت على ظهر الماء بسطاً حسبما يقتضيه صلاح أمور ما عليها من الخلائق والاستدلال بكونها مسطوحة على عدم كونها كرة مجاب بأن الكرة إذا كانت عظيمة جداً يكون كل قطعة منها كالسطح فيصح أن يطلق عليها البسط ففرق بين كرة وكرة كما أنه فرق بين بيض الحمامة وبيض النعامة، والمعنى أفلا ينظرون نظر التدبر والاعتبار إلى كيفية خلق هذه المخلوقات الشاهدة بحقية البعث والنشور لإشعارها بأن خالقها متصف بصفات الكمال من القدرة والقوة والحكمة منزه عن صفات النقصان من العجز والضعف والجهل حتى يرجعوا عما هم عليه من الإنكار والنفور ويسمعوا إنذارك ويستعدوا للقاء الله بالإيمان والطاعة.

[درتبيان آورده كه مخاطب عرب اند وأكثر ايشان أهل بريه باشند ومال ايشان شتراست وهرطر في مينكرند جز آسمان وزمين وكوه نمى بينند لا جرم بعد از ذكر شتر آسمان وكوه وزمين ياد ميكرد].

يعني قرنت الإبل بالسماء والجبال بالأرض لأن الآية نزلت بطريق الاستدلال وهم كانوا أشد ملابسة بهذه الأشياء من غيرهم فلذا جمع الله بينها وقال الغزالي رحمه الله: خص الإبل بالذكر لأنها لائقة بقرائنها معنى فالسماء الظليلة والأرض الزاملة والجبال الثقيلة كالإبل الفرش والحمولة فالسحاب تحمل الماء الزلال والإبل الأحمال الثقال والأرض الجبال والكل مسخر بأمره. قال القرطبي: قدم الإبل في الذكر ولو قدم غيره جاز وعن القشيري رحمه الله أنه قال: ليس هذا مما يطلب فيه نوع حكمة.

يقول الفقير: إن قلت: لو أخر ذكر الإبل لكان له مناسبة تامة مع ذكر الأرض لأن الإبل سفن البر قلت: نعم لكنه اعتبر سمك الإبل فترقى منه إلى سمك السماء.

ثم يقول الفقير: ولي كلام عريض في هذا المقام ذكرته في «كتاب الواردات الحقية» لي

وخلاصته أنه تعالى أشار بالإبل إلى النفوس فإنها ضخمة جسيمة مثلها وبدأ بالنفوس لأنها أصل بمنزلة الأم ولدرجة الأنوثة تقدم حكماً وإن كان لها تأخر صورة كحواء بالنسبة إلى آدم وأشار بالسماء إلى الأرواح لأنها علوية وبمنزلة الأب ولهذا أردفها بها وأشار بالجبال إلى القلوب لأنها أثبت من الرواسي ولأنها خلقت بعد خلق الروح والنفس كما أن الجبال خلقت بعد خلق السماء والأرض هي بمنزلة الولد لهما ولذا عقبهما بها، وقد صح أن الجبال تعبر في الرؤيا بأهل القلوب من الرجال لأنهم أوتاد الأرض والعمد المعنوية في الحقيقة كما أن الجبال أوتاد الأرض في الصورة وأشار بقوله نصبت دون خلقت إلى أن القلوب في الحقيقة أمر ملكوتي وإن ظهرت في الصورة ظهور الولد من الأبوين وأشار بالأرض إلى الأجساد السافلة وهي مؤخرة في المرتبة فالله تعالى سطح أرض البشرية والجسدانية لتكون مستقر النفوس وخلق النفوس لتكون مستوى القلوب وخلق القلوب لتكون عروش الروح بل السر بل الأخفى فما أحسن ترتيب هذه الآية وما أشد انتظام جملتها وتناسبها فهي كالجمع بين كاتب وقلم وقرطاس ودواة والله تعالى أعلم.

﴿فذكر﴾ الفاء لترتيب الأمر بالتذكير على ما ينبىء عنه الإنكار السابق من عدم النظر أي فاقتصر على التذكير ولا تلح عليهم ولا يهمنك أنهم لا ينظرون ولا يتذكرون ﴿إنما أنت مذكر﴾ تعطيل للأمر بما أمرت به أي مبلغ وإنما الهداية والتوفيق إلى الله تعالى. ﴿لست عليهم بمصيطر﴾ أي لست بمسلط عليهم تجبرهم على ما تريد كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖ﴾ [ق: ٤٥] وأكثر القراء قرأوا بمصيطر بالصاد على القلب لمناسبة الطاء بعدها وقرىء بالسين على الأصل وبالإشمام بأن يخلط صوت الصاد بصوت الزاي بحيث يمتزجان فيتولد منهما حرف ليس بصاد ولا زاي وخلط حرف بحرف أحد معاني الإشمام في عرف القراء يقال سطر يسطر سطراً كتب والمسيطر والمصيطر المسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد أحواله ويكتب عمله فأصله من السطر فالكتاب مسيطر والذي يفعله مسيطر. وقال الراغب: يقال سطر فلان على كذا أو تسطر عليه إذا قام عليه قيام سطر أي: لست عليهم بقائم وحافظ واستعمال مسيطر هنا كاستعمال القائم في قوله: ﴿أَفَمَنۡ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۗ﴾ [الرعد: ٣٣] والحفيظ في قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾ [الأنعام: ١٠٤] انتهى ﴿إلا من تولى﴾ أعرض عن الحق أو عن الداعي إليه بعد التذكير. ﴿وكفر﴾ وثبت على الكفر أو أظهره، وفي «فتح الرحمن» إلا من تولى عن الإيمان وكفر بالقرآن أو بالنعمة.

وفي «التأويلات النجمية»: إلا من تولى عن الحق بالإقبال على الدنيا وكفر أي ستر الحق بالخلق وهو استثناء منقطع ومن موصولة لا شرطية لمكان الفاء ورفع الفعل أي لكن من تولى وكفر فإن لله الولاية والقهر وهو المسيطر عليهم قالوا: وعلامة كون الاستثناء متصلاً محضاً لا يحسن ذلك نحو عندي مائتان إلا درهماً فلا يدخل عليه أن.

﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَكۡبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾.

﴿فيعذبه الله العذاب الأكبر﴾ الذي هو عذاب جهنم حرها شديد وقعرها بعيد ومقامعها من حديد وفي «فتح الرحمن» الأكبر عذاب جهنم والأصغر ما عذبوا به في الدنيا من الجوع والأسر والقتل ويؤيده ما قال الراغب: في قوله: ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾ [الدخان: ١٦] فيه تنبيه على أن كل ما ينال الكافر من العذاب قبل ذلك في الدنيا وفي البرزخ صغير في جنب

عذاب ذلك اليوم انتهى. وأيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١] فإن المراد بالعذاب الأدنى هو العذاب الأصغر الدنيوي لا البرزخي لقوله تعالى بعده: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [آل عمران: ٧٢] فإن الرجوع إنما يعتبر في الدنيا لا في البرزخ وفيما بعد الموت فيكون المراد بالعذاب الأكبر هو العذاب الأخروي وإليه ينظر قوله تعالى: ﴿يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾ [الأعلى: ١٢] كما سبق. وفي «التأويلات النجمية»: العذاب الأكبر هو عذاب الاستتار في الدنيا وعذاب نار الهجران في الآخرة.

﴿إن إلينا إيابهم﴾ تعليل لتعذيبه تعالى بالعذاب الأكبر يقال آب يؤوب أوباً وإياباً رجع أي: إن إلينا رجوعهم بالموت والبعث لا إلى أحد سوانا لا استقلالاً ولا اشتراكاً كما قال تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣] ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾ [هود: ١٢٣] فتقديم الخبر للتخصيص والمبالغة فإنه يفيد معنى أن يقال إن إيابهم ليس إلا إلى الجبار المقتدر على الانتقام كما أن مبدأهم وصدورهم كان منه وفيه تخويف شديد فإن رجوع العبد العاصي المصر إلى مالكه الغضوب في غاية الصعوبة ونهاية العسرة وجمع الضمير فيه وفيما بعده باعتبار معنى من كما أن إفراده فيما سبق باعتبار لفظها ﴿ثم إن علينا حسابهم﴾ في المحشر لا على غيرنا فنحن نحاسبهم على النقير والقطمير من نياتهم وأعمالهم وثم للتراخي في الرتبة لا في الزمان فإن الترتب الزماني بين إيابهم وحسابهم لا بين كون إيابهم إليه تعالى وحسابهم عليه تعالى فإنهما أمران مستمران قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله: إن إلينا إيابهم في الفضل ثم إن علينا حسابهم في العدل وقال البقلي رحمه الله: انظر كيف تفضل بعد الوعيد بأن جعل نفسه مآبهم وتكفل بنفسه حسابهم فينبغي أن يعيشوا بهذين الفضلين أطيب العيش في الدارين ويطيروا من الفرح بهذين الخطابين. يقول الفقير ما قاله البقلي هو ما ذاقه العارفون بطريق المكاشفة فينبغي أن لا يغتر به العوام فإنه قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوها قبل أن توزنوا وتزينوا للعرض الأكبر على الله تعالى يومئذٍ تعرضون لا تخفى منكم خافية إنما خف الحساب في الآخرة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا وثقلت موازين قوم في الآخرة وزنوا نفوسهم في الدنيا ومحاسبة النفس تكون بالورع وموازنتها تكون بمشاهدة عين اليقين والتزين للعرض يكون بمخافة الملك الأكبر، وعن علي رضي الله عنه أما بعد فإن المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته ويسوءه فوت ما لم يكن ليدركه، فما نالك من الدنيا فلا تكثرنه فرحاً وما فاتك منها فلا تتبعنه أسفاً وليكن سرورك بما قدمت وأسفك على ما خلفت وشغلك لآخرتك وهمك فيما بعد الموت وفي الحديث: «ثلاث من كن فيه استكمل إيمانه لا يخاف في الله لومة لائم ولا يرائي بشيء من عمله وإذا عرض له أمران أحدهما للدنيا والآخر للآخرة آثر الآخرة على الدنيا» وقال عليه السلام: «لو لم ينزل علي إلا هذه الآية لكانت تكفي ثم قرأ آخر سورة الكهف ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾» [الكهف: ١١٠] الخ. فكان هذا فصل الخطاب وبلاغاً لأولي الألباب فالعمل الصالح الإخلاص بالعبادة ونفي الشرك بالخلق هو اليقين بتوحيد الخالق فما كان لله أي خالصا لأجله وبالله أي: بمشاهدة قربه لا بمقارنة نفسه وهواه وفي الله أي: سبيله وطلب ما عنده لا لأجل عاجل حظه فمقبول وأهله من المقربين وحسابهم حساب يسير بل لا حساب لهم.

تمت سورة الغاشية بعون الله ذي العطايا الفاشية في السابع عشر من شهر مولد النبي عليه السلام من سنة سبع عشرة ومائة وألف

٨٩ ـ سورة الفجر

تسع وعشرون أو ثلاثون آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾.

﴿**والفجر**﴾ قال في «كشف الأسرار»: لما كان العرب أكثر خلق الله قسماً في كلامهم جاء القرآن على عادتهم في القسم، والفجر فجران: مستطيل كذنب السرحان وهو الكاذب ولا يتعلق به حكم ومستطير وهو الصادق الذي يتعلق به الصوم والصلاة أقسم الله بالفجر الذي هو أول وقت ظهور ضوء الشمس في جانب المشرق كما أقسم بالصبح حيث قال: ﴿وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾﴾ [التكوير: ١٨] لما يحصل به من انقضاء الليل بظهور الضوء وانتشار الناس وسائر الحيوانات من الطيور والوحوش في طلب الأرزاق وذلك مشاكل لنشور الموتى وفيه عبرة عظيمة لمن تأمل.

وقال الكاشفي: [سوكند بصبح كه وقت مناجات دوستانست].

أو أقسم بصباح عرفة لأنه يوم شرف يتوجه فيه الحجاج إلى جبل عرفات وفي الحديث: «الحج عرفة» [يعني صباح روز عرفه كه وظائف دعا ونياز حاجيان درآنست].

أو صباح يوم النحر لأنه يوم عظيم أيضاً ويقع فيه الطواف المفروض والحلق والرمي ويروى «أن يوم النحر يوم الحج الأكبر».

[وبقولي مراد از صبح روز أول محرم است كه سال از ومنفجر ميشود يا بادمدا آذينه كه حج مسكينانست ودر تبيان آورده كه اشارت بانفجار آب از أصابع حضرت رسول الله ﷺ در روز طائف وغير آن وكفته اند انفجار ناقه از صخرهٔ صالح عليه السلام، يا انفجار عيون ومنابع يا انفجار آب از حجر موسى عليه السلام يا انفجار مطر از سحاب يا وران شدن اشك ندامت ازديدهٔ عاصيان].

بـران ازدوسـر چـشـمـهٔ ديـده جـوى   ورآلايـشـى داري ازخـود بـشـوى

﴿**وليال عشر**﴾ هن عشر ذي الحجة والعرب تذكر الليالي وهي تعينها بأيامها تقول بني هذا البناء ليالي السامانية، أي أيامهم أو العشر الأواخر من شهر رمضان وتنكيرها للتعظيم لأنها مخصوصة بفضائل ليست لغيرها ولذا أقسم الله بها، وذلك كالاشتغال بأعمال الحج في عشر في الحجة وفي الحديث: «ما من أيام أزكى عند الله ولا أعظم أجراً من خير عمل في عشر الأضحى؟ قيل يا رسول الله ولا المجاهد في سبيل؟ الله قال: ولا المجاهد في سبيل الله إلا رجل خرج بنفسه وماله فلم يرجع من ذلك بشيء» وفيه إشارة إلى أن الغازي ينبغي أن يخرج

من بيته على قصد أن لا يعود والله يفعل ما يريد، وأما شرف العشر الآواخر فيكفي أي ليلة القدر التي هي خير من ألف شهر تطلب فيها.

[وكفته اندمراددهء محرم است كه عاشرا از آنست يادهء ميان شعبان كه شب براءت درآنست].

وقال البقلي: هي ليال ست خلق في أيامها السماوات والأرض، وليلة خلق فيها آدم عليه السلام وليلة يومها يوم القيامة، وليلة كلم الله فيها موسى عليه السلام وليلة أسري بالنبي عليه السلام وقال القاشاني: أقسم بابتداء ظهور نور الروح على مادة البدن عند أثر تعلقه به وليال عشر ومحال الحواس العشر الظاهرة والباطنة التي تتعلق عند تعلقه به لكونها أسباب تحصيل الكمال وآلائها.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى القسم بانفجار الحسنة الواحدة من أرض قلب المؤمن وليال الحسنات العشر المشار إليها بقوله: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وإنما سماها بليال لكون ظهور الحسنات العشر من غيب مرتبة أحدية الحسنة الواحدة من غير الاكتساب من نهار العمل بل من عالم الغيب بطريق الموهبة الإلهية.

﴿والشفع﴾ بالفارسية جفت.

وذلك لأن الشفع ضم الشيء إلى مثله **﴿والوتر﴾** بفتح الواو وكسرها أي: شفع هذه الليالي ووترها والظاهر التعميم لأن الألف واللام للاستغراق أي: الأشياء كلها شفعها ووترها لأن كل شيء لا بد أن يكون شفعاً أو وتراً وقال الراغب: المخلوقات كلها من حيث إنها مركبات كما قال: ﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات: ٤٩] فهو الشفع وأما الوتر فهو الله تعالى من حيث أن له الوحدة من كل وجه وإليه يرجع قول من قال من كبار أهل الحال يشير إلى القسم بشفع الكثرة الأسمائية ووتر الوحدة الذاتية الحقيقية ودخل فيهما العناصر الأربعة والأفلاك التسعة والبروج الاثنا عشر والسيارات السبع وصلاة المغرب وسائرها ويوم النحر لأنه عاشر أيام ذي الحجة ويوم عرفة لأنه تاسع تلك الأيام واليومان بعد يوم النحر واليوم الثالث وآدم وحواء عليهما السلام، زوجين ومريم عليها السلام وتر والعيون الاثنتا عشرة التي فجرها الله لموسى عليه السلام والآيات التسع وأيام عاد الشفع ولياليها الوتر كما قال تعالى: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَـٰنِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧] والشهر الذي يتم بثلاثين يوماً والشهر الذي يتم بتسعة وعشرين والأعضاء والقلب والشفتان واللسان والسجدتان والركوع وأبواب الجنة وأبواب النار ودرجات الجنة ودركات النار وصفات الخلق كالعلم والجهل والقدرة والعجز وإرادة والكراهة والحياة والموت وصفات الحق وجود بلا عدم حياة بلا موت علم بلا جهل قدرة بلا عجز عز بلا ذل ونفس العدد شفعه ووتره والأيام والليالي واليوم الذي لا ليلة بعده وهو يوم القيامة وكل نبي له اسمان مثل محمد وأحمد والمسيح وعيسى ويونس وذو النون وكل من له اسم واحد مثل آدم ونوح وإبراهيم ومسجد مكة والمدينة وكذا يقال لهما الحرمان الشريفان والمسجد الأقصى والجبلان الصفا والمروة والبيت الحرام والنفس مع الروح في حالة الجمع وهما في حالة الافتراق وقال سهل رحمه الله: الفجر محمد عليه السلام، منه تفجرت الأنوار وليال عشر هي العشرة المبشرة بالجنة والشفع هو الفرض والوتر هو الإخلاص في الطاعات.

﴿والليل﴾ جنس الليل **﴿إذا يسر﴾** أي: بمضي، وبالفارسية: [آنكاه كه بكذرد].

كقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذۡ أَدۡبَرَ ٣٣﴾ [المدثر: ٣٣] والسري سير الليل، يقال سرى يسري سري ومسرى إذا سار عامة الليل وسار يسير سيراً ذهب والتقييد به لما فيه من وضوح الدلالة على كمال القدرة ووفور النعمة كان جميع الحيوانات أعيد إليهم الحياة بعد الموت وتسببوا بذلك لطلب الأرزاق الممدة للحياة الدنيوية التي يتوسل بها إلى سعادة الدارين فإن قيل: القسم بالليل إذا يسر يغني عن القسم بليال عشر قلنا المقسم به في قوله: ﴿**والليل إذا يسر**﴾ هو الليل باعتبار سيره ومضيه وفي قوله: ﴿**وليال عشر**﴾ هو الليالي بلا اعتبار مضيها بل اعتبار خصوصية أخرى فلا يغني أحدهما عن الآخر ويجوز أن يكون المعنى والليل إذا يسر، يعني: يسري فيه الساري ويسير فيه السائر فإسناد السرى إلى الليل مجاز كما في نهاره صائم أي: هو صائم في نهاره فالتقيد بذلك لأن السير في الليل حافظ للسائر من حر الشمس فإن السفر مع مقاساة حر النهار أشد على النفس وقد قال النبي عليه السلام: عليكم بالدلجة فإن الأرض تطوى في الليل، وكذا هو حافظ من شر قطاع الطريق غالباً لأنهم مشغولون بالنوم في الليل وحذفت الياء اكتفاء بالكسر ولسقوطها في خط المصحف ولموافقة رؤوس الآي وإن كان والأصل إثباتها لأنها لام فعل مضارع مرفوع وسئل الأخفش عن حذفها فقال: اخدمني سنة فسأله بعد سنة فقال الليل يسري فيه ولا يسرى فعدل به عن معناه فوجب أن يعدل عن لفظه، يعني أن سقوط الياء ليدل على أن أصل الفعل منفي عن الليل وإن كان مسنداً إلى ضميره كما أن حركة العين في الحيوان تدل على وجود معنى الحركة في معنى الحيون لأن للتراكيب خواص بها تختلف وفيه إشارة إلى ظلمة البدن إذا ذهبت وزالت بتجرد الروح وإلى القسم بسريانه ليل الهوية المطلقة في نهار الحقائق المقيدة كما قال: ﴿يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾ [الحج: ٦١] برفع المقيدات بسطوات أنوار المطلق وإلى القسم بليلة المعراج التي أسرى الله بعبده فيها فكانت أشرف جميع الليالي لأنها ليلة القدر والشرف والقرب والوصال والخطاب ورؤية الجمال المطلق.

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ ٥ أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ٦﴾

﴿**هل في ذلك**﴾ الخ تقرير وتحقيق لفخامة شأن المقسم بها وكونها أموراً جليلة حقيقة بالإعظام والإجلال عند أرباب العقول وتنبيه على أن الإقسام بها أمر معتد به خليق بأن يؤكد به الإخبار على طريقة قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٞ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ٧٦﴾ [الواقعة: ٧٦] كما يقول من ذكر حجة باهرة هل فيما ذكرته حجة والمعنى هل فيما ذكر من الأشياء المقسم بها. ﴿**قسم**﴾ أي: مقسم به، وفي «فتح الرحمن» مقنع ومكتفي. ﴿**لذي حجر**﴾ لذي عقل منور بنور المعرفة والحقيقة يراه حقيقياً بأن يقسم به إجلالاً وتعظيماً والمراد تحقيق أن الكل كذلك، وإنما أوثرت هذه الطريقة هضماً للخلق وإيذاناً بظهور الأمر أو هل في الإقسام بتلك الأشياء إقسام لذي حجر مقبول عنده يعتد به ويفعل مثله ويؤكد به المقسم عليه، وبالفارسية: [آيادرين سوكندكه ياد كردم سوكندى پسنديده مرخداوند عقل را تا اعتبار كند وداندكه سوكنديست].

محقق ومؤكد والحجر العقل لأنه يحجر صاحبه أي: يمنعه من التهافت فيما لا ينبغي كما سمي عقلاً ونهيه بضم النون لأنه يعقل وينهي وحصاة أيضاً من الإحصاء وهو الضبط قال الفراء: يقال إنه لذو حجر إذا كان قاهراً لنفسه ضابطاً لها والتنوين في الحجر للتعظيم قال بعض الحكماء: العقل للقلب بمنزلة الروح للجسد فكل قلب لا عقل له فهو ميت بمنزلة قلب البهائم

والمقسم عليه محذوف وهو ليعذبن أي الكفار كما ينبىء عنه قوله تعالى:

﴿ألم تر كيف فعل ربك بعاد﴾ الهمزة للإنكار وهو في قوة النفي ونفي النفي إثبات أي ألم تعلم يا محمد علماً يقينياً جارياً مجرى الرؤية في الجلاء أي قد علمت بإعلام الله تعالى وبالتواتر أيضاً كيف عذب ربك عادا ونظائرهم فسيعذب كفار قومك أيضاً لاشتراكهم فيما يوجبه من الكفر والمعاصي، والمراد بعاد أولاد عاد بن عوص بن ارم بن سام بن نوح عليه السلام قوم هود عليه السلام سموا باسم أبيهم كما سمي بنو هاشم هاشماً وبنو تميم تميماً فلفظ عاد اسم للقبيلة المنتسبة إلى عاد وقد قيل لأوائلهم عاد الأولى ولأواخرهم عاد الأخيرة قال عماد الدين بن كثير: كل ما ورد في القرآن خبر عاد الأولى إلا ما في سورة الأحقاف.

﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ﴿٧﴾ ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٨﴾﴾.

﴿إرم﴾ عطف بيان لعاد للإيذان بأنهم عاد الأولى بتقدير مضاف أي سبط ارم أو أهل ارم على ما قيل من أن إرم اسم بلدتهم أو أرضهم التي كانوا فيها وكانت منازلهم بين عمان إلى حضر موت وهي بلاد الرمال والأحقاف ويؤيده القراءة بالإضافة وأياً ما كان فامتنع صرفها للتعريف والتأنيث، وفي «المفردات»: الآرام أعلام تبنى من الحجارة وإرم ذات العماد إشارة إلى أعلامها المرفوعة المزخرفة على هيئة المنارة أو على هيئة القبور وفيه أيضاً حذف مضاف بمعنى أهل الإعلام ﴿ذات العماد﴾ صفة لإرم واللام للجنس الشامل للقيل والكثير والعماد كالعمود والجمع عمد وعمد بفتحتين وبضمتين وأعمدة أي: ذات القدود الطوال على تشبيه قاماتهم بالأعمدة أو ذات الخيام والأعمدة حيث كانوا بدويين أهل عمد يطلبون الكلأ حيث كان فإذا هاجت الريح ويبس العشب رجعوا إلى منازلهم أو ذات البناء الرفيع وكانوا ذات بنية مرفوعة على العمد وكانوا يعاجلون الأعمدة فينصبونها ويبنون فوقها القصور وكانت قصورهم ترى من أرض بعيدة أو ذات الأساطين إذ كانت مدينتهم ذات أبنية مرفوعة على الاسطوانات على أن إرم اسم بلدتهم وقال السهيلي رحمه الله: إرم ذات العماد وهو جيرون بن سعد بن إرم وهو الذي بنى مدينة دمشق على عمد من رخام ذكر أنه أدخل فيها أربعمائة ألف عمود وأربعين ألف عماد من رخام فالمراد هذه العماد التي كان البناء عليها في هذه المدينة وكانت تسمى جيرون وبه تعرف وسميت دمشق بدمشق بن نمرود عدو إبراهيم الخليل عليه السلام وكان دمشق قد أسلم وبنى جامع إبراهيم في الشام انتهى لعل هذه الرواية أصح فليتأمل.

﴿التي لم يخلق مثلها في البلاد﴾ صفة أخرى لإرم والضمير لها على أنها اسم القبيلة أي: لم يخلق مثلهم في عظم الإجرام والقوة في الآفاق والنواحي حيث كان طول الرجل منهم أربعمائة ذراع وكان يأتي الصخرة العظيمة فيحملها ويلقيها على الحي فيهلكهم ولذا كانوا يقولون من أشد منا قوة ونظيرهم في الطيور الرخ وهو طير في جزائر الصين يكون جناحه الواحد عشرة آلاف باع يحمل حجراً في رجله كالبيت العظيم ويلقيه على السفينة في البحر أو لم يخلق مثل مدينتهم في جميع بلاد الدنيا فالضمير لها على أنها اسم البلدة.

[وقصهء آن بر سبيل إجمال آنست كه عبد الله بن قلابه بطلب شترى كم شده صحراى عدن ميكشت دربيا باني بشهري رسيدكه بارهء محكم داشت كه اساس آن از جزع يماني وبر حوالىء آن قصور بسيار بودباميد آنكه كسى بيندو أحوال شترخود پرسد بدر حصار آمد درى

ديد هردو مصراعش مكلل بجواهر قيمتي وهيچكس را آنجا نيافت متحيرشد وچون بشهر درامد حيرتش بيفزودچه قصرها ديدبرستونها زبرجد وياقوت بناكرده خشتى از زر وخشتى ازنقره وفرشها برهمين وتيره بجاي سنك ريزه مرواريدهاي آبدار ريخته ودر حوالىٔ هرقصرى آبهاي روان بروري لؤلؤ ومرجان ودرختان بسيار تنهاى آن اززر وبركهاي آن اززبرجد وشكوفهاي آن ازسيم باخود كفت هذه الجنة التي وعد المتقون (مصراع)].

اين چه منزل چه بهشت اين چه مقمست اينجا

وقال والذي بعث محمداً ما خلق الله مثل هذا في الدنيا [پس قدري ازان جواهر برداشت ودرپس بالحق وپشت بست وبيمن باز آمد ومردمان آن كوهررا دردست او بيدند وحمل بر يافتن كنجى كره قصهٔ وى درزبانها افتاد تاحدى كه حال اورا بمعاويه كه ران وقت حاكم شام بود آنها كردند معاويه أورا طلبيد وتمام حكايت اواز أول تا آخر استماع كردپس اورا در مجلس بنشانيد وكعب الأحبار را طلبيده پرسيدكه دردنيا شهري هست كه بناي اواز زرونقره باشد ودرختان مكلل بجواهر كعب كفت آرى شهريست كه حق سبحانه وتعالى در قرآن مجيد ياد فرمودكه (لم يخلق مثلها في البلاد) وآنراشداد بن عاد ساخته واو بادشاه عظيم قدر بوده است ونهضد سال عمر داشت هرجا در عالم زرى وجوهرى بوده همه را جمع كراده وصد قهرمان باهر يكى هزار فرستاد تا شهرارم را بساختند وبسيصد سال باتمام رسيدده سال ديكر تهيئهٔ راه اشتغال نمود امر أو ملوك عالم را جمع كرد واز دار السلطة خود بتماشاى آن شهر متوجه شديك شبه راه ميان أو وآن بنامانده بودكه حق سبحانه وتعالى ملكي فرستاد تا صيحهٔ برايشان زدوهمه بمردند وان شهراز نظر مردم پوشيده شد چنانچه أصحاب كهف درغار وخوانده ام كه در حكومت تومردى كوتاه بالأسرخ رنك سير چشم كه برروى أو خالي وبركردن آن علامتي باشد بطلب شترى بدآنجارسد وآنرا بيند پس بازنكريست وابن قلابه راديد كفت هو والله ذلك الرجل].

قال ابن الشيخ في «حواشيه»: وفيه بحث لأن قوم عاد أهلكوا بالريح وقوم صالح أهلكوا بالصيحة إلا أن يراد بالصيحة ههنا الريح الشديد الصوت وذكر كعب أنه كتب ابن شداد على لوح ووضع عند رأس أبيه عن لسانه حين رفعه من المفازة ودفنه.

أنا شداد بن عاد صاحب الحصن العميد
وأخو القوة والبأساء والملك المشيد
دان أهل الأرض لي من خوف وعدي وعيدي
وملكت الشرق والغرب بسلطان شديد
فأتتنا صيحة تهوى من الأفق البعيد
فتوفتنا كزرع وسط بيداء حصيد

وذكر في «قوت القلوب»: تصنيف العالم الرباني أبي طالب المكي قدس سره: أنه قيل لأبي يزيد البسطامي قدس سره: هل دخلت إرم ذات العماد؟ فقال: صه قد دخلت ألف مدينة لله تعالى في ملكه أدناها ذات العماد ثم أخذ يعدد تلك المدائن جابلق جابلص إلى غير ذلك فظاهر قول أبي يزيد أدناها ذات العماد يخالف قوله تعالى: ﴿**لم يخلق مثلها في البلاد**﴾ لكن المستفاد من الآية نفي الخلق في الماضي ويجوز أن تكون تلك المدائن حادثة بعد نزول القرآن

ويجوز أن يراد بنفي المثل هو المثل في الزينة وبالأدنى صغر الجثة، وفي بعض نسخ «قوت القلوب»: إن معنى الآية لم يخلق مثلها في بلاد اليمن لأنهم خوطبوا بما في بلادهم كما قال الله تعالى: ﴿أَوْ يُنفَوْا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٣٣] أي أرض بلادهم وبمثل هذه التوجيهات يندفع الإشكال، كذا في «شرح البردة» لابن الشيخ.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴿١١﴾﴾

﴿وثمود﴾ [وديكرچه كرد خداي تعالى بقوم ثمود].

وهو عطف على عاد وثمود قبيلة مشهورة سميت باسم جدهم ثمود أخي جديس وهما ابنا عامر بن رام بن سام بن نوح عليه الصلاة والسلام وكانوا عرباً من العارية يسكنون الحجر بين الحجاز وتبوك وكانوا يعبدون الأصنام كعاد وهم قوم صالح كما قال تعالى: ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا﴾ [الأعراف: ٧٣].

﴿الذين جابوا الصخر بالواد﴾ الجوب القطع تقول: جبت البلاد أجوبها جوباً وزاد الفراء جبت البلاد أجيبها جيباً إذا جلت فيها وقطعتها وجبت القميص ومنه سمي الجيب والصخر هو الحجر الصلب الشديد، والواد: أصله الوادي حذفت ياؤه اكتفاء بالكسرة ورعاية لرأس الآية وأصل الوادي الموضع الذي يسيل فيه الماء، ومنه سمي المنفرج بين الجبلين وادياً والمراد هنا هو وادي القرى بالقرب من المدينة الشريفة من جهة الشام قال أبو نضرة أتى رسول الله ﷺ في غزوة تبوك على وادي ثمود وهو على فرس أشقر فقال: «أسرعوا السير فإنكم في واد ملعون» والمعنى: قطعوا صخر الجبال فاتخذوا فيها بيوتاً نحتوها من الصخر كقوله تعالى: ﴿وَتَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا﴾ [الشعراء: ١٤٩] قيل إنهم أول من نحت الجبال والصخور والرخام وقد بنوا ألفا وسبعمائة مدينة كلها من الحجارة.

﴿وفرعون﴾ [وچه كرد بفرعون موسى عليه السلام].

وهو الوليد بن مصعب بن ريان بن ثروان أبو العباس القبطي، وإليه تنسب الأقداح العباسية وفرعون لقب أفرده تعالى بالذكر لانفراده في التكبر والعلو حتى ادعى الربوبية والألوهية ﴿ذي الأوتاد﴾ جمع وتد بالتحريك وبكسر التاء أيضاً بالفارسية ميخ.

وقد سبق في سورة النبأ وصف بذلك لكثرة جنوده وخيامهم التي يضربونها في منازلهم ويربطونها بالأوتاد والأطناب كما هو الآن عادة في ضرب الخيمة والتعذيبة بالأوتاد كما قال في «كشف الأسرار»: [وفرعون آن كشنده بميخ بند يعني بطريق چهار ميخ تعذيب كننده].

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أن فرعون إنما سمي ذا الأوتاد لأن امرأة خازنة خربيل كانت ماشطة هيجل بنت فرعون، وكان خربيل مؤمناً يكتم إيمانه منذ مائة سنة وكذا امرأته فبينما هي ذات يوم تمشط رأس بنت فرعون إذ سقط المشط من يدها فقالت: تعس من كفر بالله تعالى فقالت ابنة فرعون: وهل لك إله غير أبي فقالت؟ إلهي وإله أبيك وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له فقامت: ودخلت على أبيها وهي تبكي فقال ما يبكيك؟ قالت: إن الماشطة امرأة خازنك تزعم أن إلهك وإلهها وإله السماوات والأرض واحد لا شريك له فأرسل إليها فسألها عن ذلك فقالت صدقت فقال لها: ويحك اكفري بإلهك قالت لا أفعل فمدها بين أربعة أوتاد ثم أرسل عليها الحيات والعقارب وقال لها: اكفري بالله وإلا عذبتك بهذا العذاب

شهرين فقالت لو عذبتني سبعين شهراً ما كفرت به وكانت لها ابنتان فجاء بابنتها الكبرى فذبحها على فيها وقال لها: اكفري بإلهك وإلا ذبحت الصغرى على فيك أيضاً وكانت رضيعاً فقالت: لو ذبحت من في الأرض على فيّ ما كفرت بالله تعالى فأتى بابنتها، فلما أضجعت على صدرها وأرادوا ذبحها جزعت المرأة فأطلق الله لسان ابنتها فتكلمت وهي من الأربعة الذين تكلموا أطفالاً وقالت: يا أماه لا تجزعي فإن الله تعالى قد بنى لك بيتاً في الجنة اصبري فإنك تفضين إلى رحمة الله تعالى وكرامته فذبحت فلم تلبث أن ماتت فأسكنها الله تعالى إلى جوار رحمته، وكان فرعون قد تزوج امرأة من أجمل نساء بني إسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم فرأت ما صنع فرعون بالماشطة فقالت في نفسها كيف يسعني أن أصبر على ما يفعل فرعون وأنا مسلمة وهو كافر بينما هي تؤامر نفسها إذ دخل عليها فرعون فجلس قريباً منها فقالت يا فرعون أنت شر الخلق وأخبثهم عمدت إلى الماشطة فقتلتها قال: فلعلك بك الجنون الذي كان بها قالت: ما بي من جنون وإنما المجنون من يكفر بالله الذي له ملك السماوات والأرض وما بينهما وحده لا شريك له وهو على كل شيء قدير فمدها بين أربعة أوتاد يعذبها ففتح الله لها باباً إلى الجنة ليهون عليها ما يصنع بها فرعون فعند ذلك قالت: ﴿رَبِّ ٱبۡنِ لِي عِندَكَ بَيۡتٗا فِي ٱلۡجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ [التحريم: ١١] فقبض الله روحها وأسكنها الجنة العالية وقد سبق طرف من هذه القصة في آخر سورة التحريم فارجع ثم في عاد إشارة إلى الطبيعة البشرية وفي ثمود إلى القوة الشهوية وفي فرعون إلى القوة الغضبية فلا بد للسالك من تزكيتها وإزالة آثارها.

﴿الذين طغوا في البلاد﴾ صفة للمذكورين من الطوائف الثلاث فيكون مجرور المحل لكون بعض المذكورين قبله مجروراً بالباء وبعضها معطوفاً عليه وهو أحسن بحسب اللفظ إذ لا حذف فيه، واختار صاحب «الكشاف» كونه منصوباً على الذم بتقدير أعني لكونه صريحاً في الذم والمقام مقام الذم وهو أحسن نظراً إلى المعنى والمعنى، طغى كل طائفة منهم في بلادهم وتجاوزوا الحد يعني طغى عاد في اليمن وثمود بأرض الشام والقبط بمصر كما أن نمرود طغى بالسواد وقس على هذا سائرهم.

﴿فَأَكۡثَرُواْ فِيهَا ٱلۡفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيۡهِمۡ رَبُّكَ سَوۡطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلۡمِرۡصَادِ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ﴿١٥﴾﴾.

﴿فأكثروا فيها الفساد﴾ أي بالكفر وسائر المعاصي فإن الفساد يتناول جميع أقسام الإثم كما أن الصلاح يتناول جميع أقسام البر فمن عمل بغير أمر الله وحكم في عباده بالظلم فهو مفسد متجاوز عن الحد الذي حد له وفيه خوف شديد لأكثر حكام الزمان ونحوهم. ﴿فصب عليهم ربك﴾ صب الماء إراقته من أعلى أي: أنزل إنزالاً شديداً على كل طائفة من أولئك الطوائف عقيب ما فعلت من الطغيان والفساد. ﴿سوط عذاب﴾ السوط الجلد المضفور أي: المنسوج المفتول الذي يضرب به أي: عذاباً شديداً لا تدرك غايته وهو عبارة عما حل بكل منهم من فنون العذاب التي شرحت في سائر السور الكريمة وهي الريح لعاد والصيحة لثمود والغرق للقبط وتسميته سوطاً للإشارة إلى أن ذلك بالنسبة إلى ما أعدلهم في الآخرة بمنزلة السوط عند السيف قال أبو حيان استعير السوط للعذاب لأنه يقتضي من التكرار والترداد ما لا يقتضيه السيف ولا غيره.

وقال الكاشفي: [چون عرب ضرب تازيانه راسخت ترين عذابها مى دانستند].

يعني أن السوط عندهم غاية العذاب.

هركونه از عذاب را نيز سوط ميكفتند حق سبحانه بقانون كلام ايشان عذابهاي خودرا سوط كفت قال الشاعر:

ألـــم تـــر إن الله أظـــهـــر ديـــنـــه وصـب عـلـى الـكـفـار سـوط عـذاب

والتعبير عن إنزاله بالصب للإيذان بكثرته واستمراره وتتابعه فإنه عبارة عن إراقة شيء مائع أو جار مجراه في السيلان كالرمل والحبوب وإفراغه بشدة وكثرة واستمرار، ونسبته إلى السوط مع أنه ليس من ذلك القبيل باعتبار تشبيه في نزوله المتتابع المتدارك على المضروب بقطرات الشيء المصبوب فإن قيل: أليس أن الله تعالى قال: ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ﴾ [النحل: ٦١] وهو يقتضي تأخير العذاب إلى الآخرة فكيف الجمع بين هاتين الآيتين قلنا: إنه يقتضي تأخير تمام الجزاء إلى الآخرة وذلك لا ينافي أن يعجل شيء من ذلك في الدنيا فإن الواقع في الدنيا شيء من الجزاء ومقدماته كذا في «حواشي ابن الشيخ».

يقول الفقير: وأوجه من ذلك أن المفهوم من الآية المؤاخذة لكل الناس وهو لا ينافي أن يؤاخذ بعضهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كبعض الأمم السالفة المكذبة.

﴿إن ربك لبالمرصاد﴾ تعليل لما قبله وإيذان بأن كفار قومه عليه السلام سيصيبهم مثل ما أصاب المذكورين من العذاب كما ينبىء عنه التعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميره عليه السلام، والمرصاد المكان الذي يترقب فيه الراصدون مفعال من رصده كالميقات من وقته والباء للظرفية أي: أنه لفي المكان الذي تترقب فيه السابلة ويجوز أن يكون صيغة مبالغة كالمطعان والباء تجريدية وهذا تمثيل لإرصاده تعالى بالعصاة وإنهم لا يفوتونه شبه حاله تعالى في كونه حفيظ لأعمال العباد مجازياً عليها على النقير والقطمير، ولا محيد للعباد عن أن لا يكون مصيرهم إلا الله بحال من قعد على طريق السابلة يترصدهم ليظفر بالجاني أو لأخذ المكس أو نحو ذلك ولا مخلص لهم من العبور إلى ذلك الطريق ثم استعمل هنا ما كان مستعملاً هناك.

قال الكاشفي: [حق سبحانه همه رامي بيند ومي شنود وبرو پوشيده نيست].

هم نهان داند وهم آنچه نهان ترباشد يعلم السر وأخفى صفت حضرت أوست

ويقال: يعني ملائكة ربك على الصراط يترصدون على جسر جهنم في سبعة مواضع فيسأل في أولها عن الإيمان فإن سلم من النفاق والرياء نجا وإلا تردى في النار وفي الثاني عن الصلاة فإن أتم ركوعها وسجودها وأقامها في مواقيتها نجا وإلا تردى في النار وفي الثالث عن الزكاة وفي الرابع عن صوم شهر رمضان وفي الخامس عن الحج والعمرة وفي السادس عن الوضوء والغسل من الجنابة وفي السابع عن بر الولدين وصلة الرحم فإن خرج منها قيل له: انطلق إلى الجنة وإلا وقع في النار.

﴿فأما الإنسان﴾ متصل بما قبله من قوله **﴿إن ربك لبالمرصاد﴾** وكأنه قيل إنه تعالى بصدد مراقبة أحوال عباده ومجازاتهم بأعمالهم خيراً وشراً فأما الإنسان فلا يهمه ذلك وإنما مطمح نظره ومرصد فكره الدنيا ولذائذها. قال السهيلي رحمه الله: المراد بالإنسان عتبة بن ربيعة وكان هو السبب في نزولها فيما ذكروا وإن كانت هذه الصفة تعم. **﴿إذا ما ابتلاه ربه﴾** أي: عامله

معاملة من يبتليه بالغنى واليسار. ﴿فأكرمه﴾ [پس كرامى كندش بجاه واقتدار] ﴿ونعمه﴾ [ونعمت دهدش ومعيشت برو فراخ كرداند وبآساني كارا وبسازد].

والفاء تفسيرية فإن الإكرام والتنعيم عين الابتلاء. ﴿فيقول﴾ مفتخراً ﴿ربي﴾ پروردكار من ﴿أكرمن﴾ فضلني بما أعطاني من الجاه والمال حسبما كنت أستحقه ولا يخطر بباله أنه محض تفضل عليه ليبلوه أيشكر أم يكفر وهو خبر للمبتدأ الذي هو الإنسان والفاء لما في أما من معنى الشرط والظرف المتوسط على نية التأخير كأنه قيل فأما الإنسان فيقول ربي أكرمني وقت ابتلائه بالإنعام وإنما تقديمه للإيذان من أول الأمر بأن الإكرام والتنعيم بطريق الابتلاء ليتضح اختلال قوله المحكي فإذا لمجرد الظرفية وإن هذه الفاء لا تمنع أن يعمل ما بعدها فيما قبلها.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾﴾.

﴿وأما إذا ما ابتلاه﴾ أي وإما هو إذا ما ابتلاه ربه فيكون الواقع بعد إما في الفقرتين اسماً فتكون الجملتان متعادلتين ﴿فقدر عليه رزقه﴾ [پس تنك سازد برو روزىء اورا] يعني ضيقه حسماً تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وجعله عى قدر كفايته وقوت يومه ﴿فيقول﴾ متضجراً ﴿ربي أهانن﴾ أذلني بالفقر ولا يخطر بباله أن ذلك ليبلوه أيصبر أم يجزع مع أنه ليس من الإهانة في شيء ولذا لم يقل فأهانه فقدر عيه رزقه في مقابلة أكرمه ونعمه بل التقتير قد يؤدي إلى كرامة الدارين في حق الفقير الصابر أما تأديته إلى كرامة الآخرة فأمر ظاهر وأما تأديته إلى كرامة الدنيا فلأنه قد يسلم به من طمع الأعداء فيحسن فيه اعتقاد الكبراء من أهل الدنيا فيراجعونه ويلتمسون منه الدعاء والتوسعة قد تفضى إلى خسران الدارين بالكفران فيكون استدراجاً.

أي دل اكر بديده تحقيقي بنكري درويشى اختياركنى بر توانكري

قال بعضهم: ربما كان التضييق إكراماً له بأن لا يشغله بالنعمة عن المنعم ويجعل ذلك وسيلة له في التوجه إلى الحق والسلوك في طريقه لعدم التعلق وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال لقد رأيت سبعين من أصحاب الصفة ما منهم رجل عليه رداء إما إزار وإما كساء قد ربطوه في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين ومنها ما يبلغ نصف الكعبين فيجمعه بيده كراهة أن ترى عورته فتأمل هل تكون هذه إهانة لخواص عباد الله فالمؤمن إما في مقام الشكر أو في مقام الصبر قال عليه الصلاة والسلام: «الإيمان نصفان نصف صبر ونصف شكر».

صيرفئ از فقر چون درغم شود عين فقرش دابه ومطعم شود
رانكه جنت از مكاره رسته است رحم قسم عاجزا شكسته است
آنكه سرها بشكنند اواز علو رحم حق وخلق نايد سوى او

كما قال بعض الكبار: في قوله: ﴿فيقول ربي أهانن﴾ أي تركني ذليلاً مهيناً لم يعرف المحجوب المسكين أن ربه ناظر إليه بنظر الرحمة والشفقة إذ جذبه بالجذبة الرحمانية من العالم الطبيعي إلى العالم الروحاني ومن عالم النفس إلى عالم القلب ومن عالم الفرق إلى عالم الجمع ومن عالم الفراق إلى عالم الوصال.

﴿كلا﴾ ردع للإنسان عن مقالته المحكية وتكذيب له فيها في كلتا الحالتين قال ابن عباس

رضي الله عنهما: المعنى لم ابتله بالغنى لكرامته علي ولم ابتله بالفقر لهوانه علي بل ذلك لمحض القضاء والقدر بلا تعليل بالعلل. ﴿**بل لا تكرمون اليتيم**﴾ انتقال من بيان سوء أقواله إلى بيان سوء أفعاله والتفات إلى الخطاب للإيذان باقتضاء ملاحظة جنايته السابقة لمشافهته بالتوبيخ تشديداً للتقريع وتأكيداً للتشنيع والجمع باعتبار معنى الإنسان إذ المراد الجنس أي بل لكم أحوال أشد شراً مما ذكر وأدل على تهالككم على المال حيث يكرمكم الله بكثرة المال فلا تؤدون ما يلزمكم فيه من إكرام اليتيم بالنفقة والكسوة ونحوهما وهو من بني آدم هو الذي فقد أباه وكان غير بالغ ومن البهائم ما فقد أمه، قال عليه الصلاة والسلام: «أحب البيوت إلى الله بيت فيه يتيم مكرم».

برحمت بكن آبش از ديده پاك   بشفقت بيفيانش از چهره خاك

قال في «الأشباه»: استخدام اليتيم بلا أجرة حرام ولو لأخيه ومعلمه إلا لأمه وفيما إذا أرسله المعلم لإحضار شريكه كما في «القنية».

﴿**ولا تحاضون**﴾ بحذف إحدى التاءين من تتحاضون والحض الحث والتحريض لا يحض بعضكم بعضاً ولا يحث من أهل وغيره شكراً لإنعام الله تعالى. ﴿**على طعام المسكين**﴾ أي: على إطعام جنس المسكين ومن لا يحض غيره على إطعامه فإن لا يطعمه بنفسه أولى فيؤول المعنى إلى أن يقال: ولا تطعمون مسكيناً ولا تأمرون بإطعامه وفيه ذم بليغ للبخيل قال مقاتل: كان قدامة بن مظعون يتيماً في حجر أمية بن خلف فكان يدفعه عن حقه فنزلت.

﴿**وتأكلون التراث**﴾ أي: الميراث وأصله وراث قلبت واوه تاء والميراث هو المال المنتقل من الميت﴿**أكلاً لماً**﴾ اللم الجمع يقال: كتيبة ملمومة مجتمعة بعضها إلى بعض والمعنى أكلا ذا لم على حذف المضاف أي: جمع بين الحلال والحرام فإنهم كانوا لا يورثون النساء والصبيان ويأكلون أنصباءهم وفيه إشارة إلى أنه كان بينهم ميراث يتوارثونه من إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام لكنهم قد بدلوه كما بدلوا غيره من بعض الأحكام أو يأكلون ما جمعه المورث من حلال وحرام مشتبه عالمين بذلك.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾ كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَـٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿**وتحبون المال حباً جماً**﴾ كثيراً مع حرص وشره ومنع حقوق وعدم انتفاع فإن الجم الكثير يقال: جم الماء في الحوض إذا اجتمع فيه وكثر والمقصود ذمهم ببيان أن حرصهم على الدنيا فقط وأنهم عادلون عن أمر الآخرة وفيه إشارة إلى أن حب المال طبيعي فلا يتخلص منه المرء بالكلية إلا أن يكون من الأقوياء فكأنه أشار إلى أن حبه إذا لم يشتد لا يكون مذموماً وقال بعض الكبار: وتحبون مال الأعمال السيئة النفسانية والأحوال القبيحة الهوائية حباً كثيراً.

﴿**كلا**﴾ ردع لهم عما ذكر من الأفعال والتروك وإنكار أي: لا ينبغي أن يكون الأمر كذلك في الحرص على الدنيا وقصر الهمة على تحصيلها وجمعها من حيث تهيأ من حل أو حرام وترك المواساة منها وتوهم أن لا حساب ولا جزاء فإن عاقبة ذلك الحسرة والندامة على إيثار الحياة الدنيوية الفانية على الحياة الأخروية الباقية. ﴿**إذا دكت الأرض دكاً دكاً**﴾ استئناف بطريق الوعيد تعليل للردع والدك الدق يقال دككت الشيء أدكه دكاً إذا ضربته وكسرته حتى

سويته بالأرض وبالفارسية [كوفتن چيزى تابزمين برا بر كردد].

وقال الخليل: الدك كسر الحائط والجبل ودكته الحمى دكاً أي: كسرته كسراً وقال المبرد: الدك حط المرتفع بالبسط ودكا الثاني ليس تأكيد الأول بل هودك آخر سوى الأول والمعنى إذا دكت الأرض دكاً متتابعاً وضرب بعضها ببعض حتى انكسر وذهب كل ما على وجهها من جبال وأبنية وقصور حين زلزلة زلزلة بعد زلزلة وحركت تحريكاً بعد تحريك وصارت هباءً منبثاً وهو عبارة عما عرض لها عند النفخة الثانية وبالفارسية [چون شكسته شود زمين شكستني بعد ازشكستنى يعني پاره پاره كردد].

﴿**وجاء ربك**﴾ أي ظهرت آيات قدرته وآثار قهره مثل ذلك بما يظهر عند حضور السطان بنفسه من أحكام هيبته وسياسته فإنه عند حضوره ظهر ما لا يظهر بحضور وزرائه وسائر خواصه وعساكره وقال الإمام أحمد: جاء أمره وقضاؤه على حذف المضاف للتهويل.

وفي «التأويلات النجمية»: تجلى في المظهر الجلالي القهري. ﴿**والملك**﴾ [وبيايد فرشتكان بعرصهء محشر]. ﴿**صفاً صفاً**﴾ أي: حال كونهم مصطفين لا ذوي صفوف فإنه ينزل يومئذٍ ملائكة كل سماء فيصطفون صفاً بعد صف بحسب منازلهم ومراتبهم اصطفاف أهل الصلاة في الدنيا من الإنس والجن كما قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرْجَآئِهَآ﴾ [الحاقة: ١٧] فهم سبعة صفوف عدد السموات السبع.

﴿**وجيء يومئذٍ بجهنم**﴾ كقوله تعالى: ﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ﴾ [الشعراء: ٩١] يعني أن المجيء بها عبارة عن إظهارها حتى يراها الخلق مع ثباتها في مكانها فإن من المعلوم أنها لا تنفك عن مكانها والباء للتعدية على أن جهنم قائم مقام الفاعل لجيء، وقال ابن مسعود رضي الله عنه ومقاتل: تقاد جهنم بسبعين ألف زمام، وكل زمام معه سبعون ألف ملك يجرونها حتى تنصب عن يسار العرش لها تغيظ وزفير، [يعني دوزخ از خشم كافران مى جوشدومى خروشد].

فتشرد شردة لو تركت لأحرقت أهل الجمع ويجثو كل نبي وولي من الهول والهيبة على ركبته ويقول نفسي نفسي حتى يعترض لها رسول الله ﷺ ويقول أمتي أمتي تقول النار ما لي وما لك يا محمد لقد حرم الله لحمك علي فالمجيء بها علي حقيقته فإن الجر يدل على انفكاكها عن مكانها وتأوله الأولون بحمله على التجوز بأن معنى يجرون يباشرون أسباب ظهورها.

يقول الفقير: لا حاجة إلى الحمل على التجوز فإن بعض الأمكنة كالكعبة تزور بعض الخواص بالإيجاد والإعدام اللذين هما إسراع شيء من طرفة العين فلا بعد في أن يكون مجيء جهنم من هذا القبيل على أن الأرض يومئذٍ أوسع شيء كما بين فيما سبق، فهي تسع جهنم وأهل المحشر جميعاً، وأيضاً المراد بمجيء جهنم مجيء صورتها المثالية ولا مناقشة فيه فيكون كمجيء المسجد الأقصى إلى مرأى النبي عليه الصلاة والسلام حين سأله قريش عن بعض أوصافه في قصة المعراج.

﴿**يومئذٍ**﴾ بدل من إذا دكت والعامل فيهما قوله تعالى﴿**يتذكر الإنسان**﴾ أي: يتذكر ما فرط فيه بتفاصيله بمشاهدة آثاره وأحكامه أو بمعاينة عينه على أن الأعمال تتجسم في النشأة الآخرة فيبرز كل من الحسنات والسيئات بما يناسبها من الصور الحسنة والقبيحة أو يتعظ أي: يقبل التذكير والإرشاد الذي بلغ إليه في الدنيا ولم يتعظ ولم يقبله في الدنيا فيتعظ به في الآخرة

فيقول: ﴿يَٰلَيۡتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا﴾ [الأنعام: ٢٧] وهذا الاتعاظ يستلزم الندم على تقصيراته والندم توبة لكن لا توبة هناك لفوت الوقت. قال القاشاني: يوم يتذكر الإنسان خلاف ما اعتقده في الدنيا وصار هيئة في نفسه من مقتضيات فطرته فإن ظهور الباري بصفة القهر والملائكة بصفة التعذيب لا يكون إلا لمن اعتقد خلاف ما ظهر عليه بما هو في نفس الأمر كالمنكر والنكير **﴿وأنى له الذكرى﴾** اعتراض جيء به لتحقيق أنه ليس بتذكر حقيقة لعرائه عن الجدوى بعدم وقوعه في أوانه وأنى خبر مقدم للذكرى وله متعلق بما تعلق به الخبر أي ومن أين يكون له الذكرى وقد فات أوانها وقيل هناك محذوف واللام للنفع، أي أني له منفعة الذكرى وبه يرتفع التناقض الواقع بين إثبات التذكر أولاً ونفيه ثانياً ثم أنه تعالى لما نفى كون هذه الذكرى والتوبة نافعة له بقوله وأنى له الذكرى علمنا أنه لا يجب قبول التوبة كما ذهب إليه المعتزلة وفي «الإرشاد»: والاستدلال به على عدم وجوب قبول التوبة في دار التكليف يعني عقلاً كما تزعم المعتزلة مما لا وجه له على أن تذكره ليس من التوبة في شيء فإنه عالم بأنها إنما تكون في الدنيا كما يعرب عنه قوله تعالى:

﴿يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾﴾

﴿يقول يا﴾ أيها الحاضرون **﴿ليتني﴾** كاشكى من **﴿قدمت لحياتي﴾** وهو بدل اشتمال من يتذكر أو استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ عنه كأنه قيل ماذا يقول عند تذكره؟ فقيل: يقول: يا ليتني عملت لأجل حياتي هذه يعني لتحصيل الحياة الأخروية التي هي حياة نافعة دائمة غير منقطعة أعمالاً صالحة انتفع بها اليوم أو وقت حياتي على أن اللام بمعنى في للتوقيت ويجوز أن يكون المعنى قدمت عملاً ينجيني من العذاب فأكون من الأحياء قال تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾ [طه: ٧٤].

واعلم أن أهل الحق لا يسلبون الاختيار بالكلية وليس في هذا التمني شائبة دلالة على استقلال العبد بفعله كما يزعمه المعتزلة وإنما الذي يدل عليه ذلك اعتقاد كونه متمكناً من تقديم الأعمال الصالحة وأما إن ذلك بمحض قدرته أو بخلق الله عند صرف قدرته الكاسبة إليه فلا وأما ما قيل من أن المحجور قد يتمنى إن كان ممكناً منه وموفقاً له فربما يوهم أن من صرف قدرته إلى أحد طرفي الفعل يعتقد أنه محجور من الطرف الآخر وليس كذلك بل كل أحد جازم بأنه لو صرف قدرته إلى أي طرف كان من أفعاله الاختيارية لحصل وعلى هذا يدور فلك التكليف وإلزام الحجة.

﴿فيومئذٍ﴾ أي: يوم إذ يكون ما ذكر من الأحوال والأقوال **﴿لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد﴾** الهاء راجع إلى الله تعالى والعذاب بمعنى التعذيب كالسلام بمعنى التسليم وكذا الوثاق بالفتح بمعنى الإيثاق وهو الشد بالوثاق وهو ما يشد به من الحديد والحبل والإيثاق بالفارسية [بند كردن يعني بسلاسل وأغلال، واسير كرد دران].

والمعنى: لا يتولى عذاب الله ووثاقه أحد سواه إذ الأمر كله لله فلا يلزم أن يكون يوم القيامة معذب سوى الله لكنه لا يعذب أحد مثل عذابه، وفي «عين المعاني» لا يعذب كعذاب الله في الآخرة أحد في الدنيا ويجوز أن يكون الهاء للإنسان أي: لا يعذب أحد من الزبانية مثل ما يعذبونه وقرأهما الكسائي ويعقوب على بناء المفعول، وفي «الكشاف»: هي قراءة

رسول الله ﷺ وعن أبي عمرو أنه رجع إليه في آخر عمره أي لا يعذب مثل عذاب الإنسان أحد وظاهره يقتضي أن يكون عذابه أشد من عذاب إبليس إلا أن يكون المراد أحد من هذا الجنس كعصاة المؤمنين نسأل الله السلامة والعافية في الدارين.

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾

﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ لما ذكر شقاوة النفس الأمارة شرع في بيان سعادة النفس المطمئنة والاطمئنان السكون بعد الانزعاج وسكون النفس إنما هو بالوصول إلى غاية الغايات في اليقين والمعرفة والشهود وفي قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨] تنبيه على أنه بمعرفته تعالى والإكثار من عبادته يكتسب اطمئنان النفس وإذا وصلت إلى مقام الاطمئنان بذكر الله صار صاحبها في مقام التلوين في التمكين آمنا من الرجوع إلى الأحكام الطبيعية والآثار البشرية فإن الفاني لا يرد إلى أوصافه فمن كان متمكناً في مقام الترقي تخلص من التنزل إلى مقام النفس الأمارة. وفي «التعريفات»: النفس المطمئنة هي التي تنورت بنور القلب حتى تخلت عن صفاتها الذميمة وتحلت بالأخلاق الحميدة.

وقال الكاشفي: [أي نفس آرام كرفته بذكر من كه شاكر بودي در نعمت وصبر نمود درمحنت].

والمعنى أن الله تعالى يقول بالذات للمؤمن إكراماً له كما كلم موسى عليه الصلاة والسلام أو على لسان الملك وذلك عند تمام الحساب **﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك﴾** أي إلى ما وعد لك من الكرامة والزلفى فكونه تعالى منتهى الغاية إنما هو بهذا الاعتبار فسقط تمسك المجسمة واستدل بالرجوع الذي هو العود على تقدم الروح خلقاً **﴿راضية﴾** بما أوتيت من النعيم المقيم **﴿مرضية﴾** عند الله.

﴿فادخلي في عبادي﴾ في زمرة عبادي الصالحين المختصين بي **﴿وادخلي جنتي﴾** معهم كقوله تعالى: ﴿وَأَدْخِلْنِى بِرَحْمَتِكَ فِى عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [النمل: ١٩] فالدخول في زمرة الخواص هي السعادة الروحانية والدخول معهم في الجنات ودرجاتها هي السعادة الجسمانية وقيل المراد بالنفس الروح والمعنى فادخلي في أجساد عبادي التي فارقت عنها وادخلي دار ثوابي وهذا يؤيد قول من قال إن الخطاب عند البعث وذهب بعضهم إلى أنه عند الموت، كما روي أن أبا بكر رضي الله عنه سأل عن ذلك رسول الله ﷺ فقال: «إن الملك سيقولها لك يا أبا بكر عند موتك» وقال الحسن: إذا أراد الله قبضها اطمأنت إلى الله ورضيت عن الله ورضي الله عنها، وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: إذا توفي العبد المؤمن أرسل الله ملكين وأرسل إليه بتحفة من الجنة فيقال لها: اخرجي أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى روح وريحان ورب عنك راض فتخرج كأطيب ريح مسك وجده أحد في أنفه والملك على أرجاء السماء يقولون قد جاء من الأرض روح طيبة ونسمة طيبة فلا تمر بباب إلا فتح ولا بملك إلا صلي عليها حتى يؤتى بها إلى الرحمن أي: إلى حضوره ومقام مخصوص من مقامات كراماته فتسجد ثم يقال لميكائيل اذهب بهذه فاجعلها مع أنفس المؤمنين ثم يؤمر فيوسع عليه قبره سبعون ذراعاً عرضه وسبعون ذراعاً طوله وينبذ له فيه الريحان فإن كان معه شيء من القرآن كفاه نوره وإن لم يكن

جعل له نور مثل نور الشمس في قبره فيكون مثله مثل العروس ينام فلا يوقظه إلا أحب أهله وإذا توفي الكافر أرسل الله إليه ملكين وأرسل إليه قطعة بجاد أنتن من كل منتن وأخشن من كل خشن فيقال: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى جهنم عذاب أليم ورب عليك غضبان وقال سعيد بن جبير رحمه الله مات ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف فشهدت جنازته فجاء طائر لم ير مثله على خلقته فدخل نعشه ثم لم ير خارجاً منه فلما دفن تليت هذه الآية على شفير القبر لا يرى من تلاها ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفجر: ٢٧] ودل قوله تعالى الله: ﴿يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزمر: ٤٢] أن من النفوس الطيبة من يتولى الله قبضها بنفسه فيا طوبى لها وقال بعض أهل الإشارة ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ إلى الدنيا ارجعي إلى الله بتركها وبسلوك سبيل الآخرة فادخلي في عبادي الأخروية وادخلي جنتي الصورية والمعنوية.

أي باز هوا كرفته باز آي ومرو كز رشتهٔ توسرى در انكشت منست

وقال القاشاني: ﴿يا أيتها النفس المطمئنة﴾ التي نزلت عليها السكينة وتنورت بنور اليقين فاطمأنت إلى الله من الاضطراب ارجعي إلى ربك في حال الرضى أي: إذا تم لك كمال الصفات فلا تسكني إليه وارجعي إلى الذات في حال الرضى الذي هو كمال مقام الصفات والرضى عن الله لا يكون إلا بعد رضى الله عنها كما قال: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [المائدة: ١١٩] فادخلي في زمرة عبادي المخصوصين بي من أهل التوحيد الذاتي وادخلي جنتي المخصوصة بي أي جنة الذات.

وفي «التأويلات النجمية»: ارجعي إلى ربك بالفناء فيه بعد قطع المنازل والمقامات راضية من نتائج السلوك إلى الله والسير في الله مرضية عند الله بإلباسي خلعة البقاء عليها فادخلي في عبادي الباقين في وبصفاتي وادخلي جنة ذتي لفنائك عن ذاتك وأنانيتك.

تمت سورة الفجر بعون ذي المن والحجر في أواخر شهر المولد النبوي من سنة سبع عشرة ومائة وألف

٩٠ ـ سورة البلد

عشرون آية مكية أو مدنية إلا أربع آيات من أولها

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾﴾.

﴿لا أقسم بهذا البلد﴾ أي: أقسم بالبلد الحرام الذي هو مكة فكلمة لا صلة دل عليه أن الله أقسم بالبلد الأمين في سورة التين وبالفارسية [سوكند ميخورم بمكة] وفي «كشف الأسرار» لا لتأكيد القسم كقول العرب لا والله ما فعلت كذا لا والله لأفعلن كذا والبلد المكان والمحدود المتأثر باجتماع قطانه وإقامتهم فيه وجمعه بلاد وبلدان ثم إن الله تعالى أقسم بمكة لفضلها فإنه جعلها حرماً آمناً ومسقط رأس النبي عليه السلام وحرم أبيه إبراهيم ومنشأ أبيه إسماعيل عليهما السلام، وجعل البيت قبلة لأهل الشرق والغرب وحج البيت كفارة لذنوب العمر وجعل البيت المعمور في السماء بإزائه.

﴿وأنت حل بهذا البلد﴾ حال من المقسم به وأنت خطاب للنبي عليه السلام.

[كفته اند در قرآن چهار هزار نام وى برد وذكروى كرد بعضي بتعريض وبعضي بتصريح].

والحل: بمعنى الحال من الحلول وهو النزول أي: والحال أنك يا محمد حال في مكة نازل بها قيد أقسامه تعالى بمكة بحلوله عليه السلام فيها إظهاراً لمزيد فضلها فإنها بعد أن كانت شريفة بنفسها زاد شرفها بحلول النبي العظيم الشريف فيها فما لا شرف فيه يحصل له شرف بشرف المكين وما فيه شرف ذاتي يحصل له بشرف شرف زائد فمحل قدمي النبي عليه السلام كمكة والمدينة وغيرهما ينبغي أن يحافظ على حرمته، وقد سمى عليه السلام المدينة طابة لأنها طابت به وبمكانه وفيه تعريض لأهل مكة بأنهم لجهلهم يرون أن يخرجوا منها من به مزيد شرفها ويؤذوه.

أي كعبه را زيمن قدوم توصد شرف ... وى مرده را زمقدم پاك توصد صفا
بطحا زنور طلعت تو يافته فروغ ... يثرب زخاك تو با رونق و نوا

وفيه إشارة إلى بلد مكة الوجود الإنساني وإلى رسول القلب المستكن في الجانب الأيسر منه.

﴿ووالد﴾ [وزاينده] عطف على هذا البلد والمراد به إبراهيم عليه السلام والتنكير للتفخيم. **﴿وما ولد﴾** [وآنچه زاده است].

وهو إسماعيل عليه السلام فإنه ولده بلا واسطة ومحمد عليه السلام فإنه ولده بواسطة

إسماعيل فتتضمن السورة القسم بالنبي عليه السلام في موضعين وإيثار ما على من لمعنى التعجب مما أعطاه الله من الكمال كما في قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾ [آل عمران: ٣٦] أي شيء وضعت يعني موضوعاً عجيب الشأن وهو مريم أو الوالد آدم عليه السلام، وما ولد ذريته وهو الأنسب لمضمون الجواب فالتفخيم المستفاد من كلمة ما لا بد فيه من اعتبار التغليب أي: فهو من باب وصف الكل بوصف البعض أو للتعجيب من الأمر الذي يشترك فيه الكل كالنطق والبيان والصورة البديعة وغيرها وقيل: الوالد هو النبي عليه السلام وما ولد أمته المرحمة لقوله عليه السلام إنما أنا لكم مثل الوالد أعلمكم أمر دينكم ولقوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه: «أنا وأنت أبوا هذه الأمة»، وإلى هذا أشار بقوله عليه السلام: «كل سبب ونسب ينقطع يوم القيامة إلا سببي ونسبي» وهو سبب الدين ونسب التقوى، وقد سمى الله النبي عليه السلام أبا للمؤمنين حيث قال: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ [الأحزاب: ٦] وفي بعض القراآت وهو أب لهم فإن أمومية الأزواج المطهرة تقتضي أبوته عليه السلام إذ كل من كان سبباً لا يجاد شيء وإصلاحه أو ظهوره يسمى أبا وقد قال عليه السلام: «أنا من الله والمؤمنون من فيض نوري» وصرح تعالى بفضيلة هذه الأمة حيث قال: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة: ١٤٣] ولذا عظمهم بالإقسام بهم وفيه إشارة إلى إبراهيم الروح الوالد وإسماعيل السر المولود منه أو آدم الروح وإبرهيم السر، أو إلى روح القدس الذي هو الأب الحقيقي للنفوس الإنسانية كقول عيسى عليه السلام، إني ذاهب إلى أبي وأبيكم السماوي وقوله تشبهوا بأبيكم السماوي، فالمراد بما ولد هو النفس التي ولدها هو فكأنه قيل وأقسم بروح القدس والنفس الناطقة.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾﴾

﴿لقد خلقنا الإنسان في كبد﴾ جواب للقسم يقال كبد الرجل كبداً إذا وجعت كبده فانتفخت وأصله كبده إذا أصاب كبده كذكرته إذا قطعت ذكره ورأيته إذا قطعت رئته ثم اتسع فيه حتى استعمل في كل نصب ومشقة ومنه اشتقت المكابدة بمعنى مقاساة الشدة وفي كبد حال من الإنسان بمعنى مكابداً وحرف في واللام متقاربان، تقول: إنما أنت للعناء والنصب، وإنما أنت في العناء والنصب ووجه آخر أن أقوله: **﴿في كبد﴾** يدل على أن الكبد قد أحاط به إحاطة الظرف بالمظروف، والمعنى لقد خلقنا الإنسان في تعب ومشقة فإنه مع كونه أضعف الخلق لا يزال يقاسي فنون الشدائد مبدأها ظلمة الرحم ومضيقه ومنتهاها الموت وما بعده فابن آدم يكابد من البلايا ما لا يكابده غيره، يعني إن الكبد يتناول شدائد الدنيا من قطع سرته والتفافه بخرقة محبوس الأعضاء ومكابدة الختان وأوجاعه ومكابدة المعلم وصولته والأستاذ وهيبته ثم مكابدة شغل التزوج وشغل الأولاد والخدم وشغل المسكن ثم الكبر والهرم من جملة مصائب كثيرة لا يمكن تعدادها كالصداع ووجع الأضراس ورمد العين وهم الدين ونحو ذلك، ويتناول أيضاً شدائد التكاليف كالشكر على السراء والصبر على الضراء والمكابدة في أداء العبادات كالصوم والصلاة والزكاة والحج والجهاد ثم بعد ذلك يقاسي شدة الموت وسؤال الملك وظلمة القبر ثم البعث والعرض على الملك المحاسب إلى أن يصل إلى موضع الاستقرار إما في الجنة وإما في النار كما قال: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾﴾ [الانشقاق: ١٩] قال الإمام: ليس في الدنيا لذة البتة بل ذلك الذي يظن أنه لذة فهو خلاص من الألم فاللذة عند الأكل هي الخلاص من ألم الجوع

وعند اللبس هي الخلاص من ألم الحر والبرد فليس للإنسان إلا ألم أو خلاص من ألم وفيه تسلية لرسول الله ﷺ مما كان يكابده من كفار قريش وإشارة إلى أن الإنسان المقيد بقيد التعين الوجودي خلق في تعب التعين والتقييد وفيه حرمان من المطلق ونوره فإن المقيد بقيد التعين معذب بحرمان المطلق. وقال القاشاني: لقد خلقنا الإنسان في مكابدة ومشقة من نفسه وهواه أو مرض باطن وفساد قلب وغلظ حجاب إذ الكبد في اللغة غلظ الكبد الذي هو مبدأ القوة الطبيعية وفساده وحجاب القلب وفساده من هذه القوة فاستعير غلظ الكبد لغلظ حجاب القلب ومرض الجهل.

﴿**أيحسب**﴾ [أيامي پندارد].

والضمير لبعض صناديد قريش الذين كان عليه السلام يكابد منهم أكثر مما يكابد من غيرهم كالوليد بن المغيرة وأضرابه.

﴿**أن لن يقدر عليه أحد**﴾ أن مخففة من الثقيلة سادة مع اسمها مسد مفعولي الحسبان أي: يحسب أن الأمر والشأن لن يقدر على انتقام منه أحد فحسبانه الناشىء عن غلظ الحجاب ومرض القلب فاسد لأن الله الأحد يقدر عليه وهو عزيز ذو انتقام.

﴿**يقول**﴾ ذلك الظان على سبيل الرعونة والخيلاء. ﴿**أهلكت**﴾ أنفقت، كقول العرب: خسرت عليه كذا إذا أنفق عليه. ﴿**مالاً لبداً**﴾ أي: كثيراً متلبداً من تلبد الشيء إذا اجتمع يريد كثرة ما أنفقه سمعة ومفاخرة، وكان أهل الجاهلية يسمون مثل ذلك مكارم ويدعونه معالي ومفاخر، وفي لفظ الإهلاك إشارة إلى أنه ضائع في الحقيقة إذ لا ينتفع به صاحبه في الآخرة كما قالت عائشة رضي الله عنها في حق عبد الله بن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه يا رسول الله فقال عليه السلام: «لا ينفعه لأنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين».

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ ۝٧ أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ۝٨ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۝٩ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ۝١١﴾.

﴿**أيحسب**﴾ ذلك الأحمق المباهي ﴿**أن**﴾ أي: أن الشأن ﴿**لم يره أحد**﴾ حين كان ينفق وأنه تعالى لا يسأله عنه ولا يجازيه عليه، يعني: أن الله رآه واطلع على خبث نيته وفساد سريرته وأنه مجازيه عليه فمثل ذلك الإنفاق وهو ما كان بطريق المباهاة رذيلة فكيف يعده الجاهل فضيلة وفي الحديث: «لا تزول قدماً العبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع عن عمره فيمَ أفناه، وعن ماله من أين كسبه وفيم أنفقه، وعن عمله ماذا عمل وعن حبه أهل البيت».

﴿**ألم نجعل له عينين**﴾ يبصر بهما عالم الملك من الأرض إلى السماء حتى يشاهد بهما في طرفة عين النجوم العلوية التي بينه وبينها عدة آلاف سنة ويفرق بهما بين ما يضر وما ينفع وبهما يحصل شرف النظر إلى وجه العالم وإلى المصحف وإلى الشواهد قال في «أسئلة الحكم»: العين تحرس البدن من الآفات وهي نيرة كالمرآة إذا قابلها شيء ارتسمت صورته فيها مع صغر الناظر وهو الحدقة التي هي شحمة وجعل الله العين سريعة الحركة وجعل لها أجفاناً تسترها وأهداباً من الشعر كجناح الطائر تطرد بانضمامها وبانفتاحها الذباب والهوام عن العين وجعل العين في الرأس لأن السراج يوضع على رأس المنار وجعلها ثنتين كالشمس والقمر

فإنهما عينا التعين الدنيوي وجعل فوقهما حاجبين أسودين لئلا يتضرر البصر بالضياء ولأن الذي ينظر في السواد إلى البياض يكون أحد نظراً ولذلك جعلت الحدقة سوداء وأهداب العين شعراً أسود لأن السواد يقوي البصر ولمّا بنى ذو القرنين الأسكندرية رخمها بالرخام الأبيض جدرها وأرضها فكان لباسهم فيها السواد من نصوع بياض الرخام، فمن ذلك لبس الرهبان السواد فإن النظر إلى الأبيض يفرق البصر ويضعفه ولذا قال عليه السلام في الأثمد: «إنه يقوي البصر» وجعل الحدقة محركة في مكانها لتتحرك إلى الجهات يمنة ويسرة فيبصر بها من غير أن يلوي عنقه وجعل الناظرين جميعاً على خط مستقيم عرضاً ولم يقع واحد منهما أعلى وإلا أخفض ليجتمع الناظران على شيء واحد لئلا يترآى له الشخص الواحد شخصين وفي العينين إشارة إلى العين الظاهرة والعين الباطنة فينبغي أن يحافظ على كلتيهما فإن نظر عينين أتم من نظر عين واحدة.

﴿ولساناً﴾ يترجم به عن ضمائره وبه تنعقد المعاملات وتحصل الشهادات ويدرك الطعوم من الحلو والمر ولو لم يكن اللسان لاحتاج الإنسان إلى الإشارة أو الكتابة فتعسر أمره وإنما تعدد العين والأذن وتفرد اللسان لأن حاجة الإنسان إلى السمع والبصر أكثر من حاجته إلى الكلام، وفيه تنبيه أيضاً على أن يقل من الكلام إلا في الخير وأن لا يتكلم فيما لا فائدة فيه وهو السر في أن الله تعالى جعل اللسان داخل الفم وجعل دونه الشفتين اللتين لا يمكن الكلام إلا بفتحهما ليستعين العبد بإطباق شفتيه على رد الكلام، وقد حكي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يجعل في فمه حجر ليمتنع من الكلام فيما لا يعنيه وفيه إشارة إلى لسان القلب فإنه يتكلم به بالمفاوضة القلبية وقد أبطله كما أبطل العين الباطنة وأفسد استعداد التكلم الباطني القلبي. ﴿وشفتين﴾ يستر بهما فاه إذا أراد السكوت ويستعين بهما على النطق والأكل والشرب والنفخ قال السجاوندي: خص الشفة لخروج أكثر الحروف منها وفي الدعاء الحمد لله الذي جعلنا ننطق بلحم ونبصر بشحم ونسمع بعظم قال بعضهم: أسبل الصانع الحكيم أمام الفم ستراً من الشفة ذا طرفين يضمهما عند الحاجة ويمتص بهما المشروب وجعل الشارب محيطاً من العليا ليمنع ما على وجه الشراب من القش والقذى أن يدخل حالة الشرب وفي الحديث: «إن الله يقول: ابن آدم إن نازعك لسان فيما حرمت عليك فقد أعنتك بطبقتين فأطبق، وإن نازعك بصرك إلى بعض ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق، وإن نازعك فرجك إلى ما حرمت عليك فقد أعنتك عليه بطبقتين فأطبق»، وفي الخبر: «الفرج أمانة والأذن أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا إيمان لمن لا أمانة له» [أورا كوبند ما دوديده بتوسپرديم پاك تو بنظر هاي ناپاك ملطخ كردمى تا آثار تقديس ازوى برخاست وخبيث شدا كنون ميخواهى كه ديدار مقدس ما بنظر خويش بيني هيهات ما پاكيم وپا كانوا پاك شايد الطيبت للطيبين دو سمع داديم تراتا ازان دوخزانه سازى ودرهاى آثار وحي در وتعبيه كنى ومر وزباز سپارى توا نرا محال دروغ شنيدن ساختي وهكذر أصوات خبيثه كردى ونداء ما پاكست جز سمع پاك نشنود امروز بكدام كوش حديث ما خواهى شنيد زباني داديم تراتا بامار ازكويى در خلوت وقرآن خواتي در عبادت وصدق دروى فرواري وبادوستان ما سخن كويى توخود زبا نرا بساط غيبت ساختي وروز نامهء جدل وديوان خصومت كردى تواموز بكدام زبان حديث ما خواهى كرد].

زبـان آمـد از بـهـر شـكـر وسـپـاس　　　بـغـيـبـت نـكـرد انـدش حـق شـنـاس

كذركاه قرآن وبندست كوش به بهتان وباطل شنيدن مكوش
دو چشم ازپى صنع بارى نكوست زعيب برادر فروكير ودوست

وفيه إشارة إلى شفتي لسان القلب ولسان الرأس.

﴿وهديناه النجدين﴾ معطوف على ألم نجعل لأنه في التقدير مثبت أي: جعلنا له ذلك وهديناه طريقي الخير والشر كما قال عليه السلام: «هما النجدان نجد الخير ونجد الشر فلا يكن نجد الشر أحب إليكم من نجد الخير»، أو طريقي الثديين لأنهما طريقان مرتفعان لنزول اللبن سببين لحياة المولود وتمكين مولود عاجز من رضاع أمه عقيب الولادة قدرة عليه ونعمه جلية.

نه طفل زبان بسته بودى زلاف همى روزى آمد بجوفت زناف
چو نافش بريدند وروزى كسست به پستان مادر در آويخت دست

وأصل النجد المكان المرتفع جعل الخير بمنزلة مكان مرتفع بخلاف الشر فإنه يستلزم الانحطاط عن ذروة الفطرة إلى حضيض الشقاوة فكان استعمال النجدين بطريق التغليب أو لأن فعل الشر بالنسبة إلى قوته في الواهمة مصور بصورة المكان المرتفع ولذا استعمل الترقي في الوصول إلى كل شيء وتكميله وقال ابن الشيخ: لما وضحت الدلالة الدالة على الخير والشر صارتا كالطريقين المرتفعين بسبب كونهما واضحين للعقول كوضوح الطريق العالي للأبصار وفيه إشارة إلى نجد الروح ونجد القلب فأبطلهما بغلبة النفس على الروح وغلبة الهوى على القلب ﴿فلا اقتحم العقبة﴾ الاقتحام الدخول في أمر شديد ومجاوزته بصعوبة، وفي «القاموس»: قحم في الأمر كنصر قحوماً رمى بنفسه فيه فجأة بلا روية والعقبة الطريق الوعر في الجبل فلم يشكر تلك النعم الجليلة بالأعمال الصالحة وعبر عنها بالعقبة لصعوبة سلوكها.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾﴾.

﴿وما أدراك ما العقبة﴾ أي: أي شيء أعلمك يا محمد ما اقتحام العقبة فإن المراد ليس العقبة الصورية واقتحامها.

﴿فك رقبة﴾ الفك الفرق بين الشيئين بإزالة أحدهما عن الآخر كفك القيد والغل وفك الرقبة الفرق بينها وبين صفة الرق بإيجاب الحرية. والرقبة: اسم العضو المخصوص ثم يعبر بها عن الجملة وجعل في التعارف أسماء للمماليك كما عبر بالرأس وبالظهر عن المركوب فقيل فلان يربط كذا رأساً وكذا ظهراً، والمعنى هو أي اقتحام العقبة اعتاق رقبة فالفك ليس تفسيراً لنفس العقبة بل لاقتحامها بتقدير المضاف؛ وذلك لأن العقبة عين والفك فعل فلا يكون تفسيراً للآخر ثم فك الرقبة قد يكون بأن ينفرد الرجل في عتق الرقبة وقد يكون بأن يعطي مكاتبه ما يصرفه إلى جهة فكاك رقبته وبأن يعين في تخليص نفس من قود أو غرم فهذا كله يعم الفك دون الاعتاق ويحتمل أن يكون المراد بفك الرقبة أن يفك المرء رقبة نفسه من عذاب الله بأن يشتغل بالأعمال الصالحة حتى يصير بها إلى الجنة ويتخلص من النار وهي الحرية الوسطى وأن يَفُكَ رقبة القلب من أسر النفس وقيد الهوى وتعلق السوى وهي الحرية الكبرى فيكون قوله: ﴿أو إطعام﴾ الخ من قبيل التخصيص بعد التعميم إشارة إلى مزيد فضل ذلك الخاص بحيث

خرج به من أن يتناول اللفظ السابق مع عمومه وقال بعضهم: تقدم العتق على الصدقة يدل على أنه أفضل منها كما هو مذهب أبي حنيفة رحمه الله، وفي الحديث: «من فك رقبة فك الله بكل عضو منها عضواً منه من النار». قال الراغب: فك الإنسان غيره من العذاب إنما يحصل بعد فك نفسه منه فإن من لم يهتد ليس في قوته أن يهدي وفك الرقبة من قبيل فك النفس لأنه من الأعمال الصالحة التي لها مدخل عظيم في فكها.

﴿أو إطعام في يوم ذي مسغبة﴾ أي: مجاعة لقحط أو غلاء من سغب إذا جاع قال الراغب: السغب الجوع مع التعب وربما قيل في العطش مع التعب فمسغبه مصدر ميمي وكذا مقربة ومتربة قيد الإطعام بيوم المجاعة لأن إخراج المال في ذلك الوقت أثقل على النفس وأوجب للأجر.

﴿يتيماً﴾ مفعول إطعام **﴿ذا مقربة﴾** أي قرابة من قرب في النسب قرباً ومقربة وقال السجاوندي: قرب قرابة أو جوار انتهى. قيد اليتيم بأن يكون بينه وبين المطعم قرابة نسبية لأنه اجتمع فيه جهتا الاستحقاق اليتم والقرابة فإطعامه أفضل لاشتماله على الصدقة وصلة الرحم.

﴿أو مسكيناً ذا متربة﴾ أي افتقار من ترب بالكسر ترباً بفتحتين ومترباً إذا افتقر كأنه لصق بالتراب من فقره وضره فليس فوقه ما يستره ولا تحته ما يوطئه ويفرشه وأما قولهم أترب فمعناه صار ذا مال كالتراب في الكثرة كما قيل أثرى وعن النبي عليه السلام، في قوله: « **﴿ذا متربة﴾** الذي مأواه المزابل» وقال ابن عباس رضي الله عنهما البعيد التربة يعني الغريب.

كما قال الكاشفي: [واين چنين كس عيال مند بود يا وام دار يابيمار بي خواستار يا غريبي دور ازديار].

وفي الحديث: «الساعي على الأرملة والمسكين كالساعي في سبيل الله، وكالقائم لا يفتر والصائم لا يفطر» يقول الفقير: خص الفك والإطعام لصعوبة العمل بهما وجعل الإطعام لليتيم والمسكين لما أن ذلك يثقل على النفس فقد ينفق المرء ألوفاً في هواه كإطعام أهل الهوى وبناء الأبنية الزائدة ونحو ذلك ولا يستكثرها وأما الفقير واليتيم فلا يراهما بصره لهوانهما عنده وعلى تقدير الرؤية فيصعب عليه إعطاء درهم أو درهمين إو إطعام لقمة أو لقمتين واحتج الشافعي رحمه الله بهذه الآية على أن المسكين قد يكون بحيث يملك شيئاً وإلا لكان تقييده بقوله **﴿ذا متربة﴾** تكراراً وهو غير جائز وفيه بحث لجواز أن يكون ذا متربة صفة كاشفة للمسكين وتكون الفائدة في التوصيف بها التصريح بجهة الاحتياج ليتضح أن إطعام الأحوج أفضل والتكرير الذي لا يجوز هو التكرير الخالي عن الفائدة وما نحن فيه ليس من هذا القبيل وفيه إشارة إلى يتيم القلب المغلوب في يد النفس والهوى ومسكين السر المذلل تحت قهر النفس وعزتها وفي «الإرشاد»: وحيث كان المراد باقتحام العقبة هذه الأمور حسن دخول لا على الماضي وليس بشرط إذ قد يكون بمعنى لم فكأنه قيل فلم يقتحم العقبة.

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾﴾

﴿ثم كان﴾ [پس باشد اين آزاد كننده وطعام دهنده]. **﴿من الذين آمنوا﴾** عطف على المنفي بلا وثم للدلالة على تراخي رتبة الإيمان عن العتق والصدقة ورفعة محله لاشتراط جميع

الأعمال الصالحة به وإلا فهو في الزمان مقدم على الطاعات، والمعنى أن الإنفاق على هذا الوجه هو الانفاق المرضي النافع عند الله لا أن يهلك مالاً لبدا في الرياء والفخار، فيكون مثله كمثل ريح فيها صر أصابت حرث قوم وفي ذكر العقبة إشارة إلى أن عقبة الآخرة لا يجوزها إلا من كان محقاً. قال المحاسبي: تلك عقبة لا يجوزها إلا من خمص بطنه عن الحرام والشبهات وتناول مقدار بقاء المهجة، وقال القاسم: العقبة نفسك ألا ترى إلى قوله ﴿**فك رقبة**﴾ فإنه أن تعتق نفسك من رق الخلق وتشغلها بعبودية ربك. ﴿**وتواصوا بالصبر**﴾ عطف على آمنوا أي: أوصى بعضهم بعضاً بالصبر على طاعة الله وعن المعاصي وفي المصائب ﴿**وتواصوا بالمرحمة**﴾ مصدر بمعنى الرحمة أي: أوصى بعضهم بعضاً بالرحمة على عباد الله أو بموجبات رحمته تعالى من الخيرات على حذف المضاف أو ذكر المسبب وإرادة السبب تنبيهاً على كماله في السببية والرحمة بهذا المعنى أعم من الرحمة بالمعنى الأول وهي الشفقة لمن يستحقها من العباد يتيماً أو فقيراً أو نحو ذلك، وفي الحديث: «لا يرحم الله من لا يرحم الناس» فقوله: ﴿**وتواصوا بالصبر**﴾ إشارة إلى التعظيم لأمر الله، وقوله: ﴿**وتواصوا بالمرحمة**﴾ إشارة إلى الشفقة على خلق الله وإلى التكميل بعد الكمال فإن الإيمان كمال في نفسه وكذا الصبر والمرحمة وغيرهما من الأعمال الصالحة والتواصي من باب تكميل الغير قال بعضهم: الإطعام خصوصاً وقت شدة الحاجة أفضل أنواع العفة والإيمان أجل أنواع الحكمة وهو الإيمان العلمي اليقيني وجاء فيه بلفظ ثم لبعد رتبته عن الفضيلة الأولى في الارتفاع والعلو لكونه الأساس والصبر على الشدائد من أعظم أنواع الشجاعة وأخره عن الإيمان لامتناع حصول فضيلة الشجاعة بدون اليقين والتراحم والتعاطف من أفضل أنواع العدالة.

﴿**أولئك**﴾ الموصوفون بالنعوت الجليلة المذكورة وفي اسم الإشارة دلة على حضورهم عند الله في مقام كرامته وعلو رتبتهم وبعد درجتهم ﴿**أصحاب الميمنة**﴾ أي: اليمين وهم الذين يعطون كتبهم بإيمانهم ويسلك بهم من طريق اليمين إلى الجنة أو أصحاب اليمن والخير والسعادة لأن الصلحاء ميامين على أنفسهم بطاعتهم وعلى غيرهم أيضاً أو أصحاب اليد اليمنى.

﴿**والذين كفروا بآياتنا**﴾ بما نصبناه دليلاً على الحق من كتاب وحجة أو بالقرآن ﴿**هم**﴾ في ضمير الغائب دلالة على سقوطهم عن شرف الحضور وأنهم أحقاء بالإخفاء ﴿**أصحاب المشأمة**﴾ أي: الشمال وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم ومن وراء ظهورهم وسلك بهم شمالاً إلى النار أو أصحاب الشؤم والشر والشقاوة لأن الفساق مشائيم على أنفسهم بمعصيتهم وعلى غيرهم أيضاً ويجب التوسل بالصلحاء والاجتناب عن الفسقاء أو أصحاب اليد اليسرى.

﴿**عليهم**﴾ خبر مقدم لقوله ﴿**نار مؤصدة**﴾ أي نار أبوابها مغلقة فلا يفتح لهم باب فلا يخرج منها غم ولا يدخل فيها روح أبد الآباد إلا أنها جعلت صفة للنار إشعاراً بإحاطتهم فأصل التركيب مؤصدة الأبواب فلما تركت الإضافة عاد التنوين إليها؛ لأنهما يتعاقبان من أوصدت الباب من المعتل الفاء وآصدته بالمد من المهموز مثل آمن إذا أطبقته وأغلته وأحكمته فمن قرأها مؤصدة بالهمزة جعلها اسم مفعول من آصدت ومن لم يهمزها أخذها من أوصدت مثل أوعد فهو موعد وذلك موعد ويحتمل أن يكون من آصد مثل آمن لكنه قلبت همزته الساكنة واو

لضمة ما قبلها للتخفيف، وكان أبو بكر بن عباس راوي عاصم يكره الهمزة في هذا الحرف ويقول لنا إمام يهمز مؤصدة فأشتهى أن أَسُدَ أذني إذا سمعته وكأنه لم يحفظه عن شيخه إلا بترك الهمزة وقد حفظه حفص بالهمزة وهو أضبط للحرف من أبي بكر على ما نقله القراء وإن كان أبو بكر أكبر وأتقن وأوثق عند أهل الحديث وفيه إشارة إلى أن نار الحجاب والخذلان والخسران مؤصدة على نفس الأمارة.

تمت سورة البلد بعون الله الأحد في خامس الثاني من الربيعين
سنة سبع عشرة ومائة وألف

٩١ ــ سورة الشمس

خمس عشرة أو ست عشرة آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ۝١ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ۝٢ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا ۝٤ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ۝٥ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ۝٦﴾.

﴿والشمس﴾ [سوكند ميخوم بآفتاب] **﴿وضحاها﴾** أي ضوئها إذا طلعت وقام سلطانها وانبسط نورها [يعني سوكند بتايش وى چون بلند كردد وبموضع چاشت رسد].

يقال: وقت الضحى أي: وقت إشراق الضوء فالضحى والضحوة مشتقان من الضح وهو نور الشمس المنبسط على وجه الأرض المضاد للظل وفيه إشارة إلى الإقسام بشمس الروح وضوئها المنتشر في البدن الساطع على النفس.

﴿والقمر إذا تلاها﴾ من التلو بمعنى التبع أي: إذا تبعها بأن طلع بعد غروبها آخذاً من نورها وذلك في النصف الأول من الشهر قال الراغب تلاه تبعه متابعة ليس بينهما ما ليس منهما وذلك يكون تارة بالجسم وتارة بالاقتداء في الحكم ومصدره تلو وتلو وتارة بالقرآن وتدبر المعنى ومصدره تلاوة ثم قال: قوله: **﴿والقمر إذا تلاها﴾** فإنما يراد به ههنا الاتباع على سبيل الاقتداء والمرتبة وذلك أنه فيما قيل إن القمر يقتبس النور من الشمس وهو لها بمنزلة الخليفة قيل وعلى هذا قوله: ﴿جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا﴾ [يونس: ٥] والضياء أعلى مرتبة من النور إذ كل ضياء نور دون العكس وفيه إشارة إلى قمر القلب إذا تلا الروح في التنور بها وإقباله نحوها واستضاءته بنورها ولم يتبع النفس فيخسف بظلمتها، قال شيخي وسندي روح الله روحه في كتاب «اللائحات البرقيات» له: إن الشمس آية للحقيقة الإلهية الكمالية الأكملية وإشارة إليها والقمر آية للحقيقة الإنسانية الكمالية الأكملية وإشارة إليها فكما أن القمر منذ خلقه الله إلى يوم القيامة كان مجلى ومظهر لتجلي نور الشمس وظهوره في الليل حتى يهتدي به أرباب الليل في الظلمات الليلية في سيرهم وسلوكهم في طرق مقاصدهم فكذلك الحقيقة الإنسانية الكمالية الأكملية منذ خلقها الله إلى أبد الآبدين كانت مجلى ومظهراً لتجلي نور الحقيقة الإلهية الكمالية الأكملية وظهوره في الكون حتى يهتدي به أرباب الكون في ظلمات الكون عند سلوكهم وسيرهم في العوالم والأطوار الكونية نزولاً عند السير إلى عالم الإمكان وعروجاً عند السلوك إلى عالم الوجوب فكما أن القمر يفنى من نوره ونفسه بالتمام في نور الشمس ونفسها بحيث لا يبقى أثر من نوره ونفسه عند المقارنة والمواصلة الحاصلة بينهما بالتوجه الشمسي القابض والإقبال الجاذب عليه ويبقى مع نوره ونفسه أي جرمه بالكمال وبنور الشمس ونفسها بحيث لا يفنى شيء

من نوره ونفسه عند المقابلة والمفارقة الكاملة الحاصلة بينهما بالإرسال إلى نفسه والبسط إلى نوره مراراً وكراراً دائماً وباقياً إلى يوم القيامة، فكذلك الحقيقة الإنسانية الكمالية الأكملية تفنى من نورها وتعينها في نور الحقيقة الإلهية الكمالية الأكملية وتعينها بالتمام بحيث لا يبقى لها أثر ما أصلاً عند الوصلة الإلهية الحاصلة في مرتبة الذات الأحدية الجمعية المطلقة بالقبض والجذب من نورها وتعينها إلى نورها وتعينها الأزلي الأبدي السرمدي وتبقى مع نورها وتعينها بنورها بحيث لا يفنى منها أثر أصلاً عند الفرقة الكونية الحاصلة في مرتبة المظهرية الكثرتية الفرقية المقيدة بالبسط والإرسال إلى نورها وتعينها مراراً وكراراً أبداً سرمداً وعند تجلي النور الشمسي والإلهي وظهوره في القمر والإنسان الكامل تدريجاً إلى حد الكمال يكمل بقاؤهما وعند استتاره واختفائه عنهما تدريجاً أيضاً إلى حد التمام يتم فناؤهما وفناؤهما على هذا الوجه من قبض جلال الحق سبحانه وبقاؤهما على ذلك النمط من بسط جماله تعالى والله يقبض ويبسط دائماً من مرتبة كماله الذاتي بيدي جلال كماله وجماله، بل يداه مبسوطتان ﴿كُلًّا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝٢٠﴾ [الإسراء: ٢٠] انتهى. كلامه قدس الله سره فإن قلت إذا ههنا ليست بشرطية لعدم جوابها لفظاً أو تقديراً حتى يعمل فيها فتكون ظرفاً مطلقاً فلا بد لها من عامل وهو في المشهور أقسم المقدر وهو إنشاء فيكون للحال وإذا للاستقبال ولا اجتماع بينهما فلا تكون ظرفاً ووقتاً له قلت إذا في أمثال هذا المقام للتعليل أي: أقسم بالقمر اعتباراً بتلوها وبالنهار اعتباراً بتجليته الشمس وبالليل اعتباراً بغشيانه إياها كما تقول أشهدك على هذا حيث كنت صالحاً متديناً أي لأجل ذلك كذا في بعض التفاسير، وقال في «القاموس» إذا تجيء للحال وذلك بعض القسم مثل ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾ [الليل: ١] ﴿وَٱلنَّجۡمِ إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١] انتهى فيكون بمعنى حين فاعرف.

﴿والنهار﴾ هو نور الشمس الذي ينسخ ظل الأرض بمحو ظلمة الليل **﴿إذا جلاها﴾** أي جلى الشمس يعني [هويد اكرد].

فإنها تتجلى عند انبساط النهار واستيفائه تمام الانجلاء فكأنه جلاها مع أنها التي تبسطه يعني لما كان انتشار الأثر وهو زمان ارتفاع النهار زماناً لانجلاء الشمس وكان الجلاء واقعاً فيه أسند فعل التجلية إليه إسناداً مجازياً مثل نهاره صائم أو جلى الظلمة أو الدنيا أو الأرض وإن لم يجر لها ذكر للعلم بها وفيه إشارة إلى نهار استيلاء نور الروح وقيام سلطانها واستواء نورها إذا جلاها وأبرزها في غاية الظهور كالنهار عند الاستواء في تجلية الشمس.

﴿والليل﴾ هو ظل الأرض الحائلة بين الشمس وبين ما وقع عليه ظلمة الليل **﴿إذا يغشاها﴾** أي الشمس فيغطي ضوءها فتغيب وتظلم الآفاق ولما كان احتجاب الشمس بحيلولة الأرض بيننا وبينها واقعاً في الليل صار الليل كأنه حجبها وغطاها فأسند التغطية والتغشية إلى الليل لذلك أو إذا يغشى الآفاق والأرض ولعل اختيار صيغة المضارع هنا على المضي للدلالة على أنه لا يجري عليه تعالى زمان فالمستقبل عنده كالماضي مع مراعاة الفواصل ولم يجيء غشاها من التغشية لأنه يتعدى إلى المفعولين وحيث كانت الواوات العاطفة نواب الواو الأولى القسمية القائمة مقام الفعل والباء سادة مسدهما معاً في قولك: أقسم بالله حق أن يعملن عمل الفعل والجار جميعاً، كما تقول ضرب زيد عمراً وبكر خالداً فترفع بالواو وتنصب لقيامها مقام ضرب الذي هو عاملهما فاندفع ما يورد ههنا من أن تلك الواوات إن كانت عاطفة يلزم العطف على معمولي عاملين مختلفين وإن كانت قسمية يلزم تعداد القسم مع وحدة الجواب وحاصل

الدفع اختيار الشق الأول ومنع لزوم المحذور وفيه إشارة إلى ليل النفس عند غشيانه بظلمتها شمس نهار الروح وهو أيضاً آية من آياته الكبرى لأن الليل مظهر الاسم المضل فيجوز القسم به كما جاز القسم بالنهار نظراً إلى أنه مظهر الاسم الهادي.

﴿والسماء وما بناها﴾ أي: ومن بناها على غاية العظم ونهاية العلو وهو الله تعالى وإيثار ما على من لإرادة الوصفية تعجباً لأن ما يسأل بها عن صفة من يعقل كأنه قيل والقادر العظيم الشان الذي بناها وكذا الكلام في قوله:

﴿والأرض وما طحاها﴾ أي: ومن بسطها من كل جانب على الماء كي يعيش أهلها فيها والطحو كالدحو بمعنى البسط وإبدال الطاء من الدال جائز وإفراد بعض المخلوقات بالذكر وعطف الخالق عليه والإقسام بهما ليس لاستوائهما في استحقاق التعظيم بل النكتة في الترتيب أن يتبين وجود صانع العالم وكمال قدرته ويظفر العقل بإدراك جلال الله وعظمة شأنه حسبما أمكن فإنه تعالى لما أقسم بالشمس التي هي أعظم المحسوسات شرفاً ونفعاً ووصفها بأوصافها الأربعة وهي ضوؤها وكونها متبوعة للقمر ومتجلية عند ارتفاع النهار ومختفية متغطية بالليل ثم أقسم بالسماء التي هي مسير الشمس وأعظم منها فقد نبه على عظمة شأنهما لما تبين إن الأقسام بالشيء تعظيم له ومن المعلوم أنهما لحركاتهما الوضعية وتغير أحوالهما من الأجسام الممكنة المحتاجة إلى صانع مدبر كامل القدرة بالغ الحكمة فتوسل العقل بمعرفة أحوالهما وأوصافهما إلى كبرياء صانعهما فكان الترتيب المذكور كالطريق إلى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات إلى يفاع عالم الربوبية وبيداء كبريائه الصمدية وفيه إشارة إلى سماء الأرواح وأرض الأجساد.

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾.

﴿ونفس وما سواها﴾ أي ومن أنشأها وأبدعها مستعدة لكمالاتها والتنكير للتفخيم على أن المراد نفس آدم عليه السلام، أو للتكثير وهو الأنسب للجواب وذكر في تعريف ذات الله تعالى السماء والأرض والنفس لأن الاستدلال على الغائب لا يمكن إلا بالشاهد والشاهد ليس إلا العالم الجسماني، وهو إما علوي بسيط كالسماء، وإما سفلي بسيط كالأرض، وإما مركب وهو أقسام أشرفها ذوات الأنفس وقد استدل بعطف ما بعدها على ما قبلها على عدم جواز تقدير المضاف فيه مثل ورب الشمس وكذا في غيره إذا المقدر في المعطوف عليه يقدر في المعطوف فيكون التقدير ورب ما بناها ورب ما طحاها ورب ما سواها وبطلانه ظاهر فإن الظاهر أن تكون في مواضعها موصولة فاعرف وسيجيء شرح النفس وتسويتها عند أهل التأويل إن شاء الله تعالى.

﴿فألهمها فجورها وتقواها﴾ الفاء إن كانت لسببية التسوية فالأمر ظاهر وإن كانت لتعقيبها فلعل المراد منها إتمام ما يتوقف عليه الإلهام من القوى الظاهرة والباطنة والإلهام إلقاء الشيء في الروع إما من جهة الله أو من جهة الملاء الأعلى وأصل إلهام الشيء ابتلاعه والفجور شق ستر الديانة قدم على التقوى لمراعاة الفواصل أو لشدة الاهتمام بنفيه لأنه إذا انتفى الفجور وجدت التقوى فقدم ما هم بشأنه أعني، والمعنى أفهم النفس إياهما وعرفها حالهما من الحسن

والقبح وما يؤدي إليه كل منهما ومكنها من اختيار أيهما شاءت قال بعض الكبار: الإلهام لا يكون إلا في الخير فلا يقال في الشر ألهمني الله كذا وأما قوله تعالى: ﴿**فألهمها فجورها وتقواها**﴾ فالمراد فجورها لتجتنبه لا لتعمل به وتقواها لتعمل به إذ ليس في كلام الله تناقض أبداً، وقال بعضهم: لا يخفى أن محل الإلهام هو النفس قال تعالى: ﴿**فألهمهما فجورها**﴾ فأعلمنا أن الفاعل في الإلهام هويته تعالى لا غيره لكن ألهم النفس فجورها لتعلمه ولا تعمل به وتقواها لتعلمه وتعمل به فهو في قسم الفجور إلهام إعلام لا إلهام عمل ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ [الأعراف: ٢٨] وكما لا يأمر بالفحشاء لا يلهم بها فإنه لو ألهم بها ما قامت الحجة لله على العبد فهذه الآية مثل قوله: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ١٠] أي بينا له الطريقين وقال بعضهم لم ينسب سبحانه إلى النفس خاطر المباح ولا إلهامه فيها وسبب ذلك أن المباح لها ذاتي فبنفس ما خلق عينها ظهر المباح فهو من صفاتها النفسية التي لا تعقل النفس إلا بها فخاطر المباح نعت خاص كالضحك للإنسان.

وفي «التأويلات النجمية»: تدل الآية على كون النفوس كلها حقيقة واحدة متحدة تختلف باختلاف توارد الأحوال والأسماء فإن حقيقة النفس المطلقة من غير اعتبار حكم معها إذا توجهت إلى الله توجهاً كلياً سميت مطمئنة وإذا توجهت إلى الطبيعة توجهاً كلياً سميت أمارة وإذا توجهت تارة إلى الحق بالتقوى وتارة أخرى إلى الطبيعة البشرية بالفجور سميت لوامة انتهى. وفي الخبر الصحيح عن عمران بن حصين رضي الله عنه، سأل رجل من جهينة أو مزينة رسول الله ﷺ ما يعمل الناس ويكدحون فيه أشيء قضي عليهم أم شيء يستقبلونه؟ فقال عليه السلام: «بل قضى عليهم قال: فيم العمل إذا يا رسول الله فقال عليه السلام: من كان خلقه الله لإحدى المنزلتين يهيئه الله لها ثم تلا الآية» وقال ابن عباس رضي الله عنهما كان رسول الله عليه السلام يقول عند الآية: «اللهم آت نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها أنت وليها ومولاها».

﴿**قد أفلح من زكاها**﴾ جواب القسم وحذف اللام لطول الكلام وقال الزجاج طول الكلام صار عوضاً عن اللام وإنما تركه «الكشاف» وغيره؛ لأنه يوجب الحذف والحذف لا يجب مع الطول ولم يجعل كذبت جواباً لأن إقسام الله إنما يؤكد به الوعد أو الظفر وإدراك البغية وهو دنيوي كالظفر بالسعادات التي تطيب بها الحياة الدنيا من الغنى والعز والبقاء مع الصحة ونحوها وأخروي وهو بقاء فلا فناء وغنى بلا فقر وعز بلا ذل وعلم بلا جهل ولذلك قيل لا عيش إلا عيش الآخرة وأصل الزكاة الزيادة والنمو ومنه زكا الزرع إذا حصل فيه نمو كثير وبركة ومنه تزكية القاضي الشاهد لأنه يرفع قدره بالتعديل ومنه الزكاة لما يخرج الإنسان من حق الله إلى الفقراء لما فيها من رجاء البركة أو لتزكية النفس، أي تنميتها بالخيرات والبركات أولهما جميعاً فإن الخيرين موجودان فيها والمعنى قد فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنمى النفس وأعلاها بالتقوى أي: رفعها وأظهرها وشهرها بها فأهل الصلاح يظهرون أنفسهم ويشهرونها بما سطع من أنوار تقواهم إلى الملاء الأعلى وبملازمتهم مواضع الطاعات ومحافل الخيرات بخلاف أهل الفسق فإنهم يخفون أنفسهم ويدسونها في المواضع الخفية لا يلوح عليهم سيما سعادة يشتهرون به بين عباد الله المقربين وأصل هذا أن أجواد العرب كانوا ينزلون في أرفع المواضع ويوقدون النار للطارقين لتكون أشهر، واللئام ينزلون الأطراف والهضاب لتخفي أماكنهم عن الطالبين فأخفوا أنفسهم فالبار أيضاً أظهر نفسه بأعمال البر والفاجر دسها وتستعمل

التزكية بمعنى التطهير أيضاً كما قال في «القاموس»: الزكاة صفوة الشيء وما أخرجته من مالك لتطهره به فالمعنى قد أفلح من طهر نفسه من المخالفات الشرعية عقداً وخلقاً وعملاً وقولاً فقد أقسم تعالى بسبعة أشياء على فلاح من زكى نفسه ترغيباً في تزكيتها.

[وابن عباس رضي الله عنهما، روايت كرده كه حضرت رسول الله ﷺ نزديك تلاوت اين آيت فرمودى كه تزكيهٔ أنفس موجب تزكيهٔ دل است هركاه كه نفس از شوب هوا مزكى شود في الحال دل ازلوث تعلق بما سوى مصفى كردد].

تا نفس مبراز مناهى لشود دل آيينهٔ نور الهي نشود

وكون أفعال العبد بتقدير الله تعالى وخلقه لا ينافي إسناد الفعل إلى العبد فإنه يقال ضرب زيد ولا يقال ضرب الله مع أن الضرب بخلقه وتقديره وذلك لأن وضع الفعل بالنسبة إلى الكاسب. قال الراغب: وبزكاء النفس وطهارتها يصير الإنسان بحيث يستحق في الدنيا الأوصاف المحمودة وفي الآخرة الأجر والمثوبة وهو أن يتحرى الإنسان ما فيه تطهيره وذلك ينسب تارة إلى العبد لاكتسابه ذلك نحو قد أفلح من زكاها وتارة إلى الله لكونه فاعلاً لذلك في الحقيقة نحو ﴿بَلِ ٱللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٩] وتارة إلى الشيء لكونه واسطة في وصول ذلك إليهم نحو ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣] وتارة إلى العبادة التي هي آلة في ذلك نحو ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾ [مريم: ١٣] انتهى ﴿**وقد خاب من دساها**﴾ في «القاموس»: خاب يخيب خيبة حرم وخسر وكفر ولم ينل ما طلب وأصل دسى دسس كتقضي البازي وتقضض من التدسيس وهو الإخفاء مبالغة الدس واجتماع الأمثال لما أوجب الثقل قلبت السين الأخيرة ياء، وقال الراغب: الدس إدخال الشيء في الشيء بضرب من الإكراه ودساها أي دسسها في المعاصي انتهى، والمعنى قد خسر من نقصها وأخفاها بالفجور وبإرسالها في المشتهيات الطبيعية، وقال شيخي وسندي قدس سره: في قوله تعالى ﴿**ونفس..**﴾ الخ: المراد بالنفس هنا الذات والحقيقة الجمعية الإنسانية الكمالية المخلوقة على الصورة الإلهية الجمعية الكمالية لتكون مرءآة لها كما ورد خلق الله آدم على صورته ويقال لها النفس الناطقة المدبرة للبدن. ﴿**وما سواها**﴾ أي: خلقها مستوية قابلة لتكون مجلى لتجليات تعينات الكمال والجلال والجمال ومتوسطة ممكنة لتكون مظهراً لظهورات الذات والصفات والأفعال ومعتدلة صالحة لتكون مشهداً لمشاهدات آثار الأسماء والمراتب والأحوال وبهذه القابلية الجامعة بين القبضتين الجمال والجلال كانت أتم كل موجود فألهمها أي أفاض عليها بوساطة سادة الجلال فجورها أي آثار الجلال المندرج في جمعية حقيقتها البرزخية وأحكامه وأحواله من العقائد والعلوم والأعمال والمذاهب وغير ذلك مما تفجر وتميل فيه من الحق إلى الباطل فتجازي بالخسران وتقواها وأفاض عليها بوساطة خادم الجمال، أي: آثار الجمال وأموره وأحكامه من كلمة التوحيد العلمي الرسمي المنافي للشرك والكفر والهوى الجلي وسائر الفساد في مرتبة الشريعة والطريقة ومن كلمة التوحيد العيني الحقيقي المزيل للشرك والكفر والهوى الخفي وباقي الكساد في مرتبة المعرفة والحقيقة ومن غيرهما من لطائف العلوم والمعارف ومحاسن الأعمال والأحوال ومكارم الأخلاق والصفات. ﴿**قد أفلح**﴾ أي: دخل في الفلاح في جميع المراتب صورة وحقيقة من زكاها من طهرها من رذائل آثار الجلال في جميع الأطوار. ﴿**وقد خاب**﴾ أي: حرم من الفلاح. ﴿**من دساها**﴾ أي: أخفى فيها الآثار الجلالية والصفات النفسانية وكتم

فيها العيوب والقبائح الشيطانية والأهواء والشهوات البهيمية، والأعمال النفسانية وكتم فيها العيوب والقبائح الشيطانية والأهواء والشهوات البهيمية والأعمال والأخلاق الرديئة ولم يعالجها بأضدادها بل أهملها عن التربية في مرتبة الشريعة بالتقوى والصلاح وعن التزكية في مرتبة الطريقة بالمجاهدة والإصلاح وساعدها في هواها وشهواتها في النيات والمقصود والأعمال والأقوال وصارت حركاتها وسكناتها جميعاً بالأهواء انتهى. باختصار فإن كلامه رحمه الله في هذه الآية يبلغ إلى نصف جزء بل أكثر.

﴿**كذبت ثمود**﴾ المراد القبيلة ولذا قال: ﴿**بطغواها**﴾ وهو استئناف وارد لتقرير مضمون قوله تعالى: ﴿**وقد خاب من دساها**﴾ فإن الطغيان أعظم أنواع التدسية والطغوى بالفتح مصدر بمعنى الطغيان إلا أنه لما كان أشبه برؤوس الآيات اختير على لفظ الطغيان وإن كان الطغيان أشهر وفي «الكشف»: الطغوى من الطغيان فصلوا بين الاسم والصفة في فعلى من بنات الياء بأن قلبوا الياء واواً في الاسم وتركوا القلب في الصفة فقالوا امرأة خزياً وصدياً من الخزى بالفتح والقصر بمعنى الاستحياء ومن الصدى بمعنى العطش والباء للسببية، أي: فعلت التكذيب بسبب طغيانها كما تقول ظلمني بجرأته على الله فالفعل منزل منزلة اللازم فلا يقدر له مفعول وهو المشهور أو كذبت ثمود نبيها صالحا عليه السلام فحذف المفعول للعلم به وفيه إشارة إلى أن العصيان إذا اشتد بلغ الكفر ويجوز أن تكون الباء صلة للتكذيب أي كذبت بما أوعدت به من العذاب ذي الطغوى والتجاوز عن الحد وهو الصيحة كقوله تعالى: ﴿فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة: ٥] أي: بصيحة ذات طغيان.

﴿إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٥﴾﴾.

﴿**إذ انبعث أشقاها**﴾ منصوب بكذبت أو بالطغوى أي حين قام أشقى ثمود وهو قدار بن سالف امتثالاً لأمر من بعثه إليه فإن انبعث مطاوع لبعث يقال بعثت فلاناً على أمر فانبعث له وامتثل، قال في «كشف الأسرار»: الانبعاث الإسراع في الطاعة للباعث أو حين قام قدار ومن تصدى معه لعقر الناقة من الأشقياء فإن أفعل التفضيل إذا أضيف يصلح للواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث، ويدل على الأول قوله تعالى في سورة القمر ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾﴾ [القمر: ٢٩] فإنه يدل على أن المباشر واحد معين وفضل شقاوتهم على من عداهم مباشرتهم العقر مع اشتراك الكل في الرضى به.

﴿**فقال لهم**﴾ أي: لثمود ﴿**رسول الله**﴾ لما علم ما عزموا عليه وهو صالح عليه السلام ابن عبيد بن جابر بن ثمود بن عوص بن إرم فالإضافة للعهد عبر عنه بعنوان الرسالة إيذاناً بوجوب طاعته وبياناً لغاية عتوهم وتماديهم في الطغيان. ﴿**ناقة الله**﴾ منصوب على التحذير وإن لم يكن من الصور التي يجب فيها حذف العامل والناقة بالفارسية اشتر ماده أضيفت إليه تعالى للتشريف كبيت الله، أي ذروا ناقة الله الدالة على وحدانيته وكمال قدرته وعلى نبوتي واحذروا عقرها. ﴿**وسقياها**﴾ يعني شربها وهو نصيبها من الماء ولا تطردوها عنه في نوبتها فإنها كان لها شرب يوم معلوم ولهم ولمواشيهم شرب يوم آخر، وكانوا يستضرون بذلك في مواشيهم فهموا بعقرها. ﴿**فكذبوه**﴾ أي: رسول الله في وعيده بقوله ولا تمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب.

﴿فعقروها﴾ أي: الأشقى والجمع على تقدير وحدته لرضى الكل بفعله قال السهيلي: العاقر قدار بن سالف وأمه قديرة وصاحبه الذي شاركه في عقر الناقة اسمه مصدع بن وهراوا بن جهم والعقر النحر وقدم التكذيب على العقر لأنه كان سبب العقر، وفي الحديث قال عليه السلام لعلي: «يا علي أتدري من أشقى الأولين؟ قال: الله رسوله أعلم قال: عاقر الناقة، قال: أتدري من أشقى الآخرين؟ قال: الله ورسوله أعلم قال: قاتلك» وذلك أن الناقة إشارة إلى ناقة الروح فكما أن عقرها بالظلمة النفسانية والشهوات الحيوانية من مزيد شقاوة النفس فكذا قتل علي رضي الله عنه فإنه كان مظهراً لروحانية نبينا عليه السلام ولذا كان وارثه الأكبر في مقام الحقيقة فالقصد إلى علي الولي رضي الله عنه قصد إلى محمد النبي عليه السلام ولا شقاوة فوق الشقاوة من قابل مظهر الرحمة الكلية بالغضب وانتقام.

﴿فدمدم عليهم ربهم﴾ فأطبق عليهم العذاب وهو الصيحة الهائلة وهو من تكرير قولهم ناقة مدمومة إذا طليت بالشحم وأحيطت بحيث لم يبق منها شيء لم يمسه الشحم ودم الشيء سده بالقير ودممت على القبر وغيره إذا أطبقت عليه ثم كررت الدال للمبالغة في الإحاطة فالدمدمة من الدمدم كالكبكبة من الكب، قال في «كشف الأسرار»: تقول العرب دممت على فلان ثم تقول من المبالغة دممت بالتشديد ثم تقول من تشديد المبالغة دمدمت والتركيب يدل على غشيان الشيء الشيء ﴿بذنبهم﴾ أي: بسبب ذنبهم المحكي والتصريح بذلك مع دلالة الفاء عليه للإنذار بعاقبة الذنب ليعتبر به كل مذنب. ﴿فسواها﴾ أي: الدمدمة والإهلاك بينهم لم يفلت منهم أحد من صغير وكبير أو فسوى ثمود بالأرض.

روي أنهم لما رأوا علامات العذاب طلبوا صالحاً عليه السلام أن يقتلوه فأنجاه الله كما قال في سورة هود: ﴿فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا﴾ [هود:٦٦].

﴿ولا يخاف عقباها﴾ الواو للاستئناف أو للحال من المنوي في فسواها الراجع إلى الله تعالى، أي فسواها الله غير خائف عاقبة الدمدمة وتبعتها أو عاقبة هلاك ثمود كما يخاف سائر المعاقبين من الملوك والولاة فيترحم بعض الترحم وذلك أن الله تعالى لا يفعل إلا بحق وكل من فعل بحق فإنه لا يخاف عاقبة ولا يبالي بعاقبة ما صنع وإن كان من شأنه الخوف وقال بعضهم: ولا يخاف هو أي: قدار ولا هم ما يعقب عقرها ويتبعه وما يترتب عليه من أنواع البلاء والمصيبة والعقاب مع أن صالحاً عليه السلام قد أخبرهم بها.

تمت سور الشمس في أوائل شهر ربيع الآخر

٩٢ ـ سورة الليل

إحدى وعشرون آية مكية وقيل فيها مكي ومدني

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ (١) وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ (٢) وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ (٣) إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ (٤) فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ (٥)﴾.

﴿والليل إذا يغشى﴾ إذا للحال لكونها بعد القسم كما مر في السورة السابقة أي: أقسم بالليل حين يغشى الشمس ويغطيها ويسترها، كقوله: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا (٤)﴾ [الشمس: ٤] فعدم ذكر المفعول للعلم به أو النهار أو كل ما يواريه بظلامه فعدم ذكر المفعول للتعميم والليل عند أهل النجوم ما بين غروب الشمس وطلوعها وعند أهل الشرع ما بين غروبها وطلوع الفجر الصادق لعله المراد هنا والنهار ما يقابله.

وفي «كشف الأسرار»: [الله تعالى شب رامرتبتي وشرفي دادكه آنرا درقرآن مجيد محل قسم خود كردنيد واين شرف ازان يافت كه شب درآيد دوستان خداتنها در مناجات شوند همه شب شراب صفامي نوشند وخلعت رضا مي پوشند وعتاب محبوب مي نيوشند وچون وقت سحر باشدكه فرمان رسد تادرهاي اين قبهٔ پيروزه باز كشايند ودامنهای سراد قات عرش مجيد براندازند ومقربان حضرت بامر حق خاموش شوند آنكه جبار كائنات در علو وكبرياي خود خطاب كندكه إلا قد خلا كل حبيب بحبيبه فأين أحبائي يعني هر دوستى بادوست خود در خلوت وشادى آمدند دوستان من كجا اند].

الليل داج والعصاة نيام والعابدون لذي الجلال قيام

﴿والنهار إذا تجلى﴾ ظهر بزوال ظلمة الليل أي: إن كان المغشى غير الشمس أو تبين وتكشف بطلوع الشمس أي: كان المغشى الشمس واختلاف الفاصلتين بالمضي والاستقبال لما ذكرنا في السورة السابقة وفيه إشارة إلى القسم بليل غيب الهوية المطلقة إذا يغشى نهار التعينات الاعتبارية على أهل الذوق والشهود وبنور نهار الوجودات المقيدة إذا تجلى بسبب التعينات العقلية بالنسبة إلى أهل الحجاب والاحتجاب. وقال القاشاني: أقسم بليل ظلمة النفس إذا ستر نور الروح إذا تجلى وظهر من اجتماعهما وجود القلب الذي هو عرش الرحمن فإن القلب يظهر باجتماع هذين له وجه إلى الروح يسمى الفؤاد يتلقى به المعارف والحقائق ووجه إلى النفس يسمى الصدر يحفظ به السرائر ويتمثل فيه المعاني.

﴿وما خلق الذكر والأنثى﴾ ما عبارة عن صفة العالم كما في ﴿وما بناها﴾ وإنها لتوغلها في لإبهام أفادت أن الوصف الذي استعملت هي فيه بالغ إلى أقصى درجات القوة والكمال

بحيث كان مما لا يكتنه كنهه وأنه لا سبيل للعقل إلى إدراكه بخصوصه وإنما الممكن هو إدراكه بأمر عام صادق واللامان للحقيقة ويجوز أن يكونا للاستغراق أي: والقادر العظيم القدرة الذي خلق صنفي الذكر والأنثى من كل نوع له توالد فخرج مثل البغل والبغلة، وقيل إن الله لم يخلق خلقاً من ذوي الأرواح ليس بذكر ولا أنثى والخنثى وإن أشكل أمره عندنا فهو عند الله غير مشكل معلوم بالذكورة أو الأنوثة فلو حلف بالطلاق أنه لم يلق يومه ذكراً ولا أنثى وقد لقي خشي مشكلاً كان حانثاً لأنه في الحقيقة إما ذكر أو أنثى وإن كان مشكلاً عندنا كما في «الكشاف»، وقيل: إنهما آدم وحواء عليهم السلام على أن اللام للعهد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ﴾ [الحجرات: ١٣] وعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يقرأ والذكر والأنثى قال علقمة قدمنا الشأم فأتانا أبو الدرداء رضي الله عنه فقال: أفيكم من يقرأ قراءة عبد الله بن مسعود فأشاروا إلي، فقلت: نعم أنا، فقال: كيف يقرأ هذه الآية، قلت: سمعته يقرأ والذكر والأنثى قال وأنا هكذا والله سمعت رسول الله عليه السلام يقرأها وهؤلاء يريدونني على أن أقرأها وما خلق فلا أتابعهم، وفيه إشارة إلى الذكر الذي هو الروح والأنثى التي هي النفس وقد ولد القلب من ازدواجهما وعند بعض العارفين الليل ذكر والنهار أنثى كما سبق في النازعات.

﴿إن سعيكم لشتى﴾ جواب القسم والمصدر بمعنى الجمع لما عرف أن المصدر المضاف من صيغ العموم ولذلك أخبر عنه بالجمع، وشتى جمع شتيت كمرضى ومريض وهو المفترق المتشتت والمعنى أن مساعيكم أي: أعمالكم المختلفة حسب اختلاف الاستعدادات الأزلية فبعضها حسن نافع خير صالح وبعضها قبيح ضار شر فاسد وفي الحديث: «الناس عاديان فمبتاع نفسه فمعتقها أو بائع نفسه فموبقها». قال القاشاني: إن سعيكم أشتات مختلفة لانجذاب بعضكم إلى جانب الروح والتوجه إلى الخير لغلبة النورية وميل بعضكم إلى جانب النفس والانهماك في الشر لغلبة لظلمة، وقال بعضهم: باطن هذه الآية أن يرى سعيه قسمة من الحق له من قبل التكوين والتخليق لقوله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ﴾ [الزخرف: ٣٢] وإن السعي له مراتب كمراتب المتصلين بالسلطان من الندماء والجلساء وأصحاب الأسرار فسعي بالنفوس لطلب الدرجات وبالعقول لطلب الكرامات وبالقلوب لطلب المشاهدات وبالأرواح لطلب المداناة وبالأسرار لفنائها في أنوار الذات وبقائها في أنوار الصفات وسعي بالإرادة وبالمحبة وبالشوق وبالعشق وبالمعرفة إلى غير ذلك.

﴿فأما﴾ تفصيل لتلك المساعي المتشتتة وتبين لأحكامهما. ﴿من أعطى﴾ حقوق ماله ﴿واتقى﴾ محارم الله التي نهى عنها ومن جملتها المن والأذى.

﴿وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٦﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ﴿٨﴾ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ﴿٩﴾ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ﴿١٠﴾﴾.

﴿وصدق بالحسنى﴾ بالخصلة الحسنى وهي الإيمان أو بالكلمة الحسنى وهي كلمة التوحيد أو بالملة الحسنى وهي ملة الإسلام أو المثوبة الحسنى وهي الجنة. ﴿فسنيسره لليسرى﴾ معنى التيسير التهيئة لا ما يقابل التعسير ومنه قوله: «كل ميسر لما خلق له» فلا حاجة إلى أن يقال استعمل التيسير في العسرى على المشاكلة كما في قوله تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ﴾ [الشورى: ٤٠] أو على حسب قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الانشقاق: ٢٤] [يقال يسر الفرس للركوب إذا

أسرجها وألجمها واليسرى تأنيث الأيسر والمعنى فسنهيئه ونوفقه للخصلة التي تؤدي إلى يسر وراحة كدخول الجنة ومباديه وبالفارسية پس زود باشدكه آساني دهيم ويرا براي طريقت نيكوكه سبب آسابي راحت باشد يعني عملي كه اورا به بهشت رساند].

فوصف الخصلة باليسرى مجاز باعتبار كونها مؤدية إلى اليسرى وفيه إشارة إلى أن من طهر نفسه بالطاعة بالإقبال على الله والإعراض عن الدنيا واتقى في عين تلك الطاعة عن نسبتها إلى نفسه وصدق في باطنه بالكلمة الحسنى فسنيسره للخصلة اليسرى وهي الوصول إلى حضرتنا العليا وسراد قاتنا الكبرى.

﴿وأما من بخل﴾ أي: بماله فلم يبذله في سبيل الخير والبخل إمساك المقتنيات عما لا يحق حبسها عنه ويقابله الجود. **﴿واستغنى﴾** زهد فيما عنده تعالى أي: لم يرغب كأنه مستغن عنه فلم يتق أو استغنى بشهوات الدنيا عن نعيم الآخرة فلم يتق فيكون الاستغناء مستتبعاً لعدم الاتقاء الذي هو مقابل الاتقاء في الآية الأولى وبه يحصل التقابل بينهما. **﴿وكذب بالحسنى﴾** أي: ما ذكر من المعاني المتلازمة. **﴿فسنيسره للعسرى﴾** أي: فسنهيئه للخصلة المؤدية إلى العسر والشدة كدخول النار ومقدماته لاختياره لها وبالفارسية [پس مهيا كردانيم مرورا براي صفتي كه مؤدي بدشوارى ومحنت بود يعني كردارى كه اورا بدوزخ برد].

ولعل تصدير القسمين بالإعطاء والبخل مع أن كلاً منهما أدنى رتبة مما بعدهما في استتباع التيسير لليسرى والتيسر للعسرى للإيذان بأن كلا منهما أصيل فيما ذكر لا تتمة لما بعدهما من التصديق والتقوى والتكذيب والاستغناء والظاهر أن السين للدلالة على الجزاء الموعود بمقابلة الطاعة والمعصية وهو يكون في الآخرة التي هي أمر متراخ منتظر فأدخلت السين وهي حرف التراخي ليدل بذلك على أن الوعد آجل غير حاضر كذا في بعض التفاسير وفيه إشارة إلى أن من بخل في نفسه بالطاعة والعبادة الروحية والسرية والقلبية واستغنى عن الإقبال علينا وكذب بالحسنى التي أعطيناها إياه من سلامة الأعضاء والجوارح والجاه والمال فسنيسره للعسرى وهي البعد عنا والطرد واللعن ودخول نار الحجاب.

﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾﴾.

﴿وما يغني عنه ماله﴾ أي شيئاً من العذاب فالمفعول محذوف أو أي: شيء يغني عنه ماله الذي يبخل به أي لا يغني شيئاً فما مفعول يغني والاستفهام للإنكار **﴿إذا تردى﴾** أي: هلك ومات تفعل من الردى للمبالغة والردى كالعصا وهو الهلاك. قال الراغب: الردى الهلاك والتردي التعرض للهلاك انتهى. أو تردى وسقط في الحفرة إذا قبر أو تردى في قعر جهنم فالمال الذي ينتفع به الإنسان في الآخرة وقت حاجته هو الذي أعطى حقوقه وقدمه دون الذي بخل به وتركه لوارثه وفيه إشارة إلى أنه إذا تردى وتصدى لمخالفتنا وموافقته الطبيعة البشرية أي شيء له يخلصه من غضبنا وقهرنا عند تجلينا له بصورة القهر والنقمة **﴿إن علينا للهدى﴾** استئناف مقرر لما قبله أي إن علينا بموجب قضائنا المبني على الحكم البالغة حيث خلقنا الخلق للعبادة أن نبين لهم طريق الهدى وما يؤدي إليه من طريق الضلال وما يؤدي إليه وقد فعلنا ذلك بما لا مزيد عليه حيث بينا حال من سلك كلا الطريقين ترغيباً وترهيباً ومن هنا تبين أن الهداية

هي الدلالة على ما يوصل إلى البغية لا الدلالة الموصلة إليها قطعاً، وأن المراد بالوجوب المفهوم من على الوجوب بموجب القضاء ومقتضى الحكمة فلا تكون الآية بظاهرها دليلاً على وجوب الأصلح عليه تعالى كما يزعم المعتزلة.

قال القاشاني: إن علينا للهدى بالإرشاد إلينا بنور العقل والحس والجمع بين الأدلة العقلية والسمعية والتمكين على الاستدلال والاستبصار.

﴿**وإن لنا للآخرة والأولى**﴾ أي: التصرف الكلي فيهما كيفما نشاء من الأفعال التي من جملتها ما وعدنا من التيسير لليسرى والتيسير للعسرى.

﴿**فأنذرتكم**﴾ خوفتكم بالقرآن وبالفارسية [پس بيم كنم شمارا].

أي يا أهل مكة ﴿**ناراً**﴾ [از آتشى كه] ﴿**تلظى**﴾ [زبانه زند] وهو بحذف إحدى التاءين من تتلظى أي: تتلهب فإن النار مؤنث وصفت به ولو كان ماضياً لقيل تلظت مع أن المراد بوصفها دوام التلظي بالفعل الاستمراري وفي بعض التفاسير المراد من أنذرتكم إنشاء الإنذار كقولهم بعت واشتريت أو إخبار يراد به الإنذار السابق في مثل قوله تعالى في سورة المدثر: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر: ٢٦ ـ ٢٩] فإنها لأول سورة نزلت عند الأكثرين وهذا أشد تخويفاً من أن يقال خافوا واتقوا ناراً تلظى.

﴿**لا يصلاها**﴾ صلياً لازماً ولا يقاسي حرها ﴿**إلا الأشقى**﴾ الزائد في الشقاوة وهو الكافر فإنه أشقى من الفاسق وفي «كشف الأسرار»: يعني الشقي والعرب تسمي الفاعل أفعل في كثير من كلامهم منه قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وقوله ﴿وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] انتهى فالفاسق لا يصلاها صلياً لازماً ولا يدخلها دخولاً أبدياً وقد صرح به قوله تعالى: ﴿**الذي كذب وتولى**﴾ أي كذب بالحق واعرض عن الطاعة وليس هذا إلا الكافر.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾.

﴿**وسيجنبها**﴾ أي: سيبعد عنها بحيث لا يسمع حسيسها والفاعل المجنب المبعد هو الله وبالفارسية [وزود بودكه دور كرده شودازان آتش] ﴿**الأتقى**﴾ المبالغ في الاتقاء عن الكفر والمعاصي فلا يحوم حولها فضلاً عن دخولها أو صليها الأبدي وأما من دونه ممن يتقي الكفر دون المعاصي وهو المؤمن الشقي الفاسق الغير التائب فلا يبعد عنها هذا التبعيد بل يصلاها وإن لم يذق شدة حرها كما ذاق الكافر لكونه في الطبقة الفوقانية من طبقات النار فذلك لا يستلزم صليها بالمعنى المذكور فلا يقدح في الحصر السابق، وفي «كشف الأسرار»: الأتقى بمعنى التقي كالأشقى بمعنى الشقي قال الشاعر:

تمنى رجال أن أموت وإن أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد

أي بواحد انتهى.

﴿**الذي يؤتي ماله**﴾ يعطيه ويصرفه في وجوه البر والحسنات ﴿**يتزكى**﴾ إما بدل من يؤتي داخل في حكم الصلة لا محل له أو في حيز النصب على أنه حال من ضمير يؤتى أي: يطلب أن يكون عند الله زاكياً نامياً لا يريد به رياء ولا سمعة أو متزكياً متطهراً من الذنوب ومن دنس البخل ووسخ الإمساك.

﴿**وما لأحد عنده من نعمة تجزى**﴾ استئناف مقرر لكون إيتائه للتزكي خالصاً لوجه الله أي: ليس لأحد عنده نعمة ومنة من شأنها أن تجزى وتكافأ فيقصد بإيتاء ما يؤتي مجازاتها.

﴿**إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى**﴾ استثناء منقطع من نعمة لأن ابتغاء وجه ربه ليس من جنس نعمة تجزى فالمعنى لكن فعل ذلك ابتغاء وجه ربه الأعلى أي لابتغاء ذاته وطلب رضاه فهو في الحقيقة مفعول له وما أتي من المال مكافأة على نعمة سالفة فذلك يجري مجرى أداء الدين فلا يكون له دخل في استحقاق مزيد الثواب وإنما يستحق الثواب إذا كان فعله لأجل أن الله أمره به وحثه عليه ومعنى الأعلى العلي الرفيع فوق خلقه بالقهر والغلبة كما قاله أبو الليث.

وقال القاشاني: وصف الوجه الذي هو الذات الموجودة مع جميع الصفات بالأعلى لأن لله تعالى بحسب كل اسم وجهاً يتجلى به لمن يدعوه بلسان حاله بذلك الاسم ويعبده باستعداده والوجه الأعلى هو الذي له بحسب اسمه الأعلى الشامل لجميع الأسماء وإن جعلته وصفاً لرب فالرب هو ذلك الاسم انتهى. والآية نزلت في حق أبي بكر الصديق رضي الله عنه، حين اشترى بلالاً رضي الله عنه في جماعة كعامر بن فهيرة وأخيه وعبيد وزنيرة كسكينة وهي مملوكة رومية وابنتها أم عميس وأمة بني المؤمل والنهدية ابنتها وكانت زنيرة ضعيفة البصر، فقال المشركون اذهب اللات والعزى بصرها لما خالفت دينهما فرد الله بصرها بعد ذلك وكان المشركون يؤذون هؤلاء المذكورين ليرتدوا عن الإسلام فاشتراهم أبو بكر فأعتقهم ولذلك قالوا المراد بالأشقى أبو جهل أو أمية بن خلف.

در «كشف الأسرار»: [آورده كه اين سوره دربارهٔ دوكس است يكى اتقى كه پيشرو صديقا نست يعني أبو بكر رضي الله عنه، ويكى اشقى كه پيشرو زند يقانست زاهل ضلالت يعني أبو جهل ودر فاتحهٔ اين سوره كه بشب وروز قسم ياد ميكند اشارتست بظلمت يكى ونورانيت ديكر يعني درشب ضلالت كسى را آن كمراهى نبودكه أبو جهل شقى را ودر روز دعوت هيچكس را ان نور هدايت ظاهر نشدكه أبو بكر تقى را].

سر روشنـد لان صديـق أعظـم كه شداقليم تصديقش مسلم
زمهرش روز دين را روشنايى بدو أهل يقين را آشنايى

[آورده اندكه أمية بن خلف بلال راكه بندهٔ أبو بود بأنواع آزارها عذاب ميكرد تااز دين بركردد وهر زمان آتش محبت رباني در باطن أو أفروخته تربود].

آنجاكه منتهاي كمال ارادتست هرچند جور پيش محبت زيادتست

[روز صديق ديدكه أميه ويرا برخاك كرم افكنده بود وسنكهاي تفسيده بر سينهٔ وى نهاده واودرين حال أحد أحد ميكفت يعني يقول أمية لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وهو يقول أحد أحد].

[أبو بكر را دل برو بسوخت وكفت اي أميه وأي برتو اين دوست خدايرا چند عذاب كنى كفت أي أبا بكر اكردلت برو ميسوزد از منش بخر].

وفي رواية مر النبي عليه اسلام ببلال بن رباح الحبشي وهو يقول: أحد فقال عليه السلام: أحد يعني الله الأحد ينجيك، ثم قال لأبي بكر رضي الله عنه إن بلالاً يعذب في الله فعرف مراده عليه السلام، فانصرف إلى منزله فأخذ رطلاً من ذهب ومضى به إلى أمية بن خلف فقال له أتبيعني بلالاً؟ قال: نعم فاشتراه وأعتقه فقال المشركون ما أعتقه أبو بكر إلا ليد كانت

له عنده فنزلت وقال ابن مسعود رضي الله عنه وقد اشتراه ببرد وعشر أواق جمع أوقية وهي أربعون درهماً وكان مدفوناً تحت الحجارة فقالوا لو أبيت إلا أوقية لبعناك فقال: ولو أنتم أبيتم إلا بمائة أوقية لاشتريته بها وقيل كان عبداً لعبد الله بن جدعان سلخ على أصنام قوم أي تغوط فشكوا إليه فوهبه لهم مع مائة من الإبل قرباناً لها فعذبوه في الرمضاء أشد العذاب وفي رواية ابن المسيب بل ابتاعه من أمية بغلام له اسمه نسطاس بكسر النون صاحب عشرة آلاف دينار وغلمان وجوار ومواش وهو مشرك بعد ما حمله أبو بكر على الإسلام على أن يكون ماله له.

كما قال الكاشفي: [صديق رضي الله عنه كفت يا أمية بچند ميفروشى كفت عوض ميكننم آنرا به نسطاس رومي وآن غلامي بودازان صديق رضي الله عنه در هزار دينار استعداد داشت وصديق رضي الله عنه اوراكفته بودكه اكر ايمان آرى آن مال كه داري بتو بخشم نسطاس مسلمان نمى شد ودل مبارك صديق رضي الله عنه أز وملول بود چون اين كلمه از أميه شنيده غنيمت شمرده نسطاس را باتمام استعداد بداد وبلال را بستد وفي الحال بميد نواب أخروي آزادكرد] وفي الحديث: «يرحم الله أبا بكر زوجني ابنته، وحملني إلى دار الهجرة، وأعتق بلالاً من ماله» وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: «بلال سيدنا ومولى سيدنا» وهو نظير قوله عليه السلام: «سلمان منا أهل البيت» فانظر إلى شرف التقوى كيف أدخل الموالي في الأشراف ولا تغتر بالنسب المجرد فإنه خارج عن حد الإنصاف، وقال السهيلي رحمه الله: قال لأبي بكر رضي الله عنه أبوه: لو اشتريت من له نجدة وقوة فيتعصب لك وينفعك كان أجدى من ابتياع الضعفة وإعتقاهم فأنزل الله هذه الآية وفهم مما ذكر أن أعلى الإعطاء فضيلة ما يكون لرضى الله وأوسطه ما يكون لعوض أخروي وأدناه ما يكون لغرض دنيوي مباح وأما ما يكون للرياء والسمعة، أو لغير ذلك مما ليس بمباح فهو أخس وأقبح وقوله عليه السلام: «من صنع إليكم معروفاً فكافئوه فإن لم تجدوا ما تكافئوه فادعوا له» يدل على أن المكافأة مشروعة ممدوحة لكنها ليست بدرجة ابتغاء المرضاة.

﴿ولسوف يرضى﴾ جواب قسم مضمر أي وبالله لسوف يرضى ذلك الأتقى الموصوف بما ذكر وبالفارسية [وزود باشدكه خشنود كردد].

وهو وعد كريم بنيل جميع ما يبتغيه على أكمل الوجوه وأجملها إذ به يتحقق الرضى. قال بعضهم: أي يرضى الله عنه ويرضى هو بما يعطيه الله في الآخرة من الجنة والكرامة والزلفى جزاء ما فعل ولم ينزل هذا الوعد إلا لرسول الله ﷺ في قوله ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] ولأبي بكر رضي الله عنه ههنا قال البقلي: هذا الرضى لا يكون من المعارف حتى يفنى في المعروف ويتصف بصفاته حتى يكون نعته في الرضى نعت الحق سبحانه وتعالى.

٩٣ ـ سورة الضحى

إحدى عشرة آية مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ .

﴿والضحى﴾ هو وقت ارتفاع الشمس وصدر النهار أريد بالضحى الوقت المذكور على المجاز بعلاقة الحلول والظرفية فإن الزمان ظرف لما فيه أو على تقدير المضاف وذلك التجوز أو الحذف ليناسب الليل قالوا تخصيصه بالإقسام به لأنها الساعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام وألقى فيها السحرة سجداً لقوله تعالى: ﴿وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى﴾ [طه: ٥٩] فكان له بذلك شرف ومناسبة بحال المقسم لأجله وصلاة الضحى سنة بالاتفاق ووقتها إذا علت الشمس إلى قبيل وقت الزوال وهي عند أبي حنيفة ركعتان أو أربع بتسليمة وعند مالك لا تنحصر وعند الشافعي وأحمد أقلها ركعتان واختلف في أكثرها، فقال: الشافعي ثنتا عشرة وقال: أحمد ثمانٍ وهو الذي عليه الأكثرون من أصحاب الشافعي وصححه النووي في التحقيق وقد صح أن النبي عليه السلام صلى صلاة الضحى يوم فتح مكة ثماني ركعات وهو في بيت أم هانىء وكان يصلي صلاة الضحى قبل ذلك أيضاً **﴿والليل﴾** أي: وجنس الليل قال ابن خالويه: هو نسق على الضحى لا قسم لأنه يصلح أن يقع في موضع الواو ثم أو الفاء بأن يقال ثم الليل مثلاً وثم لا يكون قسماً **﴿إذا سجا﴾** أي: سكن أهله على المجاز من قبيل إسناد الفعل إلى زمانه أو ركد ظلامه واستقر وتناهى فلا يزداد بعد ذلك يعني أن سكون ظلامه عبارة عن عدم تغيره بالاشتداد والتنزل وذلك حين اشتد ظلامه وكمل فيستقر زماناً ثم يشرع في التنزل فإسناد سكون الظلمة الكائنة إليه مجاز أيضاً يقال سجا البحر سجواً إذا سكنت أمواجه وليلة ساجية ساكنة الريح وقيل معناه: سكون الناس والأصوات وعن جعفر الصادق رضي الله عنه أن المراد بالضحى هو الضحى الذي كلم الله فيه موسى وبالليل ليلة المعراج.

وصاحب «كشف الأسرار» [كفته مراد از روز وشب كشف وحجا بست كه نشانهء نسيم لطف وسموم قهر بود وعلامهء أنوار جمال وآثار جلال].

كما قال الجنيد قدس سره: والضحى مقام الشهود والليل إذا سجا مقام الغين الذي قال عليه السلام فيه إنه ليغان على قلبي.

[يا اشارتست بروشنى وروى حضرت مصطفى عليه السلام وكنايتست از سباهى موى وى].

والضحى رمزي زروي همچو ماه مصطفى معنئ والليل كيسوى سيه مصطفى

وتقديم الليل في السورة المتقدمة باعتبار الأصل لأن النهار إنما يحدث بطلوع النير وبغروبه يعود الهواء إلى حالته الأصلية، ولذا قدم الظلمة في قوله ﴿وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] وتقديم النهار باعتبار الشرف الذاتي والعارضي فإن قيل ما السبب فإنه ذكر الضحى وهو ساعة من النهار وذكر الليل بكليته أجيب بأنه وإن كان ساعة من النهار لكنه يوازي جميع الليل كما أن محمداً عليه السلام، يوازي جميع الأنبياء عليهم السلام وبأن النهار وقت السرور والراحة والليل وقت الوحشة والغم فهو إشارة إلى هموم الدنيا أكثر من سرورها فإن الضحى ساعة والليل له ساعات.

روي أن الله تعالى لما خلق العرش أظلت غمامة سوداء عن يساره ونادت ماذا أمطر فأجيبت أن أمطري الهموم والأحزان مائة سنة، ثم انكشفت فأمرت مرة أخرى بذلك وهكذا إلى تمام ثلاثمائة سنة ثم بعد ذلك أظلت عن يمين العرش غمامة بيضاء ونادت ما أمطر فأجيبت أن أمطري السرور ساعة فلهذا السب ترى الغموم والأحزان دائمة كثيرة والسرور قليلاً ونادراً.

﴿**ما ودعك ربك**﴾ جواب القسم والتوديع مبالغة في الوداع وهو الترك لأن من ودعك مفارقاً فقد بالغ في تركك والودع هو الإعلام بالفراق. وقال الراغب أصل التوديع من الدعة وهو أن يدعو للمسافر بأن يتحمل الله عنه كآبة السفر وأن يبلغه الدعة والخفض كما أن التسليم دعاء له بالسلامة فصار ذلك متعارفاً في تشييع المسافر وتركه وعبر به عن الترك في الآية والمعنى ما قطعك قطع المودع وما تركك بالحط عن درجة الوحي والقرب والكرامة فيه استعارة تبعية وإشارة إلى أن الرب لا يترك المربوب. ﴿**وما قلى**﴾ أي وما أبغضك والإبغاض [دشمن داشتن].

والقلي شدة البغض يقال قلا زيداً يقلوه أبغضه من القلو وهو الرمي كما يقال قلت الناقة براكبها رمت به فكان المقلو هو الذي يقذفه القلب من بغضه فلا يقبله وقلاه وقليه يقليه ويقلاه أبغضه وكرهه غاية الكراهة فتركه أو قلاه في الهجر وقليه في البغض كما في «القاموس» فمن جعله من اليائي فمن قليت البسر والسويق على المقلى كما في «المفردات»، ولعل عطف وما قلى من عطف السبب على المسبب لإفادة التعليل وحذفت الكاف من قلاك لدلالة الكلام عليه ولمراعاة الفواصل.

روي أن الوحي تأخر عن رسول الله ﷺ بضعة عشر يوماً لتركه الاستثناء وذلك أن مشركي قريش أرسلوا إلى يهود المدينة وسألوهم عن أمر محمد عليه السلام، فقالت لهم اليهود سلوه عن أصحاب الكهف وعن قصة ذي القرنين وعن الروح، فإن أخبركم عن قصة أهل الكهف وقصة ذي القرنين ولم يخبركم عن أمر الروح فاعلموا أنه صادق فجاءه المشركون وسألوه عنها. فقال عليه السلام: لهم ارجعوا سأخبركم غداً ولم يقل إن شاء الله فاحتبس الوحي عنه أياماً فقال المشركون: إن محمداً ودعه ربه وقلاه أو أن جبريل أبطأ فشكا عليه السلام ذلك إلى خديجة فقالت خديجة لعل ربك قد قلاك فنزل جبريل بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣ ـ ٢٤] فأخبره بما سئل عنه وقد سبق في سورة الكهف ونزل أيضاً بقوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾ [الضحى: ٣] رداً على المشركين وتبشيراً له عليه السلام بأن الحبيب لا يقلى الحبيب وأنه تعالى يواصله بالوحي والكرامة في الدنيا مع أن ما سيؤتيه في الآخرة أجل وأعظم من ذلك كما تنبىء عنه الآية الآتية.

وروي أن جرواً دخل البيت فدخل تحت السرير فمات فمكث نبي الله أياماً لا ينزل عليه الوحي فقال لخادمته خولة يا خولة ما حدث في بيتي إن جبريل لا يأتيني قالت خولة فكنست البيت فأهويت بالمكنسة تحت السرير فإذا جرو ميت فأخذته فألقيته خلف الجدار فجاء نبي الله ترتعد لحياه وكان إذا نزل عليه الوحي استقبلته الرعدة فقال يا خولة دثريني فأنزل الله هذه السورة فلما نزل جبريل سأله النبي عليه السلام عن سبب تأخيره فقال: «أما علمت أنا لا ندخل بيتاً فيه كلب ولا صورة» وقيل غير ذلك وفيه إشارة إلى أنه عليه السلام وقع منه ما هو ترك الأولى ولذا لم يكن ممقوتاً ولا مبغوضاً وإنما احتبس عنه الوحي للتربية والإرشاد.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ما ودعك ربك﴾ بقطع فيض النبوة والرسالة عن ظهرك وما قلى بقطع فيض الولاية عن باطنك ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ لما أنها باقية صافية عن الشوائب على الإطلاق والأولى أي: الدنيا لأنها خلقت قبل الآخرة فانية مشوبة بالمضار فالمراد بالآخرة والأولى كراماتهما واللام في وللآخرة لام الابتداء المؤكدة لمضمون الجملة.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾

وفي «التأويلات النجمية»: يعني أحوال نهايتك أفضل وأكمل من أفعال بدايتك كما أخبر بقوله: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] الآية، لأنه ﷺ لا يزال يطير بجناحي الشريعة والطريقة في جو سماء السير ويترقى في مقامات القرب والكرامة وهكذا حال ورثته.

﴿ولسوف يعطيك ربك﴾ اللام للابتداء دخلت الخبر لتأكيد مضمون الجملة والمبتدأ محذوف تقديره ولأنت سوف يعطيك ربك لأن لام الابتداء لا تدخل إلا على الجملة الاسمية وليست للقسم لأنها لا تدخل على المضارع إلا مع النون المؤكدة وجمعها مع سوف للدلالة على أن الإعطاء كائن لا محالة وإن تراخى لحكمة، يعني أن لام الابتداء لما تجردت للدلالة على التأكيد وكانت السين تدل على التأخير والتنفيس حصل من اجتماعهما أن العطاء المتأخر لحكمة كائن لا محالة وكانت اللام لتأكيد الحكم المقترن بالاستقبال. ﴿فترضى﴾ ما تعطاه مما يطمئن به قلبك يعني [شنذان عطار أرزاني داردكه توكويى بس ومن راضي شدم].

وهو نسق على ما قبله بالفاء والآية عدة كريمة شاملة لما أعطاه الله في الدنيا من كمال النفس وعلوم الأولين والآخرين وظهور الأمر وإعلاء الدين بالفتوحات الواقعة في عصره عليه السلام وفي خلفائه الراشدين وغيرهم من الملوك الإسلامية وفشو الدعوة والإسلام في مشارق الأرض ومغاربها ولما ادخر له من الكرامات التي لا يعلمها إلا الله تعالى وقد أنبأ عن سمة منها قوله عليه السلام لي في الجنة ألف قصر من لؤلؤ أبيض ترابها المسك.

ودر هر كوشكى ازخدم ونعم وأمتعه وآنچه لايق آن بود.

روي أن رسول الله ﷺ دخل على فاطمة رضي الله عنها وعليها كساء من وبر الإبل وهي تطحن بيدها وترضع ولدها فدمعت عيناه لما أبصرها فقال: «يا بنتاه تعجلي مرارة الدنيا الحلاوة الآخرة فقد أنزل الله ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾».

إمام محمد باقر رضي الله عنه در كوفه مي فرموده كه أهل عراق شما ميكوبيدكه اميد وارترين آيتي ازقرآن اينست كه ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣] وما أهل البيت برآنيم كه اميد درآيت ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ بيشترست يعني ارجي آية عند أهل البيت هذه الآية چه

رسول الله ﷺ راضي نشودكه يكى ازامت وى دردوزخ باشد.

نمـانـد بـدوزخ كـسـى دركـرو كـه دارد چـو تـوسـيـدي پـيـشـرو

عـطـاي شـفـاعـت چـنـانـش دهـنـد كـه امـت تـمـامـي زدوزخ رهـنـد

وفي الحديث: «أشفع لأمتي حتى ينادي لي أرضيت يا محمد فأقول رب قد رضيت» وقال الفهري: ومما يرضيه فيه بعد إخراج كل مؤمن أن لا يسوءه في أمه وأبيه وإن منع الاستغفار لهما وأذن له في زيارة قبرهما في وقت دون وقت لأنهما من أهل الفترة وقال سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] ومن لم يقنعه هذا فحظ المؤمن منهما الوقف فيهما وأن لا يحكم عليهما بنار إلا بنص كتاب أو سنة أو إجماع الأمة بخلاف ما ثبت في عمه أبي طالب انتهى. كلامه في التفسير المسمى «بفتح الرحمن»: وقال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: أقمت بمدينة قرطبة بمشهد فأراني الله أعيان رسله من لدن آدم إلى نبينا عليه وعليهم السلام فخاطبني منهم هود عليه السلام وأخبرني بسبب جمعيته وهو أنهم اجتمعوا شفعاء للحلاج إلى نبينا محمد عليه السلام، وذلك أنه كان قد أساء الأدب بأن قال في حياته الدنيوية إن رسول الله ﷺ همته دون منصبه قيل له ولم ذلك قال: لأن الله تعالى قال: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾ فكان من حقه أن لا يرضى إلا أن يقبل الله شفاعته في كل كافر ومؤمن لكنه ما قال إلا شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي فلما صدر منه هذا القول جاءه رسول الله في واقعته وقال له: يا منصور أنت الذي أنكرت علي في الشفاعة فقال يا رسول الله قد كان ذلك قال: ألم تسمع أني قد حكيت عن ربي عز وجل إذا أحببت عبداً كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً فقال: بلى يا رسول الله قال: فإذا كنت حبيب الله كان هو لساني القائل فإذا هو الشافع والمشفوع إليه وأنا عدم في وجوده فأي عتاب علي يا منصور؟ فقال يا رسول الله أنا تائب من قولي هذا فما كفارة ذنبي قال: قرب نفسك لله قرباناً قال فكيف؟ قال: اقتل نفسك بسيف شريعتي فكان من أمره ما كان ثم قال هود عليه السلام وهو من حيث فارق الدنيا محجوب عن رسول الله والآن هذه الجمعية لأجل الشفاعة له إليه ﷺ وكانت المدة بين مفارقته الدنيا وبين الجمعية المذكورة أكثر من ثلاثمائة سنة قال بعض العارفين: الحقيقة المحمدية أصل مادة كل حقيقة ظهرت ومظهرها أصل مادة كل حقيقة تكونت وإليه يرجع الأمر كله قال تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ٢١] ولا يكون رضاه إلا بعود ما تفرق منه إليه فأهل الجمال يجتمعون عند جماله وأهل الجلال يجتمعون عند جلاله وقال ابن عطاء قدس سره: كأنه يقول لنبيه أفترضى بالعطاء عوضاً عن المعطي فيقول لا فقيل له: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤] أي على همة جليلة إذ لم يؤثر فيك شيء من الأكوان ولا يرضيك شيء منها وقال بعضهم كم بين من يتكلف ليرضى ربه وبين من يعطيه ربه ليرضى.

وقال القاشاني: ولسوف يعطيك ربك الوجود الحقاني لهداية الخلق والدعوة إلى الحق بعد الفناء الصرف فترضى به حيث ما رضيت بالوجود البشري والرضى لا يكون إلا حال الوجود.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: يظهر عليك بالفعل ما في قوة استعدادك من أنواع الكمالات الذاتية وأصناف الكرامات الصفاتية والأسمائية.

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾.

﴿ألم يجدك يتيماً﴾ مات أبواك **﴿فآوى﴾** جواب ألم أونسق قاله ابن خالويه أي: قد وجدك ربك والوجود بمعنى العلم ويتيماً مفعوله الثاني أي: ألم يعلمك الله يتيماً فجعل لك مأوى تأوي إليه يقال أوى فلان إلى منزله يأوي أويا علي فعول رجع ولجأ وآويته أنا إيواء والمأوى كل مكان يأوي إليه شيء ليلاً أو نهاراً أي يرجع وينزل ويجوز أن يكون الوجود بمعنى المصادفة ويتيماً حال من مفعوله يعني على المجاز بأن يجعل تعلق العلم الوقوعي الحالي مصادفة وإلا فحقيقة المصادفة لا تمكن في حقه تعالى.

روي أن أباه عبد الله بن عبد المطلب مات وهو عليه السلام جنين قد أتت عليه ستة أشهر وماتت أمه وهو ابن ثمان سنين فكفله عمه أبو طالب وعطفه الله عليه فأحسن تربيته وذلك إيواؤه. وقال بعضهم: لما ولد رسول الله ﷺ كان مع جده عبد المطلب ومع أمه آمنة فهلكت أمه آمنة وهو ابن ست سنين ثم مات جده بعد أمه بسنتين ورسول الله ابن ثمان سنين ولما أشرف جده عبد المطلب على الموت أوصى به عليه السلام أبا طالب لأن عبد الله وأبا طالب كانا من أم واحدة فكان أبو طالب هو الذي تكفل رسول الله إلى أن بعثه الله للنبوة فقام بنصره مدة مديدة ثم توفي أبو طالب فنال المشركون منه عليه السلام ما لم ينالوا في زمان أبي طالب، أي: آذوه وكان عليه السلام يقول كنت يتيماً في الصغر وغريباً في الكبر وكان يحب الأيتام ويحسن إليهم وفي الحديث من ضم يتيماً وكان في نفقته وكفاه مؤونته كان له حجاباً من النار ومن مسح برأس يتيم كان له بكل شعرة حسنة وإنما جعله الله يتيماً لئلا يسبق على قلب بشر أن الذي نال من العز الشرف والاستيلاء كان عن تظاهر نسب أو توارث مال أو نحو ذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: ألم يجدك يتيماً أي رآك يتيماً فآواك إلى صدف النبوة ومشكاة الولاية.

[بس كه غواص قدم درتك درياي عدم].

[غوطه زد تا بكف آورد چنين دريتيم].

[يا ديد ترا كوهرى يكانه كه بكمال قابليت ازهمه كائنات منفرد بودي وبقطع علاقة نسبت از ما سوى متوحد ترا متمن ساخته در حضرت احديت جمع كه مقام خاص تست].

وفي «الكشاف»: ومن بديع التفاسير أنه من قولهم درة يتيمة وأن المعنى ألم يجدك واحداً في قريش عديم النظير أي: في العز والشرف فآواك في دار أعدائك فكنت بين القوم معصوماً محروساً.

﴿ووجدك ضالاً﴾ معنى الضلال فقدان الشرائع والخلو عن الأحكام التي لا يهتدي إليها العقول بل طريقها السماع، كما في قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الشورى: ٥٢] يعني [راه نيافته بودي بأحكام وشرائع].

وإليه يؤول معنى الغيبوبة فإن ضل يجيء بمعنى غاب كما في قوله شربت الإثم حتى ضل عقلي.

أي: شربت الخمر حتى غاب عقلي وغلب. قال الراغب: يقال الضلال لكل عدول عن المنهج عمداً كان أو سهواً يسيراً كان أو كثيراً ولذا نسب الضلال إلى الأنبياء وإلى الكفار وإن

كان بين الضلالين بون بعيد ألا ترى أنه قال في النبي عليه السلام: ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ أي: غير مهتد لما سبق إليك من النبوة وقال: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الشعراء: ٢٠] وقال: ﴿إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [يوسف: ٨] تنبيهاً على أن ذلك منهم سهو انتهى. هذا واحذر عن الإساءة في العبارة. ﴿فهدى﴾ أي: فهداك إلى مناهج الشرائع في تضاعيف ما أوحي إليك من الكتاب المبين وعلمك ما لم تكن تعلم قدم هذا الامتنان على الأخير لأن ابتداءه بعد زمان اليتم وقت التكليف فإنه عليه السلام كان موفقاً للنظر الصحيح حينئذٍ ولهذا لم يعبد صنماً قط ولم يأت بفاحشة، وفي «الأسئلة المقحمة» معناه ووجدك بين ضالين فهداهم بك فعلى هذا يكون الضلال صفة قومه يقال رجل ضعيف إذا ضعف قومه.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: متحيراً في تيه الألوهية فهدي إلى كمال المعرفة بالصحو بعد المحو والسكر والضلال الحيرة كما قال: ﴿إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] وعن ابن عباس رضي الله عنهما، أن النبي عليه السلام ضل في شعاب مكة حال صباه وكان عبد المطلب يطلبه ويقول متعلقاً بأستار الكعبة.

يا رب فاردد ولدي محمداً ردا إلى واصطنع عندي يدا

فوجده أبو جهل فرده إلى عبد المطلب فمن الله عليه حيث خلصه على يدي عدوه فكان في ذلك نظير موسى عليه السلام، حين التقط فرعون تابوته ليكون له عدواً وحزناً وقيل: غير ذلك.

﴿ووجدك عائلاً﴾ أي: فقيراً يؤيده ما في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، عديماً يقال: عال يعيل عيلاً وعيلة افتقر أي: فأغناك بمال خديجة رضي الله عنها أو بما أفاء عليه من الغنائم حتى كان عليه السلام يهب المائة من الإبل، وفي الحديث: «جعل رزقي تحت ظل رمحي» وفيه إشارة إلى أن عليه السلام، لو كان متمولاً من أول الأمر لكان يسبق إلى بعض الأوهام أنه إنما وجد العز والغلبة بسبب المال فلما علا كل العلو على الأغنياء والملوك علم أنه كان من جهة الحق وقيل قنعك وأغنى قلبك، قال عليه السلام: «ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس» ولذا قال الراغب: أي: أزال عنك فقر النفس وجعل لك الغنى الأكبر المعنى بقوله عليه السلام، «الغنى غنى النفس» وقيل ما عال مقتصد أي: ما افتقر.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: فقيرا فانياً عن أنيتك وأنانيتك بحسب استعدادك القديم ﴿فأغنى﴾ بالبقاء بوجوده وجوده وأسمائه وصفاته انتهى. فالفقر الحقيقي هو التخلي عما سوى الله وبذل الوجود وما يتبعه وهو الذي وقع الافتخار به.

قال الإمام القشيري رحمه الله: إغناء الله عباده على قسمين فمنهم من يغنيهم بتنمية أموالهم وهم العوام وهو غنى مجازي ومنهم من يغنيهم بتصفية أحوالهم وهم الخواص وهو الغنى الحقيقي لأن احتياج الخلق إلى همة صاحب الحال أكثر من احتياجهم إلى نعمة صاحب المال ثم المراد من تعداد هذه النعم ليس الامتنان بل تقوية قلبه عليه السلام للاطمئنان بعد التوديع.

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

﴿فأما اليتيم﴾ منصوب بقوله. ﴿فلا تقهر﴾ والفاء سببية ليست بممانعة قال الرضي: يتقدم المفعول به على الفعل إن كان المنصوب معمولاً لما يلي الفاء التي في جواب أما إذا لم

يكن له منصوب سواه نحو قوله ﴿فأما اليتيم فلا تقهر﴾ لأنه لا بد من نائب مناب الشرط المحذوف بعد أما والقهر الغلبة والتذليل معا ويستعمل في كل واحد منهما. قال الراغب: قوله ﴿فلا تقهر﴾ أي لا تذلله وقال غيره فلا تغلبه على ماله وحقه لضعفه.

[وقدر ايشان بشناس كه شربت يتيمي چشيده‌ء].

وكانت العرب تأخذ أموال اليتامى وتظلمهم حقوقهم وفي الحديث: «إذا بكى اليتيم وقعت دموعه في كف الرحمن فيقول من أبكى هذا اليتيم الذي واريت والده تحت الثرى من أسكته أي: أرضاه فله الجنة».

إلا تانكويدكه عرش عظيم　　بلرزدهمى چون بكريد يتيم

وقال مجاهد: لا تحتقر فإن له ربا ينصره وقرىء فلا تكهر أي فلا تعبس في وجهه.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: لا تقهر يتيم نفسك بكثرة الرياضة والمجاهدة من الجوع والسهر فإن نفسك مطيتك وإن لنفسك عليك حقاً كما قال: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾ [طه: ١، ٢] ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ النهر والانتهار الزجر بمغالظة أي: فلا تزجر ولا تغلظ له القول بل رده رداً جميلاً يعني [بأنك بروى مزن ومحروم مساركه دردبى نوايى وتنكدستى كشيده‌ء].

وهذا الثاني بمقابلة الأخير وهو ووجدك عائلاً فأغنى لمراعاة الفواصل والآية بينة لجميع الخلق لأن كل واحد من الناس كان فقيراً في الأصل فإذا أنعم الله عليه وجب أن يعرف حق الفقراء.

نه خواهندهٔ بر درديكران　　بشكرانه خواهند ازدرمران

قال إبراهيم بن أدهم قدس سره: القوم السؤال يحملون زادنا إلى الآخرة وقال إبراهيم النخعي: السائل يريد الآخرة يجيء إلى باب أحدكم فيقول أتبعثون إلى أهليكم بشيء.

وروي أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أهدى إلى رسول الله عليه السلام، عنقود عنب فجاء سائل فأعطاه ثم اشتراه عثمان بدرهم وقدمه إلى رسول الله ثانياً ثم عاد السائل فأعطاه ففعل ذلك ثالثاً فقال عليه السلام ملاطفاً للسائل لا غضبان: أسائل أنت يا فلان أم تاجر فنزلت ﴿وأما السائل فلا تنهر﴾ وهو أحد وجوه احتباس الوحي، هذا على أن السؤال بمعنى طلب الحاجة من الحوائج الدنيوية، وجوز أن يكون من التفتيش عن الأمور الدينية وفي الحديث: «من كتم علماً يعلمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار» وهذا الوعيد يشمل حبس الكتب عمن طلبها للانتفاع.

وفي «التأويلات النجمية»: أي: لا تنهر سائل قلبك عن الاستغراق في بعض الأوقات في بحر الحقيقة لاستراحته بذلك من أعباء تكاليف الأنبياء بقولك عند ذلك الاستغراق والاستهلاك يا حميراء كلميني.

﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ فإن تحديث العبد وإخباره بنعمة الله شكر باللسان وتذكير للغير وفي الحديث: «التحدث بالنعم شكر» وأريد بالنعمة ما أفاضه الله عليه ﷺ من النعم الموجودة منها والموعودة وحيث كان معظم النعم نعمة النبوة فقد اندرج تحت الأمر هدايته عليه السلام لأهل الضلال وتعليمه للشرائع والأحكام حسبما هداه الله وعلمه من الكتاب والحكمة.

[صاحب فتوحات قدس سره آورده كه نعمت چيزيست محبوب بالذات ومنعم در أغلب

شكور ميباشد پس حق سبحانه وتعالى حبيب خودرا فرمودكه از نعمت من سخن كويى كه خلق محتاجند ومحتاج چون ذكر منعم شنود بدوميل كند واورا دوست دارد پس بجهت تحدث بنعمت من خلق را دوست من كرداني ومن ايشانرا دوست ميدارم] وهذا الثالث بمقابلة الثاني وهو قوله ﴿ووجدك ضالاً فهدى﴾ أخر لمراعاة الفواصل وإن التحلية وهو التحديث بنعمة الله بعد التخلية وهو لا تقهر ولا تنهر وكرر أما لوقوعها في مقابلة ثلاث آيات قال في «الكواشي»: رأى بعض: التحدث بنعم الله من الطاعات مع أمن الرياء وغائلة النفس وطلب الاقتداء به وكرهه بعض خوف الفتنة وفي «عين المعاني» قال عليه السلام: «التحدث بالنعم شكر وتركه كفر» وأما الحديث الآخر: «عليكم بكتمان النعم فإن كل ذي نعمة محسود» يعني عن الحسود لا غير وفي «الأشباه» أي رجل ينبغي له إخفاء إخراج الزكاة عن بعض دون بعض؟ فقل: المريض إذا خاف من ورثته يخرجها سراً عنهم وأي رجل يستحب له إخفاؤها؟ فقل الخائف من الظلمة لا يعلمون كثرة ماله وقال ابن عطية في الآية حدث به نفسك أي: لا تنسى فضله عليك قديماً وحديثاً وإذا جاز تحديث النعم الظاهرة جاز تحديث النعم الباطنة من الكرامات والمخاطبات ونحو ذلك.

وفي «التأويلات النجمية»: اذكر شكر نعمة النبوة على ظاهر نفسك ونعمة الرسالة على باطن قلبك ونعمة الولاية على سرك ونعمة البقاء بعد الفناء على روحك وهو معنى سورة والضحى والليل إذا سجا فافهم، وهذه السورة وسورة الانشراح درتان يتيمتان غاليتان لما فيهما من الحكم والمعارف، ولذا كانتا هما وسورة النصر من سور الكمل من الأولياء ولما نزلت سورة الضحى كبر ﷺ فرحاً بنزول الوحي فصار سنة الله أكبر أولا إله إلا الله والله أكبر كما في «الكواشي» وقال في «إنسان العيون»: لما نزلت السورة المذكورة كبر عليه السلام فرحاً بنزول الوحي واستمر عليه السلام، لا يجاهر قومه بالدعوة حتى نزل ﴿وأما بنعمة ربك فحدث﴾ فعند ذلك كبر عليه السلام أيضاً وكان ذلك سبباً للتكبير في افتتاح السورة التي بعدها وفي ختمها إلى آخر القرآن وعن أبي بن كعب رضي الله عنه أنه قرأ كذلك على النبي عليه السلام بعد أمره له بذلك وأنه كان كلما ختم سورة وقف وقفة ثم قال: الله أكبر، هذا وقيل: إن أول ابتداء التكبير من أول ألم نشرح لا من أول الضحى وقيل: إن التكبير إنما هو لآخر السورة وابتداؤه من آخر سورة الضحى إلى آخر ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس: ١] والإتيان بالتكبير في الأول والآخر جمع بين الروايتين الرواية التي جاءت بأنه يكبر في أول السورة المذكورة والرواية الأخرى أنه يكبر في آخرها ونقل عن الشافعي رحمه الله، أنه قال: لآخر إذا تركت التكبير من الضحى إلى الحمد في الصلاة وخارجها فقط تركت سنة من سنن نبيك عليه السلام، لكن في كلام الحافظ ابن كثير ولم يرد ذلك أي التكبير عند نزول سورة الضحى بإسناد يحكم عليه بصحة ولا ضعف، وفي «فتح الرحمن»: صح التكبير عن أهل مكة قرائهم وعلمائهم وصح أيضاً عن أبي جعفر وأبي عمرو وورد عن سائر القراء عند الختم وهو سنة مأثورة عن النبي عليه السلام، وعن الصحابة والتابعين في الصلاة وخارجها لكن من فعله فحسن ومن لم يفعله فلا حرج عليه وأما ابتداؤه فاختلف فيه فروي أنه من أول ألم نشرح وروي أنه من أول الضحى واختلف أيضاً في انتهائه فروي أن انتهاءه آخر سورة الناس وروي أولها وقد ثبت نصه عن الإمامين الشافعي وأحمد رحمهما الله ولم يستحبه الحنابلة لقراءة غير ابن كثير ولم اطلع على نص في ذلك لأبي

حنيفة ومالك رحمهما الله، ولفظه الله أكبر في رواية البزي وقنبل وروى عنهما التهليل قبل التكبير، ولفظه لا إله إلا الله والله أكبر، والوجهان عنهما صحيحان جيدان مشهوران مستعملان وفي صفة التكبير في رواية ابن كثير بين كل سورتين أربعة عشر وجهاً الأول قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة ووصل البسملة بأول السورة الآتية وهو ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾ [الليل: ٢١] قف الله أكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم، صل والضحى، والثاني قطعه عن آخر السورة ووصله بالبسملة والوقف على البسملة ثم الابتداء بأول السورة وهو لسوف يرضى قف الله أكبر، صل بسم الله الرحمن الرحيم، قف والضحى، والثالث وصله بآخر السورة والقطع عليه ووصل البسملة بأول السورة وهو ولسوف يرضى صل الله أكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى، والرابع وصله بآخر السورة والقطع عن البسملة وهو ولسوف يرضى صل الله، أكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى، والخامس قطع التكبير عن آخر السورة وعن البسملة ووصل البسملة بأول السورة وهو ولسوف يرضى قف الله أكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى، والسادس وصل التكبير بآخر السورة والبسملة وبأول السورة وهو ولسوف يرضى صل الله أكبر صل بسم الله الرحمن الرحيم صل والضحى والسابع قطع الجميع أي قطع التكبير عن السورة الماضية وعن البسملة وقطع البسملة عن السورة الآتية وهو ولسوف يرضى قف الله أكبر قف بسم الله الرحمن الرحيم قف والضحى فهذه السبعة صفته مع التكبير ويأتي مع التهليل مثل ذلك وبقي وجه لا يجوز وهو وصل التكبير بآخر السورة وبالبسملة مع القطع عليها وهو ولسوف يرضى الله أكبر بسم الله الرحمن الرحيم بالوصل في الجميع ثم يسكت على البسملة ثم يبتدىء والضحى فهذا ممتنع إجماعاً لأن البسملة لأول السورة فلا يجوز أن تجعل منفصلة عنها متصلة بآخر السورة قبلها.

واعلم أن القارىء إذا وصل التكبير بآخر السورة فإن كان آخرها ساكناً كسره للساكنين نحو فحدث الله أكبر وفارغب الله أكبر وإن كان منوناً كسره أيضاً للساكنين سواء كان الحرف المنون مفتوحاً أو مضموماً أو مكسوراً نحو تواباً الله أكبر، ولخبير الله أكبر ومن مسد الله أكبر وإن كان آخر السورة مفتوحاً فتحه وإن كان مسكوراً كسره وإن كان مضموماً ضمه نحو قوله إذا حسد الله أكبر والناس الله أكبر والأبتر الله أكبر وشبهه وإن كان آخر السورة هاء كناية موصولة بواو حذف صلتها للساكنين نحو ربه الله أكبر وشراً يره الله أكبر، وأسقط الف الوصل التي في أول اسم الله في جميع ذلك استغناء عنها الكل في «فتح الرحمن» لكن المواضع منها ينبغي أن يقطع عن التكبير حذراً من الإيهام وإن كان مقتضى القياس الوصل نحو الأبتر الله أكبر، وحسد الله أكبر.

تمت سورة الضحى في الثاني عشر من شهر ربيع الآخر من شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف

٩٤ ـ سورة الشرح

ثماني آيات مكية وعند ابن عباس رضي الله عنهما مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾.

﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ قال الراغب: الشرح بسط اللحم ونحوه، يقال شرحت اللحم وشرحته، ومنه شرح الصدر بنور إلهي وسكينة من جهة الله وروح منه وشرح المشكل من الكلام بسطه وإظهار ما يخفى من معانيه انتهى. وفي الحديث: «إذا دخل النور في القلب انفسح» أي: عاين القلب وانفسح أي: احتمل البلاء وحفظ سر الربوبية كما قال موسى عليه السلام: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه: ٢٥] أي وسع قلبي حتى لا يضيق بسفاهة المعاندين ولجاجهم بل يحتمل أذاهم وزيادة لك للإيذان بأن الشرح من منافعه ومصالحه عليه السلام وإنكار النفي إثبات أي: عدم شرحنا لك صدرك منفي بل قد شرحنا لك صدرك وفسحناه حتى حوى عالم الغيب والشهادة بين ملكتي الاستفادة والإفادة فما صدك الملابسة بالعلائق الجسمانية عن اقتباس أنوار الملكات الروحانية وما عاقك التعلق بمصالح الخلق عن الاستغراق في شؤون الحق أي: لم تحتجب لا بالحق عن الخلق ولا بالخلق عن الحق بل كنت جامعاً بين الجمع والفرق حاضراً غائباً.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى انفساح صدر قلبه بنور النبوة وحمل همومها بواسطة دعوة الثقلين وانشراح صدر سره بضياء الرسالة واحتمال مكاره الكفار وأهل النفاق وانبساط صدر نوره باشعة الولاية وتحققه بالعلوم اللدنية والحكم الإلهية والمعارف الربانية والحقائق الرحمانية، وأما شرح الصدر الصوري فقد وقع مراراً مرة وهو ابن خمس أو ست لإخراج مغمز الشيطان وهو الدم الأسود الذي به يميل القلب إلى المعاصي ويعرض عن الطاعات ومرة عند ابتداء الوحي ومرة ليلة المعراج [در حديث آمده كه شب معراج جبريل مرا تكيه داد واز بالاي سينه تاناف من بشكافت وميكائيل طشتى از آب زمزم آورده ودرون سينه وعروق حلق مرايدان آب بشتند وجبرئيل دل مرابيرون آورده بشكافت وبشست ودر آخر طشتى از طلا مملو از حكمت وايمان آوردند ودل مرا ازان پر ساختند وبرجاي او نهادند ونقلى هست كه بخاتمي ازنور مهر كرد چنانچه اثر راحت ولذت آن هنوز در عروق ومفاصل خودمى يابم].

[لم خزانة أسرار بود ودست قضا].

[درش به بست وكليدش بدلستاني داد.]

ومن هنا قال المشايخ: لا بد للطالب في ابتداء أمره أن يشتغل بذكر لا إله إلا الله بحيث

يبدأ من الجانب الأيمن للصدر ويضرب بالأعلى الجانب الأيسر منه لينتقض به العلقة التي هي حظ الشيطان ومنبع الشهوات النفسانية مقداراً بعد مقدار ويمتلىء النور مقام ما ينتقض منها وربما قاء دما أسود رقيقاً لانحلاله بحرارة التوحيد وذوبانه بنار الذكر وهو من صفات الكمل فبدوام الذكر ينشرح الصدر وينفتح القلب.

﴿ووضعنا عنك وزرك﴾ أي: حططنا وأسقطنا عنك حملك الثقيل وعنك متعلق بوضعنا وتقديمه على المفعول الصريح للقصد إلى تعجيل المسرة والتشويق إلى المؤخر ﴿الذي أنقض ظهرك﴾ أي: حمله على النقيض وهو صوت الانتقاض والانفكاك كما يسمع من الرحل المتداعي إلى الانتقاض من ثقل الحمل وبالفارسية [آن باري كه كران ساخت پشت ترا كما] قال في «تاج المصادر»: الانقاض كران كردن.

وفي «المفردات» كسره حتى صار له نقيض وفي «القاموس»: أثقله حتى جعله نقضاً أي: مهزولاً أو أثقله حتى سمع نقيضه، وفي بعض التفاسير: ثقل عليك ثقلاً شديداً فإن إنقاض الحمل الظهر إنما يكون بمعنى تصويت الرحل الذي عليه وهو يكون بثقل الحمل وتأثيره المفضي إلى انحراف بعض أجزاء الرحل عن محالها وحصول الصوت بذلك فيه انتهى. مثل به حاله عليه السلام، مما كان يثقل عليه ويغمه من فرطاته قبل النبوة أو من عدم إحاطته بتفاصيل الأحكام والشرائع ومن تهالكه على إسلام المعاندين من قومه وتلهفه ووضعه عند مغفرته كما قال: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] وتعليم الشرائع وتمهيد عذره بعد أن بلغ وبالغ وقد يجعل قوله ووضعنا عنك وزرك كناية عن عصمته من الذنوب وتطهيره من الأدناس فيكون كقوله القائل رفعنا عنك مشقة الزيارة لمن لم يصدر عنه زيارة قط على سبيل المبالغة في انتفاء الزيارة منه له.

﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ بعنوان النبوة وأحكامها أي: رفع حيث قرن اسمه باسم الله في كلمة الشهادة والأذان والإقامة وفيه يقول حسان بن ثابت.

أغر عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهور يلوح ويشهد
وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهد

وجعل طاعته طاعته تعالى وصلى عليه هو وملائكته وأمر المؤمنين بالصلاة عليه وسمى رسول الله ونبي الله وغير ذلك من الألقاب المشرفة.

[وذو النون المصري قدس سره فرمود رفعت ذكر اشارت بآنست كه همم انبيا عليهم السلام بر حوالىء عرش جولان مي نمودند وطاهر همت آن حضرت عليه السلام پرواز ميكرد].

سيمرغ فهم هيچكس از نبيا نرفت ... آنجاكه تو ببال كرامت پريدۀ
هريك بقدر خويش بجايى زسيده اند ... انجاكه جاي نيست بجاي رسيدۀ

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾.

﴿فإن مع العسر يسراً﴾ تقرير لما قبله ووعد كريم بتيسير كل عسير له عليه السلام وللمؤمنين فاللام للاستغراق قال في «الكشاف»: فإن قلت كيف تعلق قوله: ﴿فإن مع العسر يسراً﴾ بما قبله قلت: كان المشركون يعيرون رسول الله والمؤمنين بالفقر والضيقة حتى سبق

إلى وهمه أنهم رغبوا عن الإسلام لافتقار أهله واحتقارهم فذكره ما أنعم الله به عليه من جلائل النعم ثم قال: ﴿فإن مع العسر﴾ الخ كأنه قيل خولناك من جلائل النعم فكن على ثقة بفضل الله ولطفه فإن مع العسر يسرا كثيراً وفي كلمة مع إشعار بغاية سرعة مجيء اليسر كأنه مقارن للعسر وإلا فالظاهر ذكر كلمة المعاقبة لا أداة المصاحبة لأن الضدين لا يجتمعان بل يتعاقبان.

إن مع العسر چو يسرش قفاست شاد برآنم كه كلام خداست

وقال بعضهم: هذا عند العامة وأما عند الخاصة فالمعية حقيقية كما قيل:

برجانم از توهرچه رسد جاى منت است كرناوك جفاست وكر خنچر ستم

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: هي معية امتزاج لامعية مقارنة ولا تعاقب ولذلك كررها فلولا وجود اليسر في العسر لم يبق عسر لعموم الهلاك ولولا وجود العسر في اليسر لم يبق يسر وبضدها تتبين الأشياء، ثم إن العسر يؤول كله إلى اليسر فقد سبقت الرحمة الغضب وذلك عناية من الله فإن ذلك قد يكون مصقلة وجلاء لقلوب الأكابر وتوسعة لاستعدادهم فتتسع لتجلي الحضرة الإلهية وكما أن حظهم من الملائم أوفر فكذلك غير الملائم قال عليه السلام: «أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأولياء ثم الأمثل فالأمثل» ولذلك قال تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾ [غافر: ٦٠] وقال عليه السلام: «إن الله يحب الملحين في الدعاء» وفي تعريف العسر وتنكير اليسر إشارة لطيفة إلى أن الدنيا دار العسر فالعسر عند السامع معلوم معهود واليسر مجهول منهم.

﴿إن مع العسر يسراً﴾ تكرير للتأكيد أو عدة مستأنفة بأن العسر مشفوع بيسر آخر كثواب الآخرة كقولك إن للصائم فرحتين أي فرحة عند الإفطار وفرحة عند لقاء الرب وعليه قوله عليه السلام: «لن يغلب عسر يسرين» أي لن يغلب عسر الدنيا يسري الدنيا والآخرة فإن المعرف إذا أعيد يكون الثاني عين الأول سواء كان معهودا أو جنساً، وأما المنكر فيحتمل أن يراد بالثاني فرد مغاير لما أريد بالأول قال ابن الملك في «شرح المنار»: المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت الثانية عين الأولى كالعسرين في قوله تعالى: ﴿فإن مع..﴾ الخ وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما لن يغلب عسر يسرين قال فخر الإسلام: في جعل الآية من هذا القبيل نظر لأنها لا تحتمل هذا المعنى كما لا يحتمل قولنا إن مع الفارس رمحا إن مع الفارس رمحا أن يكون معه رمحان بل هذا من باب التأكيد. فإن قلت: فإذا حمل على التأكيد فما وجه قول ابن عباس رضي الله عنهما؟ قلت: كأنه قصد باليسرين ما في قوله يسراً من معنى التفخيم فيتناول يسر الدارين وذلك يسران في الحقيقة انتهى. قال بعضهم: إن مع عسر المجاهدة يسر المشاهدة ومع عسر الانفصال يسر الاتصال ومع عسر القبض يسر البسط والعسر الواحد هو الحجاب واليسران كشف الحجاب ورفع العتاب.

﴿فإذا فرغت﴾ أي: من التبليغ أو من المصالح المهمة الدنيوية ﴿فانصب﴾ النصب محركة التعب أي: فاجتهد في العبادة واتعب شكراً لما أوليناك من النعم السالفة ووعدناك من الآلاء الآتية وبه ارتبطت الآية بما قبلها ويجوز أن يقال فإذا فرغت من تلقى الوحي فانصب في تبليغه. وقال الحسن رحمه الله: إذا كنت صحيحاً فاجعل فراغك نصباً في العبادة كما روي أن شريحاً مر برجلين يتصارعان وآخر فارغ، فقال ما أمر بهذا إنما قال الله فإذا فرغت فانصب وقعود الرجل فارغاً من غير شغل أو اشتغاله بما لا يعنيه في دينه أو دنياه من سفه الرأي

وسخافة العقل واستيلاء الغفلة وعن عمر رضي الله عنه: «إني لأكره أن أرى أحدكم فارغاً سهلاً لا في عمل دنياه ولا في عمل آخرته» فلا بد للمرء أن يكون في عمل مشروع دائماً فإذا فرغ من عمل اتبعه بعمل آخر وقال قتادة والضحاك: فإذا فرغت من الصلاة فانصب في الدعاء.

[وأبو مدين مغربي قدس سره در تأويل اين آيت فرموده كه چون فارغ شوى از مشاهدهٔ اكوان نصب كن دل خوداراباي مشاهدهٔ جمال رحمن].

قال في «الكشاف»: ومن البدع ما روي عن بعض الرافضة أنه قرأ فانصب بكسر الصاد أي فانصب علياً للإمامة ولو صح هذا للرافضة لصح للناصبي أن يقرأ هكذا ويجعله أمراً بالنصب الذي هو بغض علي وعداوته.

﴿وإلى ربك﴾ وحده ﴿فارغب﴾ أصل الرغبة السعة في الشيء يراد بها السعة في الإرادة فإذا قيل رغب فيه وإليه يقتضي الحرص عليه وإذا قيل رغب عنه اقتضى صرف الرغبة عنه والزهد فيه، وفي «القاموس»: رغب فيه كسمع رغباً ويضم رغبة إراده وعنه لم يرده وإليه رغباً محركة ابتهل أو هو الضراعة والمسألة والمعنى فارغب بالسؤال ولا تسأل غيره فإنه القادر على إسعافك لا غيره.

وسخن تو بدركاه قرب مقبولست ودعوات طيبات تو در محل قبول.

چو مقصود كون ومكان جودتست خدا ميدهد آنچه مقصود تست

وعن بعض الأكابر: ﴿ألم نشرح لك صدرك﴾ برفع غطاء أنيتك وكشف حجاب أثنينيتك عن حقيقة أحديتنا ووجه صمديتنا ووضعنا عنك ذنب وجودك الذي أنقض ظهر فؤادك بأن نطلعك على فناء وجودك الصوري الظلي وبقاء وجودنا الحقيقي العيني ﴿ورفعنا لك ذكرك﴾ بأفنائك فينا وأبقائك بنا إلى مرتفع الخطاب الوارد في شأنك بقولنا ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] أي منتهى جميع الأرباب الأسماء الإلهية فكذلك إليك منتهى كافة المربوبين الحقائق الكونية وبذلك الرفع كن سيد الكل فارض بالقضاء واصبر على البلاء واشكر على النعماء فإن مع عسر الابتلاء بالبلايا المؤدي إلى اضطراب صدرك يسر الامتلاء بالعطايا المفضي إلى اطمئنان روحك إن مع العسر يسرا البتة إذ هكذا جرت سنتنا مع كل عبد ولن تجد لسنتنا تبديلاً بأن يرتفع العسر جميعاً ويصير الكل يسراً أو بالعكس فلا تلتفت إلى اليسر والسرور فإنه حجاب نوراني ولا إلى العسر والألم فإنه حجاب ظلماني فإذا فرغت من إعطاء حق وارد كل وقت حاضر فانصب نفسك في منصب إعطاء وارد كل وقت قابل إذا أتى يعني فافعل ثانياً كما فعلت أولاً وكن هكذا دائماً إلى أن يأتيك اليقين وإلى ربك أي إلى جلاله وجماله وكماله فارغب لا إلى غيره من الأمور والأحكام الواردة عليك في الأوقات لأن في الرغبة والالتفات إلى غير الرب احتجاباً عن الرب وسقوطاً عن قرب إلى بعد ومقامك لا يسع غير القرب والأنس والحضور، وعن طاوس وعمر بن عبد العزيز رحمهما الله: أنهما كانا يقولان إن الضحى وألم نشرح سورة واحدة فكانا يقرآنهما في ركعة واحدة ولا يفصلان بينهما بالبسملة؛ لأنهما رأيا أن أول ألم نشرح مشابه لقوله ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ﴾ [الضحى: ٦] الخ وليس كذلك لأن تلك حال اغتمامه عليه السلام بأذى الكفار فهي حال محنة وضيق وهذه حال انشراح الصدر وتطييب القلب فكيف يجتمعان.

[ودر ليلهٔ معراج ندا آمدكه أي محمد بخواه تابخشيم رسول عليه السلام كفت خدا وندا هر پيغمبرى ازتو عطايى يافت إبراهيم را خلت دادى باموسى بي واسطه سخن كفتى إدريس را

بمكان عالي رسانيدى داودرا ملك عظيم دادى ولزت وى بيامر زيدي سليما نرا ملكي دادى كه بعد ازوى كس راسزاي آن ندادى عيسى را درشكم مادر توراة وإنجيل در آمو ختى ومرده زنده كردن بردست وى آسان كردى وآبراء أكمه وأبرص مراورا دادى جواب الهي آمدكه يا محمد اكر إبراهيم را خلت دادم ترا محبت دادم واكرا باموسى سخن فتم بي واسطه لكن كوينده را ندد وباتو سخن ميكفتم بي حجاب وكوينده ديدى واكر إدريس را بآسمان رسانيدم ترا از آسمان بحضرت قاب قوسين أو أدنى رسانيدم واكر داودرا ملك عظيم دادم وزلت وى بيامر زيدم امت تا ملك قناعت دادم وكناهان ايشان بشفاعت بيامر زيدم واكر سليمان مملكت دادم ترا سبع مثاني وقرآن عظيم دادم وخاتمهٔ سورهٔ بقره كه بهيچ پيغمبر بجز توندادم ودعاهاى تودر آخر سورة البقرة أجابت كردم وأعطيتك الكوثر وترابسه خصلت براهل زمين وآسمان فضل دادم يكى] الم نشرح لك صدرك ديكر ووضعنا عنك وزرك سوم ورفعنا لك ذكرك وأعطيتك ثمانية أسهم الإسلام والهجرة والجهاد والصلاة والصدقة وصوم رمضان والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأرسلتك إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً وجعلتك فاتحاً وخاتماً وهذا السوق يشير إلى السورة مدنية وفي يبعض الروايات سألت ربي مسائل وددت أني لم أسألها إياه قط فقلت اتخذت الخ وهو الظاهر وهذا يقتضي أن يكون مسألته عليه السلام من عند نفسه من غير أن يقول الله له: سل تعط، والله تعالى أعلم وفي الحديث: «من قرأها أي سورة ألم نشرح فكأنما جاءني وأنا مغتم ففرج عني».

تمت سورة الانشراح بعون الفتاح

٩٥ ـ سورة التين

ثماني آيات مكية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ﴿١﴾ وَطُورِ سِينِينَ ﴿٢﴾ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ﴿٣﴾﴾.

﴿والتين والزيتون﴾ هما هذا التين الذي يؤكل وهذا الزيتون الذي يعصر منه الزيت خصهما الله من بين الثمار بالإقسام بهما لاختصاصهما بخواص جليلة، فإن التين فاكهة طيبة لا فضل له وغذاء لطيف سريع الهضم، ودواء كثير النفع يلين الطبع ويحلل البلغم ويطهر الكليتين ويزيل ما في المثانة من الرمل ويسمن البدن، ويفتح سدد الكبد والطحال، وروى أبو ذر رضي الله عنه أنه أهدى للنبي عليه السلام، سل من تين فأكل منه وقال لأصحابه: «كلوا فلو قلت إن فاكهة نزلت من الجنة لقلت هذا الأن فاكهة الجنة بلا عجم فكلوها فإنها تقطع البواسير وتنفع من النقرس»، وعن علي بن موسى الرضى رضي الله عنه: التين يزيل نكهة الفم ويطول الشعر وهو أمان من الفالج قال الإمام: لما عصى آدم عليه السلام وفارقته ثيابه تستر بورق التين ولما نزل وكان مترزاً بورق التين استوحش فطافت الظباء حوله فاستأنس بها فأطعمها بعض ورق التين فرزقها الله الجمال صورة والملاحة معنى وغير دمها مسكاً، فلما تفرقت الظباء إلى مساكنها رأى غيرها عليها من الجمال ما أعجبه فلما كان الغد جاءت ظباء آخر على أثر الأول فأطعمها من الورق فغير الله حالها إلى الجمال دون المسك وذلك لأن الأولى جاءت إلى آدم لأجله لا لأجل الطمع والطائفة الأخرى جاءت إليه ظاهراً وللطمع باطناً فلا جرم غير الظاهر دون الباطن وفي «أسئلة الحكم»: فإن قلت: ما الحكمة في أن سائر الأشجار يخرج ثمرها في كمامها أولاً ثم تظهر الثمرة من الكمام ثانياً وشجرة التين أول ما يبدو ثمرها يبدو بارزاً من غير كمام قلت لأن آدم لم يستره إلا شجرة التين فقال الله بعدما سترت آدم أخرج منك المعنى قبل الدعوى وسائر الأشجار يخرج منها الدعوى قبل المعنى، قال في «خريدة العجائب»: إذا نثر رماد خشب التين في البساتين هلك منه الدود ودخان التين يهرب منه البق والبعوض.

وأما الزيتون: فهو فاكهة وإدام ودواء ولو لم يكن له سوى اختصاصه بدهن كثير المنافع مع حصوله في بقاع لا دهنية فيها كالجبال لكفى به فضلاً وشجرته هي الشجرة المباركة المشهورة في التنزيل ومر معاذ بن جبل رضي الله عنه بشجرة الزيتون فأخذ منها قضيباً وستاك به وقال سمعت النبي عليه السلام يقول: «نعم سواك الزيتون هو سواكي وسواك الأنبياء من قبلي»، وشجرة الزيتون تعمر ثلاثة آلاف سنة ومن خواصها أنها تصبر عن الماء طويلاً كالنخل وإذا لقط ثمرتها جنب فسدت والقت حملها وانتثر ورقها وينبغي أن تغرس في المدر لكثرة

الغبار لأن الغبار كلما علا على زيتونها زاد دسمه ونضجه ورماد ورقها ينفع العين كحلاً ويقوم مقام التوتيا وفي الحديث: «عليكم بالزيت فإنه يكشف المرة ويذهب البلغم ويشد العصب ويمنع الغشي ويحسن الخلق ويطيب النفس ويذهب الهم» قال الإمام: إن التين في النوم رجل خير غني فمن ناله في المنام نال مالاً وسعة، ومن أكله رزقه الله أولاداً ومن أخذ ورق الزيتون في المنام استمسك بالعروة الوثقى. وقال مريض لابن سيرين: رأيت في المنام كأنه قيل لي كل اللاءين تشفى فقال كل الزيتون فإنه لا شرقية ولا غربية. وقال الطبري المراد بالتين الجبل الذي عليه دمشق يعني جبل الصالحية ويسمى جبل قاسيون والزيتون وهو طور زيتا الجبل الذي يلي بيت المقدس من جهة المشرق وذلك أن التين ينبت كثيراً بدمشق والزيتون بإيليا.

﴿**وطور سينين**﴾ هو الجبل الذي ناجى عليه موسى عليه السلام ربه. قال الماوردي: ليس كل جبل يقال له طوراً إلا أن يكون فيه الأشجار والثمار وإلا فهو جبل فقط وسينين وسيناء علمان للموضع الذي هو فيه ولذلك أضيف إليهما ومعنى سينين بالسريانية ذو الشجر أو حسن مبارك بلغة الحبشة، وفي «كشف الأسرار» أصل سينين سيناء بفتح السين وكسرها وإنما قال ههنا سينين لأن تاج الآيات النون كما قال في سورة الصافات: ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾﴾ [الصافات: ١٣٠] وهو الياس فخرج على تاج آيات السورة.

﴿**وهذا البلد الأمين**﴾ أي الآمن يقال أمن الرجل بضم الميم أمانة فهو أمين وهو مكة شرفها الله تعالى وأمانتها أنها تحفظ من دخلها جاهلية وإسلاماً من قتل وسبي كما يحفظ الأمين ما يؤتمن عليه ويجوز أن يكون فعيلاً بمعنى مفعول بمعنى المأمون فيه على الحذف والإيصال من أمنه لأنه مأمون الغوائل والعاهات كما وصف بالأمن في قوله تعالى: ﴿حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [القصص: ٥٧، العنكبوت: ٦٧] بمعنى ذي أمن وفي الحديث: «من مات في أحد الحرمين بعث يوم القيامة آمنا» ومعنى القسم بهذه الأشياء الإبانة عن شرف البقاع المباركة وما ظهر فيها من الخير والبركة بسكنى الأنبياء والصالحين فمنبت التين والزيتون مهاجر إبراهيم ومولد عيسى ومنشأهما عليهما السلام، والطور المكان الذي نودي فيه موسى عليه السلام ومكة مكان البيت الذي هو هدى للعالمين ومولد رسول الله ﷺ ومبعثه.

[ودر بحر الحقائق آورده كي بزبان اشارت قسم است بشجرهٔ تينيهٔ قلبية كه مثمر ثمرهٔ علوم دينيه است وشجرهٔ زيتونهٔ مباركهٔ سريه كه روشنى بخش مصباح دلست وطور سينين روح معلى كه بتجلىٔ الهي مجلى است وبلد أمين خفى كه محل أمن وأمانست ازهجوم آفات تعلقات أكوان].

يقول الفقير أشار بالتين إلى علوم الحقيقة التي محلها السر الإنساني لأنها لذة صرفة ولذا قدمت لأنها المطلب الأعلى لتعلقها بذات الله وصفاته وأفعاله وكما أن عمر شجرة التين قصير بالنسبة إلى الزيتون فكذا عمر أهل الحقيقة غالباً إذ لا معنى للبقاء في الدار الفانية بعد حصول المقصود الذي هو الحياة الباقية إلا أن يكون لإرشاد الناس وأشار بالزيتون إلى علوم الشريعة التي محلها النفس الإنسانية هي ليست بنعيم محض لأنه لا بد في الشريعة من إتعاب النفس والقالب وأشار بطور سينين إلى الروح الذي هو محل المعارف الإلهية ومقام المناجاة وأشار بالبلد الأمين إلى مكة الوجود المشتملة على بيت القلب فإنه أمن أهلها من اختطاف الشياطين ودخول شر الوسواس الخناس فيها، وإلى الأعمال القالبية الحاصلة بالحواس والأعضاء فالقالب

أخذ الشرف من القلب وهو من الروح وهو من السر فلذا كان الكل جديداً بالإقسام به.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَـٰهُ أَسْفَلَ سَـٰفِلِينَ ۝٥﴾

﴿**لقد خلقنا الإنسان**﴾ أي: جنس الإنسان ﴿**في أحسن تقويم**﴾ يقال: قام انتصب وقام الأمر اعتدل كاستقام وقومته عدلته كما في «القاموس»، والتقويم: تصيير الشيء على ما ينبغي أن يكون عليه في التأليف والتعديل وعن يحيى بن أكثم القاضي أنه فسر التقويم بحسن الصورة فإنه حكى أن ملك زمانه خلا بزوجته في ليلة مقمرة فقال لها: إن لم تكوني أحسن من القمر فأنت كذا فأفتى الكل بالحنث إلا يحيى بن أكثم قال لا يحنث فقالوا خالفت شيوخك فقال الفتوى بالعلم ولقد أفتى من هو أعلم منا وهو الله تعالى قال: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ فالإنسان أحسن الأشياء ولا شيء أحسن منه، وفي «المفردات»: هو إشارة إلى ما خص به الإنسان من بين الحيوان من العقل والفهم وانتصاب القامة الدال على استيلائه على كل ما في هذا العالم والمعنى كائناً في أحسن ما يكون من التقويم والتعديل صورة ومعنى حيث برأه تعالى مستوى القامة متناسب الأعضاء حسن الشكل كما قال: ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [التغابن: ٣] أي: صوركم أحسن تصوير وكذا خلقه متصفاً بالصفات الإلهية من الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام التي هي الصورة الحقيقية الإلهية المشار إليها بقوله عليه السلام: «خلق الله آدم على صورته» وعليه يدور معنى قوله عليه السلام: «من عرف نفسه فقد عرف ربه» فالإنسان مظهر الجلال والجمال والكمال.

﴿**ثم رددناه أسفل سافلين**﴾ أي: جعلناه من أهل النار الذي هو أقبح من كل قبيح وأسفل من كل سافل لعدم جريانه على موجب ما خلقناه عليه من الصفات التي لو عمل بمقتضاها لكان في أعلى عليين، والحاصل أنه حول بسوء حاله من أحسن تقويم إلى أقبح تقويم صورة ومعنى؛ لأن مسخ الظاهر إنما هو من مسخ الباطن فالمراد بالسافلين عصاة المؤمنين وأفعل التفضيل هنا يتناول المتعدد المتفاوت وأسفل سافلين إما حال من المفعول أي رددناه حال كونه أسفل سافلين أو صفة لمكان محذوف أي رددناه إلى مكان هو أسفل أمكنة السافلين والأول أظهر ثم هذا بحسب بعض الأفراد الإنسانية لانغماسهم في بحر الشهوات الحيوانية البهيمية وانهماكهم في ظلمات اللذات الجسمانية الشيطانية والسبعية وفيه إشارة إلى أن الاعتبار إنما هو بالصورة الباطنة لا بالصورة الظاهرة ولذا قال الشيخ سعدي.

ره راست بايدنه بالاي راست ... كه كافرهم ازروى صورت چوماست

فكم من مصور على أحسن الصور في الظاهر وهو في الباطن على أقبح الهيئات ولذا يجيء الناس يوم القيامة أفواجاً فإن صفاتهم الباطنة تظهر على صورهم الظاهرة فتتنوع صورهم بحسب صفاتهم على أنواع وقيل رددناه إلى أرذل العمر وهو الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة كقوله تعالى: ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ﴾ [يس: ٦٨] أي: نكسناه في خلقه فتقوس ظهره بعد اعتداله وأبيض شعره بعد سواده وكل سمعه وبصره وتغير كل شيء منه.

دورسته درم دردهن داشت جاي ... چود يوارى ازخشت سميين بپاي
كنونم نكه كن بوقت سخن ... بيفتاده يك يك چو سوركهن
مراهمچنين جعد شبرنك بود ... قبا در برازنازكى تنك بود

درين غـايـتـم رشـد بـايـد كـفـن كه مـويـم چـوپـنـيـه است ودوكـم بـدن

قال في «عين المعاني»: ولم تدخل لام الجنس في سافلين كما ورد في مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه لأنه عنى أسفل الخرفين خاصة دون كل الناس من أهل الزمانة وفي «كشف الأسرار» السافلون هم الضعفاء من المرضى والزمني والأطفال فالشيخ الكبير أسفل من هؤلاء جميعاً.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾.

﴿إلا الذين آمنوا﴾ إيماناً صادقاً **﴿وعملوا الصالحات﴾** المأمور بها والمأجور عليها وهو على الأول استثناء متصل من ضمير ثم رددناه فإنه في معنى الجمع وعلى الثاني منقطع أي: لكن الذين كانوا صالحين من الهرمى. قال أبو الليث: معنى قوله **﴿إلا الذين﴾**.. الخ. يعني لا يخرف ولا يذهب عقل من كان عالماً عاملاً وفي الحديث: «طوبى لمن طال عمره وحسن عمله» وعن ابن عباس رضي الله عنهما: «من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر». **﴿فلهم أجر﴾** في دار الكرامة لأنها المحل له ودخول الفاء لتضمن اسم لكن معنى الشرط وهو على الأول للتعليل أي لا يغير صورهم في النار لأنهم مثابون في الجنة. **﴿غير ممنون﴾** غير منقطع على طاعتهم وصبرهم على الابتلاء بالشيخوخة والهرم وعلى مقاساة المشاق والقيام بالعبادة على ضعف نهوضهم وفي «التيسير» عن رسول الله ﷺ: «إن العبد إذا مرض أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل صحيحاً مقيماً» كذا روي في الهرم وفي «تفسير أبي الليث»: روي عن النبي عليه السلام أنه قال: إن المؤمن إذا مات صعد الملكان إلى السماء فيقولان إن عبدك فلاناً قد مات فائذن لنا حتى نعبدك على السماء فيقول الله إن سمواتي مملوءة بملائكتي ولكن اذهبا إلى قبره واكتبا حسناته إلى يوم القيامة ويجوز أن يكون المعنى غير ممنون به عليهم كما سبق في آخر سورة الانشقاق.

﴿فما يكذبك بعد بالدين﴾ بعد مبني على الضم لحذف المضاف إليه ونيته والاستفهام مشعر بالتعجب أي: فأي شيء يكذبك يا محمد دلالة أو نطقاً بالجزاء بعد ظهور هذه الدلائل الناطقة به أي ينسبك إلى الكذب بسبب إثباتك الجزاء وإخبارك عن البعث والمراد الآية الدالة على كمال القدرة فإن من خلق الإنسان السوي من الماء المهين، وجعل ظاهره وباطنه على أحسن تقويم ودرجه في مراتب الزيادة إلى أن استكمل واستوى ثم نكسه إلى أن يبلغ إلى أرذل العمر لا شك أنه قادر على البعث والجزاء أو فما يجعلك أيها الإنسان كاذباً بسبب الدين وإنكاره بعد هذا الدليل يعني أنك تكذب إذا كذبت بالجزاء؛ لأن كل مكذب للحق فهو كاذب وحاصله أن خلق الإنسان من نطفة وتقويمه بشراً سوياً وتحويله من حال إلى حال كمالاً ونقصاناً من أوضح دليل على قدرة الله تعالى على البعث والجزاء فأي شيء يضطرك بعد هذا الدليل القاطع إلى أن تكون كاذباً بسبب تكذيبه أيها الإنسان.

﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ أي: أليس الذي فعل ما ذكر باحكم الحاكمين صنعاً وتدبيراً حتى يتوهم عدم الإعادة والجزاء أي: أليس ذلك بأبلغ اتقاناً للأمور من كل متقن لها إذا الحاكم هو المتقن للأمور ويلزمه كونه تام القدرة كامل العلم وحيث استحال عدم كونه أحكم

الحاكمين تعين الإعادة والجزاء أو المعنى أليس الله بأقضى القاضين يحكم بينك وبين من يكذبك بالحق العدل يقال حكم بينهم أي قضى فالآية وعيد للمكذبين وأنه يحكم عليهم بما هم أهله وكان عليه السلام: «إذا قرأها يقول بلى وأنا على ذلك من الشاهدين» يعني خارج الصلاة كما في «عين المعاني»، ويأمر بذلك أيضاً قال من قرأ ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فليقل بلى وأنا على ذلك من الشاهدين، ومن قرأ هذه السورة أعطاه الله خصلتين العافية واليقين ما دام في الدنيا ويعطي من الأجر بعدد من قرأها.

تمت سورة التين بعون الله المعين

٩٦ ـ سورة العلق

ثمان عشرة أو تسع عشرة آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢﴾.

﴿اقرأ﴾ أي: ما يوحى إليك يا محمد فإن الأمر بالقراءة يقتضي المقروء قطعاً وحيث لم يعين وجب أن يكون ذلك ما يتصل بالأمر حتماً سواء كانت السورة أول ما نزل أم لا فليس فيه تكليف ما لا يطاق سواء دل الأمر على الفور أم لا والأقرب أن هذا إلى قوله: **﴿ما لم يعلم﴾** أول ما نزل عليه ﷺ على ما دلت عليه الأحاديث الصحيحة، والخلاف إنما هو في تمام السورة عن عائشة رضي الله عنها: «أول ما ابتدىء به رسول الله عليه السلام، من النبوة» حين أراد الله به كرامته ورحمة العباد به «الرؤيا الصالحة كان لا يرى رؤيا إلا جاءت كفلق الصبح» أي: كضيائه وإنارته فلا يشك فيها أحد كما لا يشك في وضوح ضياء الصبح وإنما ابتدىء عليه السلام بالرؤيا لئلا يفاجأه الملك الذي هو جبريل بالرسالة فلا تتحملها القوة البشرية لأنها لا تحتمل رؤية الملك وإن لم يكن على صورته الأصلية ولا على سماع صوته ولا على ما يخبر به فكانت الرؤيا تأنيساً له وكانت مدة الرؤيا ستة أشهر على ما هو أدنى الخمل ثم جاءه الملك فعبر من عالم الرؤيا إلى عالم المثال، ولذا قال الصوفية: إن الحاجة إلى التعبير إنما هي في مرتبة النفس الأمارة واللوامة وإذا وصل السالك إلى النفس الملهمة، كما قال تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨﴾ [الشمس: ٨] قل احتياجه إلى التعبير لأنه حينئذٍ يكون ملهماً من الله تعالى فمرتبة الإلهام له كمرتبة مجيء الملك للرسول عليه السلام، فإذا كانت مدة الرؤيا ذلك العدد يكون ابتداؤها في شهر ربيع الأول وهو مولده عليه السلام، ثم أوحي إليه في اليقظة في شهر رمضان وكان عليه السلام في تلك المدة إذا خلا يسمع نداء يا محمد يا محمد ويرى نوراً أي يقظة وكان يخشى أن يكون الذي يناديه تابعاً من الجن كما ينادى الكهنة وكان في جبل حراء غار وهو الجبل الذي نادى رسول الله بقوله إلي يا رسول الله لما قال له ثبير وهو على ظهره اهبط عني يا رسول الله فإني أخاف أن تقتل على ظهري وكان عليه السلام يتعبد في ذلك الغار ليالي ثلاثاً وسبعاً وشهراً ويتزود لذلك من الكعك والزيت وذلك في تلك المدة وقبلها وأول من تعبد فيه من قريش جده عبد المطلب ثم تبعه سائر المتألهين وهم أبو أمية بن المغيرة وورقة بن نوفل ونحوهما وكان ورقة بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي ابن عم خديجة رضي الله عنها وكان قد قرأ الكتب وكتب الكتاب العبري وكان شيخاً كبيراً قد عمي في أواخر عمره ثم لما بلغ عليه السلام رأس الأربعين ودخلت ليلة سبع عشرة من شهر رمضان جاءه الملك وهو

في الغار، كما قال الإمام الصرصري رحمه الله:

وأتت عليه أربعون فأشرقت شمس النبوة منه في رمضان

قالت عائشة رضي الله عنها: «جاءه الملك سحر يوم الاثنين فقال: ﴿اقرأ﴾ قال: ما أنا بقارىء قال: فأخذني فغطني أي: ضمني وعصرني ثم أرسلني فعله ثلاث مرات ثم قال: ﴿اقرأ﴾ إلى قوله ﴿ما لم يعلم﴾»، وأخذ منه القاضي شريح من التابعين أن المعلم لا يضرب الصبي على تعليم القرآن أكثر من ثلاث ضربات فخرج عليه السلام من الغار حتى إذا كان في جانب من الجبل سمع صوتاً يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل ورجع إلى خديجة يرجف فؤاده فحدثها بما جرى فقالت له: «ابشر يا ابن عمي واثبت فوالذي نفسي بيده إني لأرجو أن تكون نبي هذه الأمة ثم انطلقت إلى ورقة فأخبرته» بذلك فقال فيه:

فإن يك حقاً يا خديجة فاعلمي حديثك إيانا فاحمد مرسل
وجبريل يأتيه وميكال معهما من الله وحي يشرح الصدر منزل
يفوز به من فاز عزاً لدينه ويشقى به الغاوي الشقي المضلل
فريقان منهم فرقة في جنانه وأخرى بأغلال الجحيم تغلل

ومكث عليه السلام مدة لا يرى جبريل وإنما كان كذلك ليذهب عنه ما كان يجده من الرعب وليحصل له التشوق إلى العود وكانت مدة الفترة أي فترة الوحي بين اقرأ وبين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١﴾ [المدثر: ١] وتوفي ورقة في هذه الفترة دفن بالحجون وقد آمن به عليه السلام، وصدقه قبل الدعوة التي هي الرسالة ولذا قال عليه السلام: «لقد رأيته في الجنة وعليه ثياب الحرير» ثم نزل ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢﴾ [المدثر: ١، ٢] فظهر الفرق بين النبوة والرسالة، قال بعض العارفين: أهل الإرادة في الطلب والمراد مطلوب وهو نعت الحبيب ألا ترى أنه لما قيل له اقرأ استقبله الأمر من غير طلب ونظيره ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الانشراح: ١] فإنه فرق بينه وبين قول موسى: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى﴾ [طه: ٢٥] ﴿باسم ربك﴾ متعلق بمضمر هو حال من ضمير الفاعل أي: اقرأ متلبساً باسم الله تعالى أي مبتدئاً به ليتحقق مقارنته لجميع أجزاء المقروء، أي قل بسم الله الرحمن الرحيم ثم اقرأ فعلم أن ﴿اقرأ باسم ربك﴾ نزلت من غير بسملة وقد صرح بذلك الامام البخاري رحمه الله، أمره بذلك لأن ذكر اسم الله قوة له في القراءة وأنس بمولاه فإن الأنس بالاسم يفضي إلى الإنس بالمسمى والذكر باللسان يؤدي إلى الذكر بالجنان والباء في باسم بره تعالى على المؤمنين بأنواع الكرامات في الدارين والسين كونه سميعاً لدعاء الخلق جميعاً والميم معناه من العرش إلى تحت الثرى ملكه وملكه «وفي الكواشي»: دخلت الباء في ﴿اقرأ باسم ربك﴾ لتدل على الملازمة والتكرير كأخذت بالخطام ولو قلت أخذت الخام لم يدل على التكرير والدوام وفي كتاب «شمس المعارف» أول آية نزلت على وجه الأرض بسم الله الرحمٰن الرحيم يعني على آدم الصفي عليه السلام فقال: آدم الآن هلمت أن ذريتي لا تعذب بالنار ما دامت عليها ثم أنزلت على إبراهيم عليه السلام في المنجنيق فأنجاه الله بها من النار ثم على موسى عليه السلام فقهر بها فرعون وجنوده ثم على سليمان عليه السلام فقالت الملائكة الآن والله قد تم ملكك فهي آية الرحمة والأمان لرسله وأممهم ولما نزلت على رسول الله ﷺ في سورة النمل إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمٰن الرحيم كانت فتحاً عظيماً فأمر رسول الله فكتبت على رؤوس السور وظهور الدفاتر وأوائل الرسائل وحلف

رب العزة بعزته أن لا يسميه عبد مؤمن على شيء ألا بورك له فيه وكانت لقائلها حجاباً من النار وهي تسعة عشر حرفاً تدفع تسعة عشر زبانية وفي الخبر النبوي لو وضعت السمٰوات والأرضون وما فيهن وما بينهم في كفة والبسملة في كفة لرجحت عليها يعني البسملة ﴿الذي خلق﴾ وصف الرب به لتذكير أول النعماء الفائضة عليه منه تعالى والتنبيه على أن من قدر على خلق الإنسان على ما هو عليه من الحياة وما يتبعها من الكمالات العلمية والعملية من مادة لم تشم رائحة الحياة فضلاً عن سائر الكمالات قادر على تعليم القراءة للحي العالم المتكلم أي الذي له الخلق والمستأثر به لا خالق سواه فيكون خلق منزل منزلة اللازم وبه يتم مرام المقام لدلالته على أن كل خلق مختص به أو خلق كل شيء فيكون من حذف المفعول للدلالة على التعميم وقال في «فتح الرحمٰن» لما ذكر الرب وكانت العرب في الجاهلية تسمي الأصنام أرباباً جاء بالصفة التي لا شركة للأصنام فيها فقال: الذي خلق ﴿خلق الإنسان﴾ على الأول تخصيص الخلق الإنسان بالذكر من بين سائر المخلوقات لاستقلاله ببدائع الصنع والتدبير وعلى الثاني أفراد للإنسان من بين سائر المخلوقات بالبيان وتفخيم لشأنه إذ هو أشرفهم وعليه نزل التنزيل وهو المأمور بالقراءة ويجوز أن يراد بالفعل الأول أيضاً خلق الإنسان ويقصد بتجريدة عن المفهوم الإبهام ثم التفسير روما لتفخيم فطرته ﴿من علق﴾ جمع علقة كثمر وثمرة وهي الدم الجامد وإذا جرى فهو المسفوح أي دم جامد رطب يعلق بما مر عليه لبيان كمال قدرته تعالى بإظهار ما بين حالته الأولى والآخرة من التباين البين وإيراده بلفظ الجمع حيث لم يقل علقة بناء على أن الإنسان في معنى الجمع لأن الألف فيه للاستغراق لمراعاة الفواصل ولعله هو السر في تخصيصه بالذكر من بين سائر أطوار الفطرة الإنسانية مع كون النطفة والتراب أدل منه على كمال القدرة لكونهما أبعد منه بالنسبة إلى الإنسانية ولما كان خلق الإنسان أول النعم الفائضة عليه منه تعالى وأقوم الدلائل الدالة على وجوده تعالى وكمال قدرته وعلمه وحكمته وصف ذاته تعالى بذلك أولاً ليستشهد عليه السلام به على تمكينه تعالى من القراءة وفي «حواشي» ابن الشيخ: أن الحكيم سبحانه لما أراد أن يبعثه رسولاً إلى المشركين لو قال له ﴿اقرأ باسم ربك﴾ الذي لا شريك له لأبوا أن يقبلوا ذلك منه لكنه تعالى قدم في ذلك مقدمة تلجئهم إلى الاعتراف به حيث أمر رسوله أن يقول لهم إنهم هم الذين خلقوا من العلقة ولا يمكنهم إنكاره ثم أن يقول لهم لا بد للفعل من فاعل فلا يمكنهم أن يضيفوا ذلك الفعل إلى الوثن لعلمهم بأنهم نحتوه فبهذا التدريج يقرون بأني أنا المستحق للثناء دون الأوثان لأن الإلهية موقوفة على الخالقية ومن لم يخلق شيئاً كيف يكون إلها مستحقاً للعبادة ومن هذه الطريقة ما يحكى أن زفر لما بعثه أبو حنيفة رحمه الله إلى البصرة لتقرير مذهبه فيهم فوصل إليهم وذكر أبا حنيفة منعوه ولم يلتفوا إليه فرجع إلى أبي حنيفة وأخبره بذلك فقال له أبو حنيفة: إنك لم تعرف طريق التبليغ لكن ارجع إليهم واذكر في المسألة أقاويل أئمتهم ثم بين ضعفها ثم قل بعد ذلك ههنا قول آخر فاذكر قولي وحجتي، فإذا تمكن ذلك في قلبهم، فقل هذا قول أبي حنيفة فإنهم حينئذٍ يستحسنونه فلا يردونه.

﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ كَلَّآ إِنَّ الْإِنسَـٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦﴾

﴿اقرأ﴾ أي: افعل ما أمرت به وكرر علامة الأمر بالقراءة تأكيداً للإيجاب وتمهيداً لما

يعقبه من قوله تعالى: ﴿وربك الأكرم﴾ الخ فإنه كلام مستأنف ولذا وضع السجاوندي علامة الوقف الجائز على خلق وارد لإزاحة ما بينه عليه السلام من العذر بقوله ما أنا بقارىء يريد أن القراءة شأن من يكتب ويقرأ وأنا أمي فقيل له وربك الذي أمرك بالقراءة مبتدئاً باسمه وهو الأكرم أي الزائد في الكرم على كل كريم فإنه ينعم بلا غرض ولا يطلب مدحاً أو ثواباً وتخلصاً من المذمة وأيضاً أن كل كريم إنما أخذ الكرم منه فكيف يساوي الأصل. وقال ابن الشيخ: ربك مبتدأ والأكرم صفته والذي مع صلته خبر.

﴿الذي علم بالقلم﴾ أي: علم ما علم بواسطة القلم لا غيره فكما علم القارىء بواسطة الكتابة والقلم يعلمك بدونهما وقال بعضهم: علم الخط بالقلم والقلم، ما يكتب به لأنه يقلم ويقص ويقطع وفيه امتنان على الإنسان بتعليم علم الخط والكتابة بالقلم ولذلك قيل العلم صيد والكتابة قيده وقيل:

وما من كاتب إلا سيبلى ويبقى الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه

ولولا القلم ما استقامت أمور الدين والدنيا وفيه إشارة إلى القلم الأعلى الذي هو أول موجود وهو الروح النبوي عليه السلام، فإن الله علم القلب بواسطته ما لم يعلم من العلوم التفصيلية. قال كعب الأحبار: أول من وضع الكتاب العربي والسرياني والكتب كلها آدم عليه السلام، قبل موته بثلاثمائة سنة، كتبها في الطين ثم طبخه فاستخرج إدريس ما كتب آدم وهذا هو الأصح وأما أول من كتب خط الرمل فإدريس عليه السلام وأول من كتب بالفارسية طهمورث ثالث ملوك الفرس وأول من اتخذ القراطيس يوسف عليه السلام، قال السيوطي رحمه الله: «أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وأول ما كتب القلم أنا التواب أتوب على من تاب». قال بعضهم: وجه المناسبة بين الخلق من العلق وتعليم القلم أن أدنى مراتب الإنسان كونه علقة وأعلاها كونه عالماً فالله تعالى امتن على الإنسان بنقله من أدنى المراتب وهي العلقة إلى أعلاها وهو تعلم العلم ثم الله الذي خلق الإنسان على صورته الحقيقية خلقه من علقة النجلى الأولى الحبي المشار إليه بقوله كنت كنزاً مخفياً أحببت أن أعرف فخلقت الخلق فصارت المحبة الذاتية علقة بالإيجاد الحبي وهو أكرم الأكرمين إذ هو جامع محيط بجميع الأسماء الدالة على الكرم كالجواد والواهب والمعطى والرازق وغيرها.

﴿علم الإنسان ما لم يعلم﴾ بدل اشتمال من علم بالقلم وتعيين للمفعول أي: علمه به وبدونه من الأمور الكلية والجزئية والجلية والخفية ما لم يخطر بباله أصلاً.

فإن قلت: فإذا كان القلم والخط من المنن الإلهية فما باله عليه السلام لم يكتب؟ قلت: لأنه لو كتب لقيل قرأ القرآن من صحف الأولين ومن كان القلم الأعلى يخدمه واللوح المحفوظ مصحفه ومنظره لا يحتاج إلى تصوير الرسوم وتشكيل العلوم بآيات الجسمانية لأن الخط صنعة ذهنية وقوة طبيعية صدرت بالآلة الجسمانية وفيه إشارة بديعة إلى أن أمته بين الأمم هم الروحانيون وصفهم سبحانه في الإنجيل أمة محمد أناجيلهم في صدورهم لو لم يكن رسم الخطوط لكانوا يحفظون شرائعه عليه السلام بقلوبهم لكمال قوتهم وظهور استعدادتهم.

﴿كلا﴾ ردع لمن كفر بنعمة الله عليه بطغيانه وإن لم يسبق ذكره للمبالغة في الزجر فيوقف عليه وقال السجاوندي يوقف على ما لم يعلم لأنه بمعنى حقاً ولذا وضع علامة الوقف

عليه ﴿إن الإنسان ليطغى﴾ أي: يتجاوز الحد ويستكبر على ربه بيان للمردوع والمردوع عنه قيل إن هذا إلى آخر السورة نزل في أبي جهل بعد زمان وهو الظاهر.

﴿أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾﴾.

﴿أن رآه استغنى﴾ مفعول له أي يطغى لأن رأى وعلم نفسه مستغنياً أو أبصر مثل أبي جهل وأصحابه ومثل فرعون ادعى الربوبية. قال ابن مسعود رضي الله عنه: «منهومان لا يشبعان طالب العلم وطالب الدنيا ولا يستويان» أما طالب العلم فيزداد في رضى الله وأما طالب الدنيا فيزداد في الطغيان وتعليل طغيانه برؤيته لنفسه الاستغناء للإيذان بأن مدار طغيانه زعمه الفاسد. روي «أن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ أتزعم أن من استغنى طغى فاجعل لنا جبال مكة فضة وذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك فنزل جبريل فقال إن شئت فعلنا ذلك ثم إن لم يؤمنوا فعلنا بهم ما فعلنا بأصحاب المائدة فكف رسول الله عن الدعاء إبقاء عليهم ورحمة» وأول هذه السورة يدل على مدح العلم وآخرها على مذمة المال وكفى بذلك مرغباً في العلم والدين ومنفراً عن المال والدنيا وكان عليه السلام يقول: اللهم إني أعوذ بك من غنى يطغي وفقر ينسي.

وفيه إشارة إلى أن الإنسان إذا رأى نفسه مظهر بعض صفات ربه وأسمائه يدعها لنفسه ويظن أن تلك الصفات والأسماء الإلهية المودعة فيه بحكمة بالغة ملك له وهو مالكها فيعجب بها وبكمالاتها فيستغنى عن مالكها الذي أودعها فيه ليستدل بها على خالقه وبارئه.

﴿إن إلى ربك الرجعى﴾ الرجعى مصدر بمعنى الرجوع والألف للتأنيث أي: إن إلى مالك أمرك أيها الإنسان رجوع الكل بالموت والبعث لا إلى غيره استقلالاً أو اشتراكاً فسترى حينئذٍ عاقبة طغيانك.

وآنجاهمه را عمل بكار آيدنه أموال
توانكرى نه بما لست نزد اهل كمال
كه مال تالب كورست وبعد ازان أعمال

﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ الاستفهام للتعجيب والرؤية بصرية والخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية وتنكير عبداً لتفخيمه عليه السلام كأنه قيل: ينهى أكمل الخلق في العبودية عن عبادة ربه والعدول عن ينهاك إلى ينهى عبداً دال على أن النهي كان للعبد عن إقامة خدمة مولاه ولا أقبح منه، روي أن أبا جهل قال في ملأ من طغاة قريش لئن رأيت محمداً يصلي لأطأن عنقه وفي «التكملة»: نهى محمداً عن الصلاة وهم أن يلقي على رأسه حجراً فرآه في الصلاة وهي صلاة الظهر فجاءه ثم نكص على عقبيه فقالوا: ما لك؟ فقال: إن بيني وبينه لخندقاً من نار وهولاً وأجنحة فنزلت والمراد أجنحة الملائكة أبصر اللعين الأجنحة ولم يبصر أصحابها فقال عليه السلام: «والذي نفسي بيده لو دنا مني لاختطفته الملائكة عضواً عضواً» وكان أبو جهل يكنى في الجاهلية بأبي الحكم لأنهم كانوا يزعمون أنه عالم ذو حكمة ثم سمى أبا جهل في الإسلام.

يقول الفقير: كان عليه السلام يدعو ويقول: «اللهم أعز الإسلام بأبي جهل أو بعمر» فلما

أعزه الله بعمر رضي الله عنه دل على أن عمر أسعد قريش كما أن أبا جهل أشقى قريش إذ الأشياء تتبين بأضدادها.

﴿**أرأيت**﴾ رؤية قلبية معناه أخبرني ذلك الناهي وهو المفعول الأول ﴿**إن كان على الهدى**﴾ فيما ينهى عنه من عبادة الله.

﴿أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾﴾.

﴿**أو أمر بالتقوى**﴾ أي أمر بالتقوى فيما يأمر به من عبادة الأوثان كما يعتقده وهذه الجملة الشرطية بجوابها المحذوف وهو ألم يعلم بأن الله يرى سدت مسد المفعول الثاني فإن المفعول الثاني لأرأيت لا يكون إلا جملة استفهامية أو قسمية وإنما حذف جواب هذه الشرطية اكتفاء عنه بجواب الشرطية لأن قوله: ﴿**إن كذب وتولى**﴾ مقابل للشرط الأول وهو أن كان على الهدى أو أمر بالتقوى والآية في الحقيقة تهكم بالناهي ضرورة إنه ليس في النهي عن عبادته تعالى والأمر بعبادة الأصنام على هدى ألبتة.

﴿**أرأيت**﴾ أخبرني ذلك الناهي ﴿**إن كذب وتولى**﴾ أي: إن كان مكذباً للحق معرضاً عن الصواب، كما نقول نحن ونظم الأمر والتكذيب والتولي في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه ليس باعتبار أنفس الأفعال المذكورة من حيث صدورها عن الفاعل فإن ذلك ليس في حيز التردد أصلاً بل باعتبار أوصافها التي هي كونها أمراً بالتقوى وتكذيباً وتولياً.

﴿**ألم يعلم بأن الله يرى**﴾ جواب للشرطية الثانية أي: يطلع على أحواله فيجازيه بها حتى اجترأ على ما فعل أي: قد علم ذلك الناهي أن الله يرى فكيف صدر منه ما صدر وإنما أفرد التكذيب والتولي بشرطية مستقلة مقرونة بالجواب مصدرة باستخبار مستأنف ولم ينظمهما في سلك الشرط الأول بعطفهما على كان للإيذان باستقلالهما بالوقوع في نفس الأمر وباستتباع الوعيد الذي ينطق به الجواب وأما القسم الأول فأمر مستحيل قد ذكر في حيز الشرط لتوسيع الدائرة وهو السر في تجريد الشرطية الأولى عن الجواب والإحالة به على جواب الثانية وقيل: المعنى أرأيت الذي ينهى عبداً يصلي والمنهي على الهدى آمراً بالتقوى والناهي مكذب متول ولا أعجب من ذا.

[برزكان كفته اندر كلمهٔ إن الله يرى هم وعد منذر جست وهم وعيد أي فاسق توبه كن كه ترامييبند أي مرايى اخلاص ورزكه ترامييبند أي درخلوت قصد كناه كرده هش داركه ترامى بيند درويشى بعد ازكناهى توبه كرده بود وپيوسته مى كريست كفتند چندمى كريى خداي تعالى غفورست كفت أرى هرچند عفو كند خجلت آنراكه أومى ديده چه كونه دفع كنم].

كيرم كه تواز سركنه در كذرى زان شرم كه ديدى كه چه كردم چه كنم

قال أبو الليث رحمه الله: والآية عظة لجميع الناس وتهديد لمن يمنع عن الخير وعن الطاعة، وقال ابن الشيخ في «حواشيه»: وهذه الآية وإن نزلت في حق أبي جهل لكن كل من نهى عن طاعة فهو شريك أبي جهل في هذا الوعيد ولا يلزم عليه المنع من الصلاة في الدار المغصوبة والأوقات المكروهة لأن المنهي عنه غير الصلاة وهو المعصية فإن عدم مشروعية الوصف المقارن وكونه مستحقاً لأن ينهى عنه لا ينافي مشروعية أصل الصلاة إلا أنه لشدة

الاتصال بينهما بحيث يكون النهي عن الوصف موهماً للنهي عن الأصل احتاط فيه بعض الأكابر حتى روي عن علي رضي الله عنه أنه رأى في المصلى أقواماً يصلون قبل صلاة العيد فقال: ما رأيت رسول الله ﷺ يفعل ذلك فقيل له ألا تنهاهم فقال أخشى أن ندخل تحت وعيد قوله تعالى: ﴿أرأيت الذي ينهى عبداً إذا صلى﴾ فلم يصرح بالنهي عن الصلاة احتياطاً وأخذ أبو حنيفة هذا الأدب الجميل حتى قال له أبو يوسف: أيقول المصلي حين يرفع رأسه من الركوع اللهم اغفر لي قال يقول ربنا لك الحمد ويسجد ولم يصرح بالنهي.

﴿كلا﴾ ردع للناهي اللعين وخسوء له عن نهيه عن عبادة الله وأمره بعبادة اللات ﴿لئن لم ينته﴾ اللام موطئة للقسم المضمر أي: والله لئن لم ينته عما هو عليه ولم ينزجر ولم يتب ولم يسلم قبل الموت والأصل ينتهي بالياء يقال نهاه ينهاه نهياً ضد أمره فانتهى ﴿لنسفعاً بالناصية﴾ أصله لنسفعن بالنون الخفيفة للتأكيد ونظيره وليكونا من الصاغرين كتب في المصحف بالألف على حكم الوقف فإنه يوقف على هذه النون بالألف تشبيهاً لها بالتنوين والسفع القبض على الشيء وجذبه بعنف وشدة، والناصية: شعر مقدم الرأس، والمعنى لنأخذن في الآخرة بناصيته ولنسحبنه بها إلى النار بمعنى لنأمرن الزبانية ليأخذوا بناصيته ويجروه إلى النار بالتحقير والإهانة وكانت العرب تأنف من جر الناصية وفي «عين المعاني»: الأخذ بالناصية عبارة عن القهر والهوان والاكتفاء بلام العهد عن الإضافة لظهور أن المراد ناصية الناهي المذكور ويحتمل أن يكون المراد من هذا السفع سحبه على وجهه في الدنيا يوم بدر فيكون بشارة بأن يمكن المسلمين من ناصيته حتى يجروه على وجهه إذا عاد إلى النهي فلما عاد مكنهم الله من ناصيته يوم بدر.

روي أنه لما نزلت سورة الرحمن، قال عليه السلام: «من يقرأها على رؤساء قريش فتثاقلوا» فقام ابن مسعود رضي الله عنه، وقال: أنا فأجلسه عليه السلام ثم قال ثانياً من يقرأها عليهم فلم يقم إلا ابن مسعود رضي الله عنه، ثم ثالثاً إلى أن أذن له وكان عليه السلام يبقى عليه لما كان يعلم ضعفه وصغر جثته ثم أنه وصل إليهم فرآهم مجتمعين حول الكعبة فافتتح قراءة السورة فقام أبو جهل فلطمه فشق أذنه وآدماها فانصرف وعينه تدمع فلما رآه عليه السلام رق قلبه وأطرق رأسه مغموماً فإذا جبرائيل جاء ضاحكاً مستبشراً فقال: يا جبرائيل تضحك ويبكي ابن مسعود فقال سيعلم فلما ظفر المسلمون يوم بدر التمس ابن مسعود أن يكون له حظ في الجهاد فقال له عليه السلام: «خذ رمحك والتمس في الجرحى من كان له رمق فاقتله فإنك تنال ثواب المجاهدين فأخذ يطالع القتلى فإذا أبو جهل مصروع يخور فخاف أن تكون به قوة فيؤذيه فوضع الرمح على منحره من بعيد فطعنه» ولعل هذا قوله: ﴿سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ۝١٦﴾ [القلم: ١٦] ثم لما عرف عجزه لم يقدر أن يصعد على صدره لضعفه فارتقى عليه بحيلة فلما رآه أبو جهل قال له: يا رويعي الغنم لقد ارتقيت مرتقى صعباً قال ابن مسعود: الإسلام يعلو ولا يعلى عليه فقال له: أبو جهل بلغ صاحبك أنه لم يكن أحد أبغض إلى منه في حال مماتي فروي أنه عليه السلام لما سمع ذلك قال: «فرعوني أشد من فرعون موسى» فإنه قال آمنت وهو قد زاد عتوا ثم قال يا ابن مسعود: اقطع بسيفي هذا لأنه أحد وأقطع فلما قطع رأسه لم يقدر على حمله فشق إذنه وجعل الخيط فيها وجعل يجره إلى رسول الله عليه السلام، وجبرائيل بين يديه يضحك ويقول يا محمد أذن بأذن لكن الرأس ههنا مع الإذن مقطوع، ولعل الحكيم

سبحانه إنما خلقه ضعيفاً حتى لم يقو على الرأس المقطوع لوجوه أحدها أن أبا جهل كلب والكلب يجر ولا يحمل والثاني ليشق الأذن فيقتص الأذن بالأذن والثالث ليحقق الوعيد المذكور بقوله ﴿لنسفعا بالناصية﴾ فيجر تلك الرأس على مقدمها قال ابن الشيخ: والناصية شعر الجبهة وقد يسمى مكان الشعر ناصية ثم إنه تعالى كنى بها ههنا عن الوجه والرأس ولعل السبب في تخصيص السفع بها أن اللعين كان شديد الاهتمام بترجيل الناصية وتطييبها.

﴿نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب۩ ﴿١٩﴾﴾.

﴿ناصية كاذبة خاطئة﴾ بدل من الناصية وإنما جاز إبدالها من المعرفة وهي نكرة لوصفها ووصف الناصية بالكذب والخطأ على الإسناد الجازي وهما لصاحبها وفيه من الجزالة ما ليس في قولك ناصية كاذب خاطىء كأن الكافر بلغ في الكذب قولاً والخطأ فعلاً إلى حيث أن كلا من الكذب والخطأ ظهر من ناصيته وكان أبو جهل كاذباً على الله في أنه لم يرسل محمداً كاذباً في أنه ساحر ونحوه وخاطئاً بما تعرض له عليه السلام بأنواع الأذية.

﴿فليدع﴾ من الدعوة يعني [كوبخاند أبو جهل]. ﴿ناديه﴾ أي: أهل ناديه ومجلسه ليعينوه وهو المجلس الذي ينتدى فيه القوم أي يجتمعون وقدر المضاف لأن نفس المجلس والمكان لا يدعى ولا يسمى المكان نادياً حتى يكون فيه أهله ودار الندوة بمكة كانوا يجتمعون فيها للتشاور وهي الآن لمحفل الحنفي روي أن أبا جهل مر برسول الله وهو يصلي فقال ألم ننهك فاغلظ له رسول الله فقال: أتهددني وأنا أكثر أهل الوادي نادياً يريد كثرة من يعينه فنزلت.

﴿سندع الزبانية﴾ أي ملائكة العذاب ليجروه إلى النار وواحد منهم يغلب على ألف ألف من أمثال أهل ناديه. قال عليه السلام: «لو دعا لأخذته ناديه الزبانية عياناً».

اجتمعت المصاحف العثمانية على حذف الواو من سندع خطا ولا موجب للحذف من العربية لفظاً ولعله للمشاكلة مع فليدع أو للتشبيه بالأمر في أن الدعاء أمر لا بد منه وقال ابن خالويه في إعراب الثلاثين آية: الأصل سندعو بالواو غير أن الواو ساكنة فاستثقلها اللام ساكنة فسقطت الواو في المصحف من سندع ويدع الإنسان ويمح الله الباطل وكذلك الياء من واد النمل وإن الله لهاد الذين آمنوا والعلة فيهاما أنبأتك من بنائهم الخط على اللفظ انتهى والزبانية في الأصل في كلام العرب الشرط كصرد جمع شرطة بالضم وهم طائفة من أعوان الولاة سموا بذلك لأنهم أعلموا أنفسهم بعلامات يعرفون بها كما في «القاموس»، والشرط بالتحريك العلامة والواحد زبنية كعفرية وعفرية الديك شعرة القفا التي يردها إلى يافخوخه عند الهراش من الزبن بالفتح كالضرب وهو الدفع لأنهم يزبنون الكفار أي يدفعونهم في جهنم بشدة وبطش يعني أن ملائكة العذاب سموا بما سمي به الشرط تشبيهاً لهم بهم في البطش والقهر والعنف والدفع وقيل الواحد زبنى وكأنه نسب إلى الزبن ثم غير إلى زبانية كأنسى بكسر الهمزة وأصلها زبني وقيل زبانية بتعويض التاء عن الياء بعد حذفها للمبالغة في الدفع وفيه إشارة إلى التجليات القوية الجلالية الجرارة أبا جهل النفس الأمارة وأهل ناديه الذي هو الهوى وقوه الظلمانية إلى نار الخذلان وجهنم الخسران.

﴿كلا﴾ ردع بعد ردع للناهي المذكور وزجر له أثر زجر فهو متصل بما قبله ولذا جعلوا الوقف عليه وقفاً مطلقاً ﴿لا تطعه﴾ أي: دم على ما أنت عليه من معاصاة ذلك الناهي الكاذب

الخاطىء كقوله تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾﴾ [القلم: ٨] ﴿واسجد﴾ وواظب على سجودك وصلاتك غير مكترث به ﴿واقترب﴾ وتقرب بذلك السجود إلى ربك وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه إذا سجد فأكثروا من الدعاء في السجود» كلمة ما مصدرية وأقرب مبتدأ حذف خبره ويكن تامة أي أقرب وجود العبد من ربه حاصل وقت سجوده.

[ودر فتوحات اين راسجدهٔ قرب كفته].

وهذا محل سجود عند الثلاثة خلافاً لمالك وهم على أصولهم في قولهم بالوجوب والسنية ثم إن السجود إشارة إلى إزالة حجاب الرياسة وفي الحديث: «لا كبر مع السجود» يعني [هركه سجده آرد از كبر دور كست وبر دركاه الله شرف متواضعان يافت].

روي أن إبراهيم عليه السلام أضاف يوماً مائتي مجوسي فلما أكلوا قالوا: أمرنا يا إبراهيم، قال: إن لي إليكم حاجة فقالوا ما حاجتك؟ قال: اسجدوا لربي سجدة واحدة فتشاوروا فيما بينهم فقالوا إن هذا الرجل قد صنع معروفاً كثيراً فلو سجدنا لربه ثم رجعنا إلى آلهتنا لا يضرنا ذلك بشيء فسجدوا جميعاً فلما وضعوا رؤوسهم على الأرض ناجى إبراهيم ربه فقال إني جهدت جهدي حتى حملتهم على هذا ولا طاقة لي على غيره وإنما التوفيق والهداية بيدك اللهم زين صدورهم بالإسلام فلما رفعوا رؤوسهم من السجود أسلموا.

وللسجدة أقسام: سجدة الصلاة وسجدة التلاوة، وسجدة السهو وهذه مشهورة، وسجدة التعظيم لجلال الله وكبريائه، وسجدة التضرع إليه خوفاً وطمعاً، وسجدة الشكر له، وسجدة المناجاة وهذه مستحبة في الأصح صادرة عن الملائكة، وعن رسول الله عليه السلام وسائر الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وقال أبو حنيفة: ومالك سجود الشكر مكروه فيقتصر على الحمد والشكر باللسان وقال الإمامان: هي قربه يثاب فاعلها. وقال القاشاني: قرأ عليه السلام في هذه السجدة أي سجدة اقرأ «أعوذ بعفوك من عقابك» أي بفعل لك من فعل لك «وأعوذ برضاك من سخطك» أي بصفة لك من صفة لك «وأعوذ بك منك» أي بذاتك من ذاتك وهو معنى اقترابه بالسجود.

٩٧ ـ سورة القدر

خمس أو ست آيات مكية وقيل مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢﴾.

﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾ النون للعظمة أو للدلالة على الذات مع الصفات والأسماء والضمير للقرآن لأن شهرته تقوم مقام تصريحه باسمه وإرجاع الضمير إليه فكأنه حاضر في جميع الأذهان وعظمه بأن أسند إنزاله إلى جنابه مع أن نزوله إنما يكون بواسطة الملك وهو جبرائيل على طريقة القصر بتقديم الفاعل المعنوي إلا أنه اكتفى بذكر الأصل عن ذكر التبع قال في بعض التفاسير: إنا أنزلناه مبتدأ أو خبر في الأصل، بمعنى نحن أنزلناه فأدخل أن للتحقيق فاختير اتصال الضمير للتخفيف ومعنى صيغة الماضي إنا حكمنا بإنزاله في ليلة القدر وقضينا به وقدرناه في الأزل، ثم إن الإنزال يستعمل في الدفعي والقرآن لم ينزل جملة واحدة بل أنزل منجماً مفرقاً في ثلاث وعشرين سنة، وهذه السورة من جملة ما أنزل وجوابه أن المراد أن جبرائيل نزل به جملة واحدة في ليلة القدر من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا وأملاه على السفرة، أي: الملائكة الكاتبين في تلك السماء ثم كان ينزل على النبي عليه السلام منجماً على حسب المصالح وكان ابتداء تنزيله أيضاً في تلك الليلة، وفيه إشارة إلى أن بيت العزة أشرف المقامات السماوية بعد اللوح المحفوظ لنزول القرآن منه إليه ولذلك قيل بفضل السماء الأولى على أخواتها لأنها مقر الوحي الرباني، وقيل لشرف المكان بالمكين وكل منهما وجه فإن السلطان إنما ينزل على أنزه مكان ولو فرضنا نزوله على مسبخة لكفى نزوله هناك شرفاً لها فالمكان الشريف يزداد شرفاً بالمكين الشريف كما سبق في سورة البلد، ففي نزول القرآن بالتدريج إشارة إلى تعظيم الجناب المحمدي كما تدخل الهدايا شيئاً بعد شيء على أيدي الخدام تعظيماً للمهدى إليه بعد التسوية بينه وبين موسى عليهم السلام بإنزاله جملة إلى بيت العزة وفي التدريج أيضاً تسهيل للحفظ وتثبيت لفؤاده كما قال تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾ [الفرقان: ٣٢] وكلام الله المنزل قسمان القرآن والخبر القدسي؛ لأن جبرائيل كان ينزل بالسنة كما ينزل بالقرآن ومن هنا جاز رواية السنة بالمعنى لأن جبرائيل أداها بالمعنى ولم تجز القراءة بالمعنى لأن جبرائيل أداها باللفظ والسر في ذلك التعبد بلفظه والإعجاز به فإنه لا يقدر أحد أن يأتي بدله بما يشتمل عليه من الإعجاز لفظاً ومن الأسرار معنى فكيف يقوم لفظ الغير ومعناه مقام حرف القرآن ومعناه ثم إن اللوح المحفوظ قلب هذا التعين ولكن قلب الإنسان ألطف منه لأنه زبدته وأشرفه لأن القرآن نزل به

الروح الأمين على قلب النبي المختار وهنا سؤال وهو الملائكة بأسرهم صعقوا ليلة نزول القرآن من حضرة اللوح المحفوظ إلى حضرة بيت العزة فما وجهه والجواب أن محمداً ﷺ عندهم من أشراط القيامة والقرآن كتابه فنزوله دل على قيام الساعة فصعقوا هيبة منه وإجلالاً لكلامه وحضرة وعده ووعيده، وفي بعض الأخبار «أن الله تعالى إذا تكلم بالرحمة تكلم بالفارسية» والمراد بالفارسية: لسان غير العرب سريانياً كان أو عبرانياً «وإذا تكلم بالعذاب تكلم بالعربية» فلما سمعوا العربية المحمدية ظنوا أنه عقاب فصعقوا وسيأتي معنى القدر ثم القرآن كلامه القديم أنزله في شهر رمضان كما قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ [البقرة: ١٨٥] وهذا هو البيان الأول ولم ندر نهاراً أنزل فيه أم ليلاً فقال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ﴾ [الدخان: ٣] وهذا هو البيان الثاني ولم ندر أي ليلة هي فقال تعالى: **﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾** فهذا هو البيان الثالث الذي هو غاية البيان فالصحيح أن الليلة التي يفرق فيها في كل أمر حكيم وينسخ فيها أمر السنة وتدبير الأحكام إلى مثلها هي ليلة القدر ولتقدير الأمور فيها سميت ليلة القدر ويشهد التنزيل لما ذكرنا إذ في أول الآية إنا أنزلناه في ليلة باركة ثم وصفها فقال فيها يفرق كل أمر حكيم والقرآن إنما نزل في ليلة القدر فكانت هذه الآية بهذا الوصف في هذه الليلة مواطئة لقوله تعالى: **﴿إنا أنزلناه في ليلة القدر﴾** كذا في «قوت القلوب» للشيخ أبي طالب المكي قدس سره فإن قلت ما الحكمة في إنزال القرآن ليلاً؟ قلت: لأن أكثر الكرامات ونزول النفحات والإسراء إلى السموات يكون بالليل والليل من الجنة لأنها محل الاستراحة والنهار من النار لأن فيه المعاش والتعب والنهار حظ اللباس والفراق والليل حظ الفراش والوصال وعبادة الليل أفضل من عبادة النهار لأن قلب الإنسان فيه أجمع والمقصود هو حضور القلب قال بعض العارفين: اعمل التوحيد في النهار والاسم في الليل حتى تكون جامعاً بين الطريقتين الجلوتية بالجيم والخلوتية ويكون التوحيد والاسم جناحين لك.

﴿وما أدراك ما ليلة القدر﴾ أي: وأي شيء أعلمك يا محمد ما هي أي: إنك لا تعلم كنهها لأن علو قدرها خارج عن دائرة دراية الخلق لا يدريها ولا يدريها إلا علام الغيوب وهو تعظيم للوقت الذي أنزل فيه ومن بعض فضائل ذلك الوقت أنه يرتفع سؤال القبر عمن مات فيه وكذا في سائر الأوقات الفاضلة ومن ذلك العيد ثم مقتضى الكرم أن لا يسأل بعده أيضاً وقد وقع تجلي الأفعال لسيد الأنبياء عليه السلام في رجب ليلة الجمعة الأولى بين العشاءين فلذا استحب صلاة الرغائب وقتئذٍ وتجلي الصفات في نصف شعبان فلذا استحب صلاة البراءة بعد العشاء قبل الوتر وتجلي الذات في ليلة القدر ولذلك استحب صلاة القدر فيها كما سيجيء ولما كان هذا معرباً عن الوعد بإدرائها قال:

﴿لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣﴾

﴿ليلة القدر﴾ أي قيامها والعبادة فيها **﴿خير من ألف شهر﴾** أي: من صيامها وقيامها ليس فيها ليلة القدر حتى لا يلزم تفضيل الشيء على نفسه فخير هنا للتفضيل أي: أفضل وأعظم قدراً وأكثر أجراً من تلك المدة وهي ثلاث وثمانون سنة وأربعة أشهر وفي الحديث: «من قام ليلة القدر إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ومن صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر» كما في «كشف الأسرار»، قال الخطابي: قوله:

إيماناً واحتساباً أي: بنية وعزيمة وهو أن يصومه على التصديق والرغبة في ثوابه طيبة به نفسه غير كاره له ولا مستثقل لصايمه ولا مستطيل لأيامه لكن يغتنم طول أيامه لعظم الثواب، وقال البغوي: قوله احتساباً أي: طلباً لوجه الله وثوابه يقال فلان يحتسب الأخبار أي: يطلبها كذا في «الترغيب والترهيب» والمراد بالقيام صلاة التراويح، وقال بعضهم: المراد مطلق الصلاة الحاصل بها قيام الليل قوله غفر له ما تقدم من ذنبه قيل المراد الصغائر وزاد بعضهم ويخفف من الكبائر إذا لم يصادف صغيرة وقوله وما تأخر هو كناية عن حفظهم من الكبائر بعد ذلك أو معناه أن ذنوبهم تقع مغفورة كذا في «شرح الترغيب» المسمى «بفتح القريب»، وقال سعيد بن السميب: من شهد المغرب والعشاء في جماعة فقد أخذ حظه من ليلة القدر كما في «الكواشي» ثم إن نهار ليلة القدر مثل ليلة القدر في الخير، وفيه إشارة إلى أن ليلة القدر للعارفين خير من ألف شهر للعابدين لأن خزائنه تعالى مملوءة من العبادات ولا قدر إلا للفناء وأهله وللشهود وأصحابه واختلفوا في وقتها فأكثرهم على أنها في شهر رمضان في العشر الأواخر في أوتارها لقوله عليه السلام: «التمسوها في العشر الأواخر من رمضان، فاطلبوها في كل وتر» وإنما جعلت في العشر الأخير الذي هو مظنة ضعف الصائم وفتوره في العبادة لتجدد جده في العبادة رجاء إدراكها وجعلت في الوتر لأن الله وتر يحب الوتر ويتجلى في الوتر على ما هو مقتضى الذات الأحدية وأكثر الأقوال إنها السابعة لأمارات وأخبار تدل على ذلك أحدها حديث ابن عباس رضي الله عنهما السورة ثلاثون كلمة وقوله هي السابعة والعشرون منها، ومنها ما قال ابن عباس: أيضاً ليلة القدر تسعة أحرف وهو مذكور في هذه السورة ثلاث مرات فتكون السابعة والعشرين ومنها أنه كان لعثمان بن أبي العاص غلام فقال: يا مولاي إن البحر يعذب ماؤه ليلة من الشهر، قال: إذا كانت تلك الليلة فأعلمني فإذا هي السابعة والعشرون من رمضان، ومن قال: إنها هي الليلة الأخيرة من رمضان استدل بقوله عليه السلام: «إن الله تعالى في كل ليلة من شهر رمضان عند الإفطار يعتق ألف ألف عتيق من النار كلهم استوجبوا العذاب فإذا كان آخر ليلة من شهر رمضان أعتق الله في تلك الليلة بعدد من أعتق من أول الشهر إلى آخره ولأن الليلة الأولى كمن ولد له ذكر فهي ليلة شكر والليلة الأخيرة ليلة الفراق كمن مات له ولد فهي ليلة صبر وفرق بين الشكر والصبر فإن الشاكر مع المزيد كقوله تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] والصابر مع الله لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: سألت النبي عليه السلام لو وافقتها ماذا أقول؟ قال: «قولي اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني» وعنها أيضاً لو أدركتها ما سألت الله إلا العافية وفيه إشارة إلى ما قال عليه السلام: «اللهم إني أسألك العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا والآخرة» ولعل السر في إخفائها تحريض من يريدها الثواب الكثير بإحياء الليالي الكثيرة رجاء لموافقتها.

أي خواجه چه كويى زشب قد رنشاني هر شب شب قدرست اكر قدر بداني

ونظيره إخفاء ساعة الإجابة في يوم الجمعة، والصلاة الوسطى في الخمس، واسمه الأعظم في الأسماء، ورضاه في الطاعات حتى يرغبوا في الكل وغضبه في المعاصي ليحتزوا عن الكل ووليه فيما بين الناس حتى يعظموا الكل.

خورش ده بكنجشك وكبك وحمام كه يك روزت افتد هماي بدام

والمستجاب من الدعوات في سائرها ليدعوه بكلها.

چـه هـر كـوشـه تـيـرنـيـاز افـكـنـي   اميدست كه ناكه كه صيدي زنى

ووقت الموت ليكون المكلف على احتياط في جميع الأوقات وتسميتها بليلة القدر إما لتقدير الأمور وقضائها فيها لقوله تعالى: ﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدخان: ٤] أي: إظهار تقديرها للملائكة، بأن تكتبها في اللوح المحفوظ وإلا فالتقدير نفسه أزلي فالقدر بمعنى التقدير وهو جعل الشي على مقدار مخصوص ووجه مخصوص حسبما اقتضت الحكمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله قدر فيها كل ما يكون في تلك السنة من مطر ورزق وإحياء وإماتة وغيرها إلى مثل هذه الليلة من السنة الآتية فيسلمه إلى مدبرات الأمور من الملائكة فيدفع نسخة الأرزاق والنباتات والأمطار إلى ميكائيل ونسخة الحروب والرياح والزلازل والصواعق والخسف إلى جبرائيل ونسخة الأعمال إلى إسرافيل ونسخة المصائب إلى ملك الموت.

فـكـم مـن فـتـى يـمـسـي ويـصـبـح آمـنـا   وقـد نـسـجـت اكـفـانـه وهـو لا يـدري

وكـم مـن شـيـوخ ترتجي طول عـمـرهـم   وقـد رهـقـت أجـسـادهـم ظـلـمـة الـقـبـر

وكـم مـن عـروس زيـنـوهـا لـزوجـهـا   وقـد قـبـضـت أرواحـهـم لـيـلـة الـقـدر

يقال إن مكيائيل هو الأمين على الأرزاق والأغذية المحسوسة ويقابله منك الكبد فهو الذي يعطي الغذاء لجميع البدن وكذلك إسرافيل يغذي الأشباح بالأرواح ويقابله منك الدماغ وجبرائيل يغذي الأرواح بالعلوم والمعارف ويقابله منك العقل وكل محدث لا بد له من غذاء فغذاء الجسم بالتأليف والعقل بالعلوم الضرورية، والروح القدسي أيضاً متعطش ولا يرتوي إلا بالعلوم الإلهية هذا وإما لخطرها وشرفها على سائر الليالي فالقدر بمعنى المنزلة والشرف إما باعتبار العامل على معنى أن من أتى بالطاعة فيها صار ذا قدر وشرف وإما باعتبار نفس العمل على معنى أن الطاعة الواقعة في تلك الليلة لها قدر وشرف زائد.

وعن أبي بكر الوراق رحمه الله: سميت ليلة القدر لأنه نزل فيها كتاب ذو قدر على لسان ملك ذي القدر لأمة لها قدر ولعله تعالى إنما ذكر لفظ القدر في هذه السورة ثلاث مرات لهذا السبب، وقال الخليل رحمه الله: سميت ليلة القدر أي: ليلة الضيق لأن الأرض تضيق فيها بالملائكة فالقدر بمعنى الضيق، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ﴾ [الطلاق: ٧] وتخصيص الألف بالذكر إما للتكثير لأن العرب تذكر الألف في غاية الأشياء كلها ولا تريد حقيقتها أو لما روي أنه عليه السلام، ذكر رجلاً من بني إسرائيل اسمه شمسون لبس السلاح في سبيل الله، ألف شهر فتعجب المؤمنون منه وتقاصرت إليهم أعمالهم فأعطوا ليلة هي خير من مدة ذلك الغازي وقيل إن الرجل فيما مضى كان لا يقال له عابد حتى يعبد الله ألف شهر فأعطوا ليلة أن أحيوها كانوا أحق بأن يسموا عابدين من أولئك العباد وقيل: رأى النبي عليه السلام، أعمار الأمم كافة فاستقصر أعمار أمته فخاف أن لا يبلغوا من العمل مثل ما بلغ غيرهم في طول العمر فأعطاه الله ليلة القدر وجعلها خيراً من ألف شهر لسائر الأمم وقيل: كان ملك سليمان عليه السلام خمسمائة شهر وملك ذي القرنين خمسمائة شهر فجعل الله العمل في هذه الليلة لمن أدركها خيراً من ملكهما وروي عن الحسن بن علي بن أبي طالب أنه قال حين عوتب في تسليمه الأمر لمعاوية: إن الله أرى نبيه عليه السلام في المنام بني أمية ينزون على منبره نزو القردة أي يثبون فاغتم لذلك فأعطاه الله ليلة القدر وهي خير له ولذريته ولأهل بيته من ألف شهر وهي مدة ملك بني أمية وأعلمه أنهم يملكون أمر الناس هذا القدر من الزمان ثم

كشف الغيب إن كان من سنة الجماعة إلى قتل مروان الجعدي آخر ملوكهم هذا القدر من الزمان بعينه كما في «فتح الرحمن»، ودل كلام الله تعالى على ثبوت ليلة القدر فمن قال إن فضلها كان لنزول القرآن يقول انقطعت فكانت مرة والجمهور على أنها باقية آتية في كل سنة فضلاً من الله ورحمة على عباده غير مختصة برمضان عند البعض وهو قول الإمام أبي حنيفة رحمه الله، وحضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر حتى لو علق أحد طلاق امرأته أو عتق عبده بليلة القدر فإنه لا يحكم به إلا بأن يتم الحول وعند الأكثرين مختصة به وكان عليه السلام، إذا دخل العشر شد مئزره وأحيى ليله وأيقظ أهله وكان الصالحون يصلون في ليلة من العشر ركعتين بنية قيام ليلة القدر وعن بعض الأكابر من قرأ كل ليلة عشر آيات على تلك النية لم يحرم بركتها وثوابها، قال الإمام أبو الليث رحمه الله: أقل صلاة ليلة القدر ركعتان وأكثرها ألف ركعة وأوسطها مائة ركعة وأوسط القراءة في كل ركعة أن يقرأ بعد الفاتحة إنا أنزلناه مرة وقل هو الله أحد ثلاث مرات، ويسلم على كل ركعتين ويصلي على النبي عليه السلام بعد التسليم ويقوم حتى يتم ما أراد من مائة أو أقل أو أكثر ويكفي في فضل صلاتها ما بين الله من جلالة قدرها وما أخبر به الرسول عليه السلام من فضيلة قيامها وصلاة التطوع بالجماعة جائزة من غير كراهة لو صلوا بغير تداع وهو الأذان والإقامة كما في الفرائض صرح بذلك كثير من العلماء.

قال في «شرح النقاية» وغيره: وفي «المحيط»: لا يكره الاقتداء بالإمام في النوافل مطلقاً نحو القدر والرغائب وليلة النصف من شعبان ونحو ذلك لأن ما رأه المؤمنون حسناً فهو عند الله حسن فلا تلتفت إلى قول من لا مذاق لهم من الطاعنين فإنهم بمنزلة العنين لا يعرفون ذوق المناجاة وحلاوة الطاعات وفضيلة الأوقات.

هركس ازجلوۀ كل فهم معاني نكند شرح آن دفتر ننوشته زبلبل بشنو

﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤﴾.

﴿تنزل الملائكة والروح فيها﴾ استئناف مبني لماله فضلت على ألف شهر وأصل ينزل تتنزل بتاءين والظاهر أن المراد كلهم للإطلاق وقد سبق معنى الروح في سورة النبأ، وقال بعضهم: إنه ملك لو التقم السماوات والأرضين كانت له لقمة واحدة أو هو ملك رأسه تحت العرش ورجلاه في تخوم الأرض السابعة وله ألف رأس كل رأس أعظم من الدنيا وفي كل رأس ألف وجه وفي كل وجه ألف فم وفي كل فم ألف لسان يسبح الله بكل لسان ألف نوع من التسبيح والتحميد والتمجيد لكل لسان لغة لا تشبه الأخرى فإذا فتح أفواهه بالتسبيح خر كل ملائكة السماوات سجداً مخافة أن يحرقهم نور أفواهه وإنما يسبح الله غدوة وعشية فينزل تلك الليلة فيستغفر للصائمين والصائمات من أمة محمد عليه السلام بتلك الأفواه كلها إلى طلوع الفجر أو هو طائفة من الملائكة لا تراهم الملائكة إلا ليلة القدر كالزهاد الذين لا نراهم إلا يوم العيد أو هو عيسى عليه السلام، لأنه اسمه ينزل في موافقة الملائكة ليطالع أمة محمد عليه السلام.

[ودر تفسير جواجه محمد پارسا رحمه الله، مذكوراست كه روح حضرت محمد ﷺ فرودايد].

وفي الحديث: «لأنا أكرم على الله من أن يدعني في الأرض أكثر من ثلاث» وكان

الثلاث عشر مرات ثلاثين لأن الحسين رضي الله عنه، قتل في رأس الثلاثين سنة فغضب على أهل الأرض وعرج به إلى عليين وقد رآه بعض الصالحين في النوم فقال يا رسول الله بأبي أنت وأمي أما ترى فتن أمتك فقال زادهم الله فتنة قتلوا الحسين ولم يحفظوني ولم يراعوا حقي فيه وعلى كل تقدير، فالمعنى تنزل الملائكة والروح في تلك الليلة من كل سماء إلى الأرض وهو الأظهر لأن الملائكة إذا نزلت في سائر الأيام إلى مجالس الذكر فلأن ينزلوا في تلك الليلة مع علو شأنها أولى أو إلى السماء الدنيا قالوا ينزلون فوجاً فوجاً فمن نازل ومن صاعد كأهل الحج فإنهم على كثرتهم يدخلون الكعبة ومواضع النسك بأسرهم لكن الناس بين داخل وخارج ولهذا السبب مدت إلى غاية طلوع الفجر وذكر لفظ تنزل المفيد للتدريج وبه يندفع ما يرد أن الملائكة لهم كثرة عظيمة لا تحتملها الأرض وكذا السماء على أن شأن الأرواح غير شأن الأجسام والملائكة وإن كان لهم أجسام لطيفة يقال لهم: الأرواح، وقال بعضهم: النازلون هم سكان سدرة المنتهى، وفيها ملائكة لا يعلم عددهم إلا الله ومقام جبرائيل في وسطها ولا يدخلون أي الملائكة النازلون الكنائس وبيوت الأصنام والأماكن التي فيها الكلب والتصاوير والخبائث وفي بيوت فيها خمر أو مدمن خمر أو قاطع رحم أو جنب أو آكل لحم خنزيراً ومتضمخ بالزعفران وغير ذلك، والتضمخ بالفارسية [بوى خوش برخويشتن آلودن].

ويعدى بالباء كما في «تاج المصادر» وقال في «القاموس»: التضمخ لطخ الجسد بالطيب حتى كأنه يقطر، قوله الروح معطوف على الملائكة والضمير لليلة القدر والجار متعلق بتنزل ويجوز أن يكون والروح فيها جملة اسمية في موقع الحال من فاعل تنزل والضمير للملائكة والأول هو الوجه لعدم احتياجه إلى ضمير فيها ﴿**بإذن ربهم**﴾ أي: بأمره متعلق بتنزل وهو بدل على أنهم كانوا يرغبون إلينا ويشتاقون فيستأذن فيؤذن في النزول إلينا لهم فإن قيل: كيف يرغبوا إلينا مع علمهم بكثرة ذنوبنا؟ قلنا: لا يقفون على تفصيل المعاصي روي أنهم يطالعون اللوح فيرون فيه طاعة المكلف مفصلة فإذا وصلوا إلى معاصيه أرخى الستر فلا يرونه فحينئذٍ يقولون سبحان من أظهر الجميل وستر القبيح ولأنهم يرون في الأرض من أنواع الطاعات أشياء ما رأوها في عالم السماوات كإطعام الطعام وأنين العصاة وفي الحديث القدسي: «لأنين المذنبين أحب إلي من زجل المسبحين فيقولون تعالوا نذهب إلى الأرض فنسمع صوتاً هو أحب إلى ربنا من صوت تسبيحنا وكيف لا يكون أحب وزجل المسبحين» إظهار لكمال حال المطيعين وأنين العصاة إظهار لغفارية رب العالمين.

نصيب ماست بهشت أي خدا شناس برو كه مستحق كرامت كنا هكارانند

﴿**من كل أمر**﴾ متعلق بتنزل أيضاً أي: من أجل كل أمر قدر في تلك السنة من خير أو شر أو بكل أمر من الخير والبركة كقوله تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد: ١١] أي: بأمر الله قيل يقسم جبرائيل في تلك الليلة بقية الرحمة في دار الحرب على من علم الله أنه يموت مسلماً فبتلك الرحمة التي قسمت عليهم ليلة القدر يسلمون ويموتون مسلمين فإن قيل: المقدرات لا تفعل في تلك الليلة بل في تمام السنة فلماذا تنزيل الملائكة فيها لأجل تلك الأمور؟ قيل: لعل تنزلهم لتعين إنفاذ تلك الأمور وتنزلهم لأجل كل أمر ليس تنزل كل واحد لأجل كل أمر بل ينزل الجميع لأجل جميع الأمور حتى يكون في الكلام تقسيم العلل على المعلولات.

﴿سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ ۝٥﴾

﴿**سلام هي**﴾ تقديم الخبر لإفادة الحصر مثل تميمي أنا أي ما هي إلا سلامة أي: لا يحدث فيها داء ولا شيء من الشرور والآفات كالرياح والصواعق ونحو ذلك مما يخاف منه بل كل ما ينزل في هذه الليلة إنما هو سلامة ونفع وخير ولا يستطيع الشيطان فيها سوءاً ولا ينفذ فيها سحر ساحر والليلة ليست نفس السلامة بل ظرف لها ومع ذلك وصفت بالسلامة للمبالغة في اشتمالها عليها وعلم منه أنه يقضي في غير ليلة القدر كل من السلامة والبلاء يعني يتعلق قضاء الله بهما أو ما هي إلا سلام لكثرة ما يسلمون فيها على المؤمنين ومن أصابته التسليمة غفر له ذنبه وفي الحديث: «ينزل جبرائيل ليلة القدر في كبكبة من الملائكة» أي: جماعة متضامة يصلون ويسلمون على كل عبد قائم أو قاعد بذكر الله ﴿**حتى مطلع الفجر**﴾ أي: وقت طلوعه قدر المضاف لتكون الغاية من جنس المغيا فمطلع بفتح اللام مصدر ميمي ومن قرأ بكسر اللام جعله اسماً لوقت الطلوع أي اسم زمان وحتى متعلقة بتنزل على أنها غاية لحكم التنزل أي لمكثهم في تنزلهم أو لنفس تنزلهم بأن لا ينقطع تنزلهم فوجاً بعد فوج إلى طلوع الفجر. وقال بعضهم: ليلة القدر من غروب الشمس إلى طلوع الفجر سلام، أي: يسلم فيها الملائكة على المطيعين إلى وقت طلوع الفجر ثم يصعدون إلى السماء فحتى متعلقة بسلام قالوا علامة ليلة القدر أنها ليلة لا حارة ولا باردة وتطلع الشمس صبيحتها لا شعاع لها لأن الملائكة تصعد عند طلوع الشمس إلى السماء فيمنع صعودها انتشار شعاعها لكثرة الملائكة أو لأنها لا تطلع في هذه الليلة بين قرني الشيطان فإنها على ما جاء في بعض الأحاديث تطلع كل يوم بين قرني الشيطان ويزيد الشيطان في بث شعاعها وتزيين طلوعها ليزيد في غرور الكافرين ويحسن في أعين الساجدين وقد سبق أنه يعذب الماء الملح تلك الليلة وأما النور الذي يرى ليلة القدر فهو نور أجنحة الملائكة أو نور جنة عدن تفتح أبوابها ليلة القدر أو نور لواء الحمد أو نور أسرار العارفين رفع الله الحجب عن أسرارهم حتى يرى الخلق ضياءها وشعاعها وهو المناسب لحقيقة ليلة القدر فإن حقيقتها عبارة عن انكشاف الملكوت لقلب العارف فإذا تنور الباطن بنور الملكوت انعكس منه إلى الظاهر وفي الحديث من قرأ سورة القدر أعطي ثواب من صام رمضان وأحيى ليلة القدر.

تمت سورة القدر بعون من له الخلق والأمر في الثاني والعشرين
من ثاني الربيعين من سنة سبع عشرة ومائة وألف

٩٨ ـ سورة البينة

والبينة والبرية ثمان أو تسع آيات مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ ﴿٤﴾﴾.

﴿**لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب**﴾ أي اليهود والنصارى وإيراد الصلة فعلاً لما أن كفرهم حادث بعد أنبيائهم ﴿**والمشركين**﴾ أي: عبدة الأصنام ومن للتبيين لا للتبعيض حتى لا يلزم أن لا يكون بعض المشركين كافرين وذلك أن الكفار كانوا جنسين أهل الكتاب كفرق اليهود والنصارى والمشركين وهم الذين كانوا لا ينسبون إلى كتاب فذكر الله الجنسين بقوله ﴿**الذين كفروا**﴾ على الإجمال بالتفصيل والتبيين وهو قوله ﴿**من أهل الكتاب والمشركين**﴾ وهو حال من الواو في كفروا، أي: كائنين منهم ﴿**منفكين**﴾ خبر كان أي: عما كانوا عليه من الوعيد باتباع الحق والإيمان بالرسول المبعوث في آخر الزمان والعزم على إنجازه وهذا الوعد من أهل الكتاب مما لا ريب فيه حتى أنهم كانوا يستفتحون ويقولون اللهم افتح علينا وانصرنا بالنبي المبعوث في آخر الزمان ويقولون لأعدائهم من المشركين: قد أظل زمان نبي يخرج بتصديق ما قلنا فنقتلكم معه قتل عاد وإرم وأما من المشركين فلعله قد وقع من متأخريهم بعد ما شاع ذلك من أهل الكتاب واعتقدوا صحته بما شاهدوا من نصرتهم على أسلافهم كما يشهد به أنهم كانوا يسألونهم عن رسول الله هل هو المذكور في كتبهم وكانوا يغرونهم بتغيير نعوته وانفكاك الشيء من الشيء أن يزايله بعد التحامه كالعظم إذا انفك من مفصله وفيه إشارة إلى كمال وكادة وعدهم أي: لم يكونوا مفارقين للوعد المذكور بل كانوا مجمعين عليه عازمين على إنجاز ﴿**حتى تأتيهم البينة**﴾ التي كانوا قد جعلوا إتيانها ميقاتاً لاجتماع الكلمة والاتفاق على الحق فجعلوه ميقاتاً للانفكاك والافتراق وإخلاف الوعد والتعبير عن إتيانها بالمضارع باعتبار حال المحكي لا الحكاية والبينة الحجة الواضحة.

﴿**رسول**﴾ بدل من البينة عبر عنه عليه السلام بها للإيذان بغاية ظهور أمره وكونه ذلك الموعود في الكتابين ﴿**من الله**﴾ متعلق بمضمر هو صفة لرسول مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أي: رسول وأي رسول كائن منه تعالى. ﴿**يتلو**﴾ صفة أخرى ﴿**صحفاً**﴾ جمع صحيفة وهي ظرف المكتوب ومحله من الأوراق ﴿**مطهرة**﴾ أي: منزهة من الباطل لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ومن أن يمسه غير المطهرين.

وقال الكاشفي: صحيفهاى پاكيزه از كذب وبهبان.

ونسبة التلاوة إلى الصحف وهي القراطيس مجازية أو هي مجاز عما فيها بعلاقة الحلول والمراد أنه لما كان ما يتلوه الذي هو القرآن مصدقاً لصحف الأولين مطابقاً لها في أصول الشرائع والأحكام صار متلوه كأنه صحف الأولين وكتبهم فعبر عنه باسم الصحف مجازاً.

قال الكاشفي: [قرآنرا صحف كفت براي تعظيم با آنكه جامع أسرار جميع صحفست] قال في «عين المعاني»: وسميت الصحف لأنها أصحف بعضها على بعض أي وضع ﴿**فيها كتب قيمة**﴾ صفة لصحف أي في تلك الصحف أمور مكتوبة مستقيمة ناطقة بالحق والصواب وبالفارسية دران صحيفها توشتهاى راست ودرست يعني أحكام ومواعظ وفي «المفردات»: إشارة إلى ما فيه من معاني كتب الله فإن القرآن مجمع ثمرة كتب الله المتقدمة ﴿**وما تفرق الذين أوتوا الكتاب**﴾ عما كانوا عليه من الوعد وإفراد أهل الكتاب بعد الجمع بينهم وبين المشركين للدلالة على شناعة حالهم وأنهم لما تفرقوا مع علمهم كان غيرهم بذلك أولى خصوا بالذكر لأن جحود العالم أقبح وأشنع من إنكار الجاهل ﴿**إلا من بعد ما جاءتهم البينة**﴾ استثناء مفرغ من أعم الأوقات أي وما تفرقوا في وقت من الأوقات إلا من ما جاءتهم الحجة الواضحة الدالة على أن رسول الله عليه السلام هو الموعود في كتابهم دلالة جلية لا ريب فيها.

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ۝٥﴾

﴿**وما أمروا إلا ليعبدوا الله**﴾ جملة حالية مفيدة لغاية قبح ما فعلوا أي والحال أنهم ما أمروا بما أمروا في كتابهم لشيء من الأمور إلا لأجل أن يعبدوا الله وهذه اللام في الحقيقة لام الحكمة والمصلحة، يعني أن فعله تعالى وإن لم يكن معللاً بالغرض إلا أنه مغياً بالحكم والمصالح وكثيراً ما تستعمل لام الغرض في الحكمة المترتبة على الفعل تشبيهاً لها بها في ترتبها على الفعل بحسب الوجود وفي حصر علة كونهم مأمورين بما في كتبهم من عبادة الله بالإخلاص حيث قيل وما أمروا بما أمروا إلا لأجل أن يتذللوا له ويعظموه غاية التذلل والتعظيم، ولا يطلبوا في امتثال ما كلفوا به شيئاً آخر سوى التذلل لربهم ومالكهم كثواب الجنة والخلاص من النار دليل ما ذهب إليه أهل السنة من أن العبادة ما وجبت لكونها مفضية إلى ثواب الجنة أو إلى البعد والنجاة من عذاب النار بل لأجل أنك عبد وهو رب ولو لم يحصل في الدين ثواب ولا عقاب ألبتة، ثم أمرك بالعبادة وجبت لمحض العبودية ومقتضى الربوبية والمالكية وفيه أيضاً إشارة إلى أن من عبد الله للثواب والعقاب فالمعبود في الحقيقة هو الثواب والعقاب والحق واسطة فالمقصود الأصلي من العبادة هو المعبود وكذا الغاية من العرفان المعروف فعليك بالعبادة للمعبود وبالعرفان للمعروف، وإياك وأن تلاحظ شيئاً غير الله تعالى.

عاشقانرا شادماني وغم اوست ... دست مزدوا جرت خدمت مم اوسوت

وقال بعضهم: الأظهر أن تجعل لام ليعبدوا الله زائدة كما تزاد في صلة الإرادة فيقال أردت لتقوم لتنزيل الأمر منزلة الإرادة فيكون المأمور به هذه الأمور من العبادة ونحوها كما هو الظاهر ثم إن العبادة هي التذلل ومنه طريق معبد أي مذلل ومن زعم أنها الطاعة فقد أخطأ لأن جماعة عبدوا الملائكة والمسيح والأصنام وما أطاعوهم ولكن في الشرع صارت اسماً لكل

طاعة لله أديت له على وجه التذلل والنهاية في التعظيم والعبادة بهذا المعنى لا يستحقها إلا من يكون واحداً في صفاته الذاتية والفعلية فإن كان له مثل لم يمكن أن يصرف إليه نهاية التعظيم فثبت بما قلنا أنه لا بد في كون الفعل عبادة من شيئين أحدهما غاية التعظيم ولذلك قيل إن صلاة الصبي ليست بعبادة لأنه لا يعرف عظمة الله فلا يكون فعله غاية التعظيم وفي حكمه الجاهل الغافل وثانيهما أن يكون مأموراً به ففعل اليهود ليس بعبادة وإن تضمن نهاية التعظيم لأنه غير مأمور به فإذا لم يكن فعل الصبي عبادة لفقد التعظيم ولا فعل اليهود لفقد الأمر فكيف يكون ركوعك الناقص عبادة والحال أنه لا أمر به ولا تعظيم. فيه. ﴿**مخلصين له الدين**﴾ حال من الفاعل في ليعبدوا أي: جاعلين أنفسهم خالصة لله تعالى في الدين يعني [از شرك والحاد پاكيزه باشند واز أغراض نفسانية وقضاي شهوات صافي وبي غش].

والإخلاص: أن يأتي بالفعل خالصاً لداعية واحدة ولا يكون لغيرها من الدواعي تأثير في الدعاء إلى ذلك الفعل فالعبادة لجلب المنفعة أو لدفع المضرة ليست من قبيل الإخلاص، وكذا الاشتغال بالمباح في الصلاة مثل التنحنح وغيره من الحظوظ النفسانية وزيادة الخشوع في الصلاة لأجل الغير رياء ودفع الزكاة إلى الوالدين والمولودين وعبيده وإمائه ينافي القربة ولذا نهى عنه فالإخلاص في العبودية تجريد السر عما سوى الله تعالى، وقال بعضهم: الإخلاص أن لا يطلع على عملك إلا الله ولا ترى نفسك فيه وتعلم أن المنة لله عليك في ذلك حيث أهلك لعبادته ووفقك لها ولا تطلب من الله أجراً وعوضاً. ﴿**حنفاء**﴾ حال أخرى على قول من جوز حالين من ذي حال واحد ومن المنوي في مخلصين على قول من لم يجوز ذلك أي مائلين عن جميع العقائد الزائغة إلى الإسلام وهو في المعنى تأكيد للإخلاص إذ هو الميل عن الاعتقاد الفاسد وأكبره اعتقاد الشركة وأصل الحنف الميل وانقلاب ظهر القدم حتى يصير بطناً فالأحنف هو الذي يمشي على ظهر قدميه في شقها الذي يلي خنصرها ويجيء الحنف بمعنى الاستقامة فمعنى حنفاء مستقيمين فعلى هذا إنما سمي مائل القدم أحنفاً على سبيل التفاؤل كقولك للأعمى بصير وللحبشي كافورو للطاعون مبارك وللمهلكة مفازة قال ابن جبير: لا يسمى أحد حنيفاً حتى يحج ويختتن لأن الله وصف إبراهيم عليه السلام، بكونه حنيفاً وكان من شأنه أنه حج وختن نفسه ﴿**ويقيموا الصلاة**﴾ التي هي العمدة في باب العبادات البدنية ﴿**ويؤتوا الزكاة**﴾ التي هي الأساس في العبادات المالية، قال في «الإرشاد»: إن أريد بهما ما في شريعتهم من الصلاة والزكاة فالأمر ظاهر وإن أريد ما في شريعتنا فمعنى أمرهم بهما في الكتابين أن أمرهم باتباع شريعتنا أمر لهم بجميع أحكامها التي هما من جملتها. ﴿**وذلك**﴾ أي: ما ذكر من عبادة الله بالإخلاص وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة. ﴿**دين القيمة**﴾ أي: دين الملة القيمة قدر الموصوف لئلا يلزم إضافة الشيء إلى صفته فإنها إضافة الشيء إلى صفته وصحة إضافة الدين إلى الملة باعتبار التغاير الاعتباري بينهما فإن الشريعة المبلغة إلى الأمة بتبليغ الرسول إياها من قبل الله تسمى ملة باعتبار أنها تكتب وتملى وديناً باعتبار أنها تطاع فإن الدين الطاعة، يقال: دان له أي: أطاعه وقال بعضهم: إضافة الدين إلى القيمة إضافة العام إلى الخاص كشجر الأراك ولا حاجة إلى تقدير الملة فإن القيمة عبارة عن الملة كما يشهد له قراءة أبي رضي الله عنه وذلك الدين القيم انتهى.

وقال الكاشفي: دين القيمة يعني دين وهلت درست است وپاينده.

يعني: أضاف الدين إلى القيمة وهي نعته لاختلاف اللفظين والعرب تضيف الشيء إلى نعته كثيراً ونجد هذا في القرآن في مواضع منها قوله: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ﴾ [يوسف: ١٠٩] وقال في موضع وللدار الآخرة، لأن الدار هي الآخرة وقال عذاب الحريق أي المحرق كالأليم بمعنى المؤلم وتقول دخلت مسجد الجامع ومسجد الحرام، وأدخلك الله جنة الفردوس هذا وأمثاله وأنث القيمة لأن الآيات هائية فرد الدين إلى الملة كما في «كشف الأسرار» والقيمة بمعنى المستقيمة التي لا عوج فيها وقال الراغب: القيمة هنا اسم الأمة القائمة بالقسط المشار إليهم بقوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] قال ابن الشيخ بعض أهل الأديان لما بالغوا في باب الأعمال من غير إحكام الأصول وهم اليهود والنصارى والمجوس فإنهم ربما أتعبوا أنفسهم في الطاعات ولكنهم ما حصلوا الدين الحق بتحصيل الاعتقاد المطابق، وبعضهم حصلوا الأصول وأهملوا الفروع وهم المرجئة الذين يقولون لا تضر المعصية مع الإيمان فالله تعالى خطأ الفريقين في هذه الآية وبين أنه لا بد من العلم، والإخلاص في قوله: ﴿**مخلصين**﴾ ومن العمل في قوله: ﴿**ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة**﴾ ثم قال وذلك المجموع كله هو دين الملة المستقيمة المعتدلة فكما أن مجموع الأعضاء بدن واحد كذلك هذا المجموع دين واحد.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾﴾.

﴿**إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم**﴾ بيان لحالهم الأخروي بعد بيان حالهم الدنيوي وذكر المشركين لئلا يتوهم اختصاص الحكم بأهل الكتاب حسب اختصاص مشاهدة شواهد النبوة في الكتاب بهم، ومعنى كونهم فيها أنهم يصيرون إليها يوم القيامة وإيراد الجملة الاسمية للإيذان بتحقق مضمونها لا محالة أو أنهم فيها الآن إما على تنزيل ملابستهم لما يوجبها منزلة ملابستهم لها وإما على أن ما هم فيه من الكفر والمعاصي عين النار إلا أنها ظهرت في هذه النشأة بصورة عرضية وستخلعها في النشأة الآخرة وتظهر بصورتها الحقيقية. ﴿**خالدين فيها**﴾ حال من المستكن في الخبر واشتراك الفريقين في دخول دار العذاب بطريق الخلود لأجل كفرهم لا ينافي تفاوت عذابهم في الكيفية فإن جهنم دركات وعذابها ألوان فالمشركون كانوا ينكرون الصانع والنبوة والقيامة وأهل الكتاب نبوة محمد عليه السلام فقط فكان كفرهم أخف من كفر المشركين، لكنهم اشتركوا في أعظم الجنايات التي هي الكفر فاستحقوا أعظم العقوبات وهو الخلود ولما كفروا طلباً للرفعة صاروا إلى سفل السافلين فإن جهنم نار في موضع عميق مظلم هائر يقال بئر جهنام إذا كانت بعيدة القعر واشتراكهم في هذا الجنس من العذاب لا يوجب اشتراكهم في نوعه. ﴿**أولئك**﴾ البعداء المذكورون ﴿**هم شر البرية**﴾ البرية جميع الخلق لأن الله برأهم أي أوجدهم بعد العدم والمعنى شر الخليقة أي: أعمالاً وهو الموافق لما سيأتي في حق المؤمنين فيكون في حيز التعليل لخلودهم في النار أو شرهم مقاماً ومصيراً فيكون تأكيداً لفظاعة حالهم وتوسيط ضمير الفصل لإفادة الحصر أي: هم شر البرية دون غيرهم كيف لا وهم شر من السراق لأنهم سرقوا من كتاب الله نعوت محمد عليه السلام وشر من قطاع الطرق لأنهم قطعوا الدين الحق على الخلق وشر من الجهال، الأجلاف لأن الكفر مع العلم يكون كفر عناد فيكون أقبح من كفر الجهال وظهر منه أن وعيد

العلماء السوء أعظم من وعيد كل أحد ومن تاب منهم وأسلم خرج من الوعيد وقيل لا يجوز أن يدخل في الآية ما مضى من الكفار لأن فرعون كان شراً منهم وأما الآية الثانية الدالة على ثواب المؤمنين فعامة فيمن تقدم وتأخر لأنهم أفضل الأمم والبرية مخففة من المهموز من برا بمعنى خلق فهو البارىء أي: الموجد والمخترع من العدم إلى الوجود وقد قرأ نافع وابن ذكوان على الأصل.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾﴾

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يفهم من مقابلة الجمع بالجمع أنه لا يكلف الواحد بجميع الصالحات بل لكل مكلف حظ فحظ الغني الإعطاء وحظ الفقير الأخذ والصبر والقناعة. **﴿أولئك﴾** المنعوتون بما هو في الغاية القاصية من الشرف والفضيلة من الإيمان والطاعة **﴿هم خير البرية﴾** استدل بالآية على أن البشر أفضل من الملك لظهور أن المراد بقوله **﴿إن الذين آمنوا﴾** هو البشر والبرية يشمل الملك والجن سئل الحسن رحمه الله عن قوله: **﴿أولئك هم خير البرية﴾** أهم خير من الملائكة؟ قال: ويلك وأنى تعادل الملائكة الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

ملائك راچه سود از حسن طاعت چو فيض عشق برآدم فرو ريخت

﴿جزاؤهم﴾ بمقابلة ما لهم من الإيمان والطاعات وهو مبتدأ **﴿عند ربهم﴾** ظرف للجزاء **﴿جنات عدن﴾** أي دخول جنات عدن وهو خبر المبتدأ والعدن الإقامة والدوام وقال ابن مسعود رضي الله عنه عدن بطنان الجنة أي وسطها **﴿تجري من تحتها الأنهار﴾** ميرود از زير أشجار آن چويهاچه بستان بي آب روان نشايد.

وفي «الإرشاد»: إن أريد بالجنات الأشجار الملتفة الأغصان كما هو الظهر فجريان الأنهار من تحتها ظاهر وإن أريد بها مجموع الأرض وما عليها فهو باعتبار الجزء الظاهر وأياً ما كان فالمراد جريانها بغير أخدود وجمع جنات يدل على أن للمكلف جنات كما يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرحمن: ٤٦] ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرحمن: ٦٢] فذكر للواحد أربع جنات والسبب فيه أنه بكى من خوف الله تعالى وذلك البكاء إنما نزل من أربعة أجفان اثنان دون اثنين فاستحق به جنتين دون جنتين فحصل له أربع جنان لبكائه بأربعة أجفان وقيل: إنه تعالى قابل الجمع بالجمع في قوله: **﴿جزاؤهم عند ربهم جنات﴾** وهو يقتضي مقابلة الفرد بالفرد فيكون لكل مكلف جنة واحدة لكن أدنى تلك الجنات مثل الدنيا بما فيها عشر مرات كذا روى مرفوعاً ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَمُلۡكٗا كَبِيرًا﴾ [الإنسان: ٢٠] أو الألف واللام في الأنهار للتعريف فتكون منصرفة إلى الأنهار المذكورة في القرآن وهي نهر الماء ونهر اللبن ونهر العسل ونهر الخمر وفي توصيفها بالجري بعد ما جعل الجنات الموصوفة جزاء إشارة إلى مدحهم بالمواظبة على الطاعات كأنه تعالى يقول طاعتك كانت جارية ما دمت حياً على ما قال: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الأحزاب: ٦٥] فلذلك كانت أنهار كرمي جارية إلى الأبد **﴿خالدين فيها أبدا﴾** متنعمين بفنون النعم الجسمانية والروحانية وهو حال وذو الحال وعامله كلاهما مضمران يدل عليه جزاؤهم والتقدير يجزون بها خالدين فيها وقوله أبداً ظرف زمان وهو تأكيد لخلود أي: لا يموتون فيها ولا يخرجون منها.

﴿رضي الله عنهم﴾ استئناف مبين لما يتفضل به عليهم زيادة على ما ذكر من أجزية أعمالهم أي استئناف أخبار كأنه قيل تزاد لهم أو استئناف دعاء من ربهم فلذا فصل وقد يجعل خبراً بعد خبر وحالاً بتقدير قد قال ابن الشيخ: لما كان المكلف مخلوقاً من جسد وروح وإنه اجتهد بهما في طاعة ربه اقتضت الحكمة أن يجزيه بما يتنعم ويستريح به كل واحد منهما فجنة الجسد هي الجنة الموصوفة وجنة الروح هي رضى الرب مصراع:

چيست جنت روح را رضوان أكبر از خدا

﴿ورضوا عنه﴾ حيث بلغوا من المطالب قاصيتها وملكوا من المآرب ناصيتها وأبيح لهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر لا سيما أنهم أعطوا لقاء الرب الذي هو المقصد الأقصى.

دارند هركس ازتو مرادى ومطلبي مقصود مازديني وعقبى لقاي تست

﴿ذلك﴾ المذكور من الجزاء والرضوان، وقال بعضهم: الأظهر أنه إشارة إلى ما ترتب عليه الجزاء والرضوان من الإيمان والعمل الصالح. ﴿لمن خشي ربه﴾ براي آنكس كه بترسد از عقوبت پروردكار خود وبموجبات ثواب اشتغال نمايد وذلك الخشية التي هي من خصائص العلماء بشؤون الله تعالى مناط لجميع الكمالات العلمية والعملية المستتبعة للسعادات الدينية والدنيوية قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨] والتعرض لعنوان الربوبية المعربة عن المالكية التربية للإشعار بعلة الخشية والتحذير من الاغترار بالتربية وعن أنس رضي الله عنه قال عليه السلام لأبي بن كعب رضي الله عنه: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك ﴿لم يكن الذين كفروا﴾».. الخ، قال: «أو سماني لك؟ قال: نعم، قال: وقد ذكرت عند رب العالمين؟ قال: نعم فذرفت عيناه» أي: سال دمع عينيه وعن السنة أن يستمع القرآن في بعض الأوقات من غيره فإنه قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «قال لي رسول الله عليه السلام وهو على المنبر: اقرأ علي قلت: اقرأ عليه وعليك أنزل قال: إني أحب أن أسمعه من غيري فقرأت سورة النساء حتى أتيت هذه الآية ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء: ٤١] قال حسبك الآن فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان» أي: تقطران وكان عمر رضي الله عنه يقول لأبي موسى الأشعري رضي الله عنه ذكرنا ربنا فيقرأ حتى يكاد وقت الصلاة يتوسط فيقول يا أمير المؤمنين الصلاة الصلاة فيقول أنا في الصلاة وفي الحديث: «من استمع آية من كتاب الله كان له نوراً يوم القيامة» فظهر أن استماع القرآن من الغير في بعض الأحيان من السنن وأما أنه هل يفرض استماعه كلما قرىء بناء على قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْءَانُ فَاسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤] ففي الصلاة نعم وأما خارجها فعامة العلماء على استحبابها كما في شرح «شرعة الإسلام» للشيخ قورد أفندي رحمه الله.

تمت سورة البينة بعون جاعل الإنسان منتصب القامة في الرابع والعشرين من شهر ربيع الآخر المنتظم في تلك شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف من هجرة من يرى من قدام وخلف

٩٩ ـ سورة الزلزلة

مكية أو مدنية وآياتها تسع أو ثمان

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ۝٣ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾.

﴿إذا﴾ [چون] **﴿زلزت الأرض﴾** أي: حركت تحريكاً عنيفاً متكرراً متداركاً فإن تكرر حروف لفظه ينبىء عن تكرر معنى الزلل **﴿زلزالها﴾** أي: الزلزال المخصوص بها الذي تستوجبه في الحكمة ومشيئة الله وهو الزلزال الشديد الذي لا غاية وراءه وهو معنى زلزالها بالإضافة العهدية يقال زلزله زلزلة وزلزالاً مثلثة حركة كما في «القاموس» وقال أهل التفسير الزلزال بالكسر مصدر وبالفتح اسم بمعنى المصدر وفعلال بالفتح لا يوجد إلا في المضاعف كالصلصال ونحوه.

﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ اختيار الواو على الفاء مع أن الإخراج متسبب عن الزلزال للتفويض إلى ذهن السامع وإظهار الأرض في موضع الإضمار لأن إخراج الأثقال حال بعض أجزائها والأثقال كنوز الأرض وموتاها جمع ثقل بالكسر وإما ثقل محركة فمتاع المسافر وحشمه على ما في «القاموس» المعنى وأخرجت الأرض ما في جوفها من دفائنها وكنوزها كما عند زلزال النفخة الأولى الذي هو من أشراط الساعة وكذا من أمواتها عند زلزال النفخة الثانية وفي الخبر تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوانة من الذهب فيجيء القاتل فيقول في هذا قتلت ويجيء القاطع رحمه فيقول: في هذا قطعت رحمي ويجيء السارق فيقول: في هذا قطعت يدي ثم يدعونه فلا يأخذون منه شيئاً قوله أفلاذ كبدها أراد أنها تخرج الكنوز المدفونة فيها وقيئها إخراجها ويدخل في الأثقال الثقلان وفيه إشارة إلى أن الجن تدفن أيضاً.

﴿وقال الإنسان﴾ أي: كل فرد من أفراده لما يغشاهم من الأهوال ويلحق بهم من فرط الدهشة وكمال الحيرة **﴿ما لها﴾** أي شيء للأرض زلزلت هذه المرة الشديدة من الزلزال وأخرجت ما فيه من الأثقال استعظاماً لما شاهده من الأمر الهائل وتعجباً لما يرونه من العجائب التي لم تسمع بها الآذان ولا ينطق بهما اللسان لكن المؤمن يقول بعد الإفاقة ﴿هَـٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَـٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٥٢] والكافر ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ﴾ [يس: ٥٢] **﴿يومئذٍ﴾** يدل من إذا **﴿تحدث أخبارها﴾** عامل فيهما وهو جواب الشرط وهذا على القول بأن العامل في إذا الشرطية جوابها وأخبارها مفعول لتحدث والأول محذوف لعدم تعلق الغرض بذكره إذ الكلام مسوق لبيان تهويل اليوم وأن الجمادات تنطق فيه وأما ذكر ابن الحاجب من أن حدث وأنبأ ونبأ

لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد فغير مسلم الصحة على ما فصل في محله والمعنى تحدث الخلق أخبارها إما بلسان الحال حيث تدل دلالة ظاهرة على ما لأجله زلزالها وإخراج أثقالها وأن هذا ما كانت الأنبياء ينذرونه ويخوفون منه وإما بلسان المقال وهو قول الجمهور حيث ينطقها الله تعالى فتخبر بما عمل على ظهرها من خير وشر حتى يؤد الكافر أنه سيق إلى النار مما يرى من الفضوح.

روي أن عبد الرحمن بن صعصعة كان يتيماً في حجر أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، فقال أبو سعيد: يا بني إذا كنت في البوادي فارفع صوتك بالأذان فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يسمعه جن ولا إنس ولا حجر ولا شجر إلا شهد له» وروي أن أبا أمية صلى في المسجد الحرام المكتوبة ثم تقدم فجعل يصلي ههنا وههنا فلما فرغ قيل له يا أبا أمية ما هذا الذي تصنع؟ قال: قرأت هذه الآية يومئذ تحدث أخبارها فأردت أن يشهد لي يوم القيامة فطوبى لمن شهد له المكان بالذكر والتلاوة والصلاة ونحوها، وويل لمن شهد عليه بالزنى والشرب والسرقة والمساوي، ويقال إن لله عليك سبعة شهود المكان كما قال تعالى: ﴿**يومئذٍ تحدث أخبارها**﴾ والزمان كما في الخبر: «ينادي كل يوم أنا يوم جديد، وأنا على ما تعمل في شهيد» واللسان كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ﴾ [النور: ٢٤] والأركان كما قال تعالى: ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ [يس: ٦٥] والمكان كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَـٰفِظِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الانفطار: ١٠] والديوان كما قال تعالى: ﴿هَـٰذَا كِتَـٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٩]، كما قال: ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ [يونس: ٦١] فكيف يكون حالك يا عاصي بعد ما شهد عليك هؤلاء الشهود.

﴿**بأن ربك أوحى لها**﴾ أي: تحدث أخبارها بسبب إيحاء ربك لها وأمره إياها بالتحديث بلسان المقال على ما عليه الجمهور أو بسبب أن أحدث فيها أحوالاً دالة على الأخبار كما إذا كان التحديث بلسان الحال، وفيه إشارة إلى زلزلة أرض البدن عند نزع الروح الإنساني باضطراب الروح الحيواني والقوى وإلى إخراجها متاعها التي هي به ذات قدر من القوى والأرواح وهيئات الأعمال والاعتقادات الراسخة في القلب، وقال الإنسان ما لها زلزلت واضطربت ما طبها وما داؤها الإنحراف المزاج أم لغلبة الأخلاط يومئذٍ تحدث أخبارها بلسان حالها بأن ربك أشار إليها وأمرها بالاضطراب والخراب وإخراج الأثقال عند زهوق الروح وتحقق الموت.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ﴿٨﴾﴾.

﴿**يومئذٍ**﴾ أي يوم إذ يقع ما ذكر ﴿**يصدر الناس**﴾ من قبورهم إلى موقف الحساب وانتصب يومئذٍ بيصدر والصدر يكون عن ورود أي: هو رجوع وانصراف بعد الورود والمجيء فقال الجمهور: هو كونهم مدفونين في الأرض والصدر قيامهم للبعث والصدر والصدور بالفارسية [باز كشتن].

يعني: الصدر بسكون الدال الرجوع والاسم بالتحريك ومنه طواف الصدر وهو طواف الوداع ﴿**أشتاتاً**﴾ يقال جاؤوا أشتاتاً أي: متفرقين في النظام واحدهم شت بالفتح أي: متفرق ونصب على الحال أي: حال كونهم متفرقين بيض الوجوه والثياب آمنين ينادي المنادي بين يديه هذا ولي الله وسود الوجوه حفاة عراة مع السلاسل والأغلال فزعين والمنادي ينادي بين

يديه هذا عدو الله، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن جبرائيل عليه السلام جاء إلى النبي عليه السلام، يوماً فقال يا محمد إن ربك يقرئك السلام وهو يقول: ما لي أراك مغموماً حزيناً وهو أعلم به فقال عليه السلام: يا جبرائيل قد طال تفكري في أمر أمتي يوم القيامة؟ قال: يا محمد في أمر أهل الكفر أم في أمر أهل الإسلام، قال: يا جبرائيل لا بل في أمر أهل لا إله إلا الله، قال: فأخذ بيده حتى أقامه على مقبرة بني سلمة فضرب بجناحه الأيمن على قبر ميت فقال: قم بإذن الله فقام رجل مبيض الوجه وهو يقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله الحمد لله رب العالمين فقال له جبرائيل عد فعاد كما كان ثم ضرب بجناحه الأيسر على قبر ميت، فقال قم بإذن الله فخرج رجل مسود الوجه أزرق العين وهو يقول واحسرتاه واندامتاه واسوأتاه فقال له جبريل: عد فعاد كما كان ثم قال جبرائيل هكذا يبعثون يوم القيامة على ما ماتوا عليه» ﴿**ليروا**﴾ اللام متعلقة بيصدر ﴿**أعمالهم**﴾ أي: جزاء أعمالهم خيراً كان أو شراً وإلا فنفس الأعمال لا يتعلق بها الرؤية البصرية إذا الرؤية هنا ليست علمية لأن قوله: ﴿**فمن يعمل**﴾ الخ تفصيل ليروا والرؤية فيه بصرية لتعديتها إلى مفعول واحد اللهم إلا أن يجعل لها صور نورانية أو ظلمانية أو يتعلق الرؤية بكتبها كما سيجيء.

﴿**فمن**﴾ [پس هركه] ﴿**يعمل مثقال ذرة خيراً يره ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره**﴾ تفصيل ليروا والمثقال الوزن والذرة النملة الصغيرة أو ما يرى في شاع الشمس من الهباء وقال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا وضعت راحتك أي يدك على الأرض ثم رفعتها فكل واحد مما لزق بها من التراب ذرة.

وقال يحيى بن عمار: حبة الشعير أربع أرزات والأرزة أربع سمسمات والسمسمة أربع خردلات والخردلة أربعة أوراق نخالة وورق النخالة ذرة ومعنى رؤية ما يعادل الذرة من خير وشر إما مشاهدة أجزيته فمن الأولى مختصة بالسعداء والمخصص قوله: ﴿**أشتاتاً**﴾ أي: فمن يعمل من السعداء مثقال ذرة خيراً يره والثانية بالأشقياء بقرينة أشتاتاً أيضاً أي: ومن يعمل من الأشقياء مثقال ذرة شراً يره وذلك لأن حسنات الكافر محبطة بالكفر وسيئات المؤمن المجتنب عن الكبائر معفوة وما قيل من أن حسنة الكافر تؤثر في نقص العقاب فقد ورد أن حاتماً الطائي يخفف الله عنه لكرمه وورد مثله في أبي طالب وغيره يرده قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣]﴾ وقوله عليه السلام: في حق عبد الله بن جدعان: «لا ينفعه لأنه لم يقل يوماً رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين» وذلك حين قالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه وقوله عليه السلام في حق أبي طالب: «ولولا لأنه كان في الدرك الأسفل من النار فتلك الشفاعة» مختصة به وأما حسنات الكفار فمقبولة بعد إسلامهم وأما مشاهدة نفسه من غير أن يعتبر معه الجزاء ولا عدمه بل يفوض كل منهما إلى سائر الدلائل الناطقة بعفو صغائر المؤمن المجتنب عن الكبائر وإثابته بجميع حسناته وبحبوط حسنات الكافر ومعاقبته بجميع معاصيه، فالمعنى ما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ليس من مؤمن ولا كافر عمل خيراً أو شراً إلا أراه الله إياه أما المؤمن فيغفر له سيئاته ويثيبه بحسناته، وأما الكافر فيرد حسناته تحسيراً له. وفي «تفسير البقاعي»: الكافر يوقف على ما عمله من خير على أنه جوزي به في الدنيا أو أنه أحبط لبنائه على غير أساس الإيمان فهو صورة بلا معنى ليشتد ندمه ويقوي حزنه وأسفه،

والمؤمن يراه ليشتد سروره به وفي جانب الشر يراه المؤمن ويعلم أنه قد غفر له فيكمل فرحه والكافر يراه فيشتد حزنه وترحه.

وفي «التأويلات النجمية»: ليروا أعمالهم المكتسبة بيدي الاستعدادات الفاعلية العلمية والقابلية العملية ﴿**فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره**﴾ في الصورة الجزائية لتصور الأعمال بصور تناسبها نورانية كانت أو ظلمانية، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره متجسداً في يوم القيامة في جسد السباع بحسب القوة الغضبية، وفي جسد البهائم بحسب القوة البهيمية وكلما ازدادت الصور الحسنة المتنوعة ازدادت البهجة والسرور كما أنه كلما ازدادت الصور القبيحة المختلفة ازداد العبوس والألم وفيه رمز إلى أنه لا يلزم من مجرد الرؤية المجازاة كما في حق المؤمن وذلك من فضل الله تعالى على من يشاء من عباده، وفي التفاسير نزلت الآية ترغيباً في الخير ولو كان قليلاً كتمرة وعنبة وكسرة وجوزة ونحوها فإنه يوشك أن يكثر إذا كان بنية خالصة وتحذيراً من الشر وإن كان قليلاً كخيانة ذرة في الميزان وكنظرة وخطوة وكذبة فإنه يوشك أن يكون كثيراً عظيماً للجراءة على الله العظيم وكان الناس في بدء الإسلام يرون أن الله لا يؤاخذهم بالصغائر من الذنوب وكان بعضهم يستحي من صدقة الشيء اليسير ويظن أنه ليس له أجر حتى نزلت الآية، وفي الحديث: «إذا زلزلت تعدل ربع القرآن» رواه ابن أبي شيبة مرفوعاً فتكون قراءتها أربع مرات كقراءة القرآن كله وذلك لأن الإيمان بالبعث ربع الإيمان في قوله عليه السلام: «لا يؤمن عبد حتى يؤمن بأربع يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني الله بالحق ويؤمن بالبعث بعد الموت ويؤمن بالقدر» وفي بعض الآثار: «أن سورة الزلزلة نصف القرآن» وذلك لأن أحكام القرآن تنقسم إلى أحكام الدنيا وأحكام الآخرة وهذه السورة تشتمل على أحكام الآخرة كلها إجمالاً وروي أن جد الفرزدق بن صعصعة بن ناجية أتى رسول الله ﷺ يستقرئه يعني [كفت از آنچه برنو فرودمى آيد برمن بخوان].

وفي «كشف الأسرار»: [صعصعة عم فرزدق پيش مصطفى آمد ومسلمان كشت واز رسول خدا در خواست تا از قرآن چيزى بروى بخواند فقرأ عليه السلام عليه هذه الآية أي ﴿**فمن يعمل**﴾ . . الخ. فقال حسبي حسبي وآشوبي وشوري ازنهاد وى برآمد وبخاك افتاد وزار بكريست وهي أحكم آية]، وسميت الجامعة وعن زيد بن أسلم رضي الله عنه أن رجلاً جاء إلى النبي عليه السلام، فقال: «علمني ما عملك الله فدفعه إلى رجل يعلمه القرآن فعلمه ﴿**إذا زلزلت الأرض**﴾ حتى بلغ ﴿**فمن يعمل**﴾ . . الخ. قال الرجل حسبي فأخبر بذلك النبي عليه السلام، قال دعه فقد فقه الرجل» چون كسى داندكه برذره وحبه محاسبه بايد كرد امروز بحساب خود مشغول شود.

حساب كارخود امروزكن كه فرصت هست ... زخير وشر بنكر تاچهاست حاصل تو
اكربنقد نكويى توانكري خوش باش ... ورت بغير بدي نيست وأي بردل تو

تمت سورة الزلزلة في رابع جمادى الأولى

١٠٠ ـ سورة العاديات

مختلف فيها وآيها إحدى عشرة بلا خلاف

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾.

﴿والعاديات﴾ جمع عادية وهي الجارية بسرعة من العدو وهو بالفارسية: دويدن.

وياؤها مقلوبة عن الواو لكسرة ما قبلها اقسم سبحانه بخيل العزاة التي تعدو نحو العدو **﴿ضبحاً﴾** مصدر منصوب إما بفعله المحذوف الواقع حالاً منها أي تضبح ضبحاً على تأويل العاديات بالجماعة وهو صوت أنفاسها عند عدوها يعني صوتاً يسمع من أفواه الفرس وأجوافها إذا عدون وهو صوت غير الصهيل والحمحمة، وهي صوت البرذون عند الشعير، أو بالعاديات فإن العدو مستلزم للضبح كأنه قيل والضابحات ضبحاً أو حال على أنه مصدر بمعنى الفاعل أي ضابحات.

﴿فالموريات قدحاً﴾ الإيراء إخراج النار، والقدح الضرب فإن الخيل يضربن بحوافرهن وسنابكهن الحجارة فيخرجن منها ناراً يقال قدح الزند فأورى وقدح فاصلد أي صوت ولم يور فالقدح يتقدم على الإيراء بخلاف الضبح حيث يتأخر ويتسبب عن العدو والمعنى تورى النار من حوافرها إذا سارت في الأرض ذات الحجارة فالقدح استعارة لضرب الحجارة بحوافرها وانتصاب قدحاً كانتصاب ضبحاً على الوجوه الثلاثة أي تقدح قدحاً أو فالقادحات قدحاً أو قادحات.

﴿فالمغيرات﴾ يقال: أغار على القوم غارة وأغارة دفع عليهم الخيل وأغار الفرس اشتد عدوه في الغارة وغيرها أسند الإغارة التي هي مباغتة العدو للنهب والقتل وأسر إلى الخليل وهي حال أهلها إيذاناً بأنها العمدة في إغاراتهم **﴿صبحاً﴾** نصب على الظرفية أي في وقت الصبح وهو المعتاد في الغارات يعدون ليلاً لئلا يشعر بهم العدو ويهجمون عليهم صباحاً على حين غفلة ليروا ما يأتون وما يذرون ومنه قولهم عند خوف الغارة يا صباحاه أي: يا قوم احذروا من شر توجه إلينا صباحاً.

﴿فأثرن به﴾ عطف على الفعل الذي دل عليه اسم الفاعل إذ المعنى واللاتي عدون فأورين فأغرن فأثرن به أي فهيجن في ذلك الوقت وأصله أثورن من الثور وهو الهيجان نقلت حركة الواو إلى الثاء قبلها وقلبت الواو الفاً فصار أثارن فحذفت الألف لاجتماع الساكنين فبقي أثرن بوزن أفلن ويجوز أن يجعل الضمير لفعل الإغارة فالباء للسببية أو للملابسة **﴿نقعاً﴾** أي: غباراً وبالفارسية [پس دران وقت كرد انكيختند].

من نقع الصوت إذا ارتفع فالغبار سمي نقعاً لارتفاعه أو هو من النقع في الماء فكان صاحب الغبار خاض فيه كما يخوض الرجل في الماء وتخصيص أثارته بالصبح لأنه لا يثور ولا يظهر ثورانه بالليل وبهذا يظهر أن الإيراء الذي لا يظهر في النهار واقع في الليل ولله در شأن التنزيل قال سعدي المفتي: وإثارة النقع لأنهم يكونون حال الإغارة مختلفين يميناً وشمالاً وإماماً وخلفاً بحسب الكر والفر في المجاولة أثر المدبر الهارب والمصاولة مع المقبل المحارب فينشأ الغبار الكثير.

﴿**فوسطن به**﴾ أي توسطن في ذلك الوقت فوسط بمعنى توسط والباء ظرفية والتوسط [درميان چيزى شدن] أو توسطن ملتبسات بالنقع فالباء للملابسة ﴿**جمعاً**﴾ من جموع الأعداء أي: دخلن في وسطهم وهو مفعول به لوسطن والفاآت للدلالة على ترتب ما بعد كل منها على ما قبلها فإن توسط الجمع مترتب على الإثارة المترتبة على الإغارة المترتبة على الإيراء المترتب على العدو.

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾﴾

﴿**إن الإنسان لربه لكنود**﴾ جواب القسم يقال كند النعمة كنودا كفر بها فالكنود بالضم كفران النعمة وبالفتح الكفور ومنه سمي كندة بالكسر وهو لقب ثور بن عفير أبي حي من اليمن لأنه كند أبوه النعمة ففارقه ولحق بأخواله وقال الكلبي: الكنود بلسان كندة العاصي وبلسان بني مالك البخيل وبلسان مضر وربيعة الكفور والمراد بالإنسان بعض أفراده أي: إنه لنعمة ربه خصوصاً لكفور أي شديد الكفران فقوله﴿**لربه**﴾ متعلق بكنود قدم عليه لإفادة التخصيص ومراعاة الفواصل، روي أن رسول الله ﷺ بعث إلى ناس من بني كنانة سرية واستعمل عليها المنذر بن عمرو الأنصاري رضي الله عنه، وكان أحد النقباء فأبطأ عليه ﷺ خبرها شهراً فقال المنافقون إنهم قتلوا فنزلت السورة إخباراً للنبي عليه السلام بسلامتها وإشارة له بإغارتها على القوم ونعيا على المرجفين في حقهم ما هم فيه من الكنود فاللام في العاديات إن كانت للعهد كان المقسم به خيل تلك السرية وإن كانت للجنس كان ذلك قسماً بكل خيل عدت في سبيل الله واتصفت بالصفات المذكورة وعلى التقديرين فهي مستحقة لأن يقسم بها لاتصافها بتلك الصفات الشريفة وفي تخصيص خيل الغزاة بالأقسام بها من البراعة ما لا مزيد عليه كأنه قيل وخيل الغزاة التي فعلت كيت وكيت وقد أرجف هؤلاء في حق أربابها ما أرجفوا إنهم مبالغون في الكفران وإذا كان شرف خيل الغزاة بهذه المرتبة حتى أقسم الله بها فما ظنك بشرف الغزاة وفضلهم عند الله تعالى وعنه عليه السلام: «الكنود هو الذي يضرب عبده ويأكل وحده ويمنع رفده» أي: عطاه فيكون بخيلاً، يقال كان ثلاثة نفر من العرب في عصر واحد أحدهم آية في السخاء وهو حاتم الطائي، والثاني آية في البخل وهو أبو حباحب وبخله أنه كان لا يوقد النار للخبز إلا إذا نام الناس فإذا انتبهوا أطفأ ناره لئلا ينتفع بها أحد والثالث آية في الطمع وهو أشعب بن جبير مولى مصعب بن الزبير بن العوام قرأ صبي في المكتب وعنده أشعب جالس إن أبي يدعوك فقام ولبس نعليه فقال الصبي أنا أقرأ حزبي وكان إذا رأى إنساناً يحك عنقه يظن أنه ينتزع قميصه ليدفعه إليه وكان إذا رأى دخاناً ارتفع من دار ظن أن أهلها تأتي بطعام وكان إذا رأى عروساً تزف إلى موضع جعل يكنس باب داره لكي تدخل داره قال ما رأيت أطمع مني إلا

كلباً تبعني على مضغ العلك فرسخاً وقال الحسن: لكنود أي لوام لربه يذكر المصيبات وينسى النعم، وقال أبو عبيدة: قليل الخير من الأرض الكنود التي لا تنبت شيئاً كأنه مقلوب النكد. وقال القاشاني: لكفور لربه باحتجابه بنعمه عنه ووقوفه معها وعدم استعماله لها فيما ينبغي ليتوصل بها إليه.

وفي «التأويلات النجمية»: لكنود بنعمة الوجود والصفات والأسماء لادعائها لنفسه بالاستقلال والاستبداد أو لعاص باستعمالها في غير محالها أو لبخيل لاختصاصها لنفسه وعدم إيثارها على الخلق بطريق الإرشاد.

﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝٧ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝٨ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ۝١١﴾.

﴿وإنه على ذلك﴾ أي: الإنسان على كنوده **﴿لشهيد﴾** أي: يشهد على نفسه بالكنود لظهور أثره عليه فالشهادة بلسان الحال لا بلسان المقال ويحتمل أن يجعل من الشهود بمعنى أنه لكفور مع علمه بكفرانه والعمل السيىء مع العلم به غاية المذمة.

﴿وإنه لحب الخير﴾ أي: المال كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَرَكَ خَيْرًا﴾ [البقرة: ١٨٠] وإيثار الدنيا وطلبها وفي «الأسئلة المقحمة» فإن قلت: سمى الله جنس المال خيراً وعسى أن يكون خبيثاً وحراماً قلت: إنما سماه خيراً جرياً على العادة فإنهم كانوا يعدون المال خيراً فسماه الله خيراً جرياً على عادتهم كما سمى الجهاد سوءاً فقال: ﴿لَّمْ يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ﴾ [آل عمران: ١٧٤] أي: قتال والقتال ليس بسوء ولكن ذكره جرياً على عادتهم **﴿لشديد﴾** أي قوي مطيق مجد في طلبه وتحصيله متهالك عليه وهو لحب عبادة الله وشكر نعمته ضعيف متقاعس يقال هو شديد لهذا الأمر وقوى له إذا كان مطيقاً له ضابطاً أو الشديد البخيل الممسك يعني وإنه لأجل حب المال وثقل إنفاقه عليه لبخيل ممسك ولعل وصفه بهذا الوصف القبيح بعد وصفه بالكنود للإيماء إلى أن من جملة الأمور الداعية للمنافقين إلى النفاق حب المال لأنهم بما يظهرون من الإيمان يعصمون أموالهم ويجوزون من الغنائم نصيباً.

شيخ الإسلام قدس سره [فرموده كه اكرمال رادوست ميدارى بده تابازبتو دهند وبراي وارث منه كه داغ حسرت بردل تونهند].

مال همان به كه بياران دهى | كر بدهى به كه بخا كش نهى
زرزپى منفعت است أي حكيم | بهر نهادن چه سفال وچه سيم

﴿أفلا يعلم﴾ أي: أيفعل ما يفعل من القبائح أو ألا يلاحظ فلا يعلم في الدنيا أن الله مجازيه. **﴿إذا بعثر﴾** بعث وأخرج، وقد سبق في الانفطار فناصب إذا محذوف وهو مفعول يعلم لا يعلم لأن الإنسان لا يراد منه العلم في ذلك الوقت وإنما يراد منه ذلك في الدنيا **﴿ما في القبور﴾** من الموتى وإيراد ما لكونهم إذ ذاك بمعزل عن مرتبة العقلاء.

﴿وحصل﴾ أي: جمع في الصحف أي: أظهر محصلاً مجموعاً وأصل التحصيل إخراج المستور بآخر المغمور فيه وأخذه منه كإخراج اللب من القشر وإخراج الذهب من حجر المعدن والبر من التبن والدهن من اللبن ومن الدردي والجمع والإظهار من لوازمه ويجوز أن يكون المعنى ميز خيره من شره ومنه قيل للمنخل المحصل أي آلة التحصيل وتمييز الدقيق من النخالة

فإنه لا بد من التمييز بين الواجب والمندوب والمباح والمكروه المحظور فإن لكل واحد حكماً على حدة فتمييز البعض من البعض وتخصيص كل واحد منها بحكمه اللاحق هو التحصيل، وفي «القاموس»: التحصيل تمييز ما يحصل والحاصل من كل شيء ما بقي ونبت وذهب ما سواه. ﴿ما في الصدور﴾ من الأسرار الخفية التي من جملتها ما يخفيه المنافقون من الكفر والمعاصي فضلاً عن الأعمال الجلية فتخصيص أعمال القلب لأنه لولا البواعث والإرادات في القلوب لما حصلت أفعال الجوارح فالقلب أصل وأعمال الجوارح تابعة له ولذا قال تعالى: ﴿ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٨٣] وقال عليه السلام: «يبعثون على نياتهم».

﴿إن ربهم﴾ أي: المبعوثين كنى عنهم بعد الإحياء الثاني بضمير العقلاء بعد ما عبر عنهم قبل ذلك بما بناء على تفاوتهم في الحالين فحين كانوا في القبور كانوا كجمادات بلا عقل ولا علم وإن كان لهم نوع حياة فيها بخلاف وقت الحشر. ﴿بهم﴾ بذواتهم وصفاتهم وأحوالهم بتفاصيلها ﴿يومئذٍ﴾ أي يوم إذ يكون ما ذكر من بعث ما في القبور وتحصيل ما في الصدور ﴿لخبير﴾ أي: عالم بظواهره وبواطنه علماً موجباً للجزاء متصلاً به كما ينبىء عنه تقييده بذلك اليوم وإلا فمطلق علمه سبحانه محيط بما كان وما سيكون قوله: ﴿بهم﴾ و﴿يومئذٍ﴾ متعلقان بخبير قدما عليه مراعاة للفواصل واللام غير مانعة من ذلك.

١٠١ ـ سورة القارعة

مكية وآيها عشر أو إحدى عشرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾﴾.

﴿القارعة﴾ القرع هو الضرب بشدة واعتماد بحيث يحصل منه صوت شديد ثم سميت الحادثة العظيمة من حوادث الدهر قارعة والمراد بها ههنا القيامة التي مبدأها النفخة الأولى ومنتهاها فصل القضاء بين الخلائق سميت بها لأنها تقرع القلوب والأسماع بفنون الإفزاع والأهوال وتخرج جميع الأجرام العلوية والسفلية من حال إلى حال السماء بالانشقاق والانفطار والشمس والنجوم بالتكوير والانكدار والانتثار والأرض والجبال بالدك والنسف وهي مبتدأ خبره قوله: **﴿ما القارعة﴾** على أن ما الاستفهامية خبر والقارعة مبتدأ أي: رأى شيء عجيب هي في الفخامة والفظاعة وقد وضع الظاهر موضع الضمير تأكيداً للتهويل. **﴿وما أدراك ما القارعة﴾** ما في حيز الرفع على الابتداء وإدراك هو الخبر أي: وأي شيء أعلمك ما شأن القارعة فإن عظيم شأنها بحيث لا تكاد تناله دراية أحد حتى يدرك بها ولما كان هذا منبئاً عن الوعد الكريم بأعلامها أنجز ذلك بقوله:

﴿يوم يكون الناس﴾ أي: هي يوم يكون الناس على أن يوم مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف وحركته الفتح لإضافته إلى الفعل وإن كان مضارعاً على ما هو رأي الكوفيين أو اذكر **﴿يوم﴾**.. الخ. فإنه يدريك ما هي **﴿كالفراش المبثوث﴾** جمع فراشة وهي التي تطير وتتهافت على السراج فتحترق وبالفارسية [پروانه].

والمبثوث المفرق وبه شبه فراشة القفل وهو ما ينشب فيه والمبثوث بالفاسية پراكنده.

والمعنى كالفراش المفرق في الكثرة والانتشار والعصف والذلة والاضطراب والتطاير إلى الداعي كتطاير الفراش إلى النار قال جرير في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والاضطراب والتطاير إلى الداعي كتطاير الفراش إلى النار قال جرير:

إن الفرزدق ما علمت وقومه   مثل الفراش عشين نار المصطلى

وهذا دل على كثرة الفراش ولو في بعض المواضع فسقط ما قال سعدي المفتي فيه: إن الفراش لا يعرف بالكثرة بحيث يصلح أن يكون مشبهاً به لأهل المحشر فيها إلا أن يفسر بصغار الجراد أي: كالجراد المنتشر حين إرادة الطيران كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر: ٧] وفيه أن الفراش لم يفسر في اللغات بصغار الجراد، وقال ابن الشيخ: شبه الله الخلق وقت

البعث في هذه الآية بالفراش المبثوث وفي الآية الأخرى بالجراد المنتشر وجه التشبيه بالجراد هو الكثرة والاضطراب وبالفراش، المبثوث اختلاف جهات حركاتهم فإنهم إذا بعثوا فزعوا فيذهب كل واحد منهم إلى جهة غير جهة الآخر كالفراش فإنها إذا طارت لا تتجه إلى جهة واحدة بل تختلف جهاتها انتهى. وفيه إشارة إلى أن السالك الفاني يكون في الشهود الأحدي في الذلة وتفرق الوجهة كالفراش واحقر وأذل لأنه لا قدر ولا وقع له في عين الموحد.

﴿**وتكون الجبال كالعهن المنفوش**﴾ العهن الصوف المصبوغ ألواناً، والنفش نشر الشعر والصوف والقطن بالأصبع وخلخلة الأجزاء وتفريقها عن تراصها قال السجاوندي: شبه خفتها بعد رزانتها بالصوف وتلونها بالمصبوغ ومرها بالمندوف واختصاص العهن لألوان الجبال كما قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧] والمعنى وتكون الجبال كالصوف الملون بالألوان المختلفة المندوف في تفرق أجزائها وتطايرها في الجو وكلا الأمرين من آثار القارعة بعد النفخة الثانية عند حشر الخلائق يبدل الله الأرض غير الأرض ويغير هيئاتها ويسير الجبال عن مقارها على ما ذكر من الهيئات الهائلة ليشاهدها أهل المحشر وهي وإن اندكت عند النفخة الأولى ولكن تسييرها وتسوية الأرض إنما يكونان بعد النفخة الثانية.

﴿**فأما من ثقلت موازينه**﴾ جمع الموزون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله أو جمع ميزان وثقلها رجحانها لأن الحق ثقيل والباطل خفيف والجمع للتعظيم أو لأن لكل مكلف ميزاناً أو لاختلاف الموزونات وكثرتها قال ابن عباس رضي الله عنهما: إنه ميزان له لسان وكفتان لا يوزن فيه إلا الأعمال ليبين الله أمر العباد بما عهدوه فيما بينهم قالوا: توضع فيه صحف الأعمال إظهاراً للمعدلة وقطعاً للمعذرة أو تبرز الأعمال العرضية بصور جوهرية مناسبة لها في الحسن والقبح، يعني: يؤتى بالأعمال الصالحة على صور حسنة وبالأعمال السيئة على صور سيئة فتوضع في الميزان أي: فمن ترجحت مقادير حسناته.

﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾.

﴿**فهو في عيشة راضية**﴾ من قبيل الإسناد إلى السبب لأن العيش سبب الرضى من منعم العيش وقال بعضهم: راضية أي: راض صاحبها عنها وبالفارسية [درزندكاني باشدپسنديده].

وقد سبق في الحاقة، وفي «التأويلات النجمية»: فأما من ثقلت له موزونات الأوصاف الإلهية والأخلاق اللاهوتية فهو في راحة واستراحة من نتائج تلك الأوصاف والأخلاق.

﴿**وأما من خفت موازينه**﴾ بأن لم يكن له حسنة يعتد بها أو ترجحت سيئاته على حسناته وعن ابن مسعود رضي الله عنه: يحاسب الناس يوم القيامة فمن كانت حسناته أكثر من سيئاته بواحدة دخل الجنة ومن كانت سيئاته أكثر من حسناته بواحدة دخل النار.

﴿**فأمه**﴾ أي مأواه ﴿**هاوية**﴾ هي من أسماء النار سميت بها لغاية عمقها وبعد مهواها روي أن أهل النار يهوي فيها سبعين خريفاً.

وقال الكاشفي: [وآن دركهء باشذد زير ترين همه دركها] وعبر عن المأوى بالأم لأن أهلها يأوون إليها كما يأوي الولد إلى أمه وفيه تهكم به أو لأنها تحيط به إحاطة رحم الأم

بالولد أو لأن الأم هي الأصل والكافر خلق من النار وكل شيء يرجع إلى أصله وهو اللائح وفي «الكشاف» من قولهم إذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه لأنه إذا هوى أي: سقط وهلك فقد هوت أمه ثكلاً وحزناً فكأنه قيل فقد هلك وعن قتادة فأم رأسه هاوية في جهنم لأنه يطرح فيها منكوساً وأم الرأس الدماغ أو الجلدة الرقيقة التي عليها.

وفي «التأويلات النجمية»: وأما من خفت موازينه بالأخلاق السيئة والأوصاف القبيحة الخبيثة فأصله المجبول عليه هاوية الحجاب من الأزل إلى الأبد وهي نار حامية بنار الجهل والعمى وحطب النفس والهوى ونفخ الشيطان والدنيا، وفي لفظ الثقل والخفة إشارة إلى أن السعداء والأشقياء مشتركون في فعل السيئة وإن كانت في الفريق الأول مرجوحة قليلة وفي الثاني راجحة كثيرة ولا يرتفع هذا الابتلاء ولذا قال عليه السلام: لعلي رضي الله عنه: «يا علي إذا عملت سيئة فاعمل بجنبها حسنة» وذلك لما إنه مقتضى الاسم الغفور.

اعلم أن ميزان الحق بخلاف ميزان الخلق؛ إذ صعود الموزونات وارتفاعها فيه هو الثقل وهبطها وانحطاطها هو الخفة لأن ميزانه تعالى هو العدل والموزونات الثقيلة، أي: المعتبرة الراجحة عند الله التي لها قدر ووزن عنده هي الباقيات الصالحات والخفيفة التي لا اعتبار لها عند الله هي الفانيات الفاسدات من اللذات الحسية والشهوات وفي الهاوية إشارة إلى هاوية الطبيعة الجسمانية التي يهوي فيها أهلها وفي الحقيقة الموزونات هي الاستعدادات الغيبية والقابليات العلمية الأزلية المسواة كفتاها بكف اليد اليمنى وبكف اليد اليسرى.

﴿وما أدراك ماهيه﴾ [وچه چيزى دانا كرد تراكه چيشت هاوية].

فهي للهاوية والهاء للسكت والاستراحة والوقف وإذا وصل القارىء حذفها وقيل حقه أن لا يدرج لئلا يسقطها الإدراج لأنها ثابتة في المصحف وقد أجيزا ثباتها مع الوصل، قال أبو الليث قرأ حمزة والكسائي بغير هاء في الوصل وبالهاء عند الوقف والباقون بإثباتها في الوصل والوقف وقد سبق مفصلاً في الحاقة وفيه إشعار بخروجها عن الحدود المعهودة فلا يدريها أحد ثم أعلمها بقوله. **﴿نار حامية﴾** متناهية في الحر، وبالفارسية [آتشى بغايت رسيده درسوزش].

يقال حمى الشمس والنار حماً وحمياً وحموا اشتد حرهما وقد سبق.

١٠٢ ـ سورة التكاثر

مختلف فيها وهي ثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤﴾.

﴿**ألهاكم التكاثر**﴾ اللهو وما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه ويقال لهوت بكذا ولهوت عن كذا أي: اشتغلت عنه بلهو ويعبر به عن كل ما به استمتاع ويقال: ألهي عن كذا أي: شغل عما هو أهم والتكاثر التباري في الكثرة والتباهي بها وأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر والمعنى شغلكم التغالب في الكثرة والتفاخر بها وبالفارسية [مشغول كرد شمارا فخر كردن به بسيارىء قوم].

قال ابن الشيخ: الإلهاء الصرف إلى اللهو والعبث والتكاثر إذا صرف العبد إلى اللهو يكون العبد منصرفاً إليه ومعلوم أن الانصراف إلى الشيء يقتضي الإعراض عن غيره فتفسير ألهاكم كذا بشغلكم تفسير له بما يلزم أصل معناه إلا أنه صار حقيقة عرفية فيه بالغلبة وحذف الملهي عنه أي: الذي إلهي عنه وهو ما يعنيهم من أمر الدين للتعظيم والمبالغة أما الأول فلان الحذف كالتنكير قد يجعل ذريعه إلى التعظيم لاشتراكهما في الإبهام.

وأما الثاني: فلان تذهب النفس كل مذهب ممكن فيدخل فيه جميع ما يحتمله المقام مثل ألهاكم التكاثر عن ذكر الله وعن الواجبات والمندوبات مما يتعلق بالقلب كالعلم والتفكر والاعتبار أو بالجوارح كأنواع الطاعات وتعريف التكاثر للعهد والعهد المذموم هو التكاثر في الأمور الدنيوية الفانية كالتفاخر بالمال والجاه والأعوان والأقرباء، وأما التفاخر بالأمور الأخروية الباقية فممدوح كالتفاخر بالعلم والعمل والأخلاق والصحة والقوة والغنى والجمال وحسن الصوت إذا كان بطريق تحديث النعمة من ذلك تفاخر العباس رضي الله عنه بأن السقاية بيده وتفاخر شيبة بأن مفتاح البيت بيده إلى أن قال علي رضي الله عنه: وأنا قطعت خرطوم الكفر بسيفي فصار الكفر مثلة والتكاثر مكاثرة اثنين مالاً أو عدداً بأن يقول كل منهما لصاحبه أنا أكثر منك مالاً وأعز نفراً، والمراد هنا هو التكاثر في العدد لأنه روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا وتعادوا وتكاثروا بالسعادة والإشراف في الإسلام، فقال كل من الفريقين: نحن أكثر منكم سيداً وأعظم نفراً فكثرهم بنو بعد مناف أي غلبهم بالكثرة فقال بنو أسهم إن البغي أفنانا في الجاهلية فعادونا بالأحياء والأموات.

قال الكاشفي: [بكورستان رفتند وكورها بر شمردندكه اين قبر فلان واين قبر فلان قبور أشراف قبيلهء خود شمردند].

فكثرهم بنو سهم يعني [سه خاندان بني سهم زيادة آمد بربني عبد مناف برين نسق بر يكديكر تطاول نمودند وتفاخر كردند].

والمعنى أنكم تكاثرتم بالإحياء ﴿حتى زرتم المقابر﴾ أي: حتى استوعبتم عددهم وصرتم إلى التفاخر والتكاثر بالأموات وبالفارسية تاحدى آمديد بكورستانها ومرد كانرا شماره كرديد.

فعبر عن انتقالهم إلى ذكر الموتى بزيارة القبور أي جعلت كناية عنه تهكماً بهم قال الطيبي: إنما كان تهكماً لأن زيارة القبور شرعت لتذكر الموت ورفض حب الدنيا وترك المباهاة والتفاخر وهؤلاء عكسوا حيث جعلوا زيارة القبور سبباً لمزيد القسوة والاستغراق في حب الدنيا والتفاخر في الكثرة وهذا خبر فيه تفريع وتوبيخ والغاية تدخل تحت المغيا في هذا الوجه وقيل المعنى ألهاكم التكاثر بالأموال والأولاد إلى إن متم وقبرتم مضيعين أعماركم في طلب الدنيا معرضين عما يهمكم من السعي لأخراكم فتكون زيارة القبور عبارة عن الموت والتكاثر هو التكاثر بالمال والولد كما روي أنه عليه السلام، سمع إنه يقرأ هذه الآية ويقول بعدها: «يقول ابن آدم مالي مالي وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت» وفيه إشارة إلى أنهم يبعثون فإن الزائر منصرف لا مقيم وقرأها عمر بن عبد العزيز قال: ما أرى المقابر إلا زيارة ولا بد لمن زار أن يرجع إلى بيته إما إلى الجنة أو إلى النار، وفيه تحذير عن الدنيا وترغيب في الآخرة والاستعداد للموت.

روزي كه اجل كند شبيخون البته بيايد از جهان رفت
كردل نبود أسير دنيا آسان ره آن جهان توان رفت

﴿كلا﴾ ردع عما هم فيه من التكاثر أي ليس الأمر كما يتوهم هؤلاء من فضل الإنسان وسعادته بكثرة أعوانه وقبائله وأمواله أي ارتدعوا عن هذا وتنبهوا من الخطأ فيه وتنبيه على أن العاقل ينبغي أن لا يكون معظم همه مقصوراً على الدنيا فإن عاقبة ذلك وبال وحسرة. ﴿سوف تعلمون﴾ أي: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدامكم من هول المحشر فالعلم بمعنى المعرفة، ولذا قدر له مفعول واحد وهو إنذار وتخويف ليخافوا وينتهبوا من غفلتهم قال الحسن رحمه الله. لا يغرنك كثرة من ترى حولك فإنك تموت وحدك وتبعث وحدك وتحاسب وحدك.

﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ تأكيد لتكرير الردع والإنذار وفي ثم دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول لأن فيه تأكيداً خلا عنه الأول لأن فيه تنزيلاً لبعد المرتبة منزلة بعد الزمان واستعمالاً للفظ ثم في مجرد التدرج في درج الارتقاء كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك لا تفعل أو الأول عند الموت في وقت ما بشر به المحتضر من جنة أو نار أوفي القبر حين سؤال منكر ونكير من ربك وما دينك ومن نبيك، والثاني عند النشور حين ينادي المنادي شقي فلان شقاوة لا سعادة بعدها وحين يقال وامتازوا اليوم أيها المجرمون فعلى هذا لا تكرير في الآية لحصول التغاير بينهما بتغاير زماني العلمين وبتعلقيهما فإنه يلقى في كل واحد من الزمانين نوعاً آخر من العذاب وثم على بابها من المهلة لتباعد ما بين الموت والنشور وكذا ما بين القبور والنشور وعن علي رضي الله عنه مازلنا نشك في عذاب القبر حتى نزلت السورة إلى قوله

تعالى: ﴿ثم كلا سوف تعلمون﴾ أي: سوف تعلمون في القبر ثم في القيامة وفي الحديث يسلط على الكافر في قبره تسعة وتسعون تنيناً تنهشه وتلذعه حتى تقوم الساعة لو أن تنينا منها نفخ في الأرض ما أنبتت خضراء.

﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ ٱلْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

﴿كلا﴾ تكرير للتنبيه تأكيداً ﴿لو تعلمون علم اليقين﴾ جواب لو محذوف للتهويل فإنه إذا حذف الجواب يذهب الوهم كل مذهب ممكن والعلم مصدر أضيف إلى مفعوله وانتصابه بنزع الخافض واليقين صفة لموصوف محذوف والمعنى لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي: لو علمتم ما تستيقنونه لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتب ولكنكم ضلال جهلة فاليقين بمعنى المتيقن به كمال التيقن حتى كأنه عين اليقين وإلا فيلزم إضافة أحد المترادفين إلى الآخر إذ العلم في اللغة بمعنى اليقين وقد يجعل العلم من إضافة العام إلى الخاص بناء على أن اليقين أخص من العلم فإن العلم قد يعم الظن واليقين فتكون إضافته كإضافة بلد بغداد ويدل عليه قولهم العلم اليقين بالوصف.

﴿لترون الجحيم﴾ جواب قسم مضمر أكد به الوعيد حيث إن ما أوعدوا به مما لا مدخل فيه للريب وشدد به التهديد وأوضح به ما أنذروه بعد إبهامه تفخيماً ولا يجوز أن يكون جواب لو لأن رؤية الجحيم محققة الوقوع وليست بمعلقة فلو جعل جواب لو لكان المعنى إنكم لا ترونها لكونكم جهالاً وهو غير صحيح وقال بعضهم: يصح أن يكون جواباً فيكون المعنى سوف تعلمون الجزاء ثم قال لو تعلمون الجزاء علم اليقين الآن لترون الجحيم يعني يكون الجحيم دائماً في نظركم لا يغيب عنكم أصلاً.

﴿ثم لترونها﴾ تكرير للتأكيد أو الأولى إذا رأوها من كان بعيد ببعض خواصها وأحوالها مثل رؤية لهبها ودخانها والثانية إذا أوردوها فإن معاينة نفس الحفرة وما فيها من الحيوانات المؤذية وكيفية السقوط فيها أجلى وأكشف من الرؤية الأولى فعلى هذا يتنازع الفعلان في عين اليقين، أو المراد بالأول المعرفة وبالثانية المشاهدة والمعاينة. ﴿عين اليقين﴾ أي: الرؤية التي هي نفس اليقين فإن علم المشاهدة للمحسوسات أقصى مراتب اليقين فلا يرد أن أعلى اليقينيات الأوليات وإنما قيد الرؤية بعين اليقين احترازاً عن رؤية فيها غلط الحس فانتصاب عين اليقين على إنه صفة المصدر لترونها وجعل الرؤية التي هي سبب اليقين نفس اليقين مبالغة.

﴿ثم لتسألن يومئذٍ عن النعيم﴾ قال في «التيسير»: كلمة ثم للترتيب في الإخبار لا في الوجود فإن السؤال بأنك أشكرت في تلك النعمة أم كفرت يكون في موقف الحساب قبل دخول النار والمعنى ثم لتسألن يوم رؤية الجحيم وورودها عن النعيم الذي ألهاكم الالتذاذ به عن الدين وتكاليفه فتعذبون على ترك الشكر، فإن الخطاب في لتسألن مخصوص بمن عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا ليأكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته باللهو والطرف لا يعبأ بالعلم والعمل ولا يحمل على نفسه مشاقهما فإن من تمتع بنعمة الله وتقوى بها على طاعته وكان ناهضاً بالشكر فهو من ذلك بمنزل بعيد، وإليه أشار رسول الله ﷺ فيما أكل هو وأصحابه تمراً وشربوا ماء فقال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا» كما في «الكشاف» فدخلت

في الآية كفار مكة ومن لحق بهم في وصفهم من فسقة المؤمنين وقيل الآية مخصوصة بالكفار وقال بعضهم: المراد بالنعيم هو الصحة والفراغ وفي الحديث: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ» وفي هذا الحديث دلالة على عظم محل هاتين النعمتين وجلالة خطرهما، وذلك لأن بهما يستدرك مصالح الدنيا ويكتسب درجات الآخرة فإن الصحة تنبىء عن اجتماع القوى الذاتية والفراغ يدل على انتظام الأسباب الخارجة المنفصلة ولا قدرة على تمهيد مصلحة من مصالح الدنيا والآخرة إلا بهذين الأمرين، ثم سائر النعم يعد من توابعهما، وقد قال معاوية بن قرة: شدة الحساب القيامة على الصحيح الفارغ يقال له كيف أديت شكرهما وعن الحسن رحمه الله: ما سوى كن يؤويه وثوب يواريه وكسرة تقويه يسأل عنه ويحاسب عليه، وقال بعض السلف: من أكل فسمى وفرغ فحمد لم يسأل عن نعيم ذلك الطعام، وقال رجل للحسن رحمه الله: إن لنا جاراً لا يأكل الفالوذج ويقول لا أقوم بشكره فقال ما أجهل جاركم نعمة الله عليه بالماء البارد أكثر من نعمته بجميع الحلاوي ولذلك قال عليه السلام: «أول ما يسأل العبد عنه من النعيم ألم نصح جسمك ونروك من الماء البارد» وفي «عين المعاني» عن النعم الخمس شبع البطون وبرد الشراب ولذة النوم وظلال المساكن واعتدال الخلق وقال ابن كعب: النعيم ذات محمد ﷺ إذ هو الرحمة والنعمة بالآيتين وهما قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا﴾ [النحل: ٨٣]، وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

[وهمه را ازدعوت وملت واتباع سنت أو خواهند پرسيد].

چه نعمتيست بزرك ازخداكه برثقلين سپس داریٔ اين نعمت است فرض العين

يقول الفقير: النعيم إما نعيم جسماني وشكره بمحافظة أحكام الشريعة وإما نعيم روحاني وشكره بمراعاة آداب الطريقة فإنه لما ازدادت المحافظة والمراعاة ازداد النعيم كما قال تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] وما من عضو من الأعضاء وقوة من القوى إلا وهي مطلوبة بنوع شكر ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٦] على أن عالم الصفات والأسماء كلها عالم النعيم وفقنا الله وإياكم لشكر النعيم إنه هو البر الرحيم، وفي الحديث: ألا يستطيع أحدكم أن يقرأ ألف آية في كل يوم قالوا ومن يستطيع أن يقرأ ألف آية في كل يوم قال: أما يستطيع أحدكم أن يقرأ **﴿ألهاكم التكاثر﴾** مرة» على ما قال السيوطي رحمه الله في «الإتقان»: إن القرآن ستة آلاف آية ومائتا آية فإذا تركنا زيادة الآلاف كان الألف سدس القرآن وهذه السورة تشتمل على سدس مقاصد القرآن فإنها على ما ذكره الغزالي رحمه الله، ثلاثة مقاصد مهمة وثلاثة متمة واحد المقاصد المهمة معرفة الآخرة المشتمل عليها السورة والتعبير عن هذا المعنى بألف آية افهم وأجل وأصح من التعبير بالسدس انتهى.

يقول الفقير: هذا منتقض بسورة الزلزلة فإنها أيضاً تشتمل على أحكام الآخرة ومعرفتها وقد سبق أنها تعدل نصف القرآن أو ربعه والظاهر أن المراد بالألف التكثير لأن أول السورة مما ينبىء عنه ومن الله التوفيق والإرشاد.

١٠٣ ـ سورة العصر

ثلاث آيات مكية أو مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ ﴾.

﴿والعصر﴾ أقسم سبحانه بصلاة العصر فإنه كثيراً ما يطلق العصر ويراد صلاته وذلك لفضلها الباهر لكونها وسطى لتوسطها بين الشفع الذي هو صلاة الظهر وبين الوتر النهاري الذي هو صلاة المغرب فإنها لما توسطت بين الطرفين اتصفت بالوصفين وظهرت بالحكمين وتحققت بالكمالين كما هو حكم البرازخ فحصل لها من القدر ما لم يكن لكل واحد من الطرفين وأيضاً إن أوقات أوائل الصلوات الأربع محدودة إلا العصر، يعني أن أول صلاة العصر غير محدود بالحد المحقق ففيه سر التنزيه عن التقييد بالحدود ولذا شرع التكبير في الصلاة لأن الله تعالى منزه عن التقييد بأوضاع الصلاة وحركات المصلي قال بعض الكبار: صلاة العصر بركعاتها الأربع إشارة إلى التعينات الأربعة الذاتية والإسمائية والصفاتية والإفعالية في مرتبة الجمال الكوني بالفعل كما أن الظهر إشارة إليها في مرتبة الجمال الإلهي بالفعل ولا شك أن الإنسان كون جامع ففي العصر إشارة إليه، وفي الحديث: «من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله» أي: نقص أي ليكن من فوتها حذراً كما يحذر من ذهاب أهله وماله وسر الوعيد أن التكليف في أداء صلاة العصر أشق لتهافت الناس في تجاراتهم ومكاسبهم واشتغالهم بمعايشهم آخر النهار لبرد الهواء حينئذٍ لا سيما في أرض الحجاز، فالكسب الحاصل في ذلك الوقت مع السهو عن الصلاة في حكم الخسران وسبب للخذلان.

حكي أن امرأة كانت تصيح في سكك المدينة وتقول دلوني على النبي عليه السلام فرآها رسول الله ﷺ فسألها ماذا حدث؟ قالت: يا رسول الله إن زوجي غاب عني فزنيت فجاءني ولد من الزنى فألقيت الولد في دن من الخل حتى مات ثم بعنا ذلك الخل فهل لي من توبة فقال عليه السلام: أما الزنى فعليك الرجم بسببه وأما القتل فجزاؤه جهنم وأما بيع الخل فقد ارتكبت به كبيرة لكن ظننت إنك تركت صلاة العصر» ويقال: إن الله تعالى أقسم بوقت العصر نفسه كما أقسم بالفجر فقد خلق فيه أصل البشر آدم عليه السلام فكان له شرف زائد على غيره ويقال أقسم بالعشي الذي هو ما بين الزوال والغروب كما أقسم بالضحى لما فيها جميعاً من دلائل القدرة، ويقال: أقسم بعصر النبوة الذي مقداره فيما مضى من الزمان مقدار وقت العصر من النهار وهو زمان بعثته إلى انقراض أمته في آخر الزمان وهو ألف سنة كما قال عليه السلام: «إن استقامت أمتي فلها يوم، وإن لم تستقم فلها نصف يوم» وفضل هذا العصر على سائر الأعصار

ظاهر لأنه عصر خير الأنبياء والمرسلين وعصر خير الأمم وخير الكتب الإلهية وفيه ظهر تمام الكمالات تفصيلاً، ويقال: أقسم بالدهر لانطوائه على أعاجيب الأمور القارة والمارة وللتعريض بنفي ما يضاف إليه من الخسران فإن الإنسان يضيف المكاره والنوائب إليه ويحيل شقاوته وخسرانه عليه والأقسام بالشيء إعظام له وما يضاف إليه الخسران لا يعظم عادة، وقد قال عليه السلام: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر» فأقسم الله بالدهر لأنه بالنسبة إلى الفهم العام محل شهود الآيات الإلهية كالليل والنهار والشمس والقمر والنجوم وغيرها وبالنسبة إلى الفهم الخاص مظهر التجليات الإلهية لظهوره تعالى بصفته وأفعاله في مظهره فلما كان العصر جامعاً لجميع الآيات التي أقسم الله بها في القرآن، كقوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢﴾ [الفجر: ١ ـ ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ۝١ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ۝٢﴾ [الشمس: ١ ـ ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢﴾ [الليل: ١ ـ ٢]، وقوله تعالى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢﴾ [الضحى: ١ ـ ٢] ختم الله بقسم العصر أقسام جميع القسم.

وفي «التأويلات النجمية»: أقسم الله بكمال دوام الزمان واستمراره لاشتماله على ولاية النبي عليه السلام ونبوته ورسالته وخلافته لقوله: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» أي بين ماء العلم وطين المعلوم ولقوله: «نحن الآخرون السابقون» ولقوله حكاية عن الله سبحانه: «لولاك لما خلقت الأفلاك» ولقوله: «أنا من الله والمؤمنون مني» ويقوي هذه الأحاديث، قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] **﴿إن الإنسان﴾** التعريف للجنس يعني الاستغراق بدلالة صحة الاستثناء من الإنسان فإن صحة الاستثناء من جملة أدلة العموم والاستغراق **﴿لفي خسر﴾** الخسر والخسران معناه النقصان وذهاب رأس المال في حق جنس الإنسان هو نفسه وعمره والتنكير للتفخيم أي لفي خسران عظيم لا يعلم كنهه إلا الله في متاجرهم وصرف أعمارهم في مباغيهم يعني [هر آينه در زيبند بصرف أعمار در مطالب ناپايدار].

مده به بيهده نقد عزيز عمر بدست.

كه پس زيان كنى ومرترا ندارد بود.

والذنب يعظم إما لعظم من في حقه الذنب أو لأنه في مقابلة النعمة العظيمة وكلا الوجهين حاصل في ذنب العبد في حق ربه فلا جرم كان ذلك الذنب في غاية العظيم ويجوز أن يكون التنوين للتنويع أي: نوع من الخسران غير ما يتعارفه الناس.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾

﴿إلا الذين آمنوا﴾ بالله الإيمان العلمي اليقيني وعرفوا أن لا مؤثر بالحقيقة إلا الله وبرزوا عن حجاب الدهر. **﴿وعملوا الصالحات﴾** أي: اكتسبوا الفضائل والخيرات الباقية فربحوا بزيادة النور الكمال على النور الاستعدادي الذي هو رأس مالهم فإنهم في تجارة لن تبور حيث باعوا الفاني الخسيس واشتروا الباقي النفيس واستبدلوا الباقيات الصالحات بالغاديات الرائحات فيا لها من صفقة ما أربحها وهذا بيان لتكميلهم لأنفسهم واستدل بعض الطوائف بالآية على أن مرتكب الكبيرة مخلد لأنه لم يستثن من الخسران **﴿إلا الذين آمنوا﴾** .. الخ والتفصي منه أن غير المستثنى في خسر لا محالة إما بالخلود إن مات كافراً وإما بالدخول في النار إن مات عاصياً لم يغفر له وإما بفوات الدرجات العالية إن غفر **﴿وتواصوا بالحق﴾** .. إلخ بيان

لتكميلهم لغيرهم أي وصى بعضهم بعضاً بالأمر الثابت الذي لا سبيل إلى إنكاره ولا زوال في الدارين لمحاسن آثاره وهو الخير كله من الإيمان بالله واتباع كتبه ورسله في كل عقد وعمل ﴿وتواصوا بالصبر﴾ أي: عن المعاصي التي تشتاق إليها النفس بحكم الجبلة البشرية وعلى الطاعات التي يشق عليها أداؤها وعلى ما يبلو الله به عباده وتخصيص هذا التواصي بالذكر مع اندراجه تحت التواصي بالحق لإبراز كمال الاعتناء به أو لأن الأول عبارة عن رتبة العبادة التي هي فعل ما يرضى به الله تعالى والثاني عن رتبة العبودية التي هي الرضى بما فعل الله فإن المراد بالصبر ليس مجرد حبس النفس عما تشوق إليه من فعل أو ترك بل هو تلقي ما ورد منه تعالى بالجميل والرضى به ظاهراً وباطناً ولعله سبحانه إنما ذكر سبب الربح دون الخسران اكتفاء ببيان المقصود فإن المقصود بيان ما فيه الفوز بالحياة الأبدية والسعادة السرمدية وإشعاراً بأن ما عدا ما عد يؤدي إلى خسر ونقص حظ أو تكرماً فإن الإبهام في جانب الخسر كرم لأنه ترك تعداد مثاليهم والإعراض عن مواجهتهم به وروي عنه عليه السلام أنه قال: «أقسم ربكم بآخر النهار أن أبا جهل لفي خسر إلا الذين آمنوا» أي: أبا بكر رضي الله عنه وعملوا الصالحات: أي عمر رضي الله عنه وتواصوا بالحق أي: عثمان رضي الله عنه وتواصوا بالصبر أي: علياً رضي الله عنه فسرها بذلك علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم، على المنبر فيكون تكرير وتواصوا لاختلاف الفاعلين وأما على الأول فلاختلاف المفعولين وهما قوله بالحق وبالصبر روي عن الشافعي رحمه الله: أنها سورة لو لم ينزل إلى الناس إلا هي لكفتهم وهو معنى قول غيره إنها شملت جميع علوم القرآن.

تمت سورة العصر في خامس جمادى الأولى
من سنة سبع عشرة ومائة وألف

١٠٤ ـ سورة الهمزة

تسع آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ۝٢ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾.

﴿ويل﴾ بالفارسية بمنى [واي]. وهو مبتدأ وساغ الابتداء به مع كونه نكرة لأنه دعاء عليهم بالهلكة أو بشدة الشر خبره قوله: **﴿لكل همزة لمزة﴾** الهمز الكسر واللمز الطعن شاعاً في الكسر من إعراض الناس والطعن فيهم وفي «القاموس»: الهامز والهمزة الغماز واللمزة العياب للناس أو الذي يعيبك في وجهك والهمزة من يعيبك في الغيب انتهى.. وبناء فعلة يدل على الاعتياد فلا يقال: ضحكة ولعنة إلا للمكثير المتعود وفي «أدب الكاتب»: لابن قتيبة: فعلة بسكون العين من صفات المفعول وفعلة بفتح العين من صفات الفاعل يقال رجل هزءة للذي يهزأ به وهزأة لمن يهزأ بالناس وعلى هذا القياس لعنة ولعنة ولمزة ولمزة وغيرها ونزولها في الأخنس بن شريق أو في الوليد بن المغيرة فإن كلاً منهما كان يغتاب رسول الله عليه السلام، والأصح العموم لقوله تعالى: «لكل ولم يقل للهمزة واللمزة» كما قرأ عبد الله كما في «عين المعاني» وفي الحديث: «المؤمن كيس فطن حذر وقاف متثبت لا يعجل عالم ورع والمنافق همزة لمزة حطمة كحاطب ليل لا يدري من أين اكتسب وفيم أنفق». قال القاشاني: الهمز واللمز رذيلتان مركبتان من الجهل والغضب والكبر لأنهما يتضمنان الأذية وطلب الترفع على الناس وصاحبهما يريد أن يتفضل على الناس ولا يجد في نفسه فضيلة يترفع بها فينسب العيب والرذيلة إليهم ليظهر فضله عليهم ولا يشعر أن ذلك عين الرذيلة وإن عدم الرذيلة ليس بفضيلة فهو مخدوع من نفسه وشيطانه موصوف برذيلتي القوة النطقية والغضبية **﴿الذي جمع مالاً﴾** بدل من كل كأنه قيل: ويل للذي جمع مالاً وإنما وصفه الله بهذا الوصف المعنوي لأنه يجري مجرى السبب للهمزة واللمزة من حيث إنه أعجب بنفسه مما جمع من المال وظن أن كثرة المال سبب لعز المرء وفضله فلذا استنقص غيره وإنما لم يجعل وصفاً نحوياً لكل لأنه نكرة لا يصح توصيفها بالموصولات وتنكير مالاً للتفخيم والتكثير الموافق لقوله تعالى: **﴿وعدده﴾** أي: عده مرة بعد أخرى من غير أن يؤدي حق الله منه ويؤيد أنه من العد وهو الإحصاء لا من العدة أنه قرىء وعدده بفك الإدغام على أنه فعل ماض بمعنى أحصاه وضبط عدده وقيل معنى عدده جعله عدة وذخيرة لنوائب الدهر وكان للأخنس المذكور أربعة آلاف دينارا وعشرة آلاف ثم في الجمع إشارة إلى القوة الشهوانية وفي عدده إلى الجهل لأن الذي جعل المال عدة للنوائب لا يعلم أن نفس ذلك المال هو الذي يجر إليه النوائب لاقتضاء حكمة

الله تفريقه بالنائبات فكيف يدفعها.

وفي «التأويلات النجمية»: جمع مال الأخلاق الذميمة والأوصاف الرديئة وجعله عدة منازل الآخرة والدخول على الله.

﴿يحسب أن ماله أخلده﴾ إظهار المال لزيادة التقرير أي: يعمل من تشييد البنيان وإيثاقه بالصخر والآجر وغرس الأشجار وكري الأنهار عمل من يظن أنه لا يموت بل ماله يبقيه حياً فالحسبان ليس بحقيقي بل محمول على التمثيل. وقال أبو بكر بن طاهر رحمه الله: يظن أنه ماله يوصله إلى مقام الخلد وإنما قال أخلده ولم يقل يخلده لأن المراد أن هذا الإنسان يحسب أن المال قد ضمن له الخلود وأعطاه الأمان من الموت فكأنه حكم قد فرغ منه ولذلك ذكره بلفظ الماضي قال الحسن رحمه الله: ما رأيت يقيناً لا شك فيه أشبه بشك لا يقين فيه كالموت ونعم ما قال:

﴿كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾﴾

﴿كلا﴾ ردع له عن ذلك الحسبان الباطل يعني [نه چنانست كه آدمى پندارد] وقال بعضهم: الأظهر أنه ردع له على الهمز واللمز ﴿لينبذن﴾ جواب قسم مقدر والجملة استئناف مبين لعلة الردع أي: والله ليطرحن ذلك الذي يحسب وقوع الممتنع بسب تعاطيه للأفعال المذكورة وقال بعضهم: ولك أن ترد الضمير إلى كل من الهمزة واللمزة ويؤيده قراءة لينبذان على التثنية. ﴿في الحطمة﴾ أي: في النار التي شأنها أن تحطم وتكسر كل ما يلقى فيها كما أن شأنه كسر بأعراض الناس وجمع المال قال بعضهم: قولهم إن فعلة بفتح العين للمكثير المتعود ينتقض الحطمة فإنها أطلقت على النار وليس الحطم عادتها بل طبيعتها وجوابه أن كونه طبيعياً لا ينافي كونه عادة إذ العادة على ما في «القاموس» الديدن والشأن والخاصية وهو يعم الطبيعي وغيره ومنه يعلم أن النبذ في الحطمة كان جزاء وفاقاً لأشمالهم فإنه لما كان الهمز واللمز عادتهم كان الحطم أيضاً عادة فقوبل صيغة فعلة بفعلة وكذا ظنوا أنفسهم أهل الكرامة والكثرة فعبر عن جزائهم بالنبذ المنبىء عن الاستحقار والاستقلال يعني شبههم استحقاراً لهم واستقلالاً بعددهم بحصيات أخذهن أحد في كفه فطرحهن في البحر وفيه إشارة إلى الإسقاط عن مرتبة الفطرة إلى مرتبة الطبيعة الغالبة.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾.

﴿وما أدراك ما الحطمة﴾ تهويل لأمرها ببيان أنها ليست من الأمور التي تنالها عقول الخلق، والمعنى بالفارسية [وچه چيز دانا كرد تراتا داني چيست حطمه] ﴿نار الله﴾ أي هي نار الله. ﴿الموقدة﴾ [أفروخته شد].

بأمر وقدرة أو جل جلاله وما أوقد وأشعل بأمره لا يقدر أن يطفئه غيره فإضافة النار إليه تعالى لتفخيمها والدلالة على أنها ليست كسائر النيران، وفي الحديث: «أوقد عليها ألف سنة حتى أحمرت ثم ألف سنة حتى ابيضت ثم ألف سنة حتى اسودت فهي سوداء مظلمة» وعن علي رضي الله عنه عجباً ممن يعصي الله على وجه الأرض والنار تسعر من تحته.

﴿التي تطلع على الأفئدة﴾ أي: تعلو أوساط القلوب وتغشاها فإن الفؤاد وسط القلب

ومتصل بالروح يعني أن تلك النار تحطم العظام وتأكل اللحوم فتدخل في أجواف أهل الشهوات وتصل إلى صدورهم وتستولي على أفئدتهم إلا أنها لا تحرقها بالكلية إذ لو احترقت لماتت أصحابها ثم إن الله تعالى يعيد لحومهم وعظامهم مرة أخرى وتخصيصها بالذكر لما أن الفؤاد ألطف ما في الجسد وأشد تألماً بأدنى أذى يمسه أو لأنه محل العقائد الزائغة والنيات الخبيثة ومنشأ الأعمال السيئة فإطلاعها على الأفئدة التي هي خزانة الجسد ومحل ودائعه يستلزم الإطلاع على جميع الجسد بطريق الأولى.

صاحب «كشف الأسرار»: [فرموده كه آتشى كه بدل راه يا بد عجبست حسين منصور قدس سره فرموده كه هفتادسال آتش نار الله الموقدة در باطن مازدند ناتمام سوخته شدنا كاهشررى از مقدحهٔ أنا الحق بون جست ودران سوخته افتاد سخوته بايدكه از سوزش ما خبر دهد، أي شمع بياتاً من وتوزار بكرييم كاحوال دل سوخته هم سوخته داند].

﴿إنها عليهم مؤصدة﴾ أي: أن من تلك النار الموصوفة مطبقة أبوابها عليهم تأكيداً ليأسهم من الخروج وتيقنهم بحبس الأبد من أوصدت الباب وأصدته أي: أطبقته وقد سبق في سورة البلد ﴿في عمد﴾ جمع عمود كما في «القاموس»، أي حال كونهم موثقين في أعمدة ﴿ممددة﴾ من التمديد بالفارسية [كشيدن].

أي ممدودة مثل المقاطر التي تقطر فيها اللصوص أي يلقون فيها على أحد قطريهم والقطر الجانب والمقطرة الخشبة التي يجعل فيها أرجل اللصوص والشطار يعني خشبة فيها خروق تدخل فيها أرجل المحبوس كيلاً يهربوا فقوله في عمد حال من الضمير المجرور في عليهم أو صفة لمؤصدة قاله أبو البقاء أي: كائنة في عمد ممددة بأن تؤصد عليهم الأبواب وتمد على الأبواب العمد المطولة التي هي أرسخ من القصيرة استيثاقاً في استيثاق لا يدخلها روح ولا يخرج منها غم وفيه إشارة إلى إيثاقهم وربطهم في عمد أخلاقهم وأوصافهم وأعمالهم ومدهم في أرض الذل والهوان والخسران لأن أهل الحجاب لا عز لهم نسأل الله تعالى أن لا يذلنا بالاحتجاب إنه الوهاب.

١٠٥ ـ سورة الفيل

خمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ①﴾.

﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل﴾ الخطاب لرسول الله ﷺ والهمزة لتقرير رؤيته بإنكار عدمها وكيف معلقة لفعل الرؤية منصوبة بما بعدها والرؤية علمية؛ لأن النبي عليه السلام ولد عام الفيل ولم يرهم، والمراد بأصحاب الفيل أبرهة وقومه وبالفيل هو الفيل الأعظم الذي اسمه محمود وكنيته أبو العباس كما سيجيء، ونسبوا إليه لأنه كان مقدمهم، والمعنى ألم تعلم علماً رصيناً متاخماً للمشاهدة والعيان باستماع الأخبار المتواترة ومعاينة الآثار الظاهرة وتعليق الرؤية بكيفية فعله تعالى لا بنفسه بأن يقال: «ألم تر ما فعل ربك».. الخ لتهويل الحادثة والإيذان بوقوعها على كيفية هائلة وهيئات عجيبة دالة على عظم قدرة الله وكمال علمه وحكمته وعزة بيته وشرف رسوله فإن ذلك من الإرهاصات، والإرهاص أن يتقدم على دعوى النبوة ما يشبه المعجزة تأسيساً لها ومقدمة كإظلال الغمام له عليه السلام، وتكلم الحجر والمدر معه.

قال بعضهم: الإرهاص الترصد سميت الأمور الغريبة التي وقعت للنبي عليه السلام إرهاصات؛ لأن كلاً منها مما يترصد بمشاهدته نبوته فالإرهاص إنما يكون بعد وجود النبي وقبل مبعثه وفي كلام بعضهم إن الإرهاص يكون قبل وجوده أيضاً قريباً من عهده كما دل عليه قصة الفيل ورجحوا الأول فإن قيل اتحاد السنة بأن يكون وقوع القصة عام المولد أمر اتفاقي لا يمنع عن كون الواقعة لتعظيم الكعبة قلنا، شرفها أيضاً بشرف مكانه عليه السلام ألا يرى أنه تعالى كيف قيد الأقسام بالبلد بحلوله عليه السلام فيه حيث قال: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ① وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ②﴾ [البلد: ١ ـ ٢] قال في «فتح الرحمن»: كان هذا عام مولد النبي عليه السلام في نصف المحرم وولد عليه السلام، في شهر ربيع الأول فبين الفيل ومولده الشريف خمس وخمسون ليلة، وهي سنة ستة آلاف ومائة وثلاث وستين من هبوط آدم على حكم التواريخ اليونانية المعتمدة عند المؤرخين وبين قصة الفيل، والهجرة الشريفة النبوية ثلاث وخمسون سنة والمقصود من تذكير القصة إما تسلية النبي عليه السلام، بأنه سيجزى من يظلمه كما جزى من قصد الكعبة وإما تهديد الظلمة وتفصيلها أن ملك حمير وما حولها وهو ذو نواس اليهودي لما أحرق المؤمنين بنار الأخدود ذات الوقود على ما سبق في سورة البروج هرب رجل منهم إلى ملك الحبشة وهو أصحمة بن بحر النجاشي بتخفيف الياء الذي أسلم في عهد رسول الله ﷺ وأخبره بذلك وحرضه على قتال ذي نواس فبعث أصحمة سبعين ألفاً من الحبشة إلى اليمن

وأمر عليهم أرياطاً ومعه في جنده أبرهة بن الصباح الأشرم ومعنى أبرهة بلسان الحبشة الأبيض الوجه وسيجيء معنى الأشرم فركبوا البحر حتى نزلوا ساحلاً مما يلي أرض اليمن وهزم أرياط ذا نواس وقتله في المعركة أو ألقى هو نفسه في البحر فهلك واستقر أمر أرياط في أرض اليمن زماناً وأقام فيها سنين في سلطانه ذلك ثم نازعه أبرهة في أمر الحبشة فكان من أمراء الجند فتفرقت الحبشة فقرتين: فرقة مع أرياط وفرقة مع أبرهة فكان الأمر على ذلك إلى أن سار أحدهما إلى الآخر فلما تقارب الفرقتان للقتال أرسل أبرهة إلى أرياط أنك لا تفعل شيئاً بأن تغري الحبشة بعضها ببعض حتى تفنيها فابرز لي وابرز لك فأينا أصاب صاحبه انصرف إليه جنده فأرسل إليه أرياط أن قد انصفت فاخرج فخرج إليه أبرهة وكنيته أبو يكسون وكان رجلاً قصير الجثمان لحيما ذا دين في النصرانية، وخرج إليه أرياط وكان رجلاً طويلاً عظيماً وفي يده حربة وخلف أبرهة غلام يقال له عتودة يمنع ظهره فرفع أرياط الحربة فضرب أبرهة يريد يافوخه فوقعت الحربة على جبهة أبرهة فشرمت حاجبه وأنفه وعينه وشفتيه أي: شقت وقطعت وخدشت فبذلك سمي أبرهة الأشرم وحمل عتودة على أرياط من خلف أبرهة فقتله وانصرف جند أرياط إلى أبرهة فاجتمعت عليه الحبشة في اليمن بلا منازع، وكان ما صنع أبرهة من غير علم النجاشي فلما بلغة ذلك غضب غضباً شديداً فقال: عدا على أميري فقتله بغير أمري ثم حلف لا يدع أبرهة حتى يطأ بلاده ويجز ناصيته فلما بلغ هذا الخبر أبرهة حلق رأسه وملأ جراباً تراباً من تراب اليمن ثم بعث به إلى النجاشي مع هدايا جليلة كثيرة وكتب إليه أيها الملك إنما كان أرياط عبدك وأنا عبدك فاختلفنا في أمرك وكل طاعة لك إلا أني كنت أقوى على أمر الحبشة وأضبط له وأوسوس منه وقد حلقت رأسي حين بلغني قسم الملك وبعثت إليه بجراب تراب من أرضي ليضعه تحت قدميه فيبر قسمه فِيَّ، فلما وصل كتاب أبرهة إلى النجاشي لان ورضي عنه وكتب إليه أن أثبت بأرض اليمن حتى يأتيك أمري فأقام أبرهة باليمن، ثم إنه رأى الناس يتجهزون أيام الموسم إلى مكة لحج بيت الله الحرام فتحرك منه عرق الحسد فبنى بصنعاء كنيسة من رخام ملون وفي بعض التفاسير [ودرو ديوار آنرا بزر وجواهر مرصع ومزين كرادنيد].

وفي «إنسان العيون» واجتهد في زخرفتها فجعل فيها الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب وكان ينقل ذلك من قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام وجعل فيها صلباناً من الذهب، والفضة ومنابر من العاج والأبنوس وسماها القليس كجميز لارتفاع بنائها وعلوها ومنها القلانيس لأنها في أعلى الرأس وأراد أن يصرف إليها الحاج، وفي «كشف الأسرار»: چون رسول أبرهه باآن هديا پيش ملك نجاشي رسيد وآن پيغام بداد ملك ازوخشنود شد وولايت يمن جمله بدو ارزاني داشت وبوي تسليم كرد چون آن رسول بنزديك أبرهه باز آمد ابرهه شادشد وبكشرانكه ملك ازوخشنود كشت وزراء وعقلاء مملكت خويش جمع كردو ايشانرا كفت مراراهى سازيد بعملي كه ملك راخوش آيدواو ر دران عزى وجمالي بودتا آنراشكر نعمت عفو او سازم ايشان همه متفق شدندكه عرب راخانه ايست معظم ومقدس وشرف جمله عرب بدان خانه است ومردمان شرق وغرب روى بدان خانه دارند وآن خانه ازسنك است تو درصنعاء يمن كنيسهٔ بساز يرنام ملك وبردين ترسايى كه دين نجاشي است واساس آن از زرويسيم والوان جواهر كن وكسى فرست بأطراف زمين وديار عرب وايشانرا بخوان وبزر

وسيم وتحفها وهديها ايشانرا رغبتي كن تا عالميان روى بدان كنيسه نهند وآنجا طواف كنند ملك عزى وجمالي باشد أبرهه همچنان كردكه ايشان كفتند وآن كنيسه بدان صفت بساخت وازبهر طمع مال وزروسيم خلقي روى بدان كنيسه نهادند وهركه آنجار فتى باهديه وتحفه باز كشتى].

وكتب أبرهة إلى النجاشي: أيها الملك إني بنيت لك كنيسة لم يُبْنَ مثلها لملك قبلك ولست أرضى حتى أصرف إليها حاج العرب فلما تحدث العرب، بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشي غضب رجل من بني كنانة حتى أتى القليس.

وفي «كشف الأسرار»: [وخبر در أطراف افتادكه از حج وزيارت وطواف كه درمكه وخانهء عرب بود بايمن افتاد ودران وقت رئيس مكه عبد المطلب بود مردى از عرب ازساكنان مكة نام وى زهير بن بدر از عبد المطلب درخواست وسوكند خوردكه من بروم ودرخانهء ايشان حدث كنم برخواست وآنجاشد وچند روز آنجا عبادت كرد رتبهء مجاورت يافت شبى كفت من ميخواهم كه اينجا امشب عبادت كنم كه مراسخت نيكو وخوش آمده است اين بقعه اورا آن شب آنجاتنها بكذا شتند ودران خانه مسك وعنبر فراوان بود بيوسته بوي خوش ازان ميد ميد زهر آنجا حدث كرد وهمه ديوار ومحراب بنجاست بيالود آنكه آهنك بيرون كردو بكر بخت اين خبر در آفاق وأقطار منتشر كشت ومردم از طواف آن متنفر إبرهه ازين حال آكاه شد ومتأثر كشت دانست كه اين مرد ازمكه بود واز مجوران كعبه سوكند خوردكه من بالشكر وحشم بروم وآن خانهء ايشن خراب كنم وبازمين برابر حتى لا يحجه حاج أبداً].

وفي «حواشي» ابن الشيخ: كان أصل مقصوده من هدم البيت أن يصرف الشرف الحاصل لهم بسبب الكعبة منهم ومن بلدتهم إلى نفسه وإلى بلدته.

[ورسولي فرستاد بحبشه وملك راخبر كرداز آنچه زهير كرداند ران كنيسه واز رفتن خويش سوى مكه وخراب كردن كعبه].

فخرج بالحبشة [وكفته اند نجاشى پيلان بسيار فرستاد ولشكر وحشم].

وقال السجاوندي: أغتم النجاشي لذلك وعزاه أبرهة وحجر من قواده وأبو يكسوم وزيره وقال: لا تحزن إن لهم كعبة هي فخرهم فننسف أبنيتها وتبيح دماءها وننتهب أموالها فخرج أبرهة بجند كثير وجم غفير ومعه فيل أبيض اللون وهو فيل النجاسي بعثه إليه بسؤاله وكان فيلا لم ير مثله عظماً وجسماً وقوة يعني بعظمت جثه مشابه كوه بود.

بهيكل قوى راست چون كوه قاف   چوشير غرين چابك اندر مصاف

ومن شأن الفيل المقاتلة، ولذلك كان في مرابط ملك الصين ألف فيل أبيض وهو مع عظم صورته ضعيف يخاف من السنور ويفزع منه وكان دليلهم كبير ثقيف وهو أبو رغال رجم العرب قبره حين مات كما في كتاب «التعريف والإعلام» للإمام السهيلي رحمه الله، وفي «كشف الأسرار»: [أبو رال درراء هلاك شد وكوروى معروفست براه يمن حاج يمن جون آنجار سند بآن كوروى سنك اندازند].

حتى صار كالجبل العظيم وفي ذلك يقول جرير في الفرزدق الشاعر:

إذا مات الفرزدق فارجموه   كما ترمون قبر أبي رغال

وفي ««القاموس»»: أبو رغال ككتاب في سنن أبي داود ودلائل النبوة وغيرهما عن ابن

عمر رضي الله عنهما سمعت رسول الله ﷺ حين خرجنا معه إلى الطائف فمررنا بقبر فقال: «هذا قبر أبي رغال وهو أبو ثقيف وكان من ثمود وكان بهذا الحرم يدفع عنه فلما خرج منه أصابته النقمة التي أصابت قومه بهذا المكان فدفن فيه» الحديث وقول الجوهري كان دليلاً للحبشة حين توجهوا إلى مكة فمات في الطريق غير جيد وكذا قول ابن سيدة كان عبداً لشعيب وكان عشاراً جائراً انتهى كلامه.

[أبرهه چون بأطراف حرم رسد بيرون حرم نزول كرد].

وبعث رجلاً من الحبشة يقال له الأسود حتى انتهى إلى مكة فساق إليه أموال تهامة، يعني [هرچه درحوالىء شهر مكة شتر بود وكوسفند غارت كردت ودر جمله دويست سر شترازان عبد المطلب كه بوقف حاج كرده يود بغارت بردند].

وقال بعضهم: فلما بلغ المغمس وهو كمعظم ومحدث موضع بطريق الطائف فيه قبر أبي رغال دليل أبرهه ويرجم كما في «لقاموس» أي: على ما اشتهر وإلا ناقض كلامه السابق خرج إليه عبد المطلب وعرض عليه ثلث أموال تهامة ليرجع فأبى، وفي «شرح البردة» للمرزوقي لما نزل المغمس بعث حناطة الحميري إلى مكة وقال له: سل عن سيد هذا البلد وشريفهم وقل له: إن الملك يقول إنني لم آت لحربكم إنما جئت لهدم هذا البيت فإن لم تتعرضوا دونه لحرب فلا حاجة لي بدمائكم فإن هو لم يرد حربي فائتني به، وفي «كشف الأسرار»: [أبرهه چون آنجا نزول كرد هيبت خانهء كعبه دردر وى أثر كرد وازان قصدكه داشت پشيمان كشت وردل خود ميخواست كه كسى در حق خانه شفاعت كند تابا زكردد وبفرمودكه رئيس مكة رابياريد ورئيس مكة آنكاه عبد المطلب بودبا جمعي بني هاشم بنزديك أبرهه آمد وآن مردكه فرستاده بود پيش ازر سيدن عبد المطلب درپيش أبرهه شد].

وقال المرزوقي رحمه الله: استان لعبد المطلب بعض وزرائه يقال له أنيس سائس الفيل وكفت قد جاءك سيد قريش وصاحب عير مكة الذي يطعم الناس في السهل والوحوش في رؤوس الجبال حقاً [مردى مي آيد بحضرت توكه بدرستي وراستي سيد قريش است مردى كريم طبع نيكوروى باسيادت وباسخاوت وبهيبت وانكه ازوى نور همي تابدكه منظروي بترسانيد يعني نور مصطفى عليه السلام، از پيشاني وى همي تافت أبرهه خويشتن رابزي نيكوبيا راست وبر تخت نشت وعبدا المطلب را أجازت دار چون در آمد نخواست كه اورا باخود برتحت نشاند يعني كره أن تراه الحبشة يجلس على سرير ملكه از تخت بزير آمد وبا عيد المطلب به پايان تت بنشست واورا اجلال كرد ونيكو بنواخت سخنان وي اوراخواش آمد وباخود كفت اكر در حق خانه شفاعت كندا ورا نوميد نكنم پس ترجمانرا كفت تا حاجتي كه دارد بخواهد عبد المطلب كفت حاجت اينست كه دويست شترازان من بياورده اند وكانت ترعى بذي المجاز بفرماي تاباز دهند أبرهه را ازان انده آمد ترجما نرا كفت بپرس ازوى تاچرا ازبهر خانهء كعبه حاجت نخواست خانهء كه شرف وعز شما بآنست وسبب عصمت وحرمت شما آنست در قديم دهر ومن آمده أم تاآنرا خراب كنم مى نخواهى اين اشترا انراچه خطر باشدكه ميخواهى] قال عبد المطلب: أنا رب الإبل وللبيت رب يحفظه كما عليه بعرانه لينظر من يحفظ البيت مني عبد المطلب [بازكشت وميكانرا فومود هرچه داشتند ازمال ومتاع بركر فتند وباكوه شدندومكه خالي كردنداي] تخوفاً من معرة الجيش فجهز أبرهة جيشة وقدم الفيل الأعظم المذكور فكان

كلما وجهوه إلى الحرم برك ولم يبرح كما بركت القصواء في الحديبية حتى قال عليه السلام: «حبسها حابس الفيل» ومعنى بروك الفيل سقوطه على الأرض لما جاءه من أمر الله أو لزوم موضعه كالذي برك وإلا فالفيل لا يبرك كما قال عبد اللطيف البغدادي: الفيلة تحمل سبع سنين وإذا تم حملها وأرادت الوضع لدخلت النهر حتى تضع ولدها لأنها تلد وهي قائمة ولا فواصل لقوائمها فتلد والذكر عند ذلك يحرسها وولدها من الحيتان انتهى. وقال بعضهم: الفيل صنفان صنف يبرك وصنف لا يبرك كالجمل انتهى وإذا وجهوه إلى اليمن أو إلى غيره من الجهات هرول والهرولة كالدحرجة ما بين المشي والعدو وأمر أبرهة أن يسقى الفيل الخمر ليذهب شميذه فسقوه فثبت على أمره.

وكفه اند نفيل بن حبيب الخثعمي كوش آن فيل كرفت وكفت أبرك محمود وأرجع راشدا من حيث جئت فإنك في بلد الله الحرام چون ابن سخن بكوش پيل فرو كفت بازشكت وپاي در حرم نهاد ونفيل هذا قاتل أبرهة بأرض خثعم وهو جبل وأهله خثعيون وأبو قبيلة فهزمه أبرهة فأخذ أسيراً فلما أتى به وهم أبرهة بقتله قال: أيها الملك لا تقتلني فإني دليلك بأرض العرب فخلى سبيله وخرج به معه يدله على أرض العرب حتى إذا مر بالطائف رأى أهله أن لا طاقة لهم بهم فانقادوا له وبعثوا معه بأبي رغال فأنزلهم بالمغمس وهو على ستة أميال من مكة ومات أبو رغال هناك وقبره المرجوم فيه كما في بعض التفاسير: قال المرزوقي رأى العرب جهاد أبرهة حقاً عليهم فكانوا يجتمعون لقتاله في الطريق قبائل قبائل فهزمهم أبرهة ومن جملة من هزمهم وأسرهم نفيل بن حبيب أخذه وما قتله ليكون دليلاً له وأخذ عبد المطلب بحلقة البيت ودعا وقال:

لاهم إن المرء يحمي رحله فامنع حلالك لا يغلبن صليبهم ومحالهم غدوا محالك

وذلك أنهم كانوا نصارى أهل صليب ولا هم أصله اللهم فإن العرب تحذف الألف واللام وتكتفي بما يبقى والحلال بكسر الحاء المهملة جمع حلة وهي البيوت المجتمعة والمحال بكسر الميم الشدة والقوة والغدو بالغين المعجمة أصل الغدو هو اليوم الذي يأتي بعد يومك الذي أنت فيه فالتفت وهو يدعو فإذا بطير فقال والله إنها لطير غريبة لا نجدية ولا تهامية ولا حجازية وإن لها لشأناً، وفي «حواشي» ابن الشيخ كان عبد المطلب وأبو مسعود الثقفي يشاهدان من فوق الجبل عسكر أبرهة فأرسل الله طيراً سوداً صفر المناقير خضر الأعناق طوالها أو خضراً أو بيضاً أو بلقاً أو حماماً كما سئل أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن الطير فقال: حمام مكة منها وقد يقال: إن هذا اشتباه لأن الذي قيل فيه إنه من نسل الأبابيل إنما هو شي يشبه الزرازير يكون بباب إبراهيم من الحرم وإلا فحمام الحرم من نسل الحمام الذي عشش على فم الغار والزرازير جمع زرزور بضم الزاي طائر صغير من نوع العصفور سمي بذلك لزرزرته أي لصوته وعن عائشة رضي الله عنها: «كانت تلك الطير الأبابيل أشباه الخطاطيف والوطاويط وقد نشأت في شاطىء البحر ولها خراطيم الطير وأكف الكلاب وأنيابها» وقال ابن جبير: لم ير مثلها لا قبلها ولا بعدها وقال عكرمة: هي عنقاء مغرب وفي الخبر: «إنها طير بين السماء والأرض تعشش وتفرخ» وقيل من طير السماء قيل جاءت عشية ثم صبحتم مع كل طائر حجر في منقاره وحجران في رجليه أكبر من العدسة وأصغر من الحمصة وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه رأى منها عند أم هاني نحو قفيز مخطط بحمرة كالجزع الظفاري وظفار كقطام بلد

باليمن قرب صنعاء ينسب إليه الجزع وأرسلت ريح فزادتها شدة فكان الحجر يقع على رأس كل واحد منهم فيخرج من أسفله وينفذ من الفيل ومن بيضهم فيخرق الأرض وعلى كل حجر اسم من يقع عليه. قال القاشاني: وإلهام الوحوش والطيور أقرب من إلهام الإنسان لكن نفوسهم ساذجة وتأثير الأحجار بخاصية أودعها الله تعالى فيها ليس بمستنكر ومن اطلع على عالم القدرة وكشف له حجاب الحكمة عرف لمية أمثال هذه وقد وقع في زماننا مثلها في استيلاء الفأر على مدينة أبي يوزد وإفساد زروعهم ورجوعها في البرية إلى شط جيحون وأخذ كل واحدة منها خشبة من الأيك التي على شط النهر وركوبها عليها وعبورها من النهر فهي لا تقبل التأويل كأحوال القيامة وأمثالها انتهى وعن عكرمة: كل من أصابته الحجارة جدرته وفي الخبران: «أول ما وقعت الحصبة والجدري بأرض العرب ذلك العام» ففروا وهلكوا في كل طريق ومنهل، قال بعضهم: فلم تصب منهم أحداً إلا هلك وليس كلهم أصيب كما قال في «إنسان العيون»: ثم ركب عبد المطلب لما استبطأ مجيء القوم إلى مكة ينظر ما الخبر فوجدهم قد هلكوا أي غالبهم وذهب غالب من بقي فاحتمل ما شاء الله من صفراء وبيضاء.

ثم اعلم أهل مكة بهلاك القوم فخرجوا فانتهبوا انتهى يعني والذي سلم منهم ولي هارباً مع أبرهة إلى اليمن يبتدر الطريق وصاروا يتساقطون بكل منهل.

وقال الكاشفي: [وبيك نفس قوم أبرهه مستأصل شدند وآن پيلان نيزهمه هلاك كشتند].

وقال بعضهم ولم يسلم إلا كندي فقال:

أكـنـدة لـو رأيـت ولـو تـريـنـا ... بـجـنـب ربـا الـمـغـمـس مـا الـقـيـنـا
حـسـبـنـا الله إن قـد بـث طـيـراً ... وظـل سـحـابـة تـهـمـي عـلـيـنـا

وأخذ أبرهة داء أسقط أنامله وأعضاه ووصل إلى صنعاء كذلك وهو مثل فرخ الطير ومامات حتى انصدع صدره عن قلبه فملك اليمن ابنه يكسوم بن أبرهة وانفلت وزيره أبو يكسوم وطائر يتحلق فوقه حتى بلغ النجاشي فقص عليه القصة فلما أتمها وقع عليه الحجر فخر ميتاً بين يديه فأرى الله النجاشي كيف كان هلاك أصحابه. وقال بعضهم: [همه هلاك شدند مكر أبرهه كه مرغ بر سروى ايستاد وازمكه بيرون شدروى بحبشة نهاد وآن مرغ برهوا برسوري هي بود وأونمى دانست تادر پيش نجاشي شد چون أبرهه صورت حال بعرض نجاشي رسانيد نجاشي از روى تعجب پرسيدكه چكونه مرغان بودندكه چندين مبارزا انرا هلاك كردند أبرهه رادرين حال نظر بران مرغ افتاد كفت أي ملك يكى أذان مرغان اينست همان لحظه آن مرغ سنكى كه داشت بنام وى برسرش افكند وهم در نظر نجاشى هلاك شدوازين صورت آيت عبرتي بر صحيفهٔ دل نجاشي منقش كشت].

نوشت خامهٔ تقدير بر جريدهٔ دهر ... خطى كه فاعتبروا يا أولي الأبصار

وعن عائشة رضي الله عنها رأيت قائد الفيل وسائسه أعميين مقعدين يستطعمان الناس ويعلم من ذلك أنهما من جملة من سلم من قوم أبرهه ولم يذهبا بل بقيا بمكة كما في «إنسان العيون» وفي «حواشي ابن الشيخ» كان عبد المطلب وأبو مسعود الثقفي يشاهدان من فوق الجبل عسكر أبرهة حين رماهم الطير بالحجارة فهلكوا فقال عبد المطلب لصاحبه صار القوم حيث لا يسمع لهم ركز أي حس فانحطا من الجبل فدخلا المعسكر فإذا هم موتى فجمعا من الذهب والجواهر وحفر كل منهما لنفسه حفرة وملأها من المال وكان ذلك سبب غناهما وفي

كلام سبط ابن الجوزي: وسبب غنى عثمان بن عفان أن أباه عفان وعبد المطلب وأبا مسعود الثقفي لما هلك أبرهة وقومه كانوا أول من نزل مخيم الحبشة فأخذوا من أموال أبرهة وأصحابه شيئاً كثيراً ودفنوه عن قريش فكانوا أغنياء قريش وأكثرهم مالاً ولما مات عفان ورثه عثمان رضي الله عنه ثم إنه يرد على ما ذكر أن الحجاج خرب مكة بضرب المنجنيق فلم يصبه شيء ولم يستعجل عذابه ويجاب بأن الحجاج لم يجيء لهدم الكعبة ولا لتخريبها ولم يقصد ذلك وإنما قصد التضييق على عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، ليسلم نفسه وفيه أنه قد يشكل كونه حرماً آمناً وجاء في حق الحجاج إن عليه نصف عذاب العالم ويرد عليه أيضاً قصة القرامطة وهي أن أبا سعيد كبير القرامطة وهم طائفة ملاحدة ظهروا بالكوفة سنة سبعين ومائتين يزعمون أن لا غسل من جنابة وحل الخمر وإنه لا صوم من السنة إلا يومي النيروز والمهرجان ويزيدون في أذانهم وإن محمد ابن الحنيفة رسول الله وأن الحج والعمرة إلى بيت المقدس وافتتن بهم جماعة من الجهال وأهل البراري وقويت شوكتهم حتى انقطع الحج من بغداد بسببه وسبب ولده أبي طاهر فإن ولده أبا طاهر بني دارا في الكوفة وسماها دار الهجرة وكثر فساده واستيلاؤه على البلاد وقتله المسلمين وتمكنت هيبته من القلوب وكثرت أتباعه وذهب إليه جيش الخليفة المقتدر بالله السادس عشر من خلفاء بني العباس غير ما مرة وهو يهزمهم، ثم إن المقتدر سير ركب الحاج إلى مكة فوافاهم أبو طاهر يوم التروية فقتل الحجيج بالمسجد الحرام وفي جوف الكعبة قتلا ذريعاً وألقي القتلى في بئر زمزم وضرب الحجر الأسود بدبوس فكسره ثم اقتلعه وأخذه معه وقلع باب الكعبة ونزع كسوتها وسقفها وقسمه بين أصحابه وهدم قبة زمزم وارتحل عن مكة بعد أن أقام بها أحد عشر يوماً ومعه الحجر الأسود وبقي عند القرامطة أكثر من عشرين سنة وكان الناس يضعون أيديهم محله للتبرك ودفع لهم فيه خمسون ألف دينار فأبوا حتى أعيد إلى موضعه في خلافة المطيع لأمر الله وهو الرابع والعشرون من خلفاء بني العباس بعد اشترائه منهم وجعل له طوق فضة شد به زنته ثلاثة آلاف وسبعمائة وتسعون درهماً ونصف قال بعضهم: تأملت الحجر وهو مقلوع فإذا السواد في رأسه فقط وسائره أبيض وطوله قدر عظم الذراع وبعد القرامطة في سنة ثلاث عشرة وأربعمائة قام رجل من الملاحدة وضرب الحجر الأسود ثلاث ضربات بدبوس فتشقق وجه الحجر من تلك الضربات وتساقطت منه شظيات مثل الأظفار وخرج بكسره فتات أسمر يضرب إلى الصفرة محبباً مثل حب الخشخاش فجمع بنو شيبة ذلك الفتات وعجنوه بالمسك واللك وحشوه في تلك الشقوق وطلوه بطلاء من ذلك.

ويقول الفقير: لعل الجواب عن مثل هذا أن الاستئصال وما يقرب منه مرفوع عن هذه الأمة وأكثر ما كان من خوارق العادات كان في أيام الأمم السالفة وليست الكعبة بأفضل من الإنسان الكامل وقد جرت عادة الله على التسامح عن بعض من يعاديه بل يقتله وإن كان اشتد غضبه عليه فهو يمهل ولا يهمل ولعنة الله على الظالمين.

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾﴾

﴿ألم يجعل كيدهم في تضليل﴾ الهمزة للتقرير وضلل كيده إذا جعله ضالاً ضائعاً ونحوه قوله تعالى: ﴿وَمَا كَيْدُ ٱلْكَـٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ﴾ [غافر: ٢٥] وضل الماء في اللبن إذا ذهب وغاب والمعنى قد جعل مكرهم وحيلتهم في تعطيل الكعبة عن الزوار وتخريبها في تضييع

وإبطال بأن أهلكهم أشنع إهلاك وجزاهم بعد إهلاكهم بمثل ما قصدوا حيث خرب كنيستهم قال في «إنسان العيون»: لما أهلك صاحب الفيل وقومه عزت قريش وهابتهم الناس كلهم وقالوا: هم أهل الله لأن الله معهم ومزقت الحبشة كل ممزق وخرب ما حول تلك الكنيسة التي بناها أبرهة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات ومردة الجن وكل من أراد أن يأخذ منها شيئاً أصابته الجن واستمرت كذلك إلى زمن السفاح الذي هو أول خلفاء بني العباس فذكر له أمرها فبعث إليها عامله الذي باليمن فخربها وأخذ خشبها المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي تساوي قناطير من الذهب فحصل له منها مال عظيم وحينئذٍ عفا رسمها وانقطع خبرها واندرست آثارها.

﴿**وأرسل عليهم طيراً**﴾ عطف على قوله ﴿**ألم يجعل**﴾ لأن الهمزة فيه لإنكار النفي كما سبق ﴿**أبابيل**﴾ صفة طيراً أي: جماعات لأنها كانت أفواجاً فوجاً بعد فوج متتابعة بعضها على أثر بعض أو من ههنا وههنا جمع أبالة وهي الحزمة الكبيرة بالفارسية دستهٔ بزرك از حطب.

شبهت بها الجماعة من الطير في تضامها وقيل أبابيل مفرد كعباديد ومعناه الفرق من الناس الذاهبون في كل وجه وكشماطيط ومعناه القطع المتفرقة وفيه أنها لو كانت مفردات لأشكل قول النحاة إن هذا الوزن من الجمع يمنع صرفه لأنه لا يوجد في المفردات.

﴿تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴿٥﴾﴾.

﴿**ترميهم بحجارة**﴾ صفة أخرى لطيرا وقرأ أبو حنيفة رحمه الله، يرميهم أي الله أو الطير لأنه اسم جمع تأنيثه باعتبار المعنى والحجارة جمع حجر بالتحريك بمعنى الصخرة والمعنى بالفارسية مي افكندند بدان لشكر بسنكها.

يقال: رمى الشيء وبه ألقاه ﴿**من سجيل**﴾ من طين متحجر وهو الآجر معرب سنك كل.

وقال بعضهم: متحجر من هذين الجنسين وهما سنج الذي هو الحجر وجيل الذي هو الطين أو هو علم للديوان الذي كتب فيه عذاب الكفار كما أن سجينا علم للديون الذي تكتب فيه أعمالهم كأنه قيل بحجارة من جملة العذاب المكتوب المدون واشتقاقه من الأسجال وهو الإرسال.

﴿**فجعلهم كعصف مأكول**﴾ كورق زرع وقع فيه الآكال وهو أن يأكله الدود، وسمي ورق الزرع بالعصف لأن شأنه أن يقطع فتعصفه الرياح، أي تذهب به إلى هنا وهنا شبههم به في فنائهم وذهابهم بالكلية أو من حيث إنه حدثت فيهم بسبب رميهم منافذ وشقوق كالزرع الذي أكله الدود ويجوز أن يكون المعنى كورق زرع أكل حبه فبقي صفراً منه فيكون من حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه أي: كعصف مأكول الحب شبههم بزرع أكل حبه في ذهاب أرواحهم وبقاء أجسادهم أو كتبن أكلته الدواب وألقته روثا فيبس وتفرقت أجزاؤه شبه تقطع أوصالهم بتفرق أجزاء الروث وفيه تشويه لحالهم ومبالغة حسنة وهو أنه لم يكتف بجعلهم أهون شيء في الزرع وهو التبن الذي لا يجدي طائلاً حتى جعلهم رجيعاً إلا أنه عبر عن الرجيع بالمأكول أو أشير إليه بأول حاله على طريق الكناية مراعاة لحسن الأدب واستهجاناً لذكر الروث كما كنى بالأكل في قوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ﴾ [المائدة: ٧٥] عما يلزم الأكل من التبول والتغوط لذلك فدأب القرآن هو العدول عن الظاهر في مثل هذا المقام قال بعض

العارفين: من كان اعتماده على غير الله أهلكه الله بأضعف خلقه ألا ترى أن أصحاب الفيل لما اعتمدوا على الفيل من حيث إنه وأقوى خلق الله أهلكهم الله بأضعف خلق من خلقه وهو الطير.

[وكفته اندا كربيل نتوانى بودباري ازپشه كم مباش كه برصورت پيل است پشه كويدكه اكر من بقوت پيل نيستم كه باري كشم باري بصورت پيلم كه بار خويش بركس نيفكنم].

وفيه إشارة إلى أبرهة النفس المتصفة بصفة الغضب والحقد المجبولة على خلقة الفيل كالسبعية في السبع والكبر في النمر فأرسل الله عليها طير الأرواح حاملين أحجار الأذكار والأوراد فأكلتها أكل الأكلة وعصفت مزروعاتهم السيئة وبطل قليس طبيعتها الجسمانية التي كانت تدعو القوى إليها لأن هذه الدعوة كانت بتزيين الشيطان فلا تقاوم دعوة الروح إلى كعبة القلب التي كان من الرحمن.

هركه بر شمع خدا آردتفو شمع كي ميرد بسوز ديوزار
چون توخفاشان بسى بينند خواب كين جهان ماند يتيم از آفتاب

قوله ﴿مأكول﴾ يوقف عليه ثم يكبر ولا يوصل حذراً من الإيهام.

تمت سورة الفيل في يوم الخميس سابع جمادى الأولى
من سنة سبع عشرة ومائة وألف

١٠٦ ـ سورة قريش

أربع آيات مكية

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ﴿١﴾ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ﴿٢﴾﴾.

﴿لإيلاف قريش﴾ متعلق بقوله تعالى: **﴿فليعبدوا﴾** وهو قول الزجاج والفاء لما في الكلام من معنى الشرط إذ المعنى أن نعم الله عليهم غير محصورة فإن لم يعبدوه لسائر نعمه فليعبدوه لهذه النعمة الجليلة فالإيلاف تعدية الألف مصدر من المبني للمفعول مضاف إلى مفعوله الأول مطلقاً عن المفعول الثاني هو الرحلة كما قيد به في الإيلاف الثاني يقال ألفت الشيء بالقصر وآلفته بالمد بمعنى لزمته ودمت عليه وما تركته فيكون كل من الإلف والإيلاف لازماً ويقال أيضاً آلفته غيري بالمد أي ألزمته إياه وجعلته يألفه فيكون متعدياً قال في «تاج المصادر»: الإيلاف [ألف دادن وألف كرفتن].

وضد الإيلاف والإيناس هو الإيحاش وقيل متعلق بما قبله من قوله: ﴿فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾ [الفيل: ٥] ويؤيده أنهما في مصحف أبي رضي الله عنه سورة واحدة بلا فصل فيكون الإيلاف بمعنى الإلف اللازم فالمعنى أهلك الله من قصدهم من الحبشة لأن يألفوا هاتين الرحلتين ويجمعوا بينهما ويلزموا إياهما ويثبتوا عليهما متصلاً لا منقطعاً بحيث إذ فرغوا من ذه أخذوا في ذه وبالعكس وذلك لأن الناس إذا تسامعوا بذلك الإهلاك تهيبوا لهم زيادة تهيب واحترموهم فضل احترام فلا يجترىء عليهم أحد فينتظم لهم إلا من في رحلتيهم وكان لقريش رحلتان يرحلون في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشام فيمتارون ويتجرون وكانوا في رحلتيهم آمنين لأنهم أهل حرم الله وولاة بيته العزيز فلا يتعرض لهم والناس بين متخطف ومنهوب وذلك أن قريشاً إذا أصاب واحدا منهم مخمصة خرج هو وعياله إلى موضع وضربوا على أنفسهم خباء حتى يموتوا وكانوا على ذلك إلى أن جاء هاشم بن عبد مناف وكان سيد قومه فقام خطيباً في قريش فقال إنكم أحدثتم حدثاً تقلون فيه وتذلون وأنتم أهل حرم الله وأشرف ولد آدم والناس لكم تبع قالوا: نحن تبع لك فليس عليك منا خلاف فجمع كل بني أب على الرحلتين في الشتاء إلى اليمن وفي الصيف إلى الشأم لأن بلاد اليمن حامية حارة وبلاد الشام مرتفعة باردة ليتجروا فيما بدا لهم من التجارات فما ربح الغني قسم بينه وبين فقرائهم حتى كان فقيرهم كغنيهم فجاء الإسلام وهم على ذلك فلم يكن في العرب بنو أب أكثر مالاً ولا أعز من قريش وكان هاشم أول من حمل السمراء من الشام وقريش ولد النضر بن كنانة ومن لم يلده فليس بقرشي سموا بتصغير القرش وهو دابة عظيمة في البحر تعبث بالسفن وتنلبها وتضربها

فتكسرها ولا تطاق إلا بالنار فشبهوا بها لأنها تأكل ولا تؤكل وتعلو ولا تعلى والتصغير للتعظيم فكأنه قيل قريش عظيم وقال بعضهم: الأوجه أن التصغير على حقيقته لأنه إذا كان القرش دابة عظيمة والقرش مع صغر حجمه جعل قرشاً فهو لا محالة قريش وفيه أن جعل قريش قريشاً لم يكن لمناسبة الحجم بل كان لوصف الآكلية وعدم المأكولية ووصف الغلبة وعدم المغلوبية وهذان الوصفان يوجدان في تلك الدابة على وجه الكمال فلا معنى للتصغير إلا التعظيم قال الزمخشري: سمعت بعض التجار بمكة ونحن قعود عند باب بني شيبة يصف لي القرش فقال هو مدور الخلقة كما بين مقامنا هذا إلى الكعبة ومن شأنه يتعرض للسفن الكبار فلا يرده شيء إلا أن يأخذ أهلها المشاعل فيمر على وجهه كالبرق وكل شيء عنده قليل إلى النار وبه سميت قريش قال الشاعر:

وقريش هي التي تسكن البحر بها سميت قريش قريشا
تأكل الغث والسمين ولا تترك فيه لذي جناحين ريشا
هكذا في البلاد حتى قريش يأكلون البلاد أكلاً كميشا
ولهم آخر الزمان نبي يكثر القتل فيهموا والخموشا

الخموش: الخدوش وأكلا كميشاً أي سريعاً وفي «القاموس»: قرشه يقرشه ويقرشه قطعه وجمعه من ههنا وههنا وضم بعضه إلى بعض ومنه قريش لتجمعهم إلى الحرم أو لأنهم كانوا يتقرشون البيعات فيشترونها أو لأن النضر بن كنانة اجتمع في ثوبه يوماً فقالوا تقرش أو لأنه جاء إلى قومه فقالوا كأنه جمل قريش أي شديد أو لأن قصياً كان يقال له القريشي، أو لأنهم كانوا يفتشون الحاج فيسدون خلتها أو سميت بمصغر القرش وهو دابة بحرية يخافها دواب البحر كلها أو سميت بقريش بن يخلد بن غالب بن فهر وكان صاحب عيرهم فكانوا يقولون قدمت عير قريش وخرجت عير قريش والنسبة قرشي وقريشي انتهى.

﴿**إيلافهم رحلة الشتاء والصيف**﴾ بدل من الأول ورحلة مفعول به لإيلافهم وهي بالكسر الارتحال وبالضم الجهة التي يرحل إليها وأصل الرحلة السير على الراحلة، وهي الناقة القوية ثم استعمل في كل سير وارتحال وإفرادها مع أنه أراد رحلتي الشتاء والصيف لأمن الإلباس مع تناول اسم الجنس للواحد والكثير وفي إطلاق الإيلاف عن المفعول أولاً ثم إبدال المقيد منه تفخيم لأمره وتذكير لعظيم النعمة فيه والشتاء الفصل المقابل للصيف، وفي «القاموس»: الشتاء أحد أرباع الأزمنة والموضع المشتى والصيف القيظ أو بعد الربيع والقيظ صميم الصيف من طلوع الثريا إلى طلوع سهيل.

﴿فَلْيَعْبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ﴿٣﴾ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾﴾

﴿**فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم**﴾ بسبب تينك الرحلتين اللتين تمكنوا منهما بواسطة كونهم من جيرانه وسكان حرمه وقيل بدعوة إبراهيم عليه السلام، يجبى إليه ثمرات كل شيء ﴿**من جوع**﴾ شديد كانوا فيه قبلهما وكان الجوع يصيبهم إلى أن جمعهم عمرو العلي وهو هاشم المذكور على الرحلتين قال أبو حيان: من ههنا للتعليل أي لأجل الجوع وقال سعدي المفتي الجوع لا يجامع الإطعام والظاهر إنها للبدلية.

يقول الفقير: الظاهر أن مآل المعنى نجاهم من الجوع بسب الإطعام والترزيق.

﴿**وآمنهم من خوف**﴾ عظيم لا يقادر قدره وهو خوف أصحاب الفيل أو خوف التخطف في بلدهم ومسايرهم، وقال صاحب «الكشاف»: الفرق بين عن ومن أن عن يقتضي حصول جوع قد زال بالإطعام ومن يقتضي المنع من لحاق الجوع والمعنى أطعمهم فلم يلحقهم جوع وآمنهم فلم يلحقهم خوف فيكون من لابتداء الغاية والمعنى أطعمهم في بدء جوعهم قبل لحاقه إياهم وآمنهم في بدء خوفهم قبل اللحاق ومن بدع التفاسير وآمنهم من خوف من أن تكون الخلافة في غيرهم كما في «الكشاف»، وعن أم هانىء بنت أبي طالب رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله ﷺ «فضل قريشاً» أي: ذكر تفضيلهم بسبع خصال لم يعطها أحد قبلهم ولا يعطاها أحد بعدهم «النبوة فيهم، والخلافة فيهم والحجابة للبيت فيهم، والسقاية فيهم ونصروا على الفيل» أي علَى أصحابه وعبدوا الله سبع سنين وفي لفظ عشر سنين لم يعبده أحد غيرهم ونزلت فيهم سورة من القرآن لم يذكر فيها أحد غيرهم لإيلاف قريش وتسمية لإيلاف قريش سورة يرد ما قيل إن سورة الفيل ولإيلاف قريش سورة واحدة فلينظر ما معنى عبادتهم لله دون غيرهم في تلك المدة.

يقول الفقير: أشار بقريش إلى النفس المشركة وقواها الظالمة الخاطئة الساكنة في البلد الإنساني الذي هو مكة الوجود وبالشتاء إلى القهر والجلال وبالصيف إلى اللطف والجمال وأعني بالقهر والجلال العجز والضعف لأن المقهور عاجز ضعيف وباللطف والجمال القدرة والقوة لأن الملطوف به صاحب التمكين فأما عجز النفس وضعفها فعدن عدم مساعدة هواها وأما قوتها وقدرتها فنعد وجود المساعدة فهي وصفاتها ترتحل عند العجز والضعف إلى يمن المعقولات لأنها في جانب يمين القلب وعند القوة والقدرة ترتحل إلى شأم المحسوسات لأنها في جانب شمال القلب الذي يلي الصدر فهي تتقلب بين نعم المعقولات ونعم المحسوسات ولا تشكرها بأن تقر بوحدة الوجود ورسالة رسول القلب كالفلاسفة المتوغلة في المعقولات والفراعنة المنهمكة في الحسوسات ولذا قال تعالى: ﴿**فليعبدوا رب هذا البيت**﴾ أي: بيت القلب الذي هو الكعبة الحقيقية لأنها مطاف الواردات والإلهامات ومن ضرورة العبادة له الإقرار برسالة رسول الهدى الذي هو القلب فالبيت معظم مشرف مطلقاً لإضافة الرب إليه فما ظنك بعظمة الرب وجلاله وهيبته ورب القلب هو الاسم الجامع المحيط بجميع الأسماء والصفات وهو الاسم الأعظم الذي نيط به جميع التأثيرات العقلية والروحانية والعلمية والغيبية أمروا بأن يكونوا تحت هذا الاسم لا تحت الأسماء الجزئية ليتخلصوا من الشرك ويتحققوا بسر وحدة الوجود فإن الأسماء الجزئية تعطي التقييد والاسم الكلي يعطي الإطلاق ومن ثمة بعث النبي عليه السلام، في أم البلاد إشارة إلى كليته وجمعيته وهذا الرب الجليل المفيض المعطي أزال عنهم جوع العلوم والفيوض وأطعمهم بها وآمنهم من خوف الهلاك من الجوع لأن نفس الجاهل كالميت ولا شك أن الإحياء يخافون من الموت هكذا ورد بطريق الإلهام من الله العلام.

١٠٧ ـ سورة الماعون

سبع أو ست آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣﴾

﴿أرأيت﴾ يا محمد أي: هل عرفت **﴿الذي يكذب بالدين﴾** أي: بالجزاء أو بالإسلام يعني [آياديدي ودانستي آنكس راكه تكذيب مكيندبر وزجرا ويا دين الإسلام وباور نميكند].

إن لم تعرفه أو إن أردت أن تعرفه.

﴿فذلك الذي يدع اليتيم﴾ أي: بدفعه دفعاً عنيفاً ويزجره زجراً قبيحاً فهو جواب شرط محذوف على أن ذلك مبتدأ والموصول خبره وهو أبو جهل كان وصياً ليتيم فجاءه عرياناً يسأله من مال نفسه فدفعه دفعاً شنيعاً فأيس الصبي فقال له أكابر قريش قل لمحمد يشفع لك وكان غرضهم الاستهزاء به وهو عليه السلام ما كان يرد محتاجاً فذهب معه إلى أبي جهل فقام أبو جهل وبذل المال لليتيم فعيره قريش، وقالوا أصبوت؟ فقال لا والله ما صبوت ولكن رأيت عن يمينه وعن يساره حربة خفت إن لم أجبه يطعنها في فالذي للعهد ويحتمل الجنس فيكون عاماً لكل من كان مكذباً بالدين ومن شأنه أذية الضعيف ودفعه بعنف وخشونة لاستيلاء النفس السبعية عليه.

﴿ولا يحض﴾ أي: لا يحث أهله وغيرهم من الموسرين **﴿على طعام المسكين﴾** أي: على بذل طعام له يعني بر طعام دان درويش ومحتاج ويمنع المعروف عن المستحق لاستيلاء النفس البهيمة ومحبة المال واستحكام رذيلة البخل فإنه إذا ترك حث غيره فكيف يفعل هو نفسه فعلم أن كلا من ترك الحث وترك الفعل من أمارات التكذيب، وفي العدول من الإطعام إلى الطعام وإضافته إلى المسكين دلالة على أن للمساكين شركة وحقاً في مال الأغنياء وأنه إنما منع المسكين مما هو حقه وذلك نهاية البخل وقساوة القلب وخساسة الطبع فإن قلت: قد لا يحض المرء في كثير من الأحوال ولا يعد ذلك إثماً فكيف يذم به قلت إما لأن عدم حضه لعدم اعتقاده بالجزاء وإما لأن ترك الحض كناية عن البخل ومنع المعروف عن المساكين ولا شبهة في كونه محل الذم والتوبيخ كما أن منع الغير من الإحسان كذلك.

چون زكرم سفله بود در كران　　منع كند از كرم ديكران

سفله نخواهد دكرى رابكام　　خس نكذار دمكسى رابجام

﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥﴾

﴿فويل﴾ الفاء لربط ما بعدها بشرط محذوف كأنه قيل إذا كان ما ذكر من عدم المبالاة باليتيم والمسكين من دلائل التكذيب بالدين وموجبات الذم والتوبيخ فويل أي: شدة العذاب ﴿للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون﴾ السهو خطأ عن غفلة وذلك ضربان: أحدهما أن لا يكون من الإنسان جوالبه وفولداته كمجنون سب إنساناً، والثاني أن يكون منه مولداته كمن شرب خمراً ثم ظهر منه منكر لا عن قصد إلى فعله، فالأول معفو عنه والثاني مأخوذ به ومنه ما ذم الله في الآية، والمعنى ساهون عن صلاتهم سهو ترك لها وقلة التفات إليها وعدم مبالاة بها وذلك فعل المنافقين أو الفسقة من المؤمنين وهو معنى عن ولذا قال أنس رضي الله عنه: الحمد لله على أن لم يقل في صلاتهم وذلك إنه لو قال في صلاتهم لكان المعنى أن السهو يعتريهم وهم فيها إما بوسوسة شيطان أو بحديث نفس وذلك لا يكاد يخلو منه مسلم والخلوص منه عسير ولما نزلت هذه الآية، قال عليه السلام: «هذه خير لكم من أن يعطى كل واحد منكم مثل جميع الدنيا» فإن قلت: هل صدر عن النبي عليه السلام سهو قلت نعم كما قال: «شغلونا عن صلاة العصر» أي: يوم الخندق «ملأ الله قلوبهم ناراً»، وأيضاً سها عن صلاة الفجر ليلة التعريس وأيضاً صلى الظهر ركعتين ثم سلم فقال له أبو بكر رضي الله عنه: «صليت ركعتين فقام وأضاف إليهما ركعتين» لكن سهوه عليه السلام فيما ذكر وفي غيره ليس كسهو سائر الخلق وأيهم مثله عليه السلام، وهو في الاستغراق والانجذاب دائماً وقد قال: «تنام عيناي ولا ينام قلبي» وفيه إشارة إلى السهو عن شهود لطائف الصلاة والغفلة عن أسرارها وعلومها وقرأ ابن مسعود رضي الله عنه لاهون مكان ساهون فعلى العاقل أن لا تفوته الصلاة التي هي من باب المعراج والمناجاة ولا يعبث فيها باللحية والثياب ولا يكثر والتثاؤب والالتفات ونحوهما ومن المصلين من لا يدري عن كم النصرف ولا ما قرأ من السورة.

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾.

﴿الذين هم يراؤون﴾ أي: يرون الناس أعمالهم ليروهم الثناء عليها فإن قلت فحينئذٍ يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز لأن الثناء لا يتعلق به الرؤية البصرية قلت: هو محمول على عموم المجاز أو عل جعل الإراءة من الرؤية بمعنى المعرفة قال في «الكشاف»: والعمل الصالح إن كان فريضة فمن حق الفرائض الإعلان بها وتشهيرها لقوله عليه السلام: «ولا غمة في فرائض الله لأنها أعلام الإسلام وشعائر الدين ولأن تاركها يستحق الذم والمقت» فوجب إماطة التهمة بالإظهار وإن كان تطوعاً فحقه أن يخفي لأنه مما لا يلام بتركه ولا تهمة فيه وإن أظهره قاصداً للاقتداء فيه كان جميلاً وإنما الرياء أن يقصد أن تراه الأعين فتثنى عليه بالصلاح واجتناب الرياء صعب لأنه أخفى من دبيب النملة السوداء في الليلة المظلمة على المسح الأسود.

كليد در دوزخست آن نماز   كه در چشم مردم كزارى دراز

والفرق بين المرائي والمنافق أن المنافق يبطن الكفر ويظهر الإيمان والمرائي يظهر زيادة الخشوع وآثار الصلاح ليعتقد من يراه أنه من أهل الصلاح وحقيقة الرياء طلب ما في الدنيا بالعبادة وفيه إشارة إلى أن من يضيف أعماله وأحواله إلى نفسه الظلمانية فهو مرائي.

﴿ويمنعون الماعون﴾ من المعن وهو الشي القليل وسميت الزكاة ماعوناً لأنه يؤخذ من المال ربع العشر وهو قليل من كثير وقال أبو الليث: الماعون بلغة الحبشة المال وفي «برهان

القرآن»: قوله: ﴿الذين هم﴾ ثم بعده الذين هم كرر ولم يقتصر على مرة واحدة لامتناع عطف الفعل على الاسم ولم يقل الذين هم يمنعون لأنه فعل فحسن العطف على الفعل وهذه دقيقة انتهى.

والمعنى ويمنعون الزكاة كما دل عليه ذكره عقيب الصلاة أو ما يتعاور عادة فإن عدم المبالاة باليتيم والمسكين حيث كان من عدم الاعتقاد بالجزاء موجب للذم والتوبيخ فعدم المبالاة بالصلاة التي هي عماد الدين والرياء الذي هو شعبة من الكفر ومنع الزكاة التي هي قنطرة الإسلام وسوء المعاملة مع الخلق أحق بذلك وكم ترى من المتسمين بالإسلام بل من العلماء منهم من هو على هذه الصفة فيا مصيبتاه، والمراد بما يتعاوره عادة أي: يتداوله الناس بالعارية ويعين بعضهم بعضاً بإعارته هو مثل الفاس والقدر والدلو والإبرة والقصعة والغربال والقدوم والمقدحة والنار والماء والملح، ومن ذلك أن يلتمس جارك أن يخبز في تنورك أو يضع متاعه عندك يوماً أو نصف يوم عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: يا رسول الله ما الذي لا يحل منعه؟ قال: «الماء والنار والملح» فقالت: يا رسول الله هذا الماء فما بال النار والملح قال لها: «يا حميراء من أعطى ناراً فكأنما تصدق بجميع ما طبخ بتلك النار ومن أعطى ملحاً فكأنما تصدق بجميع ما طيب بذلك الملح، ومن سقى شربة من الماء حيث لا يوجد الماء فكأنما أحيى نفساً» كما في «كشف الأسرار»، وقد يكون منع هذه الأشياء محظوراً في الشريعة إذا استعيرت عن اضطرار وقبيحاً في المروءة في غير حال الضرورة، وفي «عين المعاني»: فلما منعوا من الكوثر ففي الآية الزجر عن البخل الذي هو صفة المنافقين.

تمت سورة الماعون يوم عيد المؤمنين

١٠٨ ــ سورة الكوثر

ثلاث آيات مكية أو مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢﴾

﴿إنا﴾ إن جار مجرى القسم في تأكيد الجملة **﴿أعطيناك﴾** بصيغة الماضي مع أن العطايا الأخروية وأكثر ما يكون في الدنيا لم تحصل بعد تحقيقاً لوقوعها **﴿الكوثر﴾** أي: الخير المفرط الكثرة من العلم والعمل وشرف الدارين فوعل من الكثرة كنوفل من النفل وجوهر من الجهر قيل لأعرابية آب ابنها من السفر بم آب ابنك قالت: آب بكوثر أي: بالعدد الكثير من الخير، قال في «القاموس» الكوثر الكثير من كل شيء، وفي «المفردات» وقد يقال للرجل السخي كوثر ويقال تكوثر الشيء كثر كثرة متناهية وروي عنه عليه السلام أنه قرأها فقال: «أتدرون ما الكوثر؟ إنه نهر في الجنة وعدنيه ربي فيه خير كثير أحلى من العسل وأشد بياضاً من اللبن وأبرد من الثلج وألين من الزبد حافتاه الزبرجد وأوانيه من فضة عدد نجوم السماء، لا يظمأ من شرب منه أبداً أول وارديه فقراء المهاجرين لدنسوا الثياب الشعث الرؤوس الذين لا يزوجون المنعمات ولا تفتح لهم أبواب السدد ويموت أحدهم وحاجته تتلجلج في صدره لو أقسم على الله لأبره» وعن ابن عباس رضي الله عنهما إنه فسر الكوثر بالخير الكثير، فقال له سعيد بن جبير: إن ناساً يقولون هو نهر في الجنة فقال: هو من الخير الكثير وعن عائشة رضي الله عنها: من أراد أن يسمع خرير الكوثر فليدخل أصبعيه في أذنيه، وقال عطاء: هو حوضه لكثرة وارديه، وفي الحديث: «حوضي ما بين صنعاء إلى أيلة على إحدى زواياه أبو بكر، وعلى الثانية عمر، وعلى الثالثة عثمان، وعلى الرابعة علي، فمن أبغض واحداً منهم لم يسقه الآخر فيكون الحوض في المحشر» والأظهر أن جميع نعم الله داخلة في الكوثر ظاهرة أو باطنة فمن الظاهرة خيرات الدنيا والآخرة ومن الباطنة العلوم اللدنية الحاصلة بالفيض الإلهي بغير اكتساب بواسطة القوى الظاهرة والباطنة.

[صاحب تأويلات فرموده كه كوثر معرفت كثرتست بوحدت وشهود وحدت درعين كثرت واين نهريست دربستان معرفت هركه ازو سيراب شدا بد ازتشكىء جهالت ايمن است وأين معنى خاصهء حضرت رسالت عليه السلام وكمل أولياء أمت أو].

﴿فصل لربك وانحر﴾ أي: وانحر له فحذف اكتفاء بما قبله والفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها فإن إعطاءه تعالى إياه عليه السلام ما ذكر من العطية التي لم يعطها ولن يعطها أحداً من العالمين مستوجب للمأمور به أي استيجاب والنحر في اللبة كالذبح في الحلق والمعنى فدم

على الصلاة لربك الذي أفاض عليك هذه النعمة الجليلة التي لا تضاهيها نعمة خالصاً لوجهه كما دل عليه اللام الاختصاصية خلافاً للساهين عنها المرآئين فيها أداء لحقوق شكرها، فإن الصلاة جامعة لجميع أقسام الشكر وهي ثلاثة الشكر بالقلب وهو أن يعلم أن تلك النعم منه لا من غيره والشكر باللسان وهو أن يمدح المنعم ويثني عليه والشكر بالجوارح وهو أن يخدمه ويتواضع له والصلاة جامعة لهذه الأقسام وانحر البُدن التي هي خيار أموال العرب باسمه تعالى يعني [وشتر قربان كن براي وي].

وتصدق على المحاويج خلافاً لمن يدعهم ويمنع منهم الماعون فالسورة كالمقابلة للسورة المتقدمة وقد فسرت الصلاة بصلاة العيد والنحر بالتضحية، وهذا يناسب كون السورة مدنية وعن عطية هي صلاة الفجر بجمع والنحر بمنى [مصطفى را عليه السلام پرسيدندكه اكر كسى درويش بود وطاقت قربان ندارد چكونه كند تا ثواب قربان اورا حاصل شود كفت چهار ركعت نمازكند درهر ركعتي يكابر الحمد خواند ويزاده بارانا أعطيناك الكوثر الله تعالى أورا ثواب شصت قربان در ديوان وى ثبت كند كما في «كشف الأسرار»]. وعن علي رضي الله عنه: النحر ههنا وضع اليدين في الصلاة على النحر، وعن سليمان التيمي ارفع يديك بالدعاء إلى نحرك.

وفي «التأويلات النجمية»: وانحر بدن أنانيتك وأنيتك بوضع يدك اليمنى الروحانية على يدك اليسرى الجسمانية على نحرك المشروح بسيف نص ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ [الانشراح: ١].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾

﴿إن شانئك﴾ يقال شنأه كمنعه وسمعه شنأ أبغضه أي مبغضك **﴿هو﴾** للفصل **﴿الأبتر﴾** لبغضه لك لأن نسبة أمر إلى المشتق تفيد علية المأخذ والبغض ضد الحب والبتر يستعمل في قطع الذنب ثم أجري قطع العقب مجراه فقيل فلان أبتر إذا لم يكن له عقب يخلفه، والمعنى هو الذي لا عقب له حيث لا يبقى له نسل ولا حسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك إلى يوم القيامة.

آثـار اقـتـدار تـوتـا حـشـر مـتـصـل خصم سياه روى توبى حاصل وخجل

ولك في الآخرة ما لا يندرج تحت البيان وذلك أنهم زعموا حين مات ابنه عليه السلام القاسم وعبد الله بمكة وإبراهيم بالمدينة أن محمداً ﷺ ينقطع ذكره إذا انقطع عمره لفقدان نسله فنبه الله أن الذي ينقطع ذكره هو الذي يشنأه فأما هو فكما وصفه الله تعالى، ورفعنا لك ذكرك وذلك إنه أعطاه نسلاً يبقون على مر الزمان فانظر كم قتل من أهل البيت ثم العالم ممتلىء منهم وجعله أباً للمؤمنين فهم أعقابه وأولاده إلى يوم القيامة وقيض له من يراعيه ويراعي دينه الحق وإلى هذا المعنى أشار أمير المؤمنين رضي الله عنه، العلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة وآثارهم في القلوب موجودة هذا في العلماء الذين هم أتباعه عليه السلام، فكيف هو وقد رفع الله ذكره وجعله خاتم الأنبياء عليهم السلام.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿إن شانئك هو الأبتر﴾** وهو حمار النفس المبتور ذنب نسله وعقبه فإن أولاد الأعمال الصالحة والأحوال الصادقة والأخلاق الروحانية والأوصاف الربانية أولادك يا رسول القلب وأتباعك وأشياعك وأعوانك.

يقول الفقير أيده الله القدير: وردت على سورة الكوثر وقت الضحى بعد القيلولة والإشارة فيها إنا بجميع أسمائنا اللطفية الجمالية الإكرامية أعطيناك يا محمد القلب ورسول الهدى المبعوث إلى جميع القوى بالخير والهدى الكوثر وهو العلم الكثير الفائض من منبع الاسم الرحمن فإنا رحمناك بهذه الرحمة العامة الشاملة لجميع الرحمات، فلذا صرت مظهر الرحمة الكلية في جميع المواطن فلك علم الأحكام وعلم الحقائق فصل في مسجد الفناء والتسليم وهو المسجد الإبراهيمي لربك أي لشكر ربك ولإدامة شهوده وإبقاء حضوره معك في جميع الحالات وانحر بدنة البدن في طريق الخدمة وبدنة الطبيعة في طريق العفة وبدنة النفس في طريق الفتوة إن شانئك أي: مبغضك من القوى الشريرة الأنفسية والآفاقية هو الأبتر المقطوع أعقابه وآخره كما قال تعالى: ﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ۚ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [الأنعام: ٤٥] الذي ربى الأولياء فجعل لهم الوصل كما جعل لأعدائهم القطع ثم إن قوله: ﴿**هو الأبتر**﴾ يوقف عليه ثم يقال الله أكبر، ولا يوصل بالتكبير حذراً من الإيهام.

١٠٩ ـ سورة الكافرون

ست آيات مكية أو مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾﴾

﴿**قل يا أيها الكافرون**﴾ قالوا في مناداتهم بهذا الوصف الذي يسترذلونه في بلدتهم ومحل عزهم وشوكتهم إيذان بأنه عليه السلام، محروس منهم فيها علم من أعلام النبوة وفي التعبير بالجمع الصحيح دلالة على قلتهم أو حقارتهم وذلتهم وهم كفرة مخصوصة كالوليد بن المغيرة وأبي جهل والعاص بن وائل وأمية بن خلف والأسود بن عبد يغوث والحارث بن قيس ونحوهم قد علم الله أنه لا يأتي ولا يتأتى منهم الإيمان أبداً على ما هو مضمون السورة فالخطاب للرسول عليه السلام، بالنسبة إلى قوم مخصوصين لا يرد أن مقتضى هذا الأمر أن يقول كل مسلم ذلك لكل جماعة من الكفار مع أن الشرع ليس حاكماً به روي أن رهطاً من عتاة قريش قالوا لرسول الله ﷺ: هلم فاتبع ديننا ونتبع دينك تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة فقال: معاذ الله أن أشرك بالله غيره فقالوا استلم بعض آلهتنا نصدقك ونعبد إلهك فنزلت فغدا إلى المسجد الحرام وفيه الملأ من قريش فقام على رؤوسهم فقرأها عليهم فأيسوا منه عند ذلك وآذوه وأصحابه وفيه إشارة إلى الذين ستروا نوراً استعدادهم الأصلي بظلمة صفات النفوس وآثار الطبيعة حجبوا عن الحق بالغير.

﴿**لا أعبد ما تعبدون**﴾ أي: فيما يستقبل لأن لا تدخل غالباً إلا على مضارع في معنى الاستقبال كما أن ما لا تدخل إلى على مضارع في معنى الحال ألا ترى إن لن تأكيد فيما ينفيه لا قال الخليل: في لن أصله لا والمعنى لا أفعل في المستقبل ما تطلبونه مني من عبادة آلهتكم.

﴿**ولا أنتم عابدون ما أعبد**﴾ أي: ولا أنتم فاعلون في المستقبل ما أطلب منكم من عبادة إلهي والمراد ولا أنتم عابدون عبادة يعتد بها إذ العبادة مع إشراك الأنداد لا تكون في حيز الاعتداد.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾﴾

﴿**ولا أنا عابد ما عبدتم**﴾ أي: وما كنت عابداً فيما سلف ما عبدتم فيه أي لم يعهد مني عبادة صنم في الجاهلية فكيف يرجى مني في الإسلام ﴿**ولا أنتم عابدون ما أعبد**﴾ أي وما عبدتم في وقت من الأوقات ما أنا على عبادته وهو الله تعالى فليس في السورة تكرار وقيل هاتان الجملتان لنفي العبادة حالاً كما أن الأولين لنفيها استقبالاً وإنما لم قيل ما عبدت ليوافق

ما عبدتم لأنهم كانوا موسومين قبل البعثة بعبادة الأصنام وهو عليه السلام لم يكن حينئذٍ موسوماً بعبادة الله ومشتهراً بكونه عابداً لله على سبيل الامتثال لأمره يعني على ما يقتضيه جعل العبادة صلة للموصول ثم عدم الموسومية بشيء لا يقتضي عدم ذلك الشيء فلا يلزم أن لا يكون عليه السلام عابداً لله قبل البعثة، بل يكون ما وقع منه قبلها من قبيل الجري على العادة المستمرة القديمة، وفي «القاموس»: كان عليه السلام، على دين قومه على ما بقي فيهم من إرث إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام، في حجهم ومناكحهم وبيوعهم وأساليبهم وأما التوحيد فإنهم كانوا بدلوه والنبي عليه السلام لم يكن إلا عليه انتهى. وإيثار ما في أعبد على من لأن المراد هو الوصف كأنه قيل ما أعبد من المعبود العظيم الشان الذي لا يقادر قدر عظمته.

﴿لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۝﴾

﴿لكم دينكم﴾ تقرير لقوله تعالى: **﴿لا أعبد ما تعبدون﴾** وقوله تعالى: **﴿ولا أنا عابد ما عبدتم﴾** **﴿ولي﴾** بفتح ياء المتكلم **﴿دين﴾** بحذف الياء إذ أصله ديني وهو تقرير لقوله تعالى: **﴿ولا أنتم عابدون ما أعبد﴾** والمعنى أن دينكم الذي هو الإشراك مقصور على الحصول لكم لا يتجاوزه إلى الحصول لي أيضاً كما تطمعون فلا تعلقوا به أمانيكم الفارغة فإن ذلك من المحال وأن ديني الذي هو التوحيد مقصور على الحصول لي لا يتجاوز إلى الحصول لكم أيضاً لأنكم علقتموه بالمحال الذي هو عبادتي لآلهتكم أو استلامي إياها ولأن ما وعدتموه عين الإشراك وحيث كان مبني قولهم تعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة على شركة الفريقين كلتا العبادتين كان القصر المستفاد من تقديم المسند قصر أفراد حتماً، وفي «عين المعاني»: ونحوه هو منسوخ بآية السيف، وقال أبو الليث: وفيها دليل على أن الرجل إذا رأى منكراً أو سمع قولاً منكراً فأنكره ولم يقبلوا منه لا يجب عليه أكثر من ذلك وإنما عليه مذهبه وطريقه وتركهم على مذهبهم وطريقهم.

يقول الفقير: وردت علي هذه السورة وكأني أقرأها في صلاة العصر بصوت جهوري حتى أسمعتها جميع ما في الكون وإشارتها قل: يا محمد القلب يا أيها الكافرون أي القوى النفسانية الساترة للتوحيد بالشرك والطاعة بالمعصية والوحدة بالكثرة والوجود الحقيقي بالوجود المجازي ونور الحقيقة الوجوبية بظلمة الحقيقة الإمكانية لا أعبد ما تعبدون من الأصنام التي يعبر عنها بما سوى الله فإني مأمور بالإيمان بالله والكفر بالطاغوت وكل ما سوى الله من قبيل الطاغوت والإله المجعول المقيد فلا يستحق العبادة إلا الله المطلق عن الإطلاق والتقييد ولا أنتم عابدون ما أعبد وهو الله الواحد القهار الذي قهر بوحدته جميع الكثرات ولكن لا يقف عليه إلا أهل الوحدة والشهود وأنتم أهل الكثرة والاحتجاب فإنى لكم هذا الوقوف ولا أنا عابد ما عبدتم من التلوينات والتقلبات في الكثرات الاسمائية والصفاتية، ولا أنتم عابدون ما أعبد من التمكين والتحقيق وكذا من التلوين في التمكين فإنه من مقتضيات ظهور حقائق جميع الأسماء وليس فيه ميل وانحراف عن الحق أصلاً، بل فيه بقاء مع الحق في كل طور لكم دينكم الذي هو الإيمان بالطاغوت والكفر بالله وهو الدين الذي يجب التبري منه ولي دين الذي هو الإيمان بالله والكفر بالطاغوت وهو الدين الذي يجب التعلق بأحكامه والتخلق بأخلاقه والتحقق بحقائقه هذا فحقائق القرآن ليست بمنسوخة أبداً بل العمل بها باق.

[ابن عباس رضي الله عنهما فرموده در قرآن سورهء نيست بر شيطان سخت ترازين سوره زيراكه توحيد محض است ودرو برائت از شرك] فمن قرأها بريء من الشرك وتباعد عنه مردة الشياطين وأمن من الفزع الأكبر وهي تعدل ربع القرآن، وفي الحديث: «مروا صبيانكم فليقرأوها عند المنام فلا يعرض لهم شيء ومن خرج مسافراً فقرأ هذه السور الخمس ﴿قل يا أيها الكافرون﴾، ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾ [النصر: ١]، ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ١﴾ [الإخلاص: ١]، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلۡفَلَقِ ١﴾ [الفلق: ١]، ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ١﴾ [الناس: ١]، رجع سالماً غانماً».

تمت سورة الكافرين بعون ناصر المؤمنين

١١٠ ـ سورة النصر

ثلاث آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١﴾

﴿إذا جاء نصر الله﴾ أي: إعانته تعالى وإظهاره إياك على أعدائك فإن قلت: لا شك إن ما وقع من الفتوح كان بنصرة المؤمنين فما وجه أضافتها إلى الله؟ قلت: لأن أفعالهم مستندة إلى دواعي قلوبهم وهي أمور حادثة لا بد لها من محدث وهو الله تعالى فالعبد هو المبدأ الأقرب والله هو المبدأ الأول والخالق للدواعي وما يبتني عليها من الأفعال والعامل في إذا هو سبح أي فسبح إذا جاء نصر الله ولا يمنع الفاء عن العمل على قول الأكثرين أو فعل الشرط وليس إذا مضافاً إليه على مذهب المحققين وإذا لما يستقبل والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة لما روي أن السورة نزلت قبل فتح مكة كما عليه الأكثر. ﴿والفتح﴾ أي: فتح مكة على أن الإضافة واللام للعهد وهو الفتح الذي تطمح إليه الأبصار، ولذلك سمي فتح الفتوح ووقع الوعد به في أول سورة الفتح وقد سبقت قصة الفتح في تلك السورة وقيل جنس نصر الله ومطلق الفتح على أن الإضافة واللام للاستغراق فإن فتح مكة لما كان مفتاح الفتوح ومناطها كما أن نفسها أم القرى وإمامها جعل مجيئه بمنزلة مجيء سائر الفتوح وعلق به أمره عليه السلام وإنهما على جناح الوصول إليه عن قريب ويمكن أن يقال التعبير للإشارة إلى حصول نصر الله بمجيء جند بهم النصر، وقيل نزلت السورة في أيام التشريق بمنى في حجة الوداع وعاش عليه السلام بعدها ثمانين يوماً أو نحوها فكلمة إذا حينئذٍ باعتبار أن بعض ما في حيزها أعني رؤيته دخول الناس.. الخ. غير منقض بعد وقال سعدي المفتي: وعلى هذه الرواية فكلمة إذا تكون خارجة عن معنى الاستقبال فإنها قد تخرج عنه كما قيل في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً﴾ [الجمعة: ١١] الآية وفي «المصطلحات»: إن الفتوح كل ما يفتح على العبد من الله تعالى بعد ما كان مغلقاً عليه من النعم الظاهرة والباطنة كالأرزاق والعبادات والعلوم والمعارف والمكاشفات وغير ذلك، والفتح القريب هو ما انفتح على العبد من مقام القلب وظهور صفاته وكمالاته عند قطع منازل النفس وهو المشار إليه بقوله: ﴿نَصۡرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٌ قَرِيبٌۗ﴾ [الصف: ١٣] والفتح المبين هو ما يفتح على العبد من مقام الولاية وتجليات أنوار الأسماء الإلهية المفنية لصفات القلب وكمالاته المشار إليه بقوله: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ۝١ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ١، ٢] يعني: من الصفات النفسانية والقلبية والفتح المطلق هو أعلى الفتوحات وأكملها وهو ما انفتح على العبد من تجلي الذات الأحدية والاستغراق في عين الجمع بفناء الرسوم

الخلقية كلها وهو المشار إليه بقوله: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ انتهى. وقد سبق بعبارة أخرى في سورة الفتح وعلى هذا، فالمراد بالنصر هو المدد الملكوتي والتأييد القدسي بتجليات الأسماء والصفات وبالفتح هو الفتح المطلق الذي لا فتح وراءه وهو فتح باب الحضرة الإلهية الأحدية والكشف الذاتي ولا شك أن الفتح الأول هو فتح ملكوت الأفعال في مقام القلب بكشف حجاب حس النفس بإفناء أفعالها في أفعال الحق، والثاني: هو فتح جبروت الصفات في مقام الروح بكشف حجاب خيالها بإفناء صفاتها في صفاته، والثالث: هو فتح لاهوت الذات في مقام السر بكشف حجاب وهمها بإفناء ذاتها في ذاته ومن حصل له هذا النصر والفتح الباطني حصل له النصر والفتح الظاهري أيضاً لأن النصر والفتح من باب الحرمة وعند الوصول إلى نهاية النهايات لا يبقى من السخط أثر أصلاً ويستوعب الظاهر والباطن أثر الرحمة مطلقاً ومن ثمة تفاوت أحوال الكمل بداية ونهاية فظهر من هذا أن كلا من النصر والفتح في الآية ينبغي أن يحمل على ما هو المطلق لكني اقتفيت أثر أهل التفسير في تقديم ما هو المقيد لكنه قول مرجوح تسامح الله عن قائله.

﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾

﴿ورأيت الناس﴾ أبصرتهم أو علمتهم يعني العرب واللام للعهد أو الاستغراق العرفي جعلوه خطاباً للنبي عليه السلام، بالاستغفار مع أنه لا تقصير له إذ الخطاب لا يخصه فالأمر بالاستغفار لمن سواه وإدخاله في الأمر تغليب ﴿يدخلون في دين الله﴾ أي: ملة الإسلام التي لا دين يضاف إليه تعالى غيرها والجملة على تقدير الرؤية البصرية حال وعلى تقدير الرؤية القلبية مفعول ثان وقال بعضهم: ومما يختلج في القلب أن المناسب لقوله ﴿يدخلون﴾. . الخ أن يحمل قوله والفتح على فتح باب الدين عليهم. ﴿أفواجاً﴾ حال من فاعل يدخلون أي: يدخلون فيه جماعات كثيرة كأهل مكة والطائف واليمن وهوازن وسائر قبائل العرب وكانوا قبل ذلك يدخلون فيه واحداً واحداً واثنين اثنين روي أنه عليه السلام لما فتح مكة أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا: إذا ظفر بأهل الحرم فلن يقاومه أحد وقد كان الله أجارهم من أصحاب الفيل ومن كل من أرادهم فكانوا يدخلون في دين الإسلام أفواجاً من غير قتال.

قال الكاشفي: [درسال نزول اين سوره تتابع وفود بود چون بني أسد وبني مرة وبني كلب وبني كنانة وبني هلال وغير ايشان ازا اكناف وأطراف بخدمت آن حضرت آمده بشرف إسلام مشرف ميشدند].

قال أبو عمر بن عبد البر: لم يمت رسول الله عليه السلام وفي العرب رجل كافر بل دخل الكل في الإسلام بعد حنين منهم من قدم ومنهم من قدم وافده وقال ابن عطية: والمراد والله أعلم العرب عبدة الأوثان وأما نصارى بني تغلب فما أسلموا في حياته عليه السلام، ولكن أعطوا الجزية، وفي «عين المعاني» الناس أهل البحر، قال عليه السلام: «الإيمان يماني والحكمة يمانية» وقال: «وجدت نفس ربكم من جانب اليمن» أي تنفيسه من الكرب وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه أنه بكى ذات يوم فقيل له في ذلك فقال سمعت رسول الله عليه السلام، يقول: «دخل الناس في دين الله أفواجاً وسيخرجون منه أفواجاً».

﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ۝٣﴾

﴿فسبح بحمد ربك﴾ التسبيح مجاز عن التعجب بعلاقة السببية فإن من رأى أمراً عجيباً يقول سبحان الله قال ابن الشيخ: لعل الوجه في إطلاق هذه الكلمة عند التعجب كما ورد في الأذكار، ولكل أعجوبة سبحان الله هو أن الإنسان عند مشاهدة الأمر العجيب الخارج عن حد أمثاله يستبعد وقوعه وتنفعل نفسه منه كأنه استقصر قدرة الله فلذلك خطر على قلبه أن يقول من قدر عليه وأوجده ثم إنه في هذا الزعم مخطىء فقال: سبحان الله تنزيهاً لله عن العجز عن خلق أمر عجيب يستبعد وقوعه لتيقنه بأن الله على كل شيء قدير. قال الإمام السهيلي رحمه الله: سر اقتران الحمد بالتسبيح أبداً نحو سبح بحمد ربك وإن من شيء إلا يسبح بحمده أن معرفة الله تنقسم قسمين: معرفة ذاته ومعرفة أسمائه وصفاته ولا سبيل إلى إثبات أحد القسمين دون الآخر وإثبات وجود الذات من مقتضى العقل وإثبات الأسماء والصفات من مقتضى الشرع فبالعقل عرف المسمى وبالشرع عرفت الأسماء ولا يتصور في العقل إثبات الذات إلا مع نفي سمات الحدوث عنها وذلك هو التسبيح ومقتضى العقل مقدم على مقتضى الشرع وإنما جاء الشرع المنقول بعد حصول النظر والعقول فنبه العقول على النظر فعرفت ثم علمها ما لم تكن تعلم من الأسماء فانضاف لها التسبيح والحمد والثناء فما أمرنا تسبيحه إلا بحمده انتهى. ومعنى الآية فقل سبحان الله حال كونك ملتبساً بحمده أي: فتعجب لتيسير الله ما لم يخطر ببال أحد من أن يغلب أحد على أهل حرمه المحترم واحمده على جميع صنعه هذا على الرواية الأولى ظاهر وأما على الثانية فلعله أمر بأن يداوم على ذلك استعظاماً لنعمته لا بإحداث التعجب لما ذكر فإنه إنما يناسب حالة الفتح. وقال بعضهم: والأشبه أن يراد نزهه عن العجز في تأخير ظهور الفتح واحمده على التأخير وصفه بأن توقيت الأمور من عنده ليس إلا بحكم لا يعرفها إلا هو انتهى.

أو فاذكره مسبحاً حامداً وزد في عبادته والثناء عليه لزيادة إنعامه عليك أو فصل له حامداً على نعمه فالتسبيح مجاز عن الصلاة بعلاقة الجزئية لأنها تشتمل عليه في الأكثر، روي أنه عليه السلام لما فتح باب الكعبة «صلى صلاة الضحى ثماني ركعات» وحملها بعضهم على صلاة الشكر لا على صلاة الضحى وبعضهم على أن أربعاً منها للشكر وأربعاً للضحى أو فنزهه عما يقول الظلمة حامداً له على أن صدق وعده أو فأثنِ على الله بصفات الجلال يعني الصفات السلبية حامداً له على صفات الإكرام يعني الصفات الثبوتية، أي: على أثرها أو على تنزيلها منزلة الأوصاف الاختيارية لكفاية الذات المقدس في الاتصاف بها فإن المحمود عليه يجب أن يكون أمراً اختيارياً.

وقال القاشاني: نزه ذاتك عن الاحتجاجات بمقام القلب الذي هو معدن النبوة بقطع علاقة البدن والترقي إلى مقام حق اليقين الذي هو معدن الولاية حامداً له بإظهار كمالاته وأوصافه التامة عند التجريد بالحمد الفعلي. ﴿واستغفره﴾ هضماً لنفسك واستقصاراً لعملك واستعظاماً لحقوق الله واستدراكاً لما فرط منك من ترك الأولى أو استغفر لذنبك وللمؤمنين وهو المناسب لما في سورة محمد، وتقديم التسبيح ثم الحمد على الاستغفار على طريقة النزول من الخالق إلى الخلق حيث لم تشتغل على رؤية الناس باستغفارهم أولاً مع أن رؤيتهم تستدعي ذلك بل اشتغل أولاً بتسبيح الله وحمده لأنه رأى الله قبل رؤية الناس كما

قيل ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله وذلك لأن الناس مرآة العارف وصاحب المرآة يتوجه أولاً إلى المرئي وبرؤية المرئي تلتفت نفسه إلى المرآة ولك أن تقول: إن في تقديم المذكور تعليم أدب الدعاء وهو أن لا يسأل فجأة من غير تقديم الثناء على المسؤول عنه عن عائشة رضي الله عنها أنه كان عليه السلام يكثر قبل موته أن يقول: «سبحانك اللهم وبحمدك استغفرك وأتوب إليك» وعنه عليه السلام: «إني لاستغفر الله في اليوم والليلة مائة مرة» ومنه يعلم أن ورد الاستغفار لا يسقط أبداً لأنه لا يخلو الإنسان عن الغين والتلوين، وروي أنه لما قرأها النبي عليه السلام على أصحابه استبشروا وبكى العباس فقال عليه السلام: «ما يبكيك يا عم قال نعيت إليك نفسك» أي ألقي إليك خبر موت نفسك، والنعي إلقاء خبر الموت قال عليه السلام، إنها لكما تقول فلم ير عليه السلام، بعد ذلك ضاحكاً مستبشراً، وقيل إن ابن عباس رضي الله عنهما هو الذي قال ذلك فقال عليه السلام: «لقد أوتي هذا الغلام علماً كثيراً» ولذلك كان عمر يدنيه ويأذن له مع أهل بدر ولعل ذلك للدلالة على تمام أمر الدعوة وتكامل أمر الدين كقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] والكمال دليل الزوال كما قيل توقع زوالاً إذا قيل تم.

أو لأن الأمر بالاستغفار تنبيه على قرب الأجل كأنه قال: قرب الوقت ودنا الرحيل فتأهب للأمر ونبه به على أن العاقل إذا قرب أجله ينبغي أن يستكثر من التوبة، وروي أنها لما نزلت خطب رسول الله ﷺ فقال: «إن عبداً خيره الله بين الدنيا وبين لقائه فاختار لقاء الله، فعلم أبو بكر رضي الله عنه فقال فديناك بأنفسنا وأموالنا وآبائنا وأولادنا» وعنه عليه السلام «أنه دعا فاطمة رضي الله عنها، فقال: يا بنتاه إنه نعيت إلى نفسي» يعني [خبر وفات من دهند].

نامه رسيد ازان جهان بهر مراجعت برم عزم رجوع ميكنم رخت بچرخ ميبرم

فبكت فقال: «لا تبكي فإنك أول أهلي لحوقاً بي فضحكت» وعن ابن مسعود إن هذه السورة تسمى سورة التوديع لما فيها من الدلالة على توديع الدنيا قال علي رضي الله عنه: لما نزلت هذه السورة مرض رسول الله عليه السلام، فخرج إلى الناس فخطبهم وودعهم ثم دخل المنزل فتوفي بعد أيام، قال الحسن رحمه الله: أعلم أنه قد اقترب أجله فأمر بالتسبيح والتوبة ليختم له بالعمل الصالح وفيه تنبيه لكل عاقل. **﴿إنه كان توابا﴾** مبالغاً في قبول توبتهم منذ خلق المكلفين فليكن كل تائب مستغفر متوقعاً للقبول وذلك أن قبول التوبة من الصفات الإضافية ولا منازعة في حدوثها فاندفع ما يرد إن المفهوم من الآية أنه تعالى تواب في الماضي وكونه تواباً في الماضي كيف يكون علة للاستغفار في الحال والمستقبل، وفي اختيار أنه كان تواباً على غفاراً مع أنه الذي يستدعيه قوله **﴿واستغفر﴾** حتى قيل وتب مضمر بعده وإلا لقال غفاراً تنبيه على أن الاستغفار إنما ينفع إذا كان مع التوبة والندم والعزم على عدم العود، ثم إن من أضمر وتب يحتمل أنه جعل الآية من الاحتباك حيث دل بالأمر بالاستغفار على التعليل بأنه كان غفاراً وبالتعليل بأنه كان تواباً على الأمر بالتوبة أي استغفره وتب.

ذكر البرهان الرشيدي: أن صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة كلها مجاز لأنها موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لأن المبالغة أن يثبت للشيء أكبر أكثر مما له وصفاته تعالى

منزهة عن ذلك واستحسنه الشيخ تقي الدين السبكي رحمه الله، وقال الزركشي في «البرهان»: التحقيق إن صيغة المبالغة قسمان: أحدهما ما تحصل المبالغة فيه بحسب زيادة الفعل والثاني بحسب تعدد المفعولات ولا شك أن تعددها لا يوجب للفعل زيادة إذ الفعل الواحد قد يقع على جماعة متعددين وعلى هذا القسم تنزل صفاته ويرفع الإشكال ولهذا قال بعضهم: في حكيم معنى المبالغة فيه تكرار حكمه بالنسبة إلى الشرائع، وقال في «الكشاف»: المبالغة في التواب للدلالة على كثرة من يتوب عليه أو لأنه بليغ في قبول التوبة بحيث ينزل صاحبها منزلة من لم يذنب قط لسعة كرمه.

تمت سورة النصر بعون من أقسم بالعصر بعد ظهر يوم السبت

١١١ ـ سورة المسد

خمس آيات مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١﴾.

﴿تبت﴾ أي: أهلكت فإن التباب الهلاك ومنه قولهم أشابة أم تابة أيالكة من الهرم والعجز أو خسرت فإن التباب أيضاً خسران يؤدي إلى الهلاك﴿يدا أبي لهب﴾ تثنية يد واللهب واللهيب اشتعال النار إذا خلص من الدخان أو لهبها لسانها ولهيبها حرها، أبو لهب وتسكن الهاء كنية عبد العزى بن عبد المطلب لجماله أو لماله كما في «القاموس»، يعني أن التكني لإشراق وجنتيه وتلهبهما وإلا فليس له ابن يسمى باللهب وإيثار التباب على الهلاك وإسناده إلى يديه لما روي أنه لما نزل ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: ٢١٤] رقي رسول الله عليه السلام الصفاء وجمع أقاربه فأنذرهم فقال: «يا بني عبد المطلب يا بني فهر إن أخبرتكم أن بسفح هذا الجبل خيلاً أكنتم مصدقي؟ قالوا: نعم» يعني [اكر من شمارا خبر كنم بآنكه در پاي اين كوه جمعي آمده اند بداعبهء آنكه ير شماشبيخون كرده دست بقتل وغارت بكشايند مرا دران تصديق ميكنيد يانه كفتند چرا نكنيم وتوپيش ما بدروغ نعتهم نشدهء].

قال: «فإني نذير لكم بين يدي الساعة فقال عمه أبو لهب. تبا لك ـ يعني [هلاكت باد].

ألهذا دعوتنا وأخذ حجراً بيده ليرميه عليه السلام به فمنعه الله من ذلك حيث لم يستطع أن يرميه» فلا كناية في ذكر اليدين ووجه وصف يديه بالهلاك ظاهر وأما وصفهما بالخسران فلرد ما اعتقده من نفعه وربحه في أذية رسول الله عليه السلام، ورميه بالحجر وذكر في «التأويلات» الماتريدية أنه كان كثير الإحسان إلى رسول الله عليه السلام، وكان يقول إن كان الأمر لمحمد فيكون لي عنده يد وإن كان لقريش فلي عندها يد فأخبر أنها خسرت يده التي كانت عند محمد عليه السلام، بعناده له ويده التي عند قريش أيضاً لخسران قريش وهلاكهم في يد محمد. ﴿وتب﴾ أي: وهلك كله فهو إخبار بعد إخبار والتعبير بالماضي لتحقق وقوعه، وقيل المراد بالأولى هلاك جملته كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] على أن ذكر اليد كناية عن النفس والجملة ومعنى وتب وكان ذلك وحصل ويؤيده قراءة من قرأ وقد تب فإن كلمة قد لا تدخل على الدعاء وقيل كلاهما دعاء عليه بالهلاك والمراد بيان استحقاقه لأن يدعى عليه بالهلاك فإن حقيقة الدعاء شأن العاجز وإنما كناه والتكنية تكرمة لاشتهاره بكنيته فليست للتكريم أو لكراهة ذكر اسمه القبيح إذ فيه إضافة إلى الصنم أو للتعريض بكونه جهنمياً لأنه سيصلى ناراً ذات لهب، يعني: أن أبا لهب باعتبار معناه الإضافي يصلح أن يكون كناية عن

حاله وهي كونه جهنمياً لأن معناه باعتبار إضافته ملابس اللهب كما أن معنى أبو الخير وأخو الحرب بذلك الاعتبار ملابس الخير والحرب، واللهب الحقيقي لهب جهنم وهذا المعنى يلزمه أنه جهنمي ففيه انتقال من الملزوم إلى اللازم فهي كنية تفيد الذم فاندفع ما يقال: هذا يخالف قولهم ولا يكنى كافر فاسق ومبتدع إلا لخوف فتنة أو تعريف لأن ذلك خاص بالكنية التي تفيد المدح لا الذم ولم يشتهر بها صاحبها، قال في «الاتقان»: ليس في القرآن من الكنى غير أبي لهب ولم يذكر اسمه وهو عبد العزى أي: الصنم لأنه حرام شرعاً انتهى. وفيه الحرام وضع ذلك لا استعماله وفي كلام بعضهم ما يفيدان الاستعمال حرام أيضاً إلا أن يشهر بذلك ما في الأوصاف المنقصة كالأعمش وكان بعد نزول هذه السورة لا يشك المؤمن إنه من أهل النار بخلاف غيره ولم يقل في هذه السورة. قل ﴿تبت﴾ . . الخ لئلا يكون مشافهاً لعمه بالشتم والتغليظ وإن شتمه عمه لأن للعم حرمة كحرمة الأب لأنه مبعوث رحمة للعالمين وله خلق عظيم فأجاب الله عنه وقرىء أبو لهب بالواو كما قيل علي بن أبو طالب ومعاوية بن أبو سفيان مع أن القياس الياء لكونه مضافاً إليه كيلاً يغير منه شيء فيشكل على السامع والحاصل أن الكنية بمنزلة العلم والأعلام لا تتغير في شيء من الأحوال وكان لبعض أمراء مكة ابنان أحدهما عبد الله بالجر والآخر عبد الله بالفتح.

﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣﴾

﴿ما أغنى عن ماله وما كسب﴾ أي: لم يغن عنه حين حل به التبات ولم ينفعه أصلاً على أن ما نافية أو أي: شيء أغنى عنه على أنها استفهامية في معنى الإنكار منصوبة بما بعدها على أنه مفعول به أو أي إغناء أغنى عنه على أنها مفعول مطلق أصل ماله وما كسبه به من الأرباح والنتائج والمنافع والوجاهة والأتباع، ولا أحداً أكثر مالاً من قارون وما دفع عنه الموت والعذاب ولا أعظم ملكاً من سليمان عليه السلام وقد قيل فيه:

نه برباد رفتى سحركاه وشام سرير سليمان عليه السلام
بآخ نديديكه برباد رفت خنك آنكه بادانش وداد رفت

أو ماله الموروث من أبيه والذي كسبه بنفسه أو عمله الخبيث الذي هو كيده في عداوة النبي عليه السلام، أو عمله الذي ظن أنه منه على شيء كقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان: ٢٣] وقال بعضهم: ما كسب منفعة، وعن ابن عباس رضي الله عنهما: ما كسب ولده.

وروي أنه كان يقول: إن كان ما يقول ابن أخي حقاً فأنا افتدي منه نفسي بمالي وولدي فأستخلص منه وقد خاب رجاه وما حصل ما تمناه فافترس ولده عتبة أسد في طريق الشام وذلك أن عتبة بن أبي لهب، وكان تحته ابنة رسول الله عليه السلام أراد الخروج إلى الشام فقال لآتين محمداً فلأوذنيه فأتاه فقال: يا محمد هو كافر بالنجم إذا هوى وبالذي دنا فتدلى ثم تفل في وجه رسول الله ﷺ ورد عليه ابنته وطلقها فقال عليه السلام: «اللهم سلط عليه كلباً من كلابك» فرجع عتبة إلى أبيه فأخبره ثم خرجوا إلى الشام فنزلوا منزلاً فأشرف عليهم راهب من الدير فقال: إن هذه أرض مسبعة فقال أبو لهب: أعينوني يا معشر قريش هذه الليلة فإني أخاف على ابني دعوة محمد فجمعوا جمالهم وأناخوها حولهم وأحدقوا بعتبة فجاء الأسد يتخللهم

ويتشمم وجوههم حتى ضرب عتبة فقتله وهلك أبو لهب بالعدسة بعد وقعة بدر لسبع ليالٍ والعدسة بثرة تخرج في البدن تشبه العدسة وهي من جنس الطاعون تقتل غالباً فاجتنبه أهله مخافة العدوى، وكانت قريش تتقيها كالطاعون فبقي ثلاثاً حتى أنتن ثم استأجروا بعض السودان واحتملوه ودفنوه فكان الأمر كما أخبر به القرآن وفي «إنسان العيون»: لم يحفروا له حفيرة ولكن أسندوه إلى حائط وقذفوا عليه الحجارة خلف الحائط حتى واروه، وفي رواية حفروا له ثم دفعوه بعود في حفرته وقذفوه بالحجارة من بعيد حتى واروه، وعن عائشة رضي الله عنها إنها كانت إذا مرت بموضعه ذلك غطت وجهها والقبر الذي يرجم خارج باب الشبيكة الآن ليس بقبر أبي لهب وإنما هو قبر رجلين لطخا الكعبة بالعذرة وذلك في دولة بني العباس فإن الناس أصبحوا يوماً فوجدوا الكعبة ملطخة بالعذرة فرصدوا للفاعل فأمسكوهما بعد أيام فصلبا في ذلك الموضع فصارا يرجمان إلى الآن.

﴿**سيصلى**﴾ أي: ما ذكر من العذاب مآل أمره في النشأة الأولى وفي النشأة الآخرة سيدخل لا محالة ﴿**ناراً ذات لهب**﴾ ناراً عظيمة ذات اشتعال وتوقد وهي نار جهنم وليس هذا نصاً في أنه لا يؤمن أبداً حتى يلزم من تكليفه الإيمان بالقرآن أن يكون مكلفاً بأن يؤمن بأنه لا يؤمن أبداً فيكون مأموراً بالجمع بين النقيضين كما هو المشهور فإن صلي النار غير مختص بالكفار فيجوز أن يفهم أبو لهب من هذا أن دخوله النار لفسقه ومعاصيه لا لكفره فلا اضطرار إلى الجواب المشهور من أن ما كلفه هو الإيمان بجميع ما جاء به النبي عليه السلام إجمالاً لا الإيمان بتفاصيل ما نطق به القرآن حتى يلزم أن يكلف الإيمان بعدم إيمانه المستمر.

﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ۝٤ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ۝٥﴾.

﴿**وامرأته**﴾ عطف على المستكن في سيصلى لكون الفصل بالمفعول، يعني: [زن أو نيز بااودر آيد وداخل نار شود] وهي أم جميل بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان عمة معاوية رضي الله عنه، واسمها العوراء [وآن درهمسا يكىء حضرت عليه السلام، خانه داشت] وكانت تحمل حزمة من الشوك والحسك والسعدان فتنشرها بالليل في طريق النبي عليه السلام، [تا خارى نعوذ بالله در دامنش آو يزديا درپايش خلد] وكان عليه السلام يطأه كما يطأ الحرير، وفي «تفسير أبي الليث» حتى صار النبي عليه السلام، وأصحابه في شدة وعناء، وفي «تفسير الكاشفي»: وآن حضرت كه بنماز بيرون آمدي آنها برسرراه بركرفتي وبطريق ملايمت كفتى اين چه نوع همسا يكيست كه يا من ميكنيد.

ميـر يـخـتـنـد دره تـوخـار بـاهـمـه چون كل شكفته بود رخ كلستان تو

﴿**حمالة الحطب**﴾ الحطب ما أعد من الشجر شبوباً كما في «القاموس» ونصب حمالة على الشتم والذم أي: أذم حمالة الحطب، قال الزمخشري: وأنا استحب هذه القراءة وقد توسل إلى رسول الله عليه السلام، بجميل من أحب شتم أم جميل انتهى. وقيل على الحالية بناه على أن الإضافة غير حقيقية إذ المراد أنها تحمل يوم القيامة حزمة حطب كالزقوم والضريع وفي جيدها سلاسل النار كما يعذب كل مجرم بما يناسب حاله في جرمه، وعن قتادة: أنها مع كثرة مالها تحمل الحطب على ظهرها لشدة بخلها فعيرت بالبخل، فالنصب حينئذٍ على الشتم حتماً وقيل كانت تمشي بالنميمة وتفسد بين الناس تحمل الحطب بينهم أي: توقد بينهم النائرة وتورث الشر.

پس هيزم كشى عبارتست ازسخن چينى كه آتش خصومت ميان دوكس برمى افروزد.

ميان دوكس جنك چون آتش است سخن چين بدبخت هيزم كش است
كنند اين وآن خوش دكر باره دل وى اندرميان كور بخت وخجل
ميان دوكس آتش افروختن نه عقلست خود درميان سوختن

﴿في جيدها حبل من مسد﴾ جملة من خبر مقدم ومبتدأ مؤخر والجملة حالية والجيد بالكسر العنق ومقلده أو مقدمه كما في «القاموس»، والمسد ما يفتل من الحبال فتلاً شديداً من ليف كان أو جلداً وغيرهما يقال دابة ممسودة شديدة الأسر والمعنى في عنقها حبل مما مسد من الحبال وإنها تحمل تلك الحزمة من الشوك وتربطها في جيدها كما يفعل الحطابون تخسيساً لحالها وتصويراً لها بصورة بعض الحطابات من المواهن لتغضب من ذلك ويشق عليها ويغضب بعلها أيضاً وهما في بيت العز والشرف وفي منصب الثروة والجدة.

قال مرة الهمداني: كانت أم جميل تأتي كل يوم بابالة من حسك فتطرحها على طريق المسلمين فبينما هي ذات ليلة حاملة حزمة أعيت فقعدت على حجر لتستريح فجذبها الملك من خلفها فاختفت بحبلها حتى هلكت [وبدوزخ رفت]، وفي «ينبوع الحياة»: أنها لما بلغها سورة تبت يدا أبي لهب جاءت إلى أخيها أبي سفيان في بيته وهي متحرقة غضبى فقالت له: ويحك يا أحمس أي: يا شجاع أما تغضب إن هجاني محمد فقال سأكفيك إياه ثم أخذ بسيفه وخرج ثم عاد سريعاً فقالت له: هل قتلته فقال لها: يا أختي أيسرك إن رأس أخيك في فم ثعبان قالت: لا والله قال فقد كاد ذلك يكون الساعة أي فإنه رأى ثعباناً لو قرب منه ﷺ لالتقم رأسه ثم كان من أمر أبي سفيان الإسلام ومن أمر أخته الموت على الكفر والكل من حكم الله السابق.

قال في «كشف الأسرار»: [سك أصحاب الكهف رنك كفزادشت ولباس بلعام باعور طراز دين داشت ليكن شقاوت وسعادت أزلي ازهر دو جانب دركمين بود چون دولت روى نمود پوست أن سك ازروى صورت در بلعام پوشانيد ند كفتند].

فمثله كمثل الكلب [ومرقع بلعام دران سك پوشيدند كفتند] ثلاثة رابعهم كلبهم قوله ﴿من مسد﴾ بالوقف يعني يوقف عليه ثم يجاء بالتكبير لما مر.

تمت سورة المسد في عاشر جمادى الأولى
من سنة سبع عشرة ومائة وألف

١١٢ ـ سورة الإخلاص

أربع أو خمس آيات مكية أو مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾﴾.

﴿قل هو الله أحد﴾ الضمير للشأن كقولك هو زيد منطلق وارتفاعه بالابتداء وخبره الجملة ولا حاجة إلى العائد لأنها عين الشان الذي عبر عنه بالضمير أي: الله أحد هو الشأن هذا أو هو أن الله أحد والسر في تصدير الجملة به التنبيه من أول الأمر على فخامة مضمونها مع أن في الإبهام، ثم التفسير مزيد تقرير أو الضمير لما سئل عنه أي الذي سألتم عنه هو الله إذ روي أن المشركين قالوا للنبي عليه السلام: «صف لنا ربك الذي تدعونا إليه وانسبه أي بين نسبه واذكره فنزلت» يعني بين الله نسبه بتنزيهه عن النسب حيث نفى عنه الوالدية والمولودية والكفاءة، فالضمير حينئذٍ مبتدأ والله خبره وأحد بدل منه وإبدال النكرة المحضة من المعرفة يجوز عند حصول الفائدة على ما ذهب إليه أبو علي وهو المختار والله أعلم. دال على الإله الحق دلالة جامعة لمعاني الأسماء الحسنى كلها.

وقال القاشاني: هو عندنا اسم الذات الإلهية من حيث هي هي أي: المطلقة الصادق عليها مع جميعها أو بعضها أو لا مع واحد منها كقوله تعالى: **﴿قل هو الله أحد﴾** انتهى. وعبد الله هو العبد الذي تحلى بجميع أسمائه فلا يكون في عباده أرفع مقاماً وأعلى شأناً منه لتحققه بالاسم الأعظم واتصافه بجميع صفاته ولهذا خص نبينا عليه السلام، بهذا الاسم في قوله: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩] فلم يكن هذا الاسم بالحقيقة إلا له وللأقطاب من ورثته بتبعيته وإن أطلق على غيره مجازاً لاتصاف كل اسم من أسمائه بجميعها بحكم الواحدية واحدية جميع الأسماء والأحد اسم لمن لا يشاركه شيء في ذاته كما أن الواحد اسم لمن لا يشاركه شيء في صفاته، يعني أن الأحد هو الذات وحدها بلا اعتبار كثرة فيها فأثبت له الأحدية التي هي الغنى عن كل ما عداه وذلك من حيث عينه وذاته من غير اعتبار أمر آخر والواحد هو الذات مع اعتبار كثرة الصفات وهي الحضرة الاسمائية ولذا قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾﴾ [الصافات: ٤] ولم يقل الأحد لأن الواحدية من أسماء التقييد فبينها وبين الخلق ارتباط أي من حيث آلهيه والمألوهية بخلاف الأحدية إذ لا يصح ارتباطها بشيء فقولهم العلم الإلهي هو العلم بالحق من حيث الارتباط بينه وبين الخلق وانتشاء العالم منه بقدر الطاقة البشرية إذ منه ما لا تفيه الطاقة البشرية وهو ما وقع به الكمل في ورطة الحيرة، وأقروا بالعجز عن حق المعرفة، ومنه يعلم أن توحيد الذات مختص في الحقيقة بالله تعالى وعبد الأحد هو

وحيد الوقت صاحب الزمان الذي له القطبية الكبرى والقيام بالأحدية الأولى، وعبد الواحد هو الذي بلغه الله الحضرة الواحدية وكشف له عن أحدية جميع أسمائه فيدرك ما يدرك ويفعل ما يفعل بأسمائه ويشاهد وجود أسمائه الحسنى. قال ابن الشيخ في «حواشيه» قوله: ﴿هو الله أحد﴾ ثلاثة ألفاظ كل واحد منها إشارة إلى مقام من مقامات السائرين إلى الله تعالى فالمقام الأول: مقام المقربين وهم الذين نظروا إلى ماهيات الأشياء وحقائقها من حيث هي هي فلا جرم ما رأوا موجوداً سوى الله لأن الحق هو الذي لذاته يجب وجوده وأما ما عداه فممكن والممكن إذا نظر إليه من حيث هو هو كان معدوماً فهؤلاء لم يروا موجوداً سوى الحق تعالى، وكلمة هو وإن كانت للإشارة المطلقة مفتقرة في تعين المراد بها إلى سبق الذكر بأحد الوجوه أو إلى أن يعقبها ما يفسرها إلا أنهم يشيرون بها إلى الحق ولا يفتقرون في تلك الإشارة إلا ما يميز المراد بها من غيره لأن الافتقار إلى المميز إنما يحصل حيث وقع الإبهام بأن يتعدد ما يصلح لأن يشار إليه، وقد بينا أنهم لا يشاهدون بعيون عقولهم إلا الواحد فقط فلهذا السبب كانت لفظة هو كافية في حصول العرفان التام لهؤلاء، والمقام الثاني: مقام أصحاب اليمين وهو دون المقام الأول وذلك؛ لأنهم شاهدوا الحق موجوداً وشاهدوا الخلق أيضاً موجوداً فحصلت الكثرة في الموجودات فلا جرم لم تكن لفظة هو كافية في الإشارة إلى الحق بل لا بد هناك من مميز به يتميز الحق من الخلق فهؤلاء مفتقرون إلى أن يقرن لفظة الله بلفظة هو، فقيل: لأجلهم هو الله لأن لفظة الله اسم للموجود الذي يفتقر إليه ما عداه ويستغني هو عن كل ما عداه، فتتميز به الذات المرادة عما عداه والمقام الثالث: مقام أصحاب الشمال وهو أخس المقامات وهم الذين يجوزون أن يكون واجب الوجود أكثر من واحد فقرن لفظة الأحد بما تقدم رداً على هؤلاء وإبطالاً لمقالهم فقيل: ﴿قل هو الله أحد﴾ انتهى.

كلامه ومنه يعلم صحة ما اعتاده الصوفية من الذكر بالاسم هو وذلك لأن أهل البداية منهم وهم المحجوبون تابعون لأهل النهاية منهم وهم المكاشفون، كأنهم كلهم ما شاهدوا في الوجود إلا الله فالله عندهم بهويته المطلقة السارية متعين لا حاجة إلى التعيين أصلاً فضمير هو راجع إليه لا إلى غيره كما أن الضمير في أنزلناه راجع إلى القرآن لتعينه وحضوره في الذهن، فقول الطاعن إنه ضمير ليس له مرجع متعين فكيف يكون ذكر الله تعالى مردود على أن الضمائر أسماء وكل الأسماء ذكر لا فرق بينها بالمظهرية والمضمرية، فعلى هذا يجوز أن يدخل اللام في كلمة هو في اصطلاح الصوفية لأنها إشارة إلى الهوية ولا مناقشة في الاصطلاح، ثم قوله: ﴿قل﴾ أمر من عين الجمع وارد على مظهر التفصيل وفيه إشارة إلى سر قوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨] فكأنه يقول: أنا شهدت بوحدة الهوية في مقام الجمع فأشهد أنت أيضاً بتلك الوحدة في مقام الفرق ليظهر سر الأحدية واللاأحدية ويحصل التطابق بينهما جمعاً وتفصيلاً هكذا لاح بالبال والله أعلم بحقيقة الحال وقرىء ﴿هو الله﴾ بلا قل وكذا في المعوذتين لأنه توحيد والأخريان تعوذ فيناسب أن يدعو بهما وأن يؤمر بتبليغهما وقد سبق في سورة الأعلى ما يغني عن تكراره ههنا وقال بعضهم: إنما أثبت في المصحف قل والتزم في التلاوة مع أنه ليس من دأب المأمور بقل أن يتلفظ في مقام الائتمار إلا بالمقول لأن المأمور ليس المخاطب به فقط بل كل واحد ابتلي بما ابتلي به المأمور فأثبت ليبقى على مر الدهور منا على العباد.

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣﴾

﴿الله الصمد﴾ مبتدأ وخبر فعل بمعنى مفعول كقبض بمعنى مقبوض من صمد إليه من باب نصر إذا قصد أي هو السيد المصمود إليه في الحوائج المستغني بذاته وكل ما عداه محتاج إليه في جميع جهاته فلا صمد في الوجود سوى الله فهو مثل زيد الأمير يفيد قصر الجنس على زيد فإذ كان هو الصمد فمن انتفت الصمدية عنه لا يستحق الألوهية وتعريفه لعلمهم بصمديته بخلاف أحديته وتكرير الاسم الجليل للإشارة بأن من يتصف به فهو بمعزل عن استحقاق الألوهية كما أشير إليه آنفاً وتعرية الجملة عن العاطف لأنها كالنتيجة للأولى وبين أولاً ألوهيته المستتبعة لكافة نعوت الكمال ثم أحديته الموجبة لتنزهه عن شائبة التعدد والتركب بوجه من الوجوه وتوهم المشاركة في الحقيقة وخواصها، ثم صمديته المقتضية لاستغنائه الذاتي عما سواه وافتقار جميع المخلوقات إليه في وجودها وبقائها وسائر أحوالها تحقيقاً للحق وإرشاداً لهم إلى سننه الواضح، فإثبات الصمدية له سبحانه إنما هو باعتبار استنادنا إليه في الوجود والكمالات التابعة للوجود باعتبار أحدية ذاته فهو غني عن هذه الصفة والحاصل أن الصمدية تقتضي اعتبار كثرة الأسماء والصفات في الله دون الأحدية وعبد الصمد هو مظهر الصمدية الذي يصمد إليه أي: يقصد لدفع البليات وإيصال أمداد الخيرات ويستشفع به إلى الله لدفع العذاب وإعطاء الثواب وهو محل نظر الله إلى العالم في ربوبيته له.

يقول الفقير: جرى على لسان الباطن بلا اختيار مني وذلك بعد الإشراق أن أقول أزلي أبدي أحدي صمدي أي: أنت يا رب أزلي أحدي وأبدي صمدي فالأزلية ناظرة إلى الأحدية كما أن الأبدية ناظرة إلى الصمدية وذلك باعتبار التحليل والتعقيد، فإن الأحدية لا تتجلى إلا بإزالة الكثرات فعند الانتهاء إلى مقام الغنى الذي هو الغيب المطلق تزول الكثرة ويكون الزوال أزلاً وهذا تحليل وفناء وعبور عن المنازل وعروج إلى المرصد الأعلى والمقصد الأقصى عيناً وعلماً وأما الصمدية فباعتبار الأبدية التي هي البقاء وذلك يقتضي التعقيد بعد التحليل فهي بالنزول إلى مقام العين بالمهملة، أي: العين الخارجي والعالم الشهادي الذي أسفل منازله عالم الناسوت والحاصل أن الأحدية جمع، والصمدية فرق، فمقام الأحدية هي النقطة الغير المنقسمة التي انبسطت منها جملة التراكيب الواحدية فأول تعيناتها هي مرتبة آدم ثم حواء لأن حواء إنما ظهرت بعد الهواء المنبعث من تعين آدم الحقيقي ولذا انقلبت الهاء حاء فصار الهواء حواء وخاصية الاسم الأحد ظهور عالم القدرة وآثارها حتى لو ذكره ألفاً في خلوة على طهارة ظهرت له العجائب بحسب قوته وضعفه.

وخاصية الاسم الصمد حصول الخير والصلاح فمن قرأه عند السحر مائة وخمساً وعشرين مرة ظهرت عليه آثار الصدق والصديقية وفي «اللمعة»: ذاكره لا يحس بألم الجوع ما دام ملتبساً بذكره، والقراءة وصلاً أحد الله الصمد منوناً مكسور الالتقاء الساكنين وكان أبو عمرو في أكثر الروايات يسكت عند هو الله أحد وزعم أن العرب لا تصل مثل هذا وروي عنه أنه قال: وصلها قراءة محدثة وروي عنه قال: أدركت القراء كذلك يقرأونها **﴿قل هو الله أحد﴾** وإن وصلت نونت وروي عنه أنه قال: أحب إلى إذا كان رأس آية أن يسكت عندها وذلك لأن الآية منقطعة عما بعدها مكتفية بمعناها فهي فاصلة وبها سميت آية وأما وقفهم كلهم فيسكتون على الدال

ثم صرح ببعض أحكام جزئية مندرجة تحت الأحكام السابقة فقيل: ﴿لم يلد﴾ [نزاد كسى را].

تنصيصاً على إبطال زعم المفترين في حق الملائكة والمسيح ولذلك ورد النفي على صيغة الماضي من غير أن يقال لن يلد أو لا يلد أي: لم يصدر عنه ولد لأنه لا يجانسه شي ليمكن أن يكون له من جنسه صاحبة فيتوالد أولا يفتقر إلى ما يعينه أو يخلفه لاستحالة الحاجة والفناء عليه سبحانه فإن قلت: لم قال في هذه السورة لم يلد وفي سورة بني إسرائيل لم يتخذ ولداً؟ أجيب: بأن النصارى فريقان منهم من قال عيسى ولد الله حقيقة فقوله لم يلد إشارة إلى الرد عليه، ومنهم من قال اتخذه ولداً تشريفاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً تشريفاً فقوله: ﴿لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا﴾ [الإسراء: ١١١] إشارة إلى الرد عليه ﴿ولم يولد﴾ [ونزاده شد از كسى].

أي: لم يصدر عن شيء لاستحالة نسبة العدم إليه سابقاً أولا حقاً وقال بعضهم: الوالدية والمولودية لا تكونان إلا بالمثلية فإن المولود لا بد أن يكون مثل الوالد ولا مثلية بين هويته الواجبة وهوياتنا الممكنة انتهى، وقال البقلي: ﴿لم يلد ولم يولد﴾ أي: لم يكن هو محل الحوادث ولا الحوادث محله والتصريح بأنه لم يولد مع كونهم معترفين بمضمونه لتقرير ما قبله وتحقيقه بالإشارة إلى أنهما متلازمان إذ المعهود أن ما يلد يولد وما لا فلا ومن قضية الاعتراف بأنه لم يولد الاعتراف بأنه لا يلد، وفي «كشف الأسرار»: قدم ذكر لم يلد لأن من الكفار من ادعى أن له ولداً ولم يدع أحد إنه مولود.

وفي «التفسير الفارسي»: [لم يلد رد يهودا ست كه كفتند عزير پسر اوست ولم يولد رد نصارى است كه كويند عيسى خدا است].

قال أبو الليث: لم يلد يعني لم يكن له ولد يرثه ولم يولد يعني لم يكن له والد يرث ملكه.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾

﴿ولم يكن له كفواً أحد﴾ يقال هذا كفاؤه وكفؤه مثله وكافأ فلاناً ماثله وله صلة لكفؤا قدمت عليه مع أن حقها التأخر عنه للاهتمام بها لأن المقصود نفي المكافأة عن ذاته تعالى أي: لم يكافئه أحد ولم يماثله ولم يشاكله بل هو خالق الأكفاء ويجوز أن يكون من الكفاءة في النكاح نفياً للصاحبة وأما تأخير اسم كان فلمراعاة الفواصل ولعل ربط الجمل الثلاث بالعاطف لأن المراد منها نفي أقسام الأمثال فهي جملة واحدة منبه عليها بالجمل.

قال القاشاني: ما كانت هويته الأحدية قابلة للكثرة والانقسام ولم تكن مقارنة الوحدة الذاتية لغيرها إذا ما عدا الوجود المطلق ليس إلا العدم المحض فلا يكافئه أحد إذ لا يكافىء العدم الصرف الوجود المحض.

وقال الكاشفي: [رد مجوس ومشركان عربست كه كفتند اورا كفوهست نعوذ بالله وكفته اند هر آيتي ازين سوره تفسير آيت پيش است چون كويند من هو توكويى أحد چون كويند أحد كيست تو كويى صمد چون كويند صمد كيست توكويى الذي لم يلد ولم يولد چون كويند لم يلد ولم يولد كيست توكويى الذي لم يكن له كفؤا أحد].

وقال بعضهم: كاشف الوالهين بقوله ﴿هو﴾ وكاشف الموحدين بقوله ﴿الله﴾ وكاشف العارفين بقوله ﴿أحد﴾ والعلماء بقوله ﴿الصمد﴾ والعقلاء بقوله ﴿لم يلد. . ﴾ الخ وهو أي: لم يلد إشارة إلى توحيد العوام لأنهم يستدلون على الصانع بالشواهد والدلائل، وقال بعض

الكبار: إن سورة الإخلاص إشارة إلى حال النزول وهو حال المجذوب فأولاً يقول ﴿هو الله أحد الله الصمد﴾.. الخ وحال الصعود يعتبر من الآخر إلى جانب هو فيقول أولاً لم يكن له كفؤا أحد ثم يترقى إلى أن يقول هو لكن لا ينبغي للسالك أن يكتفي بوجدان هو في القرآن بل ينبغي له أن يترقى إلى القرآن الفعلي، فيشاهد هو في القرآن وهو محيط بالعوالم كلها وهو أول ما ينكشف للسالك ولاشتمال هذه السورة مع قصرها على جميع المعارف الإلهية والرد على من ألحد فيها جاء في الحديث: «إنها تعدل ثلث القرآن» فإن مقاصده منحصرة في بيان العقائد والأحكام والقصص، ومن عدلها بكله اعتبر المقصود بالذات منه وهو علم المبدأ وصفاته إذ ما عداه ذرائع إليه» وقال عليه السلام: «أسست السماوات السبع والأرضون السبع على قل هو الله أحد» أي: ما خلقت إلا لتكون دلائل على توحيد الله ومعرفة صفاته التي نطقت بها هذه السورة وعنه عليه السلام سمع رجلاً يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ فقال: «وجبت» فقيل وما وجبت يا رسول الله؟ قال: «وجبت له الجنة» وعن سهيل بن سعد رضي الله عنه جاء رجل إلى النبي عليه السلام وشكا إليه الفقر فقال: «إذا دخلت بيتك فسلم إن كان فيه أحد وإن لم يكن فيه أحد، فسلم على نفسك واقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ مرة واحدة» ففعل الرجل ذلك فأدر الله عليه رزقاً حتى أفاض على جيرانه وعن علي رضي الله عنه أنه قال: «من قرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ بعد صلاة الفجر إحدى عشرة مرة لم يلحقه ذنب يومئذٍ ولو اجتهد الشيطان» وفي الحديث: «أيعجز أحدكم أن يقرأ القرآن في ليلة واحدة؟ فقيل يا رسول الله من يطيق ذلك قال أن يقرأ ﴿قل هو الله أحد﴾ ثلاث مرات» وروي أنه نزل جبريل عليه السلام بتبوك فقال: يا رسول الله إن معاوية بن المزني رضي الله عنه مات في المدينة أتحب أن أطوي لك الأرض فتصلي عليه قال: «نعم» فضرب بجناحه على الأرض فرفع له سريره وصلى عليه وخلفه صفان من الملائكة كل صف سبعون ألف ملك ثم رجع فقال عليه السلام: «بم أدرك هذا؟ قال: بحبه ﴿قل هو الله أحد﴾ وقراءته إياها جائياً وذاهباً وقائماً وقاعداً وعلى كل حال» رواه الطبراني «وصحب سورة الإخلاص حين نزلت سبعون ألف ملك كلما مروا بأهل سماء سألوهم عما معهم فقالوا نسبة الرب سبحانه» ولهذا سميت هذه السورة نسب الرب كما في «كشف الأسرار»، وسميت سورة الإخلاص لإخلاص الله من الشرك أو للخلاص من العذاب أو خالصة في التوحيد قال الإمام الغزالي رحمه الله تعالى.

«عفو ربي وثيقتي بالخلاص. واعتصامي بسورة الإخلاص».

أو لأنها سورة خالصة لله ليس فيها ذكر شيء من الدنيا والآخرة وقال الحنفي لأنها تخلص قارئها من شدائد الآخرة وسكرات الموت وظلمات القبر وأهوال القيامة وقال القاشاني: لأن الإخلاص تمحيص الحقيقة الأحدية عن شائبة الكثرة.

تمت سورة الإخلاص يوم الاثنين الحادي عشر من جمادى الأولى من شهور سنة سبع عشرة ومائة ألف

١١٣ ـ سورة الفلق

خمس آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢﴾.

﴿قل أعوذ برب الفلق﴾ الفلق الصبح لأنه يفلق عنه الليل ويفرق فهو من باب الحذف والإيصال فعل بمعنى مفعول كالصمد والقبض بمعنى المصمود إليه والمقبوض كما مر، فإن كل واحد من المفلوق والمفلوق عنه مفعول وذلك إنما يتفق بأن يكون الشيء مستوراً ومحجوباً بآخر، ثم يشقق الحجاب الساتر عن وجه المستور ويزول فيظهر ذلك المستور وينكشف بسبب زواله وذلك الحجاب المشقق مفلوق والمحجوب المنكشف بزواله مفلوق عنه والصبح صار مفلوقاً عنه بإزالة ما عليه من ظلمة الليل يقال في المثل هو أبين من فلق الصبح والفلق أيضاً الخلق لأن الممكنات بأسرها كانت أعياناً ثابتة في علم الله مستورة تحت ظلمة العدم، فالله تعالى فلق تلك الظلمات بنور التكون والإيجاد فأظهر ما في علمه من المكونات فصارت مفلوقاً عنها وفي تعليق العياذ باسم الرب المضاف إلى الفلق المنبىء عن النور عقيب الظلمة والسعة بعد الضيق والفتق بعد الرتق عدة كريمة بإعادة العائذ مما يعوذ منه وإنجائه منه وتقوية لرجائه لتذكير بعض نظائره ومزيد ترغيب له في الجد والاعتناء بقرع باب الالتجاء إليه والإعاذة، بربه قالوا: إذا طلع الصبح تتبدل الثقلة بالخفة والغم بالسرور روي أن يوسف عليه السلام لما ألقي في الجب وجعت ركبته وجعاً شديداً فبات ليلته ساهراً فلما قرب طلوع الصبح نزل جبريل بإذن الله تعالى يسأله ويأمره بأن يدعو ربه فقال يا جبريل ادع أنت وأؤمن فدعا جبريل وأمن يوسف عليهما السلام، فكشف الله تعالى ما كان به من الضر فلما طاب وقت يوسف قال: يا جبريل وأنا أدعو أيضاً وتؤمن أنت فسأل يوسف ربه أن يكشف الضر عن جميع أهل البلاء في ذلك الوقت فلا جرم ما من مريض إلا ويجد نوع خفة في آخر الليل، وعن بعض الصحابة رضي الله عنهم أنه قدم الشأم فرأى دور أهل الذمة وما هم فيه من خفض العيش وما وسع عليهم به من دنياهم فقال: لا أبالي أليس من ورائهم الفلق فقيل: وما الفلق؟ قال: بيت في جهنم إذا فتح صاح جميع أهل النار.

﴿من شر ما خلق﴾ أي: من شر ما خلقه من الثقلين وغيرهم كائناً ما كان من ذوات الطبائع والاختيار وبالفارسية [ازبدي آنچه آفريد است ازمؤذيات إنس وجن وسباع وهوام].

فيشمل جميع الشرور والمضار بدنية كانت أو غيرها من ضرب وقتل وشتم وعض ولدغ وسحر ونحوها، وإضافة الشر إليه لاختصاصه بعالم الخلق المؤسس على امتزاج المواد المتباينة وتفاعل كيفياتها المتضادة المستنبعة للكون والفساد وأما عالم الأمر فهو خير محض منزه عن

شوائب الشر بالكلية وقرأ بعض المعتزلة القائلين بأن الله لم يخلق الشر من شر بالتنوين ما خلق على النفي وهي قراء مردودة مبنية على مذهب باطل الله خالق كل شيء.

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣﴾

﴿ومن شر غاسق﴾ تخصيص لبعض الشرور بالذكر مع اندارجه فيما قبله لزيادة مساس الحاجة إلى الاستعاذة منه لكثرة وقوعه ولأن تعيين المستعاذ أدل على الاعتناء بالاستعاذة وأدعى إلى الإعاذة أي ومن شر ليل مختلط ظلامه مشتد وذلك بعد غيبوبة الشفق من قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيۡلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] أي: اجتماع ظلمته، وفي «القاموس»: الغسق محركة ظلمة أول الليل وغسق الليل غسقاً ويحرك اشتدت ظلمته فالغاسق الليل المظلم كما في «المفردات»، وأصل الغسق الامتلاء يقال غسقت العين إذا امتلأت دمعاً أو هو السيلان وغسق العين سيلان دمعها وإضافة الشر إلى الليل لملابسته له بحدوثه فيه وتنكيره لعدم شمول الشر لجميع أفراده ولا لكل أجزائه. ﴿إذا وقب﴾ الوقب النقرة في الشيء كالنقرة في الصخرة يجتمع فيها الماء ووقب إذا دخل في وقب ومنه وقبت الشمس إذا غابت ووقب الظلام دخل والمعنى إذا دخل ظلامه في كل شيء وتقييده به لأن حدوث الشرفيه أكثر والتحرز منه أصعب وأعسر ولذلك قيل الليل أخفى للويل وقيل: أغدر الليل لأنه إذا أظلم كثر فيه الغدر والغوث يقل في الليل ولذا لو شهر إنسان بالليل سلاحاً فقتله المشهر عليه لا يلزمه قصاص ولو كان نهاراً يلزمه لأنه يوجد فيه الغوث، والحاصل: أنه ينبعث أهل الحرب في الليل وتخرج عفاريت الجن والهوام والمؤذيات، ونهى رسول الله عليه السلام، «عن السير في أول الليل» وأمر بتغطية الأواني وإغلاق الأبواب وإيكاء الأسقية وضم الصبيان وكل ذلك للحذر من الشر والبلاء وقيل الغاسق القمر إذا امتلأ ووقوبه دخوله في الخسوف واسوداده، لما روي عن عائشة رضي الله عنها، أنها قالت: أخذ رسول الله علي السلام بيدي فأشار إلى القمر فقال: «تعوذي بالله من شر هذا فإنه الغاسق إذا وقب وشره الذي يتقي ما يكون في الأبدان» كآفات التي تحدث بسببه ويكون في الأديان كالفتنة التي بها افتتن من عبده وعبد الشمس، وقيل التعبير عن القمر بالغاسق لأن جرمه مظلم وإنما يستنير بضوء الشمس ووقوبه المحاق في آخر الشهر والمنجمون يعدونه نحساً ولذلك لا تشتغل السحرة بالسحر المورث للتمريض إلا في ذلك قيل وهو المناسب لسبب النزول وقيل الغاسق الثريا ووقوبها سقوطها لأنها إذا سقطت كثرت الأمراض والطواعين وإذا طلعت قلت الأمراض والآلام وقيل هو كل شر يعتري الإنسان ووقوبه هجومه ويجوز أن يراد بالغاسق الأسود من الحيات ووقبه ضربه ولسبه وفي «القاموس»: هو الذكر إذا وقب هو منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وجماعة.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِي ٱلۡعُقَدِ ۝٤﴾.

﴿ومن شر النفاثات﴾ [واز شرد مندكان].

من النفث وهو شبه النفخ يكون في الرقية ولا ريق معه فإن كان معه ريق فهو التفل يقال منه نفث الراقي ينفث وينفث بالضم والكسر والنفاثات بالتشديد يراد منها تكرار الفعل والاحتراف به والنفاثات تكون للدفعة الواحدة من الفعل ولتكراره أيضاً. ﴿في العقد﴾ جمع عقدة وهي ما يعده الساحر على وتر أو حبل أو شعر وهو ينفث ويرقي، وأصله من العزيمة ولذلك يقال لها: عزيمة كما يقال لها: عقدة ومنه قيل للساحر معقد، والمعنى: ومن شر النفوس أو النساء السواحر

اللاتي يعقدن عقداً في خيوط وينفثن عليها وتعريفها إما للعهد أو للإيذان بشمول الشر لجميع أفرادهن وتمحضهن فيه وتخصيصه بالذكر لما روى ابن عباس رضي الله عنهما وعائشة رضي الله عنها أنه كان غلام من اليهود يخدم النبي عليه السلام، وكان عنده أسنان من مشطه عليه السلام، فأعطاها اليهود فسحروه عليه السلام فيها، ولذا ينبغي أن يقطع الظفر بعد التقليم وكذا الشعر إذا أسقط من اللحية والرأس نصفين أو أكثر لئلا يسحر به أحد وتولاه لبيد بن أعصم اليهودي وبناته وهن النفاثات في العقد فدفنها في بئر أريس، وفي «عين المعاني»: في بئر لبني زريق تسمى ذروان فمرض النبي عليه السلام روي: إنه لبث فيه ستة أشهر فنزل جبرائيل بالمعوذتين بكسر الواو كما في «القاموس»، وأخبره بموضع السحر وبمن سحره وبم سحره فأرسل عليه السلام علياً والزبير وعماراً رضي الله عنهم، فنزحوا ماء البئر فكأنه نقاعة الحناء ثم رفعوا راعونة البئر وهي الصخرة التي توضع في أسفل البئر فأخرجوا من تحتها الأسنان ومعها وتر قد عقد فيه إحدى عشرة عقدة مغرزة بالإبر فجاؤوا بها النبي عليه السلام فجعل يقرأ المعوذتين عليها فكان كلما قرأ آية انحلت عقدة ووجد عليه السلام، خفة حتى انحلت العقدة الأخيرة عند تمام السورتين فقام عليه السلام، كأنما أنشط من عقال وجعل جبرائيل يقول: «بسم الله أرقيك والله يشفيك من كل شيء يؤذيك من عين وحاسد» فلذا جوز الاسترقاء بما كان من كلام الله وكلام رسوله لا بما كان بالعبرية والسريانية والهندية فإنه لا يحل اعتقاده فقالوا: يا رسول الله أفلا نقتل الخبيث؟ فقال عليه السلام: «أما أنا فقد عافاني الله وأكره أن أثير على الناس شراً» قالت: عائشة رضي الله عنها ما غضب النبي عليه السلام غضباً ينتقم لنفسه قط إلا أن يكون شيئاً هو لله فيغضب لله وينتقم وقيل المراد بالنفث في العقد إبطال عزائم الرجال بالحيل مستعار من تليين العقدة بنفث الريق ليسهل حلها فعلى هذا فالنفاثات هي جنس النساء اللاتي شأنهن أن يغلبن على الرجال ويحولنهم عن آرائهم بأنواع المكر والحيلة فمعنى الآية إن النساء لأجل استقرار حبهن في قلوب الرجال يتصرفن فيهم ويحولنهم من رأي إلى رأي فأمر الله تعالى له رسوله بالتعوذ من شرهن.

اعلم أن السحر تخييل لا أصل له عند المعتزلة، وعند الشافعي تمريض بما يتصل به كما يخرج من فم المتثائب ويؤثر في المقابل وعندنا سرعة الحركة ولطافة الفعل فيما خفي فهمه وقيل طلسم يبني على تأثير خصائص الكواكب كتأثير الشمس في زئبق عصى سحرة فرعون والمعتزلة أنكروا صحة الرواية المذكورة وتأثير السحر فيه عليه السلام وقالوا: كيف يمكن القول بصحتها والله تعالى يقول ﴿وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [المائدة: ٦٧] وقال: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾ [طه: ٦٩] ولأن تجويزه يفضي إلى القدح في النبوة ولأن الكفار كانوا يعيرونه بأنه مسحور فلو وقعت هذه الواقعة لكان الكفار صادقين في تلك الدعوى ولحصل فيه عليه السلام ذكر العيب ومعلوم أن ذلك غير جائز وقال أهل السنة صحة القصة لا تستلزم صدق الكفرة في قولهم إنه مسحور وذلك لأنهم كانوا يريدون بكونه مسحوراً أنه مجنون أزيل عقله بسبب السحر فلذلك ترك دين آبائه فأما أن يكون مسحوراً بألم يجده في بدنه فذلك مما لا ينكره أحد وبالجملة فالله تعالى ما كان يسلط عليه لا شيطاناً ولا أنسياً وجنياً يؤذيه فيما يتعلق بنبوته وعقله وأما الإضرار به من حيث بشريته وبدنه فلا بعد فيه وتأثير السحر فيه عليه السلام لم يكن من حيث إنه نبي وإنما كان في بدنه من حيث إنه إنسان وبشر فإنه عليه السلام يعرض له من حيث بشريته ما يعرض لسائر البشر من الصحة والمرض والموت والأكل والشرب ودفع

الفضلات وتأثير السحر فيه من حيث بشريته لا يقدح في نبوته وإنما يكون قادحاً فيها لو وجد للسحر تأثير في أمر يرجع إلى النبوة ولم يوجد ذلك كيف والله تعالى يعصمه من أن يضره أحد فيما يرجع إليها كما لم يقدح كسر رباعيته يوم أحد فيما ضمن الله له من عصمته في قوله والله يعصمك من الناس وفي «كشف الأسرار»: فإن قيل: ما الحكمة في نفوذ السحر وغلبته في النبي عليه السلام؟ ولماذا لم يرد الله كيد الكائد إلى نحره بإبطال مكره وسحره؟ قلنا: الحكمة فيه الدلالة على صدق رسول الله عليه السلام، وصحة معجزاته وكذب من نسبه إلى السحر والكهانة لأن سحر الساحر عمل فيه حتى التبس عليه بعض الأمر واعتراه أنواع من الوجع ولم يعلم النبي عليه السلام بذلك حتى دعا ربه ثم دعا فأجابه الله وبين له أمره ولو كان ما يظهر من المعجزات الخارقة للعادات من باب السحر على ما زعم أعداؤه لم يشتبه عليه ما عمل من السحر فيه ولتوصل إلى دفعه من عنده وهذا بحمد الله من أقوى البراهين على نبوته وإنما أخبر النبي عليه السلام، عائشة رضي الله عنها من بين نسائه بما كشف الله تعالى له من أمر السحر لأنه عليه السلام كان مأخوذاً عن عائشة رضي الله عنها، في هذا السحر على ما روى يحيى بن يعمر قال: حبس رسول الله عليه السلام عن عائشة «فبينما هو نائم أو بين النوم واليقظة إذا أتاه ملكان جلس أحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه فهذا يقول للذي عند رأسه ما شكواه قال السحر، قال: من فعل به؟ قال لبيد بن أعصم اليهودي قال: فأين صنع السحر قال: في بئر كذا قال: فما دواؤه قال ينبعث إلى تلك البئر فينزح ماءها فإنه ينتهي إلى صخرة فإذا رآها فليقلعها فإن تحتها كوبة وهر كوز سقط عنقها وفي الكوبة وترفيه إحدى عشرة عقدة مغروزة بالإبر فيحرقها بالنار فيبرأ إن شاء الله تعالى فاستيقظ عليه السلام»، وقد فهم ما قالا فبعث علياً رضي الله عنه إلى آخر ما سبق وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله عليه السلام، «إذا اشتكى شيئاً من جسده قرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] والمعوذتين في كفه اليمنى ومسح بها المكان الذي يشتكي» وفيه إشارة إلى الهواجس النفسانية والخواطر الشيطانية النفاثات الساحرات في عقد عقائد القلوب الصافية الظاهرة أخباث السيئات العقلية وألواث الشكوك الوهمية والعياذ بالله منها.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾

﴿**ومن شر حاسد إذا حسد**﴾ بالوقف ثم يكبر لأن الوصل لا يخلو من الإيهام أي: إذا أظهر ما في نفسه من الحسد وعمل بمقتضاه ترتيب مقدمات الشر ومبادي الأضرار بالمحسود قولاً أو فعلاً والتقييد بذلك لما أن ضرر الحسد قبله إنما يحيق بالحاسد لا غير، وفي «الكشاف»: فإن قلت: فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه قلت: عرف النفاثات لأن كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون في بعض دون بعض وكذلك كل حاسد لا يضر ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات ويجوز أن يراد بالحاسد قابيل لأنه حسد أخاه هابيل والحسد الأسف على الخير عند الغير، وفي «فتح الرحمن»: تمنى زوال النعمة عن مستحقها سواء كانت نعمة دين أو دنيا وفي الحديث المؤمن يغبط والمنافق يحسد وعنه عليه السلام: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» وأول ذنب عصى الله به في السماء حسد إبليس لآدم فأخرجه من الجنة فطرد وصار شيطاناً رجيماً وفي الأرض قابيل لأخيه هابيل فقتله قال الحسين بن الفضل رحمه الله: ذكر الله الشرور في

هذه السورة ثم ختمها بالحسد ليظهر أنه أخبث الطبائع كما قال ابن عباس رضي الله عنهما.

اكر در عالم از حسد بدتر بودي ختم اين سوره بدان كردى
حسد آتشى دان كه چون بر فروخت حسود لعين را همان لحظه سوخت
كرفتم بصورت همه دين شوى حسدكى كذا ردكه حق بين شوى

وفيه إشارة إلى حسد النفس الأمارة إذا حسدت القلب وأرادت أن تطفىء نوره وتوقعه في التلوين وكفران النعمة الذي هو سبب لزوالها وفي الحديث أن النبي عليه السلام قال لعتبة بن عامر رضي الله عنه: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ ﴿**وقل أعوذ برب الناس**﴾» قوله: ﴿**ألم تر**﴾ كلمة تعجب وما بعدها بيان لسبب التعجب يعني لم يوجد آيات كلهن تعويذ غير هاتين السورتين وهما ﴿**قل أعوذ برب الفلق**﴾ و﴿**قل أعوذ برب الناس**﴾ وفي الحديث دليل على أنهما من القرآن ورد على من نسب إلى ابن مسعود رضي الله عنه أنهما ليستا منه، وفي «عين المعاني» الصحيح أنهما من القرآن إلا أنهما لم تثبتا في مصحفه للأمن من نسيانهما لأنهما تجريان على لسان كل إنسان انتهى.

اعلم أن مصحف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حذف منه أم الكتاب والمعوذتان ومصحف أبي بن كعب رضي الله عنه زيد فيه سورة القنوت ومصحف زيد بن ثابت رضي الله عنه كان سليماً من ذلك فكان كل من مصحفي ابن مسعود وأبي منسوخاً ومصحف زيد معمولاً به وذلك لأنه عليه السلام، كان يعرض القرآن على جبريل عليه السلام في كل شهر رمضان مرة واحدة فلما كان العام الذي قبض فيه عرضه مرتين، وكان قراءة زيد من آخر العرض دون قراءة أبي وابن مسعود رضي الله عنهما، وتوفي عليه السلام وهو يقرأ على ما في مصحف زيد ويصلي به قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: جميع سور القرآن مائة واثنتا عشرة سورة.

قال الفقيه في «البستان»: إنما قال إنها مائة واثنتا عشرة سورة لأنه كان لا يعد المعوذتين من القرآن وكان لا يكتبهما في مصحفه ويقول إنهما منزلتان من السماء وهما من كلام رب العالمين ولكن النبي عليه السلام كان يرقي ويعوذ بهما فاشتبه عليه أنهما من القرآن أو ليستا منه فلم يكتبهما في المصحف، وقال مجاهد: جميع سور القرآن مائة وثلاث عشرة سورة وإنما قال ذلك لأنه كان يعد الأنفال والتوبة سورة واحدة، وقال أبي بن كعب رضي الله عنه: جميع سور القرآن مائة وست عشرة سورة وإنما قال ذلك لأنه كان يعد القنوت سورتين إحداهما من قوله: «اللهم إنا نستعينك» إلى قوله من يفجرك والثانية من قوله: «اللهم إياك نعبد» إلى قوله: «ملحق»، وقال زيد بن ثابت رضي الله عنه: جميع سور القرآن مائة وأربع عشرة سورة وهذا قول عامة الصحابة رضي الله عنهم وهكذا في مصحف الإمام عثمان بن عفان رضي الله عنه وفي مصاحف أهل الأمصار فالمعوذتان سورتان من القرآن روى أبو معاوية عن عثمان بن واقد قال أرسلني أبي إلى محمد بن المنكدر وسأله عن المعوذتين أهما من كتاب الله قال من لم يزعم أنهما من كتاب الله فعلية لعنة الله والملائكة والناس أجمعين وفي «نصاب الاحتساب»: لو أنكر آية من القرآن سوى المعوذتين يكفر انتهى. وفي «الأكمل» عن سفيان بن سختان من قال: إن المعوذتين ليستا من القرآن لم يكفر لتأويل ابن مسعود رضي الله عنه، كما في «المغرب» للمطرزي وقال في «هدية المهديين» وفي إنكار قرآنية المعوذتين اختلاف المشايخ والصحيح أنه كفر انتهى.

تمت سورة الفلق من القرآن بعون الله الملك المنان

١١٤ ـ سورة الناس

ست آيات مدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾﴾.

﴿قل أعوذ برب الناس﴾ أي مالك أمورهم ومربيهم بإفاضة ما يصلحهم ودفع ما يضرهم. قال القاشاني: رب الناس هو الذات مع جميع الصفات لأن الإنسان هو الكون الجامع الحاصر لجميع مراتب الوجود فربه الذي أوجده وأفاض عليه كماله هو الذات باعتبار جميع الأسماء الجمالية والجلالية تعوذ بوجهه بعد ما تعوذ بصفاته ولهذا تأخرت هذه السورة عن المعوذة الأولى إذ فيها تعوذ في مقام الصفات باسمه الهادي فهداه إلى ذاته وفي الحديث: «أعوذ برضاك من سخطك وبمعافاتك من عقوبتك وأعوذ بك منك» ابتدأ بالتعوذ بالرضى الذي هو من الصفات لقرب الصفات من الذات ثم استعاذ بالمعافاة التي هي من صفات الأفعال ثم لما ازداد يقيناً ترك الصفات فقال وأعوذ بك منك قاصراً نظره على الذات وابتدأ بعض العلماء في ذكر هذا الحديث بتقديم الاستعاذة بالمعافاة على التعوذ بالرضى للترقي من الأدنى الذي هو من صفات الأفعال إلى الأعلى الذي هو صفات الذات.

قال بعضهم: من بقي له التفات إلى غير الله استعاذ بأفعال الله وصفاته فأما من توغل في بحر التوحيد بحيث لا يرى في الوجود إلا الله لم يستعذ إلا بالله ولم يلتجىء إلا إلى الله والنبي عليه السلام، لما ترقى عن هذا المقام وهو المقام الأول قال أعوذ بك منك.

يقول الفقير: ففي الالتجاء إلى الله في هذه السورة دلالة على ختم الأمر فإن الله تعالى هو الأول الآخر وإليه يرجع الأمر كله ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾ [النجم: ٤٢] وفيه إشارة إلى نسيان العهد السابق الواقع يوم الميثاق فإن الإنسان لو لم ينسه لما احتاج إلى العود والرجوع بل كان في كنف الله تعالى دائماً.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾﴾

﴿ملك الناس﴾ عطف بيان جيء به لبيان أن تربيته تعالى إياهم ليست بطريق تربية سائر الملاك لما تحت أيديهم من مماليكهم بل بطريق الملك الكامل والتصرف الشامل والسلطان القاهر فما ذكروه في ترجيح المالك على الملك من أن المالك مالك العبد وإنه مطلق التصرف فيه بخلاف الملك فإنه إنما يملك بقهر وسياسة ومن بعض الوجوه فقياس لا يصح ولا يطرد إلا في المخلوقين لا في الحق فإنه من البين أنه مطلق التصرف وأنه يملك من جميع الوجوه فلا يقاس ملكية غيره عليه ولا تضاف النعوت والأسماء إليه إلا من حيث أكمل مفهوماته ومن

وجوه ترجيح الملك على المالك أن الأحاديث النبوية مبينات لأسرار القرآن ومنبهات عليها وقد ورد في الحديث في بعض الأدعية النبوية: «لك الحمد لا إله إلا أنت رب كل شيء ومليكه» ولم يرد ومالكه وأيضاً فالأسماء المستقلة لها تقدم على الأسماء المضافة واسم الملك ورد مستقلاً بخلاف المالك ومما يؤيد ذلك أن الأسماء المضافة لم تنقل في إحصاء الأسماء الثابتة بالنقل مثل قوله عز وجل: ﴿فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا﴾ [الأنعام: ٩٦] و﴿ذِى ٱلۡمَعَارِجِ﴾ [المعارج: ٣] وشبهها، وأيضاً فإن الحق يقول في آخر الأمر عند ظهور غلبة الأحدية على الكثرة في القيامة الكبرى والقيامات الصغرى الحاصلة للسالكين عند التحقق بالموصول عقيب انتهاء السير وحال الانسلاخ ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦] والحاكم على الملك هو الملك فدل أنه أرجح وقد جوزوا القراءة مالك وملك في سورة الفاتحة لا في هذه السورة حذراً من التكرار فإن أحد معاني الاسم الرب في اللسان المالك ولا ترد الفاتحة فإن الراجح فيها عند المحققين هو الملك لا المالك.

﴿إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣﴾

﴿إله الناس﴾ هو لبيان أن ملكه تعالى ليس بمجرد الاستيلاء عليهم والقيام بتدبير أمور سياستهم والتولي لترتيب مبادي حفظهم وحمايتهم كما هو قصارى أمر الملوك بل هو بطريق المعبودية المؤسسة على الألوهية المقتضية للقدرة التامة على التصرف الكلي فيهم إحياء وإماتة وإيجاداً وإعداماً، وأيضاً إن ملك الناس إشارة إلى حال الفناء في الله كما أشرنا إليه وإله الناس لبيان حال البقاء بالله لأن الإله هو المعبود المطلق وذلك هو الذات مع جميع الصفات فلما فنى العبد في الله ظهر كونه ملكاً، ثم رده الله إلى الوجود لمقام العبودية فتم استعاذته من شر الوسواس لأن الوسوسة تقتضي محلاً وجودياً ولا وجود في حال الفناء ولا صدر ولا وسوسة ولا موسوس بل إن ظهر هناك تلوين بوجود الأنانية يقول أعوذ بك منك فلما صار معبوداً بوجود العابد ظهر الشيطان بظهور العابد كما كان أولاً موجوداً بوجوده وأيضاً مقام الربوبية المقيدة بالناس هو لحضرة الامام الذي على باب عالم الملكوت وفيها يشهد وهي موضع نظره فإنها ثلاث حضرات اختصت بثلاثة أسماء نالها ثلاثة رجال وهي حضرة الرب والملك والإله فرجالها الإمامان والقطب والإمامان وزيران للقطب صاحبا الوقت وينفرد القطب بالكشف الذاتي المطلق كما ينفرد الامام الذي على يسار القطب بباب عالم الشهادة الذي لا سبيل للامام الثاني الذي عن يمينه إليه وإنما أضيف إمام الربوبية للناس وهو مع الملكوتيات لأنه لا بد له عند موت الامام الثاني المسمى بالملك أن يرث مقامه بخلاف غيره وفي «الإرشاد»: تخصيص الإضافة بالناس مع انتظام جميع العالمين في سلك ربوبيته تعالى وملكوته وألوهيته لأن المستعاذ منه شر الشيطان المعروف بعدواتهم ففي التنصيص على انتظامهم في سلك عبوديته تعالى وملكوته رمز إلى إنجائهم من هلكة الشيطان وتسلطه عليهم حسبما ينطق به قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢] وتكرير المضاف إليه لمزيد الكشف والتقرير بالإضافة فإن ما لا شرف فيه لا يعبأ به ولا يعاد ذكره بل يترك ويهمل وقد قال من قال:

أعد ذكر نعمان لنا إن ذكره ... هو المسك ما كررته يتضوع

والتضوع [بوي خوش دميدن] فلولا أن الناس أشرف مخلوقاته لما ختم كتابه بذكرهم.

﴿مِن شَرِّ ٱلۡوَسۡوَاسِ ٱلۡخَنَّاسِ ۝٤﴾

﴿من شر الوسواس﴾ هو اسم بمعنى الوسوسة وهو الصوت الخفي الذي لا يحس فيحترز منه كالزلزال بمعنى الزلزلة وأما المصدر فبالكسر والفرق بين المصدر واسم المصدر هو أن الحدث إن اعتبر صدوره عن الفاعل ووقوعه على المفعول سمي مصدراً وإذا لم يعتبر بهذه الحيثية سمي اسم المصدر ولما كانت الوسوسة كلاماً يكرره الموسوس ويؤكده عند من يليه إليه كرر لفظها بإزاء تكرير معناها والمراد بالوسواس الشيطان لأنه يدعو إلى المعصية بكلام خفي يفهمه القلب من غير أن يسمع صوته وذلك بالإغراء بسعة رحمة الله أو بتخييل أن له في عمره سعة وأن وقت التوبة باق بعد سمي بفعله مبالغة كأنه نفس الوسوسة لدوام وسوسته فقد أوقع الاستعاذة من شر الشيطان الموصوف بأنه الوسواس. . الخ ولم يقل من شر وسوسته لتعم الاستعاذة شره جميعه وإنما وصفه بأعظم صفاته وأشدها شراً وأقواها تأثيراً وأعمها فساداً وإنما استعاذ منه بالإله دون بعض أسمائه كما في السورة الأولى لأن الشيطان هو الذي يقابل الرحمن ويستولي على الصورة الجمعية الإنسانية ويظهر في صور جميع الأسماء ويتمثل بها إلا بالله والرحمن فلم تكف الاستعاذة منه بالهادي والعليم والقدير وغير ذلك فلهذا لما تعوذ من الاحتجاب والضلالة تعوذ برب الفلق وههنا تعوذ برب الناس ومن هذا يفهم معنى قوله عليه السلام: «من رآني فقد رآني فإن الشيطان لا يتمثل بي» وكذا لا يتمثل بصور الكمل من أمته لأنهم مظاهر الهداية المطلقة. قال بعض الكبار: الإلقاء إما صحيح أو فاسد.

فالصحيح إلهي رباني متعلق بالعلوم والمعارف أو ملكي روحاني وهو الباعث على الطاعة وعلى كل ما فيه صلاح ويسمى إلهاماً.

والفاسد: نفساني وهو ما فيه حظ النفس ويسمى هاجساً أو شيطاني وهو ما يدعو إلى معصية ويسمى وسواساً، وفي «آكام المرجان»: وينحصر ما يدعو الشيطان إليه ابن آدم في ست مراتب المرتبة الأولى الكفر والشرك ومعاداة الله ورسوله فإذا ظفر بذلك من ابن آدم برد أنينه واستراح من تعبه معه وهذا أول ما يريده من العبد، والمرتبة الثانية البدعة وهي أحب إلى إبليس من المعصية لأن المعصية يتاب منها فتكون كالعدم والبدعة يظن صاحبها أنها صحيحة فلا يتوب منها فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة الثالثة، وهي الكبائر على اختلاف أنواعها فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة الرابع هي الصغائر التي إذا اجتمعت أهلكت صاحبها كالنار الموقدة من الخطب الصغار فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة الخامسة وهي اشتغاله بالمباحات التي لا ثواب فيها ولا عقاب بل عقابها فوات الثواب الذي فات عليه باشتغاله بها فإذا عجز عن ذلك انتقل إلى المرتبة السادسة وهي أن يشغله بالعمل المفضول عما هو أفضل منه ليفوته ثواب العمل الفاضل ومن الشياطين شيطان الوضوء ويقال له الولهان بفتحتين وهو شيطان يولع الناس بكثرة استعمال الماء قال عليه السلام، تعوذوا بالله من وسوسة الوضوء ومنهم شيطان يقال له خنزب وهو الملبس على المصلي في صلاته وقراءته قال أبو عمر والبخاري رحمهما الله: أصل الوسوسة ونتيجتها من عشرة أشياء أولها الحرص فقابله بالتوكيل والقناعة والثاني الأمل فاكسره بمفاجأة الأجل والثالث التمتع بشهوات الدنيا فقابله بزوال النعمة وطول الحساب والرابع الحسد فاكسره برؤية العدل والخامس البلاء فاكسره برؤية المنة

والعوافي والسادس الكبر فاكسره بالتواضع والسابع الاستخفاف بحرمة المؤمنين فاكسره بتعظيمهم واحترامهم والثامن حب الدنيا والمحمدة فاكسره بالإخلاص والتاسع طلب العلو والرفعة فأكسره بالخشوع والذلة والعاشر المنع والبخل فاكسره بالجود والسخاء ﴿**الخناس**﴾ الذي عادته أن يخنس أي يتأخر إذا ذكر الإنسان ربه.

حكي أن بعض الأولياء سأل الله تعالى إن يريه كيف يأتي الشيطان ويوسوس فأراه الحق تعالى هيكل الإنسان في صورة بلور وبين كتفيه خال أسود كالعش والوكر فجاء الخناس يتحسس من جميع جوانبه، وهو في صورة خنزير له خرطوم كخرطوم الفيل فجاء بين الكتفين فادخل خروطمه قبل قلبه فوسوس إليه فذكر الله فخنس وراءه، ولذلك سمي بالخناس لأنه ينكص على عقبيه مهما حصل نور الذكر في القلب ولهذا السر الإلهي كان عليه السلام يحتجم بين كتفيه ويأمر بذلك ووصاه جبرائيل بذلك لتضعيف مادة الشيطان وتضييق مرصده لأنه يجري وسوسته مجرى الدم ولذلك كا خاتم النبوة بين كتفيه عليه السلام إشارة إلى عصمته من وسوسته لقوله أعانني الله عليه فأسلم أي: بالختم الإلهي وشرح الصدر أيده وبالعصمة الكلية خصه فأسلم قرينه وما أسلم قرين آدم عليه السلام فوسوس إليه لذلك ويجوز أن يدخل الشيطان في الأجسام لأنه جسم لطيف وهو وإن كان مخلوقاً في الأصل من نار لكنه ليس بمحرق لأنه لما امتزج النار بالهواء صار تركيبه مزاجاً مخصوصاً كتركيب الإنسان وفي الوسواس إشارة إلى الوسواس الحاصل من القوة الحسية والخيالية وفي الخناس إلى القوة الوهمية المتأخرة عن مرتبتي القوتين فإنها تساعد العقل في المقدمات فإذا آل الأمر إلى النتيجة خنست وتأخرت توسوسه وتكشكه كما يحكم الوهم بالخوف من الموتى مع أنه يوافق العقل في أن الميت جماد والجماد لا يخاف منه المنتج لقولنا الميت لا يخاف منه فإذا وصل العقل والوهم إلى النتيجة نكص الوهم وأنكرها.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥﴾

﴿**الذي يوسوس في صدور الناس**﴾ إذا غفلوا عن ذكره تعالى، ولذا قال في «التأويلات النجمية»: أي: الناسي ذكر الله بالقلب والسر والروح. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ﴾ [القمر: ٦] بحذف الياء انتهى. ومحل الموصول الجر على الوصف فلا وقف على الخناس أو النصب أو الرفع على الذم فيحسن الوقف عليه ذكر سبحانه وتعالى وسوسته أولاً ثم ذكر محلها وهو صدور الناس تأمل السر في قوله يوسوس في صدور الناس ولم يقل في قلوبهم والصدر هو ساحة القلب وبيته فمنه تدخل الواردات عليه فتجتمع في الصدر ثم تلج في القلب، فهو بمنزلة الدهليز وهو بالكسر ما بين الباب والدار ومن القلب تخرج الإرادات والأوامر إلى الصدر ثم تتفرق على الجنود فالشيطان يدخل ساحة القلب وبيته فيلقى ما يريد إلقاءه إلى القلب، فهو يوسوس في الصدور ووسوسته واصلة إلى القلوب.

قال بعض أرباب الحقائق: للقلب أمراء خمسة ملكية يسمون الحواس كحاسة البصر وحاسة السمع وحاسة الشم وحاسة الذوق وحاسة اللمس وأمراء خمسة ملكوتية يسمون أرواحاً كالروح الحيواني والروح الخيالي والروح الفكري والروح العقلي والروح القدسي فإذا نفذ الأمر الإلهي إلى أحد هؤلاء الأمراء من القلب بادر لامتثال ما ورد عليه على حسب حقيقته وقس

عليه الخواطر والوساوس فإن عزم الإنسان يخرج كلاً منها إلى الخارج ويجريها من طرق الحواس والقوى وقوله ﴿في صدور الناس﴾ يدل على أنه لا يوسوس في صدور الجن.

قال في «آكام المرجان»: لم يرد دليل على أن الجني يوسوس في صدور الجني ويدخل فيه كما يدخل في الإنسي ويجري مه مجراه من الإنسي.

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾

﴿من الجنة والناس﴾ الجنة بالكسر جماعة الجن ومن بيان للذي يوسوس على أنه ضربان جني وإنسي كما قال تعالى: ﴿شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ﴾ [الأنعام: ١١٢] والموسوس إليه نوع واحد وهو الإنس فكما أن شيطان الجن قد يوسوس تارة ويخنس أخرى فشيطان الإنس يكون كذلك وذلك لأنه يلقى الأباطيل ويرى نفسه في وصورة الناصح المشفق فإن زجره السامع يخنس ويترك الوسوسة وإن قبل السامع كلامه بالغ فيه قال في «الأسئلة المقحمة»: من دعا غيره إلى الباطل فإن تصوره في قلبه كان ذلك وسوسة وقد قال تعالى: ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ﴾ [ق: ١٦] فإذا جاز أن توسوس نفسه جاز أن يوسوسه غيره فإن حقيقة الوسواس لا تختلف باختلاف الأشخاص ويجوز أن تكون من متعلقة بيوسوس فتكون لابتداء الغاية أي يوسوس في صدورهم من جهة الجن أنهم يعلمون الغيب ويضرون وينفعون ومن جهة الناس كالكهان والمنجمين كذلك وفي الجنة إشارة إلى القوى الباطنة المستجنة المستورة إذ سمى الجن بالجن لاستجنانه وفي الناس إلى القوى الظاهرة إذ الناس من الإيناس وهو الظهور كما قال آنست ناراً، وفي هذا المقام لطيفة بالغة وهي أن المستعاذ به في السورة الأولى مذكور بصفة واحدة وهي أنه رب الفلق والمستعاذ منه ثلاثة أنواع من الآفات وهي الغاسق والنفاثات والحاسد وأما في هذه السورة فالمستعاذ به مذكور بثلاثة أوصاف وهي الرب والملك والإله والمستعاذ منه آفة واحدة وهي الوسوسة ومن المعلوم أن المطلوب كلما كان أهم والرغبة فيه أتم وأكثر كان ثناء الطالب قبل طلبه أكثر وأوفر والمطلوب في السورة المتقدمة هو سلامة البدن من الآفات المذكورة وفي هذه السورة سلامة الدين من وسوسة الشيطان فظهر بهذا أن في نظم السورتين الكريمتين تنبيهاً على أن سلامة الدين من وسوسة الشيطان وإن كانت أمراً واحداً إلا أنها أعظم مراد وأهم مطلوب وأن سلامة البدن من تلك الآفات وإن كانت أموراً متعددة ليست بتلك المثابة في الاهتمام، وفي «آكام المرجان»: سورة الناس مشتملة على الاستعاذة من الشر الذي هو سبب الذنوب والمعاصي كلها وهو الشر الداخل في الإنسان الذي هو منشأ العقوبات في الدنيا والآخرة وسورة الفلق تضمنت الاستعاذة من الشر الذي هو سبب ظلم العبد نفسه وهو شر من خارج فالشر الأول لا يدخل تحت التكليف ولا يطلب منه الكف عنه لأنه ليس من كسبه والشر الثاني يدخل تحت التكليف ويتعلق به النهي وعن عائشة رضي الله عنها، قالت: كان رسول الله ﷺ «إذا أوى إلى فراشه كل ليلة جمع كفيه فنفث فيهما وقرأ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١﴾ [الفلق: ١] و﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ [الناس: ١] ثم مسح بهما ما استطاع من جسده يبد أبهما رأسه ووجهه وما أقبل من جسده يصنع ذلك ثلاث مرات» وفي «قوت القلوب» للشيخ أبي طالب المكي قدس سره: وليجعل العبد مفتاح درسه أن يقول أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم رب أعوذ بك من همزات الشياطين وأعوذ بك رب أن يحضرون وليقرأ قل أعوذ برب

الناس وسورة الحمد وليقل عند فراغه من كل سورة صدق الله تعالى وبلغ رسوله ﷺ اللهم انفعنا وبارك لنا فيه الحمد لله رب العالمين وأستغفر الله الحي القيوم.

وفي أسئلة عبد الله بن سلام: أخبرني يا محمد ما ابتداء القرآن وما ختمه؟ قال: ابتداؤه بسم الله الرحمن الرحيم، وختمه صدق الله العظيم قال: صدقت، وفي «خريدة العجائب» يعني: ينبغي أن يقول القارىء ذلك عند الختم وإلا فختم القرآن سورة الناس وفي الابتداء بالباء والاختتام بالسين إشارة إلى لفظ بس.

يعني حسب أي: حسبك من الكونين ما أعطيناك بين الحرفين كما قال الحكيم سناني رحمه الله.

أول وآخر قران زچه باآمد وسين يعني اندرره دين رهبر تو قرآن بس

يقول الفقير أيده الله القدير: إن الله تعالى إنما بدأ القرآن ببسم الله وختمه بالناس إشارة إلى أن الإنسان آخر المراتب الكونية كما أن الكلام آخر المراتب الآلهية وذلك لأن ابتداء المراتب الكونية هو العقل الأول وانتهاؤها الإنسان ومجموعها عدد حروف التهجي وأول المراتب الآلهية هو الحياة وآخرها الكلام، ولذا كان أول ما يظهر من المولود الحياة وهو جنين وآخر ما يظهر منه الكلام وهو موضوع لأن الله تعالى خلق آدم على صورته فكان أول الكلام القرآني اسم الله لأنه المبدأ الأول وآخره الناس لأن الإنس هو المظهر الآخر والمبتدىء يعرج تعلماً إلى أن ينتهي إلى المبدأ الأول واسمه العالي والمنتهي ينزل تلاوة إلى أن ينتهي إلى ذكر الإنس السافل وحقيقته أن الله تعالى هو المبدأ جلاء والمنتهي استجلاء وهو الأول بلا بداية والآخر بلا نهاية.

روي عن ابن كثير رحمه الله: أنه كان إذا انتهى في آخر الختمة إلى **﴿قل أعوذ برب الناس﴾** قرأ سورة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وخمس آيات من أول سورة البقرة على عد الكوفي وهو إلى وأولئك هم المفلحون لأن هذا يسمى الحال المرتحل ومعناه أنه حل في قراءته آخر الختمة وارتحل إلى ختمة أخرى إرغاماً للشيطان وصار العمل على هذا في أمصار المسلمين في قراءة ابن كثير وغيرها وورد النص عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله أن من قرأ سورة الناس يدعو عقب ذلك فلم يستحب أن يصل ختمه بقراءة شيء، وروي عنه قول آخر بالاستحباب واستحسن مشايخ العراق قراءة سورة الإخلاص ثلاثاً عند ختم القرآن كان كمن شهد المغانم حين تقسم ومن شهد فاتحة القرآن كان كمن شهد فتحاً في سبيل الله تعالى، وعن الإمام البخاري رحمه الله أنه قال: عند كل ختمة دعوة مستجابة وإذا ختم الرجل القرآن قبل الملك بين عينيه ومن شك في غفرانه عند الختم فليس له غفران، ونص الإمام أحمد على استحباب الدعاء عند الختم وكذا جماعة من السلف فيدعو بما أحب مستقبل القبلة رافعاً يديه خاضعاً لله موقناً بالإجابة ولا يتكلف السجع في الدعاء بل يجتنبه ويثني على الله تعالى قبل الدعاء وبعده ويصلي على النبي عليه السلام يمسح وجهه بيديه بعد فراغه من الدعاء وعنه عليه السلام أنه أمر علي بن أبي طالب رضي الله عنه «أن يدعو عند ختم القرآن بهذا الدعاء وهو: اللهم إني أسألك إخبات المخبتين وإخلاص الموقنين ومرافقة الأبرار واستحقاق حقائق الإيمان والغنيمة من كل بر والسلامة من كل إثم ووجوب رحمتك وعزائم مغفرتك والفوز بالجنة والخلاص من النار» وفي «شرح الجزري» لابن المصنف: ينبغي أن يلح في الدعاء وأن يدعو

بالأمور المهمة والكلمات الجامعة وأن يكون معظم ذلك أو كله في أمور الآخرة وأمور المسلمين وصلاح سلاطينهم وسائر ولاة أمورهم في توفيقهم للطاعات وعصمتهم من المخالفات وتعاونهم على البر والتقوى وقيامهم بالحق عليه وظهورهم على أعداء الدين وسائر المخالفين وبما كان يقول النبي عليه السلام عند ختم القرآن «اللهم ارحمني بالقرآن العظيم واجعله لي إماماً ونوراً وهدى ورحمة اللهم ذكرني منه ما نسيت وعلمني منه ما جهلت وارزقني تلاوته آناء الليل وأطراف النهار واجعله حجة لي يا رب العالمين»، وكان أبو القاسم الشاطبي رحمه الله يدعو بهذا الدعاء عند ختم القرآن: اللهم إنا عبيدك وأبناء عبيدك وأبناء إمائك ماض فينا حكمك عدل فينا قضاؤك نسألك اللهم بكل اسم هو لك سميت به نفسك أو علمته أحداً من خلقك أو أنزلته في شيء من كتابك أو استأثرت به في علم الغيب عندك أن تجعل القرآن ربيع قلوبنا وشفاء صدورنا وجلاء أحزاننا وهمومنا وسائقنا وقائدنا إليك وإلى جناتك جنات النعيم وإلى دارك دار السلام مع الذين أنعمت عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين برحمتك يا أرحم الراحمين.

يقول الفقير رافعاً يديه إلى الرب القدير: اللهم إني أعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت عل نفسك فقد أنجزت لي ما وعدتني إنك لا تخلف الميعاد وجعلت رؤياي حقاً وأحسنت بي إذا أخرجتني من سجن الهم وخاطبتني عند ذلك بقولك: سل تعط فجعلت منتهى سؤلي رضاك وبشرتني بقبول خدمتي هذه حيث قلت: فتقبلها ربها بقبول حسن وكنت أدعوك بإتمام النعمة وإكمال المنة فلم أكن بدعائك رب شقياً فأنعم علي فيما بقي من عمري القليل بأضعاف ما عودتني به قبل هذا من أنواع آلائك وأصناف نعمائك واختم لي بخير وهدى ونور.

وبكل بر وسعادة وسرور.

وصل على نبيك النبيه الذي هو مفتاح الخيرات. ومصباح السائرين إلى منازل القربات في جنح الأوقات وعلى آله وأصحابه القادة ومن تبعهم من السادة هذا وقد تم تحرير روح البيان في تفسير القرآن في مدة الوحي تقريباً لما أن قسي الأقدار رمتني إلى أقاصي أقطار الأرض وأيدي الأسفار النائبة تداولتني من طول إلى عرض حتى أقامني الله مقام الإتمام فجاء بإذن الله التمام يوم الخميس الرابع عشر من جمادى الأولى المنتظم في سلك شهور سنة سبع عشرة ومائة وألف من هجرة من يرى من قدام وخلف وقلت في تاريخه نظماً

إن من من جناب ذي المنن ختم تفسير الكتاب المستطاب
قال في تاريخه حقي الفقير حامداً لله قد تم الكتاب
وقلت بحساب لحروف المنقوطة وقع الختم بجود الباري

وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين

فهرس السور والآيات

سورة القيامة

سورة الإنسان

سورة المرسلات

سورة النبأ

سورة النازعات

سورة عبس

سورة التكوير

سورة الانفطار

سورة المطففين

سورة الانشقاق

سورة البروج

سورة الطارق

سورة الأعلى

سورة الغاشية

سورة الفجر

سورة البلد

سورة الشمس

سورة الليل

سورة الضحى

سورة الشرح

سورة التين

سورة العلق

سورة القدر

سورة البينة

سورة الزلزلة

سورة العاديات

سورة القارعة

سورة التكاثر

سورة العصر

سورة الهمزة

سورة الفيل

سورة قريش

سورة الماعون

سورة الكوثر

سورة الكافرون

سورة النصر

سورة المسد

سورة الإخلاص

سورة الفلق

سورة الناس